

العابد فكانه تعالى يقول لاتعبدوني الامن حيث ربوبيتي فان الربوبية هي التي تعرفونها لكونها
اوجدتكم فاصح لاحد تعلق الابها ولا تذلل الا لها فمن تعبد لحضرة الاحدية فقد تعبد نفسه لغير
معروف وطمع في غير مطمع لان الاحدية من خصائص الذات التي تمحق الاغيار ونعلم ان ما سوى الله
لااحدية له مطلقا وان المراد بقوله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه احدا الطاز لا الحقيقة لانه خلاف ما يفهمه
اهل الله تعالى في تقديرهم المعاني وان كانت لفظة الاحدية جاءت ثابتة الاطلاق على ما سواه تعالى كما
في هذه الآية ويؤيد ما قررنا قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم قل هو الله احد اي لا يشاركه احد
في صفة الاحدية * قال الشيخ محيي الدين واما الواحد فقد نظرنا في القرآن فلم نجده اطلقه على غيره كما
اطلق الاحدية وما انا منه على يقين فان كان لم يطلقه فهو أخص من الاحدية ويكون اسما للذات
علما لا صفة كالاحدية اذا الصفة محل الاشتراك ولهذا اطلقت على ما سوى الله كما مر انتهى * فان قيل
قد اجمعوا على ان كل صادق ناج ومعلوم ان المشرك صادق في انه مشرك فلم لا ينفعه صدقه * فالجواب
ما قاله الشيخ في الباب الخامس والخمسين وثلثمائة من الفتوحات ان الصدق لا ينجي صاحبه الا ان وافق
الحق فان النميمة والغيبة قد يكونان صدقا ومع ذلك فهما محرمتان ولذلك قال تعالى ليسئل الصادقين
عن صدقهم يعني اهل امرهم الحق بذلك الصدق ام نهاهم عنه فكل حق صدق وليس كل صدق
حقا * فعلم ان المشرك صادق في انه مشرك وما هو صادق في ان الشركة في الالوهية صحيحة وقد بحث
هو بالادلة الشرعية والعقلية فلم يجد لما ادعاه عينا في الصدق انتهى * فان قيل فهل يصح ان يتبرأ
الحق تعالى من الشريك من حيث انه عدم لا وجود له في نفس الامر * فالجواب ما قاله الشيخ في الباب
الحادي وثلثمائة انه لا يصح ان يتبرأ الحق تعالى من الشريك لانه عدم وانما يتبرأ من المشرك من
حيث انه اتخذ آلهة من دون الله بغير سلطان أتاه ثم المراد بتبريه تعالى من المشرك ذمه وبغضه
والا فلو تبرأ منه حقيقة فمن كان يحفظ عليه وجوده فحكم البراءة منه حكم صفة تنزه الحق عنها لان متعلق
البراءة عدم انتهى * وقال في الباب الخامس والاربعين وثلثمائة لا تصح الشركة بالله ابدا الا ان شرط
صحتها عدم تمييز الانصباء والامور كلها معينة عند الله تعالى في هذا الشيء المسمى مشتركا * وقال في الباب
الثاني والسبعين لا تصح الشركة في الوجود لانه كله فعل واحد فالشركة مصدر تصدر عنه فتحقق
يا اخي هذا التنبيه في الشركة فانه بعيد ان تسمعه من غيري وان كان يعرفه فانه يغلب عليه الجبن
الذي فطر عليه فيفزع من حيث كون الحق تعالى اثبت الشركة وصفا في المخلوق وانه يشرك بربه
وما شعر هذا بقوله أنا اغنى الشركاء عن الشرك فلم يقل ان الشركة صحيحة ولا ان الشريك موجود فالعبد
هو الذي اشرك وما في نفس الامر شركة لان الامر من واحد هذا هو الحق الذي ان قلته لا تغلب وما سوى
ذلك فهو مثال يضرب مثل فرض المحال وجوده موجود انتهى واطال في ذلك (فان قيل) فهل كل
كافر مشرك كما ان كل مشرك كافر أم لا (فالجواب) ما قاله في الباب الخامس والسبعين ومائتين ان كل
مشرك كافر وليس كل كافر مشركا اما كفر المشرك فلعدوله عن احدية الاله واما شركه فلانه نسب
الالوهية الى غير الله مع الله وجعل لها نسبتين فاشرك واما وجه كونه لا يلزم ان يكون كل كافر مشركا
فهو ان الكافر هو الذي يقول ان الاله واحد غير انه اخطأ في تعيين الاله كما قال تعالى لقد كفر الذين قالوا
ان الله هو المسيح بن مريم ما قال لقد اشرك الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم فكفره من حيث انه
جعل ناسوت عيسى الها كما انه يكفر ايضا بكفره بالرسول او ببعض كتابه وكفر هذا على وجهين الاول
ان يكون كفره بما جاء من عند الله مثل كفر المشرك في توحيد الله (الثاني) ان يكون عالما برسول الله
بما جاء من عند الله انه من عند الله ثم ستر ذلك عن العامة والمقلدة من اتباعه كما وقع لقيصر ملك الروم

الانف ثانية اه والله اعلم وقال فيه انما امر العبد بالاستنشاق بالماء في الانف [illegible] لان الانف في عرف العرب محل
العزة والكبرياء وامدا
تقول العرب في دعائها
ارغم الله انفه اذا فعل
كذا وكذا على رغم انفه
والرغام هو التراب اي
انزلك الله من كبريائك
وعزك الى مقام الذل
والصغر فكنى عن ذلك
بالتراب فان الارض قد
سماها الله ذلولا على المبالغة
وأذل الاذلاء من وطئه
الذليل ثم ان الكبرياء
لا يندفع من الباطن الا
باستعمال احكام العبيد
ومن هنا شرع الاستنثار
في الاستنشاق فقيل له
اجعل الماء في انفك ثم
انثر والماء هنا هو العلم
بعبوديتك فاذا استعملته
في محل كبريائك خرج
الكبرياء من محله وهو
الاستنثار * وقال انما امر
العبد ان يستر عورته في
الخلوة وان كان الحق
تعالى لا يحجبه شيء لان
حكمه تعالى في افعال
عبيده من حيث ما هم
مكلفون هكذا تبع الشرع
فيه العرف * وقال
الطهارة الباطنة للاذنين
تكون باستماع القول
الاحسن فانه ثم حسن
فاحسن فاعلاه حسنا ذكر
الله في القرآن فيجمع بين
الحسنين فليس [illegible]
سماع ذكر [illegible]
مثل كل آية لا يكون مدلولها الا ذكر الله فانه ما كل آي القرآن يتضمن ذكر الله [illegible]

واطال فى ذلك (فان قيل) من اين جاء الناس اعتقاد الشريك مع الله تعالى مع انهم كلهم اجابوا بالاقرار بالربوبية له وحده يوم ألست بربكم (فالجواب) ماقاله الشيخ فى الباب الخامس والثلثمائة انهم ماادعوا الشريك مع الله تعالى حتى حجبوا عن ذلك المشهد فلما حجبوا احكمت عليهم الاوهام بوجود الشريك مع انه عدم فى نفس الامر فانه لو صح شريك الحق ماصح من العباد الاقراد بالربوبية لله تعالى عند اخذ الميثاق ولو صح وجود شريك له فيهم ماصح اقرارهم بالملك له وحده هنالك فان ذلك الموطن كان موطن حق من اجل الشهادة فنفس اطلاقهم الملك له بأنه تعالى ربهم هو عين نفى الشريك قال الشيخ وانما قلنا ذلك من طريق الاستنباط لانه لم يجرها التوحيد لفظ اصلا وانما المعنى يعطيه فعلم ان الشريك منفى من الاصل والسلام (فان قيل) فاذن المشرك جاهل بالله تعالى على الاطلاق (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والثمانين ومائتين نعم اذ الشركة لا تصح بوجه من الوجوه ولا يكون الايجاد بالشركة قط قال الشيخ ولهذا لم تلحق المعتزلة بالمشركين لانهم انما وجدوا افعال العباد للعباد فما جعلوهم شركاء لله تعالى وانما اضافوا الفعل اليهم عقلا وصدقهم الشرع على ذلك كما ان الاشعرية وجدوا افعال الممكنات كلها لله تعالى من غير تقسيم عقلا وساعدهم الشرع على ذلك ايضا لكن ببعض محتملات وجوه ذلك الخطاب ولم يجعلهم من المشركين بل قالوا ان الله تعالى خالق كل شئ * قال ولكن لا يخفى ان ماذهبت اليه الاشاعرة اقوى عند اهل الكشف مع ان كلا من الطائفتين اصحاب توحيد شرعى انتهى * وقال فى الباب الثالث والسبعين واربعمائة فى قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به اى لان الشريك عدم لا وجود له كما يتيقنه المؤمن بايمانه واذا كان عدما فلا يغفره الله اذا الغفر والستر لا يكون الا لمن له وجود والشريك عدم فما ثم من يستر فهى كلمة تحقيق فمعنى قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به اى لانه لا وجود للشريك ولو كان له وجود لكان للمغفرة عين تتعلق بها واطال فى ذلك * وقال فى الباب الخامس والاربعين وثلثمائة اعلم ان الشرع قد يتبع العرف فى بعض المواضع كما فى قوله تعالى ولم يكن له شريك فى الملك فنفى الشريك مع انه لا وجود له فى الشرع ولكن لما ثبت اسم الشريك فى العرف العام تبعه الشرع فى ذلك ليفهم منه الحكم فانه صلى الله عليه وسلم جاء بلسان قومه وهو ماتواطؤا عليه انتهى (فان قيل) فهل فى الجن المخلدين فى النار من يشرك كالانس (فالجواب) ماقاله الشيخ فى الباب التاسع والستين وثلثمائة انه ليس فى الجن من يجهل الحق تعالى ولا من يشرك به فهم ملحقون بالكفار لا بالمشركين وان كانوا هم الذين يوسوسون بالشرك للناس ولذلك قال تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين فليتأمل (فان قيل) فاذا كان مذهب الاشعرية لا بد فيه من اضافة العقل للعبد فكيف يصح التوحيد الخالص لله تعالى (فالجواب) ماقاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائة وهو انه يجب على الانسان ان ينزه ربه عن الشريك لا عن الشركة فى العقل والملك لاجل صحة التكليف فان للعبد فى الفعل والملك شركة لكن من خلف حجاب الاسباب كالنجار تضاف اليه الصنعة وهو لم يعمل التابوت بيده فقط وانما فعله بالآلات متعددة من حديد وخشب فهذه اسباب النجارة ولم يضف عمل التابوت الى شئ منها انتهى (فان قيل) فما الفرق بين من يقول بالاسباب وبين من قال عن الاوثان مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهلا كان يكفر من وقف مع الاسباب كما يكفر من عبد الاوثان (فالجواب) ماقاله الشيخ فى الباب الثانى والسبعين فى الكلام على الحج اعلم ان عباد الاوثان قد احتجوا معنا فى كوننا ماعبدنا لذات لكونها ذاتا بل لكونها الها وانما خالفونا فى الاسم فانا وضعنا الاسم على حقيقة مسماه ونسبنا ماينبغى لمن ينبغى فهو الله حقا لا اله الا هو واولئك وضعوا الاسم على غير مسماه فاخطؤا فسمينا نحن علماء سعداء واولئك سموا

جهلاء

حكاية الاحكام المشروعة وقصص الفراعنة وحكايات اقوالهم وكفرهم وان كان فى ذلك الاجر العظيم من حيث ماهو قرآن بالاصغاء الى القارئ اذا قرأه من نفسه او غيره فعلم ان ذكر الله اذا سمع فى القرآن أتم من سماع قول الكافرين فى الله ما لا ينبغى * وقال فيه اصل مسح الراس طلب الوصلة لله ولا تكون الوصلة الا مع شهود الذل والانكسار ولهذا لم يشرع مسح الرأس فى التيمم لان وضع التراب على الراس من علامة الفراق وهو المصيبة العظمى اذ كان الفاقد حبيبه بالموت يضع التراب على رأسه وسيأتى زيادة على ذلك واطال فى ذلك وقال فيه اعلم ان الاستدلال على الاكتفاء بالمسح على العمامة دون الراس بحديث مسلم فى المسح على العمامة معلول اعله ابن عبد البر وغيره فان المسح فيه قد وقع على الناصية والعمامة معا فقد مس الماء الشعر وحصل حكم الاصل فى مذهب من يقول بمسح البعض * وقال فيه مسح الرجلين بالكتاب وغسلهما بالسنة المبينة للكتاب قال والآية تحتمل العدول عن الظاهر الا على مذهب من يرى او نقل عن العرب ان المسح لغة يكون من الالفاظ المترادفة قال ومذهبنا ان الفتح فى لام ارجلكم لا يخرجها عن الممسوح فان هذه الواو قد تكون واو المعية

بجهلاء اشقياء فهن عباد المسمى والاسم مندرج فيه وهم عباد الاسم لا المسمى كما قال وقه يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها فالمؤمن يسجد لله طوعا والمشرك يسجد لله كرها لانه عبد الوثن فتبرأ الوثن منه فوقعت عبادته لله تعالى كرها على رغم انفه ✱ وقال في الباب السبعين من الفتوحات انما لم يقبل توحيد المشركين شرعا في قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى لان الدليل يضاد المدلول والتوحيد المدلول والدليل مغاير له فلا توحيد انتهى (فان قيل) فهل لنا علة أخرى في برهان التمانع غير الفساد في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين ان علة منع وجود الهين كون الحق تعالى لا مثل له فلو صح ان يكون في الوجود الهان لصح ان يكون له تعالى مثل وذلك محال لان الله تعالى نفى ان يكون له مثل بخلاف الاعراض فانه يصح اجتماعها في عين واحدة لعدم التشبيه بالمكون قال وانظر الى التفاحة مثلا كيف خلقها الله تعالى تحمل لونا وطعما ورائحة في جوهر واحد ويستحيل وجود لونين او طعمين او ريحين في ذلك الحيز قال ومن هنا يفهم معنى كون الحق تعالى يسمى بالظاهر والباطن دون الظاهرين او الباطنين انتهى ✱ وقال في الباب الاحد والثمانين ومائة انما كان المريد لا يفلح قط بين شيخين قياسا على عدم وجود العالم بين الهين وعلى عدم وجود المكلف بين رسولين وعلى عدم وجود امرأة بين رجلين انتهى ✱ وقد قيل للشيخ محي الدين رحمه الله ان الاله الذي جاء بوصفه ونعته الشارع لا يدرك كنهه لمباينته لخلقه فهل هو غير الاله الذي أدركه العقل واحاط به علما ام هو عينه ولكن قصر العقل عن الاحاطة به ✱ فاجاب الشيخ في الباب السابع والستين من الفتوحات بما نصه ان الاله الذي أدركه العقل ليس هو عين الاله المنزه المقدس لان الاله الذي جاء بوصفه ونعته الشارع لا يقبل اقتران محدث به وقد قرن بهذا الاله محمد رسول الله في شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فعلم ان التوحيد من حيث ما يعلمه الله ما هو التوحيد الذي أدركه النظر العقلي اذ الاله الذي دعا الشرع الى عبادته لا يعقل كنهه لمخالفته لسائر الحقائق واطال في ذلك فليتأمل ثم قال ومن عرف ما قررناه علم ان الاله الذي ادركه العقل لا يحتاج الى تأويل شئ من صفاته التي أدركناها بعقولنا وتنزل الحق تعالى في العقول فيصح وصفه بالاستواء والنزول والمعية والتردد وغير ذلك من غير تأويل انتهى ✱ قلت فما احتاج الى تأويل الا من ظن أن الاله الذي كلفنا الله بمعرفته ليس هو صاحب الصفات المقدسة التي لا تعقل وذلك أن الحق تعالى له مرتبتان مرتبة هو عليها في على ذاته ومرتبة تنزل منها العقول عباده فما عرف الخلق منه الا رتبة التنزل لا غير لان الله تعالى لم يكلف الخلق ان يعرفوه تعالى كما يعرف نفسه ابدا ولو كلفهم بذلك لادى الى الاحاطة به كما يحيط هو بنفسه وذلك محال لتساوى علم العبد وعلم الرب حينئذ انتهى وقد قال الشيخ أيضا في الباب الثاني والسبعين الى التنزيه سمع في الشرع ولم يوجد في العقل انتهى : وقد انشد سيدي محمد وفا رضي الله تعالى عنه في هذا المعنى

عقال عقلك بالاوهام معقول ✱ وقد قلب القلب منك القال والقيل

نحت بالفكر معبودا وقلت به ✱ وصنت عقدا بكف الحق محلول

قد عشت قبلك دهرا في مكابدة ✱ ولي فؤاد بهذا الداء معلول

انتهى ✱ فعلم انه ما ترقى عن الاوهام الا الانبياء وكمل ورثتهم من الاولياء والعلماء فهؤلاء هم الذين خرجوا عن الاوهام في الله عز وجل ولذلك لم ينقل عنهم تأويل صفات الله لانفسهم وانما اولوها لاتباعهم لقصور عقولهم فكان من جملة رحمة الله تعالى بعامة عباده التنزل لعقولهم بضرب من التشبيه الخيالي ومخاطبته امنه لنتعقل عن امره ونهيه فاذا تعقلنا ما خاطبنا به ذهبت المثلى المتخيلات

المتقدم على الاكل وهو عالم انه لم يتوضأ من لحوم الابل وقال هذا القول ما علم ان احدا قاله قبلي قاب وان ...

✱ وقال فيه ليس في مقدور البشر مراقبة الله تعالى في السر والعلن مع الانفاس فان ذلك من خصائص الملأ الاعلى واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان له هذه الرتبة لكونه مشرعا في جميع احواله فلا يوجد الا في واجب او مندوب او مباح فهو ذاكر الله بالمباح فافهم واليه الاشارة بقول عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه وقال فيه اذا وقع في القلب خاطر غريب يقدح في الشرع وجب على الانسان ان يجرد النظر في ذلك بالعقل دون الاستدلال بالشرع كالبرهمي الذي ينكر الشريعة فانه لا يقبل الدليل الشرعي على ابطال هذا القول الذي اتصل فان الشرع هو محل النزاع بيننا وبينه وهو لا يثبته فليس له دواء الا النظر العقلي فنداويه بقولنا انظر بعقلك في المسئلة ✱ وقال فيه الذي اقول به وجوب الوضوء من اكل لحوم الابل لكن تعبدا وهو عبادة مستقلة مع كونه ... ينقض طهارة ... وضوء ... وضوء ورفع

كأنها جفاء وبقي معنا العلم وهذا نظير ما نزل الينا من كلامه القديم المنزه عن الحروف والاصوات فانا لا نتعقله الا ان كان بصوت وحرف ولو انه كشف عنا الغطاء لوجدناه بغير صوت ولا حرف كما ان الحق تعالى اذا تجلى يوم القيامة يراه بعض الناس في صورة ولو انه حقق النظر لم يجد الحق صورة ونظير ذلك ايضا السراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ * وقد ذكر الشيخ في الباب الثاني والسبعين ان للحق ان يناقش الموحدين ويقول لهم فيما اذا وحدتموني ولماذا وحدتموني وما الذي اقتضى لكم توحيدي فان كنتم توحدوني في المظاهر فأنتم القائلون بالحلول والقائلون بالحلول غير موحدين لانهم اثبتوا امرين حالا ومحلا وان كنتم وحدتموني في الذات دون الصفات والافعال فما وحدتموني لان العقول لا تبلغ اليها والخبر لم يجيئكم بها من عندي وان كنتم وحدتموني في الالوهية بما تحمله من الصفات الفعلية والذاتية مع اختلاف النسب فيما وحدتموني هل بعقولكم أو بي فكيفما كان ما وحدتموني لان وحدانيتي ما هي بتوحيد موحد لا بعقولكم ولا بي فان توحيدكم اياي بي هو توحيدي وتوحيدكم بعقولكم هباء منثورا كيف تحكمون على بحكم من خلقته ونصبته وان كان الذي اقتضى توحيدي هو وجودكم فأنتم تحت حكم ما اقتضاه منكم فقد خرجتم عني فأين التوحيد وان قلتم ان الذي اقتضى توحيدكم هو أمري فأمري ما هو غيري فعلى يدي من وصل اليكم وان قلتم انه نور ما رأيتموه مني من ذا الذي رآه منكم وان لم تروه مني فأين التوحيد وانتم تشهدون الكثرة انتهى * وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى الجامع اعلم ان التوحيد المطلوب منا معقول غيره ووجود الجمع موجوده معقول ولو انه تعالى أراد منا التوحيد الخالص الذي ليس معه فيه سواه لما أوجد العالم لكن لما سبق علمه انه اذا أوجد العالم كان بعض الناس يشرك به وقع ذلك على حكم ما سبق به العلم وما ثم شيء خارج عن حكمه وارادته واطال في ذلك ثم قال وهذا هو وجه استناد وجود الشرك في العالم وقد كان تعالى ولا شيء معه يتصف بالوجود ولا الشريك ولا المشرك فنشأ الشرك من وجود العالم معه تعالى فما فتح العالم عينه على نفسه الا وهو موجود مع الحق تعالى فلذلك كان ليس له في التوحيد الخالص ذوق فلما قيل له وحد خالقك لم يفهم هذا الخطاب فكرر عليه القول فقال لا أدري ولا أعقل التوحيد الا بين اثنين موحد بكسر الحاء وموحد بفتحها واطال في ذلك . ثم قال في باب الوصايا من الفتوحات اعلم انه لا يعرف التوحيد الذي يستحقه الحق الا الحق واما نحن فاذا وحدناه فانما نوحده بتوحيد الرضا ولسانه فان توحيد الاستحقاق محال ان يصحبه هم او حزن او اختيار او حب رياسة او بغض احد من الخلق لان الوجود كله في قبضة قهره وتصريفه فافهم * وقال في الباب الثاني والسبعين ومائة بعد كلام طويل فاذن التوحيد الشرعي هو التعمل في حصول العلم في نفس الانسان بأن الله الذي اوجده واحد لا شريك له في الوهيته واما الوحدة فهي صفة الحق والاسم صفة الاحد والواحد وأما الوحدانية فهي قيام الواحدة بالواحد من حيث انها لا تعقل الا بقيامها بالواحد وان كانت نسبة في التنزيه فهذا هو معنى التوحيد فاذا حصل في نفس العالم ان الله تعالى واحد فهو موحد واطال في ذلك * (خاتمة): قال الشيخ في باب الوصايا من الفتوحات اياكم ومعاداة اهل لا اله الا الله فان لهم من الله الولاية العامة فهم اولياء الله ولو أخطؤا وجاؤا بقراب الارض خطايا لا يشركون بالله شيأ فان الله يلقى جميعهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته وانما جاز اقامة الحد من الذاكر بن الله لظاهر الشرع من غير ان نؤذيه او نزدريه واطال في ذلك ثم قال واذا عمل احدكم عملا توعد الله عليه بالنار فليمحه بالتوحيد فان التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيامة لا بد من ذلك والله تعالى اعلم فتأمل في هذا المبحث وامعن النظر فيه فانك لا تجده في كتاب والله

المانع فهو أحوط قال ودليل من قال أن أكل لحوم الابل ينقض الطهارة ما ورد أنها شياطين والشياطين بعداء عن الله تعالى والصلاة حال قربة ومناجاة فنقضوا الطهارة به * وقال فيه الذي أقول به منع التطهير بالنبيذ لعدم صحة الخبر المروي فيه ولو أن الحديث صح لم يكن نصا في الوضوء به فانه صلى الله عليه وسلم قال ثمرة طيبة وماء طهور أي قبل الامتزاج والتغير عن وصف الماء وذلك لان الله تعالى ما شرع لنا الطهارة عند فقد الماء الا بالتيمم بالتراب خاصة * وقال فيه الاوجه عندي ان الخف اذا تخرق يمسح عليه ما دام ينطلق عليه اسم الخف وان تفاحش خرقه قال ولا نص في هذه المسئلة صريحا في كتاب ولا في سنة واذا تخرق الخف على قولنا هذا فظهر من الرجل شيء مسح على ما ظهر منه ومن الخف ما دام يسمى خفا * وقال فيه يستحب لقارئ القرآن في المصحف أن يجهر بقراءته ويضع يده على الآية يتتبعها فيأخذ اللسان حظه من الرفع ويأخذ البصر حظه من النظر واليد حظها من المس قال وهكذا كان يتلو ثلاثة من أشياخنا منهم عبد الله بن المجاهد * وقال في المضمضة والاستنشاق في الغسل الذي أقول به ان الغسل لما كان تضمن الوضوء كان حكمهما الوجوب من حيث انه متوضئ في اغتساله لا من حيث انه

سبحانه

سبحانه وتعالى اعلم والحمد لله رب العالمين

* (المبحث الثاني في حدوث العالم) *

اعلم ان مسئلة حدوث العالم من معضلات المسائل لقوة شبهة الخلاف فيها بين اهل السنة والفلاسفة وقد انعقد الاجماع من سائر الملل على حدوثه كما سيأتي ايضاحه ان شاء الله تعالى ولنبدأ بنقول محققي المتكلمين في هذه المسئلة ثم بنقول محققي الصوفية رضي الله تعالى عنهم فاقول وبالله التوفيق قال الجلال المحلي محقق اهل الاصول انما كان العالم محدثا لانه يعرض له التغير والاستحالة وكل متغير محدث ولا بد للمحدث بفتح الدال من محدث بكسرها ولا بد أن يكون واحدا ضرورة * قال شيخ الاسلام الشيخ كمال الدين بن أبي شريف ومعنى قول الجلال المحلي في علة المحدث انه يعرض له التغير اي على الوجه الذي يشاهد فانا نشاهد تغير الحركة بطريان السكون وتغير الظلمة بطريان النور وبالعكس وليس مراده ان مستند كل تغير المشاهدة فان كثيرا من اجزاء العالم لا نشاهده كما في باطن الارضين وما في السموات فالحكم بالتغير فيه مستند الى دليل العقل قال وتمام التقرير بدليل الحدوث المذكور أن يقال العالم اعيان واعراض فالاعراض يدرك تغير بعضها بالمشاهدة في نفس الامر كانقلاب النطفة علقة ثم مضغة ثم لحما ودما وفي الآفاق كالحركة بعد السكون والضوء بعد الظلمة وسائر ما يشاهد من احوال الافلاك والعناصر والحيوان والنبات والمعادن وبعضها بالدليل وهو طريان العدم فان العدم ينافي القدم واما الاعيان فانها لا تخلو عن الحوادث وكل ما لا يخلو عن الحوادث فقدمه محال انتهى (واما كلام اهل الطريق) فمن أكثرهم في هذه المسئلة اطنابا سيدي الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه وها انا اجلي عليك عرائس كلامه رضي الله تعالى عنه * فقال في أول خطبة الفتوحات الحمد لله الذي خلق الوجود من عدم واعدمه انتهى اي لان عدم العدم وجود لانه موجود في العلم الالهي ومعلوم العلم قديم من هذه الحيثية واما من حيث ظهوره للخلق فهو حادث باجماع فمن قال انه قديم مطلقا اخطأ أو حادث مطلقا اخطأ وسأبسط ذلك في المبحث الثاني عشر ان شاء الله تعالى نظما ونثرا عن الشيخ رحمه الله (فان قيل) فما شبهة من قال بقدم العالم من الفلاسفة (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الثالث والتسعين ومائتين ان شبهته وجود الارتباط المعنوي بين الرب والمربوب والخالق والمخلوق فان الرب يطلب المربوب والخالق يطلب المخلوق وبالعكس ولا يعقل كل واحد الا بوجود الآخر (فان قيل) فهل وجد العالم للدلالة على الحق تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاربعين ومائة انه لم يوجد للدلالة على الحق تعالى لانه لو وجد للدلالة عليه لما صح للحق تعالى الغنى عنه ولكان للدليل سلطنة وفخر على المدلول فكان الدليل لا ينتقل عن مرتبة الزهو لكونه أفاد الدال امرا لم يكن للمدلول ان يتوصل اليه الا به فكان يبطل غناه تعالى عن العالمين انتهى * وقال ايضا في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة انما سمي العالم عالما من العلامة لانه الدليل على المرجح انتهى فليتأمل مع ما قبله (فان قيل) فهل تصح المنافرة عند من يقول بقدم العالم بينه وبين الحق من سائر الوجوه (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين انه لا تصح المنافرة بين الحق والعالم من سائر الوجوه فان العالم مرتبط بالحق تعالى من حيث استمداده في وجوده منه فهذا هو الباب الذي دخل منه من قال بقدم العالم على انه لا يلزم من وجود هذا الارتباط الاتحاد في نوع ولا شخص ولا جنس فان الله تعالى هو الخالق وله رتبة الفاعلية في الوجود وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان المنافرة بين الحق والخلق لا تشمل الوجود العلمي الازلي لارتباط الوجود بالحق تعالى ارتباط عبودية بسيادة حتى في حال عدم العالم فان الاعيان الثابتة في العلم الازلي لم تزل تنظر الى الحق تعالى بالافتقار ولا يخلع عليها اسم الوجود

مغتسل فانه ما بلغنا انه صلى الله عليه وسلم تمضمض واستنشق في غسله الا في وضوئه فيه وما رأيت أحدا نبه على مثل هذا في اختلافهم في وجوبهما أو استحبابهما فالحكم فيهما عندي راجع الى حكم الوضوء والوضوء عندنا مؤكد في الاغتسال من الجنابة وأطال في ذلك * وقال فيه الكذب لغير علة شرعية حيض النفوس ولعلة شرعية دم استحاضة لا يمنع من الصلاة بخلاف الاول فانه خارج في حال الصحة فلذلك شدد فيه قال والعناية بدم النفاس أوجه من العناية بدم الحيض من غير نفاس وذلك ان الله ما أمسكه بقدرته في الرحم ثم أرسله الا ليزلق طريق الولد رفقا بامه فكان خروج هذا الدم معينا على خروج الذاكر لله عز وجل من جهة وصف خاص قال واعلم ان ما تعود أحد الكذب على الناس الا واستدرجه ذلك حتى يكذب على الله ورسوله واعلم ان الكذب لغرض صحيح شرعي لا يقدح في العدالة بل هو نص فيها وأغلب الكمل من الرجال قال واما امتناع حبيب العجمي من الكذب لما طلب الحجاج الحسن البصري ليقتله فكان [illegible] وهو من اطلاق [illegible] الكذب عليه [illegible] كان رجلا سالكا ولكن مقام رجال وقال والذي أقول فيه إنه لا يجوز لاحد ان يصدق فيما يضر الناس الا ان يكون له حال يحيى من غلب عليه ذلك الحال [illegible] وعلى ذلك يحمل

ولم يزل تعالى ينظر اليها لاستعداداتها بعين الرحمة فلم يزل سبحانه وتعالى ربا لنا في حال عدمنا وفي حال
وجودنا على حد سواء فالامكان لنا كالوجوب له واطال في ذلك ثم قال ومن لم يعتقد هذا الارتباط الذي
ذكرناه زلت به قدم الغرور في مهواة من التلف اي لان الوجود اذا خلا من هذا الارتباط صار قائما
بنفسه وذلك محال اما الارتباط الجسماني فلا يصح بين العبد والرب لانه تعالى ليس كمثله شيء فلا يصح
به ارتباط من هذا الوجه ابدا لان الذات له الغنى عن العالمين بخلاف الارتباط المعنوي كما مر فانه من
جهة مرتبة الالوهية وهذا واقع بلا شك لتوجه الالوهية على ايجاد جميع العالم أحكامها ونسبتها واضافتها
وهي التي استدعت الآثار فان قاهرا بلا مقهور وقادرا بلا مقدور وخالقا بلا مخلوق وراحما بلا مرحوم
صلاحية ووجودا وقوة وفعلا محال ولو زال سر هذا الارتباط لبطلت احكام الالوهية لعدم وجود من
يتأثر فالعالم يطلب الالوهية وهي تطلبه والذات المقدس غني عن هذا كله * قال الشيخ ومن هذا
المبحث ظهر القائلون بقدم العالم لظنهم ارتباط الذات بالعالم كارتباط الالوهية التي هي مرتبة للذات
لا عين الذات وظهر أيضا من هذا المبحث القائلون بحدوث العالم مع الاجماع من الطائفتين بان العالم ممكن
وان كل جزء منه حادث وانه ليس له مرتبة واجب الوجود لنفسه وانما هو واجب الوجود بغيره اذ الخالق
مثلا يطلب مخلوقا ولا بد انتهى (وقال) في هذا الباب في قول الامام الغزالي رحمه الله ليس في الامكان
ابدع مما كان هذا كلام في غاية التحقيق لانه ما ثم لنا الا رتبتان قدم وحدوث فالحق تعالى له رتبة القدم
والمخلوق له رتبة الحدوث فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث فلا يقال هل يقدر الحق
تعالى ان يخلق قديما مثله لانه سؤال مهمل لاستحالته انتهى (قلت) ويحتمل ان يكون مراده انه
ليس في الامكان شيء يقبل الزيادة والنقص على خلاف ما سبق في العلم ابدا * وقال أيضا في باب
الاسرار الحق تعالى مع العالم مرتبط ارتباط عبودية بسيادة فان مالكا بلا مملوك وقاهرا بلا مقهور
لا يصح انتهى * وقال في لواقح الانوار أيضا اعلم ان كل امر يطلب الكون فهو من كونه سبحانه وتعالى
الها وكل امر لا يطلب الكون فهو من كونه تعالى ذاتا فمهما آتاك من كلام اهل التوحيد فزنه بهذا
الميزان يتحقق لك الامر فيه ان شاء الله تعالى انتهى * وقال فيه أيضا ان قيل ما قلتموه من كون
الالوهية طالبة للذات هو مضاهاة العلة والمعلول (فالجواب) ان ذلك ليس مضاهاة للعلة والمعلول لان العلة
والمعلول امران وجوديان عندهم واما الالوهية فهي عندنا نسبة عدمية لا وجودية فاياك والغلط
انتهى * وقال في باب الاسرار من الفتوحات لو كانت العلة مساوية للمعلول في الوجود لاقتضى
وجود العالم لذاته ولم يتأخر عنه شيء من محدثاته والعلة معقولة وما ثم علة الا وهي معلولة ولو كان الحق
تعالى علة لارتبط والمرتبط لا يصح له تنزيه انتهى وقال فيه أيضا ما قال بالعلل الا القائل بان العالم لم يزل
واني للعالم بالقدم وماله في الوجود الوجوبي قدم لو ثبت للعالم القدم لاستحال عليه العدم والعدم واقع
ومشهود * وقال في الباب التاسع والستين العالم كله موجود عن عدم ووجوده مستفاد من موجد اوجده
وهو الله تعالى فمحال ان يكون العالم ازلي الوجود لان حقيقة الموجد ان يوجد ما لم يكن موصوفا عند
نفسه بالوجود وهو المعدوم لانه يوجد ما كان موجودا ازلا فان ذلك محال فاذن العالم كله قائم بغيره
لا بنفسه والسلام * وقال في موضع آخر من هذا الباب اعلم ان مدلول لفظة الازل عبارة عن نفي الاولية
لله تعالى اي لا اول لوجوده بل هو سبحانه عين الاول لا باولية تحكم عليه فيكون تحت حيطتها او معلولا
عنها كالاوليات المخلوقة واطال في ذلك * ثم قال فالحق تعالى يقال في حقه انه مقدر الاشياء ازلا ولا
يقال في حقه موجدها ازلا لانه محال من وجهين (الاول) هو ان كونه موجدا انما هو بان يوجد ولا يوجد
تعالى ما هو موجود وانما يوجد ما لم يكن موصوفا لنفسه بالوجود وهو المعدوم ومحال بان يتصف المعدوم

مثال حبيب العجمي والله أعلم * وقال فيه ينبغي لكل عالم ان لا يلقي علمه الا في محل قابل لذلك العلم عطشان اليه فان
لم يجد من هو بهذه المثابة
فليتربص حتى يجد لعلمه
حاملا على هذا الوجه
ويحتاج الى صبر شديد
* وقال فيه ينبغي ان يقيد
قول من قال لا تجب النية
في التيمم بمن نشأ في الاسلام
أما الكافر اذا أسلم فانه
لا بد له من نية قطعا لانه
لم يكن عنده شيء من
القربة الى الله قبل اسلامه
بل كان يرى ان ذلك كفر
والدخول فيه يبعد عن
الله عز وجل وقال فيه
الذي أقول به ان الطهارة
بالتيمم ليست بدلا من
الوضوء والغسل وانما
هي طهارة مشروعة
مخصوصة بشروط اعتبرها
الشرع ولم يرد لنا شرع ان
التيمم بدل فلا فرق بين
التيمم وبين كل طهارة
مشروعة قال وانما قلنا
مشروعة لانها ليست
بطهارة لغوية فما هي
بدل وانما هي عبادة
مشروعة مخصوصة مبينة
لمحال مخصوص شرعها
الذي شرع استعمال الماء
لهذه العبادة المخصوصة
وهو الله ورسوله فهي
ناشئة عن استخراج الحكم
في تلك المسألة من نص
ورد في الكتاب أو السنة
يدخل الحكم في هذه المسألة
في مجمل ذلك الكلام وهو
الفقه في الدين قال ولا يحتاج فيها الى قياس واطال في ذلك فليتأمل ويحرر * وقال فيه الذي اقول به انه لا يشترط

بانه موجود ازلا ذهو انما صدر عن موجد اوجده فمن المحال ان يكون العالم ازلى الوجود (لوجه الثانى) من المحال وهو انه لا يقال فى العالم انه موجود ازلا وذلك لان معقول لفظة الازل نفى الاولية والحق تعالى هو الموصوف بذلك فيستحيل وجود العالم بالازل لانه يرجع الى قولك العالم المستفيد من الله الوجود غير مستفيد من الله الوجود لان الاولية قد انتفت عنه تعالى بكون العالم معه ازلا انتهى * وقال فى كتابه المسمى بالقصد الحق لا يقال العالم صادر عن الحق تعالى الا بحكم المجاز لا الحقيقة وذلك لان الشرع لم يرد بهذا اللفظ وجل الله تعالى ان يكون مصدر الاشياء لعدم المناسبة بين الممكن والواجب وبين من يقبل الاولية وبين من لا يقبلها وبين من يفتقر وبين من لا يقبل الافتقار وانما يقال انه تعالى اوجد الاشياء موافقة لسبق علمه بها بعد ان لم يكن لها وجود فى اعيانها ثم انها ارتبطت بالموجد لها ارتباط فقير ممكن بغنى واجب فلا يعقل لها وجود الا به سبحانه وتعالى لان تقدمه عليها وجودى ولو كان العدم امرا يشار اليه لكان الممكن صادرا عن الله تعالى فيكون صادرا من موجود الى وجود ويكون له عين قائمة فى الازل وذلك محال انتهى * وقال فى الباب الثانى والتسعين ومائة مما استند اليه القائلون بقدم العالم قوله تعالى انما قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فقالوا انه تعالى ما اضاف التكوين اليه تعالى وانما اضافه الى الذى تكون فان الحق امره بالتكوين فامتثل ولو انه تعالى اضاف التكوين الى نفسه او الى القدرة لانتفت الشبهة ثم انهم اضطروا الى ان قالوا ان الحق تعالى تجليا يقبل القول والكلام بترتيب الحروف * قالوا والحق الذى نقول به ان العالم كله حادث وان تعلق به العلم القديم انتهى فهذه نصوص الشيخ محيى الدين رضى الله عنه فى قوله بحدوث العالم فكذب من افترى على الشيخ انه يقول بقدم العالم وقد كرر الشيخ الكلام على حدوث العالم فى الفتوحات فى نحو ثلثمائة موضع وكيف يظن بالشيخ مع هذا العلم العظيم ان يقع فى مثل هذا الجهل الذى يؤدى الى انكار الصانع جل وعلا بل افتى المالكية وغيرهم بكفر من قال بقدم العالم او ببقائه او شك فى ذلك هذا مع ان مبنى كتب الشيخ ومصنفاته كلها فى الشريعة والحقيقة على معرفة الله تعالى وتوحيده وعلى اثبات اسمائه وصفاته وانبيائه ورسله وذكر الدارين والعالم الدنيوى والاخروى والنشأتين والبرزخين ومعلوم ان من يقول بقدم العالم من الفلاسفة لا يثبت شيأ من ذلك بل ولا يؤمن بالبعث والنشور ولا غير ذلك مما هو منقول عن الفلاسفة فقد تحقق كل عاقل ان الشيخ برىء من هذا كله * وقد قال فى الباب الخامس والستين من الفتوحات اعلم ان سبب غلط منكرى النبوة من الحكماء قولهم ان الانسان اذا صفى جوهر نفسه من كدرات الشهوات واتى بمكارم الاخلاق العرفية انتقش فى نفسه ما فى العالم العلوى من الصور بالقوة فتعلق بالغيوب واستغنى عن الوسائط قال الشيخ والامر عندنا وعند اهل الله ليس كذلك وان جاز وقوع ما ذكروه فى بعض الاشخاص وذلك انه لم يبلغنا عن احد من نبى ولا حكيم انه احاط علما بما يحتوى عليه حاله فى كل نفس الى حين وفاته ابدا بل يعلم بعضا ويجهل بعضا بل لو سئل اللوح المحفوظ عما خط الحق تعالى فيه من العلوم ما عرف ذلك الا ان يشاء الله فانظر يا أخى كيف غلط الشيخ رضى الله عنه من ينكر النبوة وكيف يظن بالشيخ انه يرد على احد شيأ ويتدين هو به والله ان هذا البهتان عظيم (فان قيل) ان الحكماء تسمى الذات علة الوجود والاشعرية تسمى تعلق العلم بكون العالم ازلا علة فما الفرق بين العبارتين (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الثامن والاربعين من الفتوحات انه لا فرق بين العبارتين عند المحققين فان الذى هرب منه الاشعرية وشنعوا على الحكماء لاجله هو قولهم بالعلة يلزمهم فى سبق العلم بكون المعلوم فان سبق العلم يطلب كون المعلوم بذاته ولا بد ولا يعقل بينهما كون مقدر ولا يلزم كما لا يلزم مساواة المعلول علته فى جميع المراتب اذ العلة متقدمة على معلولها بالرتبة بلا شك

الطالب الماء فى صحة التيمم بل اذا فقده تيمم وقال جماعة لابد من الطلب وينبنى ذلك على ان المقلد هل يلزمه البحث عن دليل من قلده فى الاصول او الفروع فمن قال لا يشترط طلب الماء قال لا يلزم المقلد البحث ومن قال يشترط طلب الماء قال يلزم المقلد ان يسال المسؤل عن دليل ما افتاه به من كتاب او سنة واطال فى ذلك * وقال الذى اقول به ان حديث الضربة الواحدة فى التيمم اثبت من حديث الضربتين قلت ذكر الشيخ فى الباب السابع والثلاثين وثلثمائة ما نصه اعلم ان من شرف الانسان ان الله تعالى جعل له التطهر بالتراب وقد خلقه الله من تراب فامره بالتطهر بذاته تشريفا له ولذلك ابقى النص على التطهر بالتراب دون غيره مما له اسم الارض فان كل شىء فارق الارض لا يتطهر به الا ان كان ترابا بخلاف التراب يتطهر به ولو فارق الارض فان الله ابقى اسم الارض عليه مع المفارقة بخلاف الزرنيخ والرخام والمعدن ونحو ذلك وايضا فان الله ما قال انه خلق الانسان من حجر ولا زرنيخ وانما قال خلقه من تراب والله اعلم * وقال فى الباب التاسع والستين اعلم ان الصلاة مشتقة من المصلى وهو الذى يلى السابق فى الحلبة والسابق هنا التوحيد والمصلى الصلاة ويشهد لهذا الترتيب حديث بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة

سواء أكان ذلك نسبق العلم أو ذات الحق ولا يعقل بين الواجب الوجود لنفسه وبين الممكن كون زماني ولا تقدير زماني لان كلا منافي وجود اول ممكن والزمان من جملة الممكنات فان كان امرا وجوديا فالحكم فيه كسائر الحكم في الممكنات وان لم يكن امرا وجوديا وكان نسبة فالنسبة حدثت بوجود الموجود المعلول حدوثا عقليا الاحدوثا وجوديا واذ لم يعقل بين علم الحق وبين معلومه بون زماني فلم يبق الا الرتبة ولا يصح ابدا ان يكون الخلق في رتبة الحق تعالى كما لا يصح ان يكون المعلول في رتبة العلة من حيث ما هو معلول عنها واطال في ذلك * ثم قال على ان من ادل دليل على توحيد الحق تعالى كونه تعالى علة العالم عند الحكماء فانه توحيد ذاتي ينتفي معه الشريك بلا شك لكن اطلاق لفظ العلة في جانب الحق تعالى لم يرد بها عندنا شرع فلا نطلقها عليه سبحانه وتعالى انتهى * وقال في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة اعلم انه انما سمي العالم عالما من العلامة لانه الدليل على المرجح انتهى وقدم ذلك اوائل المبحث وسيأتي آخر المبحث الحادي عشر ماله تعلق بهذا المبحث فراجعه والله سبحانه وتعالى اعلم

(خاتمة) ان قيل هل اطلع احد من الخواص على معرفة تاريخ مدة العالم على التحديد من طريق العقل او الكشف او الادلة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التسعين وثلثمائة انه لم يبلغنا ان احدا عرف مدة خلق العالم على التحديد وذلك ان اكثر الكواكب قطعا في الفلك الاطلس الذي لا يكون فيه فلك الكواكب الثابتة والاعمار ولا تدرك حركتها لظهور ثبوتها للابصار مع انها سابحة سبحا بطيئا والعمر يعجز عن ادراك حركتها لقصره فان كل كوكب منها يقطع الدرجة من الفلك الاقصى في مائة سنة الى ان ينتهي اليها فاجتمع من السنين فهو يوم تلك الكواكب الثابتة فحسب ثلثمائة وستين درجة كل درجة مائة سنة قال وقد ذكرنا في التاريخ المتقدم ان اهرام مصر بنيت والنسر في الاسد وفي نسخة الحمل وهو اليوم عندنا في الجدي فاعمل حساب ذلك تقرب من معرفة تاريخ الاهرام فلم يدر بانيها ولم يدر امرها على ان بانيها من الناس بالقطع قال الشيخ عبد الكريم الجيلي في شرح كلام الشيخ ومعلوم ان النسر الطائر لا ينتقل من برج الى غيره الا بعد ثلاثين الف سنة قال وهو اليوم عندنا في الدلو فقد قطع عشرة ابراج ولا يتأتى ذلك الا بعد ثلثمائة الف سنة انتهى فلينظر بين كلام الشيخين ويحرر * قال الشيخ محيي الدين رحمه الله ولقد رأيت وانا بين النائم واليقظان اني طائف بالكعبة مع قوم لا اعرفهم فانشدوني بيتين حفظت احدهما ونسيت الآخر

لقد طفنا كما طفتم سنينا * بهذا البيت طرا اجمعينا

وتكلمت مع واحد منهم فقال لي اما تعرفني فقلت له لا فقال انا من اجدادك الاول قلت له كم لك منذ مت فقال لي بضع واربعون الف سنة فقلت له ليس لابينا آدم عليه الصلاة والسلام هذا القدر من السنين فقال لي عن اي آدم تقول عن هذا الاقرب اليك ام عن غيره فتذكرت حديثا رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خلق مائتي الف آدم فقلت في نفسي قد يكون الجد الذي نسبني ذلك الشخص اليه من اولئك قال والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك عندنا انتهى * وقال ايضا في الباب السابع والستين وثلثمائة اجتمعت بادريس عليه السلام في واقعة من الوقائع فقلت له اني رأيت شخصا في الطواف فاخبرني انه من اجدادي فسألته عن زمان موته فقال لي اربعون الف سنة فسألته عن آدم لما تقرر عندنا في التاريخ من مدته فقال عن اي آدم تسأل عن آدم الاقرب ام غيره فقال ادريس عليه السلام صدق هذا الشخص اني نبي الله ولا اعلم للعالم مدة يقف عندها والآجال في المخلوقات بانتهاء المدد لا انتهاء الخلق فان الخلق مع الانفاس يتجدد فلم يزل الحق تعالى خالقا ولا يزال دنيا وآخرة فقلت له يا نبي الله عرفني بشرط من اشراط الساعة فقال وجود ابيكم آدم

وايتاء الزكاة وصوم رمضان ويحج البيت ولما علم الصحابة ما يدخل الواو من الاحتمال وان الشارع قد راعى الترتيب أنكر واعلى من روى والحج وصوم رمضان وقالوا له قل وصوم رمضان والحج اشارة الى ان الشارع اراد الترتيب في القواعد والصلاة ثانية في القواعد قال وانما جعل الزكاة تلي الصلاة لان الزكاة تطهر قال تعالى قد افلح من زكاها اي طهرها بالطاعات يعني النفس قال ولما كانت الصلاة المشروعة من شرطها الطهارة جعلت الزكاة الى جانبها لكونها طهارة للاموال التي يكون بها اجل قوتهم وملبسهم وجعل الصوم يلي الزكاة دون الحج لكون زكاة الفطر مشروعة عند قضاء الصوم فلما كان الصوم اقرب نسبة الى الزكاة جعل الى جانبها فلم يبق للحج مرتبة الا المرتبة الخامسة فكان فيها (قلت) وسيأتي في الكلام على صلاة الجنازة تفسير قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فراجعه * وقال من شأن العارف ان يعبد ربه من حيث اولية ربه في خلقه المخلوقات لا من حيث اوليته هو من اوليات كثيرة قبله واعني بذلك الاسباب فهذه هي الصلاة لاول الوقت فاذا عبده العارف في تلك الاولية المنزهة عن ان يتقدمها اولية شئ انسحبت عبادة هذا العارف من هناك على كل عبادة مخلوق

الاقرب من الامام اوقلت له كان قبل الدنيا دار غيرها فقال دار الوجود واحدة والدنيا ما كانت دنيا الا بكم انتهى * وقال في الباب السابع من الفتوحات اعلم ان عمر الدنيا لا يحصى بالآلاف الوف * وقال في الباب السابع أيضا قد أكمل الله تعالى خلق المولدات من الجمادات والنباتات والحيوانات عند انتهاء احد وسبعين ألف سنة من خلق العالم الطبيعي ثم قال لما انتهى خلق العالم الطبيعي وانقضى من مدته اربع وخمسون الف سنة خلق الله هذه الدنيا فلما انقضى من مدته ثلاث وستون الف سنة خلق الله الآخرة التي هي الجنة والنار فكان بين خلق الدنيا وخلق الآخرة تسعة آلاف سنة ولهذا سميت آخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا هذه المدة كما سميت الدنيا اولى لانها خلقت قبلها ولم يجعل الله تعالى للآخرة امدا ينتهى اليه بقاؤها فلها البقاء الدائم قال وخلق الله تعالى آدم بعد ان مضى من عمر الدنيا سبعة عشر الف سنة ومن عمر الآخرة التي لانهاية لها في الدوام ثمانية آلاف سنة فخمر الله تعالى طينة آدم اذ ذاك قال وخلق الله الطير والدواب البرية والبحرية والحشرات من عفونات الارض ليصفو الهواء من تلك العفونات التي لو خالطت الهواء الذي أودع الله فيه حياة هذا الانسان وعافيته لكان سقيما مريضا معلولا مدة عمره فصفى الله تعالى الجو لطفا منه تعالى بتكوين هذه العفونات حيوانات فلذلك قلت الاسقام والعلل انتهى والله تعالى اعلم

* (المبحث الثالث في وجوب معرفة الله تعالى على كل عبد بقدر وسعه) *

قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * قال ابن عباس الا ليعرفوني فكما تعلقت الرؤية به تعالى فكان مرئيا كذلك تعلقت به المعرفة فكان معروفا لكن ربما يكون معرفة بعض الناس بالله تعالى جهلا بالنسبة لمن هو اعلى منه درجة فلا يصح العلم بالله تعالى من كل وجه ولا الجهل به من كل وجه ولا يخرج الانسان عن الجهل بالحق الا ان عرف الحق تعالى كما يعلم الحق نفسه من غير نقص وذلك محال * وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول من ادعى مقام المعرفة وهو يجرح عقائد احد من اهل الفرق الاسلامية من كل وجه فهو كاذب فان من شرط العارف بالله تعالى دخول الحضرة الالهية واذا دخلها رأى عقائد جميع المسلمين شارعة اليها ومتصلة بها كاتصال الاصابع بالكف فاقر عقائد جميع المسلمين بحق وكشف ومشاهدة ولو من بعض الوجوه وانما منع الاشياخ المريد من الاجتماع بغيرهم من الاشياخ ليختصر له الطريق فان حكم طريق كل شيخ كالاصبع المتصلة بالكف فاذا سلك الانسان عقدا او عقدة ثم انتقل الى شيخ آخر فسلك على يديه عقدا او عقدة ثم انتقل الى آخر فسلك على يديه عقدا او عقدة فقد اوقف نفسه عن السير ولو انه جعل سلوك تلك العقد كلها على يد شيخ واحد لكان دخل حضرة الكف فان كل اصبع ثلاث عقد فتقدمهم هذا وهو في اول عقدة من سائر الطرق فهذا سبب منع الاشياخ مريدهم ان يشرك معهم في السلوك غيرهم انتهى * ثم اعلم ان المعرفة عند ائمة الاصول هي العلم بالله تعالى وصفاته الذاتية والمعنوية فهذا هو المطلوب من معرفة الصانع جل وعلا اذ الذات مجهولة من حيث الاحاطة بها (فان قيل) فما الحق المطلق والصدق المحض (فالجواب) ان الحق المطلق هو الله والصدق المحض هو معرفته تعالى والاقرار بوحدانيته (فان قيل) فما الدليل على كون معرفة الحق تعالى واجبة (فالجواب) ان دليل ذلك كون المعرفة من الامور التي تصل العقول اليها فان الانسان اذا دهاه امر وضاقت به المسالك والابدان يستند الى اله يتأله اليه ويتضرع نحوه ويلجأ اليه في كشف بلواه ويسمو قلبه صعودا الى السماء ويشخص ناظره اليها من حيث كونها قبلة دعاء الخلائق اجمعين فيستغيث بخالقه وبارئه طبعا او جبلة لا تكلفا وحيلة ومثل ذلك قد يوجد في الوحوش والبهائم ايضا فانها ظاهرة الخوف والرجاء رافعة رؤسها الى السماء عند فقدان الكلا والماء

خلقه الله من أول المخلوقات الى حين وجوده ومن جمع بين هذا وبين الصلاة لاول وقتها المعروف فقد حاز الفضيلتين (وقال) فيه ثم اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بان المغرب وتر صلاة النهار قبل ان يزيدنا الله وتر صلاة الليل فانه قال ان الله قد زادكم صلاة الى صلاتكم وذكر صلاة الوتر فشبهها بالفرائض وامر بها ولهذا جعلها ابو حنيفة واجبة دون الفرض وفوق السنة واثم من تركها ونعم ما نظر وتفقه رضي الله عنه لانه صلى الله عليه وسلم لم يلحقها بصلاة النافلة بل قال زادكم صلاة الى صلاتكم يعني الفرائض فشرع تعالى لنا الوتر ليتفرد تعالى بالوترية الواحدة قال تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين فافهم * وقال فيه رأيت قولا غريبا لا ادري من قاله ولا اين رأيته ان وقت صلاة العشاء ما لم تنم ولو سهرت الى وقت الفجر * وقال فيه ما عرفت مستند من كره قول المؤذن حي على خير العمل فانه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بها يوم حفر الخندق والصلاة خير موضوع كما وردة اخطأ من جعلها في الاذان بل اقتدى ان صح هذا الخبر واطال في ذلك * وقال فيه مذهبنا ان للواعظ أخذ الاجرة على وعظه الناس وهو من احل ما يأكله وان كان ترك ذلك أفضل وإيضاح ذلك أن مقام الدعوة

واحساسها بالهلاك والفناء وكذلك شاهدنا الاطفال عند البلوى يرفعون مسبحتهم نحو السماء هذا كله مركوز فى جبلة الحيوانات فضلا عن الانسان العاقل وهى الفطرة المذكورة فى القرآن والحديث ولكن أكثر الناس قد ذهلوا عن ذلك فى حالة السراء وانما يردون اليه فى الضراء قال تعالى واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه (وحكى) ان رجلا انكر الصانع عند جعفر الصادق ففتح له باب الاستدلال فلم يصغ اليه فقال هل ركبت السفينة قط قال نعم انكسرت بنا مرة فطلعت على لوح الى الساحل فانفلت منى اللوح حين طلعت الى الساحل فقال له جعفر لما ذهب عنك اللوح كنت ترجو السلامة ممن حين ذهب اعتمادك على الاسباب فسكت الرجل فقال له جعفر الذى رجوت السلامة منه هو الله الذى خلقك فاسلم الرجل (فان قيل) قوله صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز فيه نهى عن الاستدلال العقلى ام لا (فالجواب) ليس فى ذلك نهى عن الاستدلال العقلى وانما هو تنبيه على استصحاب تلك الحالة التى غفل عنها اصحاب السلامة من الاحداث والشبان * ونقل الشيخ ابو طاهر القزوينى انه رأى فى كتاب ديانات العرب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمران بن حصين كم لك من اله قال عشرة قال فمن لغمك وكربك والامر العظيم اذا نزل بك ودهاك فقال الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم فمالك يا ابن حصين من اله الا الله فاسلم * ومن هذا القبيل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين وايضا فان عامة الناس فى جميع أقطار الارض دعت انفسهم الى الاعتراف بأن لهم خالقا من غير معلم ولا اثبات حجة عندهم ولا اصطلاح وقع بين كافتهم من الاتراك والاكراد واهل البوادى واقاصى الهند والصين واهل الجزائر الذين لم يبلغهم داع الى الاسلام ولا الى الشرك فانهم استغنوا بشهادة انفسهم على الاعم الاغلب بالخالق لكثرة ما وجدوا من استجابة دعائهم بدعوتهم ودرك المساعى ومفاجأة الفرج فى حوادث عظام دهمتهم بعد القنوط عن السلامة وبما جربوه من الرؤيا الصادقة والفأل والزجر وبتخلصهم من أيدى الاعداء فى مواضع لا ناصر لهم من الخلق فيها وبحدوث نوادر وعجائب شاهدوها فى الآفاق وفى انفسهم فكانت نفوسهم شهدت بالاله الحق جل جلاله وذلك قوله تعالى قالت لهم رسلهم أفى الله شك ورأى اعرابى مرة ثعلبا بال على صنم كان يعبده فقال

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب
برئت من الاصنام والشرك كله * وأيقنت أن الله لا شك غالب

وهذا كله قريب من الضروريات ولذلك قال بعضهم المعرفة ضرورة فالناس كلهم يشيرون الى الصانع جل وعلا وان اختلفت طرائقهم وعللهم ولا يجهلون سوى كنه الذات ولذلك لم يأت الانبياء والرسل ليعلمونا بوجود الصانع وانما اتونا ليدعونا الى التوحيد قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله والخلق انما اشركوا بعد الاعتراف بالموجود لما اعتقدوه من الشركاء لله تعالى اولنفى واجب من صفاته اولاثبات مستحيل منها اولانكارهم النبوات * ولما فتح السلطان محمود بن سبكتكين رحمه الله بلاد سومنات الهند اتى اليه براهب قد طعن فى السن وكان يهمهم ويزمزم بكلمات فسأل السلطان الترجمان عما يقوله فذكر انه يقول الله الله فقال للترجمان قل له وانتم تعرفون الله تعالى فتكلم بالهندية شيأ فقال الترجمان يقول الخطوط المستقيمة من المحيط الى المركز متساوية ۳ وهذا مثاله على الهامش فعلم ان الانبياء لو جاؤنا ليعلمونا بوجود الصانع ما قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وانما كان يقول فاعلم ان لك الها وكذلك القول فى قوله تعالى وليعلموا انما هو اله واحد (فان قيل) فلاى شئ سلك اهل الاصول طريق الاستدلال على هذا (فالجواب) انما سلكوا ذلك قطعا للاطماع التى تشرئب

باخذه من الله لا من المخلوقين واطال فى ذلك وسيأتى ايضا فى الباب السابع عشر واربعمائة فراجعه * وقال فيه مذهبى ان الاذان قبل الفجر ليس باذان حقيقة وانما هو ذكر الله عز وجل بصورة الاذان تحريضا للناس على الانتباه لذكر الله تعالى فاذا طلع الفجر فهناك الاذان المشروع اعلاما بدخول وقت الصلاة قال ولهذا ابتدع السلف الصالح للمؤذنين الدعاء والتذكير بآيات القرآن والمواعظ وانشاد الشعر الحاث على قيام الليل وعلى الزهد فى الدنيا ليعلموا الناس أن الاذان الاول ما كان الا لغرض الايقاظ للقائمين لا لدخول الوقت * وقال فيه معنى قول المؤذن قد قامت الصلاة انما قال قامت بلفظ الماضى مع ان الصلاة بشرى من الله لعباده لمن جاء الى المسجد ينتظر الصلاة او كان فى الطريق آتيا اليها او كان فى حال الوضوء بسببها او كان فى حال القصد الى الوضوء وقبل الشروع فيه ليحصل بذلك الوضوء ثبوت فى بعض هذه المواطن قبل وقوع الصلاة منه فبشره الله بان الصلاة قد قامت له فى هذه المواطن كلها فله أجر من صلاها ان كانت ما وقعت منه فلذلك جاء بلفظ الماضى ليحقق

الى ذلك كالاستدلال بامكان الممكنات على مرجح ونحو ذلك والا فهم يعلمون ان ما شهدت به الفطرة اقرب الى الخلق واسرع تعقلا لان الممكن الخارج والحادث الدال على محدث موقوفان على النظر الصحيح وتلك داعية ضرورية من الناظر قال تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه امن يبدأ الخلق ثم يعيده امن جعل الارض قرارا الى غيرها من الآيات التى كلها استفهامات تقر بركانه تعالى يقرر على عباده شيأ فطرهم على ذلك الشئ ومثله قوله تعالى ألست بربكم وقوله افى الله شك ولهذا ورد مرفوعا ان الله تعالى خلق العباد على معرفته فاجتالهم الشيطان عنها فما بعثت الرسل الا للتذكير بتوحيد الفطرة وتطهيره عن تسويلات الشيطان بالاستدلالات النظرية والدلائل العقلية وبها توجهت التكاليف على العقلاء وكان امام الحرمين رحمه الله يقول اذا سئل عن معرفة الذات هذا امر تاهت فيه العقول وانما يعلم بالدليل وجوده تعالى وما يجوز عليه وما يجب له وما يستحيل عليه بلا تحييث ولا تمييز وليس الا وجهه العزيز فان الركون الى معتقد محصل تمثيل والعدول عن الاستدلال بالصنع تعطيل وليس الى درك حقيقة الحق تعالى سبيل انتهى قال الامام ابو طاهر القزوينى رحمه الله فقول الامام بلا تحييث اشارة الى نفى المكان فلا يقال انه تعالى حيث العرش ولا حيث الكرسى وقوله ولا تمييز اى لان التمييز انما يكون بين الجنسين احدهما يمتاز عن الآخر بوصف وذات الله تعالى لا جنس لها فلا تتمايز بشئ عن جنسها وانما يتمايز الاشياء عنه تعالى بالحدوث ومعنى قوله معتقد محصل اى محاط به ينتهى الفكر اليه بالاحاطة وفى الحديث مرفوعا كالكم فى ذات الله حمقى والله تعالى اعلم * وذكر الانصارى فى نكت الادلة ان القاضى ابا بكر الباقلانى اثبت لله تعالى اخص وصف لا سبيل لاحد من الخلق الى ادراكه ثم قال وقد اشار ابو اسحق الاسفراينى الى هذا المعنى وقال امام الحرمين العقل مزية فلا يبعد ان يكرم الله بعض العقلاء بمزية يدرك بها حقائق الذات اذ قال تعالى وقل ربى زدنى علما انتهى ولعله يعنى المزية كمال قوة وتأنى فى النظر قال صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم بالله تعالى واخشاكم منه وسيأتى فى المباحث الآتية ما يعلم به يقينا عجز الخلق كلهم عن ادراك الذات وما كلف الله العبد الا بتلاوة التوحيد على لسانه بقوله لا اله الا الله وبه عرف الامام مالك وغيره التوحيد فاعلم ذلك فهذه مقالات المتكلمين * واما مقالات الصوفية فهى واسعة جدا ولكن نذكر منها بعض نكت لان المعرفة المطلوبة عند القوم لا تكون الا بالسلوك على يد شيخ عارف بالله تعالى فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ محيى الدين فى الباب السابع والسبعين ومائة ما نصه اعلم انه لا يصح وصف احد بالعلم والمعرفة الا ان كان يعرف الاشياء بذاته من غير امر آخر زائد على ذاته وليس ذلك الا الله وحده وكل ما سواه فعلمه بالاشياء انما هو تقليد لامر زائد على ذاته واذا ثبت ذلك فليقلد العبد ربه سبحانه وتعالى فى العلم به وايضاح ما قلناه من ان العبد لا يعلم شيأ الا بامر زائد على ذاته ان الانسان لا يعلم شيأ الا بقوة من قواه التى اعطاها الله تعالى له وهى الحواس والعقل فالانسان لا بد ان يقلد حسه فيما يعطيه وقد يغلط وقد يوافق الامر على ما هو عليه فى نفسه او يقلد عقله فيما يعطيه من ضرورة او نظر والعقل يقلد الفكر ومنه صحيح وفاسد فيكون علمه بالامور بالاتفاق فما ثم الا تقليد واذا كان الامر على ما قلناه فيجب على العاقل اذا طلب معرفة الله تعالى ان يقلده فيما اخبر به عن نفسه على السنة رسله ولا يقلد ما تعطيه قواه وليسع بكثرة الطاعات حتى يكون الحق تعالى سمعه وبصره وجميع قواه كما ورد وهناك يعرف الامور كلها بالله ويعرف الله بالله فلا يدخل عليه بعد ذلك جهل ولا شبهة ولا شك ولا ريب فقد نبهتك يا اخى على امر ما طرق سمعك ابدا فان العقلاء من اهل النظر يتخيلون انهم صاروا علماء بالله تعالى بما اعطاهم النظر والحس والعقل وهم فى مقام التقليد لقواهم

المحصول فاذا حصلت بالفعل ايضا فله اجر المحصول كذلك وقد ورد ان احدكم فى صلاة ما انتظر الصلاة (قلت) وقد ذكر الشيخ ايضا فى اواخر كتاب الحج فى الكلام على نحر البدن قائمة انما قال صلى الله عليه وسلم قد قامت بلفظ الماضى قبل قيام العبد لها تنبيها على قيام صلاة الله على العبد ليقوم العبد الى الصلاة فيقوم بقيامه نشأتها كما قال تعالى هو الذى يصلى عليكم قال فالقيام معتبر فى سائر العبادات كالوقوف بعرفة ورمى الجمار وغير ذلك والله اعلم * وقال فيه لولا ان الاجماع سبقنى لم اقل ان التوجه الى الكعبة شرط فى صحة الصلاة لان قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله نزلت بعد قوله وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره فهى آية محكمة غير منسوخة ولكن انعقد الاجماع على هذا وجاء قوله فاينما تولوا فثم وجه الله محكما فى الحائر الذى جهل القبلة فيصلى حيث يغلب على ظنه باجتهاده بلا خلاف انتهى فليتأمل ويحرر والله اعلم * وقال فيه ما معناه اعلم ان قبلتك فى الصلاة انما هو ما استقبلت من الكعبة ولا يضرك استدبارها فى غير جهة وجهك اذا صليت داخلها فان الشارع لم يتعرض للاستدبار انما تعرض الاستقبال فقط فانا انما نحن مع الحق على حكم ما نطق فلا نقضى الامر باثنى عن ضده فى كل المواضع فادام لم تعمل بما امرك

وما من قوة الاولها غلط قد علموه ومع هذا قد غالطوا انفسهم وفرقوا بين ما يغلط فيه الحس والفكر والعقل و بين ما لا يغلط فيه وما يدريهم لعل الذى جعلوه غلطا يكون صحيحا فلا يزيل هذا الداء العضال الا اخذ العلم بكل معلوم عن الله عز وجل لا عن غيره وهو تعالى عالم بذاته لا بأمر زائد فلا بد ان يكون عالما بما يعلمه به سبحانه وتعالى لانك قلدت من يعلم ولا يجهل وليس بمقلد فى علمه سبحانه وتعالى وكل من قلد غير معصوم دون الله تعالى فهو مقلد لمن يدخله الغلط وتكون اصابته بالاتفاق فاشتغل يا أخى بما أمرك الله تعالى به وبالغ فى فعل الطاعات حتى يكون الحق تعالى جميع قواك فتكون على بصيرة من أمرك ولا تطلب معرفته الخاصة بدون ذلك فانك لن تصل الى معرفته ولو كنت على عبادة الثقلين وقد نصحتك فان الحق تعالى قد أخبر عن نفسه بامور تردها الادلة العقلية والافكار الصحيحة مع اقامة أدلتها على تصديق المخبر ولزوم الايمان بها فالكامل من قلد ربه ولم يقلد عقله فى تأويل الصفات فان العقل قد اجتمع مع صاحبه على التقليد بصحة هذا القول انه من عند الله فما للعبد ينازع منه يقدح فيما عنده واصرف يا أخى علم حقيقة الصفات الى الله تعالى واعمل بالقربات الشرعية حتى يعطيك الله تعالى من علمه وحينئذ تكون عارفا به فهذه هى المعرفة المطلوبة والعلم الصحيح الذى لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه انتهى * فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الثابت كشفا من عرف نفسه عرف ربه (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين فى الباب السابع والسبعين ومائة ان المعنى من عرف نفسه بما وصفه الحق به مما وصف به نفسه من كونه له ذات وصفات وما اعطاه من علمه ومن استخلافه فى الارض يولى ويعزل ويعفو وينتقم ونحو ذلك ويحتمل ان يكون معناه أن يعرف نفسه بالافتقار فى وجوده ويحتمل ان يكون المراد انه تبين معه الابد من ذلك (فان قلت) فلم زاد تعالى فى قوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم ذكر الآفاق ولم يكتف بأنفسهم عن ذكر الآفاق (فالجواب) انما زاد قوله فى الآفاق تحذيرا للعبد ان يتخيل انه بقى فى الآفاق بقية علم بالله لا تعطيه النفس فأحاله تعالى على الآفاق فلما لم يجد شيأ خارجا عما تعطيه النفس زال ذلك التخيل اذ النفس جامعة لحقائق العالم كله * فانظر يا أخى كثرة حرص النبى صلى الله عليه وسلم على أمته كيف اختصر لهم الطريق الى معرفة الله تعالى بقوله فى الحديث الثابت كشفا من عرف نفسه عرف ربه ولم يذكر لهم الآفاق صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فما طريق السلامة من كثرة الجهل بالله ان ليس على بصيرة من امره (فالجواب) طريق السلامة عدم التأويل وتسليم علم ذلك الى الله تعالى (فان قلت) فهل يصح لاحد ان يعرف الله تعالى من كل طريق الخلق اليه سبيل (فالجواب) نعم يصح له ذلك كما عليه الاكابر من اهل الله تعالى فيعرفون الله تعالى بكل طريق من طريق المعتقدات الاسلامية اذ ما من شئ الا والحق تعالى هو ممده بسره القائم او بوجوده وصاحب هذا المشهد هو الذى يخاطب الحق تعالى من سره القائم بها كل الخلق * وقد نقل عن السيد سهل بن عبد الله انه كان يقول لى منذ ثلاثين سنة اكلم الله والناس يظنون انى اكلمهم (فان قلت) فهل يرتفع الخطأ المطلق عنده ذا الكامل (فالجواب) نعم لان علمه من علم الله فلا يخطئ لا فى الاصول ولا فى الفروع بخلاف ما علمه من طريق فكره ونظره فقد يخطئ فيه ذكره الشيخ محيى الدين رحمه الله (فان قلت) فهل التجلى الالهى للقلوب دائم بوجود المعارف أم يكون بقلب دون قلب وفى وقت دون وقت (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين فى الباب السابع والسبعين ومائة أن التجلى الالهى لجميع القلوب الاسلامية دائم لا حجاب عليه ولكن لا يعرف انه هو فان الله تعالى لما خلق العالم اسمعه كلامه فى حال عدمه وهو قوله كن فكان مشهودا له سبحانه ولم يكن الحق تعالى مشهودا للعالم لانه كان على اعين جميع الممكنات حجاب العدم فلذلك لم تدرك الوجود وهى

به فقد عصيت أمره ولو كان الامر بالشئ نهيا عن ضده لكان على الانسان خطيئتان أو خطايا كثيرة بعدد ما لذلك المأمور من الاضداد وهذا لا قائل به فلا يؤاخذ الانسان الا بترك ما أمره به الحق لا غير فهو وزر واحد وسيئة واحدة فلا يجزى الا مثلها انتهى وهو كلام نفيس فى نفسه وان رجح جماعة من اهل الاصول خلافه فليتأمل ويحرر والله أعلم * وقال فيه انما امرت المرأة بتغطية رأسها فى الصلاة لان الرأس من الرياسة والنفس تحب الظهور فى العالم برياستها والمرأة مظهر النفس فى الاعتبار فامرت النفس ان تغطى وجه رياستها فى الصلاة بين يدى ربها اظهارا لذلها وانكسارها على ان مذهبى ان عورة المرأة هى السوأتان فقط قال الله تعالى فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فسوى بين آدم وحواء فى الستر السوأتين فليس المراد بالستر فى الصلاة من حيث كونها كلها عورة وانما ذلك حكم شرعى ورد بالستر ثم لا يلزم ان يستر الشئ لكونه عورة اه فليتأمل ويحرر * وقال مذهبى ان عورة المرأة هى السوأتان فقط قال الله تعالى فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فسوى بين آدم وحواء فى ستر العورتين وهما السوأتان فالمرأة وان أمرت بالستر فى الصلاة وغيرها فليس هو من كونها عورة

معدومة كما تبصر الظلمة من النور ولا بقاء النور مع وجود الظلمة اصلا وكذلك العدم والوجود فلما امر
الحق الممكنات بالتكوين لامكانها واستعداد قبولها سارعت لترى ماثم لان فى قوتها الرؤيه كما فى
قوتها السمع من حيث الثبوت لا من حيث الوجود فلما وجد الممكن انصبغ بالنور فزال العدم ثم وفتح
عينه فرأى الوجود الخير المحض فلم يعلم ماهو ولا علم انه الذى امره بالتكوين فأفاده التجلى علما بما رآه
لا علما بانه هو الذى اعطاه الوجود فلما انصبغ فى النور والتفت الى اليسار فرأى العدم فحققه فاذا هو
ينبعث منه كالظل المنبعث فى الشخص اذا قابله النور فقال ما هذا قال له النور من الجانب الايمن هذا هو
انت فلو كنت انت النور لما ظهر للظل عين فأنا النور وانا مذهبه ونورك الذى انت عليه انما هو من
حيث ما تواجهنى من ذاتك وذلك لتعلم أنك لست انا فأنا النور بلا ظل وانت النور الممتزج لامكانك
فان نسبت الى قبلتك وان نسبت الى العدم قبلك فأنت عين الوجود والعدم وانت بين الخير والشر فان
اعرضت عن ظلك فقد اعرضت عن امكانك واذا اعرضت عن امكانك جهلتنى ولم تعرفنى فانه لادليل
لك على انى الهك وربك وموجدك الا امكانك وهو شهودك ظلك فلا تنظر الى نظر نفسك عن ظلك
فتدعى انك انا فتقع فى الجهل ولا تنظر الى ظلك نظرا يغنيك عنى فانه يورثك الصمم فتجهل ما خلقتك
له فكن تارة وتارة وما خلقت له عينين الا لتشهدنى بالواحدة وتشهد ظلك بالاخرى واطال فى ذلك * ثم قال
واعلم ان من اجل علوم المعرفة بالله تعالى العلم بالكمال والنقص فى الوجود كما يشهد لذلك حضرات
الاسماء الالهية من اسماء الحنان والامتنان واسماء القهر والانتقام فلولا العاصى ما ظهر كمال فضل
الحق على عباده من حلمه وصفحه وعفوه وغير ذلك فعلم ان من كمال الوجود وجود النقص النسبى فيه
قال تعالى فى كمال كل ما سوى الله اعطى كل شئ خلقه فما نقصه شيأ اصلا حتى النقص اعطاه خلقه
ووفاه اياه وقوله ثم هدى اى بين الامور التى خرجت عن الكمال بلسان الامر فتقرها على اسم النقص كما
اقرها الحق تعالى فافهم (فان قلت) فهل ظهرت النقائص فى شئ غير الانسان ام هى خاصة بالانسان
(فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والسبعين ومائة ان النقص المعنوى لم يظهر فى شئ من
العالم كله الا فى الانسان فقط وان كان فى الجن فهو معلوم غير ظاهر الا للخواص وذلك لان الانسان
مجموع حقائق العالم وهو المختصر الوجيز والعالم هو المطول البسيط قال واعلم انه لما كان كمال الالوهية
ظاهرا بالشرائع وأدلة العقول جاء الشرع بالتنزيه وغيره وجاء العقل بالتنزيه فقط فهو على النصف من
معرفة الله عز وجل فلزم العقل سلب احكام كثيرة عن الله جاء بها الشرع ذا الشرع قد اخبر عن الله
بثبوت ما سلب العقل عنه وجاء بالامرين معا وهذا هو الكمال الذى يليق به سبحانه وتعالى فخبر تعالى
العقول ولو انه تعالى لم يحيرها لكان تحت حكم ما خلق فان القوى الحسية والخيالية تطلبه بذواتها لترى
موجدها والعقول تطلبه بذواتها وأدلتها من نفى واثبات ووجوب وجواز واحالة لتعلم موجدها
فخاطب الحواس والخيال بتجريده الذى دلت عليه ادلة العقول والحواس تسمع فحارت الحواس
والخيال وقالوا ما بأيدينا منه شئ وخاطب العقول بتشبيهه الذى دلت عليه الحواس والخيال والعقول
تسمع فحارت العقول وقالت ما بأيدينا شئ منه فتعالى عن ادراك العقول والحواس والخيال وانفرد
سبحانه بالحيرة فى الكمال فما يعلمه سبحانه وتعالى سواه ولا شاهده غيره فلم يحيطوا به علما ولا راوا له
عينا فآثارتشهد وجناب يقصد ورتبة تحمد واله منزه ومشبه يعبد فهذا هو الكمال الالهى وبقى
الانسان متوسط الحال بين كمال الحيرة والحد وهو كمال العالم فبالانسان كمل العالم وما كمل الانسان
بالعالم فافهم وبالجملة فقد قال الامام المحاسبى مجموع المعرفة ترجع الى العلم بأربعة اشياء الله والنفس
والدنيا والشيطان * وقال الشيخ محيى الدين والذى نقول به ان المعرفة ليس لها طريق الا المعرفة

واغا ذلك حكم شرعى ورد بالتستر ولا يلزم من الامر بالتستر الشئ ان يكون ذلك معدوما انتهى فليتأمل ويحرر * وقال
معنى قول المصلى الله أكبر
بلسان الظاهر الله اكبر ان
يقيد ربى بحال من الاحوال
بل هو تعالى فى كل
الاحوال أكبر قال وانما
سميت احراما اى تكبيرة
منع اشارة الى انه تعالى
لا يشاركه فى مثل هذه
الكبرياء كون من الاكوان
واطال فى ذلك * وقال فى
قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم باعد بينى وبين
خطاياى كما باعدت بين
المشرق والمغرب وقد ثبت
انه كان يقول ذلك بين
تكبيرة الاحرام وقراءة
الفاتحة انما لم يقل فيه كما
باعدت بين السواد والبياض
لان اللونية تجمع بينهما
فلذلك ذكر المشرق
والمغرب اللذين هما ضدان
لا يجتمعان ابدا قال
والسبب فى ذلك ان الحق
اذا دعا العبد الى مناجاته
فقد خصه بمحل القربة منه
واذا شهده خطاياه فى مواطن
القرب وهى فى محل البعد
من تلك المكانة كان العبد
بمحل البعد على طلب الحق
منه من القرب فلذلك أمر
ان يدعو الله قبل الشروع
فى المناجاة ان يحول بينه
وبين مشاهدة خطاياه
ان تعرض له فى قلبه فى
هذا الموطن بتخيل او
تذكر فانظر ما احكم هذا
التعليم وما اخفاه وادقه
حيث تأدب مع الله ان يبعده من خطاياه ولم يطلب اسقاطها عنه لئلا يكون فى ذلك الموطن ساعيا فى حظ نفسه واطال فى ذلك بكلام

بالنفس انتهى والله تعالى اعلم وسيأتى فى هذا الكتاب من مسائل المعرفة ما تقر به عينك ان شاء الله تعالى فان غالب المباحث متعلقة بالله عز وجل فاعلم ذلك والله تعالى اعلم

(خاتمة) فى بيان العارف بالله تعالى وصفاته ذكر الشيخ محيى الدين فى الباب السابع والسبعين ومائة ان العارف عند طائفة الصوفية هو من اشعر قلبه الهيبة والسكينة وعدم العلاقة الصارفة عن شهود الحق تعالى واذا ذكر الله واستولى عليه الذكر يغيب عن الاكوان بما به كل ناظر هو مع الله بلا وصل ولا فصل كثير الحياء فى قلبه التعظيم يقدم حق الحق تعالى على حظوظ نفسه بطنه جائع وبدنه عار لا يأسف قط على شئ لكونه لا يرى غير الله طيارا امد الدهر تبكى عينه ويضحك قلبه هو كالارض يطؤه البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شئ وكالمطر يسقى ما يحب وما لا يحب لا يقضى وطره قط من شئ وذلك ليدوم افتقاره الى الله تعالى ذوقا شأنه الفقر والذل بين يدى الله يفتح له فى فراشه كما يفتح له فى صلاته وان اختلفت الواردات بحسب المواطن واطال فى ذلك * ثم قال واما صفة العارف عندنا وعند غيرنا من المحققين فهو ان يكون قائما بالحق فى جمعيته نافذ الهمة مؤثرا فى الوجود على الاطلاق من غير تقييد لكن على الميزان المعلوم عند اهل الله مجهول النعت والصفة عند جميع العالم من بشر وجن وملك وحيوان لا يعرف مقامه فيحد ولا يفارق العادة فى تميزه خامل الذكر مستور المقام عام الشفقة على خلق الله عارف بارادة الحق تعالى قبل ظهور المراد فيريد بارادة الحق لا ينازع ولا يقاوم ولا يقع فى الوجود ما لا يريده شديد فى لين يعلم مكارم الاخلاق من سفسافها فينزلها منازلها مع اهلها تنزل حكيم يتبرأ ممن تبرأ الله منه يحسن اليه مع البراءة منه يشاهد لتسبيح المخلوقات كلها على تنوعات اذكارها لا يظهر الا العارف مثله واطال فى ذلك ثم قال وقد اختلف اصحابنا فى مقام المعرفة ومقام العلم فقالت طائفة مقام المعرفة ربانى ومقام العلم الهى قال وبه اقول ووافقنى على ذلك المحققون كسهل بن عبد الله التسترى وابى يزيد وابن العريف وابى مدين وطائفة قالت مقام المعرفة الهى ومقام العلم كذلك وبه اقول ايضا فانهم ان ارادوا بالعلم ما اردناه بالمعرفة وارادوا بالمعرفة ما اردناه بالعلم فالخلاف فيه لفظى وعهدنا قوله تعالى واذا سمعوا ما نزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق فسماهم عارفين وعلماء ثم ذكر قولهم فقال يقولون ربنا آمنا ولم يقل يقولون الهنا آمنا علما اولا شهدنا وقد علمت من جميع ما قررناه فى هذا المبحث ان طريق المعرفة بالله عند القوم انما هو الكشف لا النظر المبنى على الفكر وتأمل قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد كانه تعالى يقول ما حذرناكم من النظر فى ذات الله الا رحمة بكم وشفقة عليكم لما نعلم ما تعطيه القوة المفكرة للعقل من نفى ما اثبته على السنة رسلى من صفاتى فتردونها بادلتكم العقلية فتحرمون الايمان بها فتشقون شقاء الابد ولذا اختلفت مقالات اهل النظر فى الله وتكلم كل بما اقتضاه نظره فى فى واحد عين ما اثبته الآخر وما اجتمعوا على امر واحد فى الله من حيث النظر فى ذاته وعصوا رسوله بما تكلموا به مما نهاهم الله عنه تهى شفقة ورحمة بهم فرغبوا عن رحمة الله وضل سعيهم واثبت يا اخى على اعتقاد كل ما جاءتك به الشريعة تسلم فهمته اولم تفهمه فانه تعالى اعلم بنفسه واصدق فى قوله والله تعالى اعلم

(المبحث الرابع فى وجوب اعتقاد ان حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وانها ليست معلومة فى الدنيا لاحد)*

وقال كثير من المتكلمين انها معلومة للناس فى الدنيا لان الخلق مكلفون بالعلم بوحدانيته وذلك متوقف على العلم بحقيقته قال الجلال المحلى وغيره واجيب بمنع التوقف على العلم به فى الحقيقة وانما يتوقف

نقيض * وقال فيه انما كان لا يجب ان يوافق المأموم امامه فى النية لان النية امر غيبى والائتمام لا يكون الا فيما يشاهد من الافعال ولذلك فصل الشارع ما اجمله فى الائتمام فذكر الافعال بقوله فاذا كبر فكبروا الخ وما ذكر النية فلا ترتبط نية المأموم بنية الامام الا فى الصلاة من حيث حركاتها الظاهرة فقط ولكل واحد ما نوى * وقال الذى اقول به ان قوله وجهت وجهى الخ لا ينبغى ان يكون الا فى صلاة التهجد لانه لم يبلغنا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك فى الفرائض والوقوف عندما ورد اولى حتى يأتى ما يخالفه انتهى فليتأمل ويحرر فان بعض العلماء ذكر انه ورد فى الفرائض ايضا * وقال من شأن الاديب العالم ان لا يناجى ربه الا بكلامه الجامع ولذلك قال لا صلاة الا بام القرآن والام هى الجامعة فكان هذا الحديث مفسرا لقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن واذا ورد امر مجمل من الشارع ثم ذكر الشارع وجها خاصا مما يكون تفسيرا لذلك المجمل كان الاولى عند الادباء من العلماء الوقوف عنده (قلت) قد ذكر الشيخ فى الباب الثالث والاربعين وثلثمائة ما نصه اعلم انه لما كانت الصلاة صلاة يجمع فيه بين الله والعبد بقراءة الفاتحة تعين القول بفرضيتها على المصلى فى

على

على العلم به بوجه وهو انه تعالى يعلم بصفاته كما اجاب به موسى عليه الصلاة والسلام فرعون حين قال لموسى ومارب العالمين الى آخره ثم اختلفوا هل يمكن علمها في الآخرة فقال بعضهم نعم لحصول الرؤية فيها * وقال بعضهم لا والرؤية لا تفيد الحقيقة ولم يرجح ابن السبكي ولا الجلال المحلي شيأ في هذه المسئلة والتي قبلها * وقال شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني الصحيح انه لا سبيل للعقول الى علمها قال الشيخ كمال الدين بن ابي شريف ثم لا يخفى ان قولهم ليست معلومة الآن يعني في الدنيا انما هو كلام في الوقوع وقولهم واختلفوا هل يمكن علمها في الآخرة كلام في الجواز العقلي انتهى هذا ما رأيته في هذه المسئلة من كلام محققي المتكلمين * واما كلام محققي الصوفية من اهل الكشف فنجلي عليك مقالاتهم فيها حتى يزول عنك اللبس ان شاء الله تعالى وتعرف أن القوم أبعد الناس عن القول بالجسمية لشدة معرفتهم بالله تعالى لا سيما الشيخ محيي الدين رحمه الله اذا علمت ذلك فاقول اعلم ان الخلق ما خبطوا وخبطوا عشواء في آيات الصفات وكثرة اختلافهم فيها الا من ذهولهم حال الاختلاف عن شهودهم ان حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق والا فلو شهدوا ذلك لم يتفوهوا في شيء من آيات الصفات واخبارها ولم يحتج احد منهم الى تأويل ولم يخف قط من لحوق نقص في الجناب الالهي كالقول بالجهة والتجسيم مثلا * وايضاح ذلك ان تنظر يا اخي الى صفات الخلق كلها وتنزه الحق تعالى عنها من حيث الكيف فتقول مثلا من شأن الخلق الجهل من ذواتهم فليس الحق تعالى بجاهل بل هو عالم بكل شيء ومن شأن الخلق العجز فليس الحق تعالى بعاجز عن انفاذ وقوع شيء مما اراده بل هو قادر ومن شأن الخلق الجهة فالحق تعالى لا جهة له ومن شأن الخلق الجسمية فالحق تعالى ليس بجسم وهكذا فلا يصح في جانب الحق تعالى لحوق تشبيه بخلقه ابدا الا في شخص ولا في نوع ولا في جنس كما سيأتي ايضاحه في عقول العارفين وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والعشرين وثلثمائة ما نصه اعلم انه لا يجوز لاحد طلب معرفة ماهية الحق تعالى بلفظة ما كما وقع فيه فرعون فاخطأ في السؤال ولهذا عدل موسى عن جواب سؤاله على المطابقة لان السؤال اذا كان خطأ لا يلزم الجواب عنه وكان المجلس مجلس عامة فلذلك تكلم موسى بما تكلم به ورأى فرعون انه ما اجابه على حد سؤاله لتخيله ان سؤاله متوجه وما علم فرعون ان ذات الحق تعالى لا تدخل تحت مطلب ما وانما تدخل تحت مطلب هل وهو سؤال عن وجود المسؤل عنه هل هو متحقق أم لا ولما علم فرعون ما وقع منه من الجهل قال اشغالا للحاضرين لئلا يتفطنوا لذلك ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون تنفيرا لهم عن الاصغاء لمقالة موسى خوفا ان يتبعوه * وقال في الباب الاول من الفتوحات اعلم ان الحق منزه عن ان يحيط به خلق او يعرفه احد الا بحسب ما وقع به تجليه له لا غير الا ترى انه يتجلى يوم القيامة لقوم في غير العلامة التي يعرفونها فيقول أنا ربكم فينكرون ربوبيته ومنها يتعوذون وبها يتعوذون ولكن لا يشعرون ويقولون لذلك التجلي نعوذ بالله منك وها نحن لربنا منتظرون فحينئذ يتجلى لهم في العلامة التي لربهم فيقرون له بالربوبية وعلى انفسهم بالعبودية فهؤلاء ما عبدوه تعالى الا بالعلامة ومن قال منهم انه عبده تعالى عينا فقرله زور وكيف يدعي ذلك وعند ما تجلى له انكره فما عبده تعالى عينا الا الانبياء وكمل ورثتهم قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فاعبده وتوكل عليه اي عينا فافهم (فان قلت) فما معنى قولهم العلم حجاب عن الله تعالى مع ان العلم هو الذي يكشف عن حقائق الامور (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث في الفتوحات انه ليس المراد به ذم العلم معاذ الله ان يريد القوم ذلك وانما مرادهم ان احدا لا يعلم الحق تعالى الا بواسطة العلم فالواسطة هي التي علمت الحق تعالى لا انت فما علم الحق تعالى حقيقة الا العلم دونك [illegible] علمك

الصلاة ثم فصلى الصلاة التي قسمها الله بينه وبين عبده فانه ما قال قسمت الفاتحة وانما قال قسمت الصلاة بالالف واللام التي هي للعهد والتعريف فلما فصل الصلاة المعهودة بالتقسيم المذكور في الحديث جعل محل القسمة قراءة الفاتحة قال وهذا اقوى دليل يوجد في فرض قراءة الحمد في الصلاة اه وذكر الشيخ في الباب الخامس والتسعين ومائتين ما نصه اعلم ان القاف المعقودة حرف بين حرفين بين الكاف والقاف المعقودة ما هي كاف خالصة ولا قاف خالصة قال ولهذا ينكرها اهل اللسان فاما شيوخنا في القراءة فانهم لا يعقدون القاف ويزعمون انهم هكذا اخذوها عن شيوخهم وشيوخهم عن شيوخهم في الاداء الى ان وصلوا الى العرب الذين هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك اداء واما العرب الذين لقيناهم ممن بقي على لسانه ما تغير كبني فهم فاني رأيتهم يعقدون القاف وهكذا جميع العرب فما ادري من اين دخل على اصحابنا ببلاد المغرب ترك عقدها في القرآن اه والله أعلم ثم قال وانما شرعت المناجاة الحق بكلامه حال القيام دون غيره من أحوال الصلاة للاشتراك في القيومية قال ولهذا كان من أدب الملوك اذا كلمهم أحد من رعيتهم

دائما حاجب لك عن معرفة كنه الحق تعالى ولو رقيت فى العلم به تعالى ما رقيت فلا يصح وقوف تجلى الحق لك حتى تدركه لان كل تجل يقع كلمحة بارق لا يثبت آنين ابدا ومن هنا امتنع الخلق تكييف الحق فافهم فعلم انه ليس مشهود كل احد من الحق الا علمه فاياك ان جريت على اسلوب الحقائق ان تقول انك علمت العلوم فانك ما علمت الا بالعلم والعلم هو العالم بالمعلوم الذى هو الحق وبين العلم والمعلوم بحور لا يدرك احد قعرها فان سر التعلق بينهما مع تباين الحقائق بحر مركبه عسير بل لا تركبه العبارة اصلا ولا الاشارة ولكن يدركه الكشف من خلف حجب كثيرة ولا يحسن بها انها على عين بصيرته الا الانبياء وكمل ورثتهم من الاولياء لدقتها وغموضها واذا كانت عسرة المدارك فاحرى من خلقها (فان قلت) قد ثبت عندنا وتقرر ان العلم بامر ما لا يكون الا بمعرفة قد تقدمت قبل هذه المعرفة بامر آخر يكون به بين المعروفين مناسبة لا بد من ذلك وقد ثبت عندنا وتقرر انه لا مناسبة بين الحق تعالى وبين خلقه بوجه من الوجوه فكيف صحت معرفته تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ ايضا فى الباب الثانى من الفتوحات ان المراد بمعرفتنا له بالآثار واما الذات فلا تعلم ابدا بعلم سابق وانما تعلم من طريق الكشف لبعض المخصصين علما لا يصح التعبير عنه ابدا (فان قلت) فهل يصح استدلال بعضهم بالشاهد على الغائب فى مسئلة العلم الالهى من انه عين او غير (فالجواب) لا يصح هذا الاستدلال لان الحق تعالى مباين لخلقه فى سائر شؤنه فلا يصح قياسه على خلقه واصل دخول الشبه على هذا المستدل انه لما رأى الانسان يسلب علمه وذاته كاملة لم تنقص قال علم الله غير ذاته ثم من العجب انه يقدسه بعد ذلك مع انه قد حمله على حال نفسه وقاسه عليها (فان قلت) فهل يصح لاحد معرفة ربه من حيث الدليل العقلى (فالجواب) لا يصح لاحد ذلك لان من المعلوم ان العقل لا يدرك كنهه تعالى من حيث ما هو ناظر وباحث ابدا لان برهانه الذى يستند اليه الحس او الضرورة او التجربة والحق تعالى غير مدرك بهذه الاصول باجماع المحققين ولو ان هذا الناظر والباحث نظر بعقله الى المفعولات الصناعية والتكوينية والانبعاثية ورأى جهل كل واحد منها بفاعله لعلم ان الحق تعالى لا يعلم قط بالدليل العقلى وانما غاية علم العقل ان يعلم انه تعالى موجود وان العالم كله مفتقر اليه افتقارا ذاتيا لا محيص له عنه البتة انتهى (فان قلت) فما الحكمة فى تحيير العقول فيه سبحانه وتعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والسبعين ومائة ان الحق تعالى انما حير عقول عباده فيه لئلا يدخل تعالى تحت حكم ما خلق وذلك ان القوى الحسية والخيالية تطلبه بذواتها لترى موجدها والعقول تطلبه بذواتها وادلتها لتعلم موجدها فلذلك خاطب تعالى الحواس والخيال بتجريده الذى دلت عليه ادلة العقول والحواس تسمع فحارت الحواس والخيال وقالوا ما بايدينا منه شئ وخاطب ايضا العقول بتشبيهه الذى دلت عليه الحواس والخيال والعقول تسمع فحارت العقول وقالوا ما بايدينا منه تعالى شئ كما تقدم وتعالى الله عن ادراك العقول والحواس والخيال فلذلك انفرد سبحانه وتعالى بالحيرة فى وصف كماله فما علمه سواه ولا شاهده غيره ولا احاط احد به علما وقد تقدم هذا ايضا فى مبحث التوحيد انتهى (فان قلت) فهل اطلاق بعض المتصوفة وجه المناسبة بين الحق والخلق صحيح فى بعض الوجوه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث من الفتوحات لا يصح ذلك بوجه من الوجوه وان وقع فى مثل ذلك ابو حامد الغزالى فهو بضرب من التكلف وبمرمى بعيد من الحقائق فاى نسبة بين المحدث والقديم وكيف يصح تشبيه من لا يقبل المثل بمن يقبل المثل هذا والله محال قال وما طلب الحق تعالى منا الا العلم بوجوده والوهيته لا غير واما الحقيقة فلا واذا كان المبدع الاول لا مناسبة بينه وبين ربه فكيف تصح مناسبة من بينه وبين ربه

ان يقوم بين يديهم و يكلمهم ولا يكلمهم جالسا فتبع الشرع فى ذلك العرف وأطال فى ذلك * قال انما امرنا الحق ان نقول اياك نعبد واياك نستعين وبنون الجمع اشارة الى ان الحق يريد منا ان نعبده بجميع اعضائنا الظاهرة والباطنة ونستعين به بكليتنا كذلك ومتى لم يكن المصلى بهذه المثابة من جمع عالمه كله على عبادة ربه كان كاذبا فى قوله نعبد ونستعين فاذا رآه الحق ملتفتا الى شئ قال له كذبت قال وكذلك قول الحق اذا حمده عبده حمدنى عبدى لا يكون له ذلك بحمد الا ان حضر بكليته فان غاب فما حمد الحق الا لسانه فقط فلا يقول له الحق حمدنى عبدى وانما يقول حمدنى لسان عبدى وذلك لان الله لما فرض على العبد ان يناجيه بكليته فلا تقوم جارحة من جوارحه الا عن نفسها فقط (قلت) وسيأتى فى الباب التاسع والسبعين وثلثمائة ان شاء الله تعالى ان الشارع صلى الله عليه وسلم انما جاء ببعض الاذكار مثلثا أى بان يقول ذلك ثلاث مرات ليحصل بذلك الثواب المحسوس والثواب المتخيل والثواب المعنوى فينعم حسا وخيالا وعقلا كما يذكر حسا وخيالا وعقلا واطال فى ذلك والله اعلم * وذكر الشيخ فى الباب الثامن والثمانين وثلثمائة ان من ادب العارف اذا قرأ فى صلاة مطلقة ان لا يقصد قراءة

وسائط لا تحصى انتهى (فان قيل) فعلى ما قدرتموه لا يصح لاحد مراقبة ذات الحق تعالى ابدا وقد امرنا الله تعالى بمراقبته فكيف الحال (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والعشرين ومائة من الفتوحات انما لم نقل بمراقبة عين الذات وانما المراقبة حقيقة للمثل التى تنزل الحق تعالى للعقول تقريبا لها لتقف على مركز ولما اقتضت مرتبة العلماء بالله تعالى انه ليس كمثله شىء ارتفعت الامثال والاشكال من اوهامهم فلم يتقيد لهم امر الاله المنزه عن الامثال ولم ينضبط بل جهل الامر وهناك يعنى عند ارتفاع الامثال يعلمون ان الحق تعالى لم يكن معلوما لهم فى وقت ذلك الاعتقاد وان علمهم به تعالى انما هو من حيث نسبة معقولة اعطتها الآثار الموجودة فى الاعيان لا غير واذا كان الامر كذلك فلا كيف ولا اين ولا مثل ولا وضع ولا اضافة ولا عرض ولا جوهر ولا كم وهو المقدار وما ثم الا فاعل مجهول يرى اثره ولا يعرف خبره ولا تعلم عينه ولا يجهل كونه فلمن يراقب العبد وما ثم من يقع عليه عين ولا من يضبطه خيال ولا من يحدده زمان ولا من تعدده صفات واحكام ولا من يكيفه احوال ولا من يميزه اوضاع ولا من تظهره اضافة فكيف تصح مراقبة من لا يقبل هذه الصفات ومن شرط العلم أن يرفع حكم الخيال والحادث لا يتعلق الا بالمناسب وهو ما عندك من معرفة الحق فما برحت من حبسك وما عبدت الا على صورة اعتقادك * قال ولهذا اختلفت المقالات فى تأويل صفات الله تعالى فطائفة تقول هو كذا وطائفة تقول ما هو كذا وانما هو كذا وما منهم من احد احاط به علما فالكامل من عظمت فيه حيرته ودامت حسرته ولم ينل منه مقصوده وذلك لانه رام ما لا يمكن تحصيله وسلك سبيل من لا يعرف سبيله وأطال فى ذلك ثم قال فاذن لم يعرف احد الحق تعالى كما يعرف تعالى نفسه ابدا والسلام * فان قلت فعلى ما قدرتموه جميع الامور المعلومة معلولة والكيفية فى حق الله مجهولة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب الاسرار نعم لا يخلو علم الخلائق من العلل أبدا فان الحق تعالى هو المنفرد فى علمه بعدم العلل فاصل الابد من الازل وقد خلت المثلات بأهل التفكر والمحدثات اذ لا بد من وجه جامع بين الدليل والمدلول فى قضايا العقول والحق تعالى لا يدرك بالدليل فليس الى معرفة كنه ذاته من سبيل وقد دعانا الى معرفته وما دعانا الا صفته فلا بد من صفة يتعلق بها المعرفة وما ثم فى العقل الا صفة تنزيه وقد ضم الشرع معها صفة ظاهرة التشبيه فعلى ما هو المعول الآخر أو الاول انتهى * وقال فى باب الاسرار ايضا لا تعلم الذات الا مقيدة وان اطلقت هكذا عرفت الاشباه وحققت فالاطلاق تقييد فى حق السادات والعبيد * وقال فيه ايضا الذات مجهولة فما هى علة ولا معلولة ولا هى للدليل مدلولة فان من شأن وجه الدليل ان يربط الدليل بالمدلول والذات لا ترتبط كما لا تختلط انتهى (وقال) فيه ايضا اعلم ان التنزيه وان جلت مراقيه فهو يرجع لتحديد المنزه من حيث انه لا بد له من مقابل والتشبيه يرجع الى تثنية المشبه واذا كان التنزيه يرجع الى التشبيه فاين المعرفة بالله تعالى فاذا التنزيه انما سمع فى الشرع ولم يوجد فى العقل انتهى وقال فيه ايضا لا يصح الانس بالله تعالى لاحد لعدم المجانسة بينه وبين خلقه ومن ادعى الانس بالله تعالى من الخلق فانما انس بنور اعماله الصالحة وايضاح ذلك ان الانس لا يكون الا بالمشاكل والمشاكل مماثل والمماثل ضد والضدية بعد * وقال الشيخ فى كتاب العبادلة تنتهى هممهم العارفين بالله تعالى وهم معه على اول قدم فى المعرفة فلم تف لهم اعمارهم بما تعلقت به هممهم من واجب معرفة الله كما يليق بجلاله انتهى * وقال أيضا فى شرحه لترجمان الاشواق كل من الخلق واقف خلف حجاب العزة الاحمى فعند هذا الحجاب تنتهى علوم العالمين ومعرفة العارفين ولا يصح لاحد ان يتعدى هذا الحجاب ولو كان من أكابر الاحباب * وقال سيدى على بن وفا رحمه الله جلت ذات الحق تعالى ان تدخل تحت احاطة علم أو ادراك انتهى (فان قلت) اذا كانت الذات مجهولة فما مرادهم

سورة معينة أو آية معينة وذلك لانه لا يدرى اين يسلك به ربه من طريق مناجاته فالعارف يتحبب ما يناجيه به من كلامه ويتجنب ما يلقى اليه الحق فى خاطره والله أعلم * وقال فى حديث فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه المراد موافقتهم فى الطهارة والتقديس والتلفظ وغير ذلك وذكر فى الباب الثالث والسبعين فى الجواب الموفى مائة من اسئلة الحكيم الترمذى ما نصه اعلم ان معنى آمين أجب يا رب دعاءنا يقال أم فلان جانب فلان اذا قصده وقال تعالى ولا آمين البيت الحرام اى قاصدين قال وانما خففت الميم من آمين تنبيها على السرعة المطلوبة فى الاجابة اذ الخفة تقتضى الاسراع فى الاشياء قال وانما قال غفر له ولم يقل أجيب دعاؤه لانه لو أجيب لما غفر له لان المهدى الى الصراط المستقيم ماله ما يغفر (قلت) قد ذكرنا نحو ذلك فى أجوبة شيخنا والله أعلم * قال وأما قوله فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة ليس المراد بها الموافقة الزمانية ويحتمل أن يكون المراد بها ذلك فيجمعهم زمان واحد عند قولهم آمين ثم ان الملائكة لا يخلو قولها آمين أن يقولوها متعبدين أو غير متعبدين فان قالوها متعبدين فربما يكون المراد الموافقة الزمانية خاصة لان التعبد يحكم عليه بالاتيان بلفظ

بقولهم فلان من العلماء بالله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس من الفتوحات ان مرادهم بذلك العلم بوجوده وبما هو تعالى عليه من صفات الكمال وليس مرادهم العلم بذاته لان ذلك عندهم ممنوع لا يعلم بدليل ولا ببرهان ولا يأخذه حد ومعرفتنا به سبحانه وتعالى انما هي علمنا بانه ليس كمثله شئ واما الماهية فلا يمكن لنا علمها قطعا انتهى (فان قيل) ٣ من قول بعضهم ان معرفة الحق لا تكمل الا بمعرفته تعالى من طريق التنزيه ومن طريق التشبيه ان التشبيه موجود حقيقة (فالجواب) ان الذي نعتقده ان التشبيه لا وجود له حقيقة وانما ذلك واقع من بعض الخلق لضعفه ودهو كثافة حجابهم ولو انكشف حجابهم لعلموا علما يقينا ان الحق تعالى لا يلحقه قط تشبيه بخلقه في جميع الصفات التي تنزل فيها العقول عباده وتأمل يا أخي السراب يحسبه الظمآن ماء ما دام بعيدا فاذا قرب من محله لم يجده ماء وحكم بفساد حسابه الاول وقس على ذلك ايضا سماع كلام الله تعالى بصوت وحرف ورؤيته في التجلي الاخروي في صور مختلفة فان ذلك انما هو تنزل للعقول ولو كشف الحق تعالى حجابهم لسمعوا كلامه تعالى من غير صوت ولا حرف ورأوه تعالى في غير صورة معقولة لكنهم لما حجبوا لم يكونوا يفهموا الكلام بغير صوت ولا حرف ولم يكونوا يعقلونه تعالى الا في صورة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ✻ وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول جميع ما منه اليك لا يكيف وجميع ما منك اليه يكيف انتهى (فان قيل) فما وجه قول من منع ان الذات تعلم بالكون (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر من الفتوحات ان وجهه ان الكون لا تعلق له الا بالمرتبة الطالبة له كالخالق يطلب المخلوق والرازق يطلب المرزوق وهكذا فعلم ان الذات غني عن العالم لا تعلق له باحد فلذلك كان لا يعرف بالكون انتهى (فان قلت) فاذن ليس للفكر حكم ولا مجال في ذات الحق تعالى لا عقلا ولا شرعا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين ومائة نعم بل قد منع الشرع من التفكر في ذات الله تعالى بقوله ويحذركم الله نفسه أي أن تتفكروا فيها وقد ورد مرفوعا كلكم حمقى في ذات الله اي فلا تصلوا الى التحقق بمعرفتها (فان قلت) ما سبب المنع من التفكر في ذات الله (فالجواب) ان سببه ارتفاع المناسبة بين ذاتنا وذات الحق ومن هنا انف أهل الله ان يجعلوا التفكر من دأبهم لانه حال لا يعطي الحفظ فلا يدري ايصيب صاحبه ام يخطئ ✻ وقال في الباب الخامس والاربعين ومائة انما منعوا التفكر لانه لا يتعدى احد امرين اما الجولان في المخلوقات واما الجولان في الاله واعلى درجات جولانه في المخلوقات ان يتخذها دليلا ومعلوم ان الدليل يضاد المدلول فلا يجتمع دليل ومدلول في حد عند الناظر ابدا واما جولانه في الاله ليتخذه دليلا على المخلوقات ففيه من سوء الادب ما لا يخفى لانه طلب الحق لغيره اي ليدله على الكائنات فما طلبه تعالى لعينه وذلك غاية الجهل فانه لا شئ ادل على الشئ من نفسه (فان قيل) فهل يتعدى علم احد بالله تعالى فوق ما يعطيه نظره اوهل يصح اجتماع اثنين في العلم بالله على حكم التساوي (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والسبعين ومائتين ان علم كل انسان بالله تعالى انما هو على قدر نظره وما هو عليه في نفسه ولا يصح اجتماع اثنين على علم واحد في الله تعالى من جميع الجهات ابدا كما انه لا يصح اجتماعهما على مزاج واحد فلا بد في الاثنين من وجود ما يقع به الامتياز لثبوت عين كل واحد ولو لم يكن الامر كذلك لم يصح ان يكونا اثنين انتهى ✻ وقال في الباب السادس والتسعين ومائة قد جاء النهي عن التفكر في ذات الله فزل العقل في ذلك وتعدى وظلم نفسه وما امرنا الله تعالى قط ان نعلم كيف ذاته وانما امرنا ان نعلم انه اله واحد لا اله الا هو لا غير فلم يقف عن ذلك التفكر غالب العقول بل سبح بنظره وفكره الى ما لا حاجة له به حتى انه وقع في ذلك جماعة انتموا الى اهل الله كابي حامد وغيره انتهى ✻ وقال في الباب الثامن ومائتين اجهل الطوائف من طلب ان يعلم الله كما يعلم الله نفسه

أمين أي بترتيب هذه الحروف وأما ان قالوها غير متعبدين فلم يبق معنى الموافقة الا ان يقولها العبد بالحال الذي يكون عليها الملك وأطال في ذلك بكلام دقيق فراجعه ان شئت والله أعلم وقال فيه في الكلام على التشهد اعلم ان الالف واللام في لفظة السلام عليك أيها النبي للجنس لا للعهد فهو مثل التحيات لله في الشمول والعموم أي السلام عليك بكل سلام قال وانما كان السلام عليه هنا بلفظ النبي دون الرسول لان النبوة في حق ذات النبي أعم واشرف فانه يدخل فيها ما اختص به في نفسه وما أمر بتبليغه لامته الذي هو منه رسول نعم قال وانما ايه المصلي به صلى الله عليه وسلم من غير حرف النداء المؤذن بالبعد لانه في حال قربة منه باحضاره في ذهنه ولهذا جاء بحرف الخطاب في قوله عليك (قلت) وذكر الشيخ في الباب الثالث والسبعين أن السلام انما شرع من المؤمنين لان مقام الانبياء يعطي الاعتراض عليهم لامرهم الناس بما يخالف أهواءهم فكان المؤمن يقول يا رسول الله أنت في أمان من اعتراضي عليك في نفسي وقال كذلك السلام على عباد الله الصالحين فانهم كذلك يأمرون الناس بما يخالف أهواءهم بحكم الارث للانبياء قال وأما انسلمنا على أنفسنا فان فينا ما يقتضي الاعتراض واللوم منا علينا فيلزم نفوسنا التسليم فيه لنا ولا

(فان قلت) فايما اولى مخاطبة العبد ربه بضمير الغائب أو بضمير الحاضر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والسبعين ومائتين ان خطاب العبد ربه بضمير الغائب اشرف واعلى في التنزيه من مخاطبته بضمير المخاطب نحو اللهم اني اسألك لان الحقائق تعطي انك ما حضرت الامع ما عرفته انت من الحق تعالى فما برحت عن نفسك واذا كان الاكابر يقولون سبحانك ما عرفناك حق معرفتك فكيف بغيرهم : وقال في الباب الثاني والسبعين من الفتوحات اعلم ان خطاب الله تعالى بضمير المواجهة تحديد وخطابه بضمير الغائب تمييز ولا بد للعبد من واحد منهما ولكن الثاني اقوى في التنزيه وقال في الباب التاسع واربعين ومائة كما لا يجتمع الدليل والمدلول كذلك لا تجتمع انت وربك في حد ولا حقيقة فانه الخالق وانت المخلوق * وقال الشيخ ايضا في باب الاسرار اعلم ان كل من وقف مع الدليل حرم المدلول فاياك ان تقف مع الحق مع كونه دليلا على نفسه فانك ان وقفت معه على هذا الحد حرمته لان الدليل والمدلول لا يجتمعان قط في حد * وقال فيه ايضا لا تقل وصلت فما ثم نهاية ولا تقل لم اصل فان ذلك عماية ليس وراء الله مرمى وهنالك يستوي البصير والاعمى * وقال فيه أيضا لو كانت العلة في الازل لكان المعلول لم يزل فاياك من ظهور الشبه في صور الادلة فانها مضلة فما عرفه تعالى سواه * وقال فيه ايضا اعلم ان البراهين لا تخطئ فانها اقوى بة السلطان وانما الخطأ راجع الى المبرهن واذا كان المدلول لا يعرف الا بالدليل فليس الى العلم به تعالى سبيل فان من علمت به معلوما وجهلته فما علمته لانك ما علمت به : وقال فيه ايضا التنزيه ميل والتشبيه ميل والاعتدال هو ما بين هذين وذلك لا يصح ولا يوجد في العين * وقال في شرحه لترجمان الاشواق اعلم ان كل عقل له عقل مثله وليس الحق تعالى حق مثله فمن عرفه بعقله فما عرفه * وقال في باب الوصايا من الفتوحات اياك ان تدعي معرفة ذات خالقك فانك في المرتبة الثانية من الوجود واما في حال فنائك فما عرفه تعالى هنالك الا هو فحل معنى التوحيد عن الذوق انتهى (فان قيل) فما سبب وقوع الحيرة في الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخمسين من الفتوحات ان سبب ذلك طلب الخلق معرفة ذاته باحد الطريقين اما بطريق الادلة العقلية واما بطريق المشاهدة فالدليل العقلي يمنع من المشاهدة والدليل السمعي قد اوما اليها وما صرح وقد منع الدليل العقل من ادراك حقيقة ذاته تعالى من طريق الصفة الثبوتية التي هو عليها تعالى في ذاته فلم يدرك العقل بنظره الا الصفات السلب وقد سمى القوم ذلك معرفة (فان قلت) فاذن كلما ازدادت حيرة العبد ازداد علما بالله تعالى لكون العقل عجز عن ضبط ما يدركه (فالجواب) نعم ولذلك كانت حيرة اهل الكشف اعظم لادراكهم التجليات مع الآنات فلا يستقر لهم في معرفته قدم يستقرون عليه وقد قال في باب الاسرار لا يعقل الحق تعالى قط الا الها غير معقول ولا يمكن قط في العلم تجريده بالكلية عن العالم المربوب فاذا لم يعقل مجردا عن العالم لم تعقل ذاته ولم تشهد من حيث هي وأشبه العلم به العلم بالنفس والجامع عدم التجريد فكما لا يتخلص لك شهود العلاقة التي بين نفسك وبدنها فكذلك لا يتخلص لك معرفة العلاقة التي بين الله تعالى وبين العالم قال وكل من قال بتجريد النفس عن هيكل ما تدبره فما عنده علم بالنفس ماهية لانها لا تعقل نفسها قط الا في مركب انتهى * وعبارة الشيخ في شرح ترجمان الاشواق اعلم ان اللطيفة الانسانية لا توجد دنيا ولا اخرى الا وهي مدبرة لمركب ولا تترك قط لحظة واحدة لمشاهدة بسيطها وهي عرية من مركبها من غير علاقة ابدا قال وهذا بخلاف ما يراه بعض المتصوفة وغيرهم ممن لا علم له بما الامر عليه فعلم انها لا تتصل ابدا الا بالمنزه البسيط الاعلى لان تدبيرها لمركبها وصف لازم فلا تتفرغ لغيره انتهى * وقال في باب الاسرار قد تكون المعرفة بالشيء هي العجز عن المعرفة به فيعرف العارف ان هذا المطلوب لا يعرف وليس الغرض طورنا من غير ... انتهى (قلت) وفي هذا القول من الشيخ رحمه الله رد

نعترض كما يقول الانسان قلت لنفعي كذا فقالت لا انتهى قال وانما اثر المصلي أن يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين بالالف واللام ايضا لتشمل جميع السلام باجناسه على نفسه قال وانما جاء بنون الجمع ليؤذن بان كل جزء من هذا المسلم يسلم على بقية اجزائه وهو اله حين رأى بيت قلبه خاليا من كل ما سوى الله فسلم على نفسه كما أمر ان يسلم اذا دخل بيتا ما فيه أحد نيابة عن الحق الذي يشهده في قلبه كما قال ان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده قال وانما قال وعلى عباد الله الصالحين بالواو دون ذكر لفظ السلام تنبيها على أن المراد بالصالحين المستعملين في أمور طلق الاسلام من المسلمين لا الصالحين في العرف * قال وانما لم يعطف المصلي السلام الذي سلم به على نفسه بالواو على السلام الذي سلم به على نبيه لانه لو عطفه عليه لسلم على نفسه من جهة النبوة وهو باب قد سده الله كما سد باب الرسالة عن كل مخلوق بعد محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة وتعين بهذا انه لا مناسبة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه في المرتبة التي لا تنبغي لنا فابتدأنا بالسلام علينا في

من المعرفة لشيء الا ان يتميز عن غيره فقد ميز وتميز من لا يعرف بكونه لا يعرف فحصل المقصود انتهى * وقال في كتاب لواقح الانوار من سلك الى الله بالفكر لم يبرح من الكون فما عنده غيره * وقال في باب الاسرار حقيق على الخلق ان لا يعبد كل واحد منهم ماهية الحق لجهلهم بها وانما يعبدون ما يعتقدونه من صفات الحق دليلي في ذلك الله اكبر حتى عند تحوله يوم القيامة في الصور * وقال فيه ايضا اذا لمع القلب شهود الحق تعالى فالحق حينئذ ضيف نازل يتعين القيام بواجب حقه لكن اكرامه على قدر مقام ذلك القلب لا على قدر النازل وعند العوام ان الكرامة تكون على قدر النازل لا المنزول عليه فلا يحجبنك حديث انزلوا الناس منازلهم لانا لو عاملنا الحق تعالى بهذه المعاملة لم يصح بيننا وبينه قط مواصلة (فان قلت) فاذن عظمة الحق تعالى انما هي راجعة لما يقوم في قلب العبد من شدة التعظيم او قلته وليست راجعة لذات الحق في نفسها الادراك العبد الزيادة والنقص في علمه بالله تعالى (فالجواب) هو كما تقول فقد قال الشيخ في الباب الثاني والسبعين من الفتوحات اعلم ان العظمة الالهية ليست راجعة لذات الحق تعالى وانما هي راجعة الى مقام العبد ومشاهدته اذ لو كانت العظمة صفة للذات الالهية لكانت الذات مركبة من صفة ذاتية او معنوية ومعلوم ان قيام صفات المعاني بذاته تعالى محال كما يستحيل ان تكون العظمة صفة نفسه وذلك من اجل ما ورد من انكار بعض الخلق بعض التجليات في الآخرة مع كونه هو هو واذا بطل الوجهان فلم يبق الا ان تكون العظمة صفة للعبد ولذلك اذا خرج الملك متنكرا في غير هيئته المعروفة ومشى في شوارع مدينته لا يقوم له تعظيم في قلب احد ولو ان العظمة كانت صفة له لعظمه كل من يراه في حال تنكره انتهى وقال في هذا الباب ايضا احذر ان تقول ان الحق تعالى متصف بصفات خلقه كما تعطيه اخبار الصفات فان ذلك سوء ادب فما في صفات خلقه من النقص من حيث الحدوث وانما الادب ان تضيف اليه تلك الصفات وتؤمن بها من غير تكييف ومن اولها اوردها فقد اخطأ طريق الصواب فان في التأويل فوات كمال مقام الايمان لا فوات أصل الايمان اذ لولا اعتقاد المؤول صحة تلك الصفة في جانب الحق لما اشتغل بتأويلها انتهى * وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول اياك ان تؤول اخبار الصفات فان في ذلك دسيسة من الشيطان ليفوت المؤمن الايمان بعين ما انزل الله قال تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون وهذا المؤول ما آمن حقيقة الايمان اوله بعقله ففاته الايمان بعين ما انزل الله تعالى فليتأمل انتهى * فان قيل فما اعلى معارف الاولياء وهل يدرك احد كيف الحق اذ تجلى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والسبعين ومائتين ان اعلى المعارف للاولياء ان يعرف احدهم التجليات الالهية لقلوبهم من حيث ورودها فهو يعرف من تجلى ولماذا تجلى لا غير واما كيف تجلى فهو من خصائص الحق جل وعلا لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل وذلك لان الذات مجهولة في الاصل فعلم كيفية تجليها غير حاصل ولا مدرك لاحد من خلق الله تعالى (فان قلت) فمن هم اهل الانكار في التجليات الاخروية (فالجواب) هم ثلاثة اقسام كل قسم ينكر ما فوقه لانه ما ثم الا اربعة اقسام اسلام وايمان واحسان وايقان فاذا تجلى الحق تعالى لاهل مقام الاسلام انكره الكفار جملة واذا تجلى لاهل مقام الايمان فربما انكره بعض اهل الاسلام واذا تجلى الحق تعالى لاهل مقام الاحسان فربما انكره بعض اهل مقام الايمان واذا تجلى لاهل مقام الايقان فربما انكره بعض اهل مقام الاحسان * وقد قال الشيخ في الباب الستين واربعمائة ان كل من لم يذق شيأ في هذه الدار انكره في الآخرة فصاحب مقام الايقان لا ينكره تعالى في تجل من التجليات كالانبياء وكمل ورثتهم لانهم جاوزوا مقام الاسلام والايمان والاحسان الى مقام الايقان * فان قيل هل في منع التجلي الذاتي في غيره ظهوره خلاف بين المحققين * فالجواب كما قاله الشيخ في

على من افترى عليه انه كان يقول لقد حجر ابن آمنة واسعا بقوله لا نبي بعدي * وقد ذكر في شرحه لترجمان الاشواق أيضا ما نصه اعلم ان المقام المحمدي ممنوع من دخوله لنا وغايتنا من قبيل النظر اليه كما ننظر الكواكب في السماء وكما ينظر اهل الجنة السفلى الى من هو في عليين قال وقد فهم الشيخ ابي يزيد البسطامي من مقام النبي قدر خرم ابرة تجليا لا دخولا فاحترق فكذب والله من افترى على الشيخ وخاب مسعاه والله اعلم * قال وانما لم يكن التشهد الاول وجلوسه واجبا لان هذا الجلوس عارض عرض لاجل القيام بعده الى الركعة الثالثة والعرض لا ينزل منزلة الفرض ولهذا يسجد من سها عنه بخلاف الجلوس الاخير قال فهو من التجليات البرزخيات فانه سبحانه دعا عبده ان يسلم عليه بما شرع نبيه من التحيات فلما رأى ان ذلك المقام يدعوه الى التحية جلس قال والحكمة في ذلك ان الصلاة تقتضي الشفعية لقوله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي واطال في ذلك قال رضي الله عنه واعلم اننا لم نقف على رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم في تشهده الذي كان يقوله في الصلاة هل كان يقول مثلنا السلام عليك ايها النبي او كان يقول السلام على او كان لا يقول شيأ من ذلك ويكتفي بقوله السلام علينا وعلى عباد الله

الباب التاسع والسبعين ومائتين انه لا خلاف في منع التجلي الذاتي في غير مظهر عندنا وعند اهل الحقائق ثم انشد

ولم يبد من شمس الوجود ونورها * على عالم الارواح شئ سوى القرص
وليس تنال الذات في غير مظهر * ولو هلك الانسان من شدة الحرص
ولا ريب في قول الذي قد بثثته * وما هو بالقول المموه بالخرص

* فان قيل فاذا قلتم بمنع وقوع التجلي الذاتي فبماذا تتعلق رؤيتنا الحق تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والثمانين ومائتين ان الرؤية تتعلق بحجاب العظمة بيننا وبين الحق تعالى ويحمل على ذلك ما ورد من النصوص اذ لو رفع هذا الحجاب لعلمنا ذات الحق تعالى وكل من زعم انه علم ذات الحق من رؤيته له فلا بد ان ينكشف له جهله في الدار الآخرة فيعلم يقينا ان الامر على خلاف ما كان يعتقده في دار الدنيا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون انتهى (فان قيل) فهل التجلي في صور المعتقدات والمعقولات واقع او هو ممنوع كالتجلي الذاتي (فالجواب) انه واقع وذلك لان صور المعتقدات والمعقولات انما هي جسور يعبر عليها بالعلم اي يعلم ان وراء هذه المظاهر امرا لا يصح ان يعلم ولا يشهد وليس وراء ذلك المعلوم الذي لا يشهد ولا يعلم حقيقته ما يعلم اصلا انتهى كلام الشيخ في الباب التاسع والتسعين ومائتين (فان قلت) فاذن من خاض في الذات بفكره فهو عاص لله ورسوله (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والعشرين وثلثمائة نعم هو عاص لله ورسوله وما امر الله تعالى بالخوض في معرفة ذاته لا النافي ولا المثبت وذلك لان العبد اذا عجز عن معرفة كنه نفسه فعن معرفة كنه الحق تعالى من باب اولى بل لو سئل الخائض عن تحقيق معرفة ذات واحدة من العالم ما قدر ولو قيل له كيف تدبر نفسك بدنك وهل هي داخلة فيه او خارجة عنه او لا داخلة ولا خارجة وهل الزائد الذي يحرك به هذا الجسم الحيواني ويسمع ويبصر ويتخيل ويفكر لماذا يرجع هل لواحد او كثيرين وهل يرجع الى جوهر او عرض او جسم ويطالبه بالادلة العقلية فضلا عن الشرعية ما وجد لذلك دليلا عقليا ابدا ولا عرف ان للارواح بقاء ووجودا بعد الموت ابدا انتهى (فان قيل) فاذن عبادة الناس كلهم لله تعالى انما هي على الحس والسماع الا من شاء الله لعدم رؤيتهم له في هذه الدار (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والعشرين وثلثمائة انه لا سبيل الى عبادة الحق تعالى على الغيب المحض جملة فلا بد من تعلق العبادة بما هو مشهود او كالمشهود كما اشار اليه خبر اعبد الله كانك تراه ويكفينا هذا التعلق من فضل الله وكرمه والا فلو آخذ الله اصحاب العقائد من طريق فكرهم لاهلكهم فان كل صاحب عقل قد قيد اوصاف ربه في معرفته هو من طريق عقله ونظره وحضره ربه في كذا دون كذا ولا ينبغي ان ينسب لله تعالى الا الاطلاق وقد عذر الله تعالى الخلق في هذا التقييد وعفا عنهم اذ قد بذلوا وسعهم في طريق معرفته ولولا ان الحق تعالى عند كل معتقد اسلامي لكان العبد يعبد عدما من حيث ان الحق تعالى اذا وجد محصورا عند عبد لزم ان يكون مفقودا عند العبد الآخر * فعلم ان من تعرض لمعرفة الذات بعقله فقد تعرض لامر يعجز عنه وبرهان ما قلناه اختلاف المقالات فيه تعالى من كل ناظر بعقله وعدم اختلاف المقالات فيه تعالى من كل من جاء من عند الله من رسول وولي لهم قال ولو ان العاقل فهم معنى قوله تعالى ولم يولد لعلم ان جميع ما انتجه العقل من فكره بترتيب مقدماته في معرفة الله تعالى مولود وقد نفى الحق تعالى عن نفسه كونه يولد فاين ايمان هذا العاقل وقد ولد الحق بعقله فان كان مؤمنا كان ذلك طعنا في ايمانه وان لم يكن مؤمنا فيكفيه انه ليس بمؤمن انتهى * وكذلك قال في باب الاسرار انما نفى الحق تعالى كونه لم يولد ليشمل ما ولدته العقول في حقه تعالى من المعارف فان ولادة العقول انما

الصالحين قال فان كان يقول مثل ما امرنا ان نقول من ذلك فله وجهان أحدهما ان يكون المسلم عليه هو الحق وهو مترجم عنه كما جاء في سمع الله لمن حمده والوجه الثاني انه كان يقام في صلاته في مقام الملائكة مثلا ثم يخاطب نفسه من حيث المقام الذي أقيم فيه أيضا من كونه نبيا فيقول السلام عليك أيها النبي فعل الاجنبي فكانه جرد من نفسه شخصا آخر قال وانما قال واشهد أن محمدا رسول الله ولم يقل نبي الله لان الرسالة هنا أعم لتضمنها النبوة فكان يحتاج الى ذكر الرسالة بعد النبوة ليظهر اختصاصه على من ليس له مقام الرسالة من عباد الله النبيين قال واما قوله في تشهد ابن عباس سلام عليك أيها النبي التنكير فوجهه انه راعى خصوص حال كل مصل فجاء بسلام منكر ليأخذ كل مصل منه على حسب حاله من مقام السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ومن مقام السلام على نفسه وعلى الصالحين من عباد الله ولذلك اختص بترك تكرار لفظ الشهادة في الرسالة واكتفى بالواو لما فيها من قوة الاشتراك واسقط في هذه الرواية ذكر لفظ العبودية [illegible] الرسالة لما [illegible] يأخذ هذا اصل المتعلق انما [illegible] بالتشهد فانك لا تكاد تجده في كتاب والله يتولى هداك * وقال انما امرنا بالاستـ[illegible] اذ من [illegible]

هي عن نكاح سفاح بخلاف ولادة النصوص الشرعية انتهى (فان قلت) فعلى ما قررتموه لا يسلم لاحد من اهل النظر الفكري معرفته بل لا بد في طريق معرفته من حصول اوهام وخيالات (فالجواب) نعم ذلك امر لازم له وذلك انه لا يشهد الحق الا منعزلا عن العالم بعد اقتضائه له تنزيهه فيجعل هذا نفسه في جانب والحق تعالى في جانب اذ لا حلول ولا اتحاد ولذلك ينادي ربه بالتاء المشعر بالبعد مع انه ما ثم بعد في نفس الامر الا بعد مرتبة سيادة من مرتبة عبودية لا غير ذكره الشيخ في الباب السبعين وثلثمائة * وقال في الباب الثالث والسبعين وثلثمائة اعلم ان الحق تعالى لا يدرك بالنظر الفكري ابدا وليس عندنا ذنب اكبر من ذنب الخائضين في ذات الله بفكرهم فانهم قد أتوا باقصى درجات الجهل ثم انهم انما اعطاهم الفكر خلاف ما جاءت به الرسل احتاجوا الى تاويل بعيد لينصروا جانب الفكر على اعلام الله تعالى عن نفسه من حيث لا يشعرون ولو انهم لزموا الادب ووقفوا على حد ما ورد من اخبار الصفات ووكلوا علم كيفية ذلك الى الله تعالى ولم يتاولوا الا اعطاهم الله الفهم في ذلك باعلام آخر ينزله في قلوبهم فتكون المسئلة منه وشرحها منه وكانوا يعرفون الله تعالى باعلامه لا بنظرهم انتهى (فان قلت) فهل تزول الحيرة من احد في جانب الله تعالى اذا بلغ مراتب الكمال (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والخمسين وثلثمائة ان الحيرة تزول من قلب العبد اذا تجلى الحق تعالى له في غير مادة وحينئذ يسكن قلبه من الاضطراب وتزول عنه الحيرة ويعلم عند ذلك من الله ما لم يكن يعلم قبل ذلك التجلي لكن لا يقدر احد على تعيين ما قد تجلى له من الحق الا كونه تجلى له في غير مادة لا غير (فان قيل) فما سبب عجز العبد عن تعيين ما تجلى له من الحق (فالجواب) ان سبب ذلك كون الحق تعالى ما تجلى قط لعبد بعين ما تجلى به لعبد آخر ابدا فاذا ذلك كان لا يقدر عبد على تعيين ما تجلى فيه ولا على التعبير عنه ثم ان العارف اذا رجع من هذا المقام الى عالم نفسه الذي هو عالم المواد صحبه تجلي الحق تعالى فما من حضرة يدخلها من جميع الحضرات الا ويرى الحق تعالى قد تحول بحكم تلك الحضرة لان العارف قد ضبط منه اولا ما ضبط فلا يجهله بعد ذلك ابدا لانه تعالى ما تجلى لقلب عبد في شيء من المعارف واحتجب عنه بعد ذلك واطال الشيخ محيي الدين في ذلك ثم قال وفي هذه الحضرة يجمع العبد بين الضدين ولا يقدر على امكان ذلك من نفسه والله تعالى اعلم ✻ وقد قدمنا في هذا المبحث ان علم كيفية تجلي الحق من خصائص الحق لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب * ويؤيده قول الشيخ في الباب الثاني والثمانين وثلثمائة ان الحق تعالى بنفسه علما ما هو عين ما حكم به العقل عليه ولا هو عين ما شاهده البصر وحكم به عليه ولا هو غير هذين الحاكمين انتهى * وقال الشيخ عبد الجبار النفري في المواقف أوقفني الحق تعالى وقال لي وعزتي وجلالي ما أنا بما عرفوه ولا عين ما جهلوه وقال أيضا اوقفني الحق تعالى وقال لي اعلم ان جاهلي الجاهل بي فهو داخل الامام حضرتي فلاه علوم لخلقي الا يحجبهم بي اعدم احاطتهم بي * وقال ايضا أوقفني الحق وقال لي اعلم انى لا أظهر لعبد الا بعد أن يتفرغ من جميع علومه ومعارفه ويدخل حضرة الجبروت فاذا دخل فيها ذلك يشهد المعرفة أصناما والعلوم أزلاما * وقال أيضا قال لي الحق لي معرفة لا جهل فيها لا تقع وجهل لا معرفة فيه لا يبدو وأنا أظهر من الظاهر وأخفى من الباطن وأقرب الى كل شيء من نفسه وجميع ما أظهرته لعبادي من التعرفات لا يحتمل تعرفي الذي لا يبدو فاني لا أنا التعرف ولا أنا العلم ولا أنا كالتعرف ولا أنا كالعلم وليس القرب الذي عرفه عبادي هو القرب الذي أعرفه أنا فلا قربي عرفوا ولا بعدي عرفوا ولا وصفي كما يليق بجلالي عرفوا فانا قريب بعيد بلا مسافة وهم لا يعرفون قربي ولا بعدي * وقال فيها أيضا أوقفني الحق تعالى وقال لي ان أردت ان اتعرف لك فارم علمك بي من وراء ظهرك ولا تدخل حضرتي بعلم ولا جهل وقف من وراء الكون واساله عني تجد الكون جاهلا بي واسال الجهل عني

الالوهية وما يحيله من الامور الخارقة للعادة من احياء الموتى وغير ذلك مما ثبتت به الروايات وجعل ذلك آيات له على صدق دعواه قال وهذه مسئلة في غاية الاشكال لانها تقدح فيما قرره أهل الكلام في العلم بالنبوات فيبطل بهذه الفتنة كل دليل قرره وأي فتنة أعظم من فتنة تقدح في الدليل الذي أوجب السعادة للعباد فالله يجعلنا من أهل الكشف والوجود انتهى فليتأمل ويحرر * وقال انما كان المصلي يسلم تسليمتين لانتقاله من حال الى حال فيسلم بالاولى على من انتقل عنه وبالثانية على من قدم عليه قال وكل مصل لم يغب في صلاته عن غير الله عز وجل فما برح من الاكوان فعلى من يسلم وهو ما برح مع الكون فهلا استحى هذا المسلم من الله حيث يرى الناس بسلامه عليهم انه كان غائبا عند الله فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال الحكمة في رفع الايدي في الصلاة الاعلام بكل شيء حصل في اليدين قد سقط عند رفعهما وكان الحق تعالى يقول معلما للعبد اذا وقفت بين يدي فقف فقيرا محتاجا لا تملك شيأ وكل شيء ملكته يداك فارم به وقف صفر اليدين واجعل ذلك خلف ظهرك فاني في قبلتك قال ولهذا يستقبل بكفيه قبلته (قلت) ذكر الشيخ في الباب التاسع والستين وثلثمائة ما نصه اعلم ان من آداب الوقوف

بين يدي الله تعالى في الصلاة الذل والمسكنة والتكتف شغل العبد الدليل في حال مناجاة سيده وقد وردت السنة

تجده جاهلا بي فاني أنا الظاهر لا كما ظهرت الظواهر وأنا الباطن لا كما بطنت البواطن وشهود عيدي لي مع غيري لا يصح فان أردت أن تعرف الله فلا تجعل الكون من فوقك ولا من تحتك ولا عن يمينك ولا عن شمالك لا في علمك ولا في وجدك ولا في ذكرك ولا في فكرك وانظر من قبل الكون فهناك مقامك فافهم فيه ناظرا الى كيف أخلق الامر * وقال فيها أيضا وقفني الحق تعالى وقال لي ان أردت أن تعرفني فاخرج عن شهود الموصول والمفصول وعن العلم الذي ضده الجهل وعن الجهل الذي ضده العلم وعن المعرفة الى ضدها النكر وأطال في ذلك (فان قلت) فما تقول فيمن أخذ معرفة الحق تعالى من خلف حجاب الحروف والالفاظ الواردة في الكتاب والسنة فهل يسمى عارفا (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الوصايا من الفتوحات ليس هو بعارف بل هو جاهل بالله تعالى وليس له نفحة من نفحات الجود الالهي * قال وايضاح ذلك ان من أخذ معرفة الحق تعالى من الحروف فهو يتردد من كون الى كون بداية ونهاية * وقال الشيخ أيضا في شرحه لترجمان الاشواق من عرف الله بالله فقد عرفه ومن عرفه بالكون فقد عرف ما أعطاه ذلك الكون لا غير فما برح من جنسه * وقال الشيخ أيضا في لواقح الانوار اعلم ان من الناس من أوغل في تحرير الادلة وغرق في التفتيش وكلما اقام بينا أمرا نقضه فكان غاية هذا انه وقف بعد التعب مع قوله تعالى ليس كمثله شيء فهذا قد قطع عمره في التفكر فيمن لا يصح اقتناصه بالفكر وشغل المحل بما نهاه الله تعالى عنه ومن الناس من كان هذا بدايته فاستراح من اول قدم وفرغ المحل فبقي قابلا للمواهب والمعارف * وقال الشيخ في الباب الثالث والسبعين وأربعمائة اعلم ان غاية أمر من خاض في الذات من القدماء والمتصوفة أنهم عجزوا الله عز وجل بذلك واحتجوا بأنه وروهي عليهم لا لهم ثم انهم بعد استيفاء النظر أقروا بالعجز ولو أنهم لزموا الادب مع الله تعالى لكان ذلك الاقرار وقع منهم في أول قدم لكنهم تعدوا حدود الله التي هي أعظم الحدود وجعلوا ذلك قربة اليه والحال انهم في ذلك من أبعد ما يكون عن حضرته تعالى (فان قيل) فما أعلى المحامد التي يثني بها العبد على الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والستين وأربعمائة أعلى المحامد عند جميع المحققين عقلا وشرعا قولنا هو تعالى كما أثنى على نفسه ليس كمثله شيء اذ لا يصح لعبد ان يثني على ربه عز وجل بما لا يعقله العبد وما بقي الا أن يثني عليه العبد بما يعقله فقط ومعلوم ان الحق تعالى من وراء كل ثناء للعبد فيه ثبوت فكل شيء علمته او عقلته كان عين صفتك ولا بد ومن هنا قالوا حقيقة التسبيح هي التسبيح عن التسبيح كقولهم التوبة هي التوبة من التوبة وايضاح ذلك ان التسبيح تنزيه ولا نقص في جانب الحق تعالى يتعقله العبد حتى ينزهه عنه فافهم * وقال أيضا في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة اعلم ان من فهم معنى قوله تعالى ليس كمثله شيء لم يتفكر قط في كنه ذات الحق ابدا وما رأيت أحدا ممن يدعي انه من فحول العلماء من اصناف النظار الا وتكلم في ذات الله تعالى بفكره زاعمين انهم ينزهونه حتى وقع في ذلك ابو حامد الغزالي رحمه الله الا انه رجع عن ذلك قبيل موته * قال الشيخ وكان من فضل الله تعالى على أن حفظني من التفكر في ذاته فلم اعرفه تعالى الا من قوله وخبره وشهوده فبقي الفكر مني معطلا في هذه الحضرة فشكرني شكري على ذلك وقال الحمد لله الذي عصمني بك عن التصرف والتعب فيما لا ينبغي لي أن اتصرف فيه وكان ذلك من مبايعة سابقة فاني كنت قد بايعت فكري ان لا يتعب في التفكر في ذات الله وان يصرف همته في الاعتبار فبايعني على ذلك فلله الحمد على صرفه عن الشغل الذي لم يخلق له واستعماله في الشغل الذي خلق له انتهى * وقال الشيخ أيضا في الباب الثالث والسبعين اعلم ان أكثر الشريعة قد جاءت في فهم العامة في صفات الحق رحمة بهم ولم يجئ على فهم الخواص الا عند التحقيق في قوله ليس كمثله شيء وقوله

بذلك وهو عندي أحسن من ارسال اليدين قال وايضاح ما قلناه ان الله تعالى قسم الصلاة بينه وبين عبده نصفين فجزء منها خالص لله من أولها الى قوله مالك يوم الدين فهذا بمنزلة اليد اليمنى من العبد اشارة للقوة الالهية قال تعالى لاخذنا منه باليمين والجزء الآخر خالص للعبد من قوله اهدنا الى آخر السورة فهذا بمنزلة اليد اليسرى الذي هو الجانب الاضعف الاصغر قال ولما كان جزء منها بين الله وبين عبده وهو قوله اياك نعبد واياك نستعين جمع العبد بين يديه في الصلاة بمجامع المناجاة فكملت صفة العبد بجمعه بين يديه ولو أسبل يديه لم تكمل صفته فانظر الى هذه الحكمة ما أجلاها لذي عينين انتهى ثم لا يخفى انه اذا كان جعل اليدين على الصدر يشغل العبد عن مناجاة ربه فارسالهما أولى والتحقيق ان جعل اليدين على الصدر للكمل الذين لا يشغلهم ذلك عن الله وان ارسالهما أولى لغير الكمل اذ ربما كان وضعهما على الصدر يشغل عن كمال التوجه فليتأمل والله أعلم

* وقال معنى قول العبد في حال اعتداله عن الركوع ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفع من كان له حظ في الدنيا من جاه وديا...

سبحان ربك رب العزة عما يصفون لان العزيز هو المنيع الذى لا يوصل اليه تفكر ولا عقل انتهى
(فان قلت) فاذن لا سبيل للعبد الى التنزيه الخالى عن التشبيه أبدا (فالجواب) كما قاله الشيخ
فى الباب الثانى والسبعين نعم لا سبيل لمخلوق اليه الا برد العلم فيه الى الله تعالى فقد صدق والله أبو سعيد
الخراز حيث قال لا يعرف الله الا الله انتهى (فان قلت) فاذا كان الحق تعالى لا يشبه خلقه فى شئ
مطلقا فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته (فالجواب) ما قاله الشيخ
فى الباب الحادى والستين وثلثمائة ان المراد هنا بالصورة ان الله تعالى جعل كلا من آدم وبنيه
يأمر وينهى ويعزل ويولى ويؤاخذ ويسامح ويرحم ونحو ذلك لكونه خليفة فى الارض اذ
الصورة تطلق ويراد بها الشأن والحكم والامر اى ان الله تعالى جعل آدم يفعل بأمره تعالى ما شاء الله
له فهذا هو معنى الصورة اه * وذكر الجلال السيوطى ان الحديث ورد على سبب وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم رأى شخصا يلطم مملوكه على وجهه فقال لا تفعل هذا فان الله خلق آدم على
صورته فينبغى لك اكرام صورته اه فهذا هو المراد بالصورة والله اعلم (فان قلت) فما معنى حديث
الطبرانى رأيت ربى فى صورة شاب أمرد قطط له وفرة من شعر وفى رجليه نعلان من ذهب الحديث
(فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والستين ان هذه الرؤية كانت فى عالم الخيال ومن شأن
الخيال ان يجسد ما ليس من شانه التجسد من المعانى فيريك الاسلام قبة والعلم لبنا والقيد ثباتا فى الدين
ونحو ذلك فلا شئ فى الكون اوسع من الخيال فانه يحكم بحقيقته على كل شئ وعلى ما ليس بشئ ويصور
العدم المحض والمحال والواجب والممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا قال ولهذا قال النبى صلى
الله عليه وسلم لجابر اعبد الله كأنك تراه وقال ان الله فى قبلة احدكم خطابا لمن هو فى حضرة الخيال
وانما خص وجود الحق بالقبلة فى هذا الباب تخيله تعالى فى القبلة ليراقبه العبد ويستحى منه ويستفهم من
ربه الآية اذا ارتجت عليه فيعلمه الحق تعالى بها من باب الالهام ويلزم الادب فى صلاته فلولا انه
صلى الله عليه وسلم علم ان عند الانسان حقيقة تسمى الخيال لها هذا الحكم ما قال اعبد الله كأنك
تراه اى كانك تراه ببصرك مع ان الدليل العقلى يمنع من كأن لانه تخيل بدليله التشبيه والبصر ما ادرك
شيأ سوى الجدار واطال فى ذلك * ثم قال فما خاطبك الشارع بما قلنا الا لتتخيل انك مواجه للحق
فى قبلتك وان كان الحق تعالى لا يتحيز لانك لا تعقل الحق الا كذلك ما دمت محبوسا فى دائرة عقلك
فاذا اعطاك الحق تعالى القوة التى فوق طور العقل فحينئذ تشهد الحق تعالى من غير تحيز فقد علمت ان
من شأن الخيال ان يصور من يستحيل عليه بالدليل العقلى الصورة والتصور انتهى * وقال فى الباب
الثالث والسبعين انما سمى العقل عقلا لانه مأخوذ من العقال فلا قدم له فى معرفة الحق تعالى فى
مرتبة الاطلاق انتهى * وقال فى الباب الثامن والستين اعلم ان ادنى حجاب حجب به العبد عن رؤية
الحق تعالى هو الصورة التى يقع فى ذهن العبد تجلى الحق فيها فانه تعالى ما هو تلك الصورة المتحيزة
تعالى الله عن ذلك مع ان العبد لا يصح قط ان يرقى عن التجلى الصورى الا ان خرج عن عالم المواد
انتهى (فان قلت) فما حكمة منع المخلوقات من ان تعلم الحق من كل وجه (فالجواب) كما قاله الشيخ
فى الباب الثالث والسبعين ان حكمة ذلك ان تمنع من علم سر القدر اذ لو صح للمعلومات ان تعلم الحق من
كل وجه لعلمت سر القدر ولو علمت سر القدر لعلمت احكامه ولو علمت احكامه لاشتغلت بالعلم بكل شئ
وما احتاجت الى الحق تعالى فى شئ وذلك محال انتهى (فان قيل) قد أخبر الله تعالى بأنه اقرب
الينا من حبل الوريد واذا كان منا بهذا القرب العظيم فكيف جهلناه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى
الباب الخامس والثمانين ان شدة القرب حجاب كما ان شدة البعد حجاب وتأمل الهواء لما كان

استنافه الى ذلك دون الله فاذا انكشف الغطاء يوم القيامة لم ينفعه ماله ولا جاهه عند الله تعالى والله أعلم (وقال) انما
جوز الامام أبو حنيفة
رضى الله تعالى عنه ترك
الطمأنينة فى الاعتدال
وبين السجدتين خوفا
من ترك المسارعة الى
الخيرات المأمور بالمسارعة
اليها فخاف ان اطمأن
ان يفوته ذلك مع انه رضى
الله تعالى عنه قائل
باستحباب الطمأنينة ووجه
هذا القول ان الطمأنينة
لا تنافى المسارعة الى
الخيرات والله أعلم * وقال
انما وقع الاتفاق على
وجوب السجود على
الجبهة واختلفوا فى وجوبه
على الانف لان الانف
ليس بعظم خالص بل هو
الى العضلية اقرب منه
الى العظمية فتميز عن
الجبهة فكانت الجبهة هى
المقصود الاعظم وفى
الحديث أمرت ان اسجد
على سبعة أعظم وبدأ بالجبهة
فافهم * وقال انما امر العبد
أن يقول سبحان ربى الاعلى
وسبحان ربى العظيم باضافة
الرب الى ياء النسبة لان
الرب يتفاضل العلم به من
كل عبد وكل عبد يعتقد
فى ربه خلاف ما يعتقده
غيره مما يقوم فى الخيال
فلذلك كان كل عبد
لا يسبح الا ربه الذى اعتقده
ربا وكم شخص لا يعتقد فى
الرب ما يعتقده غيره بل
فربما كفر غيره فى اعتقاده فى ربه فلو امر العبد أن يسبح الرب مطلقا باعتقاد كل معتقد لسبح هذا الشخص من

بلطافته ملاصقا للباصر كيف لم يدركه البصر وكذلك الماء اذا غطس فيه العبد وفتح عينيه فيه لا يراه لشدة قربه (فان قلت) فاذا كان الحق تعالى منا بهذا القرب العظيم فأين السبعون الف حجاب من النور والظلمة التي اخبرنا الشارع بانها بيننا وبين الحق تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ ان هذه الحجب كناية عن شهود العبد بعده من حضرة الحق تعالى لما يعصى الله تعالى مثلا فهي راجعة الى شهود العبد للحق والحق تعالى لا يحجب وايضاح ذلك ان العبد المؤمن مشتمل على علم وجهل فالعلم يدرك حجب النور والجهل يدرك حجب الظلمة كل بما يناسبه فافهم (فان قلت) فهل يصح رفع حجاب العظمة الذي بين العبد وربه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والخمسين ومائتين لا يصح رفع حجاب العظمة عن الحق تعالى ابدا الذي هو كناية عن عدم الاحاطة به تعالى فلا تقع عين عبد قط الاعلى هذا الحجاب فاذن العبد رآه وما رآه ✻ وقال في الباب الحادي والخمسين ومائتين فسبحان من لا يعلم الا بأنه لا يعلم ✻ وقال في الباب السابع عشر وثلثمائة فسبحان الظاهر الذي لا يخفى وسبحان الخفي الذي لا يظهر وقد حجب تعالى الخلق به عن معرفته واعماهم عن رؤيته بشدة ظهوره فهم منكرون مقرون مترددون حائرون (فان قلت) فعلى ما قررتموه فما معنى قوله تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين ان المراد به ادعو الى طريق الله تعالى الخاصة التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام على حذف مضاف ومن ادعى انه يدعو الى الله حقيقة من غير حذف مضاف قلنا له كيف عرفت من ليس كمثله شئ حتى تدعو الناس اليه فانه لو كان مثله شئ لوقع التماثل وهو تعالى لا يماثل فليس مثله تعالى شئ وليس مثله لاشئ ومن هو كذلك لا يعرف فبطل دعواك معرفته تعالى انتهى ✻ وقد قال بعض العارفين لشخص من مشايخ العصر من اعتقدت القرب حتى دعوت الناس اليه فان قلت اعتقدت قربي من الله تعالى قلنا لك هذا تحديد الحق ومن حد الحق فقد جهل والجاهل لا يكون داعيا وان قلت انما دعوت الناس الى طريق سعادتهم قلنا لك سعادة السعداء من الخلق لم تزل قائمة بهم وما برحت معهم في حال دعائهم اليها وما دعت الا كابرة ومها الا امتثالا لامر ربهم لا غير انتهى (فان قلت) فاذا كان الحق تعالى لا تعقل ذاته فالجهات كلها متساوية في توجهنا له تعالى فلما اذا شرع لنا استقبال الكعبة بالخصوص حال صلاتنا وغيرها (فالجواب) كما قاله الشيخ في لواقح الانوار ان الحكمة في تخصيص الاستقبال بجهة الكعبة كوننا لا تجتمع قلوبنا الا اذا توجهنا الى جهة واحدة لان احدنا ذو جهة فلا يقبل ان يتعقل الا ذا جهة ومن هنا قالوا كل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك واوجبوا على العبد أن ينزه الحق تعالى عما ظهر له ويصرفه عن خاطره فافهم فكان تخصيص توجهنا الى الكعبة شفقة من الحق تعالى علينا ليجمع همنا عليه سبحانه وتعالى والا فسائر الجهات في حقه تعالى سواء قال تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله ✻ قال واعلم انه من اعجب الامور ان العبد يعلم ويتحقق ان الحق تعالى ليس في جهة ثم مع ذلك يغلب وهمه على عقله فلا يشهد الحق تعالى الامتعاليا في جهة الفوق وربما يستدل بعضهم بقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وليس في الآية دليل صريح على ذلك لان المراد يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذابا من فوقهم يعني من السماء او المراد فوقية الرتبة والمكانة لا المكان (وروى) الحكيم الترمذي مرفوعا ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار والملأ الاعلى تطلبونه كما تطلبونه ✻ قال ومن هنا قال المحققون ان علم العبد بأن الله تعالى يراه أكمل في التنزيه من شهود كون العبد كانه يراه لان العبد لا يشهده الا مقيدا غير مطلق وتعالى الله عن التقييد ✻ قال الشيخ وليحذر المصلي حال استقباله الكعبة أن يرى نفسه مستقبلا في جهة معينة بل يرى الجهات كلها متساوية وهي وجه الحق تعالى

لا يعتقده ربا فلذلك قال سبحان ربي الذي اعتقده واعرفه أنا دون غيري والله أعلم (وقال) طالب العلم لغير الله أفضل من الجاهل لانه اذا حصل العلم كما ذكر فقد يرزق التوفيق فيعلم كيف يعبد ربه قال ومن هنا جازت امامة ولد الزنا لانه كالعلم الصحيح عن قصد فاسد غير مرضي عند الله تعالى فهو نتيجة صادقة عن مقدمة فاسدة قال وكما جازت امامة ولد الزنا كذلك جاز الاقتداء بفتوى العالم الذي ابتغى بعلمه الرياء والسمعة فاصل طلبه غير مشروع وحصول عينه في وجود هذا الشخص فضيلة (وقال) لا تصح امامة الجاهل الذي لا يعلم ما يجب مما لا يجب والمقتدى به ضال قال وليس ذلك بمنزلة صلاة المفترض خلف المتنفل فان الامام اذا تنفل وخالف المأموم في نيته فما خالفه فيما هو فرض في الصلاة لان الامام الذي هو المتنفل ما فعل الا ما هو فرض عليه ان يفعله من أركان الصلاة من ركوع وسجود وغير ذلك فما اقتدى الذي نوى الفرض خلف المتنفل الا فيما هو فرض على المتنفل (قلت) وسيأتي في الباب السادس والسبعين وثلثمائة الكلام على تكملة الفرائض بالنوافل يوم القيامة أن الفرائض لا تكمل الا بما هو ركن في النافلة لا بما هو سنة والله أعلم (وقال) انما شرعت الصفوف في الصلاة لتذكر الانسان

عند المحققين ومن توهم ان نفسه قد أحاطت بها الجهات كصورته الظاهرة وبقى الحق فى وهمه كالدائرة المحيطة به فهو لم يشم من معرفة الله تعالى رائحة ولو كان محققا لرأى نفسه لم تحط بها الجهات الست وذلك لانها ليست من عالم الحس فكما يرى نفسه فى غير جهة كذلك يشهد الحق فى غير جهة وأما ظاهر العبد فهو متوجه الى جهة الكعبة فقط فعلم ان رؤية الحق فى غير جهة بالباطن رؤية مطلقة غير مقيدة وأطال فى ذلك * واعلم يا أخى ان مسئلة القول بالجهة قد زل فيها خلق كثير حتى نقل القول بالجهة عن سيدى عبد القادر الجيلى وسيأتى بسط ذلك فى المبحث السابع وفى مبحث الاستواء على العرش ان شاء الله تعالى * وقال الشيخ فى الباب التاسع عشر وثلثمائة اعلم ان الذات المقدس له الغنى على الاطلاق وكيف للمحدث أن يعرف القديم * وقال الشيخ فى الباب الرابع والعشرين والثلثمائة فى قوله تعالى واستغفر لذنبك المراد بالذنب هنا ما يخطر ببال العبد من طلب معرفة ما هو الحق تعالى عليه من الحقيقة التى لا تعرف فى الدارين والمراد بذنبه صلى الله عليه وسلم ذنب أمته فهو المخاطب والمراد به غيره هذا هو اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم وقال فى الباب الستين وثلثمائة ما حرم النظر بالفكر فى ذات الله الا لكون ذلك لا يؤدى صاحبه الى معرفة الحقيقة كما يعرف ذلك كل ذى عقل سليم * وقال فى الباب السابع والستين وثلثمائة ما سمى الحق تعالى نفسه بالباطن الا لبطون العلم بالذات عن جميع الخلق دنيا وأخرى * وقال فى الباب الثالث والسبعين وثلثمائة واذا كانت ذات الحق تعالى غير معلومة فالحكم عليها بأمر دون آخر جهل عظيم * وقال فى الباب التاسع والستين وثلثمائة اعلم ان ذات الحق تعالى لا يعلمها احد من خلق الله تعالى فهى وراء كل معلوم انتهى كلام الشيخ محيى الدين فى جميع ابواب الفتوحات المكية وغيرها * فتأمل يا أخى فيه فانك لا تكاد تجده فى كتاب مجموعا هذا الجمع أبدا ومنه يعلم كل عاقل خارج عن الهوى والتعصب ان الشيخ رضى الله عنه بلغ فى مقام التنزيه لله تعالى ما لا يكاد يرى احدا من الاولياء بلغه وانه رضى الله عنه برىء من القول بالجسمية خلاف ما أشاعه عنه من لا يخشى الله عز وجل وقد صرح فى عقيدته الصغرى بما معناه اعلم ان الحق تعالى ليس بجوهر فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء فهو منزه عن الجهات والاقطار انتهى * وقال فى باب الاسرار انما ذهب جمهور المتكلمين الى انعدام العرض لنفسه ليكون الخالق خلاقا على الدوام وبالجملة فالحق تعالى مباين لخلقه فى سائر المراتب وهو من وراء معلومات جميع الخلق والسلام فتدبر هذا المبحث والله يتولى هداك

(خاتمة) كان الاستاذ أبو اسحق الاسفراينى رحمه الله يقول جميع ما قاله المتكلمون فى التوحيد قد جمعه أهل الحق فى كلمتين * الاولى اعتقاد ان كل ما تصور فى الاوهام فالله بخلافه * الثانية اعتقاد ان ذاته تعالى ليست مشبهة بذات ولا معطلة عن الصفات وقد أكد ذلك تعالى بقوله ولم يكن له كفوا أحد انتهى * واعلم يا أخى ان الحق تعالى هو المنزه نفسه بنفسه * وقد قال الشيخ فى الباب الثانى والسبعين ومائتين ما نصه اعلم ان الحق تعالى انما ينزه عن صفات خلقه بتنزيه التوحيد اياه لا بتنزيه من نزهه من المخلوقين لان تنزيه المخلوق مركب والمأمور بذلك مخلوق فلا يصدر عنه الا ما يشاكله لكن لما تعبدنا الشارع بالتنزيه اقررناه فى موضعه وقلناه كما أمرنا به على جهة القربة اليه مع اعتقادنا انه ليس كمثله شئ فليس التنزيه الذى أمر به العبد هو عين التنزيه الذى نزه الحق تعالى به نفسه (فان قلت) فما الفرق بين التنزيه والتقديس (فالجواب) كما قاله الشيخ فى لواقح الانوار ان الفرق بينهما هو ان التنزيه لا يكون الا مع استشعار توهم نقص فى جانب الحق تعالى وأما التقديس فلا يكون الا فى صفات الكمال والجمال مع عدم استشعار توهم وجود نقص هنالك فعلم ان التقديس أكمل فى حق

بهما وقوفه بين يدى الله تعالى يوم القيامة فى ذلك الموطن المهول والشفعاء من الانبياء والملائكة والمؤمنين بمنزلة الائمة فى الصلاة يتقدمون الصفوف فمن أكثر من هذا التذكر خف هوله وفزعه يوم القيامة بادمان ذلك التذكر (قلت) قد ذكر الشيخ فى الباب السابع والاربعين وثلثمائة ما نصه انما لم يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمين جبريل كما هو شأن المنفرد لانه صلى الله عليه وسلم لما صلى خلفه صباح فرضية الصلاة رأى الملائكة يصلون خلف جبريل فلذلك وقف فى صفهم خلفه ولو انه لم ير الملائكة خلفه لوقف عن يمين جبريل وكذلك اوان الرجل الذى صلى خلف النبى صلى الله عليه وسلم وأمره بالوقوف عن يمينه كان يشاهد من يصلى من الملائكة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمره بالوقوف عن يمينه فراعى صلى الله عليه وسلم حكم ذلك المأموم وليس حكم من لم يشاهد الامور ويبصره حكم من لم يشاهدها انتهى فتأمله * وذكر الشيخ ايضا فى الباب الاحد والثلاثين واربعمائة فى قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن الرجل الرجل فى سلطانه ولا يقعد على تكرمته الا باذنه اى ولو كان الامام الاعظم فى حق آحاد رعيته فانه تحت حكم رب البيت حيثما أقعده قعد مادام

العبد

العبد من التنزيه ولذلك قال الشيخ في باب الاسرار التسبيح تجريح فان من لا يلحقه نقص لا ينزه لكن لما وقع استشعار نقص ما من بعض العبيد حين حملوا الحق تعالى على صفاتهم في بعض المواضع شرع للعبد أن ينزهه عن هذا الشعور وان كان ذلك محالا عند المتأمل * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول تسبيح العلماء بالله تعالى انما هو حكاية عن قول الله تعالى عن نفسه فيقولونه على سبيل التلاوة لسلامتهم من الوقوع في التوهم المشعر بنقص ما رضي الله تعالى عنهم أجمعين وقد قدمنا نظير ذلك في مبحث التوحيد والله تعالى أعلم

* (المبحث الخامس في وجوب اعتقاد أنه تعالى احدث العالم كله من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه) *

وانما علمه تعالى به سبق فلابد ان يخلق ما خلق فهو تعالى غني عن العالمين فاعل بالاختيار لا بالذات وموجود بذاته من غير افتتاح ولا انتهاء بل وجوده مستمر قائم بذاته سبحانه وتعالى هذا كلام المتكلمين ولنبسط الكلام على هذا المبحث بنقول الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه فنقول وبالله التوفيق * ذكر الشيخ في الباب التاسع والعشرين ومائتين من الفتوحات انه لا يجوز ان يقال ان الحق تعالى مفتقر في ظهور أسمائه وصفاته الى وجود العالم لان له الغنى على الاطلاق قلت وهذا رد صريح على من نسب الى الشيخ انه يقول ان الحق تعالى مفتقر في ظهور حضرات أسمائه الى خلقه ولولا خلقه ما ظهر ولا عرفه احد واجمع العقلاء كلهم على انه تعالى لا يتصف بالقدرة على نفسه ولا بالارادة لوجوده لان من شأن الارادة أن لا تتعلق الا بمعدوم والله موجود ومن شأن القدرة أن لا تتعلق الا بممكن او واجب بالغير والله تعالى واجب الوجود لنفسه انتهى (فان قلت) اذا كان الحق تعالى لا يجب عليه شيء فما معنى قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة ونحو قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين فان ذلك مؤذن بان الحق تعالى ليس له ان يخلف ما اوجب على نفسه من الرحمة والنصر للمؤمنين (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والسبعين وثلثمائة ان للحق تعالى ان يوجب على نفسه ما شاء ولكن لا يدخل تحت حد الواجب على عباده من المنع من ترك ذلك الواجب لانه تعالى يفعل ما يريد فله تعالى ان يخالف ما كتبه ويخذل من شاء من المؤمنين ولا يلحقه ذم ولا لوم لان الواحد المختار لا يصح منه ان يلزم نفسه ولو الزمها لا يلزمه الوفاء بخلاف العبد اذا اوجب على نفسه شيأ بالنذر لزمه الوفاء به لدخوله تحت حد الواجب الشرعي ويأثم اذا لم يوف بنذره مع القدرة وذلك كالعقوبة له لكونه اوجب على نفسه ما لم يوجبه الله تعالى عليه وزاحم الحق في التشريع وأما قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين فالمراد به كما قاله الشيخ في الباب الثالث والثلاثين ان العلم الالهي اذا تعلق ازلا بما فيه سعادتنا كان ذلك الوجوب على النسبة من هذا الوجه أي لابد من وجود الطريق الموصلة الى ذلك الامر الذي تعلق به العلم واطال في ذلك ثم قال فعلم ان الحق تعالى لا يجب عليه شيء ولو اوجب هو على نفسه شيأ فله الرجوع عنه من حضرة الاطلاق فان للحق تعالى حضرتين حضرة تقييد نحو قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به فهذه لا يصح شرعا ان يخلف ما اخبر به منها وحضرة اطلاق نحو قوله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ومذهب المحققين من أولياء الله تعالى ان يطلقوا ما اطلقه الحق تعالى ويقيدوا ما قيده الحق أدبا فقطيا ولا يحملوا خاصا على عام ولا عاما على خاص انتهى ويؤيده ما ذكره الشيخ ايضا في الباب الثالث والتسعين ومائتين في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون الى آخر الآية وهو ان للحق تعالى جودين جود مطلق وجود مقيد قال وهذه الآية من الجود المطلق وأما الجود المقيد فهو نحو قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أي اوجب وفرض على نفسه الرحمة لقوم خواص

في سلطانه والخليفة وان كان أكبر منه واعظم لكن حكم المنزل حكم عليه ... مضرة ... وكذلك حكم الخليفة اذا دخل بلاد أحد من نوابه او خليفة آخر هو تحت حكم ذلك الخليفة أو النائب قال وكذلك الحكم اذا دخلنا على الله الذي هو في بيته الذي هو المسجد كان له الحكم فينا بسبب اضافة البيت اليه ولذلك امرنا ان نحييه بركعتين وان لا نعمل فيه الا ما أذن لنا في عمله وقال انما كان الامام لا يحمل عن المأموم شيأ من الاركان بخلاف السنن لان الاركان من فروض الاعيان فلا يجزي فيها نفس عن نفس شيأ بخلاف ما ليس بفرض قال وما عدا الفرض وان كان حقا من حيثما هو مشروع فهو على قسمين قسم جعل له بدل وهو سجود السهو وذلك في الابعاض وقسم هو حق من حيث ترغيب العبد فيه فان شاء عمل به وان شاء تركه وليس له بدل كرفع الايدي في كل خفض ورفع ونحو ذلك فمن سجد في ترك الابعاض كان له اجر من انكى عدوه كما أشار اليه خبر كانتا ترغيما للشيطان والشيطان من الكافرين * وقال تعالى ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح وقد بسط الشيخ الكلام على تكميل الفرائض من النوافل في الباب السادس والسبعين وثلثمائة فراجعه فيما سيأتي

نعتهم بعمل خاص وهو قوله انه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده واصلح الآية فهذا الجود مقيد بالوجود ان هذه صفته بحكم الوعد السابق منه تعالى وهو عوض عن هذا العمل الخاص فان التوبة والاصلاح من الجود المطلق وقد قابل جوده بجوده فما حكم عليه سبحانه سواه ولا قيده غيره فالعبد بين هذين الجودين كانه عرض زائل اه قال وقد بان لك ان وجه الاطلاق مشروع ووجه التقييد معقول كما انه تعالى حجر اطلاق نسبة الولد اليه وادخله تحت حكم لو وكما حجر تعالى تبديل القول الالهي بقوله ما يبدل القول لدي * قال الشيخ والعقل يدل على الاحالة في الولد دلالة عقلية وفي نحو قوله تعالى ولو شاء لهدا كم اجمعين دلالة عقلية وقد دلت لفظة لو على انه تعالى مخير في نفسه ان شاء امرا ما شاءه وان شاء لم يشأ فقد رأيت ورود الاخبار الالهية كما ترى ومع ذلك فالعقل يحيله واطال في ذلك ثم قال فقد بان لك بما قررناه ان الحق تعالى انما اوجب على نفسه بعض امور تأنيسا لنا فيما اوجبه على انفسنا لنا من الصلاة والقربات الشرعية فان اوجبناه لربنا سبحانه وتعالى كالنذر اوجبه علينا التمييز عنه فنعصي بتركه ولو انه تعالى ترك فعل ما اوجبه على نفسه لم يكن له هذا الحكم فما وجب علينا فعل ما اوجبناه على انفسنا الا من حيث ما اوجبه الحق علينا الا من حيث ايجابنا ذلك على أنفسنا فانه لو لم يوجب تعالى علينا ما اوجبناه على انفسنا لم نكن عصاة اذا تركناه واما الحق تعالى اذا وفى بما اوجبه على نفسه فهو فضل منه ومنة ومكارم اخلاق (فان قلت) هذا ظاهر فيما اذا كان الوفاء منه بما وعد من الخير فان كان بما توعد به العصاة من الشر فما حكمه (فالجواب) انه ما ثم شئ يصدر منه تعالى الا وهو خير ولكن الخير على قسمين خير محض وخير ممتزج فالخير المحض هو الذي لا تكرهه النفوس والخير الممتزج هو الذي فيه ضرب من الشر كشرب الدواء الكريه فصاحب هذا الخير كالمعذب المرحوم يجد عذابه اذا تأمله رحمة وتأديبا هذا حكم عصاة الموحدين واما من حقت عليه كلمة العذاب من الاشقياء فذلك في شر محض لا رحمة فيه بوجه من الوجوه نسأل الله تعالى اللطف * وذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والتسعين وماثتين ايضا ما يؤيد اعتقاد اهل السنة والجماعة من ان الحق تعالى لا يجب عليه شئ وهو ان سهل بن عبد الله التستري رضي الله تعالى عنه قال لقيت ابليس مرة فعرفته وعرف مني انى عرفته فوقع بيني وبينه مناظرة فقال لي وقلت له وعلا بيننا الكلام وطال النزاع بحيث انه وقف ووقفت وحار وحرت فكان آخر ما قال لي يا سهل ان الله تعالى قال ورحمتي وسعت كل شئ نعم ولا يخفى عليك انى شئ ولفظة كل تقتضي الاحاطة والعموم الا ما خص وشئ انكر النكرات فقد وسعتني رحمته انا وجميع العصاة فبأى دليل تقولون ان رحمة الله لا تنالنا قال سهل فوالله لقد أخرسني وحيرني بلطافة سياقه وظفره بمثل هذه الآية وفهمه منها ما لم اكن أفهمه وعلمه من دلالتها ما لم اكن أعلمه فبقيت حائرا متفكرا واخذت اردد الآية في نفسي فلما جئت الى قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الى آخر النسق فسررت بها وظننت انى قد ظفرت بحجة وظهرت عليه بما يقصم ظهره فقلت له تعال يا ملعون ان الله تعالى قد قيدها بنعوت مخصوصة تخرجها عن ذلك العموم فقال فسأكتبها للذين يتقون الى آخر النسق فتبسم ابليس وقال يا سهل التقييد صفتك لا صفته تعالى ثم قال يا سهل ما كنت اظن ان يبلغ بك الجهل بالله ما رأيت ولا ظننت انك ههنا ليتك سكت ليتك سكت قال سهل فرجعت الى نفسي وغصصت بريقي واقام الماء في حلقي وما وجدت له جوابا ولا سددت في وجهه بابا وعلمت انه طمع في مطمع وانصرف وانصرفت ووالله ما أدري بعد هذا ما يكون فان الله تعالى ما نص بما يرفع هذا الاشكال فبقي الامر عندي على المشيئة منه في خلقه لا احكم عليه في ذلك الا بما حكم به على نفسه من حيث وجوب الايمان به انتهى كلام سهل قال الشيخ محيي الدين وكنت قديما اقول

* وذكر الشيخ في الكلام على صلاة الجنازة ان من انتقص من صلاته شيأ فان الله لا يقبله ناقصا ولكن يضم بعض الصلوات الى بعض فان كانت له مائة صلاة مثلا وفيها نقص كملت بعضها من بعض ثم ادخلت حضرة الحق كاملة فتصير المائة صلاة مثلا ثمانين صلاة او خمسين او عشرين أو عشرة أو غير ذلك هكذا حكم صلاة الثقلين واما صلاة الملائكة والحيوان والجماد والنبات فكلها كاملة لا يدخلها نقص انتهى والله أعلم وسيأتي شرح حديث لا يقبل من صلاة المرء الا ما عقل منها في الباب السادس والسبعين وثلثمائة فراجعه وكذلك سيأتي في الباب الاخير من الكتاب ما نصه اعلم انه لا يسمى نفلا الا ماله اصل في الفرائض واما ما لا أصل له في الفرائض فهو انشاء عبادة مستقلة يسميها بعضهم بدعة وسماها الشارع سنة حسنة وان سنها اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة من غير أن ينقص من اجورهم شيأ قال ولما لم يكن من قوة النفل ان يسد مسد الفرض جعل الشارع في نفس النفل فروضا يجبر النفل بالفرائض كصلاة النافلة بحكم الاصل ثم انها تشتمل على فرائض من ذكر وركوع وسجود مع كونها في الاصل نافلة وهذه الاقوال والافعال فرائض فيها فيه

مارأيت اقصر حجة من ابليس ولا اجهل منه فلما وقفت له على هذه المسئلة التى حكاها عنه سهل رضى الله تعالى عنه تعجبت وعلمت ان ابليس قد علم علما الاجهل فيه فله رتبة الافادة لسهل فى هذه المسئلة انتهى فقد بان لك ان الله تعالى خلق العالم كله من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه (وأما) وجه كونه تعالى غنيا عن العالمين فقد قال الشيخ رحمه الله فى الباب الثانى والسبعين ان الله تعالى لم يوجد العالم لافتقاره اليه وانما الاشياء فى حال عدمها الامكانى لما طلبت وجودها من هى مفتقرة اليه بالذات وهو الله تعالى لا تعرف غيره فلما طلبت بفقرها الذاتى من الله تعالى ان يوجدها قبل الحق تعالى سؤالها الا من حاجة قامت به اليها الا انها كانت مشهودة له تعالى فى حال عدمها النسبي كما هى مشهودة له فى حال وجودها سواء فهو يدركها سبحانه على ماهى عليه فى حقائقها حال وجودها وعدمها بادراك واحد فلهذا لم يكن ايجاده للاشياء عن فقر بخلاف العبد فان الحق تعالى ولو اعطاه حرف كن واراد ايجاد شئ لا يوجده الا عن فقر اليه وحاجة فما طلب العبد الاما ليس عنده ا يكون عنده فقد افترق ايجاد العبد عن ايجاد الحق تعالى قال الشيخ وهذه مسئلة لو ذهبت عينك جزاء تحصيلها لكان قليلا فى حقها فانها مزلة قدم زل فيها كثير من اهل الله تعالى والتحقوا فيها بمن ذمهم الله تعالى فى قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء انتهى (فان قلت) قد نقل بعضهم عن الشيخ انه كان ينشد

الكل مفتقر ما الكل مستغنى * هذا هو الحق قد قلنا ولا نكنى

(فالجواب) ان مثل ذلك مدسوس عليه فى كتاب الفصوص وغيره فان هذا نصه يكذب الناقل عنه خلاف ذلك * وقال ايضا فى الباب الحادى والستين وثلثمائة فى قوله تعالى ان الله لغنى عن العالمين أى غنى عن وجود العالم لكن لما اظهر الله الاسباب ورتب ظهور بعضها على ظهور بعض زل نظر بعضهم فقال ان الله تعالى غنى عن وجود العالم لا عن ثبوته ففهم بعض المقلدين من هذه العبارة رائحة الافتقار من حيث ترتيب الظهور مع غفلته عن كون ذلك فعل مختار فى الاصل غنى عن العالمين فزلت بهذا قدم الغرور فى مهواة من التلف فانه لا يلزم من كون العالم ثابتا فى العلم الالهى الافتقار الى وجوده فان من كان غنيا عنه وعن ايجاده لا يوصف بافتقار اليه واذا تعارض عند العاقل مزلات الاقدام فليكن مع وصف الحق تعالى بالكمالات فانه حينئذ ناصر جناب الحق * قال وايضاح ذلك ان تعلم يا اخى ان العلم لما تعلق بالعلم من حيث ثبوته فيه اكتفى بذلك ثم ان شاء الحق تعالى أوجده الى عالم الشهادة وان شاء لم يوجده فهو تعالى ولو اوجده لا يوصف بالافتقار اليه بل هو مستغن عن وجوده وقد وفى الالوهية حقها بكونه ممكنا ولولا ان الممكنات طلبت من الله بلسان الافتقار ان يذيقها طعم الوجود كما اذاقت طعم العدم ما اظهرها تعالى فانها سألت بلسان ثبوتها فى علم واجب الوجود ان يخرجها من العدم ويوجد اعيانها ليكون العلم لها ذوقا فأوجدها تعالى لها لا له اذ هو الغنى عن وجودها وعن أن يكون وجودها دليلا عليه وعلامة على ثبوته بل عدمها فى ترك الدلالة اظهر من وجودها فأى شئ رجح من عدم او وجود حصل به المقصود من العلم بكمال الحق جل وعلا قال فلهذا قلنا ان غناه عن العالم هو عين غناه عن وجود العالم وهذه مسئلة غريبة لان فيها اتصاف الممكن بالعدم فى الازل وكون الازل لا يقبل الترجيح وكيف قبله عدم الممكن مع ازليته فى العلم وذلك انه من حيث ماهو ممكن فى نفسه استوى فى حقه القبول للحكمين فما يفرض له حال عدم ولا يفرض له حال وجود الا كان له الحكم فيه فى حال فرضه فهو مرجح فان الترجيح ينسحب على الممكن ازلا فى حال عدمه وان كان منعوتا بعدم المرجح (وايضاح ذلك) ان الترجيح من المرجح الذى هو اسم فاعل لا يكون

فعلم انه لا يصح نقل الا بعد كمال فرض وان فى النفل عينه فروض ونوافل فيما من الفروض تكمل الفرائض والله أعلم وقال مذهب الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه عدم الفتح على الامام اذا ارتج عليه ومذهب ابن عمر الفتح ووجه مذهب على ان الامام فى مقام النيابة عن الحق تعالى فى تلاوة كلامه على العباد ولا ينبغى لمخلوق أن يكون له على الحق ولاية فافهم * وقال فى حديث اذا قال العبد الله أكبر يعنى فى صلاته يقول الله تعالى انا أكبر فاذا قال العبد لا اله الا أنت فيقول الله لا اله الا أنا الخ فاذا كان الحق تعالى لا يقول شيأ من ذلك الا حتى يقول العبد فالعبد أولى بالاتباع لامامه انتهى وهذا استنباط حسن (وقال) فى فصول الجمعة الذى أذهب اليه ان صلاة الجمعة قبل الزوال لانه وقت لم يشرع فيه فرض (قلت) وفى تعليله نظر فليتأمل والله اعلم * وقال الذى أذهب اليه ان المسجد اذا كان له ثلاث مؤذنون ان يؤذن واحد بعد واحد ولا يؤذن ثلاثة معا ولا اثنان معا لانه خلاف السنة قال واذا أذن الثلاثة واحدا بعد واحد يقول الاول حى على الصلاة ويقول الثانى حى على الصلاة فى الجماعة ويقول الثالث حى على الصلاة فى الجماعة فى هذا اليوم فيعلم كل مؤذن بحال لم يعلم بها الآخر انتهى فليتأمل ويحرر * وقال الذى

الامع القصد لذلك والقصد حركة معنوية يظهر حكمها في كل قاصد بحسب ما تعطيه حقيقته فان كان عسوسا شغل حيزا وفرغ حيزا آخر وان كان معقولا ازال معنى وأثبت معنى ونقل من حال الى حال انتهى * وحاصل كلام الشيخ انه لا يقال ان الحق تعالى غني بما تضمنه علمه القديم من حيث ثبوت العالم فيه اذ العالم هو معلوم علمه تعالى وعلم بلا معلوم لا يصح فمن قال ان الله تعالى غني عن ثبوت المعلومات في علمه كانه قال ان الحق تعالى غني عن علمه على حد سواء وذلك محال فافهم فرجع الامر الى انه تعالى غني عن ابراز العالم من مكنون علمه الى عالم الشهادة لا غني عن ثبوته في علمه فليتأمل ويؤيد ما فهمناه قول الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى البارئ اعلم ان الحق تعالى من وراء جميع المعتقدات لانه غني عن العالمين لكن لا بد من تخيل وجود العالم الثاني في الذهن ليثبت له تعالى الغنى عنه كما يقال في صاحب المال انه غني بالمال عن المال اذ المال هو الموجب له صفة الغنى عنه فلا بد من وجود المال لتصور صفة الغنى عنه * قال الشيخ وهذه مسئلة دقيقة لطيفة الكشف فان العالم بسبب الثناء عليه تعالى من حيث وجود العالم كما انه تعالى لا ينزه عن صفاتنا الا بنا فما وقع الثناء عليه الا مع تصور وجودنا فهو غني عنا بنا في الدائرة العقلية لا الكشفية فان كونه تعالى غنيا انما هو بغناه عنا فلا بد من ثبوت هذا الغنى له تعالى قال ومن اراد ان يقرب عليه تصور هذا الامر فلينظر الى ما سمى الحق تعالى به نفسه من كل اسم يطلب العالم فان الخالق يطلب مخلوقا والرازق يطلب مرزوقا والرحمن يطلب مرحوما والرب يطلب مربوبا وهكذا فلم يتعقل قط الغنى عنا الا بنا قال ومن هنا قال سهل بن عبد الله ان للربوبية سرا لو ظهر لبطل حكم الربوبية ومعنى ظهر زال كما يقال ظهر السلطان من البلد اذا خرج عنه انتهى * وقال الشيخ أيضا في الباب الاربعين ومائة المراد بكون الحق تعالى غنيا عن العالمين اى غني عن العالم من حيث دلالة العالم عليه اذ لو خلق تعالى العالم للدلالة عليه لكان للدليل فخر وسلطنة على المدلول وما صح للحق تعالى الغنى عنه فكان الدليل لا يبرح عن مرتبة لزهو لكونه افاد الدال امرا لم يتمكن للمدلول ان يوصل اليه الا به فكان يبطل الغنى عن العالمين فسقط بذلك قول من قال ان الله تعالى خلق العالم للدلالة عليه فان الله تعالى ما نصب الادلة لتدل عليه وانما نصبها لتدل على المرتبة ليعلم العبد انه تعالى له واحد لا اله الا هو انتهى * ويؤيد ذلك أيضا قول الشيخ في الباب الستين من الفتوحات في قوله تعالى ان الله غني عن العالمين اى غني عن الدلالات عليه اذ العوالم كلها دلالات كانه تعالى يقول ما خلقت العالم كله الا ليدل على نفسه وليظهر له عجز نفسه وفقرها وحاجتها الى لانه ما ثم في الوجود دليل على لانه لو كان في الوجود دليل على لربطني به فكنت مقيدا به واما الغنى الذى لا يقيدني وجود الادلة ولا يدل على ادلة المحدثات قالوا كثر الناظرين في هذه المسئلة يتوهمون ان الكون دليل على الله لكونهم ينظرون في نفوسهم فيستدلون وما علموا ان كونهم ينظرون راجع الى حكم كونهم متصفين بالوجود فالوجود هو الناظر حقيقة وهو نور الحق تعالى لا نورهم فان ذات احدهم لو لم تتصف بالوجود فبماذا كان ينظر ومن هنا صح قول من قال عرفت الله بالله وهو مذهب الجماعة اه * وقال الشيخ أيضا في شرحه لترجمان الاشواق جميع الادلة التى نصبها الحق تعالى ادلة قد محاها بقوله ليس كمثله شئ فأوقف العالم كله في مقام الجهل والعجز والحيرة ليعرف العارفون انه ما طلب منهم من العلم وما لم يطلب منهم فيتأدبون ولا يجاوزون مقاديرهم انتهى وقال في باب الاسرار من الفتوحات (مه) ان العالم علامة بدوه عن فهو علامة على من فما ثم الا الله وفعله وما لا يسع جهله انتهى كلام الشيخ رحمه الله * وقد بان لك انه رضى الله تعالى عنه برئ من القول بان الحق تعالى يوصف بكونه مفتقرا الى العالم وانه تعالى هو الغنى على الاطلاق وان العالم لا ينفك

أقول بجواز اقامة جمعتين في مصر واحد لانه لم يأت في المنع من ذلك نص في كتاب ولا سنة قال وكذلك أقول ان خطبة الجمعة ليست بفرض انما هى سنة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نص على وجوبها ولا ينبغى لنا أن نشرع وجوبها ولم تزل الائمة يصلونها بخطبة كما في صلاة العيدين مع اجماعنا ان خطبتهما سنة قال ووجه من قال بالوجوب أنه تاول قوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله يعنى سماع المواعظ في الخطبة وهو وجه ظاهر أيضا واطال في ذلك ثم قال وما لم يرد لنا نص في ايجاب الخطبة ولا تعيين ما يقال فيها اصح عندنا ان لا نجزم بوجوب بل الواجب أن نفعل مثل ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل على طريق التأسى لا على طريق الوجوب قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فنحن مأمورون باتباعه فيما سن وفرض فنجزى من الله فيما فرض جزاء فرضين فرض الاتباع وفرض الفعل الذى وقع فيه الاتباع ونجازى فيما سن ولم يفرضه جزاء فرض وسنة فرض الاتباع وسنة الفعل الذى لم يوجبه فان اجترى ذلك الفعل على فرائض جوزينا جزاء الفرائض عما فيه من الفرائض ومثال

طرفة عين عن الافتقار الى الله تعالى وانه تعالى ما اظهر العالم من مكنون علمه الا ليسبغ عليه نعمه حال وجوده الى عالم الشهادة لاغير وهو معنى قول بعضهم ان الله تعالى اوجدنا لا لاحاجة منه الينا لنقوم بالتكاليف اذ الحق لا يكلف نفسه انتهى والله اعلم *(خاتمة)* (ان قيل) هل يصح لاحد الغنى بالله عن الكون (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والعشرين ومائة انه لا يصح لاحد الغنى بالله حقيقة انما حقيقة الاستغناء ترجع الى الاسباب وجلت ذات الحق تعالى ان تكون محلا لمثل ذلك وايضاح ذلك ان الله تعالى ما وضع الاسباب الا ليزيل بها فاقة المخلوقين فما استغنى احد الا بالكون ولا يصح الغنى عن الكون بحكم العموم وانما يصح الاستغناء عن مخلوق ما بغيره فقول بعضهم فلان مستغن بالله جهل وانما التحقيق ان العبد مستغن بما من الله لا بالله فاذا جاع امر بالاكل فزال جوعه عند الاكل لا بالاكل فافهم والله تعالى اعلم

(المبحث السادس فى وجوب اعتقاد انه تعالى لم يحدث له بابتداعه العالم فى ذاته حادث وانه لا حلول ولا اتحاد)

اذ القول بذلك يؤدى الى انه فى أجواف السباع والحشرات والوحوش وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واعلم ان هذه المسئلة مما اشاعها الحاسدون على الشيخ محيى الدين كما مر فى خطبة الكتاب وها انا اجلى عليك عرائس كلامه فى أبواب الفتوحات لتعلم يقينا براءة الشيخ من مثل ذلك اذ هو جهل محض * فاقول وبالله التوفيق قال الشيخ فى عقيدته الصغرى تعالى الحق تعالى ان تحله الحوادث او يحلها وقال فى عقيدته الوسطى اعلم ان الله تعالى واحد باجماع ومقام الواحد يتعالى ان يحل فيه شئ أو يحل هو فى شئ أو يتحد بشئ * وقال فى الباب الثالث من الفتوحات اعلم انه ليس فى احد من الله شئ ولا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجوه * وقال فى باب الاسرار لا يجوز لعارف ان يقول انا الله ولو بلغ اقصى درجات القرب وحاشا العارف من هذا القول حاشاه انما يقول انا العبد الذليل فى المسير والمقيل * وقال فى الباب التاسع والستين ومائة القديم لا يكون قط محلا للحوادث ولا يكون حالا فى المحدث وانما الوجود الحادث والقديم مربوط بعضه ببعض ربط اضافة وحكم لا ربط وجود عين بعين فان الرب لا يجتمع مع عبده فى مرتبة واحدة ابدا وغاية الامر ان يجتمع بين العبد والرب فى الوجود وليس ذلك بجامع انما يكون الجامع بين العبد والرب بنسبة المعنى الى كل واحد منهما على حد نسبته الى الآخر ولسنا نعنى اطلاق الالفاظ ومعلوم ان نسبة المعنى الى كل واحد منهما على حد نسبته الى الآخر غير موجودة انتهى * وقالت الولية الكاملة سيدة العجم فى شرح المشاهد اعلم ان العبودية مرتبطة بالربوبية ارتباط مقابلة كارتباط حرف لا اذ كل واحد من هذين الحرفين الذين قد صارا واحدا فى النظر متوقف على الآخر عند وضع حقيقة هذا الحرف انتهى (فان قيل) فما معنى حديث فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به ورجله التى يمشى بها ويده التى يبطش بها فان جماعة كثيرة فهموا منه وجود اتحاد الحق تعالى بالعبد وحلوله فيه (فالجواب) ان معنى كنت سمعه الخ ان ذلك الكون الشهودى مرتب على ذلك الشرط الذى هو حصول المحبة فمن حيث الترتيب الشهودى جاء الحدوث المشار اليه بقوله كنت سمعه لا من حيث التقرير الوجودى قاله الاستاذ سيدى على بن وفا رحمه الله * وقال الشيخ محيى الدين فى الباب الثامن والستين فى الكلام على الاذان المراد بكنت سمعه وبصره الى آخره انكشاف الامر ان تقرب اليه تعالى بالنوافل لا انه لم يكن الحق تعالى سمعه قبل التقرب ثم كان الآن تعالى الله عز وجل عن ذلك وعن العوارض الطارئة قال وهذه من أعز المسائل الالهية انتهى (فان قلت) فلم ذكر تعالى فى هذا الحديث

ذلك نافلة الصلاة ونافلة الحج فانها عبادة تحتوى على أركان وسنن وأما صدقة التطوع فما فيها شئ من الفرائض * وقال انما شرع قراءة سورة الجمعة فى صلاة الجمعة لما فيها من المناسبة والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما قراءة سبح اسم ربك الاعلى فلما فيها من تنزيه الحق عما يظهر فى هذه العبادة من الافعال وقد سمى نفسه تعالى انه يصلى فتسبحه عن هذا التخيل الذى تخيل النفس من قوله يصلى فناسب سبح اسم ربك الاعلى وهذا المعنى نظير الوتر فانها شرعت فى صلاة الوتر لينزه عما يتخيل من صورة الوترية المفهومة من المخلوقات وأما قراءة اذا جاءك المنافقون وسورة الغاشية فلمناسبته لما تضمنته الخطبة من الوعد والوعيد فتكون القراءة فى الصلاة تناسب ما ذكره الامام فى الخطبة وقد قال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة *وقال شرط من يناجى ربه أن يشاهده بقلبه ومتى تحدث فى صلاته مع غير الله فما هو المصلى الذى يناجى ربه ويشاهده بل لا يتميز مخلوق قط أن يحدث من هذه حالته *وقال يوم الجمعة أفضل أيام الاسبوع وقد غلط من فاضل بينه وبين يوم عرفة وعاشوراء لان ذلك يرجع الى مجموع أيام السنة لا الى ايام الاسبوع ولهذا قد يكون يوم الجمعة يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم الجمعة ويوم الجمعة لا يتبدل

الصور الحسية من السمع والبصر ونحوهما دون القوى الروحانية كالخيال والحفظ والفكر والتصور والوهم والعقل وما وجه تخصيص الحسية (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والاربعين وثلثمائة انه تعالى ما ذكر الحواس الظاهرة الا لكونها مفتقرة الى الله لا الى غيره بخلاف القوى الروحانية فانها مفتقرة الى الحواس والحق تعالى لا ينزل منزلة من يفتقر الى غيره بخلاف من هو مفتقر اليه تعالى وحده لم يشرك به احدا فقد بان لك ان الحواس الظاهرة اتم لكونها هي التي تهب للقوى الروحانية ما يتصرف فيه وما به يكون حياتها العلمية والله اعلم * وقال الشيخ أيضا في الباب الخامس والستين وثلثمائة لولا نداء الحق تعالى لنا وندا ؤنا له ما تميز عنا ولا تميزنا عنه فكما فصل تعالى نفسه عنا في الحكم كذلك فصلنا نحن انفسنا عنه فلا حلول ولا اتحاد انتهى * وقال في باب الاسرار من قال بالحلول فهو معلول فان القول بالحلول مرض لا يزول ومن فصل بينك وبينه فقد أثبت عينك وعينه ألا ترى قوله كنت سمعه الذي يسمع به فأثبتك باعادة الضمير اليك ليدلك عليك وما قال بالاتحاد الا اهل الالحاد كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول فانه اثبت حالا ومحلا فمن فصل نفسه عن الحق فنعم ما فعل ومن وصل فكأنه شهد على نفسه بأنه كان منفصلا حتى اتصل والشئ الواحد لا يصل نفسه وما ثم الا ذاته ومصنوعاته انتهى * وقال في باب الاسرار أيضا الحادث لا يخلو عن الحوادث لو حل بالحادث القديم لصح قول اهل التجسيم فالقديم لا يحل ولا يكون محلا ومن ادعى الوصل فهو في عين الفصل انتهى * وقال في هذا الباب ايضا انت انت وهو هو فاياك ان تقول كما قال العاشق * أنا من أهوى ومن أهوى أنا * فهل قدر هذا ان يرد العين واحدة لا والله ما استطاع فانه جهل والجهل لا يتعقل حقا ولا بد لكل أحد من غطاء ينكشف عند لقاء الله * وقال فيه ايضا اياك ان تقول انا هو وتغالط فانك لو كنت هو لأحطت به كما احاط تعالى بنفسه ولم تجهله في مرتبة من مراتب التنكرات * وقال فيه ايضا اعلم أن العاشق اذا قال أنا من اهوى ومن اهوى أنا فان ذلك كلام بلسان العشق والمحبة لا بلسان العلم والتحقيق ولذلك يرجع احدهم عن هذا القول اذا صحا من سكرته انتهى * وقال في الباب الثاني والتسعين ومائتين من اعظم دليل على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم ان تعلم عقلا ان القمر ليس فيه من نور الشمس شئ وان الشمس ما انتقلت اليه بذاتها وانما كان القمر محلا لها فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شئ ولا حل فيه * وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلام طويل وهذا يدلك على ان العالم ما هو عين الحق ولا حل فيه الحق اذ لو كان عين الحق او حل فيه لما كان تعالى قديما ولا بديعا انتهى وقال في الباب الرابع عشر وثلثمائة لو صح ان يرقى الانسان عن انسانيته والملك عن ملكيته ويتحد بخالقه تعالى لصح انقلاب الحقائق وخرج الاله عن كونه الها وصار الحق خلقا والخلق حقا وما وثق أحد بعلم وصار المحال واجبا فلا سبيل الى قلب الحقائق أبدا * وقال في الباب الثامن والاربعين لا يصح ان يكون الخلق في رتبة الحق تعالى ابدا كما لا يصح ان يكون المعلول في رتبة العلة * وقال في لواقح الانوار من كمال العرفان شهود عبد ورب وكل عارف نفى شهود العبد في وقت ما فليس هو بعارف وانما هو في ذلك الوقت صاحب حال وصاحب الحال سكران لا تحقيق عنده * وقال في الباب السابع والستين وثلثمائة اجتمعت بروح هرون عليه السلام في بعض الوقائع فقلت له يا نبي الله كيف قلت فلا تشمت بي الاعداء ومن الاعداء حتى تشهدهم والواحد منا يصل الى مقام لا يشهد فيه الا الله فقال لي السيد هرون عليه الصلاة والسلام صحيح ما قلت في مشهدكم ولكن اذا لم يشهد احدكم الا الله فهل زال العالم في نفس الامر كما هو في مشهدكم أم العالم باق لم يزل وحجبتم أنتم عن شهوده لعظيم ما تجلى

لا يكون أبدا يوم السبت ولا غيره من الايام وذلك لان فضل يوم الجمعة ذاتي لعينه وفضل يوم عرفة وعاشوراء ونحوهما لامور عرضت اذا وجدت في أي يوم كان من أيام الاسبوع كان الفضل لذلك اليوم لهذه الاحوال العوارض ولهذا قال بعضهم الغسل لاجل اليوم لا لاجل الصلاة (وقال) انما قرن البيضة مع الحيوان في حديث التبكير الى الجمعة لان منها وفيها تكون الدجاجة وما في معناه من الحيوان الذي يبيض قال وانما ذكر من الحيوان ما يؤكل بلا خلاف من البدنة والبقرة والكبش والدجاجة لان بذلك تعظم قوة الحياة في الشخص المتغذي فكان المتقرب بذلك الحيوان تقرب بحياته والتقرب الى الله تعالى بالنفس أسنى القربات فهذا نكتة كونه لم يذكر في التقرب الا الحيوان الذي يؤكل دون غيره * وقال الذي أقول به أن الساعات التي وردت في فضل الرواح محسوبة من وقت النداء الاول الى أن يبتدئ الامام بالخطبة ومن بكر قبل ذلك فله من الاجر بحسب بكوره مما يزيد على البدنة مما لم يوقته الشارع * قال والسعي الى الجمعة سعيان سعي مندوب اليه وذلك من أول النهار الى وقت النداء وسعي واجب وهو من وقت النداء الى أن يدرك الامام راكعا من الركعة الثانية * وقال

القرب بكم فقلت له العالم باق في نفس الامر لم يزل وانما حجبنا نحن عن شهوده فقال قد نقص علمكم بالله في ذلك المشهد بقدر ما نقص من شهود العالم فانه كله آيات الله أفادني عليه الصلاة والسلام علما لم يكن عندي انتهى * وقال في باب الاسرار لا يترك الأغيار الا الاغيار فلو ترك تعالى الخلق من كان يحفظهم ويلحظهم لو تركت الاغيار لتركت التكاليف التي جاءت بها الاخبار ومن ترك التكاليف كان معاندا عاصيا او جاحدا فن كمال التخلق باسماء الحق الاشتغال بالله و بالخلق انتهى * وقال في لواقح الانوار القدسية لا يقدر أحد ولو ارتفعت درجات مشاهده أن يقول ان العالم عين الحق أو انحد به ابدا وانظر الى ذاتك يا أخي تعلم قطعا انك واحد لكن تعلم ان عينك غير حاجبك و يدك غير رجلك الى غير ذلك وان هذه الاعضاء تفاصيل في عين ذاتك لا يقال انها غيرك قال ومن فهم ما أوما ما اليه فهو الذي يفهم قوله تعالى قل الروح من امر ربي فلم يحدث بابتداعه العالم في ذاته حادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا انتهى * وقال ايضا في الباب الثاني والسبعين والثلثمائة بعد كلام طويل و بالجملة فالقلوب به هائمة والعقول فيه حائرة يريد العارفون ان يفصلوه تعالى بالكلية عن العالم من شدة التنزيه فلا يقدرون و يريدون ان يجعلوه عين العالم من شدة القرب فلا يتحقق لهم فهم على الدوام متحيرون فتارة يقولون هو وتارة يقولون ماهو وتارة يقولون هو ماهو و بذلك ظهرت عظمته تعالى انتهى وقد انشد الشيخ محيي الدين في هذا المعنى

ومن عجبي أني احن اليهم * وأسأل عنهم دائما وهم معي
وتبكيهم عيني وهم في سوادها * وتشتاقهم روحي وهم بين اضلعي

وكان سيدي على بن وفا رحمه الله يقول انما كانت القلوب تحن الى التنزيه أكثر من التشبيه لان من شأن الذات الاطلاق لذاتها وتساوي النسب لصفاتها انتهى * وكان يقول ايضا المراد بالاتحاد حيث جاء في كلام القوم فناء مراد العبد في مراد الحق تعالى كما يقال بين فلان وفلان اتحاد اذا عمل كل منهما بمراد صاحبه ثم ينشد

وعلمك أن كل الامر امري * هو المعنى المسمى باتحاد

انتهى ولعمري اذا كان عباد الاوثان لم يتجرؤا على ان يجعلوا آلهتهم عين الله بل قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكيف يظن باولياء الله تعالى انهم يدعون الاتحاد بالحق على حد ما تتعقله العقول الضعيفة هذا كالمحال في حقهم رضي الله تعالى عنهم اذ ما من ولي الا وهو يعلم أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وانها خارجة عن جميع معلومات الخلائق لان الله بكل شئ محيط وسمعت شيخنا سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول لا يجوز أن يقال انه تعالى في كل مكان كما تقوله المعتزلة والقدرية محتجين بنحو قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض لايهامه انه يحل بذاته في ذلك المكان انتهى وسيأتي بسط ذلك في المبحث الثامن ان شاء الله تعالى * وسمعت أخي الشيخ الصالح زين العابدين سبط المرصفي رحمه الله يقول المراد بكون الحق في السموات والارض نفوذ الاوامر والنواهي ووقوع الحوادث على وفق الارادة والله أعلم * فكذب والله وافترى من نسب القول بالحلول والاتحاد والتجسيم الى الشيخ محيي الدين وهذه نصوصه كلها تكذب هذا المفترى والله تعالى أعلم

(خاتمة) ذكر الشيخ في الباب الخامس عشر وثلثمائة ما يؤيد ما قلناه في الرد عنه وذلك انه قال لا اعرف في عصري هذا أحدا تحقق بمقام العبودية مثلي وذلك أني بلغت في مقام العبودية الغاية بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانا العبد المحض الخالص الذي لا يعرف للربوبية على احد من العالم

في فصول صلاة السفر الذي أقول به ان القصر جائز في كل سفر قريبا كان أو بعيدا مباحا كان أو معصية وأما الى في استدلاله على ذلك * وقال قد اجمع العلماء كلهم على جواز الجمع بين الظهر والعصر في أول وقت الظهر بعرفة وعلى الجمع بين المغرب والعشاء بتأخير المغرب الى وقت العشاء بمزدلفة واختلفوا فيما عدا هذين المكانين والذي أذهب اليه أنه لا يجوز الجمع في غير عرفة ومزدلفة لان أوقات الصلاة قد ثبتت بلا خلاف ولا يجوز اخراج صلاة عن وقتها الا بنص غير محتمل اذ لا ينبغي ان يخرج عن أصل ثابت بامر محتمل هذا لا يقول به من شم رائحة العلم وكل حديث ورد في ذلك محتمل ان يتكلم فيه مع احتماله أو هو صحيح لكنه ليس بنص قال واما الجمع بين الصلاتين في الحضر لغير عذر فهو موافق لقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج ولحديث دين الله يسر ولقول ابن عباس في جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الصلاتين في الحضر من غير عذر انه أراد ان لا يحرج أمته قال وبذلك قال جماعة من أهل الظاهر وهو مذهب مرجوح وخالفهم الجمهور (قلت) رأيت في كتاب رحمة الامة في اختلاف الائمة عن محمد بن سيرين وعن ابن المنذر انه يجوز لمن رأى حاجة ان يقدم الصلاة عن وقتها ما لم يتخذ ذلك

لمعا قال وقد منحنى الله تعالى هذا المقام هبة منه ولم أناله بعمل انما هو اختصاص الهى وأرجو من الله أن يمسكنى على هذا المقام ولا يحول بينى وبينه حتى ألقاه فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون والله تعالى اعلم فتأمل يا أخى فى هذا المبحث وتدبره فانك لا تجده فى كتاب والله يتولى هداك

*(المبحث السابع فى وجوب اعتقاد ان الله تعالى لا يحويه مكان
كما لا يحده زمان لعدم دخوله فى حكم خلقه)*

فان المكان يحويهم والزمان يحدهم وقد قدمنا انه مباين لخلقه فى سائر المراتب فانه كان ولا مكان ولا زمان وذاته تعالى لا تقبل الزيادة ولا النقصان وهو الذى أنشأ الزمان وخلق المتمكن والمكان فلا اينية له تعالى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم فانه يوهم الاينية عند ضعفاء العقول (فالجواب) كما قاله سيدى محمد المغربى الشاذلى انه لا ايهام لان الاينية فى هذه الآية راجعة الى الخلق لانهم هم المخاطبون فى الاين اللازم لهم لا له تعالى فهو تعالى مع كل صاحب أين بلا أين لعدم مماثلته لخلقه فى وجه من الوجوه انتهى وسيأتى بسط ذلك فى المبحث بعده إن شاء الله تعالى * وقال الشيخ فى الباب الثانى والسبعين من الفتوحات ليس الحق تعالى لما باين لان من لا اينية له لا يقبل المكان قال وذلك نظير قولهم المكان لا يقبل المكان فاذا كان لا أين ان له أين فكيف يكون الاين ان لا أين له يعقل انتهى * وقال أيضا فى الباب الثامن والاربعين منها انما أمر الله تعالى عباده بالسجود وجعله مقام قربه فى قوله واسجد واقترب وبقوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد اعلاما لنا بانه تعالى فى نسبة الفوقية اليه كنسبة التحتية اليه فالساجد يطلب السفل بوجهه كما ان القائم يطلب الفوق بوجهه ويرفع يديه الى السماء فى حال الدعاء فلا يكاد القائم يطلب من الله تعالى شيأ حطا من جهة السفل فما جعل الله تعالى السجود حال قربه أقرب وقربا من الحق الا لينبه عباده على انه لا يقيده تعالى الفوق عن التحت ولا التحت عن الفوق لتنزهه عن صفات خلقه انتهى وسيأتى بسط ذلك فى المبحث بعده ان شاء الله تعالى

(خاتمة) رأيت فى كتاب البهجة المنسوبة لسيدى الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه ما نصه اعلموا ان عباداتكم لا تدخل الارض وانما تصعد الى السماء قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فربنا سبحانه وتعالى فى جهة العلو والله على العرش استوى وعلى الملك احتوى وعلمه محيط بالاشياء بدليل سبع آيات فى القرآن العظيم فى هذا المعنى لا يمكننى ذكرها لاجل جهل الجاهل ورعونته انتهى فلا أدرى أذلك الكلام دس على الشيخ فى كتابه أم وقع فى ذلك فى بدايته ورجع عنه لما دخل فى الطريق فان من المعلوم عند كل عارف بالله تعالى انه تعالى لا يتحيز والشيخ قد شاعت ولايته فى أقطار الارض فيبعد من مثله القول بالجهة قطعا * وقد ذكر الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله انه لا يلزم من قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب أن يكون تعالى فى جهة الفوق دون غيرها بدليل قوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض ظرفية تليق بجلاله واجمع المحققون أن شهود الحق تعالى فى حال السجود صعود وان كان السجود فى أسفل سافلين واما قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم اى يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذابا من فوق رؤسهم هذا هو الاعتقاد الحق * قلت ويصح حمل قول السيد عبد القادر الجيلى السابق انه تعالى فى جهة العلو على ان مراده بجهة العلو الجهة التى تقصد العبد قضاء حاجته منها عند الحق وان كانت فى السفليات هذا لا يبعد على مقام الشيخ انتهى والله تعالى أعلم

فادة وقد وقع لى انى حكيت هذا المذهب لبعض الاخوان فظن شخص من الحسدة انى أفتيته به فاشاع عنى ذلك فى مكة ومصر هذا مع سماعه منى حكاية قول ابن عباس آخر الامر من جمع بين صلاتين فى الحضر من غير عذر فقد أتى بابا من الكبائر فالله يغفر له ما افتراه بمنه وكرمه والله أعلم وقال الذى أقول به جواز الجمع فى الحضر للمريض ثم قال والكسل مرض النفس ومع ذلك فلا يجوز الجمع به واما من كان مرضه استيلاء الاحوال عليه بحيث يخاف ان يغلب عليه الحال كما يخاف المريض أن يغمى عليه فيجوز له الجمع لان الحال مرض والمقام صحة انتهى فليتأمل ويحرر على ظاهر الشريعة * وقال فى صلاة الخسوف الذى أذهب اليه ان الامام مخير فى الصور التى ثبتت عن النبى صلى الله عليه وسلم فبأى صلاة صلى أجزأته وصحت صلاة الجماعة الا الرواية التى فيها الانتظار بالسلام فانه عندى فيها نظر لكون الامام يصير فيها تابعا وقد نصبه الله متبوعا قال وسبب توقفى من غير جزم من طريق المعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر الامام أن يصلى بصلاة المريض وذوى الحاجة قال وقد جاءت الرواية ان الناس كانوا ياتمون بابى بكر وأبو بكر ياتم برسول الله صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه كان يخفف من أجل

*(المبحث الثامن في وجوب اعتقاد أن الله معنا أينما كنا في حال كونه في السماء
في حال كونه مستويا على العرش في حال كونه في السموات وفي الارض
في حال كونه أقرب الينا من حبل الوريد)*

ولكل واحد من هذه المعيات الخمس حالة تخصها من مراتب الاختصاص ومراتب العلم كما بسط الكلام على ذلك الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة من الفتوحات فراجعه (فان قلت) فهل هو تعالى معنا في جميع هذه المواطن بالذات أم بالصفات كالعلم بنا والرؤية لنا والسماع لكلامنا (فالجواب) كما قاله الشيخ العارف بالله تعالى تقي الدين بن ابي منصور في رسالته انه لا يجوز ان يطلق على الذات المتعالية معية كما انه لا يجوز ان يطلق عليها استواء على العرش وذلك لانه لم يرد لنا تصريح بذلك في كتاب ولا سنة فلا نقول على الله ما لا نعلم انتهى وقال الشيخ محيي الدين في باب حضرات الاسماء من الفتوحات في الكلام على اسمه الرقيب اعلم انه ليس في حضرات الاسماء الالهية ما يعطي التنبيه على ان الحق تعالى معنا بذاته الا الاسم الرقيب لانه نبه على ان الذات لا تنفك عن الصفات لمن تأمل ويؤيد ذلك قول الاعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم لا نعدم خيرا من رب يضحك فانه اتبع الضحك توابعه انتهى * قلت وهذه المسئلة من المعضلات لاختلاف السلف فيها قديما وحديثا ولكن من يقول ان المعية راجعة للصفات لا للذات أكمل في الادب ممن يقول انه تعالى معنا بذاته وصفاته وان كانت الصفة الالهية لا تفارق الموصوف وقد وقع في هذه المسئلة عقد مجالس في الجامع الازهر في سنة خمس وتسعمائة بين الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي وبين الشيخ ابراهيم المواهبي الشاذلي وصنف الشيخ ابراهيم فيها رسالة وأنا أذكر لك عيونها المحيط بها علما فاقول وبالله التوفيق ومن خطه نقلت قال الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي والشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن ابي شريف وجماعة الله تعالى معنا باسمائه وصفاته لا بذاته فقال الشيخ ابراهيم بل هو معنا بذاته وصفاته فقالوا له ما الدليل على ذلك فقال قوله تعالى والله معكم وقوله تعالى وهو معكم ومعلوم ان الله علم على الذات فيجب اعتقاد المعية الذاتية ذوقا وعقلا لثبوتها نقلا وعقلا فقالوا له أوضح لنا ذلك فقال حقيقة المعية مصاحبة شئ لآخر سواء كانا واجبين كذات الله تعالى مع صفاته أو جائزين كالانسان مع مثله أو واجبا وجائزا كمعية الله تعالى لخلقه بذاته وصفاته فان المفهوم من قوله تعالى والله معكم ومن نحو ان الله مع المحسنين ان الله مع الصابرين وذلك لما قدمناه من ان مدلول الاسم الكريم الله انما هو الذات اللازمة لها الصفات المتعينة لتعلقها بجميع الممكنات وليست كمعية متحيزين لعدم مماثلته تعالى لخلقه الموصوفين بالجسمية المفتقرة للوازمها الضرورية كالحلول في الجهة الاينية لزمانية والمكانية فتعالت معيته تعالى عن الشبيه والنظير لكماله تعالى وارتفاعه عن صفات خلقه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير قال ولهذا قررنا انتفاء القول بلزوم الحلول في حيز الكائنات على القول بمعية الذات مع انه لا يلزم من معية الصفات دون الذات انفكاك الصفات عن الذات ولا بعدها وتحيزها وسائر لوازمها وحينئذ فيلزم من معية الصفات لشئ معية الذات له وعكسه لتلازمهما مع تعاليهما عن المكان ولوازم الامكان لانه تعالى مباين لصفات خلقه تباينا مطلقا وقد قال العلامة الغزنوي في شرح عقائد النسفي ان قول المعتزلة وجمهور البخارية ان الحق تعالى بكل مكان بعلمه وقدرته وتدبيره دون ذاته باطل لانه لا يلزم ان من علم مكانا ان يكون في ذلك المكان بالعلم فقط الا ان كانت صفاته تنفك عن ذاته كما هو صفة علم الخلق لا علم الحق انتهى على انه يلزم من القول بان الله تعالى معنا بالعلم فقط دون الذات استقلال الصفات بانفسها دون الذات وذلك غير معقول فقالوا له فهل

عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فالامام في مثل هذه الحالة يكون مؤتما [illegible] تفرق في رواية [illegible] انتهى فليتامل ويحرر *وقال اذا كثرت وسوسة العبد في الصلاة من الشيطان فحكم صلاته حكم صلاة شدة الخوف فيصلي على المحاربة ولو قطع الصلاة كلها في المحاربة ويؤدي الاركان الظاهرة كما شرعت بالقدر الذي له من الحضور انه في الصلاة في باطنه كما يؤدي المجاهد الصلاة حال المسايفة بباطنه كما شرعت بالقدر الذي له من الصلاة في ظاهره بالايماء بعينيه والتكبير بلسانه في جهاد عدوه الظاهر قال وان وسوس له الشيطان مع ذلك فلا يضره وسوسته كما انه اذا شرع في الجهاد على الاخلاص ثم عرض له في اثنائه ان يقاتل رياء وسمعة فلا يبالي بذلك لان الاصل صحيح في اول نشأة القتال فلا ينبغي ان يبطل عمله ويقع في مخالفة قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ويوافق غرض الشيطان * وقال في صلاة المريض الذي أذهب اليه في دفع المار أن يدفعه عن موضع جبهته فقط حال سجوده في الارض فاذا حال بينه وبين موضع سجوده فلذلك المأمور أن يدفعه ويقاتله وما زاد على ذلك فلا يلزم المصلي دفعه ولا قتاله والاثم يتعلق بالمار في القدر الذي يسمى بين يديه عند العرب اذ لم نجد عن الشارع في

وافقك احد غير الغزنوى فى ذلك فقال نعم ذكر شيخ الاسلام ابن اللبان رحمه الله فى قوله تعالى ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ان فى هذه الآية دليلا على اقربيته تعالى من عبده قربا حقيقيا كما يليق بذاته لتعاليه عن المكان اذلو كان المراد بقربه تعالى من عبده قربه بالعلم أو بالقدرة أو بالتدبير مثلا لقال ولكن لا تعلمون ونحوه فلما قال ولكن لا تبصرون دل على ان المراد به القرب الحقيقى المدرك بالبصر لو كشف الله عن بصرنا فان من المعلوم ان البصر لا تعلق لادراكه بالصفات المعنوية وانما يتعلق بالحقائق المرئية قال وكذلك القول فى قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد هو يدل أيضا على ما قلناه لان أفعل من يدل على الاشتراك فى اسم القرب وان اختلف الكيف ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد لان قرب الصفات معنوى وقرب حبل الوريد حسى ففى نسبة اقربيته تعالى الى الانسان من حبل الوريد الذى هو حقيقى دليل على ان قربه تعالى حقيقى اى بالذات اللازم لها الصفات قال الشيخ ابراهيم وبما قررناه لكم انتفى أن يكون المراد قربه تعالى منا بصفاته دون ذاته وان الحق الصريح هو قربه منا بالذات أيضا اذ الصفات لا تعقل مجردة عن الذات المتعالى كما مر فقال له العلائى فما قولكم فى قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم فانه يوهم ان الله تعالى فى مكان فقال الشيخ ابراهيم لا يلزم من ذلك فى حقه تعالى المكان لان أين فى الآية انما اطلقت لافادة معية الله تعالى للمخاطبين فى الاين اللازم لهم لا له تعالى كما قدمناه فهو مع صاحب كل اين بلا اين انتهى فدخل عليهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدى محمد المغربى الشاذلى شيخ الجلال السيوطى فقال ما جمعكم هنا فذكروا له المسئلة فقال تريدون علم هذا الامر ذوقا وسماعا فقال معية الله تعالى ازلية ليس لها ابتداء وكانت الاشياء كلها ثابتة فى علمه ازلا يقينا بلا بداية لانها متعلقة به تعلقا يستحيل عليه العدم لاستحالة وجود علمه الواجب وجوده بغير معلوم واستحالة طريان تعلقه بها لما يلزم عليه من حدوث علمه تعالى بعد ان لم يكن وكما ان معيته تعالى ازلية كذلك هى ابدية ليس لها انتهاء فهو تعالى معها بعد حدوثها من العدم عينا على وفق ما فى العلم يقينا وهكذا يكون الحال أينما كانت فى عوالم بساطتها وتركيبها واضافتها وتجريدها من الازل الى ما لا نهاية له فادهش الحاضرين بما قاله فقال لهم اعتقدوا ما قررته لكم فى المعية واعتمدوه ودعوا ما ينافيه تكونوا منزهين لمولاكم حق التنزيه ومخلصين لعقولكم من شبهات التشبيه وان اراد احد كم ان يعرف هذه المسئلة ذوقا فليسلم قياده لى اخرجه عن وظائفه وثيابه وماله واولاده وادخله الخلوة وامنعه النوم وأكل الشهوات وانا اضمن له وصوله الى علم هذه المسئلة ذوقا وكشفا قال الشيخ ابراهيم فما تجرأ أحد ان يدخل معه فى ذلك العهد ثم قام الشيخ زكريا والشيخ برهان الدين والجماعة فقبلوا يده وانصرفوا انتهى فتأمل يا أخى فى هذا الموضع وتدبره فانك لا تجده فى كتاب الآن * واما تقول الشيخ محيى الدين رحمه الله فى هذه المسئلة فكان يقول فى حديث كان الله ولا شئ معه ان المراد بكان هنا كان الوجودية مثل وكان الله عليما حكيما وليس المراد بها كان من الفعل الماضى فلم يطلق صلى الله عليه وسلم على الحق تعالى معية شئ معه فهو تعالى مع الاشياء ولا يقال ان الاشياء معه لانها لم تر دقال وايضاح ذلك ان المعية تابعة للعلم فهو تعالى معنا لكونه يعلمنا وليس لنا ان نقول انا معه لانا لا نعلم ذاته بخلاف حضرات الاسماء والصفات التى هى المرتبة لابد من معية الخلق للحق تعالى معها لكونها تطلب العالم لتظهر آثارها فيه فانه تعالى سمى نفسه الكريم والرحيم والغفور ونحو ذلك فكريم على من ورحيم بمن وغفور لمن ومن المحال ان يكون الحق تعالى محلا لهذه الآثار ولابد من حضرة تحكم فيها هذه الاسماء بالفعل او بالقوة اذ الامكان لنا كالوجوب له تعالى انتهى وقد مر تقريره فى المبحث الذى مر (فان قلت) فلاى شئ لم يقل صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق وهو

ذلك شيأ قال والصلاة صحيحة على كل حال وقال اختلفوا فى النفخ فى الصلاة هل هو كلام أم لا ومبناه على أن نفخ عيسى فى الطائر باذن الله هل يقطع حضوره مع ربه الاصح لا يقطع قال فمن اعتبر النفخ بدلا من كن جعله كلاما ومن اعتبره لا بمعنى كن بل جعله سببا لم يجعله كلاما ويجعل قوله باذنى معمولا لقوله فيكون طيرا لا لقوله فتنفخ فيه اه فليتأمل ويحرر * وقال الذى أقول به ان المصلى يرد السلام على من سلم عليه فانه ذكر لله وهو من الاذكار المشروعة فى التشهد فى الصلاة فله أصل ترجع اليه والدعاء فى الصلاة جائز وفيه ذكر الناس مثل قوله اللهم اغفر لى ولوالدى وفى القرآن واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها فجاء بالفاء فلا ينبغى التأخير ولم يخص صلاة ولا غيرها وكل ذكر الله مشروع بدعاء أوغيره انتهى فليتأمل ويحرر وقال الذى أقول به ان صلاة الناسى والنائم اذا تذكرها وصلاها اداء لا قضاء لان النائم والناسى غير مخاطب بتلك الصلاة فى حال نسيانه ونومه وليس ذلك وقتها فى حقهما حتى يكون قضاء فى غير وقتها وأطال فى تفاصيل ذلك فراجعه * قلت ذكر الشيخ فى الباب الثانى والثلاثين وخمسمائة أن كل صلاة لا يحصل فيها حضور قلب فهى ميتة لا روح فيها واذا لم يكن

الآن على ما عليه كان كما أدرجه بعضهم (فالجواب) انما لم يدرج ذلك صلى الله عليه وسلم لان الآن نص في وجود الزمان ولو جعلناه ظرف الهوية البارى لدخل تحت ظرف لزمان وتعالى الله عن ذلك بخلاف لفظة كان فانه حرف وجودى من الكون الذى هو عين الوجود فكأنه صلى الله عليه وسلم قال الله موجود ولا شئ معه فى وجوده الذاتى فان وجود غيره معه تعالى انما هو بايجاده وبابقائه لا مستقلا فعلم ان من أدرج هذه الزيادة المذكورة فى الحديث فلا معرفة له بعلم كان ولا سيما فى هذا الموضع (فان قلت) فما الحامل لبعضهم على ادراجها (فالجواب) الحامل له على ذلك تخيله انها من كان يكون فهو كائن ومكون فلما رأى فى الكون هذا التصريف الذى يلحق الافعال الزمانية تخيل ان حكمها حكم الزمان وليس كذلك فان من أشبه شيأ فى أمر ما لا يلزم أن يشبهه من جميع الوجوه فانظر يا أخى ما أعلمه صلى الله عليه وسلم وما أكثر أدبه فى كونه لم يطلق على الحق تعالى ما لم يطلقه تعالى على نفسه ذكره الشيخ محيى الدين فى لواقح الانوار * وقال فى باب الاسرار من الفتوحات من زاد فى حديث كان الله ولا شئ معه لفظة وهو الآن على ما عليه كان فقد كذب القرآن فان الله تعالى قال كل يوم هو فى شان وسنفرغ لكم أيها الثقلان وقد كان ولا أيام ولا شؤن فى تلك الايام وقال تعالى انما قولنا لشئ اذا اردناه أن نقول له كن فيكون فكيف يصح قوله وهو الآن على ما عليه كان مع انه مؤمن بالقرآن هذا العجب من عجيب انتهى وقال فى هذا الباب أيضا لا يشترط فى المجاورة الجنس لان ذلك علم فى لبس فان الله جار عبده بالمعية وان انتفت المثلية ومن صح ايمانه بالمعية لم يحتج الى طلب الماهية (فان قيل) فما الحكمة فى سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارية التى شكوا فى اسلامها وأرادوا عتقها بالاينية حين قال لها اين الله فأشارت الى السماء فقال مؤمنة ورب الكعبة مع انه صلى الله عليه وسلم يعلم قطعا استحالة الاينية على البارى جل وعلا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والثمانين وثلثمائة أنه صلى الله عليه وسلم ما سأل الجارية بالاينية الا تنزلا لعقلها والشريعة قد نزلت على حسب ما وقع عليه التواطؤ فى السنة العالم قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ثم ان التواطؤ قد يكون على صورة ما هى الحقائق عليه فى نفسها وقد لا يكون والشارع صلى الله عليه وسلم تابع له فى ذلك تنزلا لعقولهم ليفهموا عنه أحكامه وقد دل الدليل العقلى على استحالة حصر الحق تعالى فى أينية ومع ذلك فقد جاءت على لسان الشارع كما ترى من أجل التواطؤ الذى عليه أمته فقال للجارية أين الله ولو ان غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك لجهله الدليل العقلى فانه تعالى لا أينية له فى نفسه وانما الانسان لقصور ادراكه لا يشهد الحق تعالى الا فى أين لا يستطيع أن يرقى فوق ذلك الا ان أمده الله بنور الكشف فلما قالها صلى الله عليه وسلم للجارية بانت حكمته وعلمه وعلمنا انه لم يكن فى قوة تلك الجارية ان تعقل موجدها الا بحسب ما تصورته فى نفسها ولو انه صلى الله عليه وسلم كان خاطبها بغير ما تواطأت عليه وتصورته فى نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل لها القبول فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم ان سأل الجارية بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الجارية لما أشارت الى السماء انها مؤمنة أى مصدقة بوجود الله فى السماء كما قال تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض (فان قلت) فلاى شئ لم يقل صلى الله عليه وسلم فيها انها عالمة بدل قوله مؤمنة (فالجواب) انما قال ذلك لقصور عقلها عن مقام العلماء بالله تعالى ولو انها كانت عالمة به تعالى ما خاطبها بالاينية انتهى فعلم ان من الادب أن نقول ان الله تعالى معنا ولا نقول نحن مع الله لان الشرع ما ورد به كما مر والعقل لا يعطيه لعدم تعقل الكيف ولولا ما نسبه تعالى الى نفسه من المعية السارية مع جميع الخلق لم يقدر العقل ان يطلق عليه تعالى معنى المعية وتسمى هذه المعية الوجودية الجامعة

فيها دوح فلا تأخذ بيد صاحبها يوم القيامة قال وهذه هى صلاة المنافق ٣ المصر والذى يقال له يوم القيامة ألق ما خلقت فلا يقدروا ايضاح ذلك ان الحق تعالى ما شرع العبادات لمجرد اقامة نشأة صورتها الظاهرة فقط انما شرعها لما تدل عليه وتعطيه من المعرفة بالحق تعالى والله تعالى أعلم * وقال الذى أقول به ان تارك الصلاة عامدا لا قضاء عليه لانه ممن أضله الله على علم وبذلك قالت طائفة مع الاجماع على انه آثم فينبغى له ان يسلم اسلاما جديدا اهـ فليتأمل ويحرر * وقال لا أصل لمشروعية ترتيب الصلوات المنسيات يرجع اليه فان أوقات الصلاة المنسيات مختلفة ولا يكون الترتيب فى القضاء الا فى الوقت الواحد الذى يكون بعينه وقتا للصلاتين معا وهذا لا يتصور الا فى مذهب من يقول بالجمع بين الصلاتين فيكون لذلك أصل يرجع اليه فى نظره اهـ فليتأمل ويحرر * وقال فى سجود السهو والذى أذهب اليه فى مواضع السجود للسهو ان المواضع التى سجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل السلام يسجد فيها قبل السلام والمواضع التى سجد فيها بعد السلام يسجد فيها بعد السلام قال وأما غير ذلك مما سها فيه المصلى فهو مخير ان شاء سجد لذلك قبل السلام وان شاء بعد السلام قال والمواضع التى سها فيها رسول الله صلى الله عليه

الحضرات بجميع الاسماء والصفات وعلم أيضا ان الحق تعالى ظاهر المعية من الوجه الذي يليق بجلاله كما انه ظاهر الصحبة من الوجه الذي يليق بجلاله كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل والسفر مأخوذ من الاسفار الذي هو الظهور (فان قلت) فما تقول في نحو قوله تعالى عند مليك مقتدر وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي فان ذلك يوهم ان عندية الحق تعالى ظرف مكان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والاربعين وثلثمائة ان عندية الحق تعالى حيث اطلقت في الكتاب والسنة فهي ظرف ثالث لا ظرف زمان ولا ظرف مكان مخصص بل هو ظرف مكان على الاطلاق قال وما رأيت احدا من أهل الله نبه على هذه الظرفية الثالثة حتى يعرف ما هي ثم انشد رضي الله تعالى عنه

فعندية الرب معقولة : وعندية الهو لا تعقل
وعندية الله مجهولة * وعندية الخلق لا تجهل
وليس هما عند ظرفية : وليس لها غيرها محمل

قال والضمير في قوله لها يعود على الظرفية وفي قوله هما يعود على عندية الحق والخلق انتهى وسيأتي ايضاح هذا المبحث في مبحث الاستواء على العرش ان شاء الله تعالى

*(خاتمة) : ذكر الشيخ في الباب الثاني والسبعين ما نصه قد وقع في الكتاب والسنة نسبة المكان والزمان الى الله تعالى مع انهما ظرفان محالان في حق البارى جل وعلا فقال تعالى يأتيهم الله في ظلل من الغمام * وقال صلى الله عليه وسلم للجارية أين الله فهذا ظرف المكان فذكر الله تعالى ورسوله ذلك ولم يحرج تعالى ذلك الاعتقاد ولا صوبه ولا انكره وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ايضا سنفرغ لكم ايها الثقلان وقال الله الامر من قبل ومن بعد فهذا ظرف الزمان * وقال صلى الله عليه وسلم فيه ايضا لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فنزهه لهذه الكلمة التي هي من الالفاظ المشتركة كالعين والمشتري والله تعالى أعلم

(المبحث التاسع في وجوب اعتقاد ان الله تعالى ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول)

قال تعالى ليس كمثله شيء واذا كان ليس كمثله شيء فمن المحال ان يضبطه اصطلاح لان ما شهده منه زيد ما هو عين ما شهده منه عمرو جملة واحدة ذكره الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلثمائة من الفتوحات قال وبهذا القدر عرفه العارفون فلا يتجلى تعالى قط في مشهد واحد لشخصين ولا يتكرر التجلي واحد لشخص مرتين وليس فوق هذا في المعرفة مقام * قال واما القدماء ومن تبعهم من الحكماء وغيرهم فقد اتفقوا على عقد واحد في الله تعالى وجعلوا ذلك ضابط الحق وكل من خالفهم جرحوا في عقيدته وتعالى الله عن ذلك التقييد لانه تعالى فعال لما يريد * قال ولهذا الذي قررناه كان لا يقدر عارف قط ان يوصل الى عارف آخر صورة ما شهده بقلبه من ربه عز وجل لان كل واحد يشهد من لا مثل له ولا يكون التوصل الا بالامثال فالكامل من وصل الى الحضرة التي يتفرغ بها سائر الاعتقادات الاسلامية وافرغها في الاسلام بحق * وكان سيدي علي وفا رحمه الله يقول من احاط بك ولم تحط به فات مثله ولا على صورته فافهم (فان قلت) فما سبب عدم تكييف كل واحد ما شهده بقلبه من الحق (فالجواب) ان سبب ذلك عدم ثبوت التجلي الواحد اكثر من آن واحد فلا يثبت للعبد التجلي الالهي آنين حتى يكيفه ويمثله وقد قال الشيخ في الباب الثالث والتسعين وثلثمائة ما نفى الله تعالى على نفسه باعظم من نفي المثل ولا مثل له تعالى فان قيل فهل الكاف في قوله تعالى ليس كمثله شيء كاف الصفة او زائدة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب

وسلم تشريعا للامة خمس ثلاث فسجد قام من اثنتين ولم يجلس فسجد سلم من اثنتين ولم يجلس فسجد سلم من اثنتين فسجد سلم من ثلاث فسجد صلى خمسا ساهيا فسجد قال واختلف الناس في سجوده هل سجد للزيادة والنقصان أو لسهوه فمن قائل لسهوه ومن قائل للزيادة والنقصان والذي أقول به انه سجد لهما سجدة لسهوه والثانية للزيادة والنقصان (وقال) مما شرع للمصلي ان يقول في سجوده سبحان ربي الاعلى ثلاثا لتكون واحدة لحسه وواحدة لخياله وواحدة لعقله فهو ينزه الحق في محل القرب أن يكون مدركا بحس أو خيال أو عقل فيرغم بذلك الشيطان * وقال انما شرع جبر السهو بالسجود دون غيره من أفعال الصلاة وأقوالها لان السهو اغلبه من الشيطان فلا يصح الجبر الا بصفة لا يمكن للشيطان أن يدنو من العبد حال تلبسه بها وهو السجود اذ الساجد في حال سجوده محفوظ من الشيطان اقربه من شهوده به فلو ان الشيطان كان يقترب من العبد في سجوده للسهو لسها في سجود سهوه وكان يتسلسل الامر قال ولهذا لم يرد لنا شرع فيمن سها في سجود سهوه ثم انه لو وقع فلا يتعين ان يكون من الشيطان واذا لم يكن من الشيطان فلا يكون ترغيما له بخلاف ما اذا كان السهو من فعل الشيطان

الثالث والستين وثلثمائة ان الكلام على ذلك من الفضول لان العلم الحق لا يدرك فيها بالقياس ولا بالنظر بل هو راجع الى قصد المتكلم ولا يعلم احد ما في نفس الحق تعالى الا بافصاحه عن مراده وهو تعالى لم يفصح لنا عنها هل هي اصلية او زائدة انتهى (فان قيل) ان افراد العالم يشارك الحق تعالى في كونه لا مثل له فانا قد اعتبرنا جميع الذوات فرأيناها الابدان يزيد احدها على الآخر او ينقص فلا مثل لها على هذا وقال تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم فلا تكاد تجد صورة تشبه اخرى من كل وجه ولو اصطف لك الف الف صورة حتى لو زاد شعر واحد على آخر بشعرة تخرج عن المثلية (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثلاثين من الفتوحات ان الامثال في العالم معقولة وان كانت غير موجودة ويكفينا في التمييز عن الحق تعالى كونها معقولة وان كان التوسع الالهي يقتضي ان لا مثلية في جميع الاعيان الموجودة من كل وجه كل ذلك غيرة الهية ان لا يقع ادراك الحق تعالى الاعلى من لا مثل له موجود فاذن المثلية امر معقول لا متحقق فان المثلية لو كانت صحيحة موجودة ما امتاز شيء في العالم عن شيء مما يقال هو مثل له فكان الذي امتاز به الشيء عن ذلك الشيء الآخر هو عين ذلك الشيء اذ ليس هنالك ما يميزه عن غيره حقيقة قال وهذه المسئلة من اغمض المسائل لانه ماثم على ما قررناه مثل يوجد اصلا ولا يقدر على انكار الامثال الا منكر بالحدود ولا غير اه * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة من عرف الاتساع الالهي علم انه لا يتكرر شيء في الوجود وانما وجود الامثال في الصور يخيل لك انها اعيان ما مضى وانما هي امثال الاعيان او مثل الشيء مما هو عينه (مثاله) في الاشكال التربيع في كل مربع والاستدارة في كل مستدير فالشكل بريك كل متشكل لا يتغير والذي وقع عليه الحس ليس هو المتشكل وانما هو الشكل فالشكل هو المعقول * وقال في الباب الثاني والسبعين وثلثمائة من المحال ان يظهر امر في صورة امر آخر من غير مناسبة فهو مثله في النسبة لا مثله في العين ويسمى هذا في صناعة النحو فعل المقاربة تقول كاد النعام ان يطير وكاد العروس ان يكون اميرا * وقال في باب الاسرار ما حجب الرجال الا وجود الامثال ولهذا نفى الحق تعالى المثلية عن نفسه تنزيها لقدسه وكل ما تصورته او مثلته او تخيلته هنالك فالله تعالى بخلاف ذلك هذا عقد الجماعة الى قيام الساعة انتهى والله تعالى اعلم بالصواب

(المبحث العاشر في وجوب اعتقاد انه تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن) *

فلا افتتاح له ولا انتهاء ولا ظهور لاحد بالقهر والسلطان في الدارين غيره ولما كان لا يصح لاحد من الخلق ان يعرف ربه كما يعرف تعالى نفسه لم يزل تعالى باطنا من هذا الوجه (فان قلت) فهل حضرات هذه الاسماء الاربعة متقيدة لا تتصرف الا في اهل حضرتها ام كل اسم يفعل فعل اخوانه (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في شرحه لترجمان الاشواق ان الحق تعالى اول من عين ما هو آخر وظاهر وباطن وآخر من عين ما هو اول وباطن وظاهر وباطن من عين ما هو ظاهر واول وآخر ففي كل صفة ما في اخواتها وذلك لمباينة صفاته تعالى لصفات خلقه اذ لا تتعدى كل صفة من صفاتهم ما حده الحق تعالى لها فصفة الشم مثلا لا تعطي سوى شم العطر والنتن وصفة السمع لا تتعدى المسموعات فلا يرى بها ولا يتكلم وقس على ذلك فعلم ان سبب توقف العقول الضعيفة في كون الصفات الالهية تفعل كل صفة منها فعل اخواتها كون من توقف رأى ان القوى التي خلق الانسان عليها لا تتعدى حقائقها فقاس الحق تعالى على نفسه وظن ان صفة الحق تعالى كذلك انتهى * وقال في موضع آخر من شرحه لترجمان الاشواق قد تسمى الحق تعالى ازلا بالظاهر والباطن ولا يجوز حمله على محل النسب والاضافات وانما ينبغي ان يحمل على انه امر ذاتي يوصف به على الوجه الذي

او التقية فان السجود يكون ترغيما على ترغيم الترغيم الاول من كونه مسجودا * والترغيم الثاني من حيث كونه وسوليه لم يؤثر فيه نقصا حيث جبر بالسجود فعلم ان السهو لا يلزم ان يكون ولابد من الشيطان وانما شبهه مغيب المصلي عن عبادته فنفس غيبته عنها يكون عنها السهو فان من اسباب السهو من غير الشيطان غلبة مشاهدة عجائب احكام الله عز وجل حين تلاوة كلامه من غلبة توحيد او خوف مزعج او غير ذلك وقال الذي اقول به ان الامام لا يحمل سهو المأموم وبه قال مكحول خلافا للجمهور وذلك لاننا ما رأينا الشارع فرق بين الامام والمأموم في الامر بسجود السهو وانما ذكر المصلي خاصة ولم يخص حالا دون حال وقال تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تجزي نفس عن نفس شيأ وكل نفس بما كسبت رهينة قال فمن بحث عن هذا المعنى علم ان الامام لا يحمل سهو المأموم وان مكحولا كحل عينه في هذه المسئلة بكحل الاصابة فانجلت عين بصيرته (وقال) الذي اقول به ان الانسان اذا رفع عنه التكليف لغلبة حال او جنون او صبا لم يزل عنه خطاب الشرع وخالفني في ذلك الجمهور وقال وايضاح ما قلته انه ما ثم حال ولا صفة في مكلف تخرج عن حكم الشرع بان الشارع قد اباح للمجنون والصبي ونحوهما التصرف فيه [illegible]

يليق به ويعلمه سبحانه وتعالى من نفسه * وقالت السيدة الكاملة سيدة العجم في شرح المشاهد اعلم ان الازل والابد في حقه تعالى سواء حتى ان بعضهم استغنى بلفظ الاسم الاول عن الاسم الباقي اذ من شأن الاول البقاء السرمدي فاياك يا اخي ان تتوهم من نحو قولهم ان الله تكلم بكذا في الازل او قدر كذا في الازل ان ذلك عبارة عن امتداد متوهم في زمان معقول كزمان الخلق فان ذلك من حكم الوهم لا من حكم النظر الصحيح فان الخالق قبل خلق الزمان المعقول لنا لا يتعقل اذ العقل الانساني انما وجد بوجود آدم عليه الصلاة والسلام فعلم ان مدلول لفظة الازل عبارة عن نفي الاولية لله تعالى فهو اول لا باولية فتحكم عليه فيكون تحت حيطتنا او معلولا عنها واطالت في ذلك رضي الله تعالى عنها * وقال الشيخ محيي الدين في باب الاسرار انما اخبرنا تعالى بانه الاول والآخر الظاهر والباطن ليرشدنا الى ترك التعب في طريق معرفته الذاتية كانه تعالى يقول الذي تطلبونه من الباطن مثلا هو عين ما تطلبونه من الظاهر ومع ذلك فلم تصغ النفوس الى هذا الارشاد بل بحثت في الادلة وصارت كل شيء ظهر لها من صفات الحق تعالى تطلب خلافه ولو انها كانت وقفت مع ما ظهر لها من وجوه المعارف لعرفت الامر على ما هو عليه وكان طالبها ما غاب عنها هو عين حجابها ولو قدرت الذي ظهر لها حق قدره لشغلها عن التخيلات انه بطن عنها والله ما بطن عنها شيء هو من مقامها وانما حجب كل احد عما هو فوق مقامه لا غير انتهى * وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه قد محق الحق تعالى جميع الاغيار بقوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن فقيل له فاين الخلق فقال موجودون ولكن حكمهم مع الحق تعالى كالاهباء التي في كوة الشمس تراها صاعدة هابطة فاذا قبضت عليها لا تراها فهي موجودة في الشهود مفقودة في الوجود انتهى (فان قلت) فهل كان ظهوره تعالى بعد استتار (فالجواب) كما قاله الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور ان ظهوره تعالى لم يكن بعد استتار بل هو الظاهر في حال كونه باطنا واختلاف حكم التجليات انما هو راجع الى ادراك المدركين والمشاهدين بحسب ما يكشف عن بصائرهم فانه تعالى لا يظهر بعد احتجاب ولا يتنزل بعد ارتفاع لان ذلك من صفة الاجسام وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال الشيخ في أوائل باب الصلاة من الفتوحات اعلم ان العبد لا يكمل شهوده وعبادته لله تعالى الا ان شاهده وعبده من حيث اوليته المنزهة عن ان يتقدمها اولية لا من حيث اولية العبد عن اوليات كثيرة قبله فاذا وقف العبد وعبد ربه من حيث أوليته تعالى انسحبت عبادته من هنالك على كل عبادة عبدها احد من المخلوقين الى حين وجود هذا العابد انتهى وهذا امر نفيس ما سمعناه من احد * وقال الشيخ ايضا في الباب السادس والخمسين ومائتين اعلم ان تجليات الحق تعالى بالاسماء لها ثلاث مراتب الاولى ان يتجلى للعالم بالاسم الظاهر فلا يبطن على العالم شيء من امر الحق تعالى وهذا خاص بموقف القيامة الثانية ان يتجلى للعالم في اسمه الباطن فتشهده القلوب دون الابصار ولهذا يجد الانسان في فطرته الاستناد اليه والاقتداء به من غير نظر في دليل ويرجع في اموره كلها اليه الثالثة ان يتجلى في اسمه الظاهر والباطن معا وهذا خاص بالانبياء وكمل ورثتهم انتهى فاعلم ذلك وتدبره والله يتولى هداك

(المبحث الحادي عشر في وجوب اعتقاده انه تعالى علم الاشياء قبل وجودها في عالم الشهادة ثم اوجدها على حد ما علمها)

فلم يزل عالما بالاشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الاشياء (فان قلت) فاذا كان العالم كان موجودا في علم الحق فماذا استفاد العالم حين ظهر لعالم الشهادة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر من الفتوحات ان العالم استفاد ببروزه الى عالم الشهادة علما بنفسه لم يكن عنده لا انه استفاد حالة لم يكن عليها (وايضاح ذلك) ان الامور كلها لما كانت لم تزل معلومة للحق تعالى في مراتبها بتعداد صورها

يخطر له ولا حرج عليه فكيف يقال زال عنه حكم الشرع وهو قد حكم له بالاباحة كما حكم على المكلف بالاجماع بالاباحة فيما أبيح له والحكم للشرع لا للعقل فما خرج احد عن حكم الشرع ومعلوم ان احوال الشرع مبنية على الاحوال لا على الاعيان كما افتى الامام مالك بتحريم أكل خنزير البحر تبعا للاسم وأطال في ذلك * وقال في حديث هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع اي فهو عليك فيجب عليك الوفاء باتمامه كما يجب في فروض الاعيان ودخل في هذا الباب النذر قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم * وقال فينبغي اذا قرأ سورة بعد الفاتحة ان لا يتروى فيما يقرأ بل كل شيء جرى على لسانه قرأ به من سورة أو بعض سورة فان الخاطر الاول له مرتبة على الثاني (قلت) وذكر الشيخ في الباب الثامن والثمانين وثلثمائة ايضا ما نصه ان من آدب العارف اذا قرأ في صلاته المطلقة ان لا يقصد قراءة سورة معينة أو آية معينة لانه لا يدري اين يسلك به ربه من طريق مناجاته فهو بحسب ما يناجيه من كلامه وبحسب ما يلقي تعالى اليه في خاطره وأطال في ذلك والله اعلم * وقال الذي إذهب اليه في القراءة في ركعتي سنة الفجر أن يسمع نفسه بحيث لا يسمع من يليه وذلك لان وقتها وقت برزخي فاشبهت النائم في كونه يرى

فلا بد من فارق يفرق بين علمها بنفسها وعلم الحق تعالى بها وهو ان الحق تعالى يدرك جميع الممكنات في حال عدمها ووجودها وتنوعات الاحوال عليها والممكنات لا تدرك نفسها ولا وجودها ولا تنوعات الاحوال عليها فلما كشف لها عن شهود نفسها وهي في العدم أدركت تنوعات الاحوال عليها في خيالها فلما أوجد الله الاعيان الا ليكشف لها عن أعيانها واحوالها شيأ بعد شيء على التتالي والتتابع فهذا معنى قولنا لم يتجدد له علم عند تجدد الاشياء لانها كانت معلومة للحق تعالى أهي معلوم علمه وهذه المسئلة من اعز المسائل المتعلقة بسر القدر وقليل من اصحابنا من عثر عليها (فان قلت) فهل ثم مثال يقرب للعقل تصور كون العالم مرئيا للحق تعالى في حال عدمه الاضافي (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والخمسين وثلثمائة ان اقرب مثال لكون العالم مرئيا للحق تعالى في حال عدمه الدويبة المسماة بالحرباء فانها تتقلب في لون ما تكون عليه من الاجسام على التدريج شيأ بعد شيء ما هي مثل المرآة تقلب الصورة بسرعة ولا هي جسم صقيل فقد أدركت يا اخي في الحس تقلب الحرباء في الالوان مع علمك بأن تلك الالوان لا وجود لها في ذلك الجسم الذي انت ناظر اليه ولا في اعيانها في علمك فمن تحقق بهذا علم يقينا ادراك الحق تعالى للعالم في حال عدمه وانه يراه فيوجده لنفوذ الاقتدار الالهي انتهى ومما يقرب لك ايضا تعقل شهود الحق تعالى للاعيان في حال عدمها قول الشيخ في باب الاسرار العجب كل العجب من رؤية الحق في القدم اعيانا حالها العدم ثم انه اذا أبرزهم الى وجودهم تميزوا في الاعيان بحدودهم ولكن انظر وحقق ما انبهت عليه واشير وهو ان الله تعالى اوجد في عالم الدنيا الكشف والرؤيا ليقرب ذلك الامر على ضعفاء العقول فترى الامور التي لا وجود لها في عينها قبل كونها وترى الساعة في مجلاها والحق تعالى يحكم فيها بين عباده حين جلاها وما ثم ساعة وجدت ولا حالة مما رآها شهدت ثم توجد بعد ذلك في مرآها كما رآها فان تفطنت يا اخي فقد رميت بك على الطريق وذلك منهج التحقيق انتهى ٭ وقال في الباب الثالث والخمسين وثلثمائة لم تزل الممكنات كلها مشهودة للحق تعالى وان لم تكن موجودة فما هي له مفقودة فهي في حال عدمها مرئية للحق مسموعة له ولا يتوقف مؤمن في تصور ذلك فان الله على كل شيء قدير انتهى (فان قلت) ما المراد بذلك الشيء الذي وصف الحق تعالى نفسه انه قدير عليه هل هو ما تعلق بالعدم المحض ام العدم الاضافي (فالجواب) المراد به ما تضمنه علمه القديم من الاعيان الثابتة في العلم الذي هو العدم الاضافي وليس المراد به العدم المحض لان العدم المحض ليس فيه ثبوت اعيان ويؤيد هذا قول الشيخ في لواقح الانوار في قوله أن الله على كل شيء قدير اي قدير على شيء ضمنه علمه القديم وان ما لم يتضمنه علمه فليس هو بشيء وكذلك يؤيد ذلك قول الشيخ في باب التسعين من الفتوحات لا تتعلق قدرة الحق تعالى الا بشيء موجود في علمه تعالى لقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير فنفى تعلق قدرته تعالى على ما ليس بشيء مما لم يتضمنه علمه القديم قال وايضاح ذلك ان لا شيء لا يقبل الشيئية اذ لو قبلها لما كانت حقيقته لا شيء ولا يخرج معلوم قط عن حقيقته ولا شيء محكوم عليه بأنه لا شيء ابدا وما هو شيء محكوم عليه بأنه شيء ابدا انتهى (فان قلت) قد قال الشيخ ابو الحسن الاشعري ان وجود كل شيء في الخارج عينه وليس بشيء زائد عليه سواء كان واجبا وهو الله وصفاته الذاتية او ممكنا وهو الخلق وهذا مخالف لقول كثير من المتكلمين ان وجود الشيء امر زائد عليه فما الحق من القولين (فالجواب) كما قاله ابن السبكي والجلال المحلي الحق ما قاله الاشعري وعليه فالمعدوم ليس في الخارج بشيء ولا ذات ولا ثابت اي لا حقيقة له في الخارج وانما يتحقق بوجوده فيه وقد قال الجلال المحلي ثم هذا الحكم كذلك عند اكثر اهل القول الآخر ايضا ٭ قال وذهب كثير من المعتزلة الى ان المعدوم الممكن في الخارج شيء اي له حقيقة مقررة انتهى ما قاله

في نفسه أموا والذي الى جانبه لا يعرف ما هو فيه فعاملة ذلك الوقت بمثل هذه القراءة أولى وليفرق أيضا بينها وبين صلاة الصبح ومن الحكمة تمييز المراتب وارتفاع اللبس في الاشياء ٭ وقال في قيام رمضان الذي اختاره أن يصلى ثلاث عشرة ركعة لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم لم يزد في رمضان ولا في غيره على ثلاث عشرة ركعة وكان يطولهن ويحسنهن فيجمع فاعل ذلك بين قيام رمضان وبين الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الذين يزيدون على ما قلناه يؤدونه أتم اداء لا يتمون ركوعه ولا سجوده وفي مثل صلاة هؤلاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسيء صلاته ارجع فصل فانك لم تصل فمن عزم على قيام رمضان المسنون المرغب فيه فليقم كما شرع الشارع الصلاة من اتمام ركوعها وسجودها والطمأنينة في محالها الاربع والوقار والتدبر والتسبيح والاقتراء أولى واطال في ذلك ٭ وقال الذي يتأكد المواظبة عليه من السنن المنطوق بها في السنة ركعتا الفجر وأربع ركعات من أول النهار وأربع ركعات قبل الظهر وأربع ركعات بعد الظهر وأربع ركعات قبل العصر وركعتان قبل المغرب وست ركعات بعد المغرب وثلاث عشرة ركعة بالليل يوتر بالاخيرة منهن

الجلال المحلي في شرحه لجمع الجوامع (فان قلت) فما الوجه الجامع بين قول الاشعرية ان العالم وجد عن عدم متقدم وبين قول المعتزلة انه وجد عن وجود (فالجواب) ان الوجه الجامع بين قولي الاشعرية والمعتزلة ان العالم حادث في الظهور قديم في العلم الالهي فمن قال انه حادث من الوجهين اخطأ او قديم من الوجهين اخطأ والله اعلم (فان قلت) فما المراد بالحق الذي خلق الله تعالى به السموات والارض وما بينهما وهل لهذا الحق عين موجودة ام لا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والستين وثلثمائة ان المراد انه تعالى خالق العالم كله بالحق تعالى وهو ان العالم يعبده على حسب حاله ليجازيه على ذلك في الدنيا والآخرة وليسبح عليه نعمه قال الشيخ وقد غلط في هذا الحق المخلوق به السموات والارض وما بينهما جماعة من اهل الله وجعلوا عينا موجودة والحق ان الباء هنا بمعنى اللام ولهذا قال تعالى في تمام الآية تعالى الله عما يشركون من اجل الباء فمعنى بالحق اي للحق فالباء هنا عن اللام في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (وايضاح ذلك) ان الحق تعالى لا يخلق شيأ بشيء وانما يخلق شيأ عند شيء وكل باء تقتضي الاستعانة والسببية فهي لام فاعلم ذلك فانه نفيس لا تجده في تفسير والله تعالى يتولى هداك

(المبحث الثاني عشر في وجوب اعتقاد ان الله تعالى ابدع العالم على غير مثال سبق عكس ما عليه عباده)

فان احدا منهم لا يقدر بارادة الله على اختراع شيء الا ان انشاه في نفسه اولا عن تدبر ثم بعد ذلك تبرزه القوة العملية الى الوجود الحسي على شكل ما يعلم له مثل وهذا محال في حق الحق تعالى فلم يزل الحق تعالى عالما بخلقه ازلا كما مر في المبحث قبله قال الشيخ محيي الدين ولا يجوز ان يقال ان الخلق كانوا على صورة لا يوصف الحق تعالى بانه عالم بها قبل اختراعهم لان ذلك يؤدي الى انه تعالى اخترع شيأ لم يعلمه وقد ثبت بالادلة القاطعة انه عالم بكل شيء ازلا وابدا فثبت لنا ان اختراع الحق تعالى لجميع العالم بالفعل على غير مثال سبق وخرجنا للوجود على حد ما كنا في علمه تعالى ولو قدر انا لم نكن كذلك في علمه لخرجنا للوجود على حد ما لم يعلمه الله تعالى وذلك محال لان ما لا يعلمه لا يريده وما لا يعلمه ولا يريده لا يوجده فنكون اذن نحن موجودين بانفسنا او بحكم الاتفاق واذا كان وجودنا بانفسنا او بحكم الاتفاق فلا يصح وجودنا عن عدم وقد ثبت بالبرهان القاطع وجودنا عن عدم اي اضافي لا عدم محض كما مر بيانه في المبحث قبله (فان قلت) فعلى هذا التقرير ان قلنا اننا موجودون من عدم صدقنا او من وجود يعني في العلم صدقنا (فالجواب) نعم والامر كذلك كما اشار اليه الشيخ في شعره في الباب الثامن والتسعين ومائة من الفتوحات بقوله

فلو رأيت الذي رأينا * لما نفيت الذي رأينا
فظاهر الامر كان قولي * وباطن الامر انت كنتا
قد اثبت الشيء قول ربي * لولم يكن ذاك ما وجدتا
فالعدم المحض ليس فيه * ثبوت عين فقل صدقتا
لولم تكن ثم يا حبيبي * اذ قال كن لم تكن سمعتا
فأي شيء قبلت منه * الكون او كون انت اتتا

وقد اشار الشيخ ايضا الى نحو هذا المعنى بقوله في شعره ايضا في الباب الثامن والثلثمائة

محي من قائل كن لعدم * ولدى قيل له لم يك ثم
ثم ان كان فلم قيل له * ليكن والقول ما لا ينقسم

الشيخ في الباب الحادي والعشرين واربعمائة ليس للائمة نافلة انما هم دائما في فرائض بعدد انفاسهم فلا نفل عندهم بخلاف الغير وقال في صلاة التحية الذي اقول به ان التحية لا تستحب الا لداخل المسجد الآن اراد القعود في المسجد فان وقف او عبر ولم يرد القعود فان شاء ركع وان شاء لم يركع وان قعد ولم يركع كره ومن كان حاله دوام الحضور مع الله ينوي بالركعتين الشكر لله حيث جعله من المتقين الذين يدخلون بيته لحديث المسجد بيت كل تقي فافهم وحرره وان كان فيه شيء * وقال في صلاة العيدين انما سمي العيدان بذلك لانه شرع فيهما اللهو واللعب المباح وحرم فيهما الصيام على المكلف فعاد له الاجر في فعل ذلك كما يحصل له ذلك في فعل السنن المشروعة في الصلاة وغيرها قال وقال بعضهم انما سمي العيدان بذلك لعودهما في كل سنة ولو صح ذلك لكانت الصلوات الخمس يسمى يومها عيدا لعودها فيه كل يوم فان تعلل قائل ذلك بالزينة في العيدين قلنا والزينة مشروعة في كل صلاة وايضا فلما عاد الفطر فيه عبادة مفروضة بعد ان كان مباحا سمي عيدا *وقال انما لم يشرع في العيدين الاذان

فلقد أبطال كن قدرة من * دل بالعقل عليها وحكم
كيف العقل دليل والذى * قد بناه العقل بالكشف هدم
فنجاة النفس فى الشرع فلا * تك انسانا رأى ثم حرم
واعتصم بالشرع فى الكشف فقد * فاز بالخير عبيد قد عصم
أهمل الفكر لا تحفل به * واتركنه مثل لحم ووضم
كل علم شهد الشرع له * هو علم فيه فلتعتصم
واذا خالفك العقل فقل * طورك الزم ما لكم فيه قدم
مثل ما قد جهل اللوح الذى * خط فيه الحق من علم القلم

الى آخر ما قال والنكتة فى التعجب كون الحق تعالى اضاف التكوين الى الشئ دون قدرته الالهية بقوله للشئ كن وجعله موجودا حين قوله له كن (وايضاح ذلك) لا يذكر الا مشافهة لاهله والله تعالى أعلم (فان قلت) فما معنى قوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين فانه يوهم ان ثم خالقين ولكن الله تعالى احسنهم خلقا فما الفرق بين خلق الخالق بارادة الله وخلق الخالق بلا واسطة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والستين وأربعمائة ان الفرق بين الخلقين ان الله تعالى اذا أراد أن يخلق خلقا خلقه عن شهود فى علمه فيكسوه ذلك الخلق حلة الوجود بعد أن كان معدوما فى شهود الخلق واما العبد فاذا خلق باذن الله شيأ كعيسى عليه السلام فلا يخلقه الا عن تقدم تصور وتدبر من اعيان موجودة يريد ان يخلق مثلها او يبدع مثلها فما خلقها العبد الا عن مثال سبق بخلاف خلق الله تعالى بلا واسطة فحصل بذلك الفرق بين الخلق المضاف الى الله بلا واسطة والمضاف الى الحق بواسطة وسيأتى بسط هذه المسألة فى مبحث خلق الافعال ان شاء الله تعالى فراجعه فى المبحث الرابع والعشرين وتقدم فى المبحث الثانى فى حدوث العالم بعد كلام طويل قول الحق جل وعلا وما خلقت لك عينين الا لتشهدنى بالواحدة وظلمتك يعنى امكانك بالاخرى والله تعالى اعلم

(المبحث الثالث عشر فى وجوب اعتقاد انه تعالى لم يزل موصوفا بمعانى اسمائه وصفاته وبيان ما يقتضى التنزيه والعلمية وما لا يقتضيهما)

اعلم ان هذا المبحث من اجل المباحث فلنبسط لك الكلام فيه بكلام محققى المتكلمين ثم بكلام محققى الصوفية فأقول وبالله التوفيق قال محقق زمان الشيخ جلال الدين المحلى معانى الاسماء والصفات هو كل ما دل على الذات المقدس باعتبار صفة كالعالم والخالق والرازق ونحوها كما انه تعالى لم يزل موصوفا بصفات ذاته وهى ما دل عليها فعله من قدرة وعلم وارادة وحياة او دل عليها التنزيه له عن النقص من سمع وبصر وكلام وبقاء قال واما صفات الافعال كالخلق والرزق والاحياء والاماتة فليست أزلية خلافا للحنفية بل هى حادثة من حيث انها متجددة اذ هى اضافات تعرض للقدرة فتتعلق بها حين اوقات وجدانها واطال فى ذلك ثم قال فان اريد بالخالق من صدر عنه الخلق فليس صدوره أزليا قاله الغزالى انتهى كلام الجلال المحلى قال ابن أبى شريف رحمه الله فى حاشيته على شرح جمع الجوامع ليس فى كلام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه ولا متقدمى أصحابه ان صفات الافعال صفات قديمة زائدة على الصفات المتقدمة وانما اخذ ذلك متأخروا أصحابه من معنى قوله فى كتاب الفقه الاكبر كان الله تعالى خالقا قبل ان يخلق ورازقا قبل ان يرزق وذكروا وجوها من الاستدلال وأما الاشاعرة فيقولون ليست صفة التكوين سوى صفة القدرة باعتبار تعلقها بايصال الرزق مثلا وفى كلام ابى حنيفة أيضا ما نصه وكما كان تعالى بصفاته أزليا كذلك لا يزال ابديا ليس منذ خلق الخلق

والاقامة لتوفر دواعى الناس على الخروج فى هذين اليومين الى مصلى العيد مع ما شرع من الاذكار المقتضب للتنادى بين والاذان والاقامة انما شرعا للاعلام لينتبه الغافلون والتنبيه هنا حاصل * وقال فى صلاة الجنازة انما شرعت الصلاة على الميت شفاعة فيه ولهذا شرع تلقين المحتضر ليكون الشافع على علم بتوحيد من يشفع فيه (قلت) وسيأتى ان شاء الله تعالى فى الباب السادس والسبعين ومائة الكلام على أحوال المحتضرين وان منهم من ينطق باسم موسى أو عيسى فيظن انه تهود أو تنصر والحال انه ما نطق باسم ذلك النبى الا فرحا بقدومه عليه لكونه وارثه فراجعه والله أعلم * وقال انما لم نؤمر بغسل الشهيد فى معركة الكفار لانه حى يرزق بنص القرآن ونحن انما أمرنا بغسل الميت والشهيد حى لا يقال فيه انه ميت وانما قال تعالى فى الشهداء عند ربهم يرزقون تنبيها على ان الشهيد حاضر عند الله والميت انما يغسل ويطهر ليحضر عند ربه طاهرا ولبقائه فى البرزخ على طهارة والشهيد حاضر عند ربه بمجرد الشهادة فلا يحتاج الى غسل فافهم وسيأتى فى الباب التاسع والخمسين وخمسمائة مزيد على ذلك * وقال لا يكون الرجل كاملا فى العلم حتى يجمع بين علم الظاهر والباطن قال تعالى فى معرض الذم لقوم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم

فافهمون (وقال) رضي الله عنه انما شرعت الفاتحة في صلاة الجنازة لان الميت في حال جمعته بلقاء ربه فناسب قراءة الفاتحة لانها قرآن اي جمع وايضا فلما فيها من الثناء على الله وذكر الثناء بين يدي الشفاعة أمكن لقبول الشفاعة ولذلك ورد انه صلى الله عليه وسلم لما يريد الشفاعة يوم القيامة يتقدم بين يدي الله ويثني على الله تعالى بمحامد يعلمه الله تعالى اياها لا يعلمه الآن ثم يشفع والله اعلم * وقال ماشرع الحق سبحانه وتعالى لنا الصلاة على الميت الا وهو يريد أن يقبل شفاعتنا فيه فان اذن من الله لنا في الشفاعة فيه وهو تعالى لا يأذن لنا في السؤال وفي علمه انه لا يقبل سؤالنا قال تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له وقد اذن لنا أن نشفع في هذا الميت بالصلاة عليه فكل مؤمن يتحقق الاجابة بلا شك قال وأما السلام بعد التكبيرة الرابعة فهو سلام انصراف عن الميت أي لقيت من ربك السلامة فعلم انه متى ذكر هذا المسلم الميت بسوء فقد كذب يقينه في قوله السلام عليكم فانه لم يسلم منه لذكره بسوء وبعد موته فافهم وحرره وان كان فيه شيء والله يتولى هداك (وقال) في قوله تعالى ان

استفاد اسم الخالق ولا باحداثه البرية استفاد اسم البارئ فله تعالى معنى الربوبية ولا مربوب وله معنى الخالق ولا مخلوق وكما نه محيي الموتى واستحق هذا الاسم قبل احيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل انشائهم وذلك بانه على كل شيء قدير انتهى كلام الامام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه قال البرماوي فقول أبي حنيفة ذلك بان الله على كل شيء قدير تعليل وبيان لاستحقاق اسم الخالق قبل المخلوق فافاد ان معنى الخالق موجود قبل الخلق وان المراد استحقاق اسمه بسبب قيام قدرته عليه فاسم الخالق ولا مخلوق في الازل صحيح لمن له قدرة الخلق في الازل هذا ما يقوله الاشاعرة قال الكمال في حاشيته وانما بينت لك هذه العبارة مع طولها لانها موضحة لكلام الجلال المحلي ومؤيدة له تأييدا ظاهرا انتهى وسيأتي الكلام على صفات الحق هل هي عينه أو غيره في الخاتمة آخر المبحث ان شاء الله تعالى (فان قيل) فهل الاسم عين المسمى او غيره (فالجواب) ان الاصح كما قاله ابن السبكي ان الاسم عينه وبه قال الشيخ ابو الحسن الاشعري رحمه الله وقال غيره هو غيره كما هو المتبادر اذ لفظ النار مثلا غيرها بلا شك قال الجلال المحلي والمراد بما قاله الاشعري بالنظر للاسم الله اذ مدلوله الذات من حيث هي بخلاف غيره كالعالم مثلا فان مدلوله الذات باعتبار الصفة كما قال الاشعري لا يفهم من الاسم الله سواه بخلاف غيره من الصفات فانه يفهم منه زيادة على الذات من علم او غيره انتهى قال ابن أبي شريف في حاشيته على انه لم يظهر لي في هذه المسئلة ما يصلح محلا لنزاع العلماء كما اوضح ذلك البيضاوي في اول تفسيره فقال اعلم ان الاسم يطلق لمعان ثلاثة الاول اللفظ المفرد الموضوع لمعنى الثاني ذات الشيء والذات والنفس والعين والاسم بمعنى قاله ابن عطية الثالث الصفة كالخالق والعليم وغيرهما من أسماء الله وهذه الثلاثة امور ولا يظهر كون شيء منها محلا للنزاع لانه ان اريد بالاسم المعنى الاول الذي هو اللفظ المفرد الموضوع لمعنى فلا شك في كونه غير المسمى اذ لا يشك عاقل ان لفظ النار غيرها كما مر وان اريد به المعنى الثاني الذي هو ذات الشيء وحقيقته فهو المسمى ولا يحتاج حينئذ الى الاستدلال وان لم يشتهر استعمال الاسم بمعنى الذات وان اريد بالاسم المعنى الثالث وهو الصفة كما هو رأي الاشعري انقسم عنده انقسام الصفة اذ هي عنده على ثلاثة اقسام ما يرجع الى الذات كالاسم الله وهو نفس المسمى وما يرجع الى الافعال كالخالق والرازق وهو غير المسمى وما يرجع الى صفات الذات كالعليم والقدير والسميع والبصير فلا يقال انها عين المسمى ولا غيره فان المسمى ذاته وهو والاسم علمه الذي ليس هو عين ذاته وهو الظاهر ولا غيره على تفسير الغيرين بما يجوز انفكاك احدهما عن الآخر قال وقد نبه الجلال المحلي على ان الاسم المسمى عند الاشعرية لكن في لفظ الجلالة خاصة من القسم الاول لان مدلوله الذات من حيث هي كما قال الاشعري لا يفهم من اسم الله سواه انتهى كلام الجلال المحلي وكلام ابن أبي شريف * واما كلام محققي الصوفية في ذلك فقال الشيخ في الباب الثاني والاربعين وثلثمائة من الفتوحات مما يؤيد قول من قال ان الاسم عين المسمى قوله تعالى ذلكم الله ربي فجعل اسمه تعالى عين ذاته كما قال قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن اياما تدعوا ولم يقل قل ادعوا بالله ولا بالرحمن فجعل الاسم هنا عين المسمى كما جعله في موضع آخر غيره قال فلو لم يكن الاسم عين المسمى في قوله ذلكم الله لم يصح قوله ربي انتهى (قلت) ومما يؤيد ذلك أيضا حديث مسلم مرفوعا انا مع عبدي اذا ذكرني وتحركت بي شفتاه فانه تعالى جعل اسمه عين ذاته اذ الذات لا تحرك بها الشفتان وانما تتحرك بالاسم الذي هو اللفظ فليتأمل والله اعلم (فان قلت) فما التحقيق في أقسام الاسماء الالهية كم هي ترجع الى قسم (فالجواب) هي ترجع الى ثلاثة اقسام أسماء تدل على الذات وأسماء تدل على التنزيه وأسماء تدل على صفات الافعال وما ثم مرتبة رابعة

حتى ما استأثر الله تعالى بعلمه فانه يرجع الى هذه المراتب ثم ان هذه الثلاثة ترجع الى قسمين قسم يقتضي التنزيه كالكبير والعلي والغني والاحد وما يصح ان ينفرد به الحق تعالى مما تطلبه الذات لذاتها وقسم يقتضي طلبه العالم كالمتكبر والمتعالي والرحيم والغفور ونحو ذلك مما تطلبه الذات من كونه تعالى الها ذكره الشيخ في الباب الثامن والستين من الفتوحات والباب الثاني والسبعين وثلثمائة منها * وقال في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة اعلم اننا ما وجدنا قط اسما لله تعالى يدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات ابدا لانه ما وصل الى علمنا اسم الا وهو على احد امرين اما يدل على فعل وهو الذي يستدعي العالم ولا بد واما تنزيه وهو الذي يستروح منه اجلاله تعالى عن صفات نقص كوني تنزه الحق تعالى عنها غير ذلك ما اعطانا الله تعالى (فان قلت) فما ثم على هذا اسم علم الله تعالى ما فيه سوى العلمية ابدا الا ان كان ذلك في علمه تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين نعم ما ثم على هذا اسم علم لله ابدا فيما وصل الينا وذلك لان الله تعالى ما اظهر اسماءه لنا الا لنثني بها عليه فمن المحال ان يكون فيها اسم علم لان الاسماء الاعلام لا يقع بها ثناء على المسمى وانما هي اسماء اعلام للمعاني التي تدل عليها وتلك المعاني هي التي يثني بها على من ظهر عندنا حكمه بها عينا وهو المسمى بمعانيها والمعاني هي المسماة بهذه المعاني اللفظية كالقادر والعالم ونحوهما قال و يؤيد ذلك قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وليست الا المعاني لا هذه الالفاظ اذ الالفاظ لا تتصف بالحسن او القبح الا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها فلا اعتبار لها من حيث ذاتها فانها ليست بزائدة على حروف مركبة ونظم خاص يسمى اصطلاحا (فان قلت) فاذن فما سميت اسماء الله حسنى ليكون لها مقابل غير حسن وانما هي حسنى من حيث ظهور حسنها في العرف (فالجواب) نعم وهو كذلك فما ظهر لنا حسنه في العرف فهو حسن مطلقا وما لم يظهر له حسن في العرف فحسنه مبطون فيه مجهول على العامة واما الخاصة فحسن جميع الاسماء ظاهر لهم لا يخفى عليهم لمعرفتهم بالحق تعالى في سائر مراتب التنكرات في العالم هذا ما ذكره الشيخ في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة وكان قبل ذلك يقول لم نعلم من الاسماء الالهية اسما يدل على الذات في جميع ما ورد علينا في الكتاب والسنة الا اسم الله لانه اسم علم لا يفهم منه الا الذات المسمى ولا يدل على مدح ولا ذم وبسط الكلام على ذلك في الباب السابع والسبعين ومائة من الفتوحات بسطا طويلا فلخصت منه ما ذكرته لك وكذلك طالعت جميع كتاب لواقح الانوار في هذا المبحث ولخصته هنا فاعتمده * وقد قال الشيخ محيي الدين في هذا الباب الذي هو السابع والسبعون ومائة وما قلناه من العلمية هو في مذهب من لا يرى انه مشتق ثم انه على قول الاشتقاق هل هو مقصود المسمى اوليس بمقصود له كما اذا سمينا شخصا بيزيد على طريق العلمية وان كان هو فعل من الزيادة لكننا لم نسمه لكونه يزيد وينمو في جسمه مثلا وانما سميناه به لنعرفه ونصيح به اذا نادينا فمن الاسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد فاذا قبلت هذه الاسماء على هذا المعنى فهي اعلام واذا قبلت على اسماء المدح فهي اسماء صفات قال وبهذا وردت جميع اسماء الحسنى ونعت بها تعالى ذاته من طريق المعنى قال واما الاسم الله فنعت به نفسه من طريق الوضع اللفظي فالظاهر ان الاسم الله للذات كالعلم ما اريد به الاشتقاق وان قال بعضهم باشتقاقه (فان قلت) فهل اسماء الضمائر تدل على الذات كالاسماء الصريحة ام لا (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين انها تدل على الذات بلا شك فانها ليست بمشتقة ولكنها مع ذلك ليست اعلاما وان كانت اقوى في الدلالة من الاعلام فان الاعلام قد تفتقر الى النعوت واسماء الضمائر لا تفتقر وذلك مثل لفظة هو وذا وانا وانت ونحن

الله وملائكته يصلون على النبي في هذه الآية تشريف عظيم للملائكة بجمعهم مع الله في ضمير واحد في قوله يصلون وانما نصب الملائكة بالعطف ليتحقق ان الضمير جامع للمذكور قبله فليتأمل *وقال ينبغي للمصلي على الميت اذا شفع فيه بالدعاء عند الله أن لا يخص ذنبا بعينه بل يعم كل ذنب و يعترف عن الميت بجميع السيئات لتعم الميت الرحمة وان لم يعمم المصلي فالميت تحت المشيئة فان شاء الحق عمه بالتجاوز والمغفرة وان شاء عامل الميت بحسب ما وقعت فيه الشفاعة من الشافع قال ولهذا ينبغي للمصلي على الميت أن يسأل الله تعالى له التخلص من العذاب لا في دخول الجنة فقط لانه ما ثم دار ثالثة انما هي جنة أو نار واذا سأل في دخول الجنة قبل سؤاله ولكن ربما يرى في الطريق ما يهوله فلهذا كان اشتغال المصلي في شفاعته بان ينجي الله ذلك الميت من كل ما يحول بينه وبين استصحاب العافية له أولى للميت وأنفع وفي الحديث وعافه واعف عنه قال وعلم مما قدمناه أن الشفاعة مقبولة في كل مسلم وأن كل من ظن بعلم عدم قبول الشفاعة فيه فما عنده من ذلك خبر لا والله بل ذلك الميت سعيد ولو كانت ذنوبه عدد الحصى والرمل أما المختصة بالله تعالى فمغفورة وأما مظالم العباد فان الله يصلح بين عباده يوم القيامة فعلى كل حال لا بد من الخير ولو بعد

والياء من اني والكاف من انك فاما هو فهو اسم لضمير الغائب وهو اعرف عند أهل الله من الاسم الله في اصل الوضع لانه يدل على هوية الحق التي لا يعلمها الا هو واما ذا فهو من اسماء الاشارة مثل قوله ذلكم الله ربكم وكذلك لفظة ياء المتكلم مثل قوله تعالى فاعبدني واقم الصلاة لذكري وكذلك لفظة أنت وتاء المخاطب مثل قوله كنت انت الرقيب عليهم وكذلك القول في لفظة نحن وأنا مشددة ولفظة نا من نحو قوله انا نحن نزلنا الذكر وكذلك حرف كاف الخطاب نحو قوله انك انت العزيز الحكيم فهذه كلها اسماء ضمائر واشارات وكنايات تعم كل مضمر ومخاطب ومشار اليه ومكني عنه وامثال ذلك انتهى * وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة الذي هو آخر الفتوحات اعلم ان الاسم الله انما اسماء بالوضع ذات الحق تعالى عينه الذي بيده ملكوت كل شيء واطال في ذلك ثم قال فعلم ان كل اسم الهي يتضمن اسماء التنزيه من حيث دلالته على ذات الحق ولكن لما كان ماعدا الاسم الله من الاسماء مع دلالته على ذات الحق تعالى يدل على معنى آخر من نفي او اثبات من حيث الاشتقاق لم تقو احدية الدلالة على الذات قوة هذا الاسم كالاسم الرحمن وغيره من الاسماء الحسنى قال وقد عصم الله تعالى هذا الاسم العلم أن يتسمى به احد غير ذات الحق ولهذا قال تعالى في معرض الحجة على من نسب الالوهية لغير الله تعالى قل سموهم فلو سموهم ما سموهم الا بغير الاسم الله لانهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقد علمت ان الاسم الله يدل على الذات بحكم المطابقة كالاسماء الاعلام على مسمياتها انتهى (قلت) وقد بان لك تناقض كلام الشيخ في قوله ان الاسم الله علم أو غير علم فانه ذكر أولا في الباب السابع والسبعين وثلثمائة انه اسم علم ثم ذكر في الباب الذي هو التاسع والسبعون وثلثمائة انه غير علم ثم ذكر في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة انه علم فليحرر والله تعالى اعلم (فان قلت) فعلى ما قررتموه من ان المراد من الاسماء الالهية معانيها ومعانيها الا الفاظها تكون جميع الاسماء التي بأيدينا اسماء للاسماء الالهية التي سمى الحق تعالى بها نفسه من كونه متكلما (فالجواب) نعم وهو كذلك فتضع الشرح الذي كما نوضح به مدلول تلك الاسماء على هذه الاسماء التي بأيدينا فانه تعالى تسمى بها من حيث ظهورها للعالم فلها من الحرمة ما للاسماء الالهية بالذات كما قلنا في الحروف المرقومة في المصحف انها كلام الله تعالى وان كان لها تحقق آخر يعرفه العلماء بالله (فان قلت) فهل يعم تعظيم الاسماء جميع الالفاظ الدائرة على السنة الخلق على اختلاف طبقاتهم والسنتهم (فالجواب) نعم هي معظمة في كل لغة لرجوعها الى ذات واحدة فان اسم الله لا تعرف لعرب غيره وهو بلسان فارس خداي وبلسان الحبشة واق وبلسان الفرنج كربطرور وابحث على ذلك في سائر الالسن تجد ذلك الاسم الالهي معظما في كل لسان من حيث ما يدل عليه ولهذا نهانا الشارع صلى الله عليه وسلم أن نسافر بالمصحف الى ارض العدو وهو بلاشك خط ايدينا وورق مرقومة بأيدي المحدثات عددم مركب من عفص وزاج مثلا فلولا هذه الدلالة التي في الاسماء والحروف لما وقع لها تعظيم واطال الشيخ في ذلك في الباب السابع والتسعين ومائتين فراجعه (فان قلت) فاذن يحرم علينا التسمي بنظير أسماء الله تعالى كنافع ونود ووكيل ونحو ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والاربعين نعم يحرم ذلك ويجب علينا شرعا وعقلا اجتناب ذلك وان أطلقنا اسما منها على احد فانما نذكره مع كوننا ذاهلين عن تعلقه بالله تعالى كما اذا قلنا فلان مؤمن فان مرادنا به كونه مصدقا بما وعد الله به وأوعد وليس مرادنا المعنى المتعلق باسم الله تعالى المؤمن واما تسمية الحق تعالى عبده محمدا صلى الله عليه وسلم رؤفا رحيما فانما نذكر ذلك على سبيل التلاوة والحكاية لكلام الله تعالى فتسميه صلى الله عليه وسلم بما سماه الله تعالى به ولا حرج لان صاحب الاسم هو الذي خلع عليه ذلك الاسم

ثمّ تبين قبل دخول الجنة فاعلم ذلك * وقال رفع الايدي في التكبيرات مؤذن بالافتقار في كل حال كان الشافعي يقول ثما بايدينا شيء من أحوالنا والامر كله لك يا ربنا قال وانما استقر الامر في الجنازة على اربع تكبيرات اعتبارا بان أكثر عدد ركعات الفرائض اربع ومعلوم انه لا ركوع في صلاة الجنازة بل هي كلها قيام وكل قيام للقراءة فيها له تكبيرة وأطال في ذلك * وقال الذي أقول به انه لا ترجيح في مكان وقوف الامام على الجنازة من رأسه أو وسطه أو رجليه ذكرا كان أو انثى وذلك لان مقصود المصلي انما هو سؤال الله تعالى والحديث معه في الشفاعة في حق هذا الميت واحضار الميت بين يديه فلا يبالي أين يقوم منه الا أن يرد عن الشارع فيه شيء فيتبع قال وأيضا فان التردد في الوقوف يقسم الخاطر عن المقصود ويفرقه عنه لاسيما ان كانت الجنازة انثى فانه يتوهم انه اذا وقف وسطها يسترها بذلك لو وقف ممن خلفه ولا يخطر له ذلك حتى يستحضر في نفسه عورتها فلم يسترها عن نفسه وذلك يقدح في حضور المصلي مع الحق فانه انما يستقبل الحق من المصلي قلبه والقلب قد تفرق بيقين باستحضار ما لا ينبغي استحضاره من عورة المراة واطال في ذلك * وقال الذي أقول جواز الصلاة على القبر في غير مدة معينة لان شرط

مع

مع اعتقادنا انه صلى الله عليه وسلم في نفسه مع ربه عبد ذليل خاشع أواه منيب انتهى (فان قلت) فهل في اسماء الله تعالى افضل ومفضول وان جمعها كلها العظمة والجلال ام كلها متساوية (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة ان اسماء الله تعالى متساوية في نفس الامر لرجوعها كلها الى ذات واحدة وان وقع تفاضل فانما ذلك لامر خارج فان الاسماء نسب واضافات وفيها ائمة وفيها سدنة وفيها ما تحتاج اليه الممكنات احتياجا كليا ومنها ما لا تحتاج اليه الممكنات ذلك الاحتياج الكلي بالنظر للاحوال المشاهدة فالذي يحتاج اليه الممكن احتياجا ضروريا الاسم الحي العالم المريد القادر والاخير في النظر العقلي هو القادر فهذه اربعة يطلبها الممكن بذاته وما بقي من الاسماء فكالسدنة لهذه الاسماء ثم يلي هذه الاسماء الاربعة في ظهور الرتبة الاسم المدبر والمفصل ثم الجواد ثم المقسط فعن هذه الاسماء كان عالم الغيب والشهادة والدنيا والآخرة والبلاء والعافية والجنة والنار انتهى

* وكان سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه يذهب الى التفاضل في الاسماء ويقول في قوله تعالى وكلمة الله هي العليا هو الاسم الله فانه اعلى مرتبة من سائر الاسماء ولذلك تقدم في التسمية وفي نحو قوله الله لا اله الا هو الحي القيوم على ما ذكر مما يعطف عليه من الاسماء واجمع المحققون على أنه الاسم الجامع لحقائق الاسماء كلها قال ونظير ذلك ايضا ولذكر الله اكبر اي ولذكر الاسم الله اكبر من ذكر سائر الاسماء انتهى قال الشيخ محيي الدين نحو ذلك ايضا بالنظر للاستعاذة من الشيطان فقال انما خص الامر بالاستعاذة بالاسم الله دون غيره من الاسماء لان الطرق التي يأتينا منها الشيطان غير معينة فأمرنا بالاستعاذة بالاسم الجامع فكل طريق جاءنا منها يجد الاسم الله مانعاله من الوصول الينا بخلاف الاسماء الفروع انتهى * وقال ايضا في الباب الثاني والثمانين في قوله تعالى ففروا الى الله انما جاء بالاسم الجامع الذي هو الله لان في عرف الطبع الاستناد الى الكثرة قال صلى الله عليه وسلم يد الله مع الجماعة والنفس يحصل لها الامان باستنادها الى الكثرة والله تعالى مجموع اسماء الخير ومن حقق معرفة الاسماء الالهية وجد أسماء الاخذ والانتقام قليلة واسماء الرحمة كثيرة في سياق الاسم الله انتهى فتأمل هذا المبحث وحرره والله يتولى هداك

(خاتمة) (فان قلت) هل يصح لاحد الانس بالله تعالى كما يصح الانس بغيره من الاسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاربعين ومائتين ان الانس بالذات لا يصح لاحد عند جميع المحققين لانتفاء المجانسة بل نقول انه لا يصح الانس باسم من اسماء الله تعالى ابدا انما حقيقة الانس ترجع الى ما يصل الى العبد من تقريبات الحق تعالى ونور الاعمال لا غير ومن قال انه انس بعين ذات الحق تعالى فقد غلط انتهى والله اعلم (فان قلت) فهل الرحمن الرحيم اسمان كما هو مشهور أم هما اسم واحد مركب كبعلبك ورامهرمز (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الاسرار ان الذي اعطاه الكشف انهما اسم واحد كما ذكر في السؤال انتهى * وقال في الباب الثاني والتسعين ومائة وقد بلغنا ان الكفار كانوا يعرفونه مركبا فلما افرد أنكروه ولم يعرفوه انتهى (فان قيل) فهل كل اسم الهي يجمع جميع حقائق الاسماء الالهية أم كل اسم لا يتعدى حقيقته (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع من الفتوحات ان كل اسم الهي يجمع جميع حقائق الاسماء ويحتوي عليها مع وجود التمييز بين حقائق الاسماء في الشهود قال وهذا مقام اطلعني الله تعالى عليه ولم أر له ذائقا من اهل عصري انتهى (فان قلت) فهل يصح لاحد من الخلق التخلق بالقيومية الذي هو السهر الدائم ليلا ونهارا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين انه يصح التخلق به كباقي الاسماء الالهية التي يصح التخلق بها لاحد من الخلق بلا فرق وليس ذلك من خصائص الحق كما قال به شيخنا ابو عبد الله بن جنيد قال والحق

الصلاة انما هو مواراته من الابصار بكفن أو بتراب وأطال في ذلك ثم قال فان كان المراد بتلك الصلاة الروح المدبر لهذا الجسم فالروح قد عرج به الى بارئه وقد فارق الجسد فلا مانع من الصلاة عليه وان كان المراد بتلك الصلاة الجسد دون الروح فسواء كان فوق الارض أو تحت الارض فان الشارع ما فرق فكل واحد قد رجع الى أصله فالتحق الروح منه بالارواح والتحق العنصري بالعنصر فليتأمل ويحرر * وقال في حديث صلوا على من قال لا اله الا الله شرط الشارع صحة الصلاة على الميت بالقول لكلمة التوحيد فمن لا يتصور منه القول أولم يسمع منه قولها كالصبي الرضيع صلينا عليه فان الرضيع يلحق بابيه في الحكم ومن لم يسمع منه يلحق بالدار والدار دار الاسلام وأطال في ذلك * وقال الذي أقول به وجوب الصلاة على من قتل نفسه خلافا لبعضهم في استناده الى خبر ان الذي قتل نفسه خالد مخلد في النار يعني خلود تأبيد ونحن نقول لم يرد لنا نص في النهي عن الصلاة على من قتل نفسه فيحمل الخبر على من قتل نفسه ولم يصل عليه ولاسيما الاخبار الصحاح والاصول تقضي بخروج قاتل نفسه والخبر الوارد في خلوده في النار خرج مخرج الزجر أو يحمل على قاتل نفسه من الكفار فانه لم يقل في الحديث من المؤمنين فتطرق الاحتمال واذا تطرق الاحتمال

ماقلناه من وقوع التخلق به انتهى (فان قلت) فهل يصح لاحد التخلق باسم الهوية او الاحدية او الغنى عن العالمين (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين لا يصح التخلق بذلك لاحد لان هذه الامور من خصائص الحق تعالى فلا يصح ان يتخلق بها مخلوق لا عيانا ولا نظرا عقليا وقد قال ايضا في باب الاسرار اعلم ان التخلق بالاسماء على الاطلاق من اصعب الاخلاق لما فيهما من الخلاف والوفاق فاياك يا اخي ان يظهر مثل هذا عنك قبل وصولك الى مشهد من قال أعوذ بك منك فيمن استعاذوا الى من لا ذا انتهى فتأمل في هذه الجواهر فانك لا تجدها مجموعة في كتاب والله يتولى هداك وهو حسبي ونعم الوكيل واليه المصير

(المبحث الرابع عشر في أن صفاته تعالى عين او غير او لا عين ولا غير)

اعلم يا اخي ان نفي الصفات الذاتية ينسب الى المعتزلة وهم لم يصرحوا بذلك كما قاله شيخ الاسلام ابن ابي شريف في حاشيته وانما اخذ الناس ذلك من نفيهم صفات الذات كالقدرة والعلم مثلا من حيث كونها زائدة والا فالمعتزلة متفقون على انه تعالى حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم لكن بذاته لا بصفة زائدة قالوا ومعنى انه متكلم انه خالق الكلام في الشجرة مثلا قال وهذا بناء منهم على انكار الكلام النفسي وزعمهم ان لا كلام الا اللفظي وقيام اللفظي بذاته تعالى ممتنع فما نقل عنهم من نفي الصفات على هذا التقرير لازم لمذهبهم ولازم المذهب ليس بمذهب على الراجح واطال في ذلك ثم قال ومذهب اهل السنة ان صفات الحق السبعة زائدة على الذات قائمة بها لازمة لها لزوما لا يقبل الانفكاك وقالوا الحق تعالى حي بحياة عالم بعلم قادر بقدرة وهكذا قال واما صفة البقاء فقد اختلفوا فيها فالاشعري واكثر اتباعه على انها صفة زائدة على الذات وقال القاضي والامامان وغيرهم كقول المعتزلة انه تعالى باق لذاته لا ببقاء قال والادلة من الجانبين مسطورة في كتب أصول الدين قال وانما نفى المعتزلة الصفات على ما تقرير ه هرو با من تعدد القدماء وأهل السنة قالوا القديم لذاته واحد وهو الذات المقدس وهذه صفات وجبت للذات لا بالذات والتعدد لا يكون في القديم لذاته انتهى ذكره في مبحث الاشتقاق من شرح جمع الجوامع في حاشيته انتهى كلام المتكلمين * واما ما قاله الصوفية رضي الله تعالى عنهم فقد قال سيدي علي بن وفا رحمه الله اعلم ان الذات شيء واحد لا كثرة فيه ولا تعدد بالحقيقة وانما خاف المعتزلة من تعدد القدماء من جهة اعتبار تعينها بالصفات وذلك انما هو تعدد اعتباري والاعتباري لا يقدح في الوحدة الحقيقية كفروع الشجرة بالنظر لاصلها او كالاصابع بالنظر للكف انتهى (فان قيل) فما الفرق بين الصفات والاوصاف (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الكلام على التشهد في الصلاة من الفتوحات ان الصفات يعقل منها امر زائد وعين زائدة على عين الموصوف واما الاوصاف فقد تكون عين الموصوف بنسبة خاصة ما لها عين موجودة انتهى * وذكر ايضا في الباب السادس عشر واربعمائة عن شيخه ابي عبد الله الكناني امام المتكلمين بالمغرب انه كان يقول كل من تكلف دليلا على كون الصفات الالهية عينا او غيرا فدليله مدخول لكن من قال انها عين فهو اكثر أدبا وتعظيما وسيأتي آخر المبحث الآتي عقبه ان من الادب ان نسمي الصفات اسماء لانه هو الوارد فراجعه وقد بسط الشيخ محيي الدين الكلام على مبحث الصفات هل هي عين او غير واحسن ما رأيته عنه في جميع الفتوحات ما ذكره في هذه الابواب الخمسة الآتي ذكرها وهي الباب السابع عشر والباب السادس والخمسين والباب الثالث والسبعين وثلثمائة والباب السبعين واربعمائة والباب الثامن والخمسين وخمسمائة فاما ما قاله في الباب السابع عشر فقال اعلم ان جميع الاسماء والصفات الالهية كلها نسب واضافات ترجع الى عين واحدة لانه لا يصح هناك كثرة بوجود

الشرعية تؤخذ من جهات متعددة ويضم بعضها الى بعض ليقوى بعضها بعضا وأما حديث بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة اي قبل رؤيتي لا سيما من قتل نفسه شوقا الى ربه فان القاتل نفسه لولا ظن الراحة عند ربه ما قتل نفسه ولا بادر الى ذلك والله يقول أنا عند ظن عبدي بي قال وهذا هو الاليق ان يحمل عليه لفظ هذا الخبر الالهي اذ لا نص صريحا يخالف هذا التأويل وان ظهر فيه بعد فليعد الناظر في نظره من الاصول المقررة التي تناقض هذا التأويل فان في الصحيح أخرجوا من النار من كان في قلبه ادنى من مثقال حبة من خردل من ايمان فلم يبق الا ما ذكرناه اه فليتأمل ويحرر * وقال وجه من منع الصلاة على شهيد المعركة كونه جاء بنص القرآن كحياة زيد وعمرو ومن كان بهذه المثابة فلا يصلى عليه ووجه من قال يصلى عليه مع اعتقاده ايمانا انه حي كونه انقطع عمله فهو وان كان حيا قد انقطع عن العمل فيدعى له فيزاد في درجاته ويصير ذلك كانه من عمله

*وقال الذي أقول به في الاطفال المسبيين من اهل الحرب اذا ماتوا ولم يحصل منهم تمييز ولا عقل انه

اعيان أخر كما توهمه بعض النظار ولو كانت الصفات اعيانا زائدة وما هو اله الا بها لكانت الالوهية معلومة بها ثم لا يخلو أن تكون هي عين الاله فالشئ لا يكون علة نفسه أو لا تكون عينه فالله تعالى لا يكون معلولا لعلة ليست عينه فان العلة متقدمة على المعلول بالرتبة فيلزم من ذلك افتقار الاله من كونه معلولا لهذه الاعيان الزائدة التى هى علة له وهو محال ثم ان الشئ المعلول لا يكون له علتان وهذه علل كثيرة لا يكون الها الا بها فبطل ان تكون الاسماء والصفات اعيانا زائدة على ذاته تعالى الله عن ذلك انتهى * واما ما قاله فى الباب السادس والخمسين فهو قوله اعلم يا اخى ان الاستقراء السقيم لا يصح فى العقائد لان مبناها على الادلة الواضحة وقد تتبع بعض المتكلمين ادلة المحدثات فلم يجد فيها من هو عالم لنفسه فاعطاه دليله ان لا يكون عالم قط الا بصفة زائدة على ذاته تسمى علما وحكمها فيمن قامت به ان يكون عالما قال وقد علمنا ان الحق تعالى عالم فلا بد ان يكون له علم ويكون ذلك العلم صفة زائدة على ذاته قائمة به قال الشيخ محيى الدين وهذا استقراء سقيم بل هو الله العالم القادر الخبير كل ذلك بذاته لا بأمر زائد عليها اذ لو كان ذلك بأمر زائد على ذاته وهى صفات كمال لا يكون كمال الذات الا بها لكان كماله تعالى بشئ زائد على ذاته واتصفت ذاته بالنقص والفقر اذا لم يقم بها هذا الزائد تعالى الله عن ذلك فهذا هو الذى دعا بعض المتكلمين ان يقول فى صفات الحق تعالى انها غيره فاخطأ طريق الصواب وسبب خطئه انه رأى العلم من صفات المعانى بقدر رفعه مع كمال ذات العالم من الخلق فلما اعطاه الدليل ذلك طرده شاهدا وغائبا يعنى فى حق الخلق والحق معا انتهى على ان الشيخ ذكر فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى العليم ان من الخلق من يكون علمه من ذاته لا بأمر زائد وذلك فى كل علم يدركه الانسان بعين وجوده خاصة ولا يفتقر فى تحصيله الى امر آخر فاذا ودعليه ما لا يقبله الا بكونه موجودا على مزاج خاص فهو علمه الذاتى انتهى فليتأمل كأنه يقول فاذا كان بعض العبيد يقع له عدم استفادة العلم من غيره فالحق اولى لكن الفرق بين علم هذا العبد وعلم الحق تعالى ان علم العبد هبة من الله تعالى له حين نفخ فيه الروح فليس علمه من قسم من كان علمه بذاته حقيقة وهو الله فافهم ذلك واياك والغلط * واما ما ذكره فى الباب الثالث والسبعين وثلثمائة فهو قوله اعلم انه لا يجوز الحكم على الله بشئ لانه خير الحاكمين ومن هنا يعلم انه لو كانت صفات الحق تعالى زائدة على ذاته كما يقول به بعضهم لحكم على الذات بما هو زائد عليها او لا هو عينها وقد زل فى هذه المسئلة كثير من المتكلمين واصلهم فيها قياس الغائب على الشاهد وهو غاية الغلط فان الحكم على المحكوم عليه بأمر ما من غير ان تعلم ذات المحكوم عليه وحقيقته جهل عظيم من الحاكم عليه بذلك فرحم الله ابا حنيفة حيث لم يقض على غائب انتهى * واما ما قاله فى الباب السبعين واربعمائة فهو قوله اعلم ان بالعلم يعلم العلم فالعلم معلوم العلم فهو العلم والمعلوم والعلم صفة العالم فما عرف الحق تعالى منك الا علمك لا انت غير ذلك لا يصح لك ومن هنا قالوا العلم حجاب اى عن شهود حقيقة الحق تعالى قال الشيخ محيى الدين وهذا الذى ذكرناه هو الذى يمشى على قول بعض المتكلمين فى الصفات انها ما هى غيره فقط ويقف واما قولهم بعد هذا المقول ولا هى هو فانما ذلك لما اداهم انه معقول زائد على هو فنفى هذا القائل ان تكون الصفات هو وما قدر على ان يثبت هو من غير علم يصفه به فقال وما هو غيره فحار فنطق بما اعطاه فهمه وقال صفات الحق لا هى هو ولا هى غيره قال الشيخ محيى الدين وهو كلام خلى من الفائدة وقوله لا روح فيه يدل على عدم كشف قائله قال ولكنا اذا قلنا نحن مثل هذا القول لم نقله على حد ما يقوله المتكلم فانه يعقل الزائد ولا بد ونحن لا نقول بالزائد ولا يخالف كشفنا بان الصفات الالهية عين فان من يقول انها غير واقع فى قياس الحق تعالى على الخلق فى زيادة الصفة على الذات فما زاد هذا على الدين قالوا ان الله غير الا بحسب العبارة فقط

قال لا يصلى عليهم لان الطفل مأخوذ من الطفل وهو ما ينزل من السماء غدوة وعشية وهو اضعف من الرش والوبل والسكب فلما كان بهذا الضعف كان مرحوما والصلاة رحمة فالطفل يصلى عليه ادامات بكل وجه اه فليتأمل ويحرر * وقال الوالى اولى من الولى فى الصلاة على الجنازة لان النبى صلى الله عليه وسلم صلى على الجنائز ولم ينقل عنه قط انه اعتبر الولى ولا سأل عنه وقدم الحسين ابن على سعيد بن العاص وهو والى المدينة فى الصلاة على الحسن بن على قال والحاقه فى هذه المسئلة بصلاة الجماعة وصلاة الجمعة اولى من الحاقه بالولى فى مواراته ودفنه وذلك ان الولى له اطلاق الحكم فى العموم والخصوص فهو اقوى ممن له الحكم فى بعض الامور فهو اولى بالشفاعة عند الله فى الميت فانه نائب الشارع ونظر الشارع الى من استخلفه اعظم من نظره الى غيره وكلامه اقبل عنده لكونه فوض اليه الحكم فيما ولاه * وقال فى قوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته انما فصل تعالى بين صلاته

 علينا وبين صلاة الملائكة دون صلاته تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله ان الله وملائكته

فانه جعل كمال الذات لا يكون الا بغيرها فنعوذ بالله ان نكون من الجاهلين انتهى فتلخص من جميع كلام الشيخ انه قائل بان الصفات عين لا غير كشفا ويقينا وبه قال جماعة من المتكلمين وما عليه اهل السنة والجماعة اولى والله سبحانه يتولى هداك

* (المبحث الخامس عشر في وجوب اعتقاد أن أسماء الله تعالى توقيفية) *

فلا يجوز لنا أن نطلق على الله تعالى اسما الا ان ورد في الشرع وقالت المعتزلة يجوز لنا ان نطلق عليه الاسماء التي معناها به تعالى وان لم يرد بها شرع ومال الى ذلك القاضي ابو بكر الباقلاني قال الشيخ كمال الدين بن ابي شريف في حاشيته وليس الكلام في اسمائه الاعلام الموضوعة في اللغات وانما الخلاف في الاسماء المأخوذة من الصفات والافعال كما نبه عليه السيد في شرح المواقف وقال المولى سعد الدين في المقاصد محل النزاع ما اتصف البارى جل وعلا بمعناه ولم يرد لنا اذن به وكان مشعرا بالجلال والتعظيم من غير وهم اخلال انتهى قال الشيخ كمال الدين والقيد الاخير للاحتراز عن اطلاق ما يوهم اطلاقه امرا لا يليق بكبريائه تعالى كلفظ عارف مثلا لان المعرفة قد يكون المراد بها علما يسبقه غفلة وكلفظ فقيه فان الفقه فهم غرض المتكلم من كلامه ولولا كلامه ما فهم منه شئ وذلك يشعر بسابقة جهل وكلفظ عاقل فان العقل علم مانع من الاقدام على ما لا ينبغي مأخوذ من العقال ونحو ذلك انتهى هذا ما رأيته من كلام المتكلمين * واما كلام المحققين من الصوفية فقال الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه اعلم انه لا يجوز اجماعا ان نشتق له اسما من نحو الله يستهزئ بهم ولا من نحو قوله ومكروا ومكر الله ولا من نحو قوله وهو خادعهم ولا من نحو قوله نسوا الله فنسيهم وان كان تعالى هو الذي اضاف ذلك الى نفسه في القرآن فنتلوه على سبيل الحكاية فقط ادبا معه سبحانه وتعالى ونخجل منه من حيث تنزله تعالى لعقولنا ومخاطبتنا بالالفاظ اللائقة بنا لا به ثم انشد

ان الملوك وان جلت مناصبها * لها مع السوقة الاسرار والسمر

فعلم ان تنزل الحق تعالى لعباده من جملة عظمته وجلاله يزداد بذلك تعظيما في قلب العارف به قال تعالى ولله الاسماء الحسنى يعني الواردة في الكتاب والسنة وما ثم الاحسنى لانه لا يصح ان يكون لها مقابل انتهى وقد مر ذلك في المبحث قبله * وقال في الباب السابع والسبعين ومائة ليس لاهل الادب مع الله تعالى ان يشتقوا له اسما ولو حسنا في العرف سواء كان طريقهم الى ذلك الكشف او النظر الصحيح وقال أيضا في كتاب القصد لا يجوز لنا ان نسمي الله تعالى الا بما سمى به نفسه على ألسنة رسله فما اطلقه على نفسه أطلقناه وما لا فلا فانما نحن به وله وقال في باب الاسرار وغيره لا يجوز ان يقال في الحق تعالى انه مصدر الاشياء وان كان له وجه بعيد الى الصحة لانه قد يفهم العاقل منه ان العالم منفصل من ذات الحق بل صرح بعضهم بذلك وهو كفر وقد ضرب بعض الخلفاء عنق من قال في شعره

قطعت الورى من نفس ذاتك قطعة * ولا أنت مقطوع ولا أنت قاطع

وقال الشيخ في كتاب القصد لا ينبغي ان يقال في الحق تعالى قديم وان كان هو بمعنى اسمه تعالى الاول ومثله الازلي والابدي قال وكذلك لا ينبغي ان يقال الحق تعالى ذو حياة وانما يقال انه تعالى حي كما ورد وذلك لقول الله تعالى خالق الموت والحياة وما خلقه تعالى لا يوصف به وكذلك لا يقال انه تعالى اخترع العالم الا بوجه ما وذلك لان العالم كله كان ثابتا في علمه تعالى قبل بروزه الى عالم الشهادة وما كان ثابتا كذلك لا يقال انه اخترعه وانما يقال ابرزه على وفق ما سبق به العلم قال وكذلك لا يقال يجوز للحق تعالى ان يفعل كذا ويجوز ان لا يفعله لان اطلاق الجواز على الله لم يرد لنا في كتاب

في صلاة الحق في قوله عليكم لحصل له صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه جمعا وافرادا * وقال من غيره الله تعالى انه ما من مخلوق الا ولمخلوق آخر عليه يد بوجه ما فان أراد مخلوق الفخر على مخلوق بما أسداه اليه من الخير نكس رأسه ما كان من مخلوق آخر اليه لتكون المنة لله وحده ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للانصار لما ذكر لهم أن الله تعالى هداهم به صلى الله عليه وسلم لو شئتم لقلتم وجدناك طريدا فآويناك وضعيفا فنصرناك الحديث فذكر ما كان منهم في حقه صلى الله عليه وسلم وكان الله قادرا على نصره من غير سبب ولكن فعل ما تقتضيه الحكمة من ربط الاسباب بعضها ببعض قال وهذا من أسرار المعرفة فاجعل بالك له (وقال) في قوله تعالى في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه الآية معنى رفعها تمييزها عن البيوت المنسوبة الى الخلق ويذكر فيها اسمه أي بالاذان والاقامة والتلاوة والذكر والموعظة يسبح أي يصلي له فيها بالغدو والآصال رجال انما لم يذكر النساء لان الرجل يتضمن المرأة فان حواء جزء من آدم فاكتفى بذكر الرجال عن النساء

ولا

ولاسنة ولادل عليه عقل مع ان الجواز يفتقر الى المرجح بوقوع احد الجائزين وماثم فاعل الا الله وقد افتقر أهل هذه المذاهب الى اثبات ارادة حتى يكون الحق تعالى يرجح بها غير ارادته القديمة ولا يخفى ما في هذه المذاهب من الغلط لانه يصير الحق تعالى محكوما عليه بما هو زائد على ذاته وهو عين ذات اخرى انتهى * وقال الشيخ محيي الدين في الباب العشرين واربعمائة والذى نقول به ان اطلاق الجواز على الحق تعالى جائز للعارف الذى علمه الله تعالى ضرب الامثال لله تعالى وذلك لان العين المخلوقة من حيث كونها ممكنة تقبل الوجود وتقبل العدم فجائز ان يخلقها وجائز ان لا يخلقها فلا موجود ثم اذا وجدت فبالمرجح وهو الله واذا لم توجد فبالمرجح وهو الله أيضا ولا حاجة الى تكلف ارادة زائدة وبذلك يستقيم كلام اهل هذه المذاهب وان كان الادب مع الله أكمل واتم بل أوجب انتهى (قلت) والذى ذهب اليه القلانسي وعبد الله بن سعيد انه لا يجوز اطلاق الجواز على الله عز وجل كأن يقال يجوز أن يكون الله يفعل كذا واتفق أصحاب القلانسي وعبد الله بن سعيد على قولهم انه تعالى يجوز أن يرى نفسه وبه قال جماعة من منكرى الرؤية والله أعلم (فان قلت) فهل الاولى الادب ان تسمى الصفات أسماء كما ورد (فالجواب) نعم الاولى ذلك قال تعالى ولله الاسماء الحسنى ما قال الصفات الحسنى وقال الشيخ في باب الاسرار من الادب ان تسمى الصفات اسماء لان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وما قال فصفوه بها فمن عرفه حق المعرفة الممكنة للعالم سماه تعالى ولم يصفه قال ولم يرد لنا خبر في الصفات لما فيها من الآفات الا ترى من جعله موصوفا كيف يقول ان لم يكن كذلك كان موقوفا وما علم من وصفه تعالى ان الذات اذا توقف كمالها على الوصف حكم عليها بالنقص الصرف وفي كلامهم من لم يكن كماله لذاته افتقر بالدليل في حصول الكمال الى صفاته وصفاته تعالى ليست عينه فقد جهل هذا القائل بالصفات كونه والمشاركة في الصفات دليل على تباين الذوات وقد قال تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون فنزه نفسه في هذه الآية عن الصفة لا عن الاسم فهو المعروف بالاسم لا بالصفة انتهى وكذلك لا يقال ادبا ان الله تعالى شئ الا في المحل الذى ورد فيه ذلك ولا يدخل في القياس وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات سمعت في بعض الهواتف الربانية ما نصه است بشئ لاني لو كنت شيأ لجمعتني الشيئية فيقع التماثل وانا لا اماثل انتهى وكذلك لا يقال الحق تعالى بخيل وان كان هو بمعنى الاسم المانع وقس على ذلك الخ كل ما لم يطلقه تعالى على نفسه والله تعالى يتولى هداك

(المبحث السادس عشر في حضرات الاسماء الثمانية بالخصوص وهي الحى العالم القادر المريد السميع البصير المتكلم الباقى)

وهذا المبحث من اجل مباحث الكتاب فلنوضح كل اسم بجملة من متعلقاته تبركا بمعانى أسماء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق اعلم يا أخى ان الاسم الحى له التقدم على سائر الاسماء فلا يمكن ان يتقدمه اسم في الظهور فهو المنعوت على الحقيقة بالاسم الاول ولذلك قال تعالى الله لا اله الا هو الحى القيوم فجعل اسمه تعالى الحى يلى الاسم الجامع للنعوت والاسماء ويستحيل وجود حقائق شئ من الاسماء من غير الحى وحقيقة الحى هو الذى يكون حياته لذاته وليس ذلك لاحد من الخلق انما ذلك خاص بالله تعالى وقد رأيت للشيخ كلاما في كتابه المسمى بعنقاء مغرب يتعلق بحضرات الاسماء ولسان حالها فلا بأس بذكره لك يا أخى فربما كان لم يطرق سمعك قط وهو قوله اعلم ان القدرة الالهية لم تتعلق بايجاد شئ الا بعد وجود ارادة كما انه تعالى لم يرد شيأ حتى علمه اذ يستحيل في العقل ان يريد تعالى ما لم يعلم او يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده تعالى كما يستحيل ان توجد

تشريفا للرجال لا تلهيهم اى لا تشغلهم تجارة اى بيع وشراء ولا بيع الخ وحده ، والاطال في تفاصيل ذلك * وقال في قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر انما كانت كذلك لان المصلى بمجرد الاحرام بها يحرم عليه التصرف في غير الصلاة ما دام في الصلاة فنهاه ذلك الاحرام عن الفحشاء والمنكر فانتهى فصح له أجر من عمل بأمر الله وطاعته وأجر من انتهى عن محارم الله في نفس الصلاة وان لم ينو هو ذلك فانظر ما اشرف الصلاة كيف أعطت هذه المسئلة العجيبة وقليل من أصحابنا من تفطن لها * وقال من تعدى الى غيره وهو محتاج اليها فهو عاص وصدقته لهواه لا لله لان الشارع قال له ابدأ بنفسك واذا خرج الانسان بصدقته فاول ما يلقاه نفسه قبل كل نفس وهو انما خرج بها للمحتاجين وقد شرع الحق لنا أيضا ان نبدأ في الهدية بالاقرب فالاقرب من الجيران فان رجحنا الابعد فقد اتبعنا الهوى وما وقفنا عند حدود ربنا * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم في حق قوم ينصب لهم يوم القيامة منابر في الموقف ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء المراد بالشهداء هنا الرسل اذ هم شهداء على اممهم وانما كانوا يغبطون هؤلاء القوم لسلامتهم من [illegible] وعدم الحزن والخوف في ذلك الموطن لانهم لم

هذه الحقائق من غير حي كما يستحيل ان تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها قال ويلي الاسم الحي في
الظهور الاسم البارى وكان لسان حال الاسماء الالهية حين اجتمعت بحضرة المسمى حين لا زمان قالت
لبعضها بعضا بم يدفاهو د احكامنا النميز حضرات اعياننا باسمائنا وآثارنا فقال بعضهم لبعض انظروا في
ذواتكم فنظر كل اسم في ذواته فلم ير الاسم الخالق مخلوقا ولا المدبر مدبرا ولا المفصل مفصلا ولا المصور
مصورا ولا الرازق مرزوقا ولا القادر مقدورا ولا المريد مرادا ولا العالم معلوما * فقالوا كيف العمل حتى
تظهر هذه الاعيان التي بها يظهر سلطاننا واحكامنا فلجأت الاسماء الالهية التي يطلبها حقائق العالم الى
الاسم البارى جل وعلا فقالوا له عسى توجد هذه الاعيان فتظهر احكامنا ويثبت سلطاننا اذ الحضرة التي
نحن فيها لا تقبل تأثيرنا فقال البارى ذلك راجع الى الاسم القادر فاني تحت حيطته قال وكان اصل هذا
كله ان الممكنات في حال عدمها سألت الاسماء الالهية سؤال ذلة وافتقار وقالت للاسماء ان العدم قد
اعمانا عن ادراك بعضنا بعضا وعن معرفة ما يجب لكم من الحق علينا فلو انكم اظهرتم اعياننا
وكسوتمونا حلة الوجود لانعمتم علينا بذلك وقمنا بما ينبغي لكم من الاجلال والتعظيم وانتم ايضا كان
يظهر علينا سلطنتكم بالفعل فانكم اليوم علينا سلاطين بالقوة والصلاحية دون الفعل فما طلبناه منكم
هو لنا ولكم فقالت الاسماء ان هذا الامر تحت حيطة المريد فلا توجد عين منكم الا باختصاصه ولا يمكننا
الممكن من نفسه الا ان يأتيه الامر من ربه عز وجل فاذا أمره بالتكوين وقال كن مكنا من نفسه وتعلقنا
بايجاده فكوناه من حينه * فلجؤا الى الاسم المريد عسى ان يرجح او يخصص جانب الوجود على جانب
العدم فحينئذ اجتمع انا والآمر والمتكلم ونوجدكم فلجؤا الى الاسم المريد فقالوا له انا سألنا الاسم القادر في
ايجاد اعياننا فأوقف امر ذلك عليك فما ترسم فقال المريد صدق القادر ولكن ما عندي خبر ما عند
الاسم العالم من الحكم فيكم هل سبق علمه بايجادكم فاخصص او لم يسبق فاني تحت حيطته فسيروا اليه
واذكروا قصتكم فساروا الى الاسم العالم وذكروا ما قاله الاسم المريد فقال العالم صدق المريد وقد سبق
علمي بايجادكم ولكن الادب اولى فان لنا حضرة مهيمنة علينا وهي حضرة الاسم الله فلا بد من حضورنا
عنده فانها حضرة الجمع فاجتمعت الاسماء كلها في حضرة الاسم الله فقال ما بالكم وهو اعلم فذكروا له
الخبر فقال انا اسم جامع لحقائقكم وانا دليل على مسمى ذات مقدس له نعوت الكمال والتنزيه فقفوا حتى
ادخل حضرة مدلولي فدخل على مدلوله وذكر له ما قالته الممكنات وما تحاورت فيه الاسماء فقال اخرج
وقل لكل واحد من الاسماء يتعلق بما تقتضيه حقيقته في الممكنات فاني انا الواحد لنفسي من حيث
ذاتي والممكنات انما تطلب مرتبتي لا حقيقتي لاني انا الغني والمرتبة هي التي تطلب الممكنات لتظهر
آثارها فيهم وجميع الاسماء الالهية للمرتبة لا الى الا الاحد خاصة فانه اسم خصص بي فخرج الاسم
الله ومعه الاسم المتكلم يترجم عنه للممكنات والاسماء فذكر لهم ما ذكره المسمى فتعلق العالم والقادر
والمريد والقائل فظهر الممكن الاول من الممكنات بتخصيص المريد وحكم العالم فلما ظهرت الاعيان
والآثار في الاكوان وتسلط بعضها على بعض وقهر بعضها بعضا بحسب ما استندت اليه من الاسماء
فأدى ذلك الى منازعة وخصام فقالوا انا نخاف ان يفسد علينا نظام حضراتنا ونلتحق بالعدم الذي هو
عدم ظهورنا كما كنا قبل * تنبهت الممكنات الاسماء بما القى اليها الاسم العليم والمدبر وقالوا لو كان
حكمكم ايها الاسماء على ميزان معلوم وحد مرسوم بامام ترجعون اليه يحفظ علينا وجودنا ونحفظ عليكم
تأثيراتكم فينا لكان اصلح لنا ولكم فالجؤا كلكم الى الله حتى يقدم لكم من يحد لكم حدا تقفون عنده
والا هلكتم وتعطلتم فقالوا هذا عين المصلحة وعين الرأي ففعلوا ذلك فقالوا ان الاسم المدبر هو الذي ينهى
امركم فانتهوا الى المدبر الامر فقال انا لها فدخل وخرج بامر الحق الى الاسم الرب وقال له افعل ما تقتضيه

يكن لهم ثم ولا تباع كالانبياء والرسل والائمة المهتدين فهم آمنون على انفسهم والانبياء والائمة خائفون على اممهم واتباعهم فلذلك ارتفع الخوف والحزن عن هؤلاء القوم في ذلك اليوم في حق غيرهم والانبياء تخاف على اممها دون انفسها قال وهذه مسئلة عظيمة الخطب جليلة القدر لم نر احدا ممن تقدمنا تعرض لها ولا قال فيها مثل ما قلنا الا ان كان وما وصل الينا * وقال في الباب السبعين في اسرار الزكاة في قوله تعالى اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن هنا هو صدقة التطوع فورد الامر بالقرض لله كما ورد باعطاء الزكاة واطال في الاستدلال على ذلك * ثم قال والزكاة المفروضة والصدقة لفظان بمعنى واحد قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وقال انما الصدقات للفقراء والمساكين فسماها صدقة لكن الواجب منها يسمى زكاة وصدقة وغير الواجب منها يسمى صدقة التطوع ولا يسمى زكاة شرعا اي لم يطلق عليه الشرع هذه اللفظة مع وجود المعنى فيها من النمو والبركة والتطهير قال وانما سماها الله صدقة تنبيها على انها امر شديد على النفس تقول العرب رمح صدق اي صلب شديد قوي اذ النفس تجد لاخراج هذا المال شدة وحرجا كما قال ثعلبة بن حاطب

المصلحة

المصلحة فاتخذو ذيرين بعينانه على ما امر به وهما المدبر والمفصل قال تعالى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون الذى هو الامام يعنى الرب فانظر ما احكم كلام الله حيث جاء بلفظ مطابق للحال الذى ينبغى ان يكون الامر عليه فى نفسه فخذ الاسم الرب لهم الحدود ووضع لهم المراسم لاصلاح المملكة ولنبلوهم ايهم احسن عملا فسبحان الله رب العالمين انتهى كلامه فى عنقاء مغرب وهو كلام ما طرق سمعنا قط مثله فى ذلك المعنى (فان قلت) هل من الاسماء ما يكون مهيمنا على بعضها (فالجواب) نعم كما تقدم فى كلام عنقاء مغرب فتقول مثلا لا يكون مريدا الا عالما ولا عالما الا حيا فصار كونه حيا مهيمنا على كونه عالما ومريدا وهكذا كل اسم يتوقف وجود اثره على وجود اسم آخر انتهى (فان قلت) فهل الاسماء الالهية تتراص بين يدى مسماها كما تتراص الملائكة بين يدى ربها (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائة (فان قيل) فما اول صفوف الاسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين اولها الحى والى جانبه العليم ليس بينهما فراغ لاسم آخر والى جانبه العالم المريد والى جانبه القائل والى جانبه القادر والى جانبه الحكيم والى جانبه المقيت والى جانبه المقسط والى جانبه المدبر والى جانبه المفصل والى جانبه الرازق والى جانبه المحيى فهكذا صفوف الاسماء كما رأينا ذلك من طريق كشفنا (فان قيل) فهل يكون التخلق بالاسماء الالهية على حكم ترتيب صفوفها ام لا (فالجواب) نعم لا يصح التخلق باسم منها الا على ترتيب تراصها ومتى تخللها فراغ فى الكون دخلت الشياطين كما تدخل بين خلل صفوف الصلاة كما ورد فربما يلتبس على الولى التخلق بما لا يوافق الاوامر الشرعية مما هو من خصائص الحق تعالى كالكبرياء والعظمة فى غير محله المشروع (فان قيل) فهل بين حضرات الاسماء الالهية بون معقول ام لا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الفتوحات ليس بين حضرات الاسماء الالهية بون معقول حقيقة لارتباط الاسماء كلها بمسماها ولكون كل اسم فيه قوة جميع الاسماء نظير خطاب الحق تعالى لنا بالياء المشعر بالبعد مع انه تعالى اقرب الينا من حبل الوريد ولكن لما كان لكل اسم حضرة تخصه ووقت يحكم فى اعيان العالم ويظهر سلطانه فيه ظهر للعبد القرب من تلك الحضرات تارة والبعد منها تارة أخرى فكان كل اسم يقول بلسان حاله للعبد هلم الى حضرتى فاذا كان العبد تحت سلطان حكم الهى يعطى حكمه للعبد موافقة ما امر به العبد أو نهى عنه فان الاسم الالهى الذى يعطى حكمه للعبد موافقة ما امر به أو نهى عنه بعيد عن هذا المخالف فى حضرة الشهود فيناديه ليرجع الى حضرته ويصغى لندائه فيكون تحت حكمه فهو لعدم الموافقة فيما امره به ذلك الاسم بعيد ولا يخرج عبد قط عن هذا الميزان الا ان عصم أو حفظ (فان قلت) فاذن العبد أسير تحت سلطان الاسماء على الدوام (فالجواب) نعم هو اسير تحت سلطانها فلا ينقضى حكم اسم الا ويتولاه حكم اسم آخر فلا تزال الاسماء تتجاذبه ليلا ونهارا ومحال ان يترك المكلف لحظة واحدة لنفسه فاسم الرحمن يطلب مرحوما على الدوام واسم المنتقم يطلب منتقما منه على الدوام وهكذا فلا يخلو عبد من ان يكون فى محل لاحد الدارين بحكم القبضتين وما خرج عن هذا الحكم الا المعصوم أو المحفوظ كما مر والله تعالى اعلم انتهى ما فتح الله تعالى به من الكلام على اسمه تعالى الحى وتوابعه (وأما الاسم العالم) فقال الجلال المحلى محقق الزمان العالم هو الذى علمه شامل لكل ما من شأنه ان يعلم والا فتعلقات علمه تعالى غير متناهية قال تعالى أحاط بكل شئ علما وقال وأحصى كل شئ عددا وقال يعلم السر وأخفى وقال يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وقال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير فهو تعالى عالم بكل ممكن وممتنع لنا من كليات وجزئيات اما الكليات فعلى الاطلاق واما الجزئيات فباجماع من اهل النظر واتفاق (فان قلت) كيف أجريت خلافا فى كونه تعالى عالما بالجزئيات مع صحة

وأطال فى ذلك * ثم قال ولو أن ثعلبة قال حين قال لئن آتانا الله من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ان شاء الله تعالى الفعل ولم يبخل قال وانما لم يأخذها منه النبى صلى الله عليه وسلم لاخبار الله تعالى ان ثعلبة يلقاه منافقا والصدقة تزكى وتطهر من اخرجها والمنافق لا يطهر ولا يزكى فلهذا لم يتمكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها منه وكذلك لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر رضى الله عنهما فلما ولى عثمان رضى الله عنه أخذها منه متأولا وقال انها حق الاصناف الذين أوجب الله تعالى لهم هذا القدر فى عين هذا المال قال الشيخ وهذا الفعل من جملة ما انتقد على عثمان رضى الله عنه ولا ينبغى الانتقاد عليه لانه مجتهد فعل ما أداه اليه اجتهاده وقد قرر الشارع حكم المجتهد ولم ينه رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من أمرائه ان يأخذ من هذا الشخص صدقته ولا يلزم غير النبى صلى الله عليه وسلم أن يطهر ويزكى مؤدى الزكاة فهو يأخذها للامر العام باعطائها وان كان ذلك لا يطهر المتصدق والله أعلم * وقال فى قوله تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم انما خص الكى بهذه الثلاثة أعضاء والله أعلم لان السائل اذا رآه صاحب المال مقبلا اليه انقبضت أسارير جبهته لعلمه

ايمانك (فالجواب) اى اجريت تبعا للغيرى فى الاشارة للخلاف فى تعلق العلم بالجزئيات والا فانا اعتقد جزما ان الله تعالى عالم بكل شئ ولا يعزب عن علمه شئ وقد سألت عن ذلك اليهود والنصارى والمجوس والسامرة بارض مصر فكلهم قالوا لا يعزب عن علم ربنا شئ فما ادرى اين هؤلاء الذين قالوا ان الله تعالى لا يعلم الجزئيات حتى حكى عنهم الائمة ذلك ولعل من حكى ذلك عنهم اخذه من لازم مذهبهم ولازم المذهب ليس هو بمذهب على الراجح ويؤيد ما قلناه من ان الظاهر ان الائمة اخذوا ذلك من لازم مذهب قول الشيخ محيى الدين فى الباب الرابع والخمسين من الفتوحات اعلم انه لا يشك مؤمن ولا غير مؤمن فى كمال علم الله عز وجل حتى ان الذين نقل عنهم انهم قالوا لا يتعلق علمه تعالى بالجزئيات بل علمه بها مندرج فى علمه بالكليات لا يحتاج ذلك الى تفصيل فى طريق علمه بها كما هو شأن خلقه فلم يرد القائلون بمنع تعلق علمه تعالى بالجزئيات نفى العلم عنه تعالى بها مطلقا وانما قصدوا بذلك ان الحق تعالى لا يتجدد له علم نفسى بها عند التفصيل وقصدوا التنزيه فاخطؤا فى التعبير من حيث ان عباراتهم اوهمت ما اضيف اليهم من المذهب والافهم مثبتون العلم لله تعالى انتهى (قلت) ولعل من حكم بتكفير من قال ان الحق غير عالم بالجزئيات ظن انهم كانوا مسلمين فكفرهم بهذا القول والحق انهم كانوا كافرين قبل ذلك بامور اخر كما حكاه الشيخ عنهم وقد قال فى باب الاسرار من الفتوحات ليس من وصف الكمال ان يكون فى علم الحق تعالى اجمال مع ان الاجمال فى المعانى محال وانما محل الاجمال الالفاظ والاقوال انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ونحوهما من الآيات فان ظاهر ذلك يقتضى ان الحق تعالى يستفيد علما بوجود المحدثات (فالجواب) ان هذه مسئلة اضطرب فى فهمها فحول العلماء ولا يزيل اشكالها الا الكشف الصحيح وقد قال الشيخ فى الباب الرابع عشر وخمسمائة من الفتوحات اعلم انه ليس وراء الله مرمى وما وراءك ايضا مرمى لانك معلوم علمه تعالى وبك كمل الوجود فهو حسبك كما انك حسبه ولهذا كنت آخر موجود واول مقصود ولولا عدمك ما كنت مقصودا فحم حدوثك ولولا ما كان علمك به بعد وما صح ان تريد العلم به وهذا من اعجب ما فى الوجود واشكاله على العقول كيف يكون من اعطاك العلم بنفسه لا يعلم نفسه الا بك فان الممكنات اعطت الحق تعالى العلم بنفسها ولا يعلم شئ منها نفسه الا بالحق تعالى فلهذا قلنا ان الوجود حسبك كما انك حسبه لانه الغاية التى اليها ينتهى وما ثم بعده الا انت ومنك علمك وما بقى بعدك الا المحال وهو العدم المحض انتهى وهذا الموضع ما فى الفتوحات اشكل منه وقد نقلته بحروفه ليوضحه علماء الاسلام والله تعالى اعلم * وقال فى الباب الثانى والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى الخبير اعلم يا اخى ان الخبير هو الذى حصل العلم بعد الابتلاء وهذا ما يقتضيه ظاهر اللفظ من قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وجل الله تعالى عن هذا الاقتضاء بل هو تعالى عالم بجميع ما يكون من العبد قبل كونه ولكنه تعالى نزل نفسه منزلة من يستفيد علما كما نزل لعقولنا فى آية الاستواء وفى النزول الى سماء الدنيا ونحو ذلك مع ان ذلك ينافى صفات التنزيه انتهى * وقال الشيخ ايضا فى باب الاسرار فى قوله ولنبلونكم حتى نعلم اعلم ان من علم الشئ قبل كونه فما علمه من حيث كونه واطال فى ذلك ثم قال فعلم ان العلم يتغير بتغير المعلوم ولا يتغير المعلوم الا بالعلم فقولوا لنا كيف الحكم هذه مسئلة حارت فيها العقول وما ودفيها معقول * وقال فى معنى هذه الآية فى موضع آخر من هذا الباب * اعلم ان العالم ان يتجاهل وعن الجاهل يتغافل مع انه ليس بغافل لينظر هل يؤمن عبده بما اضافه الى نفسه ام يتوقف * وقال فى موضع آخر من استفهمك فقد اقر لك بانك عالم بما استفهمك عنه وقد يقع الاستفهام من العالم ليختبر به من فى قلبه ريب فيمتاز من يعلم به عند نفسه ممن لا يعلمه

الا نجاء يسأله من ماله فيقول جبهته ثم ان المسؤل يتغافل عن السائل و يعطيه بجانبه كانه ما عنده منه شيء فيقول يهساجنبه فاذا عرف من السائل انه يطلب منه ولابد اعطاه ظهره وانصرف فهذا حكم مانعى زكاة الذهب والفضة واطال فى ذلك * ثم قال ونرجو من فضل الله تعالى ان يضاعف الاجر لمن اخرج صدقته بمشقة على نفسه فيكون له اجر المشقة واجر الاخراج كما ورد فى الذى يتتعتع عليه القرآن انه يضاعف له الاجر للمشقة التى تناله فى تحصيله ودرسه فله اجر المشقة واجر التلاوة وقال ولا يخفى ان الذى يخرجها بغير مشقة اكثر مضاعفة بما لا يقاس ولا يحد * وقال فى قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه والله لو منعونى عقالا الحديث اعلم ان العقل مأخوذ من عقال الدابة وان كان على الحقيقة عقال الدابة مأخوذا من العقل لان العقل متقدم على عقال الدابة فانه لولا ما عقل ان هذا الحبل اذا شدت به الدابة قيدها عن السراح ما سماه عقالا * وقال الذى اقول به ان الزكاة لا تجب على الكافر ومع ذلك ان جاء بها الينا قبلناها منه وجعلناها فى بيت مال المسلمين ومن ردها عليه عندى اخطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال ايضا اقول به انه لا يجب على المالك اخراج الزكاة عن ماله الذى هو فى ذمة

نظيره

نظيره يا ايها الذين آمنوا آمنوا فهذا مؤمن أمر ان يؤمن بما هو به مؤمن وقال في موضع آخر من باب الاسرار من اعجب ما في البلاء من الفتن قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وهو العالم بما يكون منهم فافهم واذا فهمت فاكتم واذا سئلت فقل لا اعلم فاعلم ان الفتنة اختبار في البصائر والابصار * وقال في موضع آخر منه لما اخبر الله تعالى ان العلم انتقل اليه من الكون بقوله حتى نعلم نكت العارف على ذلك وما تكلم وتأول عالم النظر هذا القول حذرا مما يتوهم ومرض قلب المتشكك وتألم وسر به العالم بالله تعالى ولكنه تكتم فقال مثل قول الظاهري الله اعلم فالولي الكامل علم والمحدث سلم فالحمد لله يا اخي الذي علمك ما لم تكن تعلم واطال في ذلك ثم قال فقد علمت ان العلم المستفاد العليم يعم في وجوب الايمان به الحادث والقديم وان عاندت في ذلك فتأمل في قوله حتى نعلم وبما حكم الحق تعالى به على نفسه فاحكم بذلك ايمانا ولا تنفرد قط بعقلك دون نقلك فان التقييد في التقليد وعلم الحق لنا قد يكون معلوما واما علمه تعالى بنفسه فلا يعلمه احد لعلو قدسه وهو قول عيسى عليه الصلاة والسلام ولا اعلم ما في نفسك فاني لست من جنسك انتهى كلام الشيخ في باب الاسرار فتأمله * وقال في الباب الرابع واربعمائة اعلم ان من اشكل العلوم اضافة العلم الى المعلومات والقدرة الى المقدورات والارادة الى المرادات وذلك لانه يوهم حدوث التعلق اعني تعلق كل صفة بمتعلقها من حيث العالم والقادر والمريد فان المعلومات والمقدورات والمرادات لا افتتاح لها في العلم اذ هي معلوم علمه تعالى فهو محيط علما بانها لا تتناهى قال ولما كان الامر على ما اشرنا اليه وعثر على ذلك من عثر من المتكلمين كابن الخطيب قال بالاسترسال المعبر عنه عند قوم بحدوث التعلق وقال تعالى في هذا المقام حتى نعلم وانكر بعض القدماء تعلق العلم الالهي بالتفصيل لعدم التناهي في ذلك ولكون ذلك غير داخل في الوجود المحصور واضطربت عقول العلماء في هذه الآية لاضطراب افكارها قال الشيخ واما نحن فقد رفع الكشف عنا الاشكال في هذه المسئلة فالقى تعالى في قلوبنا ان العلم نسبة بين العالم والمعلومات وما ثم واجب الوجود غير ذات الحق تعالى وهي عين وجوده وليس لوجوده افتتاح ولا انتهاء فيكون له طرف لان نفي البدء والنهاية من جملة درجاته الرفيعة التي ارتفع بها عن خلقه قال تعالى رفيع الدرجات ومعلوم ان المعلومات هي متعلق وجوده تعالى فتعلق ما لا يتناهى وجودا بما لا يتناهى معلوما ومقدورا ومرادا فتفطن يا اخي لذلك فانه امر ما اظنه طرق سمعك قط فان الحق تعالى لا يتصف بالدخول في الوجود المحصور فيتناهى اذ كل ما دخل في الوجود متناه والبارئ تعالى هو الوجود الحقيقي فما هو داخل في هذا الوجود لان وجوده عين ماهيته بخلاف ما سواه فان منه ما دخل في الوجود فتناهى بدخوله فيه ومنه ما لم يدخل في الوجود فلا يتصف بالتناهي وعلى هذا تأخذ المقدورات والمرادات والله تعالى اعلم (فان قلت) فهل اطلع احد من الاولياء على سبب بدء العالم الذي هو تأثير الاسماء في الممكنات كما مر من ان الخالق يطلب مخلوقا والرازق يطلب مرزوقا وهكذا (فالجواب) ان هذا من علم سر القدر وعلم القدر انما هو خاص بافراد من كمل الورثة المحمديين * قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع من الفتوحات اعلم ان اكثر العلماء بالله تعالى ليس عندهم علم بسبب بدء العالم الا تعلق العلم القديم ازلا بايجاده فكون تعالى ما علم انه سيكون وهنا انتهى علمهم واما نحن فاطلعنا الله تعالى على ما فوق ذلك من طريق الوهب وهو ان الاسماء الالهية المؤثرة في هذا العالم وهي المفاتح الاول التي لا يعلمها الا هو قال الشيخ ولا ادري اعطى الله ذلك لاحد من اهل عصرنا ام خصنا به من بينهم انتهى (فان قلت) فما معنى سبق الكتاب في حديث ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فانه تعالى ما كتب الا ما علم ولا علم الا

النسبر وهو الذين حتى يقبض ويمر عليه حول وهو في يد القابض * وقال زكاة العلم تعليمه فمن جاءك طالبا [illegible] متعطش فسأله عن مسئلة هو بها جاهل وجب عليه تعليمه كوجوب الزكاة بكمال الحول والنصاب فان لم يعلمه ما سأله فيه من العلم فلا بد ان الله تعالى يسلب العالم تلك المسئلة ولو بعد حين حتى يبقى جاهلا بها فيطلبها في نفسه فلا يجدها عقوبة له * وقال المستحب ان يقدم في العطاء من الاصناف الثمانية من قدمه الله في الذكر قياسا على البداءة في الطواف بالصفا وكذلك كل شيء قدمه الله في الذكر نحو هو الذي يسيركم في البر والبحر ومن التزم ذلك رأى خيرا في جميع احواله * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم المعتدي في الصدقة كمانعها اي لان تكليف النفس ما لا [illegible] ينفرها عن فعله مرة اخرى فكان ما نالها من الخير في اعين ما اراده من الخير * وقال في قول احد الملكين اللهم اعط منفقا خلفا وقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا اعلم ان الملائكة لسان خير صرف فما معنى قول الملائكة اللهم اعط ممسكا تلفا اي مثل ما اعطيته فلانا المنفق حتى اتلفه ماله الذي كان عنده فتخلفه عليه كما اخلفته على المنفق كأنه يقول اللهم ارزق الممسك الانفاق حتى ينفق وان كنت ما دبنا لم [illegible] له ان ينفقه باختياره فما تلف ماله حتى ناجر

ماشهد من صور المعلومات على ماهي عليه في أنفسها سواء ما يتغير منها وما لا يتغير فهو تعالى يشهدها كلها في حال عدمها على تنوعات تغييراتها الى ما لا يتناهى فلم يوجدها الا على ماهي عليه في علمه تعالى واذا تعلق علمه تعالى بالاشياء كلها معدومها وموجودها وواجبها وممكنها ومحالها ثم على ما قلناه كتاب سبق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي عشر وأربعمائة ان معنى سبق الكتاب انما يكون باضافة الكتاب الى ما يظهر به ذلك الشئ الذي تعلق به العلم الى حضرة الوجود على الهيئة التي كان الحق تعالى يشهده عليها حال عدمه فهذا سبق بالكتاب على الحقيقة فان الكتاب سبق وجود ذلك الشئ قال الشيخ ولا يطلع على هذا ذوقا الا من أطلعه الله تعالى من طريق كشفه على الكونين قبل ظهور تكوينهما كما تقدم في رؤيا الانسان ان الساعة قد قامت والحق تعالى يحكم فيها فصاحب هذا الكشف هو الذي يشهد الامور قبل تكوينها في حال عدمها فمن كان له هذا العلم سبق هو الكتاب فهو لا يخاف سبق الكتاب عليه وانما يخاف من حيث كون نفسه سبقت الكتاب اذ الكتاب ما سبق عليه الا بحسب ما كان هو عليه من الصورة التي ظهر في وجوده عليها فليسلم العبد نفسه ولا يعترض على الكتاب قال ومن هنا ان عقلت وصف الحق تعالى نفسه بان له الحجة البالغة لو نوزع فان من المحال ان يتعلق العلم الالهي الا بما هو المعلوم عليه في نفسه فلو ان أحدا احتج على الله تعالى وقال قد سبق علمك بان أكون على كذا فلم تؤاخذني لقال الحق تعالى وهل علمتك الا على ما انت عليه فلو كنت على غير ذلك لعلمتك على ما تكون عليه ولذلك قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم فارجع الى نفسك وانصف في كلامك فاذا رجع العبد الى نفسه وفهم ما قررناه علم انه محجوج وان الحجة لله تعالى عليه بل بصيرهو يقيم لله على نفسه الحجة ادبا معه تعالى ومن هذا يعلم معنى قوله تعالى ايضا وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ونحوها من الآيات يعني فان علمنا ما تعلق بهم حين علمناهم في القدم الا بما ظهروا به في الوجود من الاحوال لا تبديل لخلق الله وسيأتي بسط ذلك في المبحث الخامس والعشرين في بيان ان لله الحجة البالغة (فان قلت) فعلى ما قررتموه فبماذا يتميز الحق تعالى في الرتبة على المخلوق (فالجواب) ان الحق تعالى يتميز بالرتبة على المخلوق فانه تعالى خالق والعالم مخلوق قال الشيخ محيي الدين بعد ذكر هذا الجواب وهذا يدلك على ان العلم تابع للمعلوم ما هو والمعلوم تابع للعلم قال وهي مسئلة دقيقة ما في علمي ان احدا نبه عليها من اهل الله تعالى الى الآن كان وما وصل الينا وما من احد اذا تحققها يمكنه انكارها وفرق بين كون الشئ موجودا فيتقدم العلم وجوده وبين كونه على هذه الصورة في حال عدمه الازلي له فهو مساو للعلم الالهي ولا يعقل بينهما بون الا بالرتبة انتهى قال الشيخ ولو لم يكن في كتاب الفتوحات الا هذه المسئلة لكانت كفاية في شرف الكتاب ويؤيد ما قررناه هنا في هذا الموضع ما ذكره في الباب الثامن وخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى العليم وهو قوله اعلم ان مسمى العلم ليس سوى تعلق خاص بالعالم وهو نسبة تحدث لهذه الذات من المعلوم اذ العلم متأخر عن المعلوم لكونه تابعا له هذا تحقيقه فحضرة العلم على التحقيق هي المعلومات وهي نسبة لا يصح رفعها في مشهد أحد من الاكابر ولو ارتفعت رتبته فهي متصلة بين العالم والمعلوم وليس للعلم عند المحقق أثر في معلوم أصلا لتأخره عنه عقلا فانك تعلم المحال محالا ولا أثر لك فيه من حيث علمك به وله لك فيه أثر والمحال بنفسه أعطاك العلم به انه محال فمن هنا يعلم ان العلم لا اثر له في المعلوم بخلاف ما يتوهمه أصحاب النظر فقد ظهر لك ان ايجاد اعيان الممكنات صدر عن القول الالهي كشفا وشرعا وصدر عن القدرة الالهية عقلا وشرعا لا عن العلم فيظهر الممكن في عينه ويتعلق به علم الذات الالهية ظهورا كما تعلقت به معدوما انتهى (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وهو بكل شئ عليم هل عليم بمعنى عالم او بمعنى

فيه أبو المصاب فيه تليس خيرا أحد بشر ولا سيما في حق المؤمن قال ولا شك ان دعاء المؤمن مجاب لوجهين الاول لطهارته والثاني انه دعاء في حق الغير بلسان لم يعص الله به وهو لسان الملك وأطال في ذلك
* وقال في حديث الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء اعلم ان غضب الله يحمل على الوجه الذي يليق به فان الغضب الذي خاطبنا به معلوم عندنا بلا شك ولكنا جهلنا النسبة خاصة لجهلنا بالمنسوب اليه لا بالمنسوب الذي هو الغضب قال ولا يقال يحمل على معنى لا نفهمه لانه يؤدي الى ان الحق تعالى خاطبنا بما لا نفهم فلا يكون له اثر فينا ولا موعظة والمقصود الافهام بما نعلم لنتعظ به * قال وأما ميتة السوء فهو ان يموت الانسان على حالة تؤديه الى الشقاء اذ الحق تعالى لا يغضب الا على شقي * وقال في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون يدخل في ذلك انفاق العبد قواه في سبيل الله فان نفسه أحب الامور اليه فمن انفقها في سبيل الله فله الجنة * وقال والباب العبد لا يجوز من الله لا يخرجه عن عبوديته فان العبد في صورة أجير وهو أجير اذ الاجير حقيقة من استؤجر وهو أجنبي

معلوم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والستين وثلثمائة ان بنية فعيل ترد بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول كقتيل وجريح وأما قوله تعالى هنا عليم فهو بمعنى عالم أو بمعنى معلوم وأما ان الباء في قوله بكل شيء بمعنى في فهو تعالى في كل شيء معلوم وبكل شيء محيط اى له في كل شيء احاطة بما هو ذلك المعلوم عليه وليس ذلك الا لله ولمن أعلمه الله قال والاصل في ذلك كله ان الظرفية هل هي أصلية في الكون ثم حملناها على الحق تعالى حملا شرعيا أو هي في حق الحق بحسب ما ينبغي لجلاله وظهرت في العالم بالفعل كما في قوله في الحديث للجارية أين الله انتهى فتأمل في هذا المحل وحرره والله يتولى هداك

(خاتمة) ذكر سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى احاط بكل شيء علما ما نصه كل ما كان من صفاتك فهو في الاصل علمه تعالى فوهمك علمه وحسبانك علمه وتخيلك علمه وفكرك علمه وتعقلك علمه وقولك علمه واختيارك علمه وعلى هذا فقس فانه تعالى ان لم يكن كل ما هو شيء معلومه لم تتم له تعالى هذه الاحاطة العلمية والله تعالى اعلم (واما الكلام على الاسم القادر) فقال المتكلمون القادر هو من كانت قدرته شاملة لكل ما من شأنه ان يقدر عليه من الممكن خاصة بخلاف الممتنع وانما عبروا بقولهم لكل ما من شأنه ان يقدر عليه لينبهوا على ان متعلقات قدرته لا تتناهى وان كان كل ما تعلقت به بالفعل متناهيا فتعلقاتها بالقوة غير متناهية وبالفعل متناهية (فان قلت) فهل يقال ان الحق تعالى يتصف بالقدرة على نفسه او الارادة لوجوده (فالجواب) ذلك ممتنع والسؤال مهمل لانه واجب الوجود لذاته والارادة متعلقها العدم لتوجده وتعالى الله عن ذلك (فان قلت) فما معنى قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير فانه تعالى اثبت الشيء الذي هو قدير عليه فما بقي لقدرته متعلق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الموفي تسعين من الفتوحات المراد بالشيء الذي هو قدير عليه ما تعلق به علمه القديم فتتعلق به القدرة فتوجده في عالم الحس فهو قدير على كل شيء تعلقت به ارادته مما تضمنه علمه القديم وايضاح ذلك ان كل من علم استحالات الاعيان في الاعيان وتقلب الخلق في الاطوار علم ان الله على كل شيء قدير لا على ما ليس بشيء في علمه فان لا شيء لا يقبل الشيئية اذ لو قبلها ما كانت حقيقته لا شيء ولا يخرج معلوم عن حقيقته ابدا فلا شيء محكوم عليه بانه لا شيء بعده أبدا وما هو شيء محكوم عليه بانه شيء ابدا انتهى (فان قلت) فهل اطلع احد من الاولياء على صورة تعلق القدرة بالمقدور حالة الايجاد او هو من سر القدر الذي لا يطلع عليه الا الله (فالجواب) كما قاله الشيخ في شرحه لترجمان الاشواق ان ذلك من سر القدر وسر القدر لا يطلع عليه الا الافراد قال وقد اطلعنا الله تعالى عليه ولكن لا يسعنا الافصاح عنه لغلبة منازعة المحجوبين فيه قال تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فادخله تحت المشيئة وذلك لنا بحكم الوراثة المحمدية فان الله تعالى قد طوى علم سر القدر عن سائر الخلق ما عدا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ورثه فيه كأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم سأله يوما أتدري يوم لا يوم فقال أبو بكر رضي الله عنه نعم ذلك يوم المقادير او كما قال كما تكلمنا عليه في عدة اماكن من مؤلفاتنا انتهى (فان قلت) فهل يقال ان قدرة الحق تعالى تتعلق بايجاد المحال كتجسد المعاني وايجاد شخص في مكانين او أمكنة في آن واحد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثمانين وماثتين ان قدرة الله تعالى مطلقة فله ايجاد المحالات العقلية وأطال في ذلك * وقال في كتابه اللوامع في قول الامام حجة الاسلام ليس في الامكان أبدع مما كان قد شنع الناس على الامام بسبب هذه المقالة ومعناها في غاية الوضوح وذلك انه ما ثم الا لامرتبتان قدم وحدوث فالحق تعالى له رتبة القدم والمخلوق له رتبة الحدوث فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث ولا يصح ان يخلق الحق تعالى قديما

والسيد لا يستاجر عبده وانما العمل يقتضي الاجرة ولكن اخذها الا يتصور من العمل وانما ياخذها العامل الذي هو العبد وهو قابض الاجرة من سيده فاشبه الاجير في قبضه الاجرة وفارقه بالاستحقاق فليتأمل *وقال في قوله تعالى وأما السائل فلا تنهر يدخل فيه السائل في العلم اذا كان اهلا لما سأله فيتصدق العالم عليه بالعلم ويحتسب تلك الصدقة عند الله لا يرى له بها فضلا على من علمه ولا يطلب منه خدمة ولا ادبا في نظيرها فان فعل ذلك لم يحتسب ذلك عند الله قال الشيخ ولقد لقينا اشياخنا كلهم على ذلك وهي طريقتنا ان شاء الله تعالى* وقال في مسئلة الغني الشاكر والفقير الصابر وهي مسئلة طويلة وغاية ما قال الناس فيها ان الغني أفضل لتصدقه والذي عندي في ذلك انه انما كان أفضل لاجل سبقه الى مقام الفقر ومسارعته اليه بالصدقة فله زيادة اجر ومثل ذلك مثل رجلين عند كل واحد منهما عشرة دنانير فتصدق أحدهما من العشرة بدينار واحد وتصدق الآخر بتسعة دنانير من العشرة فغالب الناس يقول صاحب التسعة أفضل فافهم روح المسئلة فانا فرضنا المال الرجلين

على التساوي وانما وجه التفضيل ان الذي تصدق بالاكثر كان دخوله الى مقام الفقر اكثر من صاحبه

ابدا اه * وقال في الباب الثامن من الفتوحات في شأن المدائن التي خلقها الله تعالى من بقية خميرة طينة آدم عليه الصلاة والسلام قد دخلت هذه الارض وشاهدت فيها المحالات العقلية وكل ما أحاله العقل بدليله وجدته ممكنا في هذه الارض قد وقع فعلمت بذلك قصور العقل وان الله تعالى قادر على الجمع بين الضدين ووجود جسم في مكانين وقيام العرض بنفسه وانتقاله وقيام المعنى بالمعنى قال وكل آية او حديث ورد عندنا وصرفه العقل عن ظاهره وجدناه على ظاهره في هذه الارض وأطال في ذلك فليتأمل والله تعالى أعلم

(واما الكلام على الاسم المريد تعالى) فاعلم أن المريد هو الذى تتوجه ارادته على المعدوم فتوجده فما علم تعالى انه يوجده أراده فأوجده وما علم انه لا يوجده لا يريد وجوده فالارادة تابعة للعلم فعلم ان القدر خيره وشره كائن بارادته وهو ايجاد الاشياء على قدر مخصوص وتقدير معين في ذوات الاشياء وأحوالها وغير ذلك هذه عبارة مصنفي العقائد من الاشاعرة * وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب الثلاثين وثلثمائة اعلم أن القضاء سابق على القدر حتى في اللفظ فيقولون القضاء والقدر والقضاء هو ارادته تعالى الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه فيما لا يزال واما القدر فهو تعيين الوقت الواقع فيه المقدورات على العباد من الحق تعالى فالقضاء حاكم على القدر فهو يحكم في القدر ولا عكس والمقدر هو الموقت والقدر هو التوقيت انتهى * وقال في الباب الثالث عشر واربعمائة فان قيل فهل يجب الرضا بالمقضى كالقضاء فالجواب الذى عليه اهل السنة والجماعة انه يجب الرضا بالقضاء لا بالمقضى (وايضاح ذلك) ان الله تعالى لما امرنا بالرضا بالقضاء مطلقا علمنا انه يريد الاجمال فانه اذا فصله انقسم الى ما يجوز لنا الرضا به والى ما لا يجوز واما القدر فهو توقيت الحكم فكل شئ بقضاء وقدر اى بحكم موقت فمن حيث التوقيت المطلق يجب الايمان بالقدر خيره وشره ومن حيث التعيين يجب الايمان به لا الرضا ببعضه وصورة الايمان بالشر أن يؤمن العبد بأنه شر كما يؤمن بالخير انه خير لكن لا يضاف الى الله تعالى أدبا كما أشار اليه خبر والشر ليس اليك انتهى فعلم أنه تعالى فعال لما يريد فهو المريد للكائنات في عالم الارض والسموات كما مر بسطه فالكفر والايمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وارادته فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه اذ هو القائل وما تشاؤن الا أن يشاء الله (فان قلت) فهل يطلق على الارادة مشيئة وعكسه او بينهما خصوص وعموم (فالجواب) الذى عليه الجمهور انه يطلق على الارادة مشيئة وعكسه وقال بعضهم الارادة اخص من المشيئة والمشيئة اعم لان المشيئة تتعلق بالايجاد والاعدام والارادة لا تتعلق الا بايجاد الممكنات فمتعلقها العدم الاضافي فتتوجه عليه فتوجده فالمشيئة لها الاطلاق لانها توجد وتعدم قال تعالى انما أمره اى مشيئته اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وقال تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد فهي أعم من الارادة من هذا الوجه انتهى والحق الاول لان من خصائص صفات الحق تعالى أن كل صفة تفعل فعل اخواتها بخلاف صفات الخلق لا تتعدى صفة منها ما قيدها الحق تعالى به هذا ما عليه اهل الكشف وخالف في ذلك بعض المتكلمين فقالوا صفات الحق تعالى لا تتعدى مراتبها فلا يسمع تعالى بما به يبصر وقس على ذلك (فان قيل) فهل فرق بين الرضا والمحبة او هما بمعنى (فالجواب) انهما بمعنى وموضوعهما من الله تعالى انهما لا يكونان الا في فعل محمود شرعا فهما غير المشيئة والارادة لانه قد يكون المشاء والمراد بهما محمودا كالطاعة والايمان وقد يكون مذموما كالكفر والعصيان فلا يرضى لعباده الكفر مع وقوعه من بعضهم بمشيئة الله ولو شاء ربك ما فعلوه وقالت المعتزلة الرضا والمحبة نفس المشيئة والارادة لان صفات الحق تعالى كلها كاملة فكل صفة تفعل فعل اخواتها بخلاف صفات الخلق انتهى وهذا الذى قاله المعتزلة صحيح ان جعلنا

فقضل بسبقه الى جانب الفقر لاغير قال وهذا لا ينكره من له ذوق في المقامات والاحوال والكشوفات وبهذا فضلوا على غيرهم ولو انه تصدق بالكل وبقي على أصله لا شئ له كان أعلى فقصه من الدرجة على قدر ما أمسكه والسلام * وقال في قوله تعالى واقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن أن لا يطلب مضاعفة الاجر وانما يقرض لاجل امر الله تعالى له بالاحسان * وقال في حديث الذى تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه في هذا الحديث ان جوارح الانسان تعلم بالاشياء ولهذا وصفها الله تعالى بانها تشهد يوم القيامة بقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وارجلهم فافهم ثم اعلم ان اخفاءها يكون على وجوه منها ان لا يعلم من تصدقت عليه بان أعطيتها الشخص فاعطاها لذلك الفقير من غير ان يعلمه ومنها ان تعطى صدقتك لعامل السلطان فيعطيها للاصناف الثمانية فلا يعلم الفقير من رب ذلك المال الذى أخذه على التعيين فلم يكن لهذا المتصدق على الفقير منة ولا عزة نفس قال وليس في الاخفاء أخفى من هذا * وقال في حديث مسلم أفضل الصدقة ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الحديث

مرادهم على الكلام من حيث الكمال الالهي واما ان حملناه على الكلام من حيث الاوامر والنواهي فليس بصحيح لانه به تصير المأمورات في رتبة المنهيات وذلك خروج عن الشريعة (فان قلت) فما الفرق بين الارادة والشهوة المتعلقتين بالخلق (فالجواب) الفرق بينهما ان الارادة صفة الهية في الاصل ومتعلقها كل مراد للنفس او العقل ولو غير محبوب للشارع واما الشهوة فهي صفة طبيعية خاصة بما فيه لذة النفس قاله الشيخ في الباب التاسع ومائة (فان قلت) فهل الارادة صفة للذات على مذهب الجمهور وغيرهم ام هي على مذهب بعضهم (فالجواب) قد خالف في ذلك بعضهم فقال ليست الارادة صفة للذات على مذهب نفاة الزائد ولا صفتها على مذهب من يقول انها زائدة وبه قال الشيخ محيي الدين في الفتوحات في الباب الثامن وخمسين وخمسمائة فقال الصحيح عندي ان الارادة تعلق خاص للذات أثبته الممكن لامكانه في القبول لاحد الامرين على البدل فانه لولا معقولية هذين الامرين ومعقولية القبول من الممكن ما ثبت للارادة ولا للاختيار حكم ولا ظهر لذلك اسم انتهى (فان قلت) فاذا كان الشر والمعاصي من الله فكيف تبرأ سبحانه وتعالى منها بقوله ان الله لا يأمر بالفحشاء (فالجواب) ان الادب ان يقال في الشر قضاه وقدره ولا يقال امر به وان كانت الارادة اقوى في النفوذ من حيث انه لا يمكن لاحد عصيانها بخلاف الامر فانه يعصي بارادة الله تعالى وايضا فان الامر موضوع تسميته انما هو للطرف الراجح في الخير ففيه الحث على الفعل ولا هكذا الارادة ولو قيل ان الله تعالى يأمر بالفحشاء لصارت من قسم المأمورات ولم يبق للمناهي في الوجود أثر فلذلك تبرأ الحق تعالى من الفحشاء واضاف الامر بها الى النفس والشيطان * وقال الشيخ محيي الدين في عقائده الوسطى اعلم انه يصح ان يقال كما انه تعالى لم يأمر بالفحشاء كذلك لا يقال انه يريدها فيقال قضاها وقدرها ولا يقال ارادها ثم قال بيان كونه تعالى لا يريدها ان كونها فاحشة ما هو عينها وانما هو حكم الله فيها وحكم الله في الاشياء غير مخلوق كالقرآن العظيم سواء وما لم يجر عليه الخلق لا يكون مرادا للحق اذ الارادة لا تتوجه الا على معدوم لتوجده قال فان الزمنا ذلك في جانب الطاعات التزمناه وقلنا لا ارادة للطاعة اذ ثبت سمعا لا عقلا فاثبتوها في الفحشاء ونحن قبلناها في الطاعات ايمانا كما قبلنا وزن الاعمال مع كونها اعراضا فلا يقدح ايماننا بها فيما ذهبنا اليه لما اقتضاه الدليل انتهى وهو كلام دقيق فليتأمل ويحرر فعلم مما قررنا أن الهداية والضلال والتوفيق والخذلان بيد الله لا بيد العبد وكذلك اللطف والطبع والختم والاكنة على القلوب بيد الله لا بيد العبد وكذلك الران والوقر والصمم والقفل الواردة في القرآن كلها بيد الله تعالى لا بيد العبد ولنفسر لك معاني هذه الامور فنقول وبالله التوفيق * اما الهداية والاضلال فالمراد بهما خلق الايمان والكفر في العبد وهذا مذهب اهل السنة وقالت المعتزلة ان الهداية والاضلال بيد العبد بناء على قولهم ان العبد يخلق أفعال نفسه وذلك مما اخطأ فيه المعتزلة كل الخطأ وان الحس يكذبهم فضلا عن الادلة الشرعية ولو ان العبد يخلق افعال نفسه كما زعموا لم يفته مطلوب من اغراضه ولم يفعل ما يسوءه قط * واما التوفيق فقال جمهور المتكلمين ان المراد به خلق قدرة الطاعة في العبد مع الداعية وقال امام الحرمين هو خلق الطاعة فقط اى لا مع الداعية لعدم تأثيرها * واما الخذلان فهو خلق قدرة المعصية في العبد مع الداعية اليها * وقال امام الحرمين هو خلق قدرة المعصية على وزان الطاعة كما مر وكان الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله يقول اذا رأيت لو لم تبرق لك من خلف حجاب الخذلان من كثرة استعمال المباح وخفت ان ينتقل ذلك الى المكروه فتضرع الى الله ان يخلق فيك الكراهية لذلك المباح والا هلكت * وأما اللطف بالعبد فهو ما يقع عنده صلاح العبد آخره بان تقع منه الطاعة دون المعصية على وجه العصمة منها ان كان نبيا

اعلم انه ينبغي لمن وصل الى هذا الحد واراد ان يعطي احدا شيئا فليحضر في نفسه انه يؤدي امانة لصاحبها فيحشر مع الامناء المؤدين أماناتهم لا مع المتصدقين لفوات محل الافضل والله اعلم وقال في حديث من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما أعطي السائلين المراد بالافضل الذي أعطيه هذا هو العلم بالله فانه افضل ما أعطي السائلون بيقين واما غيره فهو على الظن * وقال انما ذكر الحق تعالى انه يأخذ الصدقات ليتنبه المتصدق فيعطي للفقير الاشياء النفيسة وذلك ان المنادي ينادي يوم القيامة اين ما أعطي لله فيؤتى بالكسر اليابسة والفلوس والخلع من الثياب ثم ينادي اين ما أعطي لغير وجه الله فيؤتى بالاموال الجسام والاطعمة النفيسة فيذوب الناس من الخجل * وقال كلما كبر جسم الطفل صغر عمره وكلما صغر جسمه كبر عمره فزيادته نقصه ونقصه زيادته فلا ينفك من اضافة الكبر والصغر اليه فانظر ما اعجب هذا التدبير الالهي * وقال في الباب الحادي والسبعين في أسرار الصوم انما قال تعالى الصوم لي غيرة الهية أن يتلبس العبد بصفته تعالى فان الصوم صفة صمدانية ولذلك ورد في الصوم انه لا مثل له اى من العبادات وذلك لانه وصف سلبي اذ هو ترك المفطرات فلا عين له تتصف بالوجود الذي هو يعقل فهو على

اوعلى وجه الحفظ ان كان وليا * واما الختم والطبع فالمراد بهما واحد كما قاله الاصوليون وهو خلق الضلال فى العبد الذى هو الاضلال واما الكن فالمراد به كما قاله الشيخ فى الباب الثامن عشر وار بعمائة ان يكون العبد فى بيت الطبيعة مشغولا بامه التى هى النفس ما عنده خبر من أبيه الذى هو الروح فلا يزال هذا فى ظلمة الكن وهو حجاب الطبيعة المشار اليه بقول الكفار ومن بيننا و بينك حجاب ومعلوم ان من كان فى حجاب كن وظلمة فلا يسمع كلام الداعى الى الله ولا يفهم على وجه الانتفاع به * واما الوقر المشار اليه بقوله تعالى وفى آذاننا وقر فالمراد به ثقل الاسباب الدنيوية التى تصرفه عن الاشتغال بما ينفعه فى الآخرة * واما الران المشار اليه بقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم فالمراد به صدأ وطبع ايطلع على وجه مرآة القلب وقد يحدث من النظر الى ما لا يحل النظر اليه من شهوات الدنيا وجلاء ذلك الصدا والطبع ايكون بكثرة الذكر وتلاوة القرآن * واما الصمم فالمراد به حصول قساوة فى القلب تمنعه من الاصغاء الى كلام داعى الشرع * واما القفل فهو لاهل الاعتذار يوم القيامة من الكفار وان لم ينفعهم الاعتذار فيقولون يا ربنا الم نقفل على قلوبنا هذا القفل وانما وجدناها مقفلا عليها ولم نعلم من قفلها وقد طلبنا الخروج فخفنا يارب من فك ختمك وطبعك عليها فبقينا ننتظر الذى اقفل عليها عسى يكون هو الذى يتولى فتحها فلم يكن بأيدينا من ذلك شئ قال الشيخ محيى الدين وكان عمر بن الخطاب من اهل الاقفال فتولى الله تعالى فتح قفله فشيد الله به الاسلام رضى الله تعالى عنه فتأمل هذه التفاسير فانك لا تكاد تجدها مجموعة فى كتاب والله يتولى هداك (فان قلت) فاذا كان بيده تعالى ملكوت كل شئ وان كل واقع فى الوجود بارادته ومشيئته فاثابته على الطاعة فضلا منه وعقابه للعباد على المعصية عدلا منه شرا كان أو غيره (فالجواب) نعم والامر كذلك الا ان يغفر تعالى غير الشرك قال تعالى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وقال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال الشيخ جلال الدين المحلى وهذا الاخير مخصص لعمومات العقاب اى ولا ينافى ذلك العفو الذى تضمنه صدق اخبار الله تعالى بتعذيب العصاة لان التخصص بيان لان ذلك الخاص لم يرد بالحكم لانه بيان للرفع بعد الاثبات (فان قلت) فهل له تعالى مخالفة ما وعد واوعد فى هاتين الآيتين (فالجواب) نعم له ذلك وبه قالت الشافعية وقالت الحنفية لا يصح فيهما وعلى كلام الشافعية فله تعالى اثابة العاصى وتعذيب المطيع وايلام الدواب والاطفال لانهم ملكه يتصرف فيهم كيف شاء قالوا لكن لا يقع منه تعالى ذلك لاخباره تعالى باثابة المطيع وتعذيب العاصى فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قالوا ولم يرد لنا فى كتاب ولا سنة صحيحة ايلام الدواب والاطفال فى غير قصاص الآخرة والاصل عدمه فان كلام الائمة انما هو فى الايلام فى الآخرة لا فى الدنيا اذ وقوع الايلام فى الدنيا مشاهد لا نزاع فيه * اما ايلام الدواب والاطفال فى القصاص فقد قال صلى الله عليه وسلم لتؤدون الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم يقتص الخلق من بعضهم بعضا حتى الجماء من القرناء وحتى الذرة من الذرة وقال أيضا ليختصمن كل شئ يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا رواه الامام احمد قال الجلال المحلى رحمه الله وقضية هذه الاحاديث انه لا يتوقف وقوع القصاص يوم القيامة على التكليف والتمييز فيقتص من الطفل لطفل وغيره فعلم استحالة وصفه تعالى بالظلم ولو وقع منه تعالى تعذيب أو ايلام لاحد من خلقه مكلف أو غيره لانه مالك الامور كلها على الاطلاق (فان قلت) فهل اذا وقع الايلام فى الدنيا للدواب والاطفال يكفى ذلك عن ايلامهم فى الآخرة لحديث لا يجمع الله تعالى على عبد عقوبتين فان عاقبه فى الدنيا لم يعاقبه فى الآخرة ويكون

الحقيقة لاعبادة ولاعمل وان أطلق ذلك عليه فهو مجاز وان وصف العبد به فهو وصف مقيد لامطلق ذلك فليسة كالحق لان الحق منزه عن الغذاء مطلقا والعبد انما هو منزه عنه فى وقت مخصوص واطال فى ذلك * وقال فى حديث لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك لم يبلغنا ان الله تعالى أعطى احدا من الخلق ادراك شم رائحة الخلوف كالمسك ولا سمعنا بذلك عن احد ولا ذقناه فى نفوسنا بل المنقول عن الكمل من الناس والملائكة التأذى بالروائح الخبيثة قال وما انفرد بادراكها اطيب من ريح المسك الا الحق تعالى على ان أفعل التفضيل فى جانب الحق محال لتساوى الروائح كلها عنده اذا ختلاف الروائح تابع للمزاج والحق منزه عن ذلك قال ولا ادرى هل الحيوان يدرك رائحة الخلوف متغيرة أم لا لانى ما اقامنى الحق تعالى فى صورة حيوان غير انسان كما اقامنى فى اوقات فى صور الملائكة فتأمله وحرره والله عليم حكيم * وقال فى حديث يدع طعامه وشرابه من أجلى انما قدم الطعام على الشراب فى الذكر لان الطعام هو الاصل فى الغذاء واما الشراب فيمكن تركه لان العطش من الشهوات الكاذبة فمن عود نفسه الامساك عن الماء وان عطش ايام بالله الشهور والسنين لا يشربه من غير تأثر فى

فمحل خلاف الائمة فى ايلام الدواب والاطفال فى الآخرة على ما اذا لم يعاقبوا فى الدنيا (فالجواب) نعم يكفى ذلك خلافا للحنفية ويحصل به اطلاق المشيئة للحق تعالى فى عباده ويؤيد ذلك قول الشيخ محيي الدين فى الباب الثامن والتسعين ومائتين اعلم ان الله تعالى قال فى حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقدر تعالى الذنب واوقع المغفرة وما علق المغفرة بالدنيا لوقوع الامراض والآلام الحسية والنفسية فيها وذلك عين انفاذ الوعيد فى حق الامة لانه لابد لكل مخلوق من وقوعه فيما يؤلمه فصح قول المعتزلة فى مسئلة ايلام البرىء والطفل فان الاشعرى يجوز وقوع ذلك من الله تعالى ولكن يقول كل ما جائز واقع قال الشيخ وكل ما حتج به الاشعرية على المعتزلة وليس هو بذلك الطائل فان القائلين بانفاذ الوعيد مصيبون ان اطلقوا محل انفاذه ولم يقيدوه الا حيث يعينه الله تعالى فى الدنيا او فى الآخرة فاذا انفذه فى الدنيا بمرض او الم نفسى او حسى كان ذلك كفاية فى صدق انفاذ العقوبة وكان ذلك ستراله عن عقوبة الآخرة انتهى * وقال ايضا فى الباب الرابع والستين ومائتين اعلم انه لابد لجميع بنى آدم من العقوبة والبلايا والآلام شيأ بعد شئ فى ابدانهم وسرائرهم حتى يدخلوا الجنة او النار فاول الالم فى الدنيا استهلال المولود حين ولادته فانه يخرج صارخا لما يجده من الالم عند مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بالم البرد فيبكى فان مات بعد ذلك فقد اخذ بحظه من البلاء وان عاش فلابد له فى الحياة الدنيا من الالم اذ الحيوان مجبول على ذلك فاذا انتقل الى البرزخ فلابد له من الالم ادناه سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلابد له من الم الخوف على نفسه او على غيره فاذا دخل الجنة ارتفع عنه حكم الالم وصحبه النعيم ابد الآبدين وان دخل النار فهو فى الم لا انتهاء له ان كان من اهل النار الذين هم اهلها والا صحبه الالم حتى يخرج بالشفاعة اه * وقال فى باب الاسرار فى قوله تعالى ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايدى الناس الآية اعلم ان الحق تعالى قد اخبر فى هذه الآية ان كل ما حصل للعبد من الامور المؤلمة فهو جزاء ما هو ابتداؤه فما ابتليت البرية وهى بريئة وهذه مسئلة صعبة المرتقى قد اختلف فيها طائفتان كبيرتان منعت احداهما ما اجازت الاخرى ونصرت كل طائفة منهما ما قام فى غرضها وهو عين مرضها قال واما الطبقة العليا من اهل الكشف فعلموا الامر يقينا وانه لم يكن فى الدنيا امر مؤلم قط الا وهو جزاء ما هو ابتداء كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم حتى ان الطبيب يقول للمريض اذا تألم والله ما قصدت الا النفع لك بما امرتك باستعماله من الادوية الكريهة المؤلمة وكذلك يقول الحق تعالى للطبيب اذا مرض ولم يدر من اى باب دخل عليه المرض هذا الالم الذى اصابك انما هو جزاء لما آلمت به المرضى فخذ جزاء ما فعلته وان كان ذلك الالم ما قصدته انتهى وسيأتى فى مبحث ان احدا لا يخرج عن التكليف ان اول درجات تكاليف الروح التمييز فراجعه والله تعالى اعلم * واما الكلام على اسمه تعالى السميع البصير فنقول وبالله التوفيق (ان قلت) ما الحكمة فى تقديم الاسم السميع على الاسم البصير وعلى الاسم العليم فى الذكر دون العكس (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والثمانين ومائة ان الحكمة فى تقديم الاسم السميع على غيره فى الذكر كون اول شئ علمناه من الحق تعالى القول وهو قوله لنا كن فكان منه تعالى القول ومنا السماع فتكون الوجود انتهى وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب السابع والتسعين وسيأتى بعناه فى المبحث عقبه ان شاء الله تعالى * واعلم ان هذين الاسمين لا يعقل كيفهما كسائر الصفات فهو تعالى يسمع ويرى ما تحرك او سكن او بطن فى الورى فى العالم الاسفل والاعلى فيسمع كلام النفس فى النفس وصوت المماسة الخفيفة عند اللمس ويرى تعالى السواد فى الظلماء والماء فى الماء لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور ولا الجدرات كما لا يحجب سمعه البعد

المزاج ولاقى البدن وتقنع الطبيعة بما تستمده من الرطوبات التى فى الطعام وأطال فى ذلك الكلام على آداب الخلوة * وقال فى حديث اذا جاء رمضان فتحت ابواب الجنان وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين وجه مناسبة الصوم لفتح ابواب الجنان كون الصائم دخل فى عمل مستور ليس له عين وجودية كما مر اول الباب فيظهر للبصر ولا هو بعمل للجوارح على ما مر والجنة ماخوذة من الستر والخفاء واما وجه مناسبة غلق ابواب النار للصائم فان النار اذا غلقت ابوابها تضاعف حرها واكل بعضها بعضا وكذلك الصائم اذا صام غلق ابواب نار طبيعته فوجد للصوم حرارة زائدة لعدم استعمال المرطبات ووجد الم ذلك فى باطنه فقويت نار شهوته بغلق باب تناول الاطعمة والاشربة وصفدت الشياطين التى هى صفات البعد عن الله لقربه حينئذ من الصفة الصمدانية واطال فى ذلك * وقال الذى اقول به وهو مذهب ابن الشخير ايضا اذا غم علينا شهر رمضان ان لا نعمل باكبر المقدارين وانما نسأل اهل التسيير عن منزلة القمر فان كان على درج الرؤية وغم علينا عملنا عليه وان كان على غير درج الرؤية كملنا العدة ثلاثين * وقال وجه من قال بكراهة الصوم مع الجنابة ان الصوم يوجب القرب من صفات الله والجنابة بعد عن حضرته فكما

فهو القريب ولا يضره البعد فهو القريب جلت صفاته تعالى ان تجتمع مع صفات خلقه فى حد أو حقيقة ؛ وقال فى لواقح الانوار من خصائص الحق تعالى انه لا يشغله ما يبصره عما يسمعه ولا ما يسمعه عما يبصره بل يحيط علما بالمسموعات والمبصرات من غير سبقية ادراك باحدى الصفتين على الاخرى فلا يشغله شان عن شان انتهى * وقال فى باب الاسرار من أعجب ما يعتقده اهل التوحيد وصفه تعالى بالقريب البعيد قريب ممن و بعيد عمن هو اقرب الى جميع العبيد من حبل الوريد فالقرب والبعد انما هو راجع الى شهود العبد فان اطاع ربه رأى ربه قريبا وان عصى أمر ربه وجد به بعيدا والله تعالى اعلم (واما الكلام على كونه تعالى متكلما) فاعلم يا اخى ان هذا محل وقع للعلماء اضطراب فى تعقله ونحن نشير لى طرف صالح من كلام المتكلمين والصوفية فنقول وبالله التوفيق اجمع المتكلمون ان هذه الصفة اى صفة الكلام لا يتعقل كيفها كبقية الصفات لان كلامه تعالى لا هو عن صمت متقدم ولا عن سكوت متوهم اذ هو قديم ازلى كسائر صفاته من علمه وارادته وقدرته كلم تعالى به موسى عليه الصلاة والسلام سماه التوراة والانجيل والزبور من غير تشبيه ولا تكييف انما هو امر يذوقه النبى أو الملك فى نفسه لا يستطيع ان يكيفه بعبارة كما لو سئل الذائق للعسل كيف وجدت طعمه او ما الفرق بين حلاوة العسل النحل والعسل الاسود مثلا ما قدر على ايصال الفرق بينهما الى السامع بعبارة ولو قيل لموسى عليه الصلاة والسلام كيف سمعت كلام ربك ما قدر على تكييف ما سمع (فان قلت) كيف تنوعت الفاظ الكلام الى عربى وسريانى وعبرى مع انه واحد فى نفسه غير متجزئ (فالجواب) صحيح ان الكلام واحد ولكن المخلوقون هم الذين يعبرون عنه بلغاتهم المختلفة فهو كذات الله تعالى يعبر عنها العربى بالله تعالى والفارسى بخداى تعالى فان عبر عن كلامه تعالى بالعربية كان قرآنا او بالسريانية كان انجيلا او العبرانية كان توراة (فان قيل) فما اول كلام شق اسماع الممكنات من الحق تعالى (فالجواب) هو ما اشرنا اليه فى المبحث السابق ان اول كلام شق اسماع الممكنات هو كلمة كن فما ظهر العالم كله الا عن صفة الكلام وحقيقة هذا الكلام الالهى هو توجه ارادة الرحمن على عين من الاعيان فينفخ الرحمن الروح فى شخصية ذلك المقصود فيعبر عن ذلك الكون بالكلام وعن المكون فيه بالنفس كما ينتهى نفس المتنفس المريد ايجاد عين حرف فيخرج النفس المسمى صوتا ولا يعقل كيف ذلك فى جناب الحق والله أعلم * وعبارة جمع الجوامع وشرحه القرآن كلام الله تعالى القائم بذاته غير مخلوق وانه مكتوب فى مصاحفنا على الحقيقة لا المجاز محفوظ فى صدورنا بألفاظه المخيلة للمعنى على الحقيقة لا المجاز مقروء بألسنتنا بحروفه الملفوظة المسموعة على الحقيقة لا المجاز قال الجلال المحلى ونبهوا بقولهم لا المجاز فى الثلاث مسائل على الاشارة الى انه ليس المراد بالحقيقة كنه الشئ كما هو مراد المتكلمين فان القرآن بهذه الصفة الحقيقية ليس هو فى المصاحف ولا فى الصدور ولا فى الالسنة وانما المراد بها مقابل المجاز اى صح أن يطلق على القرآن حقيقة انه مكتوب محفوظ مقروء اى ان اسناد كل من هذه الثلاثة الى القرآن اسناد حقيقى كل منها باعتبار وجود من الوجودات الاربعة كما لا يخفى لا انها اسناد مجازى (قلت) قال الشيخ وايضاح ذلك انه يصح ان يقال القرآن مكتوب محفوظ مقروء وانه غير مخلوق اى موجود أزلا وأبدا اتصافا له باعتبار الوجودات الاربعة التى هى لكل موجود وهى الوجود الخارجى والوجود الذهنى والوجود فى العبارة والوجود فى الكتابة وهى تدل على العبارة وهى على ما فى الذهن وهو على ما فى الخارج فالقرآن باعتبار الوجود الذهنى محفوظ فى الصدور وباعتبار الوجود اللسانى مقروء بالالسنة وباعتبار الوجود الكتابى مكتوب فى المصاحف وباعتبار الوجود الخارجى وهو المعنى القائم بالذات المقدس ليس بالصدور ولا بالالسنة

لايجتمع القرب والبعد كذلك لايجتمع الصوم والجنابة ووجه من قال بعدم الكراهة انه راعى حكم الطبيعة * وقال الصوم نسبة الهية فاثبت كل امر فى موضعه * وقال فى الكلام على كفارة الجماع قال بعضهم الذى يترجح فى خصال الكفارة ما كان أشق على النفس لان المقصود بالحدود والعقوبات انما هو لزجر قال الشيخ والذى أقول به انه يفعل الاهون من الكفارة لان الدين يسر ولكن ان فعل الاشق من قبل نفسه كان حسنا لان كون الحدود وضعت للزجر ما فيه نص من الله ولا رسوله وانما اقتضاه النظر الفكرى وقد يصيب فى ذلك وقد يخطئ وبعض الكبائر لم يشرع فيها حد مطلقا فلو كانت الحدود زواجر لكانت العقوبة تزيد بحسب كثرة الضرر فى العالم * وقال الذى أقول به انه لا كفارة على المراة اذا طاوعت زوجها فى الجماع فى الصوم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتعرض للمرأة فى حديث الاعرابى ولا سأل عن ذلك ولا ينبغى للمؤمن ان يشرع شيأ فيما سكت عنه الشارع (وقال) الذى أقول به ان العارف اذا كشف له انه يمرض غدا فلا يجوز له المبادرة الى الفطر فى ذلك اليوم حتى يتلبس بالسبب لان الله تعالى ما شرع له الفطر الا حال المرض قال ونظير ذلك من كشف

ولا

ولا في المصاحف وأما الالفاظ المركبة من الحروف فانها اصوات هي اعراض والله أعلم * وقال الشيخ كمال الدين بن ابي شريف في الكلام على الكتاب العزيز اعلم ان القرآن يطلق لمعنيين احدهما الكلام النفسي القائم بالذات المقدس الثاني اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهل اطلاقه عليهما بالاشتراك او هو في الثاني مجاز مشهور الظاهر الاشتراك قال ثم ان القرآن بالمعنى الاول محل نظر لعلماء اصول الدين وبالمعنى الثاني محل نظر لعلماء العربية والفقه واصوله قال ووجه الاضافة في تسمية كلام الله بالمعنى الاول انه صفة الله تعالى وبالمعنى الثاني انه تعالى أنشأه برقومه في اللوح المحفوظ لقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ أو بحروفه في لسان الملك لقوله انه لقول رسول كريم أو لسان النبي لقوله نزل به الروح الامين على قلبك ومعلوم ان المنزل على القلب هو المعنى لا اللفظ لا لمجرد كونه دالا على كلامه القديم ثم انه هل يعتبر في التسمية بالقرآن بالمعنى الثاني خصوص المحل كما قيل انه اسم لهذا المؤلف القائم بأول لسان اخترعه الله تعالى فيه اولا يعتبر في التسمية الا خصوص التأليف الذي لا يختلف باختلاف المتلفظين الصحيح الثاني لانا نقطع ان ما يقرؤه كل واحد منا هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الاول يكون مثل القرآن لا نفسه قال وقد منع السلف من اطلاق القول بحلول القرآن بالمعنى الثاني في اللسان او في المصحف ومن القول بكونه مخلوقا أدبا واحترازا عن ذهاب الوهم الى القرآن بالمعنى الاول الذي هو الكلام النفسي القائم بذاته تعالى انتهى * وعبارة الشيخ ابي طاهر القزويني في كتابه سراج العقول وقد أجمع السلف كلهم على ان القرآن كلام الله غير مخلوق من غير بحث منهم بأنه القراءة او المقروء او الكتابة او المكتوب كما اجمعوا على انهم اذا زاروا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المزور والمصلى والمسلم عليه هو النبي صلى الله عليه وسلم من غير بحث انه شخصه أم روحه واطال في ذلك في الباب الخامس من كتابه (فان قلت) فهل نزلت الاحاديث القدسية على رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظا او معنى (فالجواب) انها نزلت معنى لا لفظا فعبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبارته هو وذلك لانها لم تنزل للاعجاز بألفاظها كالقرآن وهي كلام الله تعالى بلا شك (فان قلت) فما معنى قوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا فانه يوهم انه مخلوق (فالجواب) ليس الجعل بمعنى الخلق في سائر الاحوال بدليل قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا (فان قلت) فهل يجوز لاحد ان يعتقد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغنا شيأ من القرآن على المعنى (فالجواب) لا يجوز لاحد اعتقاد ذلك لانه لو قدر انه تصرف في اللفظ المنزل ورواه بالمعنى لكان حينئذ مبينا للناس صورة فهمه لا صورة ما نزل والله تعالى يقول لتبين للناس ما نزل اليهم فمن المحال ان يغير صلى الله عليه وسلم أعيان تلك الكلمات وحروفها بل لو فرض انه صلى الله عليه وسلم علم جميع معاني كلام الله عز وجل بحيث لا يشذ عنه شيء من معانيه وعدل عما انزل فاي فائدة للعدول وحاشاه من ذلك اذ لو تصرف في صورة ما نزل من الحروف اللفظية لكان يصدق عليه انه بلغ الناس ما نزل اليهم وما يتنزل اليهم ولا قائل بذلك فافهم وقد اطال الشيخ الكلام على حديث القوم الذين يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم في الباب الخامس والعشرين وثلثمائة من الفتوحات فراجعه (فان قلت) فما مثال الوحي اذا ظهر لنا بالالفاظ (فالجواب) ان مثال ظهور الوحي بالالفاظ مثال ظهور جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة دحية فان جبريل لم يكن حين ظهر فيها بشرا محضا ولا ملكا محضا ولا كان بشرا ولا ملكا معا في حالة واحدة فكما تبدلت صورته في أعين الناظرين ولم تتبدل حقيقته التي هو عليها فكذلك الكلام الازلي والامر الاحدي يتمثل بلسان العربي تارة وبلسان العبري تارة وبلسان السرياني اخرى وهو في ذاته امر واحد ازلي

له مما يقع فيه من المعاصي ولابد لا ينبغي له المبادرة ولو علم أن الله تعالى لا يؤاخذه لان الله قد واخى حكم الفرع في الظاهر على ان هذا الامر ليس عندنا بواقع اصلا وان كان جائزا عقلا واطال في ذلك * وقال انما كان صلى الله عليه وسلم يقدم الرطب على التمر اذا افطر في رمضان لان الرطب احدث عهد بربه كما قال ذلك حين اغتسل في المطر * وقال السحر ما بين الفجر الصادق والكاذب لانه له وجه الى النهار ووجه الى الليل ولذلك كان السحور مشتقا من السحر فلا يسمى سحورا الا ما كان في هذا الوقت (وقال) الذي اقول به ان المفطر من صوم التطوع ان كان لهوى نفسه فعليه القضاء وان كان لشغله بمقام او حال فلا قضاء عليه * وقال في حديث مسلم صوم عاشوراء احتسب على الله ان يكفر السنة التي قبله اي فلا يؤاخذ من صامه بشيء مما جناه في السنة كلها وانما قال احتسب على الله مع انه على علم من الله انه يكفر ذلك ادبا مع الله لان العارف اذا قال احتسب على الله لا يريد بها حسن الظن بالله فقط وانما يقولها عن تحقيق كما قال صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون فاستثنى في امر مقطوع به فالاستثناء في نحو ذلك أدب الهي والله اعلم * وقال في حديث واتبعه بست من شوال اعلم ان هذه الايام بدل من السنة

فالكافر والمشرك يسمع كلام الله وموسى عليه الصلاة والسلام يسمع كلام الله ولكن بين سماعيهما بعد المشرقين اذ لو كان سماعهما واحدا لبطل الاصطفاء * قال الشيخ ابو طاهر القزويني رحمه الله بعد كلام طويل وبالجملة فالائمة الكبار من شيوخ السلف مثل الامام أحمد وسفيان وسائر أصحاب الحديث كانوا أكثرهم علما وأغزرهم فهما وأكمل عقلا ومع ذلك فزجروا أصحابهم عن الخوض في مثل ذلك لدقته وغموضه كما ذموا علم الكلام لعلمهم بأن استخلاص العقائد الصحيحة من بين فرث التشبيه ودم التعطيل عسر جدا الا على من رزقه الله الفهم عنه اذ غالب الناس لا يتفطنون للفرق بين المقروء والقرآن فخاف السلف على أصحابهم ان تتزلزل عقائدهم فامروهم بمحافظة الامر الظاهر والايمان به قطعا من غير بحث على المعنى الحقيقي اذ قد صح ايمان المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله وقالوا لاصحابهم اقروها كما جاءت من غير كيف وقولوا آمنا به وصدقنا ولعمري ان في ذلك مصلحة عظيمة للعوام واما الائمة فمحال ان يخفى عليهم التحقيق في هذه المسئلة رضي الله تعالى عنهم * قال الحافظ الذهبي رحمه الله وانما وقعت المحنة للعلماء في زمن المأمون دون غيره من الخلفاء لان المأمون كان فقيها ماهرا قد طالع كتب الفلاسفة فجره ذلك الى القول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان من أحسن الخلفاء عقيدة ورأيا ودينا وأدبا وعلما وسوددا ثم تولى بعده اخوه المعتصم فامتحن العلماء كذلك في مسئلة خلق القرآن وجدد مذهب أخيه المأمون ثم تولى بعده الواثق بن المعتصم فامتحن العلماء كذلك باغراء احمد بن أبي داود مدة ثم تاب الواثق وأظهر السنة انتهى والله تعالى أعلم * واما قول الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه في هذه المسئلة فقال في الباب الرابع والثلاثين من الفتوحات (ان قلت) ما الحكمة في تخصيص نزول القرآن في ليلة القدر (فالجواب) انما خص نزوله بليلة القدر لان بالقرآن تعرف مقادير الاشياء وموازينها وكان نزوله في الثلث الآخر منها انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والستين وثلثمائة ان المراد انه محدث الاتيان لا محدث العين فحدث علمه عندهم حين سمعوه وهذا كما تقول حدث اليوم عندنا ضيف ومعلوم انه كان موجودا قبل ان يأتي وكذلك القرآن جاء في مواد حادثة تعلق السمع بها فلم يتعلق الفهم بما دلت عليه الكلمات فله الحدوث من وجه والقدم من وجه (فان قلت) فاذن الكلام لله والترجمة للمتكلم (فالجواب) نعم هو كذلك بدليل قوله تعالى مقسما انه يعني القرآن لقول رسول كريم فاضاف الكلام الى الواسطة والمترجم كما اضافه تعالى الى نفسه بقوله فأجره حتى يسمع كلام الله فاذا تلي علينا القرآن فقد سمعنا كلام الله وموسى لما كلمه ربه سمع كلام الله ولكن بين السماعين بعد المشرقين كما مر فان الذي يدركه من يسمع كلام الله بلا واسطة لا يساويه من يسمعه بالوسائط انتهى * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول مادام القرآن في القلب فلا حرف ولا صوت فاذا نطق به القارئ نطق بصوت وحرف وكذلك اذا كتبه لا يكتبه الا بصوت وحرف * وسمعته يقول ايضا المفهوم من كون القرآن أنزل حروفا منظومة من اثنين الى خمسة حروف فأكثر متصلة او منفردة امران كونه قولا وكلاما ولفظا وكونه يسمى كتابا ورقما وخطا فان نظرت الى القرآن من حيث كونه يحفظ فله حروف الرقم وان نظرت اليه من حيث كونه ينطق به فله حروف اللفظ فلماذا يرجع كونه حروفا منطوقا بها اهل هي لكلام الله الذي هو صفته او للمترجم عنه الحق الثاني انتهى وسمعته أيضا يقول في قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ فكما ان الظمآن يحسب السراب ماء وليس هو بماء كذلك حكم من يسمع كلام الله يحسب كلامه تعالى بصوت وحرف وليس هو في نفس الامر بصوت ولا حرف وان كان من المحال ان يظهر امر في صورة أمر آخر الا بمناسبة تكون بينهما فهو

أيام التي نهى عن صيامها وهي يوما العيد وثلاثة ايام التشريق ويوم الشك قال وانما حديث اذا انتصف شعبان فلا تصوموا فلان في ليلة النصف من شعبان يكتب الله لملك الموت فيها من يقبض روحه في تلك السنة فيخط على اسم الشقي خطا اسود وعلى اسم السعيد خطا ابيض فيعرف ملك الموت بذلك السعيد من الشقي فكان الموت بعد هذه الليلة للمؤمن مشهودا حتى كأنه محتضر سكران فنهاه الشارع عن الصوم رفقا به ورحمة انتهى فليتأمل ويحرر وقال دليل من اباح الصوم ايام التشريق قوله صلى الله عليه وسلم لا يصح صوم يومين يوم عيد الفطر ويوم الاضحى قال لان الخطاب يقتضي ان ما عدا هذين اليومين يصح الصيام فيهما والا كان تخصيصهما عبثا * وقال من كان في مقام السلوك ودعي الى طعام او شراب وهو صائم فلا ينبغي له الفطر لئلا يعود نفسه نقض العهد مع الله بخلاف العارف الكامل له الفطر بلا كراهة لاحكامه رياضة نفسه * وقال كان داود يصوم يوما ويفطر يوما وكانت مريم تصوم يومين وتفطر يوما لانها رأت ان للرجال عليها درجة فقالت عسى يكون هذا اليوم الثاني من الصوم في مقابلة تلك الدرجة وكذلك كان فان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهما بالكمال كما شهد للرجال وذلك

مثله

مثله فى النسبة لامثله فى العين فكما ان الظمآن اذا جاء السراب لم يجده ماء كما كان يراه كذلك من سمع كلام الله بصوت وحرف اذا كشف عنه الغطاء لم يجده بصوت ولا حرف كما سمعه (فقلت) له فهل الحق تعالى اذ يتكلم بصوت وحرف لاطلاقه تعالى من حيث انه فعال لما يريد فقال لا يصح ذلك الحق لانه يلزم منه مساواته لخلقه وعدم مباينته لهم فهو تعالى فعال لما يريد ما لم يشبه خلقه فيه واما تجليه تعالى فى الصور فى الآخرة فليس هو بصور حقيقية كما قلنا فى الصوت والحرف انتهى * وقد ذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين فى الباب الثانى والسبعين وثلثمائة (فان قلت) فهل يصح سماع خطاب الحق تعالى من غير مظهر صورى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والثمانين وثلثمائة انه لا يصح لعبد أن يسمع كلام ربه قط الا من وراء مظهر تقييدى يتجلى الحق تعالى له فيه يكون ذلك المظهر حجابا عنه تعالى ودليلا عليه فلا يشهد عبد قط فى حال المنازلات الخطابية الا مظاهر صورية عنها يأخذ ما يترجم له من الحقائق والاسرار وهى السنة المفهومة الاترى انه تعالى ما كلم موسى عليه الصلاة والسلام الا فى تجليه له فى صورة حاجته التى هى النار انتهى * قلت وهو كلام يحتاج الى تحرير فليتأمل والله اعلم (فان قلت) فهل يقال ان القرآن القديم حال فى القلب بلا صوت وحرف ام بصوت وحرف (فالجواب) ان القرآن مادام فى القلب فهو احدى العينين لا صوت فيه ولا حرف كما مر فهو فى قلوب العلماء به على غير الصورة التى يظهر بها فى ألسنتهم لان الله تعالى جعل لكل موطن حكما لا يكون لغيره ثم ان الخيال يأخذه من القلب فيجسده ويقسمه ثم يأخذه منه اللسان فيصيره بشا كلته ذا حرف وصوت ويقيد به سمع الآذان وقد قال تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله فتلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه اصواتا وحروفا سمعها الاعرابى بسمع أذنه فى حال ترجمته فالكلام لله بلا شك والترجمة للمتكلم به كائنا من كان اى من حيث الحروف والاصوات ويصح اسناد الكلام الى العبد مجازا كما يأتى بسطه قريبا فى باب الاسرار والقلب بيت الرب انتهى ذكره فى الباب التاسع والعشرين وثلثمائة * وقال فى باب الاسرار لو حل بالحادث القديم لصح قول اهل التجسيم القديم لا يحل ولا يكون محلا ولا يعرف المسك الا من عرفه ولا يضم المعنى سوى حرف فذكر القرآن أمان وبه يجب الايمان انه كلام الرحمن مع قطع حروفه فى اللسان ونظم حروفه فيما رقم باليراع والبنان فحدثت الالواح والاقلام وما حدث الكلام وحكمت على العقول الاوهام بما عجزت عن ادراكه الافهام ولو قدر أنه ينال بالالهام لكان العالم به هو العلام انتهى * وقال فيه ايضا الذكر القديم ذكر الحق وان حكى ما نطق به الخلق كما ان الذكر الحادث ما نطق به لسان الحق وان كان كلام الحق اذا كان الحق تعالى يتكلم على لسان العبد فالذكر قديم ومزاجه بالعبد من تسنيم لا يعرف الحق فى هذه المسئلة الا من كان الحق تعالى قواه ولا يكون قواه الا ان قواه * وقال فيه ايضا الحادث محدث وكلام الله له الحدوث والقدم فله عموم الصفة لان له الاحاطة وحدوثه هو وروده علينا كما يقال حدث عندنا اليوم ضيف انتهى * وقال فيه ايضا لا يضاف الحدوث الى كلام الله الا اذا كتبه الحادث او تلاه ولا يضاف القدم الى كلام الحادث الا ان سمعه من الله * وقال فيه ايضا أصدق القول ما جاء فى الكتب المنزلة والصحف المطهرة مع تنزيهه الذى لا يبلغه تنزيه نزل الى التشبيه الذى لا يماثله تشبيه فنزلت آيات بلسان رسوله وبلغ رسوله بلسان قومه وما ذكر صورة ما جاء به الملك هل هو امر ثالث ليس هو مثلهما او مشترك وعلى كل حال فالمسألة فيها اشكال لان العبارات انما هى لكلام الله ليس هو له فما هو التنزل والمعانى لا تتنزل ان كانت العبارات فما هو القول الالهى وان كان القول فما هو اللفظ الكتابى وهو اللفظ بلا ريب فأين الشهادة والغيب ان كان دليلا فكيف هو اقوم قيلا وما ثم قيل

انها المساوات ان شهادة المرأتين تعدل شهادة رجل واحد قالت صوم اليومين بمنزلة اليوم الواحد من الرجل فنالت مقام داود فى ذلك وساوته فى الفضيلة واطال فى الكلام على صوم ولدها عيسى عليه السلام الدهر كله * وقال فى حديث من فطر صائما فله مثل اجره اى اجر فطره لا اجر صومه لان الصائم له اجر فى فطره كما كان له فى صومه اذ الفطر عند الغروب من تمام الصوم ومن اعان شخصا على عمل كان مشاركا له فيما يؤدى اليه ذلك العمل من الخير مشاركة لا توجب نقصا كما ان كل نبى يعطى اجر الامة التى بعث اليها سواء آمنوا به او كفروا واطال فى ذلك * وقال فى حديث كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الآخر من رمضان أحيا ليله وايقظ اهله المراد احياؤه بالصلاة فيه هذا هو المعروف من قيام الليل فى العرف الشرعى * وقال الذى اقول به ان ليلة القدر تدور فى السنة كلها قال لانى رأيتها فى شعبان وفى شهر ربيع وفى شهر رمضان ولكن أكثر ما رأيتها فى رمضان وفى العشر الآخر منه ورأيتها مرة فى العشر الاوسط منه فى غير ليلة وتر وفى الوتر منها فانا على يقين من أنها تدور فى السنة فى وتر وشفع من الشهر الذى ترى فيه قال ولم ينقل الينا ان احدا رأى ليلة القدر فى العشر

الامن هذا القبيل وهو معلوم عند علماء الرسوم فتحقق بذلك ولا تنطق انتهى * وقال فيه ايضا لا تقل انا باه اقوله فاجره حتى يسمع كلام الله انت الترجمان والمتكلم الرحمن الحروف ظروف والصفة عين الموصوف انتهى * وهذا الاينه شى على مذهب من يقول ليست الصفات عينا ولا غيرا فافهم ر * وقال فيه ايضا القرآن كله قال الله وما جاء فيه قط تكلم الله (فان قلت) ما الحكمة فى ذلك (فالجواب) انه لو جاء فى القرآن تكلم الله ما كفر به احد ولا انكر فضله ولا جحد الا ترى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كيف اثر فيه كلامه وظهرت عليه احكامه فان الكلام مأخوذ من الكلم الذى هو الجرح والتأثير فاذا اثر القول فما هو لذاته ففرق يا اخى بين القول والكلام كالفرق بين الوحى والالهام وبين ما يأتيك فى اليقظة والمنام تكن من اهل ذى الجلال والاكرام انتهى فيه ايضا ما العجب الا منا كيف نتلو كلامه وهو قائم بذاته والله انها ستور مسدلة وابواب مقفلة وامور مبهمة وعبارات موهمة هى شبهات من اكثر الجهات انتهى (فان قلت) فهل تتشكل الحروف اللفظية فى الهواء ام تذهب هباء منثورا بعد خروجها (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والعشرين انها تتشكل فى الهواء اذا خرجت ولذلك تتصل بالسموع على صورة ما نطق بها المتكلم فاذا تشكلت فى الهواء تعلقت بها ارواحها ولا يزل الهواء يمسك عليها اشكالها وان انقضى عملها فان عملها وتأثيرها انما يكون فى اول ما تتشكل فى الهواء ثم بعد ذلك تلحق بسائر الامم فيكون شغلها تسبيح ربها (فان قيل) فاذا كانت كلمة كفر فهل تكون مثل كلمات الخير فى كون شغلها تسبيح ربها (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابق انما يكون شغلها تسبيح ربها ولو كانت كلمة كفر فان وبال ذلك انما يعود على المتكلم بها لا عليها لانها نشأت مسبحة لله لا يعود شىء على قائلها من الاثم وقد جعل الشارع العقوبة على المتلفظ بها بسببها كما يؤيده حديث ان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقى لها بالا يهوى بها فى نار جهنم سبعين خريفا وتأمل كلام الله تعالى تراه يمجد ويعظم ويقرأ على جهة القربة الى الله تعالى وفيه جميع ما قالت اليهود والنصارى فى حق الله تعالى من الكفر والسب وهى كلمات كفر عاد وبالها على قائلها وبقيت الكلمة على بابها تتولى عذاب قائلها يوم القيامة او نعيمه (فان قلت) فاذن هذه الحروف الهوائية اللفظية لا يدركها موت بعد وجودها (فالجواب) نعم لا يلحقها موت بخلاف الحروف الرقمية لانها تقبل التغيير والزوال اذ هى فى محل يقبل ذلك واما الاشكال اللفظية فلها البقاء لكونها فى محل لا يقبل التغيير (فان قلت) فما الحكمة فى قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله دون قوله فاذا قرأت الفرقان مع انه من اسماء القرآن (فالجواب) انما لم يقل الفرقان لان الفرقان يطرد ابليس ولا يحضر القارئ فلا يحتاج الى الاستعاذة بالله منه بخلاف القرآن فانه جمع فيدعو ابليس الى الحضور فيحتاج القارئ الى الاستعاذة بالله منه (فان قلت) فلم لم يؤمر المستعيذ بالاستعاذة من ابليس بأحد من اولى العزم من الرسل والملائكة لكون كيده ضعيفا واولوا العزم اقوى منه بيقين (فالجواب) انما كان كيد الشيطان ضعيفا بالنظر للقدرة الالهية اما بالنظر الى الخلق فهو قوى جدا لانه فى حضرة الارادة التى قهرت العالم كله ولذلك كان الاستعاذة منه بالاسم الجامع الذى هو الله دون غيره فأى طريق اتاهم منها وجد الاسم مانعا له عن الحضور بخلاف الاسماء الفروع (فان قلت) فهل يثاب القارئ على قراءة ما حكاه الحق تعالى عن عباده مثل ثواب ما لم يحكه مما اختص به تعالى (فالجواب) نعم يثاب على ذلك ثواب كلام الله الذى لم يحكه عن احد من خلقه لكونه قديما ولو حكاه عن الخلق كان العارف يأخذ كلام الحق الذى قاله ابتداء بغير الوجه الذى قاله تعالى استدعاء وكانه يأخذ ما حكاه الحق تعالى عن عبيده بالمعنى بغير الوجه الذى يحكيه عنهم باللفظ * وقد قال الشيخ فى الباب الثانى

الاول من رمضان ابدا وذلك لانها ليلة تجل الهى ولم يرد لنا حديث فى ان الحق تعالى يتجلى لنا فى الثلث الاول من الليل ابدا (قلت) ورد ان الله تعالى يتجلى ليلة الجمعة من غروب الشمس الى صلاة الفجر فربما كشف الله عن قلب بعض الناس فيرى ذلك التجلى فيعتقد انها ليلة القدر ولعلها اشبهة من يقول اذا وافق الوتر من رمضان ليلة الجمعة كانت قدرا والله اعلم * وقال الذى اقول به جواز الاعتكاف فى غير المسجد الا انه خلاف الافضل واذا اعتكف فى غير المسجد جاز له مباشرة النساء بخلاف المسجد لا يجوز له ذلك لان الشهود للحق الذى هو شرط فى الاعتكاف يبطل بالرجوع الى حظوظ النفس فلا يجتمع شهود الحق والنفس ومن هنا حرم الاكل فى الصلاة فافهم وقال فى الباب الثانى والسبعين فى اسرار الحج اركان البيت على عدد الخواطر الاربعة الهى وملكى ونفسى وشيطانى فالالهى ركن الحجر والملكى الركن اليمانى والنفسى المكعب الذى فى الحجر والشيطانى الركن العراقى ولذلك شرع ان يقال عنده اعوذ بالله من الشقاق والنفاق وسوء الاخلاق * وبالذكر المشروع فى كل ركن يعرف العارفون مراتب الاركان * وقال الذى اقول به ان الطفل اذا حج ثم مات ولم

والتسعين ومائة اذا تلوت القرآن فاعلم ممن تترجم فان الله عز وجل تارة يحكي قول عبده بعينه وتارة يحكيه على المعنى * مثال الاول قوله تعالى حكاية عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر لا تحزن ان الله معنا * ومثال الثاني قوله تعالى حكاية عن قول فرعون ياهامان ابن لي صرحا فانه انما قال ذلك بلسان القبط فوقعت الترجمة عنه باللسان العربي والمعنى واحد فهذه الحكاية على المعنى فهكذا فاتعلم الامور الالهية اذا وردت يفرق القارئ بين كلام الله اصالة وبين كلامه حكاية ويميزه عن بعضه بعضا الى آخر قول الله عز وجل واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا ثم انه تعالى حكى قولهم عن جماعتهم اقررنا وكذلك قوله عن المنافقين واذا لقوا الذين آمنوا قالوا والى هنا انتهى قوله تعالى ثم انه حكى عنهم قولهم وهو انا معكم انما نحن مستهزؤن وقس على ذلك ما يشا كله في القرآن تجده كثيرا وهذا علم لم اجد لاحد قد ما فيه ممن اهل عصري فالحمد لله الذي الهمنا لذلك فانه ليس لنا مادة نستخرج منها علومنا الا القرآن العظيم وما كل احد اوتي مفاتيح الفهم فيه انما ذلك لافراد من الناس (فان قلت) اذا كان القرآن كله عربيا فلم لا تفهم العرب منه معاني الحروف التي هي اوائل السور المرموزة (كالم) و (المص) ونحو ذلك فانه بلسانهم (فالجواب) انما لم يكن جميع العرب تفهم هذه الحروف ليبقى لهم الايمان بها ولم يفهموا انتهى فلذلك جعل الله تعالى فهمها خاصا باهل الكشف ولا يقال ان اهل الكشف لا يعرفونها ايضا الا انا نقول انه لا بد من ان يعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله تعالى والا فلو لم يصح لاهل الكشف علمها لكانت حشوا ولا يجوز ورود ما لا معنى له في الكتاب والسنة كما عليه الجمهور من علماء الاصول خلافا للحشوية باسكان الشين المعجمة ماخوذ من قولهم ان في القرآن حشوا ورأيت في الباب الثامن والتسعين ومائة من الفتوحات ما نصه اعلم ان جميع الحروف المقطعة اوائل السور كلها اسماء ملائكة قال وقد اجتمعت بهم في بعض الوقائع وما منهم ملك الا وافادني علما لم يكن عندي فهم من جملة اشياخي من الملائكة فاذا نطق القارئ بهذه الحروف كان مثل ندائهم فيجيبونه لانه ثم رقائق ممتدة من ذواتهم الى اسمائهم فاذا قال القارئ (الم) مثلا قال هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول فيقول القارئ ما بعد هذه الحروف فيقولون له صدقت ان كان خبرا ويقولون هذا مؤمن نطق بحق وأخبر بحق فيستغفرون له وهكذا القول في (المص) ونحوها قال وهم اربعة عشر ملكا آخرهم (ن) قال وقد ظهروا في منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد وهو (ص) و (ق) و (ن) ومنازل ظهر فيها اثنان مثل (طس) و (يس) و (حم) وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكا بيد كل ملك شعبة من الايمان فان الايمان بضع وسبعون درجة والبضع من واحد الى تسع فقد استوفى هنا غاية البضع وأطال في ذلك ثم قال فمن نظر في هذه الحروف بهذا الباب الذي فتحته له رأى عجائب وسخرت له هذه الارواح الملكية التي هي هذه الحروف اجسامها فتمده بما بيدها من شعب الايمان وتحفظ عليه ايمانه الى الممات انتهى

(خاتمة) ذكر الشيخ في الباب الثاني والثمانين وثلثمائة ان جميع المحكم من القرآن عربي وجميع المتشابه اعجمي ومعلوم ان العجمية عند اهلها عربية والعربية عند اهلها عربية وما ثم عجمة الا في الاصطلاح والالفاظ والصور الظاهرة واما في المعاني فكلها عربية لا عجمة فيها فمن ادعى معرفة علم المعاني وقال بالشبه فيها فلا علم له بما ادعاه فان المعاني كالنصوص عند أهل الالفاظ لكونها بسائط لا تركيب فيها فلولا التركيب ما ظهر للعجمة صورة في الوجود فاعلم ذلك وحرره والله يتولى هداك (واما الكلام على الاسم الباقي تعالى) فاعلم ان الباقي هو من كان بقاؤه مستمرا لا أول له ولا آخر وبعضهم

يبلغ كتب الله له ثلاث الحجة عن فريضته كما قال صلى الله عليه وسلم في الصبي الذي رفعته امه وقالت يارسول الله ألهذا حج قال نعم ولك اجر فانه نسب الحج لمن لا قصد له فيه عند من لا كشف عنده من العلماء وعندنا ان الشارع لولا علم قصده بوجه ما صح ان ينسب الحج اليه وكان ذلك كذبا قال الشيخ وقد اتفق لي مع بنت كانت لي عمرها دون سنة قلت لها يا بنية فأصغت الي ما تقول في رجل جامع امرأته فلم ينزل ماذا يجب عليه فقالت يجب عليه الغسل فغشي على جدتها من نطقها هذا شهدته بنفسي وأطال في ذلك وسيأتي بسط القصة في الباب الثمانين واربعمائة ان شاء الله تعالى وعدد من تكلم في المهد فراجعه وقال الذي أقول به في وجوب الحج على العبد ان استطاع اليه سبيلا لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت نعم ولم يقل الاحرار منهم قال وان منعه السيد اثم انتهى فليتأمل ويحرر هو وما قبله * وقال انما حرم المخيط على الرجل في الاحرام دون المراة لان الرجل وان كان خلق من مركب فهو الى البسائط أقرب واما المراة فقد خلقت من مركب محقق فانها خلقت من الرجل فبعدت من البسائط والمخيط تركيب فقيل للمراة ابقي على أصالتك لانك من الرجل وقيل للرجل ارتفع عن تركيبك فهو ذا سبب امره بالتجرد عن المخيط ليقرب من بسيطه

استغنى بذكر اسمه الحي عن ذكر هذا الاسم فان الصفات الالهية انما هي سبعة في الحقيقة عدد نجوم الثريا وانما استغنى بالحي تعالى لان الحي من كانت حياته ابدية لا افتتاح لها ولا انتهاء وقد تقدم في مبحث كون الصفات الالهية عينا او غيرا ان الاصوليين اختلفوا في صفة البقاء وان الاشعري وأكثر اتباعه على انها صفة زائدة على الذات وان المعتزلة والقاضي والامامين قالوا انه تعالى باق لذاته لا ببقاء وادلة الفريقين مسطورة في كتب اصول الدين والله تعالى اعلم

(المبحث السابع عشر في معنى الاستواء على العرش)

اعلم ان هذا المبحث من عضال المباحث فلنبسط يا اخي الكلام فيه بنقول المتكلمين والعارفين حتى يتجلى لك الوجه الحق فيه ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق * قال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في رسالته يجب اعتقاد ان الله تعالى ما استوى على عرشه الا بصفته الرحمانية كما يليق بجلاله كما قال تعالى الرحمن على العرش استوى ولا يجوز ان يطلق على الذات العلي انه استوى على العرش وان كانت الصفة لا تفارق الموصوف في جانب الحق تعالى لان ذلك لم يرد لنا التصريح به في كتاب ولا سنة فلا يجوز لنا ان نقول على الله ما لا نعلم فكما انه تعالى استوى على العرش بصفته الرحمانية كذلك العرش وما حواه به استوى واعلم ان غاية العقل في تنزيه البارئ عن كيفية الاستواء ان يجعل ذلك استواء تدبير كما استوى الملك من البشر على مملكته كما قالوا في استشهادهم بقولهم * قد استوى بشر على العراق * واين استواء البشر الذي هو مخلوق من استواء البارئ جل وعلا فتأمل وسيأتي بسط ذلك في الخاتمة آخر المبحث الآتي بعده ان شاء الله تعالى وقد أنشد الشيخ محيي الدين في الباب الثالث عشر من الفتوحات

العرش والله بالرحمن محمول * وحاملوه وهذا القول معقول
واي حول لمخلوق ومقدرة * لولاه جاء به عقل وتنزيل

وأطال في ذلك (فان قلت) فما وجه الحكمة في كون الاستواء لم يكن يجيء في الكتاب والسنة الا للاسم الرحمن (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة ان وجه الحكمة في ذلك اعلام الحق تعالى لنا انه لم يرد لنا بالايجاد الا رحمة الموجودين كل احد بما يناسبه من رحمة الامداد او رحمة الامهال او عدم المعاجلة بالعقوبة لمن استحقها ونحو ذلك فعلم ان الاسم الرحمن من اعظم الاسماء حكما في المملكة ويليه الاسم الرب ولذلك لم يرد لنا أن الحق تعالى ينزل الى سماء الدنيا الا بالاسم الرب المحتوي على حضرات جميع المربوبين انتهى (فان قلت) فما الحكمة في اعلامه تعالى بانه استوى على العرش بناء على ان المراد بالعرش مكان مخصوص في جهة العلو لا جميع الاكوان (فالجواب) كما ذكره الشيخ في الباب السبعين وثلثمائة ان الحكمة في ذلك تقريب الطريق على عباده وذلك انه تعالى لما كان هو الملك العظيم ولا بد للملك من مكان يقصده فيه عباده لحوائجهم وان كانت ذاته تعالى لا تقبل المكان قطعا اقتضت المرتبة له ان يخلق عرشا وان يذكر لعباده انه استوى عليه ليقصدوه بالدعاء وطلب الحوائج فكان ذلك من جملة رحمته لعباده والتنزل لعقولهم ولولا ذلك لبقي صاحب العقل حائرا لا يدري اين يتوجه بقلبه فان الله تعالى خلق العبد ذا جهة من اصله فلا يقبل الا ما كان في جهة ما دام عقله حاكما عليه فاذا من الله تعالى عليه بالكمال واندراج نور عقله في نور ايمانه تكافأت عنده الجهات في جناب الحق تعالى وعلم وتحقق ان الحق تعالى لا يقبل الجهة ولا التحيز وان العلويات كالسفليات في القرب منه تعالى قال تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقال صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فعلم ان الشرع ما تبع العرف الا في حق ضعفاء العقول رحمة بهم (فان قلت) فاذن

الذي لا تخيط فيه وان كان مركبا من حيث انه منسوج ولكنه أقرب الى الهبا من القميص والسراويل وكل مخيط وانما جاز الازار والرداء للمحرم لانهما غير مخيطين فلم يكونا مركبين ولهذا وصف الحق تعالى نفسه بهما دون القميص والسراويل فقال الكبرياء ردائي والعظمة ازاري وقال وانما كان لبس النعل في الاحرام هو الاصل فلا يلبس الخف الا اذا عدم النعل لان النعل ما جاء اتخاذه الا للزينة والوقاية من الاذى الارضي فاذا عدم عدل الى الخف فاذا زال اسم الخف بالقطع لم يلحق بدرجة النعل لستره ظاهر الرجل فهو لا خف ولا نعل فحكمه مسكوت عنه كمن يمشي حافيا لانه لا خلاف في صحة احرامه وهو مسكوت عنه وكل ما سكت عنه الشرع فهو عافية وقد جاء الامر بقطع الخف فاتحق بالمنطوق وتعين الاخذ به فانه ما قطعهما المحرم الا ليلحقهما بدرجة النعل فلما لم يلحقا به لسترهما ظاهر الرجل فارقا النعل ولما لم يستر الساق فارقا الخف فالمقطوع لا هو خف ولا هو نعل كما قررناه انتهى فليتأمل ويحرر * وقال الذي أقول به في لبس المحرم المعصفر انه ان لبسه عند الاحرام قبل عقده فله ان يبقى عليه ما لم يرد نص باجتنابه وان لبسه ابتداء في زمان بقاء الاحرام

كل ما كان دنوا من حضرة الحق تعالى فهو عروج وان كان فى السفليات (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والثمانين وثلثمائة نعم لان الحق تعالى من حيث هو لا يتقيد بالجهات (فان قلت) فما الحكمة فى اخباره تعالى لنا بانه تعالى ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا مع انه تعالى لا تقبل ذاته النزول ولا الصعود (فالجواب) الحكمة فى ذلك فتح باب تعليم التواضع لنا بالنزول الى مرتبة من هو تحت حكمنا وتصريفنا واعلامنا بانه كما لا يلزم من الاستواء اثبات المكان كذلك لا يلزم من اثبات الفوقية اثبات الجهة وايضا فان فى اعلامه تعالى لنا بانه ينزل الى سماء الدنيا فيقول هل من سائل هل من مريض هل من مستغفر ونحو ذلك الاذن لعباده فى مسامرته بالسؤال وطلب النوال ومناجاته بالاذكار والاستغفار كما انه تعالى يسامرهم كذلك بقوله هل من سائل الى آخر النسق فيقول لهم ويقولون له ويسمعهم ويسمعونه من طريق الالهام كانهم فى مجلس الخطاب ولله المثل الاعلى هذا معنى النزول عند اهل العقول انتهى واعلم يا اخى ان صفة الاستواء على العرش والنزول الى سماء الدنيا والفوقية للحق ونحو ذلك كله قديم والعرش وما حواه مخلوق محدث بالاجماع وقد كان تعالى موصوفا بالاستواء والنزول قبل خلق جميع المخلوقات كما انه لم يزل موصوفا بانه خالق ورازق ولا مخلوق ولا مرزوق فكان قبل العرش يستوى على ماذا وقبل خلق السماء ينزل الى ماذا فانظر يا اخى بعقلك فما تتعقله فى معنى الاستواء والنزول قبل خلق العرش والسماء فاعتقده بعد خلقهما وانا اضرب لك مثلا فى الخلق تعجز عن تعقله فضلا عن الخالق وذلك ان كل عرش تصورت وراءه خلاء او ملاء من جهاته الست فليس هو عرش الرحمن الذى وقع الاستواء عليه فلا يزال عقلك كلما يقف على شئ يقول لك فما وراءه فاذا قلت له خلاء يقول لك فما وراء الخلاء وهكذا ابد الآبدين ودهر الداهرين فلا يتعقل العقل كيفية احاطة الحق تعالى بالوجود ابدا فقد عجز العقل والله فى تعقل مخلوق فكيف بالخالق وكل من ادعى العلم بالله تعالى على وجه الاحاطة به كذبناه وقلنا له ان كنت صادقا فتعقل لنا شيأ لم يخلقه الله تعالى فان الله تعالى خالق غير مخلوق باجماع جميع الملل وقول الشبلى ان الحق تعالى اذا احيطهم به احاطوا به فرض محال لانه لم يبلغنا وقوعه لاحد وكيف تصح الاحاطة لمخلوق على الوجه المعقول فى حق الخالق اللهم الا ان يريد الشبلى بالاحاطة الاحاطة بانه لا تأخذه الاحاطة فلا بدع حينئذ كما بسطنا الكلام عليه فى كتاب الاجوبة عما يتوهم فى جناب الحق (فان قلت) فاذن الحق تعالى لا يحيط هو بذاته لعدم تناهيها على حد ما تتعقله الخلق من الاحاطة والتناهى (فالجواب) نعم وهو كذلك كما اوضحه الشيخ فى الباب التاسع والثمانين وثلثمائة فقال اعلم ان من القول المستهجن قول بعض النظار ان الحق تعالى لا يحيط بنفسه لان وجوده تعالى لا يتناهى ووجوده عين ماعيته ليس غيرها وما لا يتناهى لا يكون محاطا به الا انه تعالى لا يتناهى فقد احاط تعالى علما بانه لا تناهى له فضلا عن العالم قال الشيخ وهذا القول وان كان مستهجنا من حيث اللفظ فله وجه الى الصحة وذلك انه تعالى يعلم من ذاته انه لا يقبل الاحاطة ولا التحيز لانتفاء البدء والنهاية ولمباينته لخلقه فى سائر الاحكام قال وهذه المسئلة مزلة قدم فان غالب الناس اذا سمع احدا يقول ان الحق لا يحيط بذاته يبادر الى الانكار عليه ويقول بل هو محيط بها على وجه الاحاطة التى تتعقلها الخلق وتعالى الله عن ذلك انتهى وقد نبه على ذلك ايضا الشيخ عبد الكريم الجيلى فى الباب الخامس والعشرين من كتابه المسمى بالانسان الكامل ولفظه اعلم ان ماهية الحق تعالى غير قابلة للادراك والغاية فليس لكماله تعالى غاية ولا نهاية فهو سبحانه يدرك ماهيته ويدرك انها لا تدرك فى حقه ولا حق غيره اعنى يدركها بعد ان يدركها انها لا تقبل البدء ولا النهاية فان نفى البدء والنهاية درجة من درجاته التى تميز تعالى عن العالم بها قال تعالى رفيع الدرجات ذو العرش كانه تعالى يقول ليس لى نهاية فى نفسى

فعليه الفدية وان لبسه عند الاحلال جاز هذا هو الاظهر عندى الان برد نص جلى فى النهى عن المعصفر ابتداء وانتهاء وما بينهما فنقف عنده على انى اقول ان تطيبه صلى الله عليه وسلم عند الاحرام وعند الحل ليس هو متعينا لاجل احرامه وحله فانه من قول عائشة لا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يأتى فهو امر فهمته على حسب ما اقتضاه نظرها او عن نص صريح منه انها فى ذلك فتطرق الاحتمال ثم قال والذى اقول به استحباب بقاء الطيب الذى دخل به فى الاحرام وعدم طلب ازالته ولو وجدت رائحته لانه صلى الله عليه وسلم لم يغسله وقول عائشة طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحله واحرامه انما ارادت به قبل وجود الاحرام منه وقبل التحلل فانها لم تقل طيبته لاجل احرامه حين قرب انقضاؤه وتعقبه الاحلال ونما واعت الاحلال فى آخر افعال الحج وهو طواف الافاضة انتهى وهو كلام يحتاج الى تحرير (وقال) اذا جامع المحرم قبل الوقوف بعرفة وبعد الاحرام فالحكم فيه عند العلماء قاطبة الفساد كحكمه بعد الوقوف قال ولا اعرف لهم دليلا على ذلك ونحن وان قلنا بقولهم واتبعناهم فى ذلك فان النظر يقتضى ان الوطء اذا وقع قبل الوقوف انه يرفض ما مضى ويجدد الاحرام ويهدى وان كان بعد فوات الوقوف فلا لانه لم يبق

حتى يتعلق بها علمي قال وقولنا ان الحق تعالى يدرك ماهية ذاته وصف له بالعلم والقدرة ونفي الجهل وقولنا او يدرك انها لا تدرك نفي للتشبيه واثبات للتنزيه قال ومن هنا ينقدح لك الجواب عن قول الامام الغزالي رحمه الله ليس في الامكان أبدع مما كان اي لان كل ما كان من هيئات الممكنات واحوالها قد تعلق به العلم القديم والعلم القديم لا يقبل زيادة أبدا فكذلك معلومه فصح انه ليس في علم الحق أبدع من هذا العالم من حيث كونه في رتبة الحديث لا يرقى قط لرتبة الخالق فلو خلق تعالى ما خلق ابد الآبدين لا يخرج عن رتبة الحدوث هذا مراد الغزالي رحمه الله انتهى (فان قلت) فاذا كانت ذات الحق تعالى تجل عن الاستواء والنزول الى الكرسي والى سماء الدنيا لكونه تعالى قديما وهذه الامور محدثة لها اول وآخر فما معنى قوله تعالى وكان عرشه على الماء مع ان في معنى الحديث كل شئ خلق من الماء فشمل العرش وما حواه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر وثلثمائة ان على ههنا بمعنى في اي كان العرش في الماء بالقوة فان الماء اصل الموجودات كلها فهو لها كالهيولى لجميع ملك الله تعالى اذ هو عرش الحياة فعلم ان العرش هنا كناية عن جميع ملك الله تعالى وكان حرف وجودي اي الملك كله موجود في الماء (فان قلت) فما معنى حديث كان ربنا في عماء ما فوقه هواء فانه اثبت له صفة الفوق والتحت مع ان ما في الحديث نافية لا موصولة فليس فوق العماء الذي كان الحق تعالى فيه هواء ولا تحته هواء وذلك ليخالف مرتبة المحدثات فان العماء عند العرب هو السحاب الرقيق وكيف اجابه صلى الله عليه وسلم بما ذكر مع ان السائل انما قال يا رسول الله أين كان ربنا قبل ان يخلق الخلق فان هذا العماء ان كان مخلوقا فالسؤال باق من السائل (فالجواب) ان جواب ذلك لا يذكر الا مشافهة لاهله لان الكتاب يقع في يد أهله وغير اهله والله اعلم (فان قلت) فاذا قلتم ان العرش لا وراءه لانه اسم لمجموع الكائنات فاين الخلاء الذي يكون فيه الحافون من حول العرش يوم القيامة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة انه لا فرق بين كونهم حافين من حول العرش ولا بين الاستواء على العرش في عدم التعقل ويكفينا الايمان في مثل ذلك (فان قلت) فما وجه تسمية العرش بثلاثة أسماء عظيم وكريم ومجيد فهل هي مترادفة ام لا (فالجواب) انها غير مترادفة من حيث الاحاطة عظيم لكونه أعظم الاجسام ومن حيث انه اعطى ما فوقه لمن هو في حيطته وقبضته كريم ومن حيث نزاهته من أن يحيط به غيره من الاجسام فهو مجيد اشرفه على سائر الاجسام والله اعلم فهذا ما وجدته من الفتوحات المكية * وقد رأيت في كتاب سراج العقول للشيخ ابي طاهر القزويني رحمه الله كلاما نفيسا في مسئلة الاستواء على العرش وها انا الخص لك عيونه فاقول وبالله التوفيق قال في الباب الثالث من كتابه المذكور في قوله الرحمن على العرش استوى اعلم ان الله تعالى قد خلقنا من الارض في الارض وخلق فوقنا الهواء وخلق من فوق الهواء السموات والارض طبقا فوق طبق وخلق فوق السموات الكرسي وخلق فوق الكرسي العرش العظيم الذي هو أعظم المخلوقات ولم يبلغنا في كتاب ولا سنة ان الله تعالى خلق فوق العرش شيأ وأما ما جاء من ذكر المرادقات والشرفات والانوار فهو من جملة العرش وتوابعه فقوله جل جلاله الرحمن على العرش استوى اي استتم خلقه على العرش فلم يخلق خارج العرش شيأ وجميع ما خلق ويخلق دنيا واخرى لا يخرج عن دائرة العرش لانه حاو لجميع الكائنات ومع ذلك فلا يزن في مقدوراته ذرة فاني يكون مستقره قال واولى ما يفسر القرآن بالقرآن قال تعالى ولما بلغ اشده واستوى اي استتم شبابه وقال تعالى كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه اي استتم ذلك الزرع وقوي فاذا احتملت الآية او الحديث وجها صحيحا سالما من الاشكال وجب

للموقوف زمان وهنالك بقي زمان للاحرام لكن ما قال بهذا احد فتبعنا اصحاب الاجماع في اطلاقهم الفساد (قلت) الذي يظهر لي ان النكتة في ذلك التغليظ عليه لعظم حرمة الحج والله تعالى أعلم * وقال الذي اقول به وجوب رفع الصوت بالتلبية مرة واحدة وما زاد على الواحدة فهو مستحب * وقال الذي أقول به عدم وجوب الخروج للحل على من كان في الحرم لحج أو عمرة بل يصح احرامه بهما من الحرم وأما استدلالهم بقصد خروج السيدة عائشة الى التنعيم فانما هو لاجل كونها كانت آفاقية وحاضت فخرجت لتقضي صورة ما فاتها وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر * وقال قد تميزت الكعبة على العرش والبيت المعمور بالحجر الاسود يمين الله في الارض وأطال في ذلك * وقال بيت الله لا يقبل التحجير فما بقي من الكعبة في الحجر هو بيت الله تعالى الاصح وما حجر عليه فهو بيته الصحيح فمن دخل القطعة التي في الحجر دخل البيت ومن صلى فيه صلى في البيت ولا حكم لبني شيبة ولا لغيرهم عليه فاستغنى العارفون عن منتهم * وقال يوم عرفة محسوب من الزوال الى طلوع الفجر من ليلة العيد فنقص عن سائر الايام الزمانية * قال وقد اجمع الشرع والعرف على تأخير ليلة عرفة عن يومها

المصير

المصير اليه ولكن النفوس تميل الى الخوض في الشبهات وقد اختلف آراء السلف والخلف في معنى آية الاستواء وذكروا في تفسيرها كل رطب ويابس وضلت المشبهة بذلك حتى أداهم الى التصريح بالتجسيم واقتضى الامر بين الائمة الى التكفير والتضليل والضرب والشتم والقتل والنهب والالقاب الفاضحة ولله تعالى في ذلك سر مع ان الآية مما فيه وبمعزل كما ذكرنا قال وايضاح ذلك ان الله تعالى ماذكر الاستواء على العرش في جميع القرآن الا بعد ذكر خلق السموات والارض وذلك في ستة مواضع (الاول) في سورة الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش (الثاني) في سورة يونس ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر (الثالث) في سورة طه تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى (الرابع) في سورة الفرقان الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن (الخامس) في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع (السادس) في سورة الحديد هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض (والمعنى) في هذه الآيات كلها ثم استوى الخلق على العرش اي استتم خلقه بالعرش فما خلق بعد العرش شيأ كما قال استقر الملك على الامير فلاني واستقر الامر على رأي القاضي اي ثبت وهو ما روي عن ابن عباس انه قال استوى استقر انتهى وهو بمعنى استتم واستكمل قال واصل الاستواء في العربية المساواة قال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقد جعل الله تعالى لكل شئ نهاية وكمالا فاذا بلغ حد الكمال قيل استوى ومنه استواء الشمس واستواء الميزان واذا تمكن الجالس على موضعه واستقر يقال استوى قال تعالى فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك وقال لتستووا على ظهوره وقال في ذكر السفينة واستوت على الجودي ولما أكمل الله تعالى خلق السموات والارض واتمه قال فسواهن سبع سموات وقال في تمام خلق آدم وتصويره فاذا سويته وقال ونفس وما سواها فعلى هذا الاصل يكون تفسير الاستواء في الآيات السابقة بالمساواة أحق واصدق وذلك كما يقال استوى امر فلان اي استتم واستكمل قال ولما كان الفعل الماضي والمستقبل يدلان على المصدر جاز ان يخرج المصدر المقدر فعل ظاهرا كان أو كناية فالظاهر نحو قولك ساومت زيدا متاعه فاستوى على العشرة اي استوى السوم والقيمة على العشرة والكناية نحو قوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه اي في الجعل ومنه قول الشاعر

* اذا نهي السفيه جرى اليه * اي الى السفه فلما دل لفظ السفيه على السفه اعاد الكناية اليه

فكذلك حكم هذه الآيات قال ومثاله في الكلام بنى زيد بيته فاستوى على السقف اي استوى بناؤه على السقف يعني استقر البناء على سقفه واستتم به وكذلك معنى خلق السموات والارض في الآيات كما ترى اي فاستقر الخلق على العرش واستتم به وما خلق فوقه شيأ (فان قيل) فما قولك في قوله تعالى في سورة طه الرحمن على العرش استوى وفي سورة الفرقان ثم استوى على العرش الرحمن فالجواب ان الشبهة انما وقعت فيهما من جهة النظم والا فالقصة في جميع الآيات واحدة والنظم طرف عجيبة في القرآن فاما قوله في طه تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى فان الرحمن تفسير وايضاح لقوله ممن اي هذا الخالق هو الرحمن ثم قال على العرش استوى اي استوى خلقه وفاعل استوى هو المصدر الذي يدل عليه لفظ خلق ويسمى ذلك بالضمير المستتر فوقع استوى في آخر الآية لان مقاطع آيات هذه السورة على الالف المقصورة واما قوله في سورة الفرقان الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن ففيه تقديم وتأخير في الآية

القول الشارع من أدرك ليلة جمع قبل الفجر فقد أدرك الحج والحج عرفة فهذا سبب تأخير هذه الليلة عن يومها والا فالاصل تقديم الليلة على نهارها قال تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فجعل الليل اصلا وسلخ منه النهار كما تسلخ الشاة من جلدها فكان الظهور لليل والنهار مبطون فيه * وقال في قوله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى اي موضع دعاء اذا صليتم فيه أن تدعوا لانفسكم في تحصيل نظير تلك المقامات التي كانت لابراهيم عليه السلام وهو أن يقول أحدنا اللهم اجعلني أواها حليما أمة قانتا شاكرا لانعم الله منقادا لامر الله صالحا موفيا بالعهد ونحو ذلك مما قص الله علينا في القرآن * وقال انما أمرنا بالتضلع من ماء زمزم لان فيه سرا خفيا وهو أنه يذلل النفس بعد تكبرها وتحققها بمقام العبودية المحضة كما جرب (قلت) وقد شربته مرة لدبلة طلعت في جانبي قدر البطيخة فقطعت وخرجت من دبري كالدفت الاسود الذائب فالحمد لله رب العالمين فصح عندي ذوقا حديث ماء زمزم لما شرب له وان ضعفه بعضهم والله أعلم (قلت) قال الشيخ في الباب الرابع والخمسين وأربعمائة ينبغي لكل مؤمن أن يصل نسبه باجداده وآبائه المسلمين من آدم الى أبينا الاقرب لان صلة الارحام تزيد في العمر (قلت) ولقد اعتمرت مرة عن أبينا آدم وأجرت أحجة بـ

تقديره الذي خلق السموات والارض هو الرحمن ثم استوى على العرش فالرحمن مبتدا خبره مقدم عليه وذلك الخبر هو قوله الذي خلق كما تقول الذي جاءك زيد وقوله ثم استوى على العرش اعتراض في الكلام (والمعنى) كما قلنا استوى خلقه على العرش يعني استتم قال الشيخ ابو طاهر بعد كلام طويل هذا وكم ناظر في كلامي يبادر الى ملامي ويقول انك ابتدعت للآية تفسيرا مخالفا لما قاله جمهور السلف والخلف وفي مخالفتهم خرق للاجماع واني والله أعذره في ذلك فان الفطام على المعهود شديد والنزول عما تلقاه الفتى من آبائه وشيوخه صعب جدا حقا كان او باطلا والذي أقوله ان الذي ذكرناه محتمل صحيح واضح وان سماه بعضهم بدعة فكم من بدعة مستحسنة واطال في ذلك ثم قال وبالجملة فالعرش أعظم الممالك كلها والحق تعالى فوقه بالرتبة وذلك اننا اذا تأملنا ما فوقنا رأينا الهواء واذا تأملنا ما فوق الهواء رأينا سماء فوق سماء بعلو بنا ثم اذا ترقينا بأوهامنا من السموات السبع رأينا الكرسي واذا ترقينا من الكرسي رأينا العرش الذي هو منتهى المخلوقات التي هي بجملتها تدل على الخالق جل جلاله ثم اذا تقدمنا بالفكر من العرش الذي هو نهاية المخلوقات لم نر للفكر مرقاة البتة فيقف الفكر هناك لان مطار الفكر ينتهي بانتهاء الاجسام فنرى اذ ذاك بعلو بنا وعقولنا الرحمن فوق العرش من حيث الرتبة اذ رتبة الخالق فوق رتبة المخلوقات فهو تعالى فوق العرش فوقية تباين فوقية العرش على الكرسي لان فوقية العرش على الكرسي لا تكون الا بالجهة والمكان بخلاف فوقية الرب على العرش فانها بالرتبة والمكانة دون المكان انتهى والله تعالى اعلم

(المبحث الثامن عشر في بيان ان عدم التأويل لآيات الصفات اولى كما جرى عليه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم الا ان خيف من عدم التأويل محذور كما سيأتي بسطه ان شاء الله تعالى)

ولنبدأ بكلام الاصوليين ثم نعقبه بكلام الشيخ محيي الدين فنقول وبالله التوفيق قال جمهور المتكلمين وما صح في الكتاب والسنة من آيات الصفات وأخبارها نعتقد ظاهر المعنى منه وننزه عند سماع المشكل منه كما في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى ويبقى وجه ربك ولتصنع على عيني ويد الله فوق أيديهم ونحو ذلك ثم اختلفوا هل يؤول المشكل أم يفوض علم معناه المراد الى الله تعالى مع تنزيهنا له عن ظاهر اللفظ حال تفويضنا فمذهب السلف التسليم ومذهب الخلف التأويل ثم انهم اتفقوا سلفا وخلفا على ان جهلنا بتفصيل ذلك لا يقدح في اعتقادنا المراد منه مجملا قالوا والتفويض اسلم والتأويل الى الخطأ اقرب مع ما في التأويل من فوات كمال الايمان بآيات الصفات لان الله تعالى ما امرنا ان نؤمن الا بعين اللفظ الذي انزله لا بما اولناه بعقولنا فقد لا يكون ذلك التأويل الذي اولناه يرضاه الله تعالى مع ان من يريد تأويل آيات الصفات يحتاج الى علوم كثيرة قل ان تجتمع في شخص من اهل هذا الزمان وهي التبحر في معرفة لغة العرب من جميع القبائل والغوص في معرفة مجازاتهم واستعاراتهم ومعرفة أماكن التأويل وتمييزه عن الخطأ وغير ذلك من التبحر في علوم تفسير القرآن وشروح الاحاديث ومذاهب السلف والخلف في سائر الاحكام قال الشيخ كمال الدين ابن ابي شريف في حاشيته وانما شرطوا التنزيه حال التفويض لينبهوا على اتفاق السلف والخلف على التنزيه عن ظاهر اللفظ على حد ما تتعقله الناس لكون حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق فلا يجوز حمل صفات الحق تعالى على ما يتعقل من صفات الحق قال وقولهم وما صح في الكتاب والسنة من الصفات الى آخره فيه تنبيه على ان الصفات الواردة في الكتاب والسنة غير منحصرة في الصفات الثمانية المشهورة وقد ورد في الكتاب والسنة صفات سوى ذلك وفيه أيضا

ثلاث فوجدنا تلك الليلة أبواب السماء قد فتحت ونزلت الينا ملائكة لا تحصى وتلقونا بالترحيب والتسهيل الى أن دخلنا عمارا رأينا واطال في ذلك ثم قال فرحم أبينا آدم مقطوعه عند غالب الناس من أهل الله فكيف بالعامة في ذلك فالحمد لله الذي من على بصلة رحمي وصلتها من اجدادي سببي وكان ذلك من توفيق الهي فاني لم ار لاحد في ذلك قدما امشي على اثره فيها وما قال الله في غير موضع من القرآن يا بني آدم الا ليذكرنا بابينا لنصله ومع ذلك فلم يتنبه احد لهذه الآية وهذه الذكرى من الله شبيهة بقوله تعالى يا اخت هرون واين زمان هرون منها انتهى واطال في ذكر اسراء اجتمع ثلاثين ورقة وفي هذا القدر كفاية والله أعلم *وقال في الباب الثالث والسبعين وذكر فيه شرح أسئلة الحكيم الترمذي رضي الله عنه اعلم انه ما ثم دليل يرد طريق القوم ولا قادح يقدح فيها شرعا ولا عقلا وانما ردها من ردها بالجهل بها فان طريق القوم لا تنال بالنظر الفكري ولا بضرورات العقول وانما هي نور في القلب يحدث فيه بواسطة اتباع الكتاب والسنة فيدرك الامور يقينا لا ظنا وتخمينا *وقال ايما ذكر تعالى علما في ترجمه في حق الخضر وآتيناه من لدنا علما ليشمل الاربعة علوم التي خص بها اصحاب منازل القربة الذين

بيان للقاعدة الشاملة لحكم الجميع وهي اعتقاد ظاهر المعنى والتفويض في المشكل المعنى (وأما كلام الشيخ محيي الدين في ذلك) فكله مائل الى التسليم وعدم التأويل الان خفنا على انسان وقوعه في محظور اذا لم نؤول ذلك له فيتعين حينئذ التأويل كما فتح لنا الحق تعالى باب التأويل للضعفاء بقوله في حديث مسلم وغيره مرضت فلم تعدني فان العبد لما توقف في ذلك وقال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال له الحق تعالى اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده اما انك لو عدته لوجدتني عنده الى آخر النسق * وذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة بجواز التأويل للعاجز وقال في الباب الثامن والستين عقب الكلام على الاذان من الفتوحات يجب على كل عاقل ستر السر الالهي الذي اذا كشف أدى عنه من ليس بعالم ولا عاقل الى عدم احترام الجناب الالهي الاعز الاحمى فيجب التأويل لمثل هذا اه . وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول أسلم العقائد الايمان بما انزل الله على مراد الله اذ الحق تعالى ما كلفنا ان نعلم حقيقة نسبة الصفات اليه لعلمه بعجزنا عن ذلك فان حقيقته تعالى مباينة لجميع صفات خلقه وحقائقهم ذكره في الباب الخامس وأربعمائة * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول قطاع طريق السفر بالكفر في المدة ولات الشبه القادحة في الايمان وقطاع طريق السفر في المشروعات التأويل انتهى * وسمعته رحمه الله يقول أيضا ماثم في الكون كلام الا وهو يقبل التأويل قال تعالى ولنعلمه من تأويل الاحاديث ثم ان من التأويل ما يكون موافقا لمراد المتكلم ومنه ما يكون مخالفا لمراد المتكلم فعلم انه ماثم كلام الا وهو قابل للتعبير عنه ثم لا يلزمنا افهام كل من لا يفهم انتهى ويؤيد ذلك قول الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والثمانين وثلثمائة لا يخرج احد من أهل الفكر من التوقف في معنى آيات الصفات ما دام في قيد العقل فاذا خلع الله تعالى عليه من علمه اعلمه تعالى من طريق الالهام بمراده من تلك الآية أو الحديث قال ثم ان من رحمة الله تعالى انه غفر للمؤولين من اهل ذلك اللسان اذا اخطؤا في تأويلهم فيما يلفظ به رسولهم من تشريع الله أو تشريع رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن الله انتهى وقال الشيخ في لواقح الانوار اعلم ان الغلط ما دخل على الفلاسفة الا من تأويلهم وذلك انهم اخذوا العلم من شريعة ادريس عليه الصلاة والسلام فأولوا ما بلغهم من كلامه لما رفع فاختلفوا كما اختلفنا نحن في كلام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فأحل هذا العالم ما حرم العالم الآخر قال الشيخ وما علمت الخطأ الا من ادريس عليه الصلاة والسلام حين اجتمعت به في واقعة من الوقائع فأخذت علمه عنه على وجه الحق انتهى وقال أيضا في باب الاسرار اياك والتأويل فانك لا تظفر بطائر ومتعلق الايمان انما هو بما انزل الله من الالفاظ لا بما أوله عقلك آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى آخره وقال في الباب السادس والسبعين ومائتين في قوله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم المراد باقامة التوراة عدم تأويلها فمن أول كلام الله فقد اضجعه بعد ما كان قائما ومن نزهه عن التأويل والعمل فيه بفكره فقد اقامه فان الفكر غير معصوم من الغلط انتهى . وقال في الباب الخامس عشر وثلثمائة اعلم ان من الادب عدم تأويل آيات الصفات ووجوب الايمان بها مع عدم التكييف كما جاءت فانا لا ندري اذا اولناها على ذلك التأويل مراد الله بما قاله فنعتمد عليه ام ليس هو بمراد له فيرده علينا فلهذا التزمنا التسليم في كل ما لم يكن عندنا فيه علم من الله تعالى فاذا قيل لنا كيف يعجب ربنا وكيف يفرح مثلا قلنا انا مؤمنون بما جاء من عند الله على مراد الله واننا مؤمنون بما جاء من عند رسول الله على مراد رسول الله ونكل علم الكيف في ذلك كله الى الله والى رسوله قال وقد تكون الرسل أيضا بالنسبة الى ما يأتيهم من الله تعالى من ذلك الامر مثلنا فيرد عليهم هذه الاخبارات من الله تعالى

الخضر واسمهم وهي علم الكتابة الالهية وعلم الجمع والتفرقة وعلم النور والعلم اللدني . قال ومنزل أهل القربة مقام بين الصديقية ونبوة التشريع فافهم بموقال ولا القول الاين ما انكسرت غلظة فرعون ولا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا عليه كل ذلك الاجتماع قال تعالى فقولا له قولا لينا وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فتأمل واعتبر * وقال اجتمعت بعيسى عليه السلام في وقائع كثيرة وتبت على يديه ودعالي بالثبات على الدين في الحياة الدنيا وفي الآخرة ودعاني بالحبيب وأمرني بالزهد والتجريد (قلت) وهو أمر غريب ولكن الشيخ له أغرب من هذا وهو أحد الطريق عن الملائكة المسمين باسماء الحروف أوائل السور كما سيأتي ونقل ابن سيد الناس في سيرته في قصة اسلام سلمان الفارسي ما يشهد للشيخ في نزول عيسى الى الارض بعد رفعه وقبل اليوم الموعود وقال اذا جاز نزوله بعد رفعه مرة فلا بدع ان ينزل مرارا والله أعلم * وقال المراتب التي تعطي السعادة للانسان أربعة وهي الايمان والولاية والنبوة والرسالة ولاهل كل مرتبة ذوق يخصهم لكن قد يكون النبي ذوق في مرتبة الايمان والولاية فان كان رسولا زاد عليهم بذوق مقام الرسالة لانه رسول

فيسلمون علمها الى الله تعالى كما سلمناه ولا تعرف تأويله هذا لا يبعد وقد تعرف تأويله بتأويل الله تعالى بأي وجه كان هذا ايضا لا يبعد قال وهذه كانت طريقة السلف جعلنا الله تعالى لهم خلفا آمين انتهى على ان الشيخ رحمه الله تعالى قد حوج على عقيدة من يقول نؤمن بهذا اللفظ من غير ان نعقل له معنى في الباب الخامس واربعمائة فقال من آمن بلفظ من غير ان يعقل له معنى وقال نجعل نفوسنا في الايمان به حكم من لم يسمع به ونبقى على ما اعطانا دليل العقل من احالة مفهوم هذا الظاهر من هذا القول فهؤلاء متحكمون على الشارع بحسن عبارة في جعلهم نفوسهم حكم من لم يسمع الخطاب قال ومن هؤلاء طائفة تقول ايضا نؤمن بهذا اللفظ على علم الله فيه وعلم رسوله فلسان حال هؤلاء يقول ان الله تعالى قد خاطبنا بما لا نفهم فجعلوا ذلك كالعبث والله تعالى يقول وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وقد جاء بهذا فقد ابان صلى الله عليه وسلم لما كلمه الله تعالى (قال) واخبث الخائضين في الصفات بغير علم من طعن في الرسل وجعلهم في ذلك تحت حكم الخيال والاوهام (ويليهم) من قال ان الرسل اعلم الناس بالله لكنهم تنزلوا في الخطاب على قدر افهام الناس لا على ما هو الامر عليه في نفسه فانه محال فلسان حال هؤلاء كالمكذب للرسل فيما نسبوه الى ربهم بحسن عبارة كما يقوله الانسان اذا اراد ان يتأدب مع شخص يحدث بحديث لا يعتقد السامع صدقه فلا يقول له كذبت وانما يقول له يصدق سيدي فيما قال ولكن ليس الامر كما ذكرتم وانما صورة الامر كذا وكذا فهو يكذبه ويجهله بحسن عبارة (ويليهم) في ذلك من قال لا نقول بالتنزل في العبارة الى افهام الناس وانما المراد بهذا اللفظ كذا وكذا دون ما يفهمه العامة قال وهذا امر موجود في اللسان الذي جاء به الرسول وهذا اشبه حالا ممن تقدم الا انهم متحكمون في ذلك على الله تعالى بما لم يحكم به على نفسه انتهى ما ذكره في الباب الخامس واربعمائة * وقال في الباب السابع والسبعين ومائة عليك يا اخي بالتسليم لكل ما جاءك من آيات الصفات واخبارها فانا اكثر المؤولين هالكون واخف الطرائق حالا من قال لا نشك في صدق رسولنا ولكنه اتانا في نعت الله الذي ارسله الينا بامور ان وقفنا عند ظاهرها وحملناها على ربنا كما نحملها على نفوسنا ادى ذلك الى حدوثه وزال كونه الها علينا وقد ثبت كونه تعالى الها عندنا فننظر هل لذلك مصرف في اللسان فان الرسول انما ارسل بلسان قومه وما تواطؤا عليه فنظروا فاداهم ذلك الى تنزيه الحق تعالى عما وصف به نفسه فاذا قيل لهم ما دعاكم الى ذلك قالوا دعانا الى ذلك امران الاول القدح في الادلة فانا بالادلة اثبتنا صدق دعواه فلا نقول ما يقدح في الادلة العقلية فان في ذلك قدحا في الادلة على صدقه (الامر الثاني) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا ان الله الذي ارسله ليس كمثله شيء فوافق ذلك الادلة العقلية فتقوى صدقه عندنا بمثل هذا فان قبلنا مثل ما قاله في الله على ظاهره ضللنا عن طريق الحق فلذلك اخذنا في التأويل اثباتا للطرفين انتهى وهو كلام نفيس * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة اعلم ان الخير كله في الايمان بما انزل الله والشر كله في التأويل فمن اول فقد جرح ايمانه وان وافق العلم وما كان ينبغي له ذلك وفي الحديث كذبني عبدي ولم يكن ينبغي له ذلك فلا بد ان يسأل كل مؤول عما اوله يوم القيامة ويقول له كيف اضيف الى نفسي شيئا فتنزهني عنه وترجح عقلك على ايمانك وترجح نظرك على علم ربك فاحذر يا اخي ان تنزه ربك عن امر اضافه الى نفسه على السنة رسله كان ما كان ولا تنزهه بعقلك مجردا جملة واحدة فقد نصحتك فان الادلة العقلية كثيرة التنافر للادلة الشرعية في الالهيات واطال في ذلك بذكر نفائس سابقة ولاحقة فراجعه ترى العجب وقد رميت بك على الطريق والله تعالى اعلم * وقال في الباب الرابع وماقتين اعلم ان من يقول بالتنزل للعقول في اخبار الصفات محجوب عن معرفة الحقائق فان العبودية لو زاحمت الربوبية لبطلت الحقائق فان العبد ما تجلى الا بما هو له ولا

نبي وولي مؤمن وقد لا يكون له ذوق

ثم ان العلم من شرائط الولاية لا من شرائط الايمان لان الايمان مستنده الخبر الذي بلغه عن الصادق فاذا لم يكن هناك خبر كايام الفترات ووحد الله تعالى منهم احد فهو سعيد مع كونه لا يسمى مؤمنا فالمؤمن لا يكون الا موحدا واما الموحد بنور قذفه الله في قلبه فقد لا يكون مؤمنا فتأمله وحرره * وقال انما سميت العبارة عبارة لانك تجوز منها الى المعنى المقصود منها وانما سمي الوحي وحيا لسرعته فان الوحي عين الفهم عين الافهام عين المفهوم منه كما ذوقه اهل الالهام من الاولياء * وقال ليس فوق الانسان الكامل مرتبة لا مرتبة الملك في المخلوقات وكون الملائكة تلمذت له حين علمهم الاسماء لا يدل على انه خير من الملك وانما يدل على انه اكمل نشأة من الملك لا غير (قلت) هذا كان مذهب الشيخ اولا ثم رجع عنه كما نبه عليه في الباب الثامن والتسعين ومائة والباب الثالث والثمانين وثلثمائة من الفتوحات * وقال الخلاف في غير محمد صلى الله عليه وسلم اما هو فهو افضل الخلق على الاطلاق فراجعه وقد عرف بعضهم الوحي بانه ما تقع به الاشارة القائمة مقام العبارة في غير عبارة * وقال من خاض في ذلك قال الخضر لموسى عليهما السلام ما لم تحط به خبرا والخبر الذوقي * وقال الشيخ

ظهر الحق الا بما هو له لا من صفات التنزيه ولا من صفات التشبيه كل ذلك له تعالى ولو لم يكن الامر كذلك لكان ما وصف تعالى به نفسه كذبا وتعالى الله عن ذلك بل هو تعالى ما وصف به نفسه من العزة والكبرياء والجبروت والعظمة ونفى المماثلة وهو ايضا كما وصف نفسه من النسيان والمكر والخدع والكيد وغير ذلك فالكل صفة كمال فى حقه تعالى فهو موصوف بها كما يليق بجلاله تعالى فما قال بالتنزل الا من لا معرفة له بالحقائق قال وكذلك كنا لولا أن من الله تعالى علينا بالبيان فتعين علينا ان نبين للخلق ما بينه الحق تعالى لنا ولا يحل لنا كتمه الا لعذر شرعى انتهى * وقال فى الباب الثامن والخمسين من الفتوحات اعلم ان من اعجب الامور عندنا كون الانسان يقلد فكره ونظره وهما محدثان مثله وقوة من القوى التى جعلها الحق تعالى خديمة للعقل وهو يعلم مع ذلك كونهم لا تتعدى مرتبتها فى العجز عن ان يكون لها حكم قوة اخرى كالقوة الحافظة والمصورة والمخيلة ثم انه مع معرفته بهذا القصور كله يقلد قواه العاجزة فى معرفة ربه ولا يقلد ربه فيما اخبر به عن نفسه فى كتابه وسنة نبيه فهذا من اعجب ما مر آفى العالم من الغلط وكل صاحب فكر او تأويل فهو تحت هذا الغلط بلا شك فانظر يا اخى ما افقر العقل وما اعجزه حيث لا يعرف شيأ مما ذكرناه الا بواسطة القوى المذكورة وفيها من العلل والقصور ما فيها ثم انه اذا حصل شيأ من هذه الامور بهذه الطرق يتوقف فى قبول ما اخبر الله به عن نفسه ويقول ان الفكر يرده فيقلد فكره ويزكيه ويجرح شرع ربه واطال فى ذلك ثم قال وبالجملة فليس عند العقل شئ من حيث نفسه واذا كان كذلك فقبوله ما صح عن ربه واخبر به عن نفسه اولى من قبوله من فكره بعد ان علم ان فكره مقلد لخياله وخياله مقلد لحواسه انتهى * وقال فى الباب الثالث من الفتوحات اعلم ان جميع ما وصف الحق تعالى به نفسه من خلق واحياء واماتة ومنع واعطاء ومكر واستهزاء وكيد وفرح وتعجب وغضب ورضا وضحك وتبشبش وقدم ويد ويدين وايد وعين واعين وغير ذلك كله نعت صحيح لربنا فانا ما وصفناه به من عند أنفسنا وانما هو تعالى هو الذى وصف بذلك نفسه على ألسنة رسله قبل وجودنا وهو تعالى الصادق وهم الصادقون بالادلة العقلية ولكن ذلك على حد ما يعلمه سبحانه وتعالى وعلى حد ما تقبله ذاته وما يليق بجلاله لا يجوز لنا رد شئ من ذلك ولا تكييفه ولا نقول بنسبته الى الله الا على غير الوجه الذى ينسب به الينا ونعوذ بالله ان نضيف ذلك الى الله على حد علمنا نحن به فانا جاهلون بذاته فى هذه الدار وفى الآخرة لا ندرى كيف الحال وكل من رد شيأ مما أثبته الحق تعالى لنفسه على ألسنة رسله فقد كفر بما جاء من عند الله وكل من آمن ببعض وكفر ببعض فهو كذلك ومن آمن بذلك ولكن نسبه له تعالى فى نسبته ذلك اليه مثل نسبته الينا او توهم ذلك أو خطر على باله او تصوره او جعل ذلك كنا فقد جهل وما كفر قال وهذا هو العقد الصحيح انتهى * وقال فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم ان جميع المشاهدين للحق تعالى لا يخرجون عن هاتين النسبتين وهما نسبة التنزيه لله تعالى ونسبة التنزل للخيال بضرب من التشبيه فأما نسبة التنزيه فهى تجليته تعالى فى نحو ليس كمثله شئ واما نسبة التنزل للخيال فهى تجليته فى قوله تعالى وهو السميع البصير وفى نحو قوله فى الحديث اعبد الله كأنك تراه وقوله فأينما تولوا فثم وجه الله وان الله فى قبلة احدكم وفى وثم ظرف ووجه الله ذاته وحقيقته قال وجميع الاحاديث والآيات الواردة بالالفاظ التى تنطلق على المخلوقات باستصحاب معانيها اياها ولولا استصحاب معانيها اياها المفهومة من الاصطلاح ما وقعت الفائدة بذلك عند المخاطب بها ما يخالف ذلك اللسان الذى نزل به هذا التعريف الالهى قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم يعنى يبين لهم ما عندهم ما هو الامر عليه ولم يشرح لنا الرسول المبعوث بهذه الالفاظ هذه الالفاظ بشرح يخالف ما وقع عليه الاصطلاح فنسب تلك المعانى

فى الدنيا فيما يكرهه الحق تعالى نخيض به يوم القيامة فيما يكرهه جزاء وفاقا * وقال قد جاءوا كثير الشريعة على فهم العامة فى صفات التنزيه ولم يجئ على فهم الخاصة الا بعض تلويحات نحو قوله تعالى ليس كمثله شئ وسبحان ربك رب العزة عما يصفون * وقال ذهب بعضهم الى انه يجوز لنا ان نسأل لانفسنا مقام الوسيلة التى رجا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون له قال لانه صلى الله عليه وسلم لم يعين حصولها لنفسه ولا حجرها على واحد بعينه وانما نحن مؤثرون له بها فلا نسألها الا له صلى الله عليه وسلم لانه طلب منا ان نسأل الله له الوسيلة انتهى (قلت) هذا كلام فيه ما فيه والذى نعتقده انه لا يجوز لاحد من الامة سؤال الوسيلة لنفسه ابدا لانعقاد الاجماع على انها لا تكون الا له صلى الله عليه وسلم والله اعلم (وقال) اذا اغلق باب التوبة حبس على المؤمن ايمانه بغلق الباب عليه فلا يرتد مؤمن بعد ذلك ابدا لانه ليس للايمان باب يخرج منه كما لا يدخل بعد غلقه ايمان على كافر فعلم ان غلق باب التوبة رحمة بالمؤمن ووبال على الكافر وانما كان هذا الباب بالمغرب دون المشرق لان المغرب محل الاسرار والكتم * وقال الشطح عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى عريضة وهى نادرة [illegible] الشرع بعه لكن من شرط اهل الله اذا ذكروا

بسط ذلك في الباب الخامس والتسعين ومائة * وقال في الباب الرابع والسبعين

المفهومة من تلك الالفاظ الى الحق جل وعلا كما نسبها الى نفسه ولا نتحكم في شرحها بمعان لا يفهمها اهل ذلك اللسان الذين نزلت هذه الالفاظ بلغتهم فنكون من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ومن الذين يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون بمخالفتهم فيجب علينا ان نقر بالجهل بمعرفة كيفية النسبة قال وهذا هو اعتقاد السلف قاطبة لا نعلم انهم خالفوا واطال في ذلك ثم قال وقد ورد في القرآن قوله تعالى في آدم لما خلقت بيدي ومعلوم انه لا يسوغ هنا حمل اليدين على القدرة لوجود التثنية ولا على ان تكون الواحدة يد النعمة والاخرى يد القدرة لان ذلك سائغ في كل موجود والآية انما جاءت تشريفا لآدم على ابليس ولا شرف لآدم بهذا التأويل فلا بد ان يكون لليدي معنى خلاف ماذكرناه مما يعطى التشريف ولا نعلم ان اليدين الا هاتين النسبتين اللتين هما نسبة التنزيه ونسبة التنزل للخيال كما في قوله في الحديث فلما خلق الله تعالى الكرسي تدلت اليه القدمان ولا يعلم القدمان الا الامر والنهي اللذين هما مظهر اهل الجنة والنار فافهم فلهاتين النسبتين اللتين ذكرناهما خرج بنو آدم لما توجهت عليهم هاتان النسبتان على ثلاثة اقسام كامل وهو الجامع بين النسبتين وواقف مع دليل فكره او نظره خاصة ومشبه بما اعطاه اللفظ الوارد ولا رابع لها وهؤلاء من المؤمنين فمن قال بالتنزيه فقط ورد التنزل للعقول فقد انحرف عن طريق الكمال وكذلك من قال بالتشبيه وحده دون التنزيه فنسأل الله ان يحفظنا من انحراف المتكلمين ومن انحراف المجسمين آمين انتهى * وقال في الباب السابع والسبعين وثلثمائة اعلم انه يجب الايمان بآيات الصفات واخبارها على كل مكلف قال وقد اخبر الله تعالى عن نفسه على ألسنة رسله ان له يدا ويدين واصبعا واصبعين واصابع وعينا وعينين واعينا ومعية وضحكا وفرحا وتعجبا واتيانا ومجيئا واستواء على العرش ونزولا منه الى الكرسي والى سماء الدنيا واخبر ان له بصرا وعلما وكلاما وصوتا وامثال ذلك من نحو الهرولة والحد والمقدار والرضا والغضب والفراغ والقدم قال وهذا كله معقول المعنى مجهول النسبة الى الله تعالى يجب الايمان به لانه حكم حكم به الحق على نفسه فهو اولى مما حكم به مخلوق وهو العقل وما جنح صاحب العقل الى التأويل الا لينصر جانب العقل والفكر على جانب الايمان فانه ما اول حتى توقف عقله في القبول فكانه في حال تصديقه لله غير مصدق له انتهى * وقال الشيخ في كتابه لواقح الانوار اعلم انه ليس عند اهل الكشف في كلام العرب مجاز اصلا انما هو حقيقة وذلك انهم وضعوا الفاظهم حقيقة لما وضعوها له فوضعوا يد القدرة للقدرة ويد الجارحة للجارحة ويد المعروف للمعروف وهكذا ومن ادعى انهم تجوزوا في ذلك فعليه الدليل ولا سبيل له اليه ولما قالوا فلان اسد وضعوا هذا حقيقة في لسانهم ان كل شجاع يسمى اسدا فوضعوا هذا الاطلاق حقيقة لا مجازا ومن هنا يعلم العاقل ان كل ما جاء في الكتاب والسنة من ذكر اليد والعين والجنب ونحو ذلك لا يقضي بالتشبيه في شئ اذ التشبيه انما يكون بلفظ المثل او كاف الصفة وما عدا هذين الامرين انما هو الفاظ اشتراك فنسبها حينئذ متى جاءت الى كل ذات بما تعطيه حقيقة تلك الذات انتهى * وقال في الباب الثاني من الفتوحات اعلم ان كل ما جاء في الكتاب والسنة مما يوهم ظاهره التشبيه ليس هو على بابه وانما ذلك تنزل لعقول العرب الذين جاء القرآن على لغتهم وذلك مثل قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فان ملوك العرب كان عندها المكرم المقرب يجلس منهم على هذا الحد فعلمت بذلك قرب محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل ولا تبالي بما فهمت من ذلك سوى القرب * وقال في الباب الثالث منها ايضا اعلم انه ما ضل من ضل من المشبهة الا بالتأويل على حسب ما يسبق الى الافهام من غير نظر فيما يجب لله عز وجل من التنزيه فقادهم ذلك الى الجهل الصريح ولو انهم طلبوا السلامة وتركوا الآيات

والاخبار

تذكروا فاستغفروا منها وسياتي العارف من سلك في توبته مسلك أبيه آدم في الندم والاعتراف وأما العزم على انه لا يعود فليس ذلك في يده حقيقة انما هو اظهار أدب أي لو كان الامر في يدي ما عصيتك قط جزما فافهم ذلك وحرره (وقال) في الباب السابع والسبعين ينبغي لمن سمع شخصا يقول الحمد لله رب العالمين أن يصغي لها كما يصغي لتلاوة القرآن فانها قرآن فالادب حمل قائلها على انه قصد بها التلاوة لا الذكر حتى يثاب السامع لها ثواب من سمع القرآن ولا بد * قال وهذا شهد غريب قل ان ترى له ذائقا وهو قريب سهل لا كلفة فيه وهو من باب حسن الظن بالناس * وقال في الباب الموفي تسعين انما كان البياض أحب الى الله تعالى وأمرنا بلبسه يوم الجمعة لان الملونات كلها تستحيل اليه ولا يستحيل هو اليها قال واعلم ان البياض على نوعين أحدهما ما يكون لونا في ظاهر العين فقط كسواد الجبال البيض على البعد فاذا جئتها رأيتها بيضاء وقد كنت تحكم عليها بالسواد غلطا قال وبهذه المثابة ايضا زرقة السماء انما هو في نظر العين وان كانت في نفسها على لون يخالف لون الزرقة * وقال فيه انما اختار الحق تعالى من الشهور رمضان

والاخبار على ماجاءت من غير عدول منهم فيها الى شيء البتة ووكلوا علم ذلك الى الله ورسوله لانهم فهموا وكان يكفيهم ليس كمثله شيء فمتى جاءهم حديث ظاهر التشبيه قالوا ان الله تعالى قد نفى عن نفسه التشبيه بليس كمثله شيء فما بقي الا ان لذلك الخبر وجها من وجوه التنزيه وجيء بذلك لفهم العربي الذي نزل القرآن بلسانه على انك لا تجد قط لفظة في كتاب ولا سنة تكون نصا في التشبيه أبدا وانما تجدها عند العرب تحتمل وجوها منها ما يؤدي ظاهره الى توهم التشبيه ومنها ما يؤدي الى التنزيه فحمل المتأول ذلك اللفظ على الوجه الذي يؤدي الى التشبيه ثم انه يأخذ بعد ذلك في تأويله جود على ذلك اللفظ اذ لم يوفه حقه بما يعطيه وضعه في اللسان مع ما في ذلك ايضا من التعدي على صفات الله تعالى حيث حمل عليه ما لا يليق بجلاله قال ونحن نورد لك بعض أحاديث وردت يعطي ظاهرها التشبيه وليست بنص فيه لتقيس عليها ما لم أذكره لك * فمن ذلك حديث قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن نظر العقل بما يقتضيه الوضع من الحقيقة والمجاز فوجد الاصبع لفظا مشتركا يطلق على الجارحة وعلى النعمة تقول العرب ما احسن اصبع فلان على ماله فاذا كان الاصبع يطلق على الجارحة وعلى النعمة والاثر الحسن فبأي وجه يحمل الاصبع على الجارحة كأنه نص في ذلك ويترك وجه التنزيه فاما ان العبد يؤول ذلك على ما يليق بالتنزيه واما ان يسكت ويكل علم ذلك الى الله والى من عرفه الحق ذلك من نبي او ولي ملهم لكن بشرط نفي الجارحة ولا بد اللهم الا ان يقوم لنا بدعي فلا يحل لنا السكوت بل يجب علينا ان نبين ما يحتمله ذلك اللفظ من التنزيه حتى ندحض حجته كما يقع لنامع القائلين بالتجسيم فعلم ان معنى الحديث على مذهب اهل الحق من هذا التقرير قلب المؤمن بين نعمتين من نعم الرحمن وهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد والله اعلم * ومن ذلك القبضة واليمين في قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه نظر العقل بما يقتضيه الوضع فعرف من وضع اللسان العربي ان معنى الآية ان الوجود كله في قبضته يعني تحت تصريفه كما يقال فلان في قبضة يدي يريد انه تحت حكمي وليس في يد جارحته منه شيء البتة وانما امره وحكمه ماض فيه لا غير مثل حكمه على ما ملكته يده حسا وقبضت عليه فلما استحالت الجارحة على الله تعالى عدل العقل الى روح القبضة ومعناها وفائدتها وهو ان عالم الدنيا والآخرة في قبضة تصريف الحق تعالى واما قوله بيمينه فانما ذكرها لان اليمين محل التصريف المطلق القوي اذ اليسار لا تقوى في العادة قوة اليمين فكنى باليمين عن التمكن من الطي فهو اشارة الى تمكن القدرة من الفعل فوصل المعنى الى أفهام العرب بالفاظ يعرفونها وتسارع قلوبهم الى التلقي لها بالقبول والله اعلم * ومن ذلك التعجب والضحك والفرح والغضب نظر العقل فرأى التعجب لا يقع الا من موجود ورد على المتعجب لم يكن له به علم قبل ذلك وهنالك يصح له التعجب منه وكذلك القول في الضحك والفرح ومعلوم ان ذلك محال على الله لانه هو الخالق لذلك الامر الذي أخبر انه يتعجب منه او يضحك لاجله او يفرح له فرجع المعنى الى ان مثل ذلك انما هو تنزل للعقول ليظهر لاصحابها اشرف صاحب تلك الصفة التي وقع التعجب منها كما في حديث يعجب ربنا من شاب ليس له صبوة أي لا يقع في الزنا مثلا مع ثوران شهوته قال ويصح حمل الفرح والرضا والضحك على القبول لذلك الامر فان حمل ذلك في جانب الحق كما هو في حق الخلق محال وأما الغضب فهو كناية عن وقوع ذلك العبد الذي غضب الحق عليه في النهي وذلك ليعرف العبد ان الانتقام يعقب الغضب اذ هو اثره فيخاف العبد ويستغفر ربه ويتوب من ذلك الامر الذي وقع فيه وقال بعضهم المراد بالغضب الالهي هو اقامة الحدود والتعزيرات على العباد في هذه الدار ولا يصح حمله على ما يتبادر الى الاذهان فان ذلك محال على الحق فانه خالق لافعال عباده فكيف يقع منهم فعل

المشاركته لاسم الله فقد ورد ان رمضان من أسماء الله تعالى فتعين له حرمة ما هي لسائر شهور السنة قال وانما جعله الشارع من الشهور القمرية لتتم بركته جميع شهور السنة فيحصل لكل يوم من أيام السنة حظ منه فان أفضل الشهور عندنا رمضان ثم شهر ربيع الاول ثم رجب ثم شعبان ثم ذو الحجة ثم شوال ثم القعدة ثم المحرم والى هنا انتهى علمي في فضيلة الشهور القمرية وأما بقية الشهور وهي صفر وربيع الآخر والجمادىان فهي متساوية في الفضل فيما يغلب على ظني فاني ما تحققت فيها تفاضلا فلم يمكن لي ان أقول ما ليس لي به علم * وقال في الباب الثاني والتسعين ينبغي لكل مؤمن ان يتورع ان لم يكن ورعا قال ومما يقع فيه غالب المتورعين ان احدهم اذا رأى شخصا على مخالفة شرع في افعاله أو أقواله أو عقائده ثم فارقه لحظة واحدة لا يجوز له الحكم عليه بما وقع منه قبل تلك اللحظة ومتى ظن بذلك الشخص انه باق على مخالفته خرج عن مقام الورع وصار من أهل الوقوع في الشبهات قال وقليل من يكون على هذا القدم * وقال في الباب الثامن والتسعين من شرط الولي الكامل أن لا ينام له قلب بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لان الكامل مطالب بحفظ ذاته الباطنة عن الغفلة كما يحفظ باطنة ذاته الظاهرة (قلت) ذكر

على غير مراده حتى يغضب عليهم واما الغضب الاخروى فيكون على اهل النار خاصة اما الغضب على غيرهم فينقضي بيوم القيامة ويدخل الله تعالى جميع الموحدين الجنة فافهم * ومن ذلك النسيان ومعلوم انه لا يجوز حمل ذلك في حق الحق تعالى على حكم حمله في حق الخلق فان ذلك محال لكن لما كان عذاب الكفار لا ينقضي كانوا كالمنسيين عند الملك لكون رحمته لا تنالهم ويقرب من ذلك معنى المكر والاستهزاء والسخرية الوارد في جهة الحق المراد به اثره وانه يعاملهم معاملة الماكر والمستهزئ والساخر والله اعلم (ومن ذلك) لفظ النفس بفتح الفاء في نحو حديث انى اجد نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن ومعلوم ان الحق تعالى منزه عن النفس الذى هو الهواء الخارج من الجسم المتنفس وقال بعضهم المراد بالنفس التنفيس فان الله تعالى نفس عنه صلى الله عليه وسلم بالانصار حين اتوه من قبل اليمن وازال كربه بهم قال ويدل عليه اضافة النفس للاسم الرحمن دون غيره من الاسماء التى لا تعطى الرحمة انتهى

(خاتمة) سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول من اعتقد بقلبه ان حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق لم يتوقف قط فى اضافة صفة اضافها الحق تعالى الى نفسه فكان ينسب الاستواء مثلا الى الله كما يليق بجلاله من غير تكييف ولا تشبيه اذ التشبيه لا يصح فى جانب الحق تعالى ابدا وقد قال الشيخ محيي الدين فى الباب الثالث والسبعين ومائتين من الفتوحات اعلم انه لا يصح لك تنزيه الحق تعالى عن شئ الا بعد شهودك بعقلك ان ذلك الشئ نقص وان ذلك يلحق الحق تعالى ولو لم تشهد ذلك ما نزهته عنه والا فكيف تنزهه عن امر ليس هو مشهود لك عقلا فاذن التنزيه وجد فى الشرع سماعا ولم يوجد فى العقل فان غاية تنزيه العقل للحق تعالى عن الاستواء ان يقول المراد بهذا الاستواء هو كالاستواء السلطانى على المكان الاحاطى الاعظم او على الملك فما خرج هذا عن التشبيه فان غايته انه انتقل من التشبيه بمحدث ما الى التشبيه بمحدث آخر فوقه فى المرتبة فما بلغ العقل فى التنزيه مبلغ الشرع فيه من نحو قوله ليس كمثله شئ الا تراهم استشهدوا فى التنزيه العقلى للاستواء بقولهم

* قد استوى بشر على العراق * واين استواء بشر على العراق الذى هو عبد من استواء الخالق جل وعلا على ان الشيخ قال فى مكان آخر من حمل الاستواء على الاستيلاء كما يستولى الملك على ملكه فاى شئ انكره على من قال بالاستقرار الذى هو من صفات الاجسام وكلا الامرين حادث بل لو جاز اطلاق احد الامرين لكان اطلاق الاستقرار اولى لكون العرش جاء فى الحديث بمعنى السرير نحو قوله صلى الله عليه وسلم ان الكرسى فى جوف العرش كحلقة ملقاة فى ارض فلاة انتهى *(تتمة)* نختم بها الخاتمة * قال الشيخ محيي الدين فى الباب الثالث والستين وثلثمائة من الفتوحات اعلم ان من عدم الانصاف ايمان الناس بما جاء من آيات الصفات واخبارها على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام وعدم ايمانهم بها اذا اتى بها احد من كمل العارفين الوارثين للرسل فان البحر واحد فكما وجب الايمان بما جاءت به الرسل من ذلك كذلك يجب الايمان بما جاء به الاولياء المحفوظون وكما سلمنا ما جاء به الاصل كذلك نسلم لما جاء به الفرع بجامع الموافقة للشريعة ويا ليت الناس اذ لم يؤمنوا بما جاء به الاولياء يجعلونهم كاهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم انتهى فتأمل فى هذا المبحث وتعقله فانك لا تجد ما فيه فى كتاب والله يتولى هداك

(المبحث التاسع عشر فى الكلام على الكرسى واللوح والقلم الاعلى)

اعلم يا اخى ان الحق تعالى كما جعل العرش محل الاستواء كما يليق بجلاله كذلك جعل الكرسى محل بروز الاوامر والنواهى المعبر عنهما فى حديث الكرسى بتدلى القدمين من العرش اليه اذ العرش محل

الشيخ فى الباب الحادى والتسعين انه يجب على الورع ان يجتنبه فى خياله كما يجتنبه فى الظاهر لان الخيال تابع للحس * قال ولهذا كان المريد اذا وقع له احتلام فللشيخ معاقبته على ذلك لان الاحتلام برؤيا فى النوم او فى التصور وفى اليقظة لا يكون الا من بقية شهوة فى خياله فاذا احتلم صاحب كمال فانما ذلك لضعف اعضائه الباطنة لمرض طرأ فى مزاجه لا عن احتلام لا فى حلال ولا فى حرام انتهى فتأمله والله اعلم * وقال فى الباب الثامن ومائة فتنة العبد باتساع الدنيا عليه وانقياد الوجود له اعظم من فتنة الضيق وعصيان الخلق له * قال الشهوة آلة للنفس تعلو بعلو المشتهى وتسفل باستفاله وحقيقة الشهوة ارادة الالتذاذ بما يطلب ان يلتذ به * قال والذى اقول به ان صحبة المريدين للاحداث حرام عليهم لاستيلاء الشهوة الحيوانية عليهم بسبب ضعف العقل الذى جعله الله مقابلا لها بخلاف الكمل من الرجال الذين ارتقوا عن عالم طبيعتهم فان الكامل اذا رأى الامرد املس لا نبات بعارضيه تذكر مقام تجريده وانه حديث عهد بربه كالمطر بخلاف الكبير غير الامرد فان الامرد كما راعى ذلك المطر من حيث قربه من التكوين هذا مشهد الكمل * قال ويجب على كل مؤمن ومدع لطريق

احدية

أحـدية الـكلمة العلية المشـتملة على الرحمة كما أشار الى ذلك تخصيص الاسـتواء بالاسم الرحمن واما الـكرسي فقـد انقسمت الـكلمة فيـه الى امرين ليخلق تعالى من كل شئ زوجين فظهرت الشـفعية فى الـكرسي بالفـعل وكانت فى العرش بالقوة فان قدمي الامر والنهي لما تدلتا الى الـكرسي انقسمت فيه الـكلمة الرحمانية هؤلاء الجنة ولا ابالي وهؤلاء النار ولا أبالي فاستقرت كل قدم فى مكان غيره كان القدم الآخر وهو منتهى استقرارهما فسمي أحدهما جنة والآخر جهنم وليس بعدهما مكان ينتقل اليه اهـل القدمين كما ذكر الشيخ محيي الدين فى الباب الثامن والتسـعين ومائة وماذكرناه من ان المراد بالقـدمين اللتين تدلتا الى الـكرسي هما الامر والنهي هو الصحيح خـلاف ما توهمه المجسمة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ذكره الشيخ فى الباب الرابع والسبعين وثلثمائة وعبر عن القـدمين فى الباب الثالث عشر بانهمـا الخير والشر وكلاهـما صحيح لان الخـير والشر الامر والنهي فاعلم ذلك فانه نفيس لا تجد تأويله فى كـتاب (فان قيل) فـما محل استقرار أعمال بنى آدم اذا صـعدت بها الملائكة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والخمسـين من الفتوحات انه ينتهي صـعودها الى سـدرة المنتهى فان كل شئ يرجـع نهايته الى ما منه بدا (فان قيل) ان الـكرسي هو موضع القدمين اللذين هـما الامر والنهي فلا يتأخر عن الـكرسي محـل (فالجواب) ان ذلك خاص بعالم الخلق والامر وأما التـكاليف فان اصله انما هو منقسم من السـدرة فقطع أربع مراتب قبل السدرة والسـدرة هي المرتبة الخامسـة وايضاح ذلك ان التـكليف ينزل من قلم الى لوح الى عرش الى كرسي الى سـدرة ومعلوم ان احكام التـكاليف خمسـة لا سادس لها واجب ومنـدوب وحرام ومكروه ومباح فظهر الواجب من القلم والمنـدوب من اللوح والمحظور من العرش والمكروه من الـكرسي والمباح من السـدرة اذ المباح هو حظ النفس فلذلك كان منتهى نفوس عالم السـعادة الى السـدرة والى أصولها وهي الزقوم ينتهي نفوس عالم الشـقاء فاذا صعدت الاعمال التى نشأت من هـذه الاحكام الخمسـة المذكورة كان غايتها الى الموضـع الذى منه ظهرت انتهى (فان قيـل) فـما صورة صـعود الاعمـال مع انها أعراض (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والتسعين وثلثمائة انها تطوره الملائكة على شاكلة فاعلها ثم تصعد فتخرج من الهيكل الى محالها على مركبها الذى هو روح الحضور فيم انيضع قدمه منتهى بصره حتى يصل العمل الى محـل انتهائه الذى هو محل بروزه الاول (فان قيل) فـما وجه تخصيص هـذه الاماكن بالاحكام الخمسة وهو كون الواجب من القلم والمندوب من اللوح الخ (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والخمسـين أن وجـه التخصيص كون كل محـل يمد ما برز منه فيكون من القلم نظر الى الاعمـال الواجبـة فيمدها بحسب ما يرى فيها ويكون من اللوح نظر الى الاعمـال المنـدوبة فيمدها بحسب ما يرى فيها ويكون من العرش نظر الى المحظورات فلا يمدها الا بالرحمـة لانه محل استواء الاسم الرحمن قال ولهـذا يكون مآل من لم يسـبق له شقاوة الى الرحمة ويكون من الـكرسي نظر الى الاعمـال المكروهة فيمدها بحسب ما يرى فيها لكن رحمـة الـكرسي دون رحمـة العرش اذ الرحمـة تعظم بحسب الذنب والمكروه أقل قبحا من الحرام بيقين فلذلك عمت رحمة الـكرسي جميع من فعـل المكروه ورحمة العرش جميع من فعل الحرام اما رحمة امهال وتخفيف واما رحمة دوام ولما كان الـكرسي محل بروز الامر والنهي على ما قررناه أسرع فى العفو والتجاوز عن اصحاب المكروه من الاعمـال ولهذا لا يؤاخذ فاعل المكروه ويؤجر تاركه والله أعلم (فان قلت) فـما صورة خلقـه تعالى اللوح والقلم والـكرسي والعرش وأيهما خلق قبل الآخر (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث عشر من أبواب الفتوحات ان اول ما خلق الله القلم الاعلى فهو رأس ملائكة التدوين والتسطير وأما اللوح فهو مشتق من القلم وقد جعـل

الله ان لم يكن من اهـل الكشف والوجدان يجتنب كل امر يؤدي الى تعلق القلب بغير الله فانه الشبكة فى حقه وكذلك يجتنب مواضع التهم وصحبة المبتدعين فى الدين ما لا يقبله الدين وكذلك يجتنب مجالسـة النسوان وأخـذ الارفاق فان القلوب تميل الى كل من أحسـن اليها بحكم الطبع وليس هنالك قوة الهية على دفع الشهوات النفسية والمعرفة معدومة من هذا الصـنف الذى ذكرناه قال ولا يخفى ان من كان من المريدين تحت حكم شيخ ناصح فهو بحكم شيخه فيـه وان كان لا شيخ له فعليه الحرج من الله فى صحبتـه لكل من يردي به كما على الشيوخ الذين ليس لهم قدم صدق فى الطريق اللوم فى ذلك قال ثم الذى ينبغي للمريد اذا ادعى انه ما صحب الاحداث أو النسوان الا لله ان يزن حاله فان وجـد الما ووحشة عند فقده اياهم وهيجانا الى لقائهم وفرحا باقبالهم فليعلم ان صحبته لهم معلولة وان وقعت المنفعة لذلك الحدث منه سعد وشقي هذا المحب قال وان كانت محبة المريد قد تعلقت بجميع المخلوقات على حد سواء ومن جملتهم الاحداث والنسوان فلا ينبغي له الركون فقد يكون خديعة نفسية وميزانه أن لا يستوحش عند مفارقة أحد من الخلق لتساويهم عنده من حيث انهم خلق الله حتى الحائط فمن يوب هذا على دعواه لا يفارقه فلمباذا

الله لهذا القلم ثلثمائة وستين سنا كل سن يغترف من ثلثمائة وستين صنفا من العلوم الاجمالية فيفصلها في اللوح ثم انه ذكر في الباب الستين منها ان مقدار امهات فروع علوم القلم المتعلقة بالخلق الى يوم القيامة ما خرج من ضرب ثلثمائة وستين في مثلها من اصناف العلوم لا تزيد علما واحدا ولا تنقص انتهى * وقال في الباب الثالث عشر اعلم ان الحق تعالى لما تجلى للقلم وهو في محل التعليم الذهني قذف تعالى فيه ما يريد ايجاده في خلقه لا الى غاية فاوجده فقبل بذاته علم ما يكون وما للحق تعالى من الاسماء الالهية الطالبة صدور هذا العالم ثم اشتق من هذا القلم موجودا آخر سماه اللوح وامر القلم أن يتدلى اليه ويودع فيه جميع ما يكون الى يوم القيامة لا غير فعلمها اللوح حين أودعه اياها القلم ثم ان الله تعالى اوجد الظلمة المحضة التي هي في مقابلة تجليه العماء بالنور حتى ظهر فيه صور الملائكة ولولا هذا النور ما ظهر لهم في صورة وهذه الظلمة بمنزلة العدم المطلق القابل للوجود المطلق فعندما أوجدها تعالى أفاض عليهما من ذلك النور المتجلي للعماء فظهر الجسم المعبر عنه بالعرش فاستوى عليه الرحمن بالاسم الظاهر فذلك اول ما ظهر من عالم الخلق ثم انه تعالى خلق من ذلك النور الممتزج الذي هو مثل ضوء السحر الملائكة الحافين بالسرير وهو قوله وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ثم انه تعالى أوجد الكرسي في جوف هذا العرش وجعل فيه ملائكة من جنس طبيعته فان كل فلك أصل لما خلق منه من عماره كالعناصر فيما خلق منها من عمارها كما خلق آدم من تراب وعمر به وبقيه الارض ثم خلق في جوف الكرسي الافلاك فلكا في جوف فلك ثم خلق بعد ذلك الارواح ثم الغذاء ثم جعل لكل مكلف مرتبة في السعادة والشقاء انتهى (فان قلت) قد ورد في الحديث ان الحق تعالى قال للقلم اكتب علمي في خلقي الى يوم القيامة فذكر الغاية فما حكم ما يقع بعد يوم القيامة أبد الآبدين (فالجواب) ان جميع ما يقع للخلق بعد يوم القيامة من توابع الاحكام التي كتبت عليهم في اللوح حتى الشقاء الابدي لتجزى كل نفس بما تسعى أبد الآبدين ودهر الداهرين * وقال الشيخ في الباب السابع والعشرين وثلثمائة انما خص الحق تعالى الكتابة في اللوح بأمور الدنيا فقط لتناهيها بخلاف أمور الآخرة فان القلم لا يقدر يكتب علمه فيها الانها لا تتناهى وما لا يتناهى أمده لا يحويه الوجود والكتابة وجود اه (فان قلت) فما وجه تخصيص القلم الاعلى بالذكر فهل هنالك غيره قلم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر وثلثمائة من الفتوحات أن هنالك أقلاما أخر دون القلم الاعلى وألواح أخر دون اللوح المحفوظ كما اشار اليه حديث الاسراء وقوله فيه فوصلت الى مستوى سمعت فيه صريف الاقلام والصريف هو الصوت (فان قلت) فما عدد هذه الالواح والاقلام (فالجواب) عددها ثلثمائة وستون قلما وثلثمائة وستون لوحا ذكره الشيخ في الفتوحات في الباب المتقدم آنفا قال ورتبة هذه الاقلام والالواح دون رتبة القلم الاعلى واللوح المحفوظ وذلك لان الذي كتب في اللوح المحفوظ لا يتبدل ولذلك سمي بالمحفوظ يعني من المحو فلا يمحو تعالى ما كتبه فيه بخلاف هذه الاقلام والالواح فان هذه الاقلام تكتب دائما في الواح المحو والاثبات ما يحدثه الله تعالى في العالم من الاحكام المشار اليها بقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت * قال ومن هذه الالواح تنزلت الشرائع والصحف والكتب الالهية على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ولهذا دخلها النسخ بل دخل النسخ في الشرع الواحد قال والى محل هذه الالواح كان التردد ليلة الاسراء أي تردد محمد صلى الله عليه وسلم بين الالواح وبين موسى عليه الصلاة والسلام في شأن الصلوات الخمس فكانت حضرة خطاب الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم في هذه الالواح والى الخمس كان منتهاه فمحا الله تعالى عن أمة محمد ما شاء من تلك الصلوات التي كتبها في هذه الالواح الى ان اثبت فيها الخمسة واثبت لمصليها اجر الخمسين

يستوحش انتهى (قلت) فالواجب على من بلغ مبلغ الرجال عدم صحبة النساء والاحداث جملة واحدة ثم اذا بلغ أيضا فشرطه على ما قالوه أن لا يكون مقتدى به الاقتداء العام فان أصحاب النفوس الغوية ربما تبعوه واحتجوا به في ذلك والله أعلم * وقال الفرق بين الشهوة والارادة ان الارادة تتعلق بكل مراد للنفس والعقل سواء كان ذلك المراد محبوبا أو غير محبوب وأما الشهوة فلا تتعلق الا بما للنفس في نيله لذة خاصة وايضا فان محل الشهوة النفس الحيوانية ومحل الارادة الروح ذكره في الباب التاسع ومائة * وقال في الباب الثاني عشر ومائة تكون مخالفة النفس في ثلاثة أمور فقط في المباح والمكروه والمحظور لا غير وأما اذا وقعت لها اللذة في طاعة مخصوصة وعمل مقرب فهنالك علة خفية فيخالفها بطاعة اخرى وعمل مقرب فان استوى عندها جميع التصرفات في فنون سلمنا لها تلك اللذة بالطاعة الخاصة وان وجدت المشقة في العمل المقرب الآخر الذي هو خلاف هذا العمل فالعدول الى الشاق واجب لانها ان اعتادت المساعدة في مثل هذا اثرت في المساعدة في المحظور والمكروه والمباح * وقال في الباب الخامس عشر ومائة في قوله صلى الله عليه وسلم لا غيبة في فاسق الذي فهمته من هذا الحديث انه نهى لا نفي وعلى ذلك

وأوحى

واوحى الى محمد ما يبدل القول لدى فارجع موسى عليه الصلاة والسلام بعد الخمسة يسأل شيأ من التخفيف على سبيل الجزم وانما ذلك من حضرة الاطلاق على سبيل العرض قال ومن حضرة هذه الالواح ايضا نزل قوله تعالى ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده * ومنها ايضا وصف الحق تعالى نفسه بالتردد فى قبضة نسمة عبده المؤمن حين موته مع انه تعالى هو الذى قضى عليه بذلك من باب رحمتى سبقت غضبي قال ومن هذه الحقيقة الالهية التى كنى عنها بالتردد يكون سريانها فى التردد الكونى فى الامر وحصول الحيرة فيه وذلك ان الانسان اذا وجد نفسه تتردد فى فعل ما هل يفعله أم لا ومازال ذلك الحال به حتى وقع احد الامور التى كان تردد فيها وزال التردد فذلك الامر الواقع هو الذى ثبت فى اللوح المحفوظ من تلك الامور المتردد فيها وهو الذى ينتهى اليه ايضا امر ألواح المحو والاثبات وايضاح ذلك ان القلم الكاتب فى لوح المحو يكتب أمرا ما وهو زمان الخاطر الذى يخطر للعبد فيه فعل ذلك الامر ثم ان تلك الكتابة تمحى فيزول ذلك الخاطر من ذلك الشخص لانه ثم رقيقة من هذا اللوح تمد الى نفس هذا الشخص فى عالم الغيب فان الرقائق الى النفوس من هذه الالواح تحدث بحدوث الكتابة وتنقطع بمحوها فاذا ابصر القلم موضعها من اللوح ممحوا كتب غيرها مما يتعلق بذلك الامر من الفعل والترك فتمتد من تلك الكتابة رقيقة الى نفس ذلك الشخص الذى كتب هذا من اجله فيخطر لذلك الشخص ذلك الخاطر الذى هو نقيض الاول ثم ان اراد الحق تعالى اثباته لم يمحه فاذا ثبت بقيت رقيقة متعلقة بقلب هذا الشخص وثبتت ليفعل ذلك الامر أو يتركه بحسب ما فى اللوح فاذا فعله او ثبت على تركه وانقضى فعله محاه الحق تعالى من كونه محكوما بفعله واثبته صورة عمل حسن او قبيح على قدر ما يكون ثم ان القلم يكتب امرا آخر هكذا الامر دائما فعلم ان القلم الاعلى اثبت فى لوحه كل شئ تجرى به هذه الاقلام من محو واثبات فى اللوح المحفوظ اثبات المحو فى هذه الالواح واثبات الاثبات ومحو الاثبات عند وقوع الحكم وانشاء امر آخر فهو لوح مقدس عن المحو ولذلك سمى محفوظا يعنى من المحو كما مر (فان قلت) فهل يدخل المحو فى الذوات كالاعمال (فالجواب) كما قاله سيدى على الخواص رضى الله عنه لا يدخل المحو فى الذوات وانما هو خاص بالاحوال والاعمال كما شار اليه حديث ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة الحديث انتهى (فان قلت) فهل اطلع احد من الاولياء على عدد الحوادث التى كتبها القلم الاعلى فى اللوح الى يوم القيامة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائة نعم قال وأنا ممن أطلعه الله على ذلك (فان قيل) فكم عدد ما سطر فى اللوح من آيات الكتب الالهية (فالجواب) عدد ما سطر فى اللوح من الآيات التى انزلت على الرسل مائتا الف آية وتسع وستون ألف آية ومائتا آية ذكره الشيخ محيى الدين فى الباب المتقدم وقال هذا ما أطلعنا الله عليه (فان قلت) فهل اطلع احد من الاولياء على عدد امهات علوم أم الكتاب الذى هو الامام المبين (فالجواب) نعم يطلع الله على ذلك من يشاء من عباده * قال الشيخ محيى الدين فى الباب الثانى والعشرين والذى اطلعنى الله تعالى عليه من طريق الكشف ان عدد امهات علوم أم الكتاب مائة الف نوع وتسعة وعشرون ألف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوى على علوم جمة انتهى (فان قلت) فما مراد أهل العقائد بقولهم السعيد من كتبه تعالى فى الازل سعيدا والشقى من كتبه الله تعالى فى الازل شقيا هل هذه الكتابة المذكورة فى اللوح المحفوظ أم غيره وهل الازل غير زمان أو زمان لائق بالحق تعالى لا يتعقل (فالجواب) المراد به أم الكتاب كما قاله ابن عباس وغيره فالمراد بالازل ما لا يدخله تبديل ولا تغيير وفى حديث الترمذى فرغ ربك من العباد فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقال شيخ مشايخنا الشيخ كمال الدين بن ابى شريف مرادهم بغير الازل التى تكتب فيها الملائكة رزق الانسان واجله وشقيا وسعيدا عندما ينفخ فيه الروح ولا مانع من تطرق

بقوى أهل الورع فى فهم هذا الحديث أى لا تغتابوا الفاسق المعين وغرضوا بالغيبة على وجه المصلحة لغير معين كما كان صلى الله عليه وسلم يقول ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا قال ومع كون الغيبة محمودة فى مواضع مذكورة فى كتب الفقه فعدم التعيين أولى فيما من التعيين الا ان ترتب على ذلك حكم شرعى * وقال فى الباب السادس عشر ومائة القناعة عندنا على بابها فى اللسان وهى المسئلة والقانع هو السائل ولكن من الله تعالى لا من غيره وهو قوله تعالى فى الظالمين يوم القيامة مقنعى رؤسهم الى الله يسألونه المغفرة عن جرائمهم فعلم ان من سأل غير الله فليس بقانع ويخاف عليه من الحرمان والخسران فان السائل موصوف بالركون الى من سأله والله تعالى يقول ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومن ركن الى جنسه فقد ركن الى ظالم لان الله تعالى قال فى الانسان انه كان ظلوما جهولا انتهى وهو كلام نفيس * وقال فى الباب الرابع والعشرين ومائة فى قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام قال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب الآية معناه أحببت الخير عن ذكر ربى الخير بالخيرية فاحببته لذلك والخير هى الصافنات الجياد من الخيل وأما قوله فطفق مسحا أى يمسح بيده

التبديل الى ما كتب فى هذه الصحف لتعلق السعادة والشقاوة فيها على شئ لا يدرى الملك أيقع أم لا مع علم الله بما يكون من وقوعه او عدمه انتهى (قلت) وفيه تأييد لما قدمناه من امر ألواح المحو والاثبات الثلثمائة وستين لوحا المتقدمة عند اهل الكشف ولعلها هى المرادة فى لسان المتكلمين بالصحف (فان قلت) هل يقال ان الحق تعالى تكلم فى الازل كما ذهب اليه بعضهم (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين فى بعض كتبه ان ذلك لا ينبغي لذهاب الذهن الى الزمان المعقول والحق تعالى منزه عن ان يقول او يقدر فى الازمان اذ الزمان مخلوق والتقدير قديم فافهم انتهى (فان قيل) كيف دخل التبديل والتغيير للتوراة مع ما ورد ان الله كتب التوراة بيده (فالجواب) ان التوراة لم تتغير فى نفسها وانما كتابتهم اياها وتلفظهم بها لحقه التغيير فنسبة مثل ذلك الى كلام الله تعالى مجاز قال تعالى يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فهم يعلمون ان كلام الله تعالى معقول عندهم ولكنهم ابدوا فى الترجمة عنه خلاف ما فى صدورهم وفى مصحفهم المنزل عليهم فانهم ما حرفوا الا عند نسخهم من الاصل وابقوا الاصل على ما هو عليه ليبقى لهم ولعلمائهم بعدهم العلم (فان قيل) ان آدم عليه الصلاة والسلام خلقه الله بيده ومع ذلك فما حفظ من المخالفة واين رتبة اليد من اليدين ان جعلتم اليدين كناية عن شدة الاعتناء بآدم عليه الصلاة والسلام (فالجواب) انما لم يحفظ آدم عليه الصلاة والسلام من جريان الاقدار لانه عبد وليس جريان الاقدار الا عليه لانه هو المحل الاعظم لذلك واما كلام الله تعالى فانما عصم لكونه حكم الله وحكم الله فى الاشياء غير مخلوق لعصمته من ذلك بخلاف آدم ليس هو حكم الله (فان قلت) فاذا كان خلق آدم باليدين انما هو لشدة الاعتناء به على غيره فاذن الحق تعالى بالانعام اشد اعتناء بها منه لان الله تعالى جمع الايدى فى خلقها فقال مما عملت ايدينا انعاما (فالجواب) ان توجه اليدين على آدم اقوى من توجه الايدى على الانعام لان التثنية تدرج بين المفرد والجمع فلها القوة والتمكين من حيث انه لا يوصل الى الجمع الا بها ولا ينتقل عن المفرد الا اليها (فان قلت) فكيف سمى الحق تعالى نفسه بالدهر مع ان الخلق لا يتعقلون الدهر الا زمانا (فالجواب) ان المراد بالدهر هنا هو الازل والابد اللذان هما الاول والآخر وهما من نعوت الله عز وجل بلا شك فانه تعالى سمى نفسه بالاول لكن لا باولية تحكم عليه كالاوليات المسبوقة بالعدم لان ذلك محال فى حق الحق وكذلك القول فى الآخر فانه تعالى آخر لا بآخرية تحكم عليه نظير اسمه الاول (فان قلت) فما سبب كفر الدهرية على هذا التقدير (فالجواب) سبب كفرهم تعقلهم فى الدهر الذى جعلوه الها انه زمان فلكى اذ الفلكى لا حقيقة له فى زمان الله الذى لا يتعقل ولو انهم اعتقدوا الدهر كما ذكرنا ما كفروا لقوله صلى الله عليه وسلم يقول الله أنا الدهر والله تعالى اعلم

(المبحث العشرون فى بيان صحة اخذ الله العهد والميثاق على بنى آدم وهم فى ظهره عليه الصلاة والسلام)*

اعلم يا اخى ان المعتزلة قد أنكروا هذا العهد والميثاق وزعموا ان معنى قوله تعالى واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ان المراد به أخذ بعضهم من ظهر بعض بالتناسل فى الدنيا الى يوم القيامة وانه ليس هنالك أخذ عهد ولا ميثاق حقيقة وان المراد بالعهد والميثاق هو ارسال الرسل واستكمال العقل والنظر والاستدلال توجيه الخطاب الى العبد ولا يخفى ما فى هذا المذهب من الخطأ والغلط وكيف يصح للمعتزلة هذا القول ومعظم الاعتقاد فى اثبات الحشر والنشر مبنى على هذه المسئلة والذى ظهر لى انهم انما انكروا ذلك فرارا من غموض مسائل هذا المبحث ودقة معانيه عليهم فرضوا بالجهل عوضا عن العلم والحق ان الله تعالى اخذ عليهم العهد فى ظهر آدم حقيقة لانه على كل شئ قدير (فان

قيل)

على أعراقها وسوقها فرحا وإعجابا بخير ربه لا فرحا بالدنيا لأن الأنبياء منزهون عن ذلك وهذه تشبه ما وقع لأيوب عليه السلام حين أرسل الله له جرادا من ذهب فصار يحثو فى ثوبه منه ويقول لا غنى لى عن بركتك يا رب انتهى فما أحب سليمان الخير الا لكونه تعالى أحب حب الخير ولذلك اشتاق اليها لما توارت بالحجاب يعنى الصافنات الجياد لكونه فقد المحل الذى أوجب له حب الخير عن ذكر ربه فقال ردوها على وقال وليس للمفسرين الذين جعلوا التوارى للشمس دليل فان الشمس ليس لها هنا ذكر ولا الصلاة التى يزعمون وسياق الآية لا يدل على ما قالوه بوجه ظاهر البتة قال وأما استرواحهم فيما فسروه بقوله تعالى ولقد فتنا سليمان فالفتنة هى الاختبار يقال فتنت الذهب أو الفضة اذا اختبرتهما بالنار فلا ينافى ذلك ما قلناه اذ كان متعلقه الخيل ولا بد يكون اختياره اذ رآها هل أحبها عليه السلام عن ذكر الله لها أو احبها لعينها فأخبر عليه السلام انه انما أحبها عن ذكر ربه اياها لا لعينها مع حسنها وكمالها وحاجته اليها فانها من الملك الذى طلب ان لا يكون لأحد من بعده فأجابه الحق الى ما سأل فى المسموع ورفع الحرج عنه بقوله هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب

قيل) ففي أي محل كان أخذ هذا العهد (فالجواب) كما قاله ابن عباس ان ذلك كان ببطن نعمان وهو واد بجنب عرفة وقال بعضهم بسرنديب من أرض الهند وهو الموضع الذى هبط به آدم من الجنة وقال الكلبي كان أخذ العهد بين مكة والطائف وقال على بن أبي طالب كان أخذ العهد والميثاق في الجنة وكل هذه الاحتمالات قريبة ولا ثمرة للتعيين بعد صحة الاعتقاد بأخذ الميثاق (فان قيل) فما كيفية استخراجهم من ظهره (فالجواب) قد جاء في الحديث ان الله تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته كلهم منه كهيئة الذر ثم اختلف الناس هل شق ظهره واستخرجهم منه او استخرجهم من بعض ثقوب رأسه وكلا هذين الوجهين بعيد والاقرب كما قاله الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله انه تعالى استخرجهم من مسام شعرات ظهره اذ تحت كل شعرة ثقبة دقيقة يقال مثل سم الخياط وجمعه مسام ويمكن خروج الذرة من هذه الثقب كما يخرج منها العرق المنصب والصنان وهذا غير بعيد في العقل فيجب الاعتقاد بانه تعالى أخرج الذرية من ظهر آدم كما شاء ومعنى مسح ظهره انه امر بعض ملائكته بالمسح فنسب ذلك الى نفسه لانه بأمره كما يقال مسح السلطان طين البلد الفلانية وما مسحها الا اعوانه فان الرب سبحانه وتعالى مقدس عن مسح ظهر آدم على وجه المماسة اذ لا يصح اتصال بين الحادث والقديم (فان قيل) كيف أجابوه بقولهم بلى هل كانوا أحياء عقلاء أم قالوه بلسان الحال (فالجواب) الصحيح ان جوابهم كان بالنطق وهم أحياء اذ لا يستحيل في العقل ان يؤتيهم الله الحياة والعقل والنطق مع صغرهم فان بحار قدرته واسعة وغاية وسعنا في كل مسئلة ان نثبت الجواز ونكل كيفيتها الى الله تعالى (فان قيل) اذا قال الجميع بلى فلم قبل قوما ورد قوما (فالجواب) كما قاله الحكيم الترمذي انه تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا بلى مخافة فلم يك ينفعهم ايمانهم كايمان المنافقين وتجلى للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى طوعا فنفعهم ايمانهم وقيل ان أصحاب اليمين قالوا بلى حقا فرجع صوتهم الى جانب أهل الشمال وهم سكوت وكان ذلك لهم كارتداد الصوت في شعاب الجبال والكهوف الخالية الذى يسمونه الصدى وكان هواء الارض يومئذ خاليا من الاصوات اذ لم يكن احد في الارض غير آدم وانما هو محاكاة للصوت الاول ولا حقيقة له وقد اطال الشيخ ابو طاهر القزويني في ذلك ثم قال والصحيح عندى ان قول أصحاب الشمال بلى كان على وفق السؤال وذلك ان الله تعالى سألهم عن ربهم ولم يسألهم عن الههم ومعبودهم ولم يكونوا يومئذ في زمان التكليف وانما كانوا في حالة التخليق والتربية وهى الفطرة فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى لان تربيتهم اذ ذاك مشاهدة فصدقوا في ذلك كلهم ثم لما انتهوا الى زمان التكليف وظهور ما قضى الله تعالى في سابق علمه لكل احد من السعادة والشقاوة كان منهم من وافق اعتقاده في قبول الالهية اقراره الاول ومنهم من خالفه ولو انه تعالى كان قال لهم ألست باحد وقالوا بلى لم يصح لاحد ان يشرك به فافهم (فان قيل) اذا سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا فلم لا نذكره اليوم (فالجواب) انما كنا لا نذكره لان تلك البنية قد انقضت وتداولت الانسان الغير بمرور الدهور عليها في اصلاب الآباء وارحام الامهات ثم زاد الله تعالى في تلك البنية أجزاء كثيرة ثم استحالت بتصريفها في الاطوار الواردة عليها من العلقة والمضغة واللحم والعظم وهذه كلها مما يوجب الوقوع في النسيان وكان على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يقول انى لاذكر العهد الذى عهد الى ربي واعرف من كان هنالك عن يميني ومن كان عن شمالي قال وانما اخبرنا الله تعالى عن أخذ الميثاق منا تذكرة والزاما للحجة علينا فهذه فائدة الاخبار لنا لا غير اه وكذلك بلغنا نحو هذا القول عن سهل بن عبد الله التسترى انه كان يقول اعرف تلامذتي من يوم ألست بربكم ولم تزل الطف تربيهم في الاصلاب حتى وصلوا الى في هذا الزمان (فان قيل) فهل كانت تلك الذرات متصورة بصورة الآدمي ام لا (فالجواب) لم يرد لنا في ذلك شئ الا ان

أى ما ينقصه هذا الذى من ملك الآخرة شيأ كما يقع لغيره (قلت) هذا التفسير قريب منه أو ملغز الشيخ فليتأمل وحرره والله أعلم * وقال في الباب الثامن والعشرين ومائة اعلم ان رضا الله عن العبد يكون بحسب مشيه على الشرع كثرة وقلة فمن لم يخل بالعمل في شئ من الشريعة فهو صاحب الرضا الكامل ومن أخل بالعمل في شئ منها نقص من الرضا بقدر ما أخل وهذا ميزان في غاية الوضوح والانسان على نفسه بصيرة انتهى بالمعنى في بعضه * وقال في الباب التاسع والعشرين ومائة يجب على العبد الرضا بقضاء الله لا بكل مقضى فلا ينبغي الرضا بالمعاصي ولو رأيت وجه الحكمة فيها فانك اذا كنت صحيح الرؤية والكشف ترى الحق تعالى غير راض عنك في فعلها وان لم تره فارجع الى حكم الشرع ولا يرضى لعباده الكفر (قلت) وأكثر من يقع في الرضا بالمعاصي أصحاب حضرة التوحيد العام اذا لم يكن لهم شيخ ويظنون بنفوسهم انهم خوطبوا أمرين الله خلاف ما جاءت به الشريعة وهذا كفر وتلبيس فان الحق تعالى ما ينهى عن شئ على لسان رسله ويبيحه من وراثهم لاحد من أممهم أبدا فافهم والله أعلم * وقال في الباب السادس والاربعين ومائة اياك ان ترمي ميزان الشرع من يدك في العلم الرسمي بل بادر الى ما حكم به وان

الأقرب في العقول انها لم تكن متصورة والسمع والنطق لا يفتقران الى الصورة انما يقتضيان محلا حيا فاذا أعطاه الله الحياة والفهم جاز ان يتعلق بالذرة السمع والنطق وان كانت غير مصورة بصورة اذ البنية عندنا ليست بشرط وانما اشترطها المعتزلة ويحتمل ان تكون الذرات متصورة بصورة آدمي لقوله تعالى من ظهورهم ذرياتهم ولفظ الذرية يقع على المصورين (فان قلت) فمتى تعلقت الارواح بالذرات قبل خروجها من ظهر آدم أم بعد خروجها منه (فالجواب) ان الذي يظهر لنا انه تعالى استخرجهم احياء لانه سماهم ذرية والذرية هم الاحياء لقوله تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون فيحتمل ان الله تعالى خلق الارواح فيهم وهم في ظلمات ظهر أبيهم ويخلقها فيهم مرة أخرى وهم في ظلمات بطون أمهاتهم ويخلقها مرة أخرى ثالثة فيهم وهم في ظلمات بطون الارض خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث هكذا اجرت سنة الله تعالى (فان قيل) فما الحكمة في أخذ الميثاق من الذرات (فالجواب) ليقيم الله تعالى الحجة على من لم يوف بذلك العهد كما وقع نظير ذلك في دار التكليف على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام (فان قيل) فهل اعادهم الى ظهر آدم احياء ام استرد ارواحهم ثم اعادهم اليه امواتا (فالجواب) الذي يظهر انه لما اعادهم الى ظهره قبض ارواحهم بناء على انه لما اراد في الدنيا ان يعيدهم الى بطن الارض يقبض أرواحهم ثم يعيدهم فيها (فان قيل) اين رجعت الارواح بعد رد الذرات الى ظهره (فالجواب) ان هذه مسئلة غامضة لا يتطرق اليها النظر العقلي ولم يجئ فيها نص فمن أطلعه الله تعالى على شئ فليلحقه بهذا الموضع (فان قيل) ان الناس يقولون ان الذرية أخذت من ظهر آدم والله تعالى يقول واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم (فالجواب) هذا شئ يتعلق بالنظم وذلك انه لم يقل من ظهر آدم وان اخرجوا من ظهره لان الله اخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على طريق ما يتناسل الابناء من الآباء فاستغنى به عن ذكر آدم استغناء بظهور ذريته اذ ذريته خرجوا من ظهره ويحتمل ان يقال انه أخرج ذرية آدم بعضهم من بعض في ظهر آدم ثم أخرجهم جميعا فيصح القولان جميعا فاذا قال اخرجهم من ظهورهم صح واذا قال اخرجهم من ظهره صح أيضا ومثال ذلك من اودع جوهرة في صدفة ثم اودع الصدفة في خرقة وأودع الخرقة مع الجوهرة في حقة واودع الحقة في درج واودع الدرج في صندوق ثم ادخل يده في الصندوق فاخرج منه تلك الاشياء بعضها من بعض ثم اخرج الجميع من الصندوق فهذا لا تناقض فيه (فان قيل) ورد في الخبر ان كتاب العهد والميثاق مستودع في الحجر الاسود وان للحجر عينين وفما ولسانا وهذا غير متصور في العقل (فالجواب) ان كل ما عسر علينا تصوره بعقولنا يكفينا فيه الايمان به والاستسلام له ونرد معناه الى الله تعالى * وقد ذكر الشيخ محيي الدين في كتاب الحج من الفتوحات قال لما اودعت الكعبة شهادة التوحيد عند تقبيلي الحجر الاسود خرجت الشهادة عند تلفظي بها وانا انظر اليها بعيني في صورة سلك وانفتح في الحجر الاسود مثل الطاق حتى نظرت الى قعر الحجر والشهادة قد صارت مثل الكعبة واستقرت في قعر الحجر وانطبق الحجر عليها وانسد ذلك الطاق وانا انظر اليه فقالت لي هذه امانة لك عندي ارفعها لك الى يوم القيامة فشكرتها على ذلك انتهى * وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وفي يده كتابان مطويان وهو قابض بيده على كتاب فسأله اصحابه ما هذان الكتابان فقال ان في الكتاب الذي في يدي اليمنى اسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم من أول ما خلقهم الله الى يوم القيامة والذي في يدي الاخرى فيه اسماء اهل النار واسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم من اول ما خلقهم الله الى يوم القيامة انتهى * قال الشيخ محيي الدين في الباب الخامس عشر وثلثمائة من الفتوحات ولو ان مخلوقا راد ان يكتب هذه الاسماء على ما هي عليه في هذين الكتابين

فهمت منه خلاف ما فهمته صورة علم الهي من حيث لا يشعر قال وقد وقعنا بقوم صادقين من أهل الله ممن التبس عليهم هذا المقام ورجحوا كشفهم وما ظهر من فهمهم مما يبطل ذلك الحكم وهم مخطئون في ذلك قال واعلم ان تقديم الكشف على النص ليس عندنا بشئ ولا عند أهل الله تعالى وكل من عول عليه فقد غلط وخرج عن الانتظام في شرع أهل الله تعالى ولحق بالاخسرين أعمالا وأطال في ذلك ثم قال واذا ورد على أحد من أهل الكشف وارد الهي يحل له ما ثبت تحريمه في نفس الامر من الشرع المحمدي وجب عليه جزما ترك هذا الوارد لانه تلبيس ووجب عليه الرجوع الى حكم الشرع الثابت وقد ثبت عند أهل الكشف بأجمعهم انه لا تحليل ولا تحريم لاحد بعد انقطاع الرسالة والنبوة وأطال في ذلك ثم قال فتفطنوا يا اخواننا وتحفظوا من غوائل هذا الكشف فقد نصحتكم ووفيت الامر الواجب علي في النصح والله أعلم * وقال في الباب الثامن والاربعين ومائة في قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله انما أضاف نور الفراسة الى الاسم الله دون غيره لان الاسم الله

لماقام بذلك كل ورق على وجه الارض قال ومن هنا يعرف كتابة الله من كتابة المخلوقين وهو علم غريب رأيناه وشاهدناه قال وقد حكى ان فقيرا طاف بالبيت وسأل الله ان ينزل له ورقة بعتقه من النار فنزلت عليه ورقة من ناحية الميزاب مكتوب فيها عتقه من النار ففرح بذلك واوقف الناس عليها وكان من شأن هذا الكتاب ان يقرأ من كل ناحية على السواء لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها فعلم الناس ان ذلك من عند الله تعالى واطال الشيخ في ذكر حكايات تناسب ذلك والله تعالى أعلم

(المبحث الحادي والعشرون في صفة خلق الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام)

قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (فان قلت) فما وجه تشبيه عيسى بآدم عليهما السلام مع ان عيسى خلق من نطفة مريم ونفخ جبريل عليه الصلاة والسلام (فالجواب) ان الحق تعالى انما اوقع التشبيه في عدم الابوة الذكرانية من اجل انه تعالى نصب ذلك دليلا لعيسى في براءة امه وانما لم يوقع التشبيه بحواء وان كان الامر عليه لكون المرأة محل التهمة لوجود الحمل اذ كانت محلا موضوعا للولادة وليس الرجل بمحل لذلك والمقصود من الادلة انما هو ارتفاع الشكوك وفي خلق حواء من آدم لا يمكن وقوع الالتباس لكون آدم ليس بمحل لما صدر عنه من الولادة فكما لا يعهد ابن من غير اب كذلك لا يعهد ابن من غير أم فالتشبيه من طريق المعنى ان عيسى كحواء لان ظهور عيسى من غير اب كظهور حواء من غير أم وايضاح ذلك ان اول موجود وجد من الاجسام الانسانية آدم عليه السلام فكان هو الاب الاول من هذا الجنس ثم ان الحق تعالى فصل من آدم أبا ثانيا سماه أما فصح لهذا الاب الاول الدرجة عليه لكونه أصلا له فلما أوجد الحق تعالى عيسى ابن مريم تنزلت مريم عليها السلام منزلة آدم عليه السلام وتنزل عيسى منزلة حواء فلما وجدت أنثى من ذكر كذلك وجد ذكر من أنثى فختم الدور بمثل ما به بدأها في ايجاد ابن من غير أب كما كانت حواء من غير أم فكان عيسى وحواء اخوان وكان آدم ومريم ابوان لهما ذكر ذلك الشيخ محيي الدين في الفتوحات وهو كلام نفيس لم اجد احدا تعرض له ولا حام حول معناه فرحمه الله ما كان اوسع اطلاعه * وقال في الباب السابع منها (فان قيل) كم أنواع ابتداء الجسوم الانسانية (فالجواب) هي أربعة أنواع آدم وحواء وعيسى وبنو آدم فان كل جسم من هذه الاربعة يخالف نشأة الآخر في التشبيه مع الاجتماع في الصورة لئلا يتوهم الضعيف العقل ان القوة الالهية أو الحقائق لا تعطي ان تكون هذه النشأة الانسانية الاعن سبب واحد يعطي بذاته هذه النشأة فرد الله هذه الشبهة في وجه صاحبها بان اظهر هذا النشء الانساني بطريق لم يظهر به جسم حواء واظهر جسم حواء بطريق لم يظهر به جسم ولد آدم واظهر جسم ولد آدم بطريق لم يظهر به جسم عيسى عليه الصلاة والسلام قال وقد جمع الله تعالى هذه الاربعة انواع في آية من القرآن وهو قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم يريد آدم وجميع الناس من ذكر يريد حواء وأنثى يريد عيسى ومن المجموع من ذكر وأنثى معا بطريق النكاح يريد بني آدم فهذه الآية من جوامع الكلم وفصل الخطاب ثم انه لما اظهر جسم آدم كما ذكرنا ولم يكن فيه شهوة النكاح وكان سبق في علم الله انه لا بد من التناسل والنكاح للانتاج استخرج تعالى من ضلع آدم من القصيرى حواء فقصرت بذلك عن درجة الرجل فما تلحق به ابدا (فان قلت) فما الحكمة في تخصيص خلقها من الضلع (فالجواب) الحكمة في ذلك ليكون عندها حنو على ولدها او زوجها لاجل الانحناء الذي في الضلع فحنو الرجل على المرأة انما هو حنو على نفسه في الحقيقة لانها جزء منه وحنو المرأة على الرجل لكونها منه خلقت اي من ضلعه والضلع فيها انحناء وانعطاف قال الشيخ واعلم رحمه الله تعالى الموضع

هو الجامع لاحكام الاسماء فيكشف المذموم والمحمود من حركات السعادة والشقاوة فلو انه صلى الله عليه وسلم أضاف نور الفراسة الى الاسم الحميد مثلا لما كان المتفرس يرى بنور فراسته الا المحمود السعيد خاصة قال ومن كانت فراسته العلامات الربانية فلا تخطئ له فراسة بخلاف من كانت فراسته مستندة الى الفراسة الحكمية كقولهم مثلا من كان ابيض ذا شقرة أو زرقة كثيرة فهو دليل على القحة والخيانة وخفة العقل والفسوق فان هذا ليس بقاعدة كلية واطال في امثلة الفراسة الحكمية بنحو ثلاثة اوراق فراجعها ان شئت (وقال) فيه لا يخلو الانسان في معرفة الله تعالى من ثلاثة أحوال بالنظر الى الشرع اما ان يكون باطنيا محضا وهو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالا وفعلا وهذا يؤدي الى تعطيل أحكام الشرع كالباطنية في عدولهم عما أراده الشارع وكل ما يؤدي الى هدم قاعدة دينية فهو مذموم مطلقا عند كل مؤمن واما ان يكون ظاهريا محضا متغلغلا متوغلا بحيث أن يؤديه ذلك الى التجسيم والتشبيه على حد عقله وهو فهذا ايضا مذموم شرعا واما ان يكون جاريا مع الشرع على فهم اللسان حيثما مشى الشارع مشى وحيثما وقف وقف قدما بقدم فهذه حالة متوسطة وبها صحت محبة الحق تعالى اذا

الذى خرجت منه حواء من آدم بالشهوة التى لا يبقى فى الوجود خلاء فلما عمرت بالهواء حن اليها حنينه
الى نفسه لانها جزء منه وحنت حواء اليه لكونه موطنها الذى نشأت منه (فان قلت) فاذن حب حواء
حب الموطن وحب آدم حب نفسه (فالجواب) نعم وهو كذلك ولذلك كان حب الرجل للمرأة ظاهرا
اذ كانت عينه واما المرأة فاعطيت القوة المعبر عنها بالحياء فلم يظهر عليها محبة الرجل لقوتها على الاخفاء
اذ الموطن لم يتحد بها اتحاد آدم بها قال وصور الله تعالى فى ذلك الضلع جميع ما صوره وخلقه فى جسم آدم
فكان نشء آدم فى صورته كنشء الفاخورى فيما ينشئه من الطين والطبخ وكان نشء جسم حواء
كنشء النجار فيما ينحته من الصور فى الخشب فلما نحتها فى الضلع واقام صورتها وسواها نفخ فيها
من روحه فقامت حية ناطقة انثى ليجعلها محلا للزراعة والحرث لوجود الانبات الذى هو التناسل واطال
فى ذلك فى الباب السابق (فان قيل) فما وجه تسمية عيسى عليه الصلاة والسلام روحا من الله
(فالجواب) كما قاله الشيخ ابو طاهر القزوينى رحمه الله ان الحق تعالى لما خلق الارواح قبل الاجسام
بالفى عام كما ورد خبأها فى مكنون علمه فلما خلق الاجسام هيأ فى علمه لكل ذرة منها روحا فى الملكوت
تناسبها من سعادة او شقاوة فكانت تلك الذرات ازواجا للارواح كما قال تعالى سبحان الذى خلق
الازواج كلها اى مقرونة كل روح بشكلها ثم لما اراد الله تعالى اخذ الميثاق منهم اهبط بقدرته تلك
الارواح كلها من اماكنها على تلك الذرات على وفق علمه وحكمته ثم لما اخذ منهم الميثاق حل عقال
الارواح فطارت الى مكامنها فى الملكوت الى وقت اتصالها بالاجنة فى الارحام * قال الشيخ ورأيت فى
تفسير الانجيل ان روح عيسى عليه الصلاة والسلام لم يسترد عن الذرة بعد اخذ الميثاق وانما دفعها
الله تعالى الى جبريل عليه السلام فاسكنه الملكوت وكان يسبح الله ويقدسه الى أن أمره بنفخه فنفخه
فى جيب مريم فخلق منها المسيح عليه الصلاة والسلام من غير نطفة متوسطة فلذلك سماه الله روحا دون
غيره ثم رفعه الى السماء بقدر ما فيه من الروحانية فكان مكثه فى الارض بقدر ما فيه من الطين ومكثه فى
السماء بقدر ما فيه من الروح * قال الشيخ وقول الله تعالى حكاية عنه وهو فى المهد من قوله وجعلنى
مباركا اينما كنت اشارة منه الى هذه الجملة يعنى اينما كنت فى السماء والارض ويؤيد ذلك قول ابى
ابن كعب ان الله تعالى لما رد أرواح بنى آدم الى صلب آدم مع الذوات امسك عنده روح عيسى فلما
اراد خلقه ارسل ذلك الروح الى مريم فكان منه عيسى عليه السلام فلهذا قال فيه وروح منه
(فان قلت) فهل الملائكة الموكلون بالارواح ويتولون تصوير الاجنة هم اعوان عزرائيل أو
اسرافيل (فالجواب) هم اعوان اسرافيل عليه الصلاة والسلام الموكل بالصور واما هو عليه السلام
فانما هو ناظر الى صور الخليقة المصورة تحت العرش فان فى الحديث ان لكل ما خلق الله تعالى صورة
مخصوصة فى ساق العرش اظهرها الله تعالى قبل تكوينهم ثم انه اصور بنى آدم تشابه وتشاكل فى
الخليقة لانهم على صورة ابيهم آدم وآدم هو كذلك فى الصور التى تحت العرش واليه الاشارة بقوله صلى
الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته وفى رواية اخرى على صورة الرحمن ومعناه على الصورة التى
صورها الرحمن فى العرش او اللوح قبل خلق آدم عليه السلام فان الحق تعالى لا صورة له لمباينته
لجميع خلقه فافهم فعلم ان اسرافيل ناظر الى الصور المنقوشة فى العرش وملك الارواح عند تصوير الجنين
ناظر الى اسرافيل وتلك الصور كلها حكاية عما فى علمه الازلى سبحانه وتعالى فيأخذ اسرافيل تلك الصورة
المختصة المسماة عند الله لتلك الذرة المخلقة المرباة ثم يلقيها الى ملك الارحام وملك الارحام يلقيها الى
الجنين فى الرحم فيصوره بتلك الصور المعينة والقاء الصورة انما يكون بالقاء نسخته التى تليق بها وانما
اضاف تعالى التصوير فى الارحام اليه بقوله هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لان هذه الاسباب

مقدرة

في قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاعلم ذلك فانه نفيس والله يتولى هداك * وقال في الباب الثالث
والخمسين ومائة فى قوله
تعالى والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم أولياء بعض أى
باعطائهم ما فى قوتهم من
المصالح المعلومة فى الكون
وتسخير بعضهم لبعض
الاعلى للادنى وعكسه
وهذا لا ينكره عاقل لانه
الواقع وتأمل الملك الذى
هو أعلى مرتبة من سائر
رعيته تجده مسخرا فى
مصالحهم كما هم مسخرون
كذلك فى مصالحه فهذه
هى ولاية المؤمنين بعضهم
لبعض وقال فى الباب
الرابع والخمسين ومائة
الملائكة على ثلاثة
أصناف صنف مهيمون
فى جلال الله تجلى لهم فى
اسمه الجميل فهيمهم وأفناهم
عنهم فلا يعرفون نفوسهم
ولا من هاموا فيه وصنف
مسخرون ورأسهم القلم
الاعلى سلطان عالم التدوين
والتسطير وصنف أصحاب
تدبير للاجسام كلها من
جميع أجناس العالم
وأطال فى ذلك * وقال فى
الباب الخامس والخمسين
ومائة اعلم ان النبوة التى
هى الاخبار عن شئ سارية
فى كل موجود عند أهل
الكشف والوجود لكنه
لا ينطلق على أحد منهم
اسم نبى ولا رسول الا على
الملائكة الذين هم رسل
فقط إما غير الرسل منهم فلا يقال فيهم ملائكة وانما يقال على أحدهم روح وذلك كالارواح المخلوقة

مقدرة على قضية علمه وتدبيره اجراء العادة الحسنى فهو تعالى مصور الصور ومصور مصورية الاخلاق سواه ولا مصور الا هو ولذلك شدد الوعيد على من اتخذ الاصنام والله تعالى اعلم فامعن النظر فى هذا المبحث فانك لا تجده فى كتاب والله تعالى يتولى هداك

(المبحث الثانى والعشرون فى بيان انه تعالى مرئى للمؤمنين فى الدنيا بالقلوب وفى الآخرة لهم بالابصار بلا كيف فى الدنيا والآخرة اى بعد دخول الجنة وقبله)

كما ثبت فى احاديث الصحيحين الموافقة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والمخصصة ايضا لقوله تعالى لا تدركه الابصار اى لا تراه قال جمهور المتكلمين والاصوليين وتكون رؤية المؤمنين لربهم فى الآخرة بالانكشاف المنزه عن المقابلة والجهة والمكان وذلك لان الرؤية نوع كشف وعلم للمدرك بالمرئى يخلقه الله تعالى عند مقابلة الحاسة له بابعاده فجاز ان يخلق هذا القدر بعينه من غير ان ينقص منه قدر من الادراك من غير مقابلة لهذه الحاسة اصلا كما كان صلى الله عليه وسلم يرانا من وراء ظهره وكما ان الحق تعالى يرانا من غير مقابلة ولا جهة باتفاقنا اذ الرؤية نسبة خاصة بين طرفى راء ومرئى فاذا اقتضت عقلا كون احدهما فى جهة اقتضت كون الآخر كذلك فاذا ثبت عدم لزوم ذلك فى احدهما ثبت مثله فى الآخر وخرج بقولنا يراه المؤمنون غير المؤمنين من الكفار فلا يرونه يوم القيامة ولا فى الجنة لعدم دخولهم لها قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون الموافق لقوله تعالى لا تدركه الابصار واختلفوا هل تجوز رؤيته تعالى فى الدنيا يقظة ومناما فقال بعضهم يجوز وقال بعضهم لا يجوز دليل جوازها فى اليقظة هو ان موسى عليه الصلاة والسلام طلبها حيث قال ارنى انظر اليك وهو عليه الصلاة والسلام لا يجهل ما يجوز ويمتنع عن ربه عز وجل ودليل المنع ان قوم موسى عليه الصلاة والسلام طلبوها فعوقبوا قال تعالى فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم قال الجلال المحلى رحمه الله تعالى واعترض هذا بان عقابهم انما كان لعنادهم وتعنتهم فى طلبها لا لامتناعها فى نفسها انتهى وقد استدل الجمهور على منع الرؤية فى الدنيا بقوله صلى الله عليه وسلم لن يرى احد منكم ربه حتى يموت وبذلك صح حملهم للآيتين السابقتين على عدم الرؤية فى الدنيا جمعا بينهما وبين ادلة الرؤية * واما دليل امتناعها فى النوم فلان المرئى فيه خيال ومثال وذلك محال على القديم سبحانه وتعالى ودليل المجيز له انه لا استحالة فى الرؤية فى المنام وقد ذكر العلماء وقوعها فى المنام لكثير من السلف الصالح منهم الامام احمد وحمزة الزيات والامام ابو حنيفة وكان حمزة الزيات يقول قرأت سورة يس على الحق تعالى حين رأيته فلما قرأت تنزيل العزيز الرحيم بضم اللام رد على الحق تعالى تنزيل بفتح اللام وقال انى نزلته تنزيلا وقال وقرأت عليه جل وعلا سورة طه فلما بلغت الى قوله وانا اخترتك فقال تعالى وانا اخترناك فهى قراءة برزخية وقد اجمع علماء التعبير على جواز رؤية الله تعالى فى المنام وانما بالغ ابن الصلاح فى انكارها تبعا لمن منع وقوعها من العلماء * واما رؤية الحق جل وعلا فى اليقظة لغير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمنعها جمهور العلماء واستدلوا لذلك بقوله تعالى لا تدركه الابصار وبقوله تعالى لموسى لن ترانى وبقوله صلى الله عليه وسلم لن يرى احدكم ربه حتى يموت رواه مسلم فى كتاب الفتن فى صفة الدجال اما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد اختلف الصحابة فى وقوع الرؤية له ليلة المعراج قال الجلال المحلى رحمه الله والصحيح نعم واليه استند القائل بالوقوع فى الجملة لكن روى مسلم عن ابى ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال نور انى اراه بتشديد نون انى مفتوحة وضمير اراه لله تعالى اى حجبنى النور المغشى للبصر عن رؤيته انتهى ما قاله الشيخ جلال الدين المحلى والشيخ كمال الدين بن ابى شريف فى حاشيته * وعبارة الشيخ ابى طاهر القزوينى فى كتاب سراج العقول فى هذه المسئلة

من أنفاس الذاكرين الله قال فاعلم أن الله تعالى يحيى نفسه وليا ولم يعلم نفسه

فينبغي كونه أخبرنا وشيخ قطاعنا وأمرنا ونهانا وقلنا له سمعنا وأطعنا وليست النبوة بأمر زائد على هذا وأطال فى أمثلة الامر والنهى (وقال) فى الباب السابع والخمسين ومائة ينبغى للواعظ أن يراقب الله فى وعظه ويجتنب كل ما كان فيه تجرؤ على انتهاك المحرمات مما ذكره المؤرخون عن اليهود من ذكر زلات الانبياء كداود ويوسف عليهما السلام مع كون الحق تعالى أثنى عليهم واصطفاهم ثم الداهية العظمى أن يجعل ذلك فى تفسير القرآن ويقول قال المفسرون كذا وكذا مع كون ذلك كله تأويلات فاسدة بأسانيد واهية عن قوم غضب الله عليهم وقالوا فى الله تعالى ما قصه علينا فى كتابه وكل واعظ ذكر نحو ذلك فى مجلسه مقته الله وملائكته لكونه ذكر لمن فى قلبه مرض من العصاة حجة يحتج بها ويقول اذا كان مثل الانبياء وقعوا فى مثل ذلك فايش أنا فعلم ان الواجب على الواعظ ذكر الله وما فيه تعظيمه وتعظيم رسله وعلماء أمته وترغيب الناس فى الجنة وتحذيرهم من النار وأهوال الموقف بين يدى الله عز وجل فيكون مجلسه كله رحمة

(قلت) وكذلك لا ينبغى له أن يحقق المناط فى نحو قوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا نحو قوله منكم من

واعلم ان اكثر المتكلمين من الفرق ينكرون جواز رؤية الله تعالى فى المنام فضلا عن اليقظة لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتجوا فى ذلك بان ما يراه النائم يكون مصور الامثلة ولا صورة للرب تعالى وانه يراه بواسطة مثال مناسب له ولا مثل ولا مثال لله رب العالمين قال تعالى فلا تضربوا لله الامثال وقال ليس كمثله شئ وقال ولم يكن له كفوا احد قال فمن رأى من ذلك شيأ وتخيل انه الاله فذلك من اراءة الشيطان وتخييله واغوائه وتضليله اوهو مشبه يعتقده كذلك فى اليقظة وأطال فى ذلك ثم قال والذى عليه جمهور مشايخ السلف رضى الله تعالى عنهم انه يجوز رؤية الله تعالى فى صورة فى المنام وبه جاءت الاحاديث نحو قوله صلى الله عليه وسلم خير الرؤيا ان يرى العبد ربه فى منامه او يرى نبيه أو يرى ابويه ان كانا مسلمين وقوله صلى الله عليه وسلم رأيت ربى فى احسن صورة الحديث وقال محمد بن سيرين من رأى ربه فى المنام دخل الجنة قالوا وتكون رؤية الله تعالى بواسطة مثال يليق به منزه عن الشكل والصورة فيكون تجليه فى ذلك المثال كتفهيم الحق تعالى كلامه القديم لعباده بواسطة الحروف والاصوات مع تنزيه كلامه تعالى عن ذلك فكما ان الكلام الازلى منزه عن الصوت والحروف الحادثين و يفهم بواسطتهما كلام الله القديم فكذلك يجوز ان تكون ذاته الازلية المنزهة عن الصورة والشكل ترى بواسطة مثال يناسبها بادنى معنى فيكون كالمثل بفتح المثلثة المذكور فى القرآن فى قوله مثل نوره كمشكاة لا كالمثل بسكون المثلثة الذى يوجب المماثلة من كل وجه أما اذا رآه فى صورة لا تناسب جلال الصمدية فى معنى ما فالرائى ممن عبث به الشيطان (فان قيل) ان رؤية الله تعالى على ما هو عليه فى ذاته غير ممكن لعدم صحة المثل والمثال فى نفس الامر والنائم لا يرى شيأ فى المنام الا بصورة ومثل (فالجواب) اذا تجلى الحق تعالى بذاته المقدس لعبد فى منامه فالروح تعرف بالفطرة الاولية انه هو الاله الحق بخلاف سائر رؤياه المحتاجة للتعبير اذ النفس بآلاتها الخيالية لا تستطيع رؤية من لا صورة له ولكن تتصوره بوسائط وامثلة ثم تذهب الامثلة كالزبد يذهب جفاء و يبقى معها رؤية الله تعالى حقا كما ان كلام الله القديم يتعلمه الناس بأمثلة الحروف فى اللوح ثم يمحى اللوح و يبقى القرآن فى الحفظ

* قال الشيخ ابو طاهر رحمه الله فعلم انه لا يلزم من كون الشئ لا صورة له أن لا يرى فى صورة على ما قررناه ألا ترى أن كثيرا من الاشياء التى لا اشخاص لها ولا صورة ترى فى المنام بامثلة تناسبها بادنى معنى ولا يوجب التشبيه ولا التمثيل وذلك كالمعانى المجردة مثل الايمان والكفر والشرف والقرآن والهدى والضلال والحياة الدنيا ونحو ذلك فاما الايمان فكقول النبى صلى الله عليه وسلم رأيت الناس فى المنام يعرضون منهم من قميصه الى كعبه ومنهم من قميصه الى انصاف ساقيه فجاء عمر بن الخطاب وهو يجر قميصه فقالوا يا رسول الله ما أولت ذلك قال الايمان فالايمان لا شكل له ولا صورة ولكن جعل القميص له مثالا فرؤى بواسطته وكذلك الكفر يمثل فى المنام بالظلمة وكذلك الشرف والعز يرى بواسطة صورة الفرس وكذلك يمثل القرآن باللؤلؤ و يمثل الهدى بالنور والضلالة بالعمى ولا شك ان بين هذه الاشياء مضاهاة لتلك المعانى المرئية وتجسد المعانى لا ينكره العلماء بالله تعالى قال وموضع الغلط فى ذلك ان منع رؤية الله فى صورة ظنه ان المثل بفتحتين كالمثل بكسر الميم وسكون المثلثة وذلك خطأ فاحش فان المثل بالسكون يستدعى المساواة فى جميع الصفات كالسوادين والجوهرين و يقوم كل واحد منهما مقام الآخر من جميع الوجوه فى كل حال بخلاف المثل بفتحتين فانه لا يشترط فيه المساواة من كل وجه وانما يستعمل فيما يشاركه بادنى وصف قال تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء والحياة لا صورة لها ولا شكل والماء ذو شكل وصورة وقد مثل الله تعالى به الحياة وكذلك قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وغير ذلك فعلم انه لا مثل لله تعالى ولكن له المثل الاعلى فى السموات والارض قال

تريد الدنيا ومنكم من تريد الآخرة وقوله ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فان القامة اذا ضعو وامثل ذلك استهانوا بالصحابة ثم احتجوا بافعالهم والله تعالى أعلم * وقال فى الباب التاسع والخمسين ومائة لا تكون الرسالة قط الا بواسطة روح قدسى ينزل بالرسالة على قلبه واحيانا يتمثل له رجلا وكل وحى لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية وانما يسمى وحيا أو الهاما أو نفثا او القاء ونحو ذلك قال والفرق بين النبى والرسول ان النبى انسان أوحى اليه بشرع خاص به فان قيل له بلغ ما أنزل اليك اما لطائفة مخصوصة كسائر الانبياء واما عامة ولم يكن ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم وحده سمى بهذا الوجه رسولا وان لم يخص فى نفسه بحكم لا يكون لمن بعث اليهم فهو رسول لا نبى واعنى نبوة التشريع التى ليست للاولياء فعلم ان كل رسول لم يخص بشئ فى نفسه مع التبليغ فهو رسول ونبى فما كل رسول نبى على ما قررناه ولا كل نبى رسول بلا خلاف وأطال فى ذلك وقال فى الباب الحادى والستين ومائة قد انكر أبو حامد الغزالى مقام القربة الذى بين الصديقية والنبوة وقال ليس بينهما مقام ومن تخطى مقام الصديقين وقع فى النبوة والنبوة باب مغلق قال الشيخ محيى الدين والحق أن

ومن هنا جوز الا كثرون من السلف الصالح جواز تجليه تعالى لعبده فى المنام كما مر فى الامثال وأطال فى ذلك ثم قال واللسان يقصر حقيقة عن البيان لانها امور ذوقية لا تضبطها عبارة والله تعالى اعلم هذا ما رأيته فى كتب المتكلمين * واما ما رأيته فى كتب الصوفية فمن افصحهم عبارة فيه الشيخ محيي الدين رضى الله تعالى عنه فقال فى الباب الرابع والستين من الفتوحات اعلم انه لا ينبغى لمسلم أن يتوقف فى رؤية الله تعالى فى المنام لانه لا شئ فى الا كوان أوسع من عالم الخيال وذلك انه يحكم بحقيقته على كل شئ وعلى ما ليس بشئ ويصور لك العدم المحض والمحال والواجب فضلا عن الممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا ويريك العلم لبناء الاسلام قبة والثبات فى الدين قيدا قال ودليلنا فيما قلنا قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله ووجه الشئ حقيقته وعينه فقد صور الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلى الصورة والتصوير فعلم ان كل ما جاز وقوعه فى المنام والدار الآخرة جاز وقوعه وتعجيله لمن شاء فى اليقظة والحياة الدنيا انتهى * وقال ايضا فى علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة لا يصح لانسان قط ان يعبر عن حقيقة ما طريقه الذوق من غير تكييف كرؤية الله عز وجل ابدا واطال فى ذلك ثم قال واذا صح ان العقل يدرك الحق تعالى جاز ان يدركه بالبصر من غير احاطة لانه لا فضل لمحدث على محدث من حيث الحدوث وانما الفضل من حيث الصفات الجميلة ومن قال ان الحق تعالى يدرك عقلا ولا يدرك بصرا فقد لاعب لا علم له بحكم العقل ولا بحكم البصر ولا بالحقائق على ما هى عليه وذلك كالمعتزلة فان هذه رتبتهم وكل من لا يفرق بين الامور العادية والطبيعية فلا ينبغى لاحد الكلام معه فى شئ من الامور العلمية ولولا ان موسى عليه الصلاة والسلام فهم من الامراد كلام ربه بارتفاع الوسائط ما اجراه على طلب الرؤية ما فعل فان سماع كلام الله تعالى بارتفاع الوسائط عين الفهم فلا يفتقر الى فكر وتأويل فلما كان عين السمع فى هذا المقام عين الفهم سأل الله الرؤية ليعلم قومه ومن له هذه المرتبة من الله تعالى يعلم ان رؤية الله تعالى ليست بمحال انتهى * وقال ايضا فى الباب التسعين من الفتوحات اعلم ان اعظم نعيم فى الدنيا والآخرة نعيم رؤية البارى جل وعلا لكن هنا دقيقة وهى ان الالتذاذ برؤيته تعالى انما هو راجع الى رؤية المظاهر التى يتجلى الحق تعالى فيها تنزلا للعقول لا الى الذات المتعالى وايضاح ذلك ان الالتذاذ بالرؤية لا يكون الا برؤية من بيننا وبينه مجانسة ومناسبة ولا مناسبة بيننا وبين الحق تعالى بوجه من الوجوه (فان قيل) فكيف الرؤية (فالجواب) ان الحق تعالى اذا اراد ان يتفضل على عبد من عبيده المختصين بان يحصل له الالتذاذ برؤيته اقام له مثالا يتخيله فى عقله مطابقا له لقوله تعالى ولا يحيطون به علما وتقدم فى الكتاب ان مراد من يقول ان الحق تعالى اذا احيط عبدا به احاط به هو علمه بانه تعالى لا يحاط به فهذا هو معنى الاحاطة * وقال أيضا فى الباب الثامن والتسعين ومائة اذا اراد الله عز وجل ان يرى عبدا من عبيده نفسه تعالى فلا بد من فناء العبد عن شهود نفسه عند التجلى وتجرد الروح وحينئذ ترى ربها كما يراه الملائكة ثم اذا أراد الحق تعالى ان ينعم عبده ويلذذه برؤيته ومشاهدته فلا بد من ارسال الحجاب فيقع التلذذ بالشاهد قال وهذه مسئلة من الاسرار ما اظهرتها باختيارى وانما كنت فى اظهارها كالمجبور انتهى * وعبارته فى كتاب لواقح الانوار اعلم انه لا بد من فناء المشاهد عند رؤية البارى جل وعلا فيغيب عن حسه وعن لذته لان النفس احدية الذات ليس فى قدرتها ان تشتغل بامرين معا فى آن واحد فلا بد ان تكون متوجهة بكليتها الادراك الرؤية او قبولها فاذا اشهدك تعالى نفسه افناك عنه فلا تجد الخطاب محلا يتوجه عليه واذا كلمك اوجدك لانه لا بد للقبول من محل حتى تقبل الخطاب والا فلا فائدة للخطاب انتهى * وكان ابو العباس السارى احد شيوخ الطائفة الا كابر يقول ما التذ عاقل قط بمشاهدة الحق تعالى وذلك لانها

الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الآية اعلم انه ينبغى للداعى أن لا يطمع قط فى مال المدعوين ولا فى جدهم ولا تنازعم عليه فان مرتبة الداعى شرطها ان تكون اعلى من مرتبة المدعو فلا ينبغى له ان يخلع ثوبا ألبسه الله اياه وأطال فى ذلك * ثم قال فمن لم يكن غنى النفس عما بايدى الناس فليبدأ بنفسه يعظها حتى يتخلص من الركون للخلق ثم يدعو كما دعت الرسل وكمل ورثتهم قال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم تنبيها على مقام الكمال لان الانسان لا يأمر الناس بشئ الا ان كان هو قد عمل به فافهم والله أعلم * وقال فى الباب السادس والستين ومائة فى قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب أى آتيناه الحكمة عملا وفصل الخطاب قولا قال والحكمة هى علم بعلوم خاص ومن شرطها انها تحكم ويحكم بها ولا يحكم عليها وبذلك سمى الرسن الذى يحكم بها الفرس حكمة فكل علم له هذا النعت فهو النعت * وقال فى الباب السابع والسبعين ومائة ليس من شأن اهل

الله ان يتصرفوا بنفطة كن اذا أعطوها فربما يكون ابتلاء واختبارا او جعلوا ادلها بسم الله فى

فناء ليس فيها لذة ووافقه على ذلك الشيخ في الفتوحات وقال في لواقح الانوار ايضا اذا اقامك الحق تعالى في مشهد ما واشهدك نفسك معه فانت من ابعد الابعدين لان نفسك كون واين الكون في لرتبة من رب العالمين لكن لك حينئذ حقيقة المجاورة المعنوية وهي انه ليس بينك وبين الله تعالى امر زائد كما ليس بين الجوهرين المتجاورين حيز ثالث ولله المثل الاعلى قال ثم ان هذه المجاورة لا يتعقلها الا اهل الكشف * وفي حديث الطبراني وغيره مرفوعا بين العبد وبين ربه سبعون الف حجاب من نور وظلمة فما من نفس تسمع بشئ من حس تلك الحجب الازهقت انتهى وفي رواية اخرى ان الله تعالى سبعين الف حجاب بينه وبين خلقه لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما ادركه بصره من خلقه (فان قيل) فكيف رؤية البارى جل وعلا لخلقه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والسبعين ومائة ان صورة نظر الحق تعالى الى العالم انه ينظر اليه بعين الرحمة لا بعين العظمة كما يليق بجلاله تعالى ولهذا ثبت العالم معه تعالى عند الرؤية ولو انه تعالى نظر الى العالم بعين العظمة كما يليق بجلاله لاحترق العالم كله بسبحات وجهه كما رأيتنا في الحديث قال وهذه الرحمة هي عين الحجاب الذي بين العالم وبين السبحات المحرقة فهي كالعماء الذي اخبر الشارع ان الحق تعالى كان فيه قبل ان يخلق الخلق واكثر من ذلك لا يقال * وقال الشيخ في باب الاسرار ادا عوين الحق تعالى فلا يعاين الا من حيث العلم والمعتقد والله اجل واعلى من ان يحاط بذاته انتهى * وقال في باب الوصايا من الفتوحات اعلم ان من علامة صدق من يدعى انه يشاهد الحق تعالى انه اذا عكس مرآة قلبه الى الكون يعرف ما في ضمائر جميع الخلق ويصدقه الناس على ذلك الكشف (فان قلت) فما الفرق بين الرؤية وبين الشهود الذي تقول به الطائفة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والستين وماتين ان الرؤية لا يتقدمها علم بالمرئى ابدا والشهود يتقدمه علم بالمشهود وهو المسمى بالعقائد ولهذا يقع الاقرار والانكار في الرؤية يوم القيامة لانهم راوا من لم يتقدم لهم به علم بخلاف الشهود فانه لا يكون فيه الا الاقرار لا الانكار وايضاح ذلك ان الشاهد ما سمى شاهدا الا لكونه ما رآه يشهد بصحة ما اعتقده قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه اى يشهد له بصحة ما اعتقده قال ومن هنا سأل موسى الرؤية بقوله أرنى انظر اليك وما قال اشهدنى لانه تعالى كان مشهودا له ما غاب عنه وكيف يغيب عن رسول كريم ولا يغيب عن الاولياء فما طلب موسى الا الرؤية الخاصة بالانبياء في الآخرة ليعجلها الله تعالى له في الدنيا حين طلب مقامه ذلك واما شهوده الحق تعالى مثل ما يشهده الاولياء فذلك حبوة رز برية من حيث مقام ولايته انتهى * وقال في كتاب الواقع ايضا من الفرق بين الرؤية والشهود ان الشهود هو ما تمسكه في نفسك من شاهد الحق المشار اليه بحديث اعبد الله كأنك تراه فقوله كأنك تراه هو شاهد الحق الذي اقمته في نفسك كأنك تراه قال وهذه درجة التعليم ثم يرتقى منها الى درجة الخصوص وهي علمك بان الله يراك ولا تراه وذلك لانك ضبطت شهوده تعالى في قلبك عند صلاتك مثلا في جهة القبلة فقد اخليت شهودك عن بقية الوجود المحيط بك واذا تحققت بذلك علمت عجزك عن الاحاطة به تعالى لانك مقيد وهو تعالى مطلق وانت ضيق وهو تعالى واسع وحينئذ تنتفى مع نظره المحقق اليك لا مع نظرك انت اليه لان نظرك يقيده ويحدده وهو المنزه عن القيود والحدود فاذن الشهود له المعرفة والرؤية لها الكشف التام انتهى (فان قلت) فمتى يخرج العبد عن القول بالجهة (فالجواب) كما قاله سيدى على بن وفا رحمه الله انه لا يخرج عبد عن القول بالجهة الا ان نفذ كشفه من اقطار السموات والارض واعطاه الله تعالى شيأ من علمه تعالى قال واما من تقيد كشفه بالسموات والارض او البرزخ والجنة والنار فلا يرى ربه

بكل فعل أراده قال وانما استعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ليعلم خواص اصحابه بعض اسرار الله في خلقه وما سمع منه قبل ذلك ولا بعده تصرف بها * وقال فيه لم نعرف من الاسماء الالهية اسما يدل على الذات في جميع ما ورد علينا في الكتاب والسنة الا الاسم الله على خلاف في ذلك لانه اسم علم لا يفهم منه الا الذات المسمى ولا يدل على مدح ولا ذم وهذا في مذهب من لا يرى انه مشتق من شئ ثم على قول الاشتقاق هل هو مقصود للمسمى او ليس بمقصود للمسمى كما اذا سمينا شخصا بزيد على طريق العلمية وان كان هو فعل من الزيادة ولكن ما سميناه به لكونه يزيد وينمو في جسمه وعلمه مثلا وانما سميناه به لنعرفه ونصيح به اذا اردناه فمن الاسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد فاذا قيلت على هذا فهى اعلام واذا قيلت على طريق المدح فهى اسماء صفات وبهذا اورد جميع الاسماء الحسنى ونعت بها كلها ذاته سبحانه وتعالى من طريق المعنى واما الاسم الله فنعت به من طريق الوضع اللفظى فالظاهر ان الاسم الله للذات كالعلم ما اريد به الاشتقاق وان كانت فيه رائحة الاشتقاق كما قاله بعضهم قال واما اسماء الضمائر فانها تدل على الذات بلاشك وما هي مشتقة مثل لفظة

الا فى جهة انتهى (فان قلت) فاذن ما رأى احد ربه الا بصورة استعداده فى نفسه وتعالى الله عن ذلك فى علو ذاته (فالجواب) نعم ما رأى عبد ربه الا بقدر وسعه غير ذلك لا يكون اذلو صح ان يرى عبد فوق مرتبته لبطل اختصاص الانبياء والاولياء على بعضهم ورقى الاولياء فى سلم الانبياء وذلك محال (فان قلت) فاذن ما رأى العبد الا صورة نفسه فى مرآة معرفة الحق وما رأى الحق حقيقة (فالجواب) نعم وهو كذلك فحكمه كالانسان الذى رأى وجهه فى المرآة المحسوسة فانه يرى صورة نفسه حاجبة له عن شهود جرم المرآة * قال الشيخ محيي الدين فى لواقح الانوار وما ثم مثال اقرب ولا اشبه بالرؤية والتجلى من رؤية الشاهد وجهه فى المرآة واجهد يا اخى فى نفسك عندما ترى الصورة فى المرآة ان ترى جرم المرآة لا تراه ابدا بل تنطبع صورتك فى المرآة قبل فوتك بالرؤية فلا يقع بصرك الا على صورة نفسك فلا تطمع ولا تتعب نفسك فى ان ترقى الى أعلى من هذا المرقى فما هو ثم اصلا وليس بعده الا العدم المحض * فليتأمل ويحرر فانه يوهم ان المرئى فى الآخرة لجميع الناس غير الحق ولا يخفى ما فيه (فان قلت) فما سبب تفاضل الناس فى الرؤية كمالا ونقصا مع ان المرئى سبحانه وتعالى لا تقبل ذاته الزيادة ولا النقصان (فالجواب) سبب التفاضل كونهم لا يشهدون فى مرآة معرفة الحق تعالى الا حقائقهم ولو انهم شهدوا عين الذات لتساووا فى الرؤية ولم يصح بينهم تفاضل ولكن اين حقائق الانبياء من غيرهم (فان قلت) فهل يتفاوتون فى الآخرة كما تفاوتوا فى الدنيا (فالجواب) نعم فان تفاوتهم فى الآخرة فرع عن تفاوتهم فى الدنيا وقد قال الشيخ فى الباب الحادى والثلاثين وثلثمائة اعلم ان رؤية المؤمنين لربهم فى الآخرة تابعة لاعتقادهم الذى كانوا عليه فى دار الدنيا فيجنى كل احد ثمرة ما كان يعتقده فرؤيتهم على قدر علمهم بالله تعالى وعلى قدر ما فهموه ممن قلدوه من العلماء وكما انهم متفاضلون فى النعيم واللذة فمنهم من حظه من النظر الى ربه لذة عقلية ومنهم من حظه من ذلك لذة نفسية ومنهم من حظه من ذلك لذة حسية ومنهم من حظه من ذلك لذة خيالية ومنهم من حظه من ذلك لذة مكيفة ومنهم من حظه لذة يقال بتكييفها ومنهم من حظه لذة لا يقال بتكييفها ومنهم من هو مقلد فى علمه بالله بحسب ما ألقى اليه عالمه اوعلى حسب ما عنده من العلم واما على قدر ما يخيله عقله فقط ومنهم من هو غير مقلد وهكذا (فان قلت) فما اكمل الرؤية التى تقع للخلق (فالجواب) اكمل الرؤية رؤية الانبياء ثم رؤية كمل اتباعهم فان الكمل لا يرون ربهم الا فى مرآة نبيهم المأخوذة من شرعه الثابت عنه واعلم ان عدد رؤية كل عبد للحق فى الآخرة تكون على قدر مجالسته للحق تعالى فى جميع المأمورات واجتناب المنهيات على الكشف والشهود فتزيد الرؤية والمعرفة بزيادة الطاعات وتنقص بفعل المنهيات وكل من قلت مجالسته للحق تعالى بجهله فيما لم يجالسه فيه والسلام (قلت) وانما كانت مرآة نبينا صلى الله عليه وسلم اكمل المرايا لانها حاوية لجميع مرايا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ودون ذلك فى المرتبة من يرى ربه فى مرآة نبى من الانبياء ثم فى مرآة احد من الاولياء فعلم ان الكامل من لا يطأ مكانا لا يرى فيه قدم نبيه ابدا (فان قلت) فالذين ينكرون الحق تعالى فى تجليات الآخرة هل هم مسلمون (فالجواب) نعم هم مسلمون بقرينة قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث التجلى فاذا كشف عن ساقه خروا ساجدين وقالوا انت ربنا وهنا اسرار يذوقها اهل الله لا تسطر فى كتاب والله تعالى اعلم (فان قيل) فاذا وقع الانكار من هؤلاء فهل يكون المقربون من الانبياء والاولياء حاضرين فان كانوا حاضرين فلم لم يرشدوهم الى ان المتجلى لهم هو الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى شرحه لترجمان الاشواق أن الانكار اذا وقع يكون الانبياء والعارفون واقفين بمعزل عن هؤلاء المنكرين وانما لم يرشدوا المنكرين لتلك التجليات لانهم يعرفون من الحق تعالى انه طالب منهم ان يستروه

هو وذا وانا وانت ونحن والياء من انى والكاف من انك فاما هو فهو اسم الضمير الغائب واما ذا فهى من اسماء الاشارة مثل قوله ذلكم الله ربكم وكذلك لفظة ياء المتكلم مثل قوله فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى وكذلك لفظة انت وتاء المخاطب مثل قوله كنت انت الرقيب عليهم ولفظة نحن ولفظة انا مشددة ولفظة قوله نا من قوله انا نحن نزلنا الذكرى وكذلك حرف كاف الخطاب نحو انك انت العزيز الحكيم فهذه كلها اسماء ضمائر واشارات وكنايات نعم كل مضمر ومخاطب ومشار اليه ومكنى عنه وامثال هذه ومع ذلك فليست اعلاما ولكنها اقوى فى الدلالة من الاعلام فان الاعلام قد تفتقر الى النعوت وهذه لا افتقار لها قال واما لفظة هو فهى اعرف عند اهل الله من الاسم الله فى اصل الوضع لانها تدل على هوية الحق التى لا يعلمها الا هو واطال فى ذلك * قلت وذكر الشيخ ايضا فى الباب التاسع والسبعين وثلثمائة ما نصه اعلم انه ثم اسماء الهية تطلب العالم ولا بد كالاسم الرب والقادر والخالق والنافع والضار والمحيى والمميت والقاهر والمعز والمذل ونحو ذلك وثم اسماء الهية لا تطلب العالم ولكن تستروح منها نفس من اسماء العالم كالغنى والعزيز والقدوس وامثال هذه لا [illegible] تعالى اسماء تدل على ذاته خاصة من

عن أولئك المنكرين ليجني كل احد ثمرة علمه به في دار الدنيا (فان قيل) فاذا كان الكافرون لا يرون ربهم فما صورة عدم رؤيتهم له (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الاسرار انما صورة عدم رؤيتهم له تعالى انهم يرونه ولكن لا يعلمون انه هو فحجابهم عن ربهم جهلهم به فلا يرونه ابد الآبدين ودهر الداهرين انتهى (فان قيل) فهل تكون الرؤية للمؤمنين بباصر العين كما في الدنيا أم تكون بجميع عيونهم (فالجواب) كما قاله الشيخ تقي الدين بن ابي المنصور ان رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة تكون بجميع اجسادهم وذلك لكمال النعيم الابدي فلا تتقيد رؤيتهم له تعالى بباصر العين بل كلهم ابصار قال وبعضهم يراه بجميع وجهه فقط اهـ (فان قيل) فهل يلزم ان يكون ما يشهده المؤمن بقلبه من الله تعالى هو المطلوب لوسعه تعالى وتعاليه عن الحصر والتقييد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين وثلثمائة لا يلزم من شهود العبد ربه بقلبه ان يكون هو المطلوب باعلام من الله تعالى فيجعل للعبد في نفسه علما ضروريا مثل ما يجد النائم في نومه من رؤية الحق جل وعلا او رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجد الرائي في نفسه العلم الضروري بأن ذلك المرئي هو الله عز وجل او رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك لوقوع المرئي مطابقا لما هو الامر عليه فيما يراه اذ لا يدرك احد الحق تعالى الا هكذا واما بالنظر والفكر فلا كما مر في مبحث ان حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق (فان قيل) فهل النور الذي يرى الحق تعالى فيه في الآخرة نور له شعاع كما رآه صلى الله عليه وسلم في دار الدنيا أم هو نور لا شعاع له (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين وثلثمائة ان النور الذي يرى الحق تعالى فيه في الآخرة نور لا شعاع له فلا يتعدى ضوءه نفسه ويدركه البصر في غاية الوضوح وذلك ليخالف النور الدنيوي وذلك لما قيل له صلى الله عليه وسلم أرأيت ربك فقال نور أنى أراه يقول كيف أراه وهو نور شعشعاني والاشعة تذهب بالابصار وتمنع من ادراك من تنشق عنه تلك الاشعة فلا يدرك تعالى في ذلك النور لاندراج نور الادراك فيه فلذلك لم يدركه مع ان من شأن النور أن يدرك ويدرك به كما ان من شأن الظلمة ان تدرك ولا يدرك بها قال واذا عظم النور أدرك ولم يدرك به لشدة الطافته ثم انه لا يكون ادراك قط لا بنور من المدرك زند من ذلك عقلا وحسا (فان قيل) من شرط الرؤية ان تعطيه رؤيته العلم بالمرئي والاحاطة به ورأينا الذي يرى الحق لا ينضبط له رؤية لمخالفة حقيقته لسائر الحقائق فكيف يقال انه رأى ربه عز وجل (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والاربعين واربعمائة أن رؤية الحق تعالى لا يصح فيها احاطة ولا تدخل تحت هذا الحد وغاية العلم ان يعلم الرائي له عند الرؤية انه ما رآه والا فلو صح له ان يراه حقيقة لعلمه وكيف يعلمه وقد رأى تنوع صور التجليات على قلبه في حال رؤيته له تعالى وقد قال موسى عليه الصلاة والسلام رب أرني انظر اليك قال لن تراني والنكتة في سبب قوله لن تراني كونه قال انظر اليك بالهمزة ولو انه قال ننظر اليك بالنون او التاء لربما لم يكن الجواب لن تراني مع ان السؤال مجمل في قوله انظر والجواب كذلك مجمل في قوله لن تراني وايضاح ذلك ان الرؤية بادرة الى رؤية العين اي لن تراني بعينك لان المقصود بالرؤية حصول العلم بالمرئي وانت لا تزال ترى في كل رؤية خلاف ما رأيته في الرؤية التي تقدمت فلا يحصل لك علم بالمرئي في رؤيتك له تعالى ابدا فصح قوله لن تراني لاني ما أقبل من حيث ما أنا عليه في ذاتي التنوع وانت لا ترى ربك اذا رأيته الا متنوعا في الصفات وانت ما تنوعت ايضا فما رأيتني ولا رأيت نفسك وقد رأيت ولا بد ان تقول رأيت الحق وانت ما رأيتني حقيقة وكذلك لا بد ان تقول رأيت نفسي وما رأيت نفسك حقيقة وما ثم الا انت والحق تعالى ولا واحدا من الحق والخلق رأيت وانت تعلم انك رأيت فما هذا الذي رأيت فرجع المعنى ان تراني بعينك الا ان امددتك بالقوة الالهية قال وهذا من مشاهد الحيرة

غير تعقل معنى زائد على الذات أبدا فانه ما ثم اسم الاعلى احد امرين اما يدل على فعل وهو الذي يستدعي العالم ولابد واما يدل على تنزيه وهو الذي يستروح منه صفات نقص كوني تنزه الحق تعالى عنها غير ذلك ما اعطانا الله فما ثم اسم علم ما فيه سوى العلمية لله تعالى أصلا لا ان كان ذلك في علمه وما استأثر به في غيبه مما لم يبده لنا * قال وسبب ذلك انه تعالى ما أظهر اسماءه لنا الا للثناء بها عليه فمن المحال ان يكون فيها اسم علم أصلا لان الاسماء الاعلام لا يقع بها ثناء على المسمى لكنها اسماء اعلام للمعاني التي تدل عليها وتلك المعاني هي التي يثنى بها على من ظهر عنده احكامها فينا وهو المسمى بمعانيها والمعاني هي المسماة بهذه الاسماء اللفظية كالعالم والقادر وباقي الاسماء فلله الاسماء الحسنى وليست الا المعاني لا هذه الالفاظ لان الالفاظ لا تتصف بالحسن والقبح الا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها لا لاعتبارها من حيث ذاتها فانها ليست بزائدة على حروف مركبة ونظم خاص يسمى اصطلاحا انتهى * وذكر أيضا في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة ما نصه اعلم ان الاسم الله بالوضع انما مسماه ذات الحق تعالى عينها الذي بيده ملكوت كل شيء واطال في ذلك * ثم قال فعلم ان كل اسم الهي يتضمن اسماء التنزيه من

* وقال في الباب الاحد والاربعمائة انما قال تعالى لموسى لن تراني لان كل مرئي لا يصح للرائي ان يرى منه الا على قدر منزلته ورتبته لا غير ولو كان الرائي يحيط بالحق تعالى ما تفاوتت الرؤية ثم اقل حجاب يحجب العبد عن الاحاطة شغله برؤية نفسه حال تجلي الحق له فحجاب العبد عن ربه رؤية نفسه فما حجبنا الا انفسنا على انا لو زلنا عنا ايضا ما رأيناه لانه لم يبق ثم بعد زوال النامن يراه واذا لم نزل نحن فما رأينا في المرآة الصافية حينئذ الا انفسنا وقد نتوسع في العبارة فنقول انا رأيناه فلا يخرج احد عن الحيرة في الله تعالى انتهى (فان قلت) فاذن فما خر موسى صعقا الا لما كان عنده من العلم بالله تعالى قبل سؤال الرؤية (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والاربعين واربعمائة نعم ما صعقه الا ذلك ولكنه لم يكن يعلم من الحق تعالى قال تبت اليك اي لا اطلب رؤيتك على الوجه الذي كنت طلبتها اولا فاني قد عرفت ما لم اكن اعلمه منك وانا اول المؤمنين اي بقولك لن تراني لانك ما قلت ذلك الا لي وهو خبر فلذلك الحقه موسى عليه الصلاة والسلام بالايمان دون العلم ولو انه عليه الصلاة والسلام اراد مطلق الايمان بقوله لن تراني ما صحت له الاولية فان المؤمنين كانوا قبله ولكن بهذه الكلمة لم يكن مؤمن فكل من آمن بعد الصعق فقد آمن على بصيرة وهو صاحب علم في ايمان وهو مشهد عزيز فان العبد اذا انتقل من الايمان الى العلم الذي هو اوضح فكيف يبقى معه حجاب الايمان فلذلك كان خاصا بالكمل فيؤمنون بما هم به عالمون ليحوزوا اجر الايمان مع اجر العلم ويقال في احدهم انه مؤمن بما هو به عالم من عين واحد وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى الظاهر فراجعه ان شئت * وكان سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه يقول من العجب الامور قوله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام لن تراني اي مع ثبوتك ٣ كونك تراني على الدوام ولا تشعر بان الذي تراه هو انا انتهى (فان قلت) فهل يعلم الحق تعالى بالكشف (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الاسرار لا يصح ان يعلم الحق تعالى بالكشف وانما يرى به فقط كما انه تعالى يعلم بالعقل ولا يرى به قال وهل ثم لنا مقام يجمع بين الرؤية والعلم لا ادري اه (فان قلت) فكم ترجع صور التجلي الالهي الى مرتبة من العدد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة انها ترجع كلها الى صورتين صورة تنكر وصورة تعرف ولا ثالث لهما قال وقد ورد ان الله تعالى لما كلم موسى عليه الصلاة والسلام تجلى له في اثني عشر الف صورة وفي كل صورة يقول له يا موسى ليتنبه موسى فيعلم انه لو كان جميع التجلي بصورة واحدة لم يقل له في كل صورة وكلمة يا موسى انتهى (فان قلت) فكيف ثبت موسى عليه الصلاة والسلام لسماع كلام الله ولم يثبت لرؤيته (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخمسين واربعمائة انه انما ثبت لسماع كلام الله لان الحق تعالى كان سمعه عند النجوى يعني مؤيدا ومقويا السمع موسى عليه الصلاة والسلام لانه محبوب لله بلا شك وقد اخبر الحق تعالى انه اذا احب عبدا كان سمعه وبصره الحديث لكن قد يجمع الله تعالى ان شاء في هذا المقام الصفات كلها وقد يعطيه بعض الصفات على التدريج شيأ بعد شيء ولذلك صعق موسى عند التجلي اذ لم يكن الحق تعالى بصره اذ ذاك فلو انه تعالى ايده بالقوة في بصره كما ايده بها في سمعه لثبت للرؤية كما ثبت لسماع الكلام اذ لا طاقة للمحدث على رؤية الحق تعالى الا بتأييد الهي انتهى (فان قلت) فما السبب الذي دعا موسى عليه الصلاة والسلام الى سؤال الرؤية دون سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان كان هو شدة الشوق فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم اشد شوقا منه بيقين لان الشوق يعظم بشدة المعرفة بعظمة من وقع الاشتياق الى رؤيته وان كان الباعث له على ذلك هو التقريب فكل الانبياء مقربون (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والثلاثين وثلثمائة ان السبب الداعي له الى طلب الرؤية زيادة التقريب على

حيث دلالته على ذات الحق تعالى ولكن لما كان ما عدا الاسم الله من الاسماء مع دلالته على ذات الحق تعالى يدل على معنى آخر من نفي او اثبات من حيث الاشتقاق لم تقو احدية الدلالة على الذات قوة هذا الاسم كالرحمن وغيره من الاسماء الالهية الحسنى وقد عصم الله تعالى هذا الاسم العلم ان يتسمى به احد غير ذات الحق ولهذا قال في معرض الحجة على من نسب الالوهية الى غير الله تعالى قل سموهم فلو سموهم ما قالوا الا بغير الاسم الله فقد علمت ان الاسم الله يدل على الذات بحكم المطابقة كالاسماء الاعلام على مسمياتها واطال في ذلك فتامل هذا المحل وحرره والله يتولى هداك * وقال ليس في اسماء الله اسم مرادف قط للاتساع الالهي بل ليس في الوجود كله تكرار جملة واحدة * وقال في حديث ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة قد خرج بذلك ما اخذناه نحن من طريق الاشتقاق على جهة المدح فانها لا تحصى كثرة وهذه التسعة والتسعون اسما لم نقدر على تعيينها من وجه صحيح لان الاحاديث الواردة فيها كلها مضطربة لا يصح منها شيء وكل اسم الهي يحصل لنا من طريق الكشف فلا نورده في كتاب وان كنا ندعو به في نفوسنا لما يؤدي اليه ذلك من الانكار علينا واطال في ذلك * وقال في الباب الثامن

غيره من الانبياء ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم فان الحق تعالى لما اقام موسى فى مقام التقريب لم يتمالك ان يمنع نفسه عن سؤال الرؤية ومحمد صلى الله عليه وسلم منعه الادب ان يسأل ذلك مع انه كان بالاشواق الى رؤية البارى أكثر من موسى عليه الصلاة والسلام بيقين فلما اسلك مقام الادب لقوة تمكينه حفظ الله عليه المقام حتى دعاه تعالى الى رؤيته على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام وارسل له براقا يركب عليه تشريفا له على موسى عليه الصلاة والسلام فعلم ان موسى عليه الصلاة والسلام ما منع من الرؤية الا لكونه سألها عن غير وحى الهى ومقام الانبياء يقتضى المؤاخذة بالذرات فلذلك كان الجواب له ان ترانى من حيث سؤاله الرؤية ثم انه تعالى استدرك استدراكا لطيفا لما علم ان التأديب بلغ حده فى موسى من حيث سؤاله الرؤية بغير امر الله تعالى فقال له تعالى ولكن انظر الى الجبل فاحاله على الجبل فى استقراره عند التجلى حيث كان الجبل من جملة الممكنات فلما تجلى سبحانه وتعالى للجبل وهو محدث وتدكدك الجبل لتجليه علم كل عارف ان الجبل رأى ربه وان الرؤية هى التى اوجبت له التدكدك ومن هنا قال بعض المحققين اذا جاز ان يكون الجبل رأى ربه فما المانع لموسى ان يرى ربه فى حال تدكدك الجبل ويكون وقوع النفى على الاستقبال والآية محتملة فكان الصعق لموسى قائما مقام التدكدك للجبل ثم لما وقع التجلى للجبل واندك علم موسى انه وقع فيما لم يكن ينبغى له سؤاله وان كان الحامل له على ذلك كثرة الشوق فقال تبت اليك وأنا اول المؤمنين يعنى بوقوع هذا الجائز انتهى * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول ما اطمع موسى فى طلب الرؤية الا ما قام عنده من التقريب ومعلوم ان الرسل اعلم الناس بالله تعالى فهم يعرفون ان الحق تعالى مدرك بالادراك البصرى كما ينبغى لجلاله تعالى وعلى ذلك فما سأل موسى الا ما يجوز له السؤال فيه ذوقا ونقلا لا عقلا لان ذلك من محالات العقول انتهى * وقال فى الباب التاسع ومائتين انما احال الحق تعالى موسى عليه الصلاة والسلام على رؤية الجبل حين سأل رؤية ربه لان من صفات الجبل الثبوت يعنى ان ثبت الجبل اذا تجليت له فسترانى من حيث ما فى ذاتك من صفة ثبوت الجبال يقال فلان جبل من الجبال اذا كان يثبت عند الشدائد والامور العظيمة ولا يخفى ان الجبل ليس هو أكرم على الله تعالى من موسى وانما ذلك من حيث كون خلق الارض التى الجبل منها أكبر من خلق موسى الذى هو من الناس كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس اى فاذا كان الجبل الذى هو اقوى صار دكا عند التجلى فكيف يثبت لرؤيتى جبل موسى الذى هو جبل صغير من حيث الجرم انتهى (فان قيل) فلم رجع موسى الى صورته بعد الصعق ولم يرجع الجبل بعد الدك الى صورته (فالجواب) انما لم يرجع الجبل الى صورته لخلوه عن الروح المدبرة له بخلاف موسى عليه الصلاة والسلام رجع الى صورته بعد الصعق لكونه كان ذا روح فروحه هى التى امسكت صورته على ما هى عليه بخلاف الجبل لم يرجع بعد الدك الى كونه جبلا لعدم وجود روح فيه تمسك عليه صورته انتهى (فان قلت) قد قال اهل الكشف ان الجماد كله حى فما هذه الحياة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والتسعين وثلثمائة ان المراد بحياة الجماد كونه يسبح بحمد ربه وينزهه ويقدسه لا ان له اختيارا وتدبيرا كالحيوان المشهود * قال الشيخ ومن اعظم دليل سمعى على حياة الجماد قوله تعالى وان منها يعنى الحجارة لما يهبط من خشية الله فانه لا يوصف بالخشية الا حى دراك ولكن قد اخذ الله تعالى بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله تعالى كنحن واضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل سمعى فى ذلك لكشفنا عن حياة كل شئ عينا واسماعنا تسبيح الجماد ونطقه قال وكذلك اندكاك الجبل حين وقع له التجلى ما وقع منه الا لمعرفته بعظمة الله تعالى ولولا ما كان عنده من المعرفة ما تدكدك اذ الذوات لا تؤثر فى بعضها من

والسبعين ومائة معنى حبنا لربنا ان نحب الاشياء من اجله ونبغض الاشياء من اجله ليس غير ذلك لانتفاء المجانسة بينه تعالى وبيننا يقول الله عز وجل يوم القيامة لمن ادعى محبته هل واليت لى وليا او عاديت لى عدوا كما ورد * وقال فى قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة فى هذه الآية دليل على ان الله تعالى ما كلف عباده الا ما يطيقونه عادة فلم يكلفهم بنحو الصعود الى السماء بلا سبب ولا بالجمع بين الضدين ولو كانهم مثل ذلك ما كان يقول فلله الحجة البالغة وانما كان يقول فلله ان يفعل ما يريد كما قال لا يسئل عما يفعل لمن يقول فى نفسه كيف تأمرنا يا ربنا بامر لم تقسم لنا فعله او تنهانا عن شئ وقد قدرته علينا فهذا موضع لا يسئل عما يفعل * وقال بلغنى ان العصفور قال لزوجته حين راودها عن نفسها لقد بلغ بى من حبى لك ان لو قلت لى اهدم هذه القبة على سليمان لهدمتها لك فارسل سليمان خلفه وقال ما حملك على هذا القول الذى تعجز عنه فقال مهلا يا نبى الله ان المحبين انما يتكلمون بلسان المحبة والعشق لا بلسان العلم والعقل فضحك سليمان من قول الخطاف ولم يعاقبه (قلت) وفى هذه عذر عظيم لنحو سيدى عمر بن الفارض واضرابه فى تغزلاتهم فلا ينبغى اقامة موازين اهل العقول الكونية عليهم لانهم انما تكلموا بلسان

حيث هي ذات وبما يؤثر فيها معرفتها وانظر الى الملك اذا دخل الى السوق على هيئة العوام ومشى بينهم وهم لا يعرفونه كيف لا يقوم له وزن في نفوسهم ثم اذا لقيه في تلك الحالة من يعرفه من خواصه قامت بنفسه عظمته وقدره وأثر فيه علمه فاحترمه وتأدب معه وخضع له فاذا رأى الناس ذلك من هذا الخاضع الذي يعرفون قربه ومنزلته من الملك حارت اليه أبصارهم وخشعت له اصواتهم واوسعوا له في الشارع وتبادروا لرؤيته واحترامه فما أثر فيهم الا ما قام بهم من العلم فما احترموه حينئذ لمجرد صورته لانها كانت مشهودة لهم قبل علمهم بانه الملك فتأمل فعلم ان كونه ملكا ليس هو عين صورته وانما هي رتبة نسبية اعطته الحكم في العالم الذي هو تحت حكمه اهـ (فان قلت) قد ورد في الحديث ان العبد يناجي ربه في الصلاة في هذه الدار ومعلوم انه لا يصح ان يناجي الا من يتخيله مناجيا له كذلك فبم تميزت الدار الآخرة (فالجواب) تتميز الدار الآخرة بكون العبد هنالك يعرف من يناجيه ويسمع كلامه وهنا لا يعرفه ولا يسمع كلامه فلا بد من مزيد انكشاف للعبد في الآخرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لنا في هذه الدار اعبد الله كأنك تراه وقال في الدار الآخرة ما من أحد الا سيكلمه ربه كفاحا ليس بينه وبينه ترجمان الحديث وايضاح ذلك ان كل مدرك بشيء من القوى الظاهرة او الباطنة التي في الانسان لا بد ان يكون بتخيل ولولا ذلك التخيل ما سكن اليه فلا يقع السكون الا لمتخيل بفتح التحتية من متخيل بكسرها وجميع العقائد كلها تحت هذا الحكم ولهذا سميت عقائد فان العقائد محلها الخيال والخيال لا يصح ان يضبط امرا ابدا ولذلك كان من لازم صاحب الوهم قلة السلامة منه انتهى (فان قيل) فهل يقع من اهل الكشف في الدنيا انكار لشيء من التجليات الاخروية (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين وثلثمائة لا يقع من أهل الكشف شيء من الانكار للتجلي الاخروي وانما يقع ذلك من اصحاب النظر العقلي وذلك لانهم قيدوا الحق تعالى بما ادت اليه عقولهم المعقولة فلما لم يروا في الآخرة ما قيدوه بعقولهم في الدنيا انكروه ضرورة الا ان اراهم اذا وقع التجلي لهم بالعلامة التي كانوا قيدوه بها يقرون له بالربوبية ولو انه تعالى كان تجلى لقلوبهم بهذه العلامة اولا لما انكروه فعلم ان اهل الكشف لا يقع منهم انكار والسلام انتهى * وكان سيدي علي بن وفا رحمه الله يقول لا يقر بالحق تعالى في تجل من تجليات الآخرة الا اهل التنزيه المطلق الذي هو تجريد التوحيد عن شريك يقابله قال وهذا هو سر العيان الذي يستحيل معه الحجاب انتهى (فان قيل) اذا كان الحق تعالى واحدا لا ثاني له في نفس الامر فمن اين جاء الانكار (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الاسرار جاءهم الانكار من اختلاف الامزجة فكل واحد يصوب اعتقاد نفسه ويخطئ غيره وهو تعالى في نفسه واحد لا يتبدل ولا يتحول فالاعتقادات هي التي تنوعه وتفرقه وتجمعه وتعالى الله في علي ذاته من ذلك (فان قيل) فما علامة صدق من يرى الله تعالى بقلبه في هذه الدار على الكشف القلبي (فالجواب) علامته ان يراه من سائر الجهات الست من غير ترجيح لاحد الجهات على بعضها قال الشيخ محيي الدين في الباب السادس عشر ومائتين وقد ذقنا هذا المقام ولله الحمد قال وكذلك هي رؤية اهل الجنة في الجنة اذا رأوه بابصارهم تكون الرؤية مطلقة لا تتقيد بجهة انتهى (فان قلت) ان بعض المحققين منع رؤية الحق تعالى أيضا بالقلوب كالابصار فما وجهه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب العشرين واربعمائة ان وجه اطلاق الابصار في الآية اي لا تدركه الابصار من كل عين من اعين الوجوه واعين القلوب وذلك ان القلوب لا ترى الا بالبصر واعين الوجوه لا ترى أيضا الا بالبصر فالبصر حيث كان هو الذي يقع به الادراك فيسمى البصر في القلب عين البصيرة ويسمى في الظاهر بصر العين فكما ان العين في الظاهر محل البصر فكذلك البصيرة في الباطن محل العين الذي هو بصر في

العشق فانهم وسلم تسليما * وقال في الباب الرابع والثمانين ومائة كرامات الاولياء على قسمين حسية ومعنوية فالحسية العامة والمعنوية الخاصة قال والحسية هي مثل الكلام على الخاطر والاخبار بالمغيبات الماضية والكائنة والآتية والاخذ من الكون والمشي على الماء واختراق الهواء وطي الارض والاحتجاب عن الابصار واجابة الدعوة في الحال ونحو ذلك وأما الكرامة المعنوية عند الخواص فهي حفظ آداب الشريعة من فعل مكارم الاخلاق واجتناب سفسافها والمحافظة على اداء الواجبات مطلقا في اوقاتها والمسارعة الى الخيرات وازالة الغل للناس والحسد والحقد لهم وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الانفاس ومراعاة حقوق الله في نفسه وفي الاشياء ومراعاة انفاسه في دخولها وخروجها فيتلقاها بالادب ويخرجها وعليها خلعة الحضور فهذه كلها هي الكرامات عندنا فانه لا يدخلها مكر ولا استدراج بخلاف كرامة العامة وايضاح ذلك ان الكرامة عند الخواص من لازمها العلم الصحيح والوفاء بالعهود ومعلوم ان الحدود الشرعية لا تصحبه لذة السكر الالهي وليست الدنيا بمحل لخرق العوائد وانما محل ذلك الدار الآخرة واطال في ذلك * وقال في الباب الخامس والثمانين

عين الوجه فاختلف الاسم عليه وما اختلف هو في نفسه كما لا تدركه العيون بابصارها كذلك لا تدركه البصائر باعينها انتهى (فان قيل) فهل وقعت رؤية الله تعالى يقظة في الدنيا لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم الارث له في المقام (فالجواب) كما قاله الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه لم يبلغنا وقوع ذلك في الدنيا لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ان فلانا يزعم انه يرى الله تعالى بعيني راسه فارسل الشيخ خلفه وقال له احق ما يقول هؤلاء عنك فقال نعم فانتهره الشيخ وزجره عن هذا القول واخذ عليه العهد ان لا يعود عليه فقيل للشيخ امحق هذا الرجل ام مبطل فقال هو محق ملبس عليه وذلك انه شهد ببصيرته نور ذلك الجمال البديع ثم خرق من بصيرته الى بصره منفذ فرأى ببصره بصيرته حال اتصال شعاعها بنور شهوده فظن ان بصره الظاهر رأى ما شهدته بصيرته وانما رأى بصره حقيقة بصيرته فقط من حيث لا يدري قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وكان جمع من المشايخ حاضرين فاعجبهم هذا الجواب واطربهم ودهشوا من حسن افصاحه رضي الله عنه عن حال ذلك الرجل قال الشيخ عبد القادر الجيلي وقد تراءى لي مرة نور عظيم ملأ الافق ثم بدت لي فيه صورة تناديني يا عبد القادر انا ربك وقد اسقطت عنك التكاليف فان شئت فاعبدني وان شئت فاتركن فقلت له اخسأ يا لعين فاذا ذلك النور قد صار ظلاما وتلك الصورة صارت دخانا ثم خاطبني اللعين وقال لي يا عبد القادر نجوت مني بعلمك باحكام ربك وفقهك في احوال منازلاتك ولقد اضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من اهل الطريق فقيل للشيخ عبد القادر فمن اين عرفت انه شيطان فقال باحلاله لي ما حرمه الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه تعالى لا يحرم شيأ على السنة رسله ثم يبيحه لاحد في السر ابدا انتهى (فان قلت) ان الحق تعالى اخبر انه اقرب الينا من حبل الوريد فاذا كان بهذا القرب العظيم فما المانع من رؤيته (فالجواب) المانع من رؤيته هو شدة القرب كما قال تعالى ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون اي لشدة قربي منكم وقد اطال الشيخ في تفسير قوله تعالى لا تدركه الابصار في الباب الخامس والعشرين واربعمائة وفي الباب الحادي وعشرين ومائتين * وقال في كتابه شرح ترجمان الاشواق اعلم ان الحق تعالى اذا كان الوهم لا يحيط به مع انه الطف من الادراك الحسي فكيف يدركه البصر الذي هو الا كثف انتهى * وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول قوله تعالى لا تدركه الابصار صحيح على ظاهره فان المبصر للحق جل وعلا انما هم المبصرون بالابصار لا نفس الابصار انتهى فليتأمل (فان قلت) فهل ثم وجه جامع بين قول من اثبت رؤية الباري وبين قول من نفاها (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة ولفظه اعلم ان الجامع بين من اثبت رؤية الله عز وجل وبين من انكرها ونفاها ان من اثبتها اراد انها تكون على قدر وسع العبد ومن نفاها اراد ان حجاب العظمة مانع من رؤية حقيقة الذات وكل من لا يحيط بشئ كأنه ما رآه مع انه رآه انتهى * وقال في لواقح الانوار ايضا اعلم ان حجاب الكبرياء على الذات المتعالي لا يرتفع ابدا كما اشار اليه خبر مسلم بقوله صلى الله عليه وسلم وليس على وجهه تعالى الا رداء الكبرياء في جنة عدن واذا كان هذا الحجاب لا يرتفع فما وقعت الرؤية دائما الا على الحجاب فصح قول من قال ان الحق يصح ان يرى ومن قال لا يصح ان يرى بحمله على هاتين الحالتين انتهى * واما الكلام على رؤيته تعالى في المنام فقد قدمنا اول المبحث نقول المتكلمين فيها وها نحن نذكر لك نقول الصوفية فنقول وبالله التوفيق اعلم ان الاصل في صحة الرؤيا ما رواه الطبراني وغيره مرفوعا رأيت الليلة ربي في صورة شاب امرد قطط له وفرة من شعر وفي رجليه نعلان من ذهب الحديث قال الحافظ السيوطي رحمه الله وهو حديث صحيح قال الشيخ محيي الدين في

وماثة اعلم ان ميزان الشرع الموضوعة في الارض هي ما بايدي العلماء من الشريعة فمهما خرج ولي عن ميزان الشرع المذكور مع وجود عقل التكليف انكرنا عليه ذلك فان غلب عليه الحال سلم له حاله ما لم يعارض نصا او اجماعا، اما مخالفته لما طريقه الفهم فلا فان ظهر بامر يوجب حدا في ظاهر الشرع ثابت عند الحاكم اقيمت عليه الحدود ولا بد ولا يعصمه من اقامة الحد احتمال ان يكون كاهل بدر لان المؤاخذة انما سقطت عن اهل بدر في الدار الآخرة ومن قيل له افعل ما شئت فقد غفرت لك يقتضي ان ذلك الفعل ذنب ولذلك قال غفرت لك دون اسقطت عنك الحدود فعلم ان القاضي الذي يقيم الحد على هذا الشخص مأجور وهي بعينها واقعة الحلاج واطال في ذلك *وقال في الباب السادس والثمانين ومائة لا يكون خرق العادة الا من خرق العادة في ترك شهوات نفسه واما من خرقت له العادة لا عن استقامة فهو مكر واستدراج من حيث لا يشعر قال وهذا هو الكيد المتين قال واعلم ان خرق العوائد على وجوه منها ما يكون عن قوى نفسية فان اجرام العالم تنفعل للهمم النفسية ومنها ما يكون عن حيل طبيعية كالقطريات وغيرها وبابها معلوم عند العلماء بها ومنها ما يكون عن نظم وحروف بطوالع

الباب الاحد وثمانين وثلثمائة قد اضطربت عقول العلماء في معنى هذا الحديث وفي صحته فنفاه بعضهم واثبته بعضهم وتوقف في معناه واوله ولا يحتاج الامر الى تاويل فانه صلى الله عليه وسلم انما رأى هذه الرؤيا في عالم الخيال الذي هو النوم ومن شأن الخيال ان النائم يرى فيه تجرد المعاني في الصور المحسوسة وتجسد ما ليس من شأنه ان يكون جسدا لان حضرته تعطي ذلك فما ثم أوسع من الخيال قال ومن حضرته أيضا ظهور وجود المحال فانك ترى فيه واجب الوجود الذي لا يقبل الصور في صورة ويقول لك معبر المنام صحيح ما رأيت ولكن تأويلها كذا وكذا فقد قبل المحال الوجود في هذه الحضرة فاذا كان الخيال بهذه القوة من التحكم في الامور من تجسد المعاني وجعل ما ليس قائما بنفسه وهو مخلوق فكيف بالخالق وكيف يقول بعضهم ان الله تعالى غير قادر على خلق المحال وهو يشهد من نفسه قدرة الخيال على المحال وأطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثامن والتسعين ومائة ثم قال ولو لم يكن من قوة الخيال الا انه يريك الجسم في مكانين فيكون الانسان نائما في بيته ويرى في منامه ان عين جسمه في مدينة أخرى وعلى حالة أخرى تخالف حاله الذي هو عليه في بيته وهو عينه لا غيره لمن ادرك الوجود على ما هو عليه ولولا ذلك ما قدر العقلاء على فرد المحال فانه لولا صورة في نفسه ما قدر على فرضه * قال ومن هذا الباب مشاهدة المقتول في سبيل الله في المعركة وهو عند الله حي يرزق ويأكل وروى الترمذي في حديث القبضتين مرفوعا ان الحق لما فتح قبضته أي كما يليق بجلاله فاذا فيها آدم وذريته فآدم في هذه القصة في القبضة وهو عينه خارجها فيا من يحيل الجمع بين الضدين ما تقول في هذا الحديث واطال في ذلك هذا كلامه بحروفه فتأمله وحرره والله يتولى هداك (فان قلت) فاذن المواطن تحكم بنفسها على كل من ظهر فيها فمن مر على موطن انصبغ به كما حكم الخيال على صاحبه برؤية الحق تعالى في صورة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والسبعين واربعمائة نعم وهو كذلك والدليل الواضح في ذلك ما ذكرته في السؤال من رؤيتك لله تعالى في المنام الذي هو موطن الخيال في صورة فاذا كان حكم الموطن قد حكم عليك في الحق تعالى بما هو منزه عنه فلا تراه الا كذلك فكيف بغيره ثم انك اذا خرجت من حضرة الخيال الى موطن النظر العقلي لم تدرك الحق تعالى الا منزها عن تلك الصورة التي ادركته فيها في موطن الخيال فاذا كان الحكم للمواطن عرفت اذا رأيت الحق تعالى ما رأيت واثبت ذلك الحكم للموطن حتى يبقى الحق تعالى لك مجهولا أبدا فلا يحصل لك به احاطة ابدا وغاية امرك توحيد المرتبة له لا غير واما علمك بذاته تعالى فهو محال لانك لا تخلو عن موطن تكون فيه يحكم عليك ذلك الموطن بحاله فلا تعرف الله تعالى من حيث ما يعرف الله نفسه أبدا فما عندك من معرفته في موطن ينفذ منك في موضع آخر فما عندك من العلم به ينفذ وما عنده تعالى من علمه بنفسه لا يتغير ولا يتبدل انتهى (فان قلت) فاذا كان ما يراه الانسان في النوم بهذه المثابة فلا يصح لاحد القطع بما يراه في المنام ابدا (فالجواب) نعم وهو كذلك كما ذكره الشيخ في لواقح الانوار وقال لان دائرة الخيال واسعة وكل ما يظهر فيها ومنها يحتمل التأويلات فلا يحصل القطع الا ان استند الرائي الى علم آخر وراء ذلك اذ الخيال ليس له حقيقة في نفسه لانه أمر برزخي بين حقيقتين وهما المعاني المجردة والمحسوسات فلهذا يقع فيه الغلط قال وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم حين اتاه جبريل بصورة عائشة في سرقة من حرير وقال له هذه زوجتك كيف قال له ان يكن من عند الله يمضه ولو ان جبريل اتاه بذلك من طريق الوحي المعهود في الحس أو بطريق المعاني المجردة الموجبة لليقين لما كان يكون الجواب بمثل ذلك لان النصوص لا يدخلها تأويل ولا خطأ ولا ترددا انتهى (فان قلت) ما السبب الداعي لرؤية الله تعالى في النوم مع قوله صلى الله عليه وسلم انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا السابق أول المبحث (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثلاثين وثلثمائة ان السبب لرؤية الله في المنام كون النوم أخا الموت فعن

وذلك لاهل الرصد ومنها ما يكون باسماء يتلفظ بها اذا كرها فيظهر عنها ذلك الفعل المتمي خرق عادة في عين الرائي لا في نفس الامر وهذه كلها تحت قدرة المخلوق بجعل الله وليس صاحبها عند الله بمكان وانما ذلك بفعل خاصية ما ذكرنا كالدواء المسهل يفعل بخاصيته وليس هو عند الله بمكان * وقال في الباب السابع والثمانين ومائة اختلف الناس فيما كان معجزة لنبي هل يجوز ان يكون كرامة لولي فالجمهور أجازوا ذلك الا الأستاذ أبا اسحق الاسفرايني فانه منع من ذلك قال وهو الصحيح عندنا الا انا نشترط أمرا لم يذكره الاستاذ وهو ان نقول الا ان أقام الولي بذلك الامر المعجز على تصديق النبي لا على جهة الكرامة فهو واقع عندنا بل قد شاهدناه فيظهر على الولي ما كان معجزة لنبي على ما قلناه ولو تنبه لذلك الاستاذ لقال به ولم ينكره فانه ما خرج عن بابه قال وهذا الذي ذهب اليه الاستاذ هو الذي يعطيه النظر العقلي الا ان يقول الرسول في وقت تحديه بالمنع في الوقت خاصة فانه جائز ان يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذي اشترطه واما ان اطلقه فلا سبيل الى ما قاله الاستاذ انتهى * وقال في الباب الثامن والثمانين ومائة في حديث ان رؤيا المسلم على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا حدث بها

الحديث انكم ترونه بعد موتكم لا فى حال موتكم فانفى الشارع الا رؤية الله فى الدنيا يقظة لمن استثنى وسبب عجز الناس عن رؤية ربهم فى الدنيا ضعف نشأة هذه الدار الا من امده الله بالقوة بخلاف نشأة الآخرة لقوتها (فان قلت) فما محل وقوع النوم فى العالم (فالجواب) محل النوم ما تحت مقعر فلك القمر خاصة وما فوق فلك القمر لا نوم واما محله فى الآخرة فهو ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة قال الشيخ محيي الدين ومن هنا انكر بعضهم كون الملائكة يرون ربهم وقال ان الملائكة خلقوا للبقاء من غير موت فلا يرون الله فى الدنيا ولا فى الآخرة لعدم موتهم ونومهم وقد اطال الشيخ الكلام على الرؤيا فى الباب التاسع والتسعين من الفتوحات وذكر فى موضع آخر من الفتوحات ان جبريل لا يرى ربه فى الدنيا وانما يراه فى الآخرة فقط فليتأمل ويحرر (فان قلت) فما الفرق بين النوم والموت (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع عشر وثلثمائة ان الموت فيه اعراض الروح عن تدبير الجسم بالكلية ويزول بذلك جميع القوى كما يدخل الليل بمغيب الشمس واما النوم فليس هو اعراضا عن الجسم بالكلية وانما هو حجاب ابخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة فى النائم كالشمس اذا حال السحاب دونها ودون موضع خاص من الارض يكون الضوء موجودا كالحياة وان لم يقع ادراك الشمس لذلك السحاب المتراكم بينها وبين الارض (فان قلت) فما السبب فى عدم نقض وضوئه صلى الله عليه وسلم بالنوم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الاحد وثمانين وثلثمائة ان السبب فى ذلك شدة حياة قلبه صلى الله عليه وسلم فاذا انتقل الى عالم الخيال لم يتغير عليه حال بل يرى صورته هنالك بسرعة يقظانه فكانه لم ينم فلم يحدث وكذلك جسده المحسوس لم يطرأ عليه ما ينقض طهارته ومن هنا قال بعضهم النوم سبب الحدث ما هو عين الحدث (فان قلت) فمن اصدق الناس رؤيا (فالجواب) اصدقهم رؤيا من تجلى له ما رآه فى حضرة خياله الذى هو فيه فهذا هو الذى تصدق رؤياه ابدا (فان قلت) فاذن كل رؤيا صادقة (فالجواب) نعم هى صادقة بلا شك لا تخطئ واذا قيل ان الرؤيا اخطأت فما اخطأت وانما الذى عبرها هو المخطئ حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصورة الا تراه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه حين عبر الرؤيا اصبت بعضا واخطأت بعضا وما قال له خيالك فاسد لانه رأى حقا ولكن اخطأ فى التأويل وقد اطال الشيخ الكلام على ذلك فى الباب الثالث والستين من الفتوحات فراجعه (فان قلت) فما الفرق بين الرؤيا والحلم المشار اليهما فى حديث الرؤيا من الله والحلم من الشيطان (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى الحليم ان الرؤيا هى رؤيا الامر على ما هو عليه فى نفسه واما الحلم فهو رؤيا الامر على خلاف ما هو عليه يقال حلم الاديم اذا فسد وكذلك النوم افسد المعنى عن صورته لانه الحقه بالحس وليس بمحسوس فاذا اخبر المحتلم العارف بما رأى عبر له ذلك العارف بنقل تلك الصورة الى المعنى الذى ظهر بها فردها الى اصلها كما افسد الحلم العلم واظهره فى صورة اللبن فليس يلبن فرده صلى الله عليه وسلم بتأويل الرؤيا الى اصله وهو العلم وجرده عن تلك الصورة وقد جاء رجل الى محمد بن سيرين رضى الله عنه فقال انى رأيت انى ارد الزيت فى الزيتون فقال له امك تحتك ففحص الرجل عن ذلك فوجد امه تحته تزوجها وما عنده خبر منها واين صورة نكاح الرجل امه من رد الزيت فى الزيتون فتامل وبالجملة فكل من رأى الامر على ما هو عليه فهو صاحب كشف لا صاحب حلم سواء كان فى النوم او فى اليقظة انتهى (فان قلت) فما معنى حديث رؤيا المؤمن على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا احدث بها وقعت (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الثامن والثمانين ومائة ان الله تبارك وتعالى ملكا موكلا بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا بيده صور الاجساد التى يدرك النائم فيها نفسه وغيره وصور

بها اوقعت اصلم ان الله تعالى ملكا موكلا بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا بيده صور الاجساد التى يدرك النائم فيها نفسه وغيره وصور ما يحدث من تلك الصور من الاكوان فاذا نام الانسان او كان صاحب غيبة او فناء او قوة ادراك لا تحجبه المحسوسات فى يقظته عن ادراك ما بيد هذا الملك من الصور فيدرك هذا الشخص بقوته فى يقظته ما يدركه النائم فى نومه وذلك ان اللطيفة الانسانية تنتقل بقواها من حضرة المحسوسات الى حضرة الخيال المتصل بها الذى محله مقدم الدماغ فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الاذن الالهى ما يشاء الحق ان يريه لهذا النائم او الغائب او الفانى من ادراك المعانى متجسدة ونحو ذلك فيرى الحق فى صورة واطال فى ذلك * ثم قال فعلم ان كل من عبر الرؤيا لا يعبرها حتى يصورها فى خياله فتنتقل تلك الصورة عن المحل الذى كانت فيه حديث نفس او تحزينا من شيطان الى خيال العابر لها ثم ان الله تعالى اذا اراد ان يرى احدا رؤيا جعل لصاحبها فيما رآه حظا من الخير والشر بحسب ما تقتضيه رؤياه فيصور الله تعالى ذلك الحظ طائرا وهو ملك فى صورة طائر كما يخلق من الاعمال صورا ملكية روحانية جسدية برزخية قال وانما

ما يحدث من تلك الصور في الاكوان فاذا نام الانسان انتقلت اللطيفة الانسانية بقواها من حضرة المحسوسات الى حضرة الخيال المتصل بها الذي محله مقدم الدماغ فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الاذن الالهي ما يشاء الحق تعالى ان يريد لهذا النائم من ادراك المعاني متجسدة ونحو ذلك حتى انه يرى الحق تعالى في صورة كما مر فاذن ما عبر احد الرؤيا حيث عبرها الا بعد ان تصورها في خياله فتنتقل تلك الصورة عن المحل الذي كانت فيه حديث نفس او تحزين شيطان الى خيال العابر لها (فان قلت) فما المراد بالطائر في الحديث (فالجواب) الطائر هو الحظ قال تعالى قالوا طائركم معكم اى حظكم ونصيبكم معكم من الخير والشر وايضاح ذلك أن الله تعالى اذا اراد ان يرى احدا رؤيا جعل لصاحبها فيما يراه حظا من الخير والشر بحسب ما تقتضي رؤياه فيصور الله تعالى ذلك الحظ طائرا وهو ملك في صورة طائر كما يخلق من الاعمال صورا ملكية روحانية جسدية برزخية وانما جعلها الحق تعالى في صورة طائر لانه يقال طار سهمه بكذا فاذا وقعت الرؤيا جعلها الله تعالى معلقة برجل هذا الطائر وهي حقيقة عين الطائر فاذا عبرت سقطت لما عبرت له وعندما تسقط ينعدم الطائر لانه عين الرؤيا فينعدم لسقوطها ويتصور في عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا فترجع صورة الرؤيا عين الحال لا غير وتلك الحال اما عرض واما جوهر واما نسبة من ولاية أو غيرها هي عين صورة تلك الرؤيا وذلك الطائر ومنه خلقت ولا بد كما خلق آدم من تراب ونحن من ماء مهين انتهى (فان قيل) فما وجه تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم الستة واربعين جزأ من حديث الرؤيا جزأ من ستة واربعين جزأ من النبوة (فالجواب) وجهه ان رسالته صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثا وعشرين سنة ووقعت له الرؤيا قبل الرسالة مدة ستة اشهر فانسب الستة اشهر الى ستة واربعين جزأ تجدها صحيحة فالمراد بالجزء منها النصف ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه اذا اصبح هل رأى أحد منكم رؤيا لكون الرؤيا من اجزاء النبوة اذ هي مبتدأ الوحي فكان يحب أن يشهد معنى النبوة في أمته هذا والناس في غاية الجهل عن هذا المعنى الذي اعتنى به صلى الله عليه وسلم وقصده وسأل عنه كل يوم بل بعضهم يستهزئ بالرائي اذا اعتمد على تلك الرؤيا وذلك جهل بمقامها واطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والستين وثلثمائة وذكر فيه الفرق بين الرؤيا والمبشرات فراجعه والله تعالى أعلم

:(خاتمة)* في الكلام على رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم ان الاصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم السابق اول المبعث خير الرؤيا ان يرى العبد ربه في منامه أو يرى نبيه وقوله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي وليس بعد الحق تعالى أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم فوجب علينا الاعتناء بالكلام على رؤيته في المنام اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق انما كان الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم لما ورد انه صلى الله عليه وسلم لما ولد جاء الشيطان وجنوده حتى دخلوا امكة فوجدوا نورا يسطع منه الى السماء له شعاع كلما دنا منه شيطان احترق فمن ذلك اليوم والشياطين كلهم يفرون ويفزعون من صورته صلى الله عليه وسلم ولاجل هذا الفزع اسلم قرينه كما جاء في الحديث بناء على ضبط أسلم بفتح الميم وقد ضبطه بعضهم بضمها فهذا هو السبب في كون الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم (فان قلت) كيف عصم الله صورة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يمنع تصور الشياطين ودعواهم انهم الحق تبارك وتعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاربعين وخمسمائة ان الشياطين انما لبست على بعض الحق بالتصور بصورة ادعوا انها صورة الحق لكون الحق تعالى ليس له صورة تعقل فاذا جاء الشيطان الى جماعة في المنام وقال لهم اني انا الله فمنهم من هدى الله فرده خاسئا ومنهم من حقت عليه الضلالة بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فان له

جعلها في صورة طائر لانه يقال طار سهمه بكذا والطائر الحظ قال تعالى طائركم معكم أي حظكم ونصيبكم معكم من الخير والشر ويجعل الرؤيا معلقة برجل هذا الطائر وهي عين الطائر فاذا عبرت سقطت لما عبرت له وعندما تسقط ينعدم الطائر لانه عين الرؤيا فينعدم لسقوطها ويتصور في عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا فترجع صورة الرؤيا عين الحال لا غير فتلك الحال اما عرض أو جوهر واما نسبة من ولاية أو غيرها هي عين صورة تلك الرؤيا وذلك الطائر ومنه خلقت ولا بد كما خلق آدم من تراب ونحن من ماء مهين واطال في ذلك * ثم قال وانما كان صلى الله عليه وسلم اذا أصبح يقول لاصحابه هل رأى احد منكم رؤيا لان الرؤيا من أجزاء النبوة لانها مبتدأ الوحي فكان صلى الله عليه وسلم يحب ان يشهدها في أمته والناس في غاية الجهل بهذه المرتبة التي كان صلى الله عليه وسلم يعتني بها ويسأل كل يوم عنها والجهلاء في هذا الزمان اذا سمعوا بامر وقع في النوم أو في الغيبة او الفناء لم يرفعوا به رأسا وقالوا بالمنامات يريد هؤلاء ان يدركوا مدارك الصالحين ويستهزؤن بالرائي اذا اعتمد عليها وهذا جهل بمقامها قال واعلم ان محل الرؤيا النشأة [illegible] رؤيا ودار [illegible] لان مكان الرؤيا ماتحت مقعر فلك

صورة معقولة ثابتة الاوصاف فى الاحاديث الصحيحة فاذا جاء ابليس فى صورة غيرها ردت عليه حتى قالوا من شرط الرؤيا الصحيحة ان يراه صلى الله عليه وسلم مكسور الثنية كما كان فى حياته ومعنى قوله فى الحديث السابق فقد رآنى اى راى حقيقة جسمى وروحى بصورتى معا وذلك ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا تبلى اجسادهم ولا تتغير صورهم وهم فى قبورهم يصلون كما جاءت به الاحاديث (فان قيل) كيف يراه وهو بالمدينة وبينه وبين هذا الرائى مسافات بعيدة (فالجواب) ان رؤية المنام ليس حكمها حكم رؤية العين التى فى رأسه حتى يجب الحضور وانما الرؤية له صلى الله عليه وسلم بالعين التى فى قلب الرائى وذلك لا يستدعى حضور المرئى بل يرى من المشرق الى المغرب ومن تخوم الارض الى العرش وذلك كما ترى الصور فى المرآة المحاذية لها وليست الصور منتقلة الى جرم المرآة ومعلوم ان العين الباطنة كالمرآة يرتسم فيها ما قابلها من العلويات والسفليات (فان قيل) فما الحكم فيما اذا رآه صلى الله عليه وسلم جمع كثير فى وقت واحد على صفات مختلفة كأن يراه بعضهم شيخا ويراه آخر شابا ويراه آخر ضاحكا وآخر باكيا وآخر طويلا وآخر قصيرا وغير ذلك (فالجواب) ان هذه الاختلافات كلها راجعة الى الرائين لا الى المرئى صلى الله عليه وسلم ومثاله المرايا الكثيرة المختلفة الاشكال والمقادير اذا قابلت وجه انسان يرى وجهه فى المرآة الكبيرة كبيرا وفى الصغيرة صغيرا وفى المعوجة معوجا وفى الطويلة طويلا وفى المقعرة مقعرا الى غير ذلك فالاختلافات فى ذلك راجعة الى اختلاف اشكال المرائى لا الى وجه المرئى وكذلك الراؤون للنبى صلى الله عليه وسلم احوالهم بالنسبة اليه مختلفة بحسب استقامتهم على شريعته واعوجاجهم فعلم ان جميع ما يرى من النقص فى صورة النبى صلى الله عليه وسلم فهو راجع الى الرائى * قال الشيخ ابو طاهر القزوينى رحمه الله تعالى وانى لارى جماعة من الحمقى تشمئز طباعهم من ضرب الامثال بالمرآة ونحوها فى مثل هذا الذى ذكرناه من رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفات مختلفة وذلك جهل منهم يضاهون قول الذين كفروا من قبل حين ضرب الله الامثال بالذبابة والعنكبوت حتى انزل الله تعالى ان الله لا يستحى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها يعنى والله اعلم فى الصغر والحقارة فالامثال اعظم شئ فى تفهيمات المعنى وقالوا الامثال مرايا القلوب يعنى ان عين القلب ترى فى الامثال من صور المعانى ما تراه عين الراس فى المرآة من صور الاجسام قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون والكتب المنزلة من السماء اكثرها امثال مضروبة فعلم ان الرائى لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تلك الصور والاشكال المختلفة رآه حقيقة فان تلك الصور كلها امثلة له خيالية والمرئى بواسطتها هو النبى صلى الله عليه وسلم وهذا كما يقول الانسان رأيت وجهى فى الماء ومعلوم قطعا ان وجهه ليس منتقلا الى الماء حتى يراه فيه وانما معناه رأيت حقيقة وجهى بواسطة مثاله فى الماء فيكون المثال واسطة لا يلتفت اليه اذ لا حقيقة له حتى يكون مرئيا لذاته وانما هو هيئة يريك الله تعالى وجهك بواسطتها وذلك من عجائب قدرته التى تكل الافهام عن دركها ولا فرق بين ان تقول رأيت وجه صديقى بعينى وبين قولك رأيت وجه صديقى فى الماء اذ المرئى فى الحالتين واحد غير ان الله تعالى اجرى العادة ان من نظر فى صقيل كالماء والمرآة يرى فى ذلك الصقيل وجهه فيظن ان فى ذلك الصقيل شيأ يراه هو مثالا لوجهه وذلك خيال باطل لان الصقيل فى ذلك الحال يتلون بلونه الخاص ولا يقوم لونان بمحل واحد فى حالة واحدة فعلى هذا من راى النبى صلى الله عليه وسلم فى نومه فقد رآه حقيقة بروحه وجسده كما قال صلى الله عليه وسلم فقد رآنى واطلق كما انه صلى الله عليه وسلم لما كان يرى جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة دحية الكلبى يراه حقيقة لا مثالا قال الشيخ ابو طاهر القزوينى رحمه الله وكان الغزالى رحمه الله يقول من رأى رسول الله صلى الله

القمر خاصة فلو قدر ان شخصا خرج من مكان الرؤيا لا يرى بعد ذلك رؤيا لانه لا يقوم به صفة النوم والطارق ذلك (قلت) ذكر الشيخ شروطا فيمن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الباب التاسع عشر واربعمائة وكذلك فى الباب الخامس والثلاثين وثلثمائة والباب الاربعين وخمسمائة ماله تعلق برؤية الله ورؤية رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر فى الباب الثالث والستين وثلثمائة الفرق بين الرؤيا والمبشرات وان الرؤيا أعم والمبشرات أخص وان الانسان قد يرى ما يحدث به نفسه وما يلعب به الشيطان أو يحزنه ولو لم يكن لذلك أثر فيمن رآها لنفسه أو رؤيت له ما اثبت الشارع لذلك الخوف مزيلا وهو أمر صاحب الرؤيا المفزعة ان يتفل عن يساره ثلاثا ويستعيذ بالله من شر ما راى فانها لا تضره ثم يتحول عن شقه الذى كان نائما عليه حين الرؤيا الى شقه الآخر فانها تحول بتحوله ولا تضره وذلك كما يحول الانسان رداءه فى الاستسقاء فيحول الله حالة الجدب بالخصب والله اعلم *وقال فى الباب الثامن والتسعين ومائة فى حديث ان نفس الرحمن يأتينى من قبل اليمن المراد بالنفس هو العماء الذى هو البخار المسمى بالحق المخلوق به السموات والارض وما بينهما وليس هو الهواء ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فى صفة

عليه وسلم بر حقيقة شخصه المودع فى روضة المدينة وانما راى مثالا له لا شخصه قال وبلغنا عن الغزالى ايضا انه كان يقول ما يراه النائم من المثال انما هو مثال روحه صلى الله عليه وسلم المقدسة عن الصورة والشكل وشبه رؤية الله فى المنام بذلك فلا ادرى ما اراد به رحمه الله اه (فان قلت) فهل يصدق من ادعى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة الآن (فالجواب) نعم يصدق وقد اخبرنى الشيخ الصالح عطية الابناسى والشيخ الصالح قاسم المغربى المقيم فى تربة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه والقاضى زكريا الشافعى انهم سمعوا الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليقظة بضعا وسبعين مرة وقلت له فى مرة منها هل انا من اهل الجنة يارسول الله فقال نعم فقلت من غير عذاب يسبق فقال لك ذلك قال الشيخ عطية وسألت الشيخ جلال الدين مرة ان يجتمع بالسلطان الغورى فى ضرورة وقعت لى فقال لى يا عطية انا اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم يقظة واخشى ان اجتمعت بالغورى ان يحتجب صلى الله عليه وسلم عنى ثم قال ان فلانا من الصحابة كانت الملائكة تسلم عليه فاكتوى فى جسده لضرورة فلم ير الملائكة بعد ذلك عقوبة له على الكتواته انتهى قال الشيخ قاسم المذكور واكثر ما تقع رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة بالقلب ثم تترقى الى رؤية البصر قال وليست رؤية النبى صلى الله عليه وسلم كرؤية الناس بعضهم بعضا وانما هى جمعية خيالية وحالة برزخية وامر وجدانى لا يدرك حقيقته الا من باشره اه وقد الف الشيخ جلال الدين المذكور كتابا سماه تنوير الحلك فى امكان رؤية النبى والملك وذكر فيه من كان يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالملائكة يقظة من الصحابة والاولياء والعلماء ولم يذكر عن نفسه شيأ مما ذكرناه عن هؤلاء الاشياخ الثلاثة العدول الثقات الذين لا يتهمون فى مثل ذلك فيصدق من قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة مطلقا وكان الشيخ محمد المغربى رحمه الله يقول بين العبد وبين مقام رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة مائتا الف مقام وسبعة واربعون الف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاما لا بد للسالك من قطعها كلها حتى يصح له مقام الرؤية فى اليقظة * وكان رضى الله عنه يقول ايضا ان من ادعى رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأته الصحابة فهو كاذب وان ادعى انه يراه بقلبه حال كون القلب يقظانا فهذا لا يمنع منه وذلك لان من بالغ فى كمال الاستعداد بتنظيف القلب من الرذائل المذمومة حتى من خلاف الاولى صار محبوبا للحق تعالى واذا احب الحق تعالى عبدا كان فى نومه من كثرة نورانية قلبه كانه يقظان قال وحينئذ فما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بروحه المتشكلة بشكل الاشباح من غير انتقال ذاته الشريفة ومجيئها من البرزخ الى مكان هذا الرائى لكرامتها وتنزيهها عن كلفة المجىء والرواح هذا هو الحق الصراح انتهى * فعلم ان المراد بقول من قال انه يراه يقظة يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسمانية والسلام (فان قلت) فهل يجب على الرائى العمل بما يسمعه من هذه الصورة (فالجواب) لا يجب على احد العمل بمثل ذلك لعدم العصمة ولخوف تطرق الخلل الى الشرع الظاهر لاسيما ان خالف نصا صريحا (فان قلت) فما حكم ما يراه الانبياء عليهم الصلاة والسلام (فالجواب) ان للانبياء عليهم الصلاة والسلام العمل بما يرونه فى المنام وذلك ان الانبياء لا يرون الا حقا وما يرونه فى المنام حكمه حكم اليقظة ويؤيد ذلك حديث ان عينى تنامان ولا ينام قلبى وكذلك الانبياء فجميع ما ينطبع فى عالم امثالهم حق اذ هو من خزانة علم الحق بتوسط الملكوت السماوى وهذا لا يمكن الخطأ فيه ولا التأويل (فان قيل) فاذا انعكس نور قلوبهم الى الجهة العلوية فهل يحتاج الى تأويل (فالجواب) ان مثل ذلك يحتاج الى تأويل كما وقع فى قصة يوسف ورؤيته الاحد عشر كوكبا ولهذا قال يوسف هذا تأويل رؤياى من قبل

العماء الذى كان الحق تعالى فيه من غير حلول قبل ان يخلق الخلق ليس تحته هواء وليس فوقه هواء يعنى ان له صفة الفوق والتحت اما الفوق فمن كون الحق نسب الى نفسه انه فيه واما التحت فمن حيث كون العلم فيه فلو كان العماء هواء لكان مخلوقا والحديث أثبت ان العماء كان قبل خلق الخلق فافهم ما تحته * وقال فى قوله تعالى الم تر ان الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون اعلم ان السحاب انما يثقله الماء فاذا أثقل استبشر الناس بنزوله فينزل كما يصعد بما فيه من الحرارة فاذا أثقل اعتمد على الهواء فانضغط الهواء فاخذ سفلا لحك وجه الارض فتقوت الحرارة فى الهواء فطلب الهواء بما فيه من الحرارة القوية الصعود الى الركن الاعظم فوجد السحاب متراكما فمنعه من العود فكاثفه فاشتعل الهواء فيخلق الله من تلك الشعلة ملكا فسماه برقا فاضاء به الجو ثم انطفأ بقوة الريح كما يطفئ السراج فزال ضوءه مع بقاء عينه فزال كونه برقا وبقى العين كونا يسبح الله ثم يصدع لوجه الذى يلى الارض من السحاب فاذا مايزجيه كالنكاح فيخلق الله تعالى من ذلك الالتحام ملكا سماه رعدا فسبح بحمد الله فكان بعد البرق لا بد من ذلك فكل برق لا بد ان

قد جعلها ربي حقا والله تعالى اعلم

(المبحث الثالث والعشرون في اثبات وجود الجن ووجوب الايمان بهم)

وذلك لاجماع اهل السنة سلفا وخلفا على اثباتهم مع نطق القرآن وجميع الكتب المنزلة بهم وهم من الخلق الناطق يأكلون ويتناكحون ويتناسلون قال الشيخ ابو طاهر القزويني ومما يدل على وجودهم تخييل عامة الناس من آثارهم الخفية قال وقد انكرت المعتزلة الجن اصلا وزعموا ان الجن عبارة عن دهاة الناس والشياطين عبارة عن مردة الناس واشرارهم فردوا بذلك نص القرآن الدال على وجودهم واوصافهم (فان قلت) فكم اصول الخلق كلهم (فالجواب) كما قاله الماوردي ان اصول الخلق اربعة اشياء الماء والتراب والهواء والنار فالماء والتراب ظاهران للخلق والهواء والنار خافيان عنهم ومعلوم ان النار مشتملة على نور ولهب ودخان فالنور ضياء محض والدخان ظلمة محضة واللهب هو المارج المتوسط وهو الشر المحض وخلق الله الجان من مارج من نار فلهم نسبة الى الملائكة بالنورية ولهم نسبة الى الشياطين بالظلمة الدخانية ولذلك كان منهم المطيع والعاصي والمؤمن والكافر قال تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم قيل من نار الشمس وقيل هي نار الصواعق واما ابليس فقد اختلفوا فيه أهو من الملائكة ام من الجن فقال قوم كان من الجن الذين استكبروا في الارض فحاربهم الملائكة وسبوا ابليس منهم الى السماء فصار بالحكم من الملائكة فان مولى القوم من انفسهم وكان من النسب جنيا فيصدق فيه القولان وقيل انه من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا فباعتبار فعله كان من الكافرين * قال الماوردي ثم ان الله تعالى خلق سكان البر والبحر من الطين والماء كالانسان والانعام والوحوش والطيور والحشرات وخلق الحيتان والضفادع وغيرها من نبات الماء فصار هؤلاء الاجناس الاربعة من المخلوقات من الاصول الاربعة جنسين صاعدين لصعود أصليهما وهما الملائكة والجن وجنسان هابطان لهبوط اصليهما وهما حيوان البر وحيوان البحر ذكر ذلك كله الماوردي في كتاب النبوة ثم اعتذر فقال انما نقلت هذه العبارات من الفاظ المنكرين لها لان الاستدلال بلسان الخصوم يكون اوقع عندهم وادعى الى التزام الحجة انتهى * قال الشيخ ابو طاهر رحمه الله واعلم ان كل جنس من هؤلاء لا بد اذا تم خلقه بقدرة الله ان تزول صورة اصله ويتشكل بشكل آخر لا يشبه اصله وتأمل الانسان كيف زالت عنه صورة الماء والطين والتراب وصار لحما وعظما وبشرة الى غير ذلك ثم تشكل بهذه الصور المخصوصة والهيئة المشهودة وكذلك القول في جميع الحيوانات من السباع والطيور واشكالها المختلفة لا يشبه بعضها بعضا وهكذا تكون صفة الملائكة والجن والشياطين فانه قد زالت صورة الهواء عن ظاهر اجسادهم وصور الله لهم هيآت لطافا ولذلك سموا روحانيين ثم ان لتلك الانوار اشكالا وصورا لطيفة لائقة بذواتها يتمايز بعضها كاشكال الحيوانات الارضية لا يعلمها الا الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وتلك الصورة لازمة في اختلافاتها في تنوعها ولكنها ممنوعة عن ابصارنا الغاية لطافتها كالهواء والرياح وقد يكون بعضها عارضة كالصور التي يتصورون فيها احيانا فيراهم الانبياء والاولياء بواسطتها ثم تزول عنهم وذلك يجري لهم مجرى اختلاف اللباس لنا وسببه ان اجسامهم اغلبة اللطافة والرقة كانها تمتزج بالهواء فيتصور الهواء بما شاؤا من الصور في عين الرائي دون الهواء وتارة تظهر مرتسمة في الهواء ارتسام قوس قزح حتى يراها الحاضرون ايضا في صورة الخضرة والحمرة والصفرة وغير ذلك كما رأى عبد الله بن عباس صورة جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرها ابوه العباس وكان معه في المسجد فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اما انه سيعمى ولكن الله يفقهه في الدين ويعلمه التأويل قال وقد اقدر الله تعالى الجن على

تسبيح بحمده بما اوجده واطال في ذلك ثم قال وقد خلق الله ذلك الرعد من الهواء كما خلقنا تعالى من الماء وذلك الصوت المسمى عندنا بالرعد يسبحه وفي ذلك الوقت يوجده الله فعينه يقبس صورته ويذهب كما يذهب البرق وذوات الاذناب قال وحقيقة الرعد تنشأ من هبوب الهواء فتصدع اسفل السحاب اذا تراكم فيصوت كما يصوت الثوب اذا شق قليلا قليلا ويجر * وقال ارجى آية لمشرك ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فن نظر في الدلائل بجهد الطاقة فاداه ذلك الى تخييل شبهة انها برهان فقد تعرض لفتح باب العذر عند الله قال والمراد بالبرهان هنا في زعم الناظر والا فمن المحال ان يكون ثم دليل في نفس الامر على اله آخر فلم يبق الا ان تظهر الشبهة بصورة البرهان فيعتقد انها برهان وليس في قوتها اكثر من هذا واطال في ذلك بنحو ثلاثة اوراق * ثم قال وانما تنكر الها الا انه لم يكن ثم اذ لو كان ثم لتعين ولو تعين لم يتنكر فدل على ان من ادعى مع الله الها آخر فقد

تخيل في غيره ما استحق ذلك الاسم لانه ليس له حق يتعين ولا حق يتضح ويتبين فيكان مدلول دعواه العدم

ان يظهروا في اى صورة شاؤا كما اقدرنا ان نظهر في اى لباس شئنا فكما ان اشكال الالبس لنا مسخرة كذلك كانت اشكال الصور لهم مسخرة غيران لباسنا من نسج الغزل والقز ولباسهم من نسج الهواء والاشعة وكل يعمل على شاكلته قال ولما كان جسم الملك والجنى ارق من الهواء يعنى في سرعة التطور ودقت اجسامهم عن ابصارنا ولكن اذا اراد الله عز وجل ان يرينا الملك او الجنى كيف الهواء واعطاهم القدرة على ما تشكلوا به من لباس الهواء باى شكل وصورة شاؤا فيراهم الناس على تلك الصورة كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون والملك لا يكون رجلا في الحقيقة وانما يتشكل بصورة الرجل بواسطة الهواء المتكاثف لان الهواء اذا تكاثف امكن ادراكه كالسراب (فان قلت) فما معنى قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم (فالجواب) معناه والله اعلم من حيث لا ترونهم في الصورة التى خلقهم الله عليها واما رؤيتهم اذا تشكلوا في غير صورهم من كلب وهر فلا منع بل هو واقع كثيرا (قلت) وقد وقع ان شخصا منهم جاءنى بنيف وسبعين سؤالا في التوحيد يطلب جوابها منى وكان على صورة كلب اصفر مثل كلاب الرمل السالمة من الدنس وذلك ليلا فظن الفراش ان ذلك كلب حقيقة فغسل المسجد كله بالماء والطين فاجبتهم عنها وسميته كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان وهو مجلد لطيف (فان قلت) فهل يكونون محجوبين عنا في الجنة كما في الدنيا (فالجواب) لا بل ينعكس الحكم هناك فنراهم ولا يرونا الا الخواص منهم فانهم يرونا كما يرى الخواص منا الجن هنا (فان قلت) فهل تختلف اصواتهم بحسب الصورة التى تطوروا فيها ام هم باقون على اصواتهم الاصلية (فالجواب) تختلف اصواتهم تبعا للصورة التى ظهروا بها اذ الحكم للصورة التى دخلوا فيها من آدمى او بهيمة او غير ذلك من سائر الحيوانات (فان قلت) فاذا دخلوا في صورتنا فهل ينطقون بجميع حروف كلامنا ام يخالفون (فالجواب) يخالفونا في البعض دون البعض فلا تشبه اصواتهم اصواتنا في جميع الامور وذلك لان اجسامهم لطيفة فلا يقدرون على مخارج الحروف الكثيفة لانها تطلب انطباقا وصلابة وذلك غير موجود عندهم (فان قلت) فكيف يحصل لنا العلم من كلامهم الناقص الحروف (فالجواب) حصول العلم لنا من كلامهم انما هو لنطقهم بمثال حروفنا لا بحقيقتها فلو نطقوا بحقيقة حروفنا ونقصوا من الكلمة حرفا واحدا ما فهمنا من كلامهم شيأ (فان قلت) فهل يقدر احدهم على ان يتكلم بكلام البشر وهو في غير الصورة الانسانية (فالجواب) لا يقدر روحانى على ذلك ابدا الا ان خرقت له العادة (فان قلت) قد تقدم اول المبحث ان الجان خلق من مارج من نار والمرج في اللغة الاختلاط فما هذا الاختلاط (فالجواب) هو نار مركبة فيها رطوبة المواد ولهذا يظهر لها لهب وهو اشتعال الهواء فهو حار رطب (فان قلت) ان الشياطين من الجن هم الاشقياء البعداء خاصة فلم ابقى عليهم اسم الجنس الذى هو الجان (فالجواب) انما ابقى عليهم اسم الجن لان الجان خلق بين الملائكة والبشر الذى هو الانسان ومعلوم ان الجان عنصرى ولهذا تكبر ولو كان طبيعيا خالصا لم يغلب عليه حكم العنصر ما تكبر وكان مثل الملائكة فهو برزخى النشأة فله وجه الى الارواح النورية بلطافة النار منه بدليل ان له الحجاب والتشكل وله ايضا وجه النيابة فكان عنصريا رمادا كما مرت الاشارة اليه في كلام الماوردى واعطاه الاسم اللطيف انه يجرى من ابن آدم مجرى الدم ولا يشعر به ولولا تنبيه الشارع لنا على لمة الشيطان ووسوسته في صدورنا ما علمنا ان ثم شيطانا فما اقدر الجان على الاستتار عن اعين الناس الا الاسم اللطيف ولهذا كانت ابصارنا لا تدركهم الا متجسدين (فان قلت) فهل ثم فرق بين لفظ الجسم ولفظ الجسد (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والاربعين وثلثمائة ان بينهما فرقا وذلك ان الجسم هو المعروف

المحض ولم يبق الامر له الوجود المحقق واطال في ذلك (قلت) وهذا الكلام من اقوى دلالة على ضعف العمل بالمفهوم ثم انه لا يمشى الا على مذهب من يقول ان المخطئ في الاصول لا وزر عليه كما لو اخطأ في الفروع وهو مذهب بعضهم خلافا للجمهور

*وقال اذا تلوت القرآن فاعلم ممن تترجم فان الله تعالى تارة يحكى قول عبده بعينه وتارة يحكيه على المعنى مثال الاول قوله لا تحزن ان الله معنا ومثال الثانى قوله عن فرعون يا هامان ابن لى صرحا فانه انما قال ذلك بلسان القبط فوقعت الترجمة عنه باللسان العربى والمعنى واحد فهذه الحكاية على المعنى فلتعلم الامور اذا وردت حتى يعلم قول الله من قول يحكيه لفظا او معنى كل لسان بما هو عليه فقول الله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا انتهى قول الله ثم حكى قولهم مترجما عنهم أقررنا وكذلك قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا الى هنا انتهى قول الله آمنا حكاية قولهم واذا خلوا الى شياطينهم قالوا الى هنا قول الله انا معكم انما نحن مستهزؤن حكاية قول المنافقين وقس على ذلك (وقال) في قوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه أي لن نضيق عليه

فى العموم لطيفة وشفافة وكثيفة ما يرى منه ومالا يرى واما الجسد فهو ما يظهر فيه الروحانى فى اليقظة الممثلة فى صور الاجسام ومنه ما يظهر ادراكه للنائم فى نومه مما يشبه بالاجسام ويعطيه الحس وليست هذه الامور فى نفسها باجسام انتهى (فان قلت) فهل المرئى بواسطة الصور التى يتطور فيها الجنى او الملك هو الملك حقيقة او الجنى (فالجواب) نعم الملك والجنى حقيقة كما ان المسموع بواسطة الحروف والاصوات هو كلام الله حقا * وقد سئل بعضهم عن حد الجنى فقال هو حيوان هوائى ناطق من شأنه ان يتشكل باشكال مختلفة (فان قلت) فهل ثم من الجن من يقسم الانسان عليه باسماء الله تعالى فلا يبر قسمنا أم كلهم يبرون قسم من أقسم عليهم (فالجواب) كلهم يبرون قسم من اقسم عليهم لا يقدرون على رد أنفسهم عن ذلك بخلاف الانس قال الشيخ ابو طاهر ويقال ان الجن لا يجيبون الا بالعزائم وانما اذا قرئت على المجنون كان لها شعاع كشعاع الشمس يقع على الجنى فيحضرهم ويردهم الى الطاعة طوعا بحيث لا يمكنهم العصيان ولقد كانوا مسخرين لسليمان عليه الصلاة والسلام كما سخرت له الريح وهم اجساد لطاف كالريح يدخلون أجواف بني آدم دخول النار فى الفضة المذابة فتراها تضطرب فى البوطة وكذلك المصاب يضطرب عند قراءة العزائم عليه وفى الحديث ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم (فان قلت) فما الدليل على ان الجن مكلفون (فالجواب) الدليل على ذلك قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن وكانوا تسعة من جن نصيبين وقد كان صلى الله عليه وسلم رآهم ببطن النخلة قد أتوا من شعب الحجون فخط رسول الله صلى الله عليه وسلم حول عبد الله بن مسعود خطا وقال لا تخرج منه وقال ابن مسعود لما حضرهم النبي صلى الله عليه وسلم وكان بينهم خصومة فى دم فكنت أسمع لغطهم حين قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ثم علمهم سورة الرحمن واوجب عليهم الصلوات كما هو مشهور فى التفاسير (فان قلت) فما الدليل على دخول الجن الجنة (فالجواب) قد سئل عن ذلك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فمكث سبعة أيام حتى اطلع على قوله تعالى لم يطمثهن يعنى الحور انس قبلهم ولا جان فقال هذا دليل على ان الجن يدخلون الجنة انتهى * وقال الضحاك يدخل الجن الجنة ويثابون على أعمالهم كالانس * وقال سفيان يثابون على الايمان بأن يجاوزوا النار خلاصا ثم يقال لهم كونوا ترابا قال الشيخ ابو طاهر واكثر الجن لا يعتقدون البعث لقوله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله أحدا (فان قلت) فهل منعهم من استراق السمع باق الى يوم القيامة من منذ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ذلك الى مدة معلومة (فالجواب) الصحيح ممنوعون منه الى يوم القيامة وبتقدير استراقهم السمع فلا يتوصلون الينا بالخبر وانما استرقوه بل تحرقهم الشهب وتفنيهم (فان قلت) فما حقيقة هذه الشهب (فالجواب) ان فيها اقوالا قيل هو نور يمتد بشدة ضيائه فيحرق الجنى ثم يعود الى مكانه وقيل هو على هيئة النجم ينقض من تحت السماء فيحرقهم فلا يعود (فان قلت) فهل ابليس أبو الجان كما هو مشهور فى أفواه الناس (فالجواب) ليس ابليس بأب للجان فان الجان كانوا قبله وانما هو أول من عصى (فان قلت) فما مرتبة ابليس (فالجواب) مرتبته ان يوسوس للناس بما يهلكهم او ينقص مقامهم عند الله تعالى من حيث لا يشعرون ولكن قد أخبر الله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون أى يضيفون اليه أمر الاغواء مع الغفلة عن الله تعالى وتقديره فمن أخذ وسوسته مع الحذر منه ولم يعمل بها نجا من كيده ومن دسائسه التى تخفى أن يجد الانسان فى طاعة فيوسوس له بفعل غيرها لينقله منها ويفسخ عزمه ونيته الاولى مع الله تعالى ثم ان خالفه العبد فى ذلك حسن له فعلا آخر وقال له ان ذلك الفعل افضل مما أنت فيه * ومن دسائسه ايضا انه يأتى العبد

بالكشف

وكذلك فعل الله تعالى ففرج الله عنه بعد الضيق ليعلم قدر ما أنعم الله تعالى عليه ذوقا ولذلك قال فى قوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين توحيد الفم والتنفيس لانه تعالى نفس عن يونس بخروجه من بطن الحوت وكذلك عامل قومه بكشفه عنهم العذاب بعد ما رأوه نازلا بهم فآمنوا وأرضاه الله فى أمته فنفعها ايمانها ولم يفعل ذلك مع أمة قبلها اذ كان غضبه لله ومن أجل الله فامدلهم فى التمتع فى مقابلة ما نالوه من الالم عند رؤية العذاب فخص الله أمته من اجله بما لم يخص به أمة قبلها قال الشيخ وقد اجتمعت بجماعة من قوم يونس سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالاندلس حيث كنا فيه وقست أثر رجل واحد منهم فى الارض فرأيت طول قدمه ثلاثة أشبار وثلثى شبر * وقال انما كنت اذهب الى تفضيل الملأ الاعلى من الملائكة على خواص البشر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطانى الدليل على ذلك فى واقعة وقعت لى وكنت قبل هذه الواقعة لا أذهب فى هذه المسئلة الى مذهب جملة واحدة (قلت) وذكر الشيخ عبد الكريم الجيلى رحمه الله ان الشيخ رجع عن القول بتفضيل خواص الملائكة على خواص البشر قبل موته بسنة ووافق الجمهور من أهل السنة انتهى وتقدم ذلك ايضا

عشر في الباب الثالث والسبعين ولكن سيأتي في الباب الثالث والثمانين

بالكشف الصحيح والعلم التام ويقنع منه ان يجهل من أتاه به * ومن دسائسه انه يأتي العبد بنور يكشف به معاصي العباد ويهتك به استارهم ويظهر به عوراتهم فيظن ذلك المكاشف انه نال درجة عظيمة وانما ذلك من الشيطان لان الشيطان صار سمعه وبصره فيجب على ذلك المكاشف المبادرة للتوبة والا هلك * ومن دسائسه التي تخفى على غالب الاولياء انه ينظر الى قلب الولي فان رآه يستمد من السماء مثل له سماء وأتاه منه وكلمه منه او عرشا فكذلك او كرسيا فكذلك او سماء فكذلك فان كان سبق في علم الله تعالى حفظ هذا العبد منه أطلعه على ان ذلك مفتعل وتلبيس عليه من الشيطان فيرد خاسئا وان لم يحفظ الله العبد هلك مع الهالكين (فان قلت) فهل للشيطان سلطان على ظاهر الانسان كباطنه او سلطانه على الباطن فقط (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة ان شياطين الجن ليس لهم سلطان الا على باطن الانسان بخلاف شياطين الانس لهم سلطان على ظاهر الانسان وباطنه وان وقع من شياطين الجن وسوسة واغواء الناس في ظاهرهم فانما ذلك بحكم النيابة لشياطين الانس فانهم هم الذين يدخلون الآراء على شياطين الانس (فان قلت) فأي عداوة أشد عداوة ابليس لآدم ام عداوته لذريته (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس وعشرين وثلثمائة ان عداوته لبني آدم اشد من عداوته لآدم وذلك ان بني آدم خلقوا من ماء والماء منافر للنار واما آدم فقد جمع بينه وبين ابليس اليبس الذي في التراب فكان بين التراب والنار جامع ولهذا صدقه لما اقسم له بالله تعالى انه له من الناصحين وما صدقه الابناء في ذلك لكونهم اضداده فلهذا كانت عداوته للابناء اشد من عداوته لابيهم قال ثم من رحمة الله تعالى بنا انه لما كان هذا العدو محجوبا عن ادراك ابصارنا جعل الله تعالى لنا علامات في القلب من طريق الشرع نعرفه بها تقوم لنا مقام البصر الظاهر لنتحفظ بتلك العلامة من العمل بالقائه واطلعنا الله تعالى عليه ايضا بالملك الذي جعله مقابلا له غيبا لغيب اه (فان قلت) فهل ثم لنا شيطان لا هو انسي ولا هو جني كما قيل (فالجواب) نعم وذلك في صورة واحدة اذ الشيطان في سائر مراتبه حسي الا في صورة واحدة يكون فيها معنويا وهو ما اذا اجتمعت شياطين الانس والجن واوحى بعضهم الى بعض فانه يحدث بينهما حينئذ شيطان آخر عند وسوستهم معنوي لا انسي ولا جني (فان قلت) فما الفرق بين هؤلاء الشياطين الثلاث (فالجواب) الفرق بينهم ان الشيطان الانسي او الجني يفتح احدهما باب الالقاء في قلب العبد بما يبعده عن الله تعالى لا غير واما الشيطان المعنوي فيستنبط من ذلك شبها وامورا لم يقصدها ابليس ولا غيره * قال الشيخ محيي الدين ومثل هذا ينسب الى الشيطان بحكم الاصالة لانه هو الذي فتح باب الوسوسة وليس غرض الشيطان من الخلق الا ان يجهلوه في الخواطر ويصدقوها قال وقد اعطي الشيطان قوة التجسد قال تعالى والقينا على كرسيه جسدا او كان روحا تجسد على صورة سليمان فاذا رأى الشيطان من عبد انه محفوظ ووجد التأييد من الله محيطا به ولم يستطع الوصول اليه بالوسوسة تجسد له في صورة انسان مثله فيتخيل العبد انه انسان حقيقي ويأتيه بالاغواء من قبل اذنه فيدخل له فيما حجر الله تعالى عليه التأويلات الكثيرة ليوقعه في معاصي الله تعالى ادناها ان يقول له منالك لا يؤاخذه الله تعالى لكونه كشف لك انه الفاعل وانه المقدر فان رد ذلك عليه دخل له من باب حسن الظن بالله وقال احسن ظنك بالله انه لا يؤاخذك فانك اذا ظننت به ذلك لا يؤاخذك وأنت عبده على كل حال في حال طاعاتك وفي حال معاصيك وذلك لان ابليس يعلم ان المؤمن لا يقدم على معصية الله تعالى ابتداء دون تأويل وتزيين لذلك الفعل ولو ان المؤمن كان يقدم على المعصية بغير وسوسة ابليس ما اوجد الله ابليس انتهى * وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة فراجعه (فان قلت) فما صورة تناكح الجن (فالجواب) صورة

وثلثمائة قوله بعد كلام طويل

وليس يدرك ما قلنا سوى رجل
قد جاوز الملأ العلوي والرسلا
وهام فيما يظن الخلق اجمعه
تحصيله وسها عن نفسه وسلا
ذاك الرسول رسول الله احمدنا
رب الوسيلة في أوصافه كلا

فصرح بان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة ومن سائر الرسل وسكت عما عداه وتقدم قوله في الباب الخامس والعشرين أخذ على الخضر العهد بالتسليم لمقالات الشيوخ فلعل ما ذكرناه عنه من التفضيل كان أولا ثم رجع عنه وكذلك تقدم قوله في الباب التاسع والستين ليس يصح لاحد منا دخول مقام الرسالة انما نراه من خارج كما نرى كواكب السماء ونحن في الارض فراجعه والله تعالى أعلم : وقال نجم الثريا سبعة أنجم والصرفة اثنان والذراع ثلاثة والبطين أربعة والجبهة خمسة والدبران ستة والنعائم تسعة قال ولم ار الثمانية صورة في نجوم المنازل ولهذا كان المولود اذا ولد في الشهر الثامن يموت ولا يعيش ويكون عليلا لا ينتفع بنفسه بخلاف ما اذا ولد في سبعة أو تسعة وذلك

تما يحكهم التواء مثل ما يبصر الدخان الخارج من الالوان اومن فرن الفخار يدخل بعضه في بعض فيلتذ كل واحد من الشخصين بذلك التداخل و يكون حملهم من ذلك كلقاح النخلة بمجرد الرائحة (فان قلت) فهل هم قبائل وعشائر كالانس (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع من الفتوحات نعم ويقع منهم حروب عظيمة قال و بعض الزوابع قد يكون من حروبهم فان الزوبعة تقابل و يحيز تمنع كل واحدة صاحبتها ان تخترقها فيؤدي ذلك المدح الى الدور المشهود في الغبرة في الحس وما كل زوبعة تكون من حروبهم (فان قلت) فمن اول من سمي من الجن شيطانا (فالجواب) هو الحارث أبلسه الله تعالى اى طرده من رحمته ومنه تفرقت الشياطين باجمعها فمن آمن منهم مثل هامة بن الهام بن لاقيس بن ابليس التحق بالمؤمنين من الجن ومن بقي منهم على كفره كان شيطانا (فان قلت) فهل يصح في حق شيطان ان يسلم كما يسلم الكافر عندنا من الانس و يصير مؤمنا (فالجواب) قد اختلف الناس في ذلك و بني خلافهم على ضبط ميم فأسلم فان بعض الحفاظ ضبطها بالضم اى فأسلم انا منه وهو باق على كفره و بعضهم ضبطها بالفتح ولفظ الحديث ما من احد الا وله قرين يأمره بالسوء فقالوا وأنت يارسول الله قال نعم ولكن اعانني الله عليه فأسلم وفي بعض طرق الحديث فلا يأمرني الا بخير فهذه الزيادة تدل على انه يصح اسلامه في الجملة ٣ فان ابليس قد انظره الله تعالى الى يوم الدين يعني الجزاء حين تنقطع التكاليف فلا يصح ان يسلم ابدا لانه لو جاز ان يسلم لتعطل بعض حضرات الاسماء الالهية وما عصى الله احد فانه لا يصح في الوجود كله معصية من احد الا بواسطته اما بنفسه واما باعوانه والله أعلم (فان قلت) فاذا كان ابليس اول من عصى فهو نظير قابيل سواء (فالجواب) نعم والامر كذلك فكما كان قابيل أول الاشقياء من البشر فكذلك كان ابليس أول الاشقياء من الجن ولذلك قال تعالى الا ابليس كان من الجن اى من هذا الصنف المخلوقين الاشقياء (فان قيل) قد حكى الله تعالى عن ابليس انه اذا قال للانسان أكفر فلما كفر يقول له اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين فهل يدل هذا الخوف على توحيده باطنا (فالجواب) لا يدل ذلك على توحيده لانه أول من سن الشرك في العالم ثم بتقدير صحة توحيده ذلك الوقت فما يدرينا انه لحقته شبهة طرأت عليه على الفور فأخرجته عن ذلك التوحيد فانه لا بد أن يموت على الكفر قطعا فافهم (فان قلت) ان الكفر الذي امر به ابليس ليس بشرك فان الكفر هو تعيين الالوهية لغير من هي له مع عدم وجود اله ثان في عقده والشرك هو جعل المشرك مع الله تعالى الها آخر فمن أين جاء ان ابليس اول من سن الشرك في العالم (فالجواب) ان المراد بالكفر هنا هو الشرك وهو الظلم العظيم كما قال لقمان ذلك لابنه ولذلك قال تعالى في آخر الآية وذلك جزاء الظالمين يريد المشركين فانهم هم الذين لبسوا ايمانهم بظلم فعلمنا بقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم بالشرك ان المراد بالايمان في قوله تعالى ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الايمان بتوحيد الله عز وجل اذ الشرك لا يقابله الا التوحيد فعلم النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يعلمه الصحابة حين سألوه عن الظلم وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة من الفتوحات ثم قال ومن هنا ترك بعض العلماء التأويل ولم يقل به واعتمد على الظاهر ووكل علم ذلك الى الله فمن اعلمه الله بما اراده في كلامه قال به والا كف عن ذلك انتهى (فان قلت) فهل مجالسة الجان ردية او محمودة (فالجواب) هي ردية غير محمودة ومن آثر مجالستهم من العلماء الروحانيين فهو جاهل فان الغالب عليهم الفضول كالانس الفسقة فالعاقل من هرب منهم كما يهرب من مجالسة الفاسقين وما رأينا احدا جالسهم وحصل له ابدا خير وذلك لان اصلهم نار والنار كثيرة الحركة ومن كثرت حركاته كان الفضول اسرع اليه والجن اشد فتنة على جليسهم من الناس فانهم اجتمعوا مع فسقة الانس على الاطلاع

لان الثامن شهر يغلب على الجنين فيه البرد واليبس وهو طبع الموت وأطال في ذلك وقال العرش مستدير الشكل وكل ما أحاط به فيه الاستدارة وانظر الى التشبيه النبوي بان الكرسي في جوف العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة فشبهه بكرسي مستدير وهي الحلقة وكذلك شبه السموات في الكرسي كحلقة قال واعلم ان العرش يوصف تارة بالعظيم وتارة بالكريم وتارة بالمجيد فهو من حيث الاحاطة عظيم لانه أعظم الاجسام ومن حيث انه أعطى ما في قوته لمن هو في حيطته وقبضته فهو كريم ومن حيث نزاهته ان يحيط به غيره من الاجسام فهو مجيد لشرفه على سائر الاجسام قال فان قلت اذا كان العرش محيطا بجميع الكائنات فاين الخلاء الذي يكون فيه الحافون من حول العرش لان العرش قد عمر الخلاء فالجواب انه لا فرق بين كونهم حافين من حول العرش و بين الاستواء على العرش فان من لا يقبل التحيز لا يقبل الاتصال والانفصال نعم ان هذا العرش الذي تحف به الملائكة هو الذي يأتي الله فيه للفصل والقضاء يوم القيامة وليس هو الجسم الذي عمر الخلاء واستوى عليه الرحمن أما تراه تعالى يقول وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم

ـلى عورات النـاس التى لا يقع فيها عاقل وقد قال الشيخ محيى الدين فى الباب الحادى والخمسين من الفتوحات ما جالس احد الجان وحصل له منهـم بالله عـلم جملة واحـدة اذهم اجهل العالم الطبيعى بالله وصفاته قال ور بمـا يخيل جليسهم بما يخبرونه به من حوادث الاكوان وما يقع فى العالم ومن العالم ان ذلك من كرامـة الله له وهيهات فان غاية ما يمنحونه لمن يجالسـهم ان يطلعوه عـلى شئ من خواص النبـات والاحجار والاسمـاء والحروف وذلك معدود من علم السـيمياء فـما اكتسب هذا منهم الا العلم الذى ذمته الشرائع قال ومما جرب ان من أكثر مجالستهم صار عنده تكبر على الناس ومن تكبر مقته الله تعالى وأدخله النار كما جاءت به الآيات والاخبار انتهى * وقد اطال الشيخ الكلام على ذم عشرة الجن فى الباب الخامس والخمسين والله تعالى أعلم

(المبحث الرابع والعشرون فى ان الله تعالى خالق لأفعال العبد كما هو خالق لذواتهم)

وان العباد مكتسبون لا خالقون خلافا للمعتزلة فى قولهم ان العبد يخلق افعال نفسه * قال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف رحمه الله وقد كان الاوائل من المعتزلة كواصـل وابن عطاء وعمرو بن عبيد لقرب عهـدهم باجماع السلف على انه لا خالق الا الله تعـالى يتحاشون عن اطـلاق لفظ الخالق ويكتفون بلفظ المخترع والموجـد ونحوهما فلما رأى ابو على الجبائى وأصحابه ان معنى الـكل واحـد وهو المخترع من العـدم الى الوجود تجاسروا على اطـلاق لفظ الخالق واعلم يا أخى ان مسـئلة الـكسب من ادق مسائل الاصول وأغمضها ولا يزيل اشكالها الا الـكشف على نزاع فى ذلك كما سـيأتى فى نقول الصوفيـة وأما أرباب العقول من الفرق فهم تائهون فى ادراكها وآراؤهم مضطربة فيها وذلك ان افعال الانس وجميع الحيوانات وحركاتهم فى معايشهم وتصرفاتهم مشاهدة لا انـكار لها من احد ثم اذا رجعنا حاكم العقل لا يكاد يحكم بثبوتها احكاما جليا بحيث لا يبقى منازعة فى الصدر * وها انا اجلى عليك عرائس نقول المتـكلمين ثم نقول العـارفين من القوم فأقول وبالله التوفيق كان ابو الحسن الاشـعرى رحمـه الله يقول ليس للقدرة الحادثة اثر وانمـا تعلقها بالمقدور مثل تعلق العـلم بالمعلوم فى عدم التأثير وكان الشيخ أبو طاهر القزوينى رحمه الله يقول القضيات العقلية فى هذه المسئلة ثلاثة وهى اما ان تـكون الافعال كلها مقدورة لله تعالى على الاستبداد او مقدورة للخلق على الاستبداد او تكون مقدورة لله تعالى والخلق معا فالاولتان معلومتان واما الثالثة وهى ان تكون مقدورة بين قادرين فيلزم عليه ان الحركة الواحدة تعلق بها قدرتان قديمة وحادثة وهى اذا تعلقت بها قدرة واحدة استغنت عن القدرة الثانية فما فائدة الثانية وما متعلقها وما كيفية تعلقها وهى بالقدرة الاولى كائنة موجودة وحالاتها ثلاث حالة عـدم وحالة وجود وحالة ايجاد وتعلق القدرة الثانية بمـا فى هـذه الحالات الثلاث محال ثم لو قدرنا مقدورا بين قادرين خاصة بدواعيهما وارادتيهـما لوجب انه اذا منع احدهما فعله ولم يمتنع الثانى كان الحاصـل فعلا موجودا معدوما وهو من أمحل المحال : بقى ان يقال انمـا يلزم المحال اذا تعلق به القدرتان من وجه واحد اما اذا كان الفعل مضافا الى قادرين من وجهين مختلفين فلا استحالة فيه وذلك ان تعلق القدرة القديمة من وجـه الايجاد وتعلق القدرة الحادثة به من وجه الاكتساب وهـذا غير محال فيقال لو جاز ذلك لجاز ان يقع الوجهان فى حالتين بمعنى كان يقع الوجود بايجاد القدرة القـديمة فى حالة ويقع الحـدوث باكتساب القدرة الحادثة فى حالة ثانية وهو محال اذ حـدوثها قد حصـل بالقدرة القديمة فكيف يقال تعلقت القدرة الحادثة بها بعد وجودها ولو وقع الفعل بقدرة ممتزجة من القديم والحادث حتى تصلح للايجاد والاكتساب كان من امحل المحال على ان الاكتساب للموجد محال والايجاد للمكتسب محال وهذا القسم مع دقته وغموضه واختيار

بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين عند الفراغ من القضاء * وقال زيادة العبد لربه في الجنة تكون على عدد صلاته فى دار الدنيا ورؤيته له على قدر حضوره فيها معربه * وقال ينبغى لقارئ القرآن اذا لم يكن من أهـل الـكشف ان يبحث ويسأل علماء الشريعة عن كل شئ ثبت عندهم انه كان قرآنا ونسخ فيحفظه ليزيده الله بذلك درجات فى الجنـة حين يقال له يوم القيامة اقرأ وارق قال وقد زعم بعض أهل الـكشف انه سقط من مصحف عثمان كثير من المنسوخ قال ولو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الذى تولى جمع القرآن لوقفنا وقلنا هذا وحده هو الذى نتلوه يوم القيامة قال ولولا ما يسبق للقلوب الضعيفة ووضع الحكمة فى غـير اهلها لبينت جميع ما سقط من مصحف عثمان رضى الله عنه قال وأما ما استقر فى مصحف عثمان فلم ينازع أحد فيه (قلت) ذكر الشيخ محيى الدين فى الفتوحات المصرية ان الذى يتعين اعتقاده انه لم يسقط من كلام الله تعـالى شئ لانعقاد الاجماع على ذلك والله أعلم * وقال لا يعرف حقائق الحروف المقطعة أوائل السـور الا أهـل الـكشف والوجود فانها ملائكة وأسماؤهم أسماء الحروف قال وقد اجتمعت بهم فى واقعة وما منهم ملك الا وأفادنى علما لم يكن عندى فهم [illegible] انتهى [illegible] فاذا نطق القارئ بهذه الحروف كان مثل

الشيخ أبي الحسن الاشعري ومن تابعه النجار من المعتزلة على اختلاف بينهما قال الشيخ ابو طاهر وانما اختار الاشعري ومن تابعه هذا القسم على مذهب الجبرية ومذهب المعتزلة لكونه أسهل من مذهبيهما قال الشاعر

اذا لم يكن الا الاسنة مركبا * فلا رأى للمضطر الا ركوبها

قال وقد توجهت على الاشعري ومن تبعه اسئلة اظهرها ان كان للقدرة الحادثة اثر في المقدور فهو شرك وان لم يكن لها اثر فوجود تلك القدرة وعدمها سواء فان قدرة لا يقع بها المقدور بمثابة العجز ومن اجل هذا الاعتراض افترق اصحاب الشيخ ابي الحسن فقال بعضهم لا اثر للقدرة الحادثة اصلا في المقدور فيلزمه الجبر وقال آخرون القدرة الحادثة لها اثر في المقدور وهو اختيار القاضي ابي بكر الباقلاني واستدل بأن الانسان يحس من نفسه تفرقة بين حركتي الاضطرار والاختيار وهذه التفرقة لا ترجع الى نفس الحركتين من حيث الحركة لانهما مثلان بل ترجع الى امر زائد عليها وهو كون احداهما مقدورة ومرادة والثانية غير مقدورة ولا مرادة ثم لا يخلوان يكون تعلق القدرة باحدهما كتعلق العلم بالمعلوم من غير تأثير فيؤدي الى نفي التفرقة والانسان يجد التفرقة بينهما او يكون تعلق القدرة باحدهما تعلق تأثير ثم لا يخلو ذلك من امرين ايضا اما ان تكون راجعة الى الوجود والحدوث واما ان تكون راجعة الى صفة من صفات الوجود فالاول باطل لانه لو اثر في الوجود لاثر في كل موجود فتعين ان التأثير يرجع الى صفة أخرى وهي حال زائدة على الوجود مثل قادرية القادر عند ابي هاشم فانها لا تؤثر الا في حال الوجود فقالوا للقاضي قد اثبت حالا مجهولة لا اسم لها ولا معنى فأجاب بل هي معلومة بالدليل لكن لا يمكنني الافصاح عنه الآن بعبارة وان التفرقة ترجع الى اعتقاد العبد تفسير العقل له عند سلامة الآلة ووجود الاستطاعة وكل ذلك من الله تعالى وتقدم قول الشيخ ابي الحسن الاشعري انه لا اثر للقدرة الحادثة وقال خصومه نفي الاثر عن القدرة يؤدي الى نفي حقيقة القدرة فان القدرة فارقت العلم بتأثيره في المقدور ولو انه كان في عدم التأثير كالعلم لا كتفى الفاعل بعلمه عن القدرة فعلى هذا الكسب هو مقدور القدرة الحادثة عنده * واما عند القاضي فهو يعني الكسب حال وحكم هو مقدور القدرة الحادثة فيقال له هذه الحال هي مقدورة لله تعالى ام ليست بمقدورة فان لم تكن مقدورة لله تعالى فهي لا محالة تكون مقدورة للعبد وهو مذهب المعتزلة بعينه وان كانت مقدورة لله فلم يكن للعبد شيء البتة وذلك هو مذهب الجبرية بعينه فلا فائدة للتمسك بالحال في هذا المقام قال الشيخ ابو طاهر وقد غلا ابو المعالي اذ اثبت للقدرة الحادثة اثرا هو الوجود غير انه لم يثبت للعبد استقلالا بالايجاد ما لم يستند الى سبب آخر ثم سلسل الاسباب في سلسلة الترقي الى الباري جل وعلا المستقل بالابداع من غير حاجة الى سبب وقال في بعض كتبه ان القدرة الحادثة مقدور والقدرة القديمة لا نهاية من اثرها * وقال في مدارك العقول العبد فاعل على الحقيقة وان قدرته مؤثرة في ايقاع الفعل ومقدمة عليه وقال في موضع آخر منه نحن نقول بأن قدرتنا الحادثة تؤثر في غير محلها على شرط الاتصال * وقال في النظامي ان القدرة الحادثة هي المؤثرة للفعل وشبهها بالعبد في بيع ماله باذن سيده في البيع قال الشيخ ابو طاهر وحاصل الامر ان ابا المعالي كان تارة يثبت اثر القدرة الحادثة وتارة ينفيه هذه نهاية مذاهب الائمة في هذه المسئلة العويصة المشكلة فمن تأملها وكرر النظر فيها علم غموض معانيها وصعوبة مراقيها ولخص الامر ان من زعم ان لا عمل للعبد أصلا فقد عاند وجحد ومن زعم انه مستبد بالعمل فقد اشرك وابتدع وما بقي مورد التكليف الا ما يجده العبد في نفسه من الاختيار للفعل وعدمه فان العبد بين طرفي الاضطرار مضطر على الاختيار والله تعالى اعلم هذا احسن ما وجدته

فعلماؤهم يجيبونه بقول القارئ الم فيقول هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول فيقول القارئ ما بعدها من الحروف فيقولون صدقت ان كان خبرا ويقولون هذا مؤمن حقا نطق حقا واخبر حقا فيستغفرون له وهكذا القول في الف لام ميم صاد واخواتها وهم اربعة عشر ملكا آخرهم نون والقلم وقد ظهر وافي منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد مثل نون وصاد ومنازل ظهر فيها اثنان مثل طس ويس وحم وهكذا وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكا بيد كل ملك شعبة من الايمان فان الايمان بضع وسبعون شعبة والبضع من واحد الى تسعة فقد استوفى غاية البضع فمن نظر في هذه الحروف بهذا الباب الذي فتحت له يرى عجائب وتكون هذه الارواح الملائكة التي هي الحروف أجسامها تحت تسخيره وبما بيدها من شعب الايمان تمده وتحفظ عليه ايمانه * وقال في قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء الصواعق أهوية محترقة اشتعلت فلا تمر بشيء الا أثرت فيه ولولا الاثير الذي هو نار بين السماء والارض ما كان حيوان ولا نبات ولا معدن في الارض لشدة البرد الذي في السماء الدنيا فهو يسخن العالم لتسري فيه الحياة بتقدير العزيز العليم * قال واعلم ان الاثير الذي هو ركن النار متصل بالهواء والهواء حار رطب فيما

من

من كلام المتكلمين * واما كلام الصوفية في هذه المسئلة فاكثر من ان يحصى ولكن نشير الى طرف صالح منه فلعل الله تعالى يوضح لنا بعض معانيها حتى يأتينا الكشف عن الحق فيها وزوال اللبس ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ الاكبر في الباب الثاني والعشرين من الفتوحات ان صورة مسئلة خلق الافعال صورة لام الف في حروف الهجاء فان الرائي لا يدري اي الفخذين هو اللام حتى يكون الآخر هو الالف وسمى هذا الحرف الذي هو لام الف حرف الالتباس في الافعال فلم يتخلص الفعل الظاهر على يد المخلوق لمن هو ولكن ان قلت هو لله صدقت وان قلت للمخلوق مع الله صدقت ولولا ذلك ما صح خطاب الله تعالى للعبد بالتكليف ولا اضافة العمل اليه بنحو قوله اعملوا اه وقال الشيخ ايضا في الباب الثاني والعشرين واربعمائة انما اضاف تعالى الاعمال الينا لانا محل الثواب والعقاب وهي لله حقيقة ولكن لما شهدنا الاعمال بارزة على أيدينا وادعيناها لنا أضافها تعالى الينا بحسب دعوانا ابتلاء منه لاجل الدعوى ثم اذا كشف الله تعالى عن بصيرتنا أرينا الافعال كلها لله تعالى ولم نر الاحسان فهو تعالى فاعل فينا ما نحن العاملون ثم مع هذا المشهد العظيم لابد من القيام بالادب فما كان من حسن شرعا اضفناه اليه خلقا والينا محلا وما كان من سيئ أضفناه الينا باضافة الله تعالى فنكون حاكين قول الله تعالى وحينئذ يرينا الله عز وجل وجه الحكمة في ذلك المسمى سوأ فنراه حسنا من حيث الحكمة فيبدل الله سيآتنا حسنات تبديل حكم لا تبديل عين انتهى * وقال ايضا في الباب التاسع والسبعين ومائتين لولا النسبة بين الرب والمربوب يعني رابطة الاستمداد بالحق ما دل العبد على الرب ولا قبل التخلق باخلاقه قال وبتلك النسبة كان الحق تعالى مكلفا عباده بالامر والنهي وبها بعينها كان المخلوق مكلفا مأمورا منهيا قال فحقق ما نبهتك عليه فاني اظن انه ما طرق سمعك قط وان لم تكن كذلك فاتك ادب كثير * وقال في الباب السادس والتسعين ومائتين كنت لم ازل انفي التجلي الالهي في الفعل تارة واثبته أخرى بوجه يقتضيه ويطلبه التكليف اذ كان التكليف بالعمل من حكيم عليم ولا يصح ان يقول تعالى لمن يعلم انه لا يفعل افعل اذ لا قدرة له على الفعل وقد ثبت الامر الالهي للعبد بالعمل مثل اقيموا الصلاة فلا بد أن يكون له في المنفعل عنه تعلق من حيث الفعل به يسمى قابلا واذا كان كذلك صحت نسبة وقوع التجلي في الفعل فهذا الطريق كنت أثبته وهو طريق في غاية الوضوح يدل على ان القدرة الحادثة لها نسبة تعلق بما كلفت عمله لا بد من ذلك وحاصله ان العبد ما صحت له نسبة الفعل الا من كون الحق تعالى جعله خليفة في الارض فلو جرد عنه الفعل بالكلية لما صح ان يكون خليفة ولما قبل التخلق بالاسماء قال وهذه الفائدة مما نبهني عليها تلميذي اسماعيل حفظه الله تعالى ولما افادها لي لم يعرف احد قدر ما دخل علي من السرور انتهى * وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة اعلم انه لولا صحة النسب بكسر النون وتحقيق النسب الصورى بفتحها ما كان للاسباب عين ولا ظهر عندها اثر وأنت تعلم ان استناد العالم اكثره الى الاسباب فلولا ان الله تعالى حاضر عندها ما استند اليها مخلوق فانا لم نشاهد اثرا الا منها وما عقلناه الا عندها فمن الناس من قال بها ولا بد ومن الناس من قال عندها ولا بد ونحن ومن جرى مجرانا من اهل التحقيق يقولون عندها وبها اي عندها عقلا وبها شهودا وحسا فما طلب الحق تعالى من عباده الاعمال الا لهم فيه تعمل فلا بد من حقيقة تكون هنا تعطى صحة الاضافة في العمل اليك مع كون عملك خلقا لله والله خلقكم وما تعملون اي وخلق ما تعملون قال وبعض اهل الاشارة جعلوا ما ههنا نافية فالعمل للعبد والخلق لله تعالى وبين الخلق والعمل فرقان في المعنى واللفظ فما اضافه تعالى اليك هو عين ما اضافه تعالى اليه لكن مع اختلاف المعنى وما فصل ذلك

في الهواء من الرطوبة اذا اتصل بهذا الاثير اثر فيه لقربه اشتعالا في بعض اجزاء الهواء الرطبة فبدت الكواكب ذوات الاذناب لانها هواء محترق لا مشتعل وهي سريعة الانطفاء وان اردت تحقيق هذا فانظر الى شرر النار اذا ضرب الهواء النار بالمروحة يتطاير منها شرر مثل الخيوط في رأي العين ثم تنطفئ كذلك هذه الكواكب قد جعلها الله رجوما للشياطين الذين هم كفار الجن كما قال الله تعالى * قال واعلم ان الهواء لا يسمى ريحا الا اذا تحرك وتموج فاذا اشتدت حركته كان زعزعا وان لم تشتد كان رخاء وهو ذو روح يعقل كسائر اجزاء العالم وهبوبه تسبيحه تجري به الجواري ويطفأ به السراج وتشعل النار وتتحرك المياه والاشجار ويموج البحر وتتزلزل الارض ويزجي السحاب قال واعلم ان روح المياه من الهواء ولو سكن الهواء لهلك كل متنفس وكل شئ في العالم متنفس وتأمل الانسان اذا حمي بدنه في زمن الصيف يحرك الهواء بالمروحة ليبرد عنه ما يجده من الحرارة لما في الهواء من برودة الماء فان صورة الهواء من الماء * وقال في قوله تعالى ومن كل تأكلون لحما طريا

اعلم ان الله تعالى ما جعل تكوين دواب البحر الملح الا في العذب منه خاصة فان الله تعالى اجرى في قعره مياها عذبة وجعل للارض

الا ليعلمك ان الامر الواحد له وجوه فمن حيثما هو محل هو لك وتجزى به ومن حيثما هو خلق هو لله
تعالى فلا تغفل عن معرفة هذا فانه لطيف خفي انتهى (قلت) ونظير ذلك قول عيسى عليه الصلاة
والسلام تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك لان المعنى تعلم ما في نفسي التي هي لك ولا اعلم ما في
نفسك التي خلقتها ونفختها في فالنفس في الموضعين مضافة الى الله تعالى من وجهين خلقا واسنادا
والى العبد اسنادا فقط والله تعالى اعلم * قال الشيخ ايضا في الباب التسعين واربعمائة اعلم ان الحق
تعالى ما اضاف الفعل الى العبد الا لكونه تعالى هو الفاعل حقيقة من خلف حجاب جسم العبد فلم يكن
الفعل الا لله تعالى غير ان من عباد الله من اشهده ذلك ومنهم من لم يشهده ذلك قال تعالى فمنهم من
هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فالقسم الذي هداه هو الذي حفظه من دعوى الفعل لنفسه
حقيقة واما القسم الذي لم تحق عليه الضلالة فهو الذي حاد ولم يدر وهم القائلون بالكسب واما من
حقت عليه الضلالة فهم القائلون بخلق الافعال لهم انتهى وقال في الباب الاحد وثمانين واربعمائة
اعلم ان مقام الاحسان هو العمل على شهود الحق تعالى في حال العبادة وفي ذلك تنبيه عجيب فانه بتلك
المشاهدة يبصر ان الفاعل هو الله تعالى لا هو فان العبد انما هو محل لظهور العمل لا غير * وقال في
الباب الثاني والعشرين واربعمائة اعلم ان اعمالنا حقيقة لله وحده وانما اضافها الينا ابتلاء واختبارا
لينظر تعالى وهو العالم بما يكون قبل ان يكون هل ندعيها لانفسنا فيقيم الحق تعالى بذلك علينا
الحجة او نضيفها له فنقف موقف الادب نظير قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم فانه تعالى انما قال ذلك
لينظر هل نضيف اليه تعالى ما اضافه الى نفسه مع جهلنا بالكيف ام نرد ظاهر ذلك ونؤوله فنقع في
سوء الادب انتهى وقال في الباب السابع عشر وثلثمائة ومن اراد ان يعرف حقيقة ان الله تعالى هو
الفاعل من خلف حجاب الخلق فلينظر في خيال الستارة وصورها ومن هو الناطق في تلك الصور عند
الصبيان الصغار الذين بعدوا عن حجاب الستارة المضروبة بينهم وبين اللاعب بتلك الصور والناطق
فيها فالامر كذلك في صور العالم كله والناس اكثرهم اولئك الصغار الذين فرضناهم فهنالك يعرف
من اين اتي عليهم فالصغار في ذلك المجلس يفرحون ويطربون والغافلون يتخذون ذلك هزوا ولعبا
والعلماء بالله يعتبرون ويعلمون ان الله تعالى ما نصب هذا الا مثلا لعباده ليعلموا ان هذا العالم مع
الله تعالى مثل هذه الصور مع محركها وان هذه الستارة هي حجاب سر القدر الذي لا يجوز لاحد كشفه
واطال في ذلك وقال في الباب الخامس عشر واربعمائة مما يدلك على ان افعال العبد لله حقيقة
كونه جعل نفسه عين قوى العبد المحبوب في حديث كنت سمعه وبصره ويده ورجله ومعلوم ان
العمل ليس هو بجسم الانسان بما هو جسم حسا وانما العمل فيه لقواه فما تصرف في باطن العبد
الا الرب وهذا من اسرار المعرفة وقليل من عثر عليه ولذلك ادعى المعتزلة انهم يخلقون افعال نفوسهم
لحجابهم عن شهودهم مقوي قواهم انتهى * وقال في الباب التسعين واربعمائة في قوله تعالى كبر مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون اعلم ان المقت درجات بعضها اكبر من بعض ومن قال قولا ولم يصدق مقت
نفسه عند الله تعالى اكبر المقت اذا اطلع على ما حرمه من الخير بترك الفعل ولاسيما اذا رأى غيره قد
عمل بما سمعه منه واطال في ذلك ثم قال ومعنى الآية بلسان الاشارة يا ايها الذين آمنوا من وراء حجاب
لم تقولون ان الفعل لكم وما هو كذلك فانه لي فكيف تضيفون الى انفسكم ما لا تفعلون حقيقة ان
الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا اي يقاتلون في سبيله من ينازع الحق في اضافة الافعال الى
نفسه ويقول ان الفعل لي كالمعتزلة حتى يرجع الى الحق ويترك النزاع فيضيف الافعال كلها الى
الله تعالى * وقال في الباب الحادي والستين وثلثمائة اعلم ان الانسان مجبور في عين اختياره عند

كل

نفسا من الهواء فيطير التعفين من ذلك فيكون حيوانات البحر الملح في اثناء السنين ولولا وجود الهواء فيه والماء
العذب ما تكون فيه حيوان الا ترى البخار الصاعد من الانهار والبخار الصاعد من الارض ومن البحر كيف يخرج كما يخرج النفس من المتنفس فيطلب ركنه الاعظم فيستحيل منه ما يستحيل ويلحق بعنصره ما يلحق على قدر ما سبق في علم الله من ذلك فهو دولاب دائر منه يخرج واليه يعود * وقال في قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن اعلم ان طبقات الارض سبع كطبقات السموات في كونها واحدة فوق واحدة قال صلى الله عليه وسلم فيمن غصب شبرا من الارض طوقه من سبع ارضين وذلك انه اذا غصب شيأ من الارض كان ما تحت ذلك المغصوب مغصوبا الى منتهى الارض السابعة ولو لم تكن طباقا بعضها فوق بعض لبطل المعقول من هذا الخبر وكذلك الخبر الوارد في سجود العبد على الارض من ان يطهر الله ذلك الموضع بسجدته الى سبع ارضين وقوله يتنزل الامر بينهن اي بين السموات والارضين ولو كانت ارضا واحدة لقال بينهما قال وهذا الذي قررناه هو الظاهر وهو الذي اعطاه كشفنا والله اعلم وقال في قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون اعلم ان العالم

كل ذى عقل سليم مع ان جميع ما يظهر عنا من الافعال يجوز أن يفعله الحق تعالى وحده لا بأيدينا ولكن ما وقع ذلك فى الشاهد ولا ظهر الا بأيدينا اذ الاعمال اعراض والاعراض لا تظهر الا فى جسم وهذا وان كان صدقا فقد أنف اهل الله أن يصرحوا به وانما قالوا الاعمال لله خلقا وللعبد اسنادا مجازا انتهى * وسمعت اخى الشيخ زين العابدين المرصفى رحمه الله يقول مرارا اختيار العباد غير مفوض اليهم قطعا وأما قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فهو وعيد وليس بتفويض لقوله تعالى انا اعتدنا للظالمين نارا والله خلقكم وما تعملون لا يقال ان كان خالق أفعالهم وحده فكيف يعذبهم لانا نقول الثواب والعقاب انما هو على استعمال العبد الفعل المخلوق لا على أصل الخلق فيعاقب عليه اصرف الاستطاعة التى تصلح للطاعة الى المعصية لا على احداث الاستطاعة انتهى (وقال) الشيخ محيي الدين فى باب الوصايا أنت محل العمل لا عامل ولكن لولاك لما ظهر العمل صورة لانه عرض * وقال فى لواقح الانوار ايضا محال من الحكيم ان يقول امش يا مقعد أو افعل يا من لا يفعل فان الحكمة لا تقتضيه فبقى نسبة الفعل الى الفاعل ينبغى أن يعرف انتهى (وقال) فى الباب الثالث والعشرين وثلثمائة اعلم انه لا اثر لمخلوق فى الاعمال التى تظهر على يديه أبدا من حيث التكوين وانما له فيها حكم لا أثر واكثر الناس لا يفرقون بين الحكم والاثر فان الله تعالى اذا أراد ايجاد حركة أو معنى من الامور التى لا يصح وجودها الا فى موادها لانها لا تقوم بنفسها فلا بد من وجود محل يظهر فيه تكوين هذا الامر لا يقوم بنفسه فللمحل حكم فى الايجاد لهذا الممكن وماله فيه أثر فهذا الفرق بين الحكم والاثر اذا حققته علمت انه لا اثر للعبد جملة واحدة فى الفعل فلماذا يقول فعلت كذا مع أنه لا اثر له ولذلك يمقت نفسه عند الله اذا انكشف حجابه وينكشف له يقينا ان ذلك الفعل الذى كان يدعيه ليس هو له حين انقضى زمان التكليف فليس المراد ان الله تعالى يمقت العبد على نسبة الفعل لنفسه فان الله قد أضافه اليه وانما المراد ان العبد يمقت نفسه ولو انه فعل مستحضرا مشيئة الله تعالى فى ذلك الفعل لم يمقت نفسه عند الله تعالى قال تعالى ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله فشرع المشيئة ليدفع وقوع مقت العبد نفسه * وقال فى الباب الثامن والتسعين ومائة اذا نزهت الحق تعالى عن الشريك فقيده بالشركة فى الملك دون الشركة فى الفعل لاجل صحة التكليف فانه لولا ان للعبد شركة فى الفعل ما صح تكليفه اذ لا بد من شركة العبد فى الفعل من خلف حجاب الاسباب فعلم ان من نزه به عن الشركة مطلقا فانه مقام الكمال وقال فى الباب الثانى والسبعين حكم أفعال العبد مع الحق حكم آلة النجار أو الحائك ولله المثل الاعلى ونحوهما ان الله يفعل بالواسطة وبلا واسطة قال وبهذا القدر الذى هو كأنه آلة تعلق الجزاء والتكليف لوجود الاختيار من الآلة ولا دليل فى العقل يخرج العبد عن الفعل ولا جاء بذلك نص عن الشارع لا يحتمل التأويل فالافعال كلها من المخلوقين مقدورة لله تعالى ووجود اسبابها بالاصالة من الله تعالى وليس لمخلوق فيها مدخل الا من حيث كونه محلا لها انتهى * وقال فى الباب الثامن والتسعين ومائة فى قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون أثبت الفعل للعبد بالضمير ونفاه بالفعل الذى هو خلق كما انتفى أبو بكر فلم يظهر له لفظ فى القرآن وأثبته ضمير التثنية فى القرآن انتهى * وقال فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة على اسمه تعالى الواجد بالجيم اعلم انه تعالى لا يصعب عليه شىء طلب ايجاده فاذا طلب من العبد أمرا ولم يقع منه كان نعو يقه من قبله تعالى بمشيئته لا عجزا عن تنفيذه مثاله طلب من أبى جهل أن يؤمن بالله ورسوله وبما جاء به من أحدية الخالق فلم يجبه الى ما طلبه منه فالظاهر من أبى جهل ان ابايته انما كانت الامن حيث كونه ليس بواجد لما طلب منه والمنع انما كان منه تعالى اذ لم يعطه التوفيق ولو شاء لهداكم اجمعين فعلم انه تعالى لو قال للايمان كن فى محل ابى جهل او خاطبه بالايمان بلا

كله فى قبضة الحق لا يمكنه الانفكاك عن ذلك والانقباض فى المقبوض يبس بلا شك فهو يتقلب بتقلب الغلبة اليبس عليه ما يرطبه وقوله أفلا يؤمنون أفلا يصدقون بذلك لجواز خلافه عقلا الذى هو ضد الواقع فانه لو غلب عليه البرد والرطوبة هلك ولم يكن له شفاء يحيا به الا الحرارة واليبس فكان يقال فى ذلك الحال وجعلنا من النار كل شىء حى ولو غلب عليه البرد واليبس لكانت حياته بالهواء فيقال فى تلك الحالة وجعلنا من الهواء كل شىء حى ولو أفرطت عليه الحرارة والرطوبة لكانت حياته بالتراب وكان يقال فى هذه الحالة وجعلنا من التراب كل شىء حى وأطال فى ذلك * وقال حيثما أضيف الرزق الى الله تعالى فالمراد به الحلال الطيب من حيث الكسب وكل ما كان به حياة العبد فهو رزق الله وليس فيه تحجير ومن هنا كان المضطر لا حجر عليه فعلم ان الحرام لا ينبغى اضافته الى الله تعالى أدبا (قلت) ومن هنا كان من أدب الفقراء أن لا يأكلوا الا عند الجوع لتخف الشبهة فى الشبهات وليكونوا فى حال أكلهم تحت أمر واجب أو مستحب بخلاف الاكل من غير جوع فافهم وأول مراتب الجوع اشتعال الامعاء بأكل بعضها بعضا لعدم الطبيعة التى يسلط عليها والله اعلم . وقال فى قوله تعالى انه يراكم

واسطة لكان الايمان فى محل المخاطب فيكونه واجد انما هو اذا تعلقت الارادة بكونه وما عدا كن فما هى حضرة الوجدان انتهى * وقال فى هذا الباب ايضا فى الكلام على اسمه تعالى الخالق اعلم ان الخلق خلقان خلق يتقدم الامر الالهى كما فى قوله تعالى ألا له الخلق والامر فانه قدمه فى الذكر وخلق ايجاد وهو الذى يساوق الامر الالهى فيكون عين قوله كن عين قبول الكائن للتكوين فيكون على الاثر فالفاء جواب الامر وهى فاء التعقيب وليس الجواب والتعقيب الا فى الرتبة لا فى الامر الباطن خلاف ما يتوهم من انه لا يتكون الا عند الامر بقوله تعالى له كن ولولا هذا القول لم يكن والحق الذى نعتقده انه لا افتتاح للقول كما لا افتتاح لمعلوم علمه تعالى فما حدث الا ظهور والمكون لعالم الشهادة بعد ان كان غيبا فى علم الله تعالى والسلام * وقال فى كتاب لواقح الانوار ولا يصح لعبد قط عصيان الارادة الالهية وانما يعصى العبد الامر من خلف حجاب الداعين الى الله تعالى من الرسل واتباعهم من العلماء قال تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه ان نقول له كن فيكون فما وقع العبد فى تخلفه عن امتثال امر واجتناب نهى الا اذا كان الامر والنهى على لسان الوسائط من الخلق كما اذا قال الرسول او نائبه للناس صلوا أو صوموا فقد يقع المأمور به من العبد المأمور وقد لا يقع واما اذا قال الحق تعالى لعبده من غير واسطة كن مصليا أو صائما فانه يقع ولا بد وتأمل قوله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أقيموا الصلاة واصبروا وصابروا ورابطوا وجاهدوا ولا يقع من بعض الناس شئ من ذلك لتوقف امتثالهم على الارادة وهى لم ترد لهم امتثال الامر فكانه تعالى قال لهم حينئذ اخلعوا بانفسكم من غير ارادتى وليس من قدرتهم ذلك فكان المتعلق بهم جسم كن لا روحها فكانت كالميتة يحرم عليهم استعمالها بخلاف ما اذا تعلق بهم كن الحية الذى هو الامر الالهى بلا واسطة فانه يوجد عين الجهاد والرباط والصلاة وغيرها من افعال العباد فى حين توجه الاذن لهم وليس من شأن الافعال ان تقوم بنفسها والا كانت الصلاة تظهر فى غير مصل والجهاد فى غير مجاهد وذلك لا يصح فلا بد من ظهورها فيمن ظهرت عنه فاذا ظهر ذلك فيمن ظهرت عنه من المصلى او المجاهد او نحوهما نسب الفعل الى العبد وجازاه الحق تعالى عليه فضلا منه او عدلا ولولا ان العمل نفسه كان محلا للتنعم او التألم لكان هو اولى بالجزاء ولكن لما كان ليس محلا لذلك جعل الله تعالى الجزاء لاقرب نسبة اليه وهو العبد الذى هو الآلة قال ولولا هذه النسبة التى جعلها الحق تعالى للعبد لكان ذلك قدحا فى الخطاب والتكليف ومناهاة للحسن وكان لا يوثق بالحسن فى شئ وقد اطال الشيخ الكلام على ذلك فى الباب السادس والثمانين ومائتين * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول العبد محل ظهور الافعال كالباب الذى يخرج منه الناس فليس الناس متولدين من نفس الباب وانما ظهر بروزهم منه لا غير اذ الاعضاء الفعالة فى الظاهر ابواب للحركات الربانية المستورة اذ الاكوان كلها ستره وهو الفاعل من خلف حجاب بهذا الستر فقوم لا يشعرون بان الله تعالى هو الفاعل وهم المعتزلة وقوم يشهدون ويشعرون بذلك وهم الجبرية غلب عليهم شهود الفعل لله وحده ولم يتسع نظرهم حتى يضيفوه للعبد كما اضافه الحق تعالى اليه فأخطؤا الشريعة وقوم لا يشهدون ويشعرون وهم الاشعرية منعهم حجاب القول بالكسب عن الشهود وكل من هؤلاء الطوائف الثلاث على بصره غشاوة ولا تزول عنهم تلك الغشاوة الا بالكشف قال ولا ينبغى ان يقال العبد مجبور فى عين اختياره وان كان ذلك القول صحيحا لان فى ذلك سوء ادب ويرجع الى رائحة اقامة الحجة على الحق جل وعلا اهـ وسيأتى بسط ذلك فى المبحث عقبه * وقال فى باب الاسرار من الفتوحات ما طلب الحق تعالى من عباده ان يستعينوا به فى عباداتهم وغيرها الا لينبههم على عجزهم عن الاستقلال بالافعال وكان الامام الجنيد رحمه الله تعالى يقول اياك ان تقف فى حضرة شهود الفعل لله تعالى وحده دون

هو وقبيله من حيث لا ترونهم الآية أعلم ان الله تعالى وصف الجن باللطافة وخلقهم من مارج من نار والمرج الاختلاط فهم من نار مركبة فيها رطوبة المواد ولهذا يظهر لها لهب واللهب حار رطب قال واعلم ان الشياطين من الجن هم الاشقياء البعداء من رحمة الله خاصة واما السعداء فابقى عليهم اسم الجنس وهم الجان والجان خلق بين الملائكة والبشر الذى هو الانسان وهو عنصرى ولهذا تكبر فلو كان طبيعيا خالصا من غير حكم العنصر ما تكبر وكان مثل الملائكة وهو برزخى النشأة له وجه الى الارواح النورية بلطافة النار منه فله الحجاب والتشكل وله وجه الينا أيضا به كان عنصريا ومارجا فاعطاه الاسم اللطيف ان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ولا يشعر به وأطال فى ذلك ثم قال فالاسم اللطيف هو الذى جعل الجان يستتر عن أعين الناس فلا تدركهم الابصار الا متجسدين والله أعلم * وقال فى الباب الثانى ومائتين ما نصه اعلم ان آداب الشريعة كلها ترجع الى ما نذكره وهو أن لا يتعدى العبد فى الحكم موضعه فى جوهر كان أو فى عرض أو فى زمان او مكان أو فى وضع أو فى اضافة أو فى حال أو فى مقدار أو عدد أو فى مؤثر أو فى مؤثر فيه فاما ادبه فى الجوهر فهو أن يعلم العبد حكم الشرع فى ذلك

عباده فتقع فى مهواة من التلف ولا ترى الله مع ذلك قط ذنبا فتهلك مع الهالكين وفى ذلك هدم للشرائع كلها اه (فان قلت) فما منشأ الخلاف فى مسئلة خلق الافعال بين الفرق (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والستين ان منشأ الخلاف بينهم كونهم لم يدروا الى ماذا يرجع ذلك التمكن الذى اعطاه الله تعالى للعبد و وجده من نفسه حال الفعل هل هو راجع الى كون القدرة الحادثة لها فينا اثر فى ذلك العين الموجودة عن تمكننا او عن الارادة المخلوقة فينا فيكون التمكن اثر الارادة لا اثر القدرة الحادثة فعلى ذلك ينبنى كون الانسان مكلفا لعين التمكين الذى يجده من نفسه ولا يحقق بعقله لماذا يرجع ذلك التمكين هل هو لكونه قادرا او لكونه مختارا وان كان على قول بعضهم هو مجبور فى اختياره ولكن بذلك القدر من التمكن الذى يجده من نفسه صح ان يكون مكلفا ولهذا قال تعالى لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فقد اعطاها امرا وجوديا ولا يقال اعطاها لا شئ * وقال فى الباب الاحد وتسعين وثلثمائة فى قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اعلم ان فى هذه الآية اثبات القتل والرمى لمن نفاه عنه ثم انه لم يثبت على الاثبات بل اعقب الاثبات نفيا كما اعقب النفى اثباتا بقوله ولكن الله قتلهم وبقوله ولكن الله رمى فما اسرع ما نفى وما اسرع ما اثبت لعين واحدة وايضاح ذلك ان الله تعالى قال فاقتلوا المشركين فاظهر امرا وآمرا ومأمورا فى هذا الخطاب فلما وقع الامتثال وظهر القتل بالفعل من اعيان المحدثات قال ما انتم الذين قتلتموهم بل انا قتلتهم فانتم انما بمنزلة السيف لكم او اى آلة كانت للقتل كما ان القتل وقع فى المقتول بآلة ولم نقل فيها انها القاتلة بل الضارب هو القاتل فكذلك الضارب بالنسبة الينا ليس هو القاتل بل هو مثل السيف بالنسبة اليه هو فافهم * وقال فى باب الاسرار ما اجهل من قال ان الله تعالى لا يفعل بالآلة وهو يقرأ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فتراه يكفر بما هو به مؤمن هذا هو العجب العجاب فالسيف آلة للعبد والعبد والسيف آلة لله تعالى انتهى * وقال فى الباب الخمسين اعلم ان الحق تعالى ما كلفنا الا بعد ان جعل لنا قدرة نجد اثرها فى نفوسنا تعجز عنها العبارة واذا فقدت لم يكلفنا كما لم يكلف الزمن القيام فى الصلاة وهذه القدرة هى التى اظهرها النفخ الالهى فى الانسان بواسطة الملك فلولا هذه القدرة ما توجه علينا التكليف ولا قيل لاحدنا قل واياك نستعين فان فى الاستعانة اثبات جانب من الفعل للعبد فصدقت المعتزلة فى اضافتها الافعال الى العبد من وجه واحد بدليل شرعى واخطأت فى اضافتها الافعال اليه بحكم الاستقلال وصدقت الاشعرية فى اضافتها الافعال الى الله خلقا والى العباد كسبا من الوجهين بدليل شرعى وعقلى انتهى * وقال فى الباب الثانى والسبعين من الفتوحات اتفق النظار كلهم على ان خلق القدرة المقارنة للفعل من العبد لله وحده وانها ليست من كسب العبد ولا من خلقه فكل انسان معه اختيار لا ان له من نفسه اختيارا استقلالا * وقال فى باب الاسرار ما امر الله تعالى عباده بنصره الا واعطاهم الاشتراك فى امره فمن قال لا قدرة لى و يعنى الاقتدار فقد رد الاخبار وكان ممن نكث الحق وتكليف الحق تعالى ٣ بالميت انتهى * وقال فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى الخافض اعلم ان حضرة الخفض لا يتصرف الحق تعالى فيها تصرف المحدث الا اذا تنزل اليها فاذا تنزل اليها اضفنا اليه احكام تلك الحضرة فليس سلطان حضرة الخفض فى المحدث الا الاتيان ولو كان قرآنا فانه محدث عندهم باتيانه الا ترى حروف الخفض هى الخافضة للاسماء مع انها دونها فى الدرجة وتعلو الاسماء فيها بقول العبد اعوذ بالله فالباء خافضة ومعمولها كلمة الله فهى التى تخفض الهاء من الكلمة فأثرت فيما هو اعلى منها الذى هو الاسماء فالعالم وان كان فى مقام الخفض فى الرتبة فبعضه لبعض كادوات الخفض فى اللسان لا يخفض المتكلم الكلمة الا بها كذلك ما يفعله الحق

فيجري فيه بحسبه وأما أدب العبد فى الاعراض فهو ما يتعلق بافعال المكلفين من وجوب وحظر واباحة ومكروه وندب وأما أدبه فى الزمان فلا يتعلق الا بأوقات العبادات المرتبطة بالاوقات فكل وقت له حكم فى المكلف ومنه ما يضيق وقته ومنه ما يتسع وأما أدبه فى المكان كمواضع العبادات مثل بيوت الله فيرفعها عن البيوت المنسوبة الى الخلق ويذكر فيها اسمه وأما ادبه فى الوضع فلا يسمى الشئ بغير اسمه ليغير عليه حكم الشرع بتغيير اسمه فيحلل ما كان محرما ويحرم ما كان محللا كما فى حديث سيأتى على امتى زمان يظهر فيه أقوام يسمون الخمر بغير اسمها اى فتحا الباب استحلالها بالاسم وقد تفطن لما ذكرناه الامام مالك رحمه الله تعالى فسئل عن خنزير البحر فقال هو حرام فقيل له انه من جملة سمك البحر فقال أنتم سميتموه خنزيرا فانسحب عليه حكم التحريم لاجل الاسم كما سموا الخمر نبيذا أو تربزا فاستحلوها بالاسم وقالوا انما حرم علينا ما كان اسمه خمرا وأما أدب الاضافة فهو مثل قول الخضر فاردت أن أعيبها وقال فاردنا ان يبدلهما ربهما وذلك للاشتراك بين ما يحمد ويذم وقال فأراد ربك لتخليص المحمدة فيه فأفاد أن الشئ الواحد يكتسب ذما بالنسبة الى جهة ويكتسب حمدا بالاضافة الى

تعالى بواسطة الاسماء الالهية لابد من التنزل الى رتبة الخفض ليتصرف فى ادوات الخفض ثم ان حروف الخفض اذا دخل بعضها على بعض صار المدخول عليها منها اسماء وزال عنه حكم الحرفية فيرجع مخفوضا بالاضافة كسائر الاسماء وابقوا عليه البناء حتى لا يتغير عن صورته لان الخافض اصالة لا يكون مخفوضا حقيقة فهو هنا مخفوض المعنى غير مخفوض الصورة بما هو عليه من البناء مثل قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد قال وهكذا يكون الامر فى الطريق التى نحن فيها اذا اثر المحدث فى المحدث لم يشركه اثر فيه فبان يكون محدثا فالمحدوث له بمنزلة البناء للحرف والاثر فيه للمؤثر ولا مؤثر بالاجماع الا الله فهذا فعل الخلق ظهر بصورة فعل الحق تعالى فانفعل المنفعل بصورة الحق قال ومن هذه الحضرة قال تعالى كنت سمعه الذى يسمع به وقال فأجره حتى يسمع كلام الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله مع قوله ما على الرسول الا البلاغ اه وقال فى باب الاسرار ما فى الوجود الا افعاله مع انه حرم الفواحش فسلم ولا تناقش انتهى * وكان الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه يقول فى قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله اى ايجادا واسنادا وما اصابك من سيئة فمن نفسك يعنى اسنادا لا ايجادا وتأمل يا اخى قول السيد ابراهيم عليه الصلاة والسلام واذا مرضت فهو يشفين كيف لم يقل واذا امرضنى بل اضاف المرض الى نفسه حيث كان مكروها للنفس واضاف الشفاء الى الله لكونه محبوبا للنفس وكذلك تأمل قول ايوب عليه الصلاة والسلام رب انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين ولم يقل امسستنى الضر فارحمنى بل حفظ ادب الخطاب وكذلك تأمل قول الخضر عليه الصلاة والسلام فأردت ان اعيبها فاضاف العيب الى نفسه لما كان العيب مكروها وانظر كيف اضاف الامر المحبوب للنفس الى الله تعالى فى قوله تعالى فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما (فان قيل) فما الجواب عن قول الخضر عليه الصلاة والسلام فاردنا ان يبدلهما ربهما بنون الجمع الشاملة للعبد (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والثلاثين من الفتوحات ان قوله اردنا تحته امران امر الى الخير وامر الى غيره فى نظر موسى وفى مستقر العادة فما كان من خير فى هذا الفعل فهو لله من حيث ضمير النون وما كان فيه من نكر فى ظاهر الامر فى نظر موسى فى ذلك الوقت كان للخضر من حيث ضمير النون فعلم ان لنون الجمع هنا وجهين لما فيهما من الجمع وجه الى الخيرية به اضاف الامر الى الله تعالى ووجه الى العيب به اضاف العيب الى نفسه ولو ان الخطيب الذى قال ومن يعصهما فقد غوى كان يعرف هذين الوجهين اللذين علمهما الخضر ما كان صلى الله عليه وسلم قال له بئس الخطيب أنت وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نفسه وبين ربه بضمير واحد فقال ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ وما ينطق عن الهوى وكذلك جمع الحق تعالى نفسه مع الملائكة فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى فتأمل يا اخى فيما ذكرناه لك من آداب الانبياء تجدهم اكثر ادبا من سائر الخلق وقد قالوا لابى بكر رضى الله تعالى عنه لما مرض الا ندعو لك طبيبا فقال الطبيب أمرضنى فهو وان شهد الامر من الله تعالى لم يراع أدب اللفظ كما راعاه الخليل عليه الصلاة والسلام وأيوب انتهى (قلت) الذى نراه أن السيد أبا بكر رضى الله تعالى عنه لم يقل ما قال من اسناد المرض الى الله جهلا بمقام الادب مع الله وانما ذلك تنزل لعقل السائل له أن يدعو له طبيبا لما رأى من عدم شهوده مقام الخليل الاعظم عليه الصلاة والسلام والله أعلم * وقال فى الباب الاحد وعشرين ومائة اعلم يا أخى ان مسئلة خلق الافعال وتعقل وجه الكسب منها من اصعب المسائل قال وقد مكثت دهرى كله استشكلها ولم يفتح لى بالحق فيها على ما هو الامر عليه الا ليلة تقييدى لهذا الباب فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وكنت قبل ان يفتح على بذلك بعسر على تصور الفرق بين الكسب الذى يقول به قوم وبين الخلق الذى يقول به قوم وما

كنت

مرة أخرى وهو هو بعينه وانما تغير الحكم بالنسبة وأما أدب الاحوال كحال السكر فى الطاعة وحال السفر فى المعصية فيختلف الحكم بالحال وأما الآدب فى الاعداد فهو أن لا يزيد فى افعال الطهارة على أعضاء الوضوء ولا ينقص وكذا القول فى أعداد الصلوات والزكوات ونحوها وكذلك لا يزيد فى الغسل عن صاع والوضوء عن مد وأما ادبه فى المؤثر فهو أن يضيف القتل او الغصب مثلا الى فاعله ويقيم عليه الحدود وأما أدبه فى المؤثر فيه كالمقتول قودا فينظر هل قتل بصفة ما قتل به او بأمر آخر وكالمغصوب اذا وجد بغير يد الذى باشر الغصب فهذه أقسام آداب الشريعة كلها * وقال فى الباب الثالث ومائتين من راض نفسه ترقى لمقام رضا الله تعالى عنه وذلك لان الرياضة تذليل النفس شيأ بعد شئ حتى يلتحق بدرجة العبيد الخلص لله تعالى ولذلك سميت الارض ذلولا يطؤها البر والفاجر ولا تمييز عندها فى ذلك بل تحمل البار حبا لما هو عليه من مراضى سيده وتحمل الفاجر تحمل الله تعالى اياه بكونه يرزقه على كفره به وتبعه وجحده اياها ونسيان شكر رب النعمة ونحو ذلك (قلت) فعلم ان كلما اتسعت دائرة العبد فى المعارف كلما طولب بتحمل الاذى من جميع العالم على

كنت اعتقد الا الجبر المحض والآن قد عرفت تحقيق هذه المسألة على القطع الذي لا أشك فيه وعرفت الفرق بين المذاهب الثلاث فيها وذلك ان الحق تعالى اوقفني بكشف بصيرتي على المخلوق الاول الذي لم يتقدمه مخلوق اذ لم يكن ثم الا الله وحده وقال لي انظر هل هنا امر يورث اللبس والحيرة قلت لا يارب فقال لي هكذا جميع ما تراه من المحدثات ما لاحد فيه اثر ولا شئ من الخلق فانا الذي اخلق الاشياء عند الاسباب لا بالاسباب فتكون عن امري خلقت النفخ في عيسى وخلقت التكوين في الطائر قلت له يارب فنفسك اذن خاطبت بقولك افعل ولا تفعل فقال لي اذا اطلعتك بشئ من علمي فالزم الادب ولا تحاقق فان الحضرة لا تقبل المحاققة فقلت له يارب وهذا عين ما نحن فيه ومن يحاقق ومن يتأدب الا ان خلقت الادب والمحاققة فان خلقت المحاققة فلا بد من وقوعها وان خلقت الادب فلا بد من وجوده قال هو ذاك فاسمع وانصت قلت ذلك لك يارب اخلق السمع حتى أسمع والانصات حتى أنصت وما يخاطبك الآن سوى ما خلقت وحدك فقال لي ما اخلق الا ما علمت وما علمت الا ما هو المعلوم عليه حين تعلق به علمي في الازل ولي الحجة البالغة انتهى وسيأتي ايضاح ذلك في المبحث بعده ان شاء الله تعالى فتأمل يا اخي في هذه النقول ولكن مع اجتناب جميع ما يسخط الله عز وجل فان القلب المظلم من لازمه الاستشكال في الامور الواضحة فضلا عن مثل هذه المسألة وقد قال الامام الغزالي رحمه الله هذه مسألة لا يزول اشكالها في الدنيا وهو معذور في قوله والله تعالى اعلم *(خاتمة)* ان قيل ما المراد باضافة الخلق الى عيسى عليه الصلاة والسلام مع ان عيسى في ذلك عبد مخلوق الذات ومن شأن المخلوق ان لا يخلق ولا يقدر على ذلك (فالجواب) قد صرح القرآن العظيم بان خلق عيسى عليه الصلاة والسلام للطير انما كان باذن الله تعالى فكان عيسى في ذلك كالملك الذي يصور الجنين في الرحم باذن الله فكان خلقه عليه الصلاة والسلام للطير من جملة العبادة التي يتقرب بها الى الله تعالى لاذنه تعالى له في ذلك قال تعالى افرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض قال الشيخ محيي الدين في الباب السابع والثلاثين وثلثمائة في تفسير هذه الآية اعلم ان لفظة ما عامة لانها لفظة تطلق على كل شئ ممن يعقل ومما لا يعقل كذا قال سيبويه وهو المرجوع اليه في هذا الفن فان بعض المنتحلين للفن يقولون ان لفظة ما تختص بما لا يعقل ولفظة من تختص بمن يعقل وهو قول غير محرر فقد رأينا في كلام العرب جمع ما لا يعقل جمع من يعقل واطلاق ما على ما يعقل كهذه الآية فدخل عيسى في هذا الخطاب وان كان يعقل لانه لا يقدر يخلق شيأ استقلالا قال وقول سيبويه اولى والسلام * وتقدم قوله تعالى للشيخ قبيل الخاتمة خلقت النفخ في عيسى وخلقت التكوين في الطائر الى آخره وهذا امر لا اشكال فيه والله تعالى اعلم (فان قيل) فاذا اعطى الحق تعالى بعض خواصه في هذه الدار حرف كن هل يتصرف بها ام الادب تركه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائة أن من أدب أهل الله تعالى اذا أعطاهم الله تعالى التصرف بلفظة كن في هذه الدار لا يتصرفون بها لان محلها الدار الآخرة ولكنهم جعلوا مكان لفظة كن بسم الله ليكون التكوين لله تعالى ظاهرا كما هو له تعالى باطنا (فان قيل) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر الخلق ادبا وقد استعملها في بعض الغزوات (فالجواب) انما استعملها صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك بحضرة اصحابه بيانا للجواز ولانه كان مأذونا له في اظهار المعجزات وهذه المسألة من قبيلها فقال صلى الله عليه وسلم كن ابا ذر فكان ابا ذر وقال لعسيب النخل كن سيفا فكان سيفا (فان قلت) فهل يصح لاحد من الخلق انه يخلق انسانا باذن الله تعالى ام غاية امر الخلق ان يخلقوا الطير كما وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام في خلقه الخفاش (فالجواب) ان هذا السؤال اورده الشيخ محيي الدين في الباب الخامس والثلاثين وثلثمائة

اختلاف طبقاتهم وأنه كلما علت درجة العبد كلما كثر عصيانه اتباعه له لكثرة تخلقه بالحلم والرحمة وكانوا قبل ذلك سامعين مطيعين له لضيقه ولو انهم عصوه ايام ضيق حاله لنفر ولم يصبر وتفسخ عزمه عن تربيتهم هذا مع ان اسباب المخالفات في زيادات لا تنفك حتى تقوم الساعة وكلما كثرت اتسعت دائرة الحلم والعارف متخلق باخلاق الحق في ذلك ويؤيد هذا الذي قررناه ان الحق تعالى حبس تسعة وتسعين جزأ من الرحمة عن أهل الدنيا ثم ينشر جميع أجزاء الرحمة في الآخرة فنحن كل قليل نقرب من نشر هذه الاجزاء علينا وما قارب الشئ اعطى حكمه فافهم والله اعلم *وقال في الباب السابع ومائتين اعلم ان معاصي الخواص ليست كمعاصي غيرهم حتى يقعوا في المعاصي بحكم الشهوة الطبيعية وانما تكون معاصي الخواص بالخطا في التأويل وايضاح ذلك ان الحق تعالى اذا اراد ايقاع المخالفة من العارف بالله زين له الوقوع في ذلك العمل بتأول لان معرفة العارف تمنعه من الوقوع في المخالفة دون تأويل يشهد فيه وجه الحق فان العارف لا يقع في انتهاك الحرمة ابدا ثم اذا وقع في ذلك المقدور بالتزيين والتأويل يظهر تعالى له فساد ذلك التأويل الذي اداه الى ذلك الفعل كما وقع لآدم عليه السلام فانه عصى

ولقطه اذا خلق الانسان باذن الله تعالى انسانا لو فرض فهل هو انسان او حيوان فى صورة جسم انسان لان الله تعالى اعجز الخلق كلهم ان يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فضلا عن صورة انسان التى هى اكمل الصور ولكن قد ذكر لنا فى الفلاحة النبطية ان بعض العلماء بعلم الطبيعة كون من المنى الانسانى بتعفين خاص على وزن مخصوص من الزمان والمكان انسانا بالصورة الآدمية واقام سنة يفتح عينيه ويغلقها ولا يتكلم ولا يزيد على ما يتغذى به شيأ فعاش سنة ومات قال الشيخ فلا أدرى أ كان انسانا حكمه حكم اخرس او كان حيوانا فى صورة انسان انتهى والله تعالى أعلم

* (المبحث الخامس والعشرون فى بيان ان لله تعالى الحجة البالغة على العباد مع كونه خالقا لاعمالهم) *

فلو قدر ان عبدا قال يا رب كيف تؤاخذنى بما قدرته على قبل أن أخلق لقال له الحق تعالى وهل تعلق علمى بك الا بما انت عليه ولا افتتاح لعلمى ولا لمعلومى قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين فأتى بمثل هذه الآية لاقامة الحجة على عباده مع انه تعالى عالم بجميع ما يكون من العبد قبل كونه لثبوت ذلك فى علمه تعالى ولكن ما كل احد يبلغ الى ذوق هذا العلم والحجج انما تقام فى الاصل على المحجوبين لا على اهل الكشف لعدم نزاعهم الحق تعالى فى شئ اضافه الحق تعالى اليه أو اليهم فيجب على العبد ان يقيم الحجة لله على نفسه ايمانا حتى يعرف ذلك يقينا وكشفا لانه لا يجرى على العبد الا ما كان هو عليه فى العلم الالهى فما فعل تعالى بالعبد الا ما كان فى علمه تعالى وما فوق اقامة الحجة هو موضع لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (فان قيل) فما وجه كونهم يسئلون دونه تعالى (فالجواب) انما كانوا يسئلون لانه تعالى اذا اطلعهم عند السؤال على شهود الحالة التى كانوا عليها فى علمه تعالى الذى لا افتتاح له تحققوا حينئذ ان علمه تعالى ما تعلق بهم الا بحسب ما هم عليه وانه تعالى ما حكم فيهم الا بما كانوا عليه مع انه تعالى خالق بالاختيار لا بالذات فافهم واياك والغلط وقد حكى عبد الله بن سلام شكا نبى من الانبياء بعض ما اصابه من المكروه الى الله تعالى فأوحى الله تعالى اليه كم تشكونى ولست بأهل ذم هكذا بدء شأنك فى علم الغيب أفتريد ان اعيد الدنيا من اجلك وأبدل اللوح بسببك الى آخر ما ورد فعلم ان كل من اطلعه الله تعالى على هذا المشهد صار يعترف بحجة الله تعالى البالغة عليه من ذات نفسه ويقيم الحجة على نفسه كشفا ويقينا وقد أطال الشيخ محيى الدين فى الجواب ثم قال وأكثر الناس لا يعلمون وجه هذه الحجة بل يأخذونها على وجه الايمان والتسليم ونحن وأمثالنا نأخذها عيانا ونعلم موقعها ومن اين أتى بها الحق تعالى واعلم ان من علامة من يأخذ الحجة على وجه الايمان ان لا يتخيل الحجة عليه على وجهها بل لسان حاله يقول لو ان الحق تعالى مكننى من الاحتجاج حين يسألنى عن ذلك لقلت له يا رب أنت فعلت بى ذلك ولكنك لا تسئل عما تفعل ومثل هذا الكلام لا يقع الا من جاهل باحكام الله تعالى بل لله الحجة البالغة عليه مطلقا وكيف يليق بعبد ان يقول لسيده لا حجة لك على ولو بقلبه فتأمل فى ذلك وقد قال الشيخ فى الباب السابع والخمسين واربعمائة فى تفسير قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة (فان قيل) ما وجه كون حجة الله تعالى على العبد بالغة (فالجواب) وجه ذلك كون العلم تابعا للمعلوم وتميز الحق تعالى انما هو برتبة الفاعلية اذ الخلق كلهم مفعوله تعالى فما قال المعلوم شيأ من الامور الا وهو محكوم عليه بانه بقوله وكان لسان الحق تعالى يقول للعبد المجادل ما تعلق علمى بك حال عدمك الشخصى وأنت فى عالم الغيب عن هذا العالم الا على ما أنت عليه فانى ما ابرزتك الى الوجود الا على قدر ما قبلته ذاتك فيعرف العبد حينئذ ان ذلك هو الحق وهنالك تدحض حجج الخلق أجمعين من جميع المنازعين ولا يخفى ان كل واحد لله تعالى عليه الحجة ما هى عين

بالتأويل فعند ذلك يحكم العارف على نفسه بالعصيان كما حكم عليه بذلك لسان الشريعة وكان قبل الوقوع غير عاص لاجل شبهة التأويل بل كان الجنيد فى زمانه فتواه بأمر ما اعتقادا ان ذلك عين الحكم المشروع فى المسئلة لا يوصف بخطائه فى ثانى الحال اذا ظهر له بالدليل انه اخطأ حكم عليه لسان الظاهر انه أخطأ فى زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك فعلم انه لا يمكن لعبد ان يعصى ربه على الكشف من غير تأويل أو تزيين او غفلة او نسيان ابدا واما قول ابى يزيد لما قيل له ايعصى العارف الذى هو من اهل الكشف فقال نعم وكان أمر الله قدرا مقدورا فلا ينافى ذلك اى لان من ادب العارفين مع ربهم ان لا يحكموا عليه بتقييد كانه يقول ان كان الحق تعالى قدر عليهم فى سابق علمه بشئ فلا بد من وقوعه واذا وقع فلا بد لهم من حجاب ادناه التأويل والتزيين فاعلم ذلك وقال فى الباب الثامن ومائتين من مكر الله الخفى بابليس اشغاله بالعارفين ليوقعهم فى المخالفات وهو تعالى قد حفظهم من مطاوعته فى ذلك فهو يعمل دائما فى غير معمل فكلما وسوس لولى فى شئ خالفه ذلك الولى فيرقى بتلك المخالفة من حيث لا يشعر ابليس فهو لعنه الله ساع فى تنقيصهم ليلا ونهارا وذلك من رفع درجاتهم ولو انه شعر

مايقام على عبد آخرجملة واحدة وبتلك الحجة يظهر بها تعالى على عباده قال تعالى وهو القاهر يعنى بالحجة فوق عباده وهو الحكيم الخبير اى حيث يظهر على كل صنف صنف بما تقوم به الحجة لله تعالى عليه فلولا اطلاق التكليف ما كان خصما ولا حصل لنا معه مجلس حكم ولا تناظرنا تعالى وهذا من جملة انصاف الحق تعالى عباده ليطلب منهم النصف انتهى فليتأمل ويحرر ما فيه فانه منزع دقيق * وقال فى الباب الثامن والسبعين ومائة فى قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة اعلم ان فى هذه الآية دليلا على انه تعالى ما كلف عباده الا ما يطيقونه عادة فلم يكلفهم بنحو الصعود الى السماء بلا سبب ولا بشهود الجمع بين الضدين ولو انه تعالى كلفهم بذلك ما كان يقول فلله الحجة البالغة وانما كان يقول فله ان يفعل ما يريد كما قال لا يسئل عما يفعل يعنى فى اصل القسمة الازلية فهذا موضع لا يسئل عما يفعل لفقد من كان هناك يسئل الحق تعالى انتهى وسيأتى اوائل المبحث التاسع والعشرين نظم بديع لبعض اليهود فى تصوير وجه مخالفة العبد القدرة الالهية وانما ذلك غير ممكن فراجعه * وقال الشيخ فى باب الاسرار من احتج عليك بما سبق فى علم الحق فقد حاجك بالحق لكنها حجة لا تنفع صاحبها ولا تعصم جانبها ومع كونها ما نفعت سمعت وقبل بها وان عدل الشرع من مذهبها فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولكن اكثر الناس لا يشعرون ومثل هذه المسئلة لا يكون الاجهارا ولا يتكلم بها الا اشعارا مع انه لو جهر بها لكانت علما ونفثت فيهما او رثت فى الفؤاد كلما دونه تجز القمم لما تؤدى اليه من درس الطريق الاهم الذى عليه جمع الامم وان كان كل دابة هو آخذ بناصيتها فافهم فصح قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون وايضاح ذلك لا يذكر الا مشافهة لا لاهله فانه من علوم سر القدر والكتاب يقع فى يد اهله وغير أهله والله تعالى اعلم * وقال الشيخ فى كتاب لواقح الانوار لو ان عبدا قال لربه يارب كيف تؤاخذنى على امر قدرته على قبل ان اخلق لقال له الحق تعالى اما انت محل مجريان اقدارى فلا يسعه الا ان يقول نعم يارب انا محل مجريان اقدارك فاذا قال العبد ذلك قال له الحق فاذن قد ذهب اعتراضك على فان شئت جعلتك محلا للثواب وان شئت جعلتك محلا للعقاب والعذاب وان قال العبد مذهب المعتزلة قلنا له فحينئذ يقام عليك ميزان العدل فى قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت انتهى فقد قامت حجة الله تعالى على جميع الطوائف اه (قلت) وقد بلغنا ان ابليس قال يارب كيف تقدر على عدم السجود لآدم ثم تؤاخذنى به فقال جل وعلا متى علمت انى قدرت عليك الاباية عن السجود بعد وقوع الاباية منك او قبلها فقال بعدها فقال له الحق تعالى وبذلك آخذتك فسر القدر حكمه حكم مكيدة الفخ الذى ينصب للطير وهو اللولب المدفون فى التراب وحكم اختيار العبد حكم الحبة الظاهرة على وجه الارض فترى الطير لا يرى المكيدة ولا يهتدى له وانما يرى الحبة فقط فيلتقطها فيكون فيها هلاكه ولو انه عرف المكيدة ما لقط الحبة أبدا فهكذا ابن آدم لا يقع فى معصية الا هو غافل عن شهود المكيدة والمؤاخذة ثم اذا وقع ندم واستغفر والله يحب التوابين وبالجملة فاذا كان نفس ابليس وقع ولم يدر بذلك الامر الذى كان فيه هلاكه الا بعد الوقوع فكيف بغيره * وكذلك بلغنا ان ابليس سأل فى الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن له صلى الله عليه وسلم بشرط ان يصدقه وحفت به الملائكة وهو فى حال الزلة والصغار بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله خلقك للهداية وما بيدك منها شئ وخلقنى للغواية وما بيدى من الغواية لنفسى ولا لغيرى شئ وانزل الله تصديق ذلك انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء والله تعالى اعلم * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول اياك ان تحتج بأن ابليس اوقعك فى المعصية من غير ميل منك سابق فان الله تعالى قد حكى عن ابليس انه يتبرأ فى خطبته فى النار ممن اطاعه فى دار الدنيا وذلك موضع يصدق فيه

بذلك الرجيم ضيقهم فافهم * وقال فى الباب التاسع ومائتين انما احال الحق تعالى موسى على الجبل حين سأل رؤيته لان من صفات الجبل الثبوت اى فان ثبت الجبل اذا تجليت له فانك ستر انى من حيث ما فى ذاتك من ثبوت الجمال يقال فلان جبل من الجبال اذا كان يثبت عند الشدائد والامور العظام وايضاح ذلك ان الجبل ليس هو أكرم على الله تعالى من موسى وانما هو لكون خلق الارض التى الجبل منها أكبر من خلق موسى الذى هو من الناس كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس اى فاذا كان الجبل الذى هو الاقوى صار دكا عند التجلى فكيف يكون موسى من حيث جبليته الصغيرة يثبت لرؤيتى وأطال فى ذلك * وقال فى الباب العاشر ومائتين من اراد ان يعرف بغض الحق او محبته له فلينظر الى حاله الذى هو عليه من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والائمة المهتدين بعده فان وجد نفسه على هديهم واخلاقهم من الزهد والورع وقيام الليل على الدوام وفعل جميع المأمورات الشرعية وترك جميع المنهيات وذلك حتى صار يفرح بالبلايا والمحن وضيق العيش وينشرح لتحويل الدنيا ومناصبها ابشه واتباعه فليعلم ان الله تعالى يحبه والا فليحكم بان الله [illegible] والانسان على نفسه

الكذوب ويبين في تلك الخطبة جهل اهل المعاصي ويقول في آخرها فلا تلوموني ولوموا أنفسكم فاني ما اغويتكم بوسوستي الا بعد ان ملتم بنفوسكم الى فعل ما نهاكم الله تعالى عنه وما كان لي عليكم من سلطان قبل ان تميلوا فلا تلوموني ولوموا أنفسكم من حيث ملتم قبل وسوستي فان نفسكم كلسان الميزان الذي في الفلك وانا واقف تجاهكم على الدوام فما دام لسان الميزان في فلكها لم يخرج فأنتم محفوظون مني فاذا خرج لسان الميزان الى جانب معصية خبث ٣ فنفذت ارادتكم بالوقوع فانا تبع لكم وهنالك تندحض حجة العبيد الذين أطاعوا ابليس لقيام حجته عليهم وتصديقهم له في ذلك الموضع ويتضح لهم ان ابليس لم يوقعهم في ذلك مستقلا وانما اوقعهم نفوسهم فيصيرون يقيمون الحجة لابليس عليهم كما اقاموا الحجة عليهم بالنظر للاقدار الالهية واكثر من ذلك لا يقال * قلت فأصل هذا المبحث ان العبد هو الذي ظلم نفسه تصديقا لقوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فانه تعالى لا يخبر الا بالواقع ولما علم اهل الله تعالى ذلك طلبوا وجها حقيقيا يقيمون به الحجة لله تعالى على انفسهم فنظروا بالكشف الصحيح فرأوا جميع أفعالهم هي معلوم علم الله تعالى وكما لا افتتاح لعلم الله تعالى كذلك لا افتتاح لمعلومه واذا كان لا افتتاح لمعلومه فالحق تعالى لم يظلمنا شيأ ولعل المعتزلة لو اطلعوا على هذا الوجه الذي قررناه ما وقعوا في قولهم ان العبد يخلق افعال نفسه فانهم رأوا بعقولهم أنهم اذا جعلوا الفعل لله وحده خلقا ثم عاقبهم عليه كان ذلك غير العدل فلما خافوا من اضافة ذلك الى الحق قالوا جعلنا ان العبد يخلق افعال نفسه اخف من نسبة الظلم الى الحق من باب الاضافة والمجاز لا من باب الحقيقة فان مثل الامام الزمخشري لا يعتقد انه يخلق افعال نفسه حقيقة ابدا بل اليهود نفسهم لا يعتقدون ذلك ثم ان القول في جزاء الاعمال يوم القيامة كالقول في الاعمال نفسها فلو قال قائل لله لم تعذبني على ما ليس من خلقي لقال له الحق تعالى وهل تعلق علمي بك الا معاقبا على اعمالك فلا يسع العبد الا ان يقول نعم ما تعلق علمك بي الا معاقبا وهنالك يقيم العبد الحجة على نفسه يقينا وكشفا وهذا المنزع الذي ذكرته لم أره ذائقا من اهل عصري وغاية امرهم ان احدهم يقيم الحجة على نفسه ادبا فقط من باب قولهم يد لا تقدر ان تعضها قبلها فهو يقيم الحجة على ربه بقلبه كما هو مذهب الجبرية وربما يستشهد بقول الشاعر

القاه في اليم مكتوفا وقال له ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ايالك ايالك ان تبتل بالماء

ومثل هذا البيت لا يجوز عندنا التفوه به لما فيه من رائحة اقامة الحجة على الله تعالى فعلم ان الجبرية وغيرهم ما وقعوا فيما وقعوا فيه الا من شهودهم وجه حدوث العبد وكونه مخلوقا ولو انهم شهدوا الوجه الآخر وهو كونه قديما في العلم الالهي لاقاموا الحجة لله على نفوسهم فليتأمل فانه محل يتفلت من الذهن والله تعالى اعلم

(المبحث السادس والعشرون في بيان ان احدا من الانس والجن لا يخرج عن التكليف ما دام عقله ثابتا ولو بلغ اقصى درجات القرب على ما سيأتي بيانه)

اعلم يا اخي ان من المحال رفع التحجير عن كل عاقل ما بقيت الدنيا ولولا ذلك لكان كل من ارتفع حجابه يرتفع عنه التحجير لانه حينئذ لا يرى فاعلا الا الحق وحده ولا قائل بذلك من اهل السنة والجماعة وقول بعض العارفين ان السالك يصل الى مقام يرتفع عنه التكليف مراده بهذا التكليف ذهاب كلفة العبادة فلا يصير عليه منها بل وربما تلذذ بفعل ما كانت نفسه تتصعب لفعله قبل ذلك وقد مكثت انا في هذا المقام لا أتكلف لأشق العبادات ثم كشف لي عن نقص ذلك المقام لما يصاحبه من هوى النفس فتبت منه وصرت لا آتي بعبادة الا بمشقة وكلفة كأني حامل جبلا وذلك لما فيها من الآداب والمشاهد الذي

بصيرة * وقال في الباب الحادي عشر ومائتين في قوله تعالى لا تدركه الابصار ويحتمل ذلك وجهين أحدهما أنه نفى ان تدركه الابصار على طريق التنبيه على الحقائق أي على معنى ان المدرك له تعالى ليس هو الابصار وانما يدركه المبصرون بالابصار * والوجه الثاني لا تدركه الابصار المقيدة بالجارحة لضعفها عن مقابلة النور الالهي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نوراني أراه لمن سأله هل رأيت ربك يعني بالبصر المقيد بالجارحة فعلم ان الابصار اذا لم تتقيد بالجارحة أدركته تعالى بنوره الذي وقع فيه التشبيه بالمصباح لا بنورها المقيد الذي يقبل التشبيه وأطال في ذلك * وقال في الباب الثالث عشر ومائتين ما ذكر الله تعالى قط أحد عن غفلة بجوارحه كلها لان اللسان الذي هو المترجم قد ذكر وانما الغفلة عن شعور الذاكر بانه ذاكر فالذاكر باللسان اذا ذكر اللسان فهو أفضل من ترك الذكر جملة * وقال في الباب السادس عشر ومائتين من ارتفع حجابه رأى من ورائه كما يرى من امامه بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقد ذقنا هذا المقام ولله الحمد * وقال في الباب التاسع عشر ومائتين في قوله تعالى أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون الى ... سبحانه وتعالى أأنتم تخلقونه ولم

كلفنا

كلفنا بها فيها وكنت قبل ذلك لا اتكلف لها كما لا اتكلف لخروج النفس من الفى ودخوله وذلك انى رأيت الله عز وجل يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم فاذا فرغت فانصب اى اذا فرغت من عمل متعب فانصب فى عمل آخر اى متعب وهذا أمر لا يذوقه الا من سلك الطريق فأين الراحة من التكاليف ونحن مطالبون بالاقبال على الله تعالى فى كل نفس * واعلم يا أخى ان من عباد الله من لا يصلى الصلوات الخمس الا بمكة ومنهم من لا يصليها الا بيت المقدس ومنهم من لا يصليها الا بالمدينة المشرفة ومنهم من لا يصليها الا بجبل (ق) ومنهم من لا يصليها الا فى قبة ارين ومنهم من لا يصليها الا فوق سد اسكندر ومنهم من لا يصليها الا على الجبل المقطم المشرف على بحر السويس فربما الان الناس عن ذلك الفقير ويقولون انه تارك للصلاة وهو خطأ ولاهل هذا المقام امارات يتميزون بها على من يترك الصلاة تهاونا اوكسلا وقد قال لى مرة سيدى عبد القادر الدشطوطى ولم تقول اهل مصر عبد القادر ما يصلى شيأ ونحن والله لا نقطع الصلاة ولكن لنا اماكن نصلى فيها فقلت ذلك لسيدى محمد بن عنان رضى الله تعالى عنه فقال صدق الشيخ عبد القادر له اماكن يصلى فيها (واخبرنى) الشيخ محمد ايضا ان سيدى ابراهيم المتبولى ما رىء قط يصلى الظهر فى مصر ابدا حتى كان بعض الناس يقول كأن الله لم يفرض الظهر على ابراهيم والحال انه كان يصليه فى الجامع الابيض برملة لد (وكذلك) كان سيدى على الخواص فكان يصلى فى الجامع المذكور الظهر دائما وسمعت الشيخ بدر الدين المنشاوى رحمه الله يقول له يا شيخ الظهر فرض عليك فيسكت الشيخ (واخبرنى) الشيخ يوسف الكردى انه صلى مع سيدى ابراهيم الظهر فى الجامع الابيض مرارا قال ورأيت الذى يؤم فيه وهو شاب امرد نحيف البدن اصفر اللون كأن لونه الزعفران انتهى وقد حضرت انا صلاة الظهر عند سيدى عبد القادر الدشطوطى رحمه الله فلما سمع الاذان اضطجع وقال غطونى بالملاءة فغطيناه بها فلم نجد تحت الملاءة احدا ثم جاء بعد نحو خمس عشرة درجة * وكان سيدى على الخواص رحمه الله يغلق باب حانوته بعد اذان الظهر ساعة ثم يفتحه ففتحوا عليه مرة فلم يجدوه وبالجملة فأرباب الاحوال ينبغى التسليم لهم واما العارفون الذين هم قدوة للناس فيجب عليهم حفظ ظاهرهم والاعدم الناس بهم النفع فعلم ان الله تعالى لا يحرم شيأ او يوجبه على السنة رسله ثم يبيحه لاحد من اوليائه ابدا الا ان الله تعالى قد راعى شرعه الظاهر وجعله مردا للناس كلهم فلا يفسخ الشريعة الا من جاء بها من بعده من الرسل ونبينا آخر الرسل وليس لشرعنا ناسخ وقد ذكر الشيخ محيى الدين انه لا يجوز لولى قط المبادرة الى فعل معصية اطلع من طريق كشفه على تقديرها عليه كما انه لا يجوز لمن كشف له انه يمرض فى اليوم الفلانى من رمضان ان يبادر الفطر فى ذلك اليوم بل يجب عليه الصبر حتى يتلبس بالمرض لان الله تعالى ما شرع له الفطر الامع التلبس بالمرض او غيره من الاعذار قال وهذا مذهبنا ومذهب المحققين من اهل الله عز وجل (فان قيل) فاذا اطلع الولى على ان الله لا يؤاخذه على ذلك الذنب هل له الاقدام عليه (فالجواب) لا يجوز له على ان الاطلاع على عدم المؤاخذة ليس بواقع اصلا وان كان ذلك جائزا عقلا ذكره الشيخ فى باب اسرار الصوم من الفتوحات ويؤيد ما ذكرناه من بقاء اسم المعصية على جميع المكلفين قوله صلى الله عليه وسلم لعمر فى قصة اهل بدر وما يدريك ان الله تعالى اطلع على اهل بدر فقال افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانه لم يقل قد ابحت لكم وانما قال فقد غفرت لكم يعنى ذلك الذنب فأبقاه على تحريمه والمغفرة لا ترد الا على ذنب فافهم * وقد سئل القاسم الجنيد رضى الله عنه عن قوم يقولون باسقاط التكاليف ويزعمون ان التكاليف انما كانت وسيلة الى الوصول وقد وصلنا فقال رضى الله تعالى عنه صدقوا فى الوصول ولكن الى سقر والذى يسرق ويزنى خير ممن يعتقد ذلك ولو انى بقيت الف عام ما نقصت من اورادى شيأ الا بعذر شرعى

يقل انتم تخلقون منه أو فيه لانه تعالى أراد عين الجواد منا خاصة والاسم المصور وهو الذى يتولى تصوير الصورة فيه اية صورة شاء من الجنس او غيره وهو قوله تعالى فى اى صورة ما شاء ركبك يعنى شاء الاسم المصور * وقال فى الباب الخامس والعشرين ومائتين فى قول الله عز وجل حكاية عن ابراهيم عليه السلام رب ارنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى اى بلى آمنت ولكن لوجود الاحياء وجوه كثيرة كما كان وجود الخلق فمن الخلق من اوجدته يا رب عن كن ومنهم من اوجدته بيدك ومنهم من اوجدته بيديك ومنهم من اوجدته ابتداء ومنهم من اوجدته عن خلق آخر فطلبت العلم بكيفية الامر فان كان واحدا فأى واحد من هذه الامور والانواع فاذا اعلمتنى به اطمأن قلبى وسكن بحصول ذلك الوجه والزيادة من العلم مما امرتنا به فأحال سبحانه وتعالى ابراهيم على الكيفية بالطيور الاربعة التى هى مثال الطبائع الاربعة اخبارا بان وجود الآخرة طبيعى يعنى فتحشر الاجسام الطبيعية اذ كان ثم من يقول لا تحشر الاجسام وانما الحشر حشر النفوس بالموت الى النفس الكلية مجردة عن الهيا كل الطبيعية فاخبر الله تعالى ابراهيم ان الامر ليس هو كما زعم هؤلاء مغالطة على أمر موجود عنده تصرف فيه اعلاما

انتهى * وقال فى الباب الثامن والسبعين وماتين اول درجات خطاب الروح بالتكليف من حين التمييز الى حين يبلغ الحلم قال وقد اعتبر الحق تعالى فعل الصبى فى غير زمان تكليفه فلو قتل احدا لم يقم عليه حد وانما يحبس الى ان يبلغ و يقتل بما قتل فى صباه الا ان يعفو ولى الدم فقد اخذه بما لم يفعله فى زمان تكليفه واطال فى ذلك ثم قال واعلم ان من حكم انفاذ الوعيد من حيث لا يشعر به الا الخواص وجود التكليف وهو اول العذاب فان به يقوم الخوف بنفس المكلف فقد عذب عذابا حسياه ؤلما وهو عقوبة ماجرى منه فى الزمان الذى لم يكن فيه مكلفا من الافعال التى تطرأ بين الصبيان من الاذى والشتم والضرب على طريق التعدى وكل خير يفعله الصبى يكتب له حتى الحج ولوليه الذى حج به اجر المعونة التى لا يقدر الصبى على فعلها انتهى وقد سبق فى مبحث اسمه تعالى المريد نفائس تتعلق بتكليف الصبى وانفاذ الوعيد فى حق البرىء فراجعه * وقال الشيخ فى الكلام على صلاة التطوع من الفتوحات الذى اقول به ان من غلب عليه حال او كان مجنونا او صبيا فهو تحت خطاب الشارع خلافا لبعضهم وذلك لانه ماثم حال ولا صفة فى مكلف يخرج من حكم الشرع بالكلية فان الشارع قد اباح للصبى والمجنون التصرف فيما حظر على غيرهما ولا حرج عليهما فكيف يقال زال عنهما حكم الشرع وهما قد حكم لهما بالاباحة وهى حكم شرعى فعلى هذا ما خرج عن حكم الشرع واحكام الشرع مبنية على الاحوال لا على الاعيان انتهى (فان قلت) فما حكم البهاليل والمجاذيب (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والعشرين وماتين ان كل من سلب عقله كالبهاليل والمجانين والمجاذيب لا يطالب بأدب من الآداب بخلاف ثابت العقل فانه يجب عليه معانقة الادب والفرق ان من سلب عقله من هؤلاء حكمه عند الله حكم من مات فى حالة شهود ونعت استقامة لان ذهاب عقله انما هو من امر طرأ عليه من قبل الحق تعالى وضعف عن حمله فذهب عقله مع الذاهبين وصار حكمه حكم الحيوان ينال جميع ما يطلبه حكم الحيوان ينال جميع ما يطلبه حكم طبيعته من اكل وشرب ونكاح وكلام من غير مؤاخذة ولا مطالبة بذلك عند الله تعالى مع وجود الكشف وبقائه عليه كما يكشف الحيوان احوال الموتى على النعش وفى القبر انتهى (فان قلت) فلم سمى المجذوب مجذوبا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس عشر وماتين من الفتوحات انه انما سمى مجذوبا لجذب الحق تعالى له واخذه باعطافه ولولا انه كان متعشقا بحاله مستحسنا له ما جذبه الحق تعالى فكان سبب هذا الكشف تعشق احواله الطبيعية ولولا الجذب العنيف ما ترك ما كان فيه من اللذة لكن من رحمة الله تعالى انه نقله الى ما هو احلى والذ فان احوال المجاذيب فى لذاتهم لا يعادلها لذة لكونها لذة معنوية فى غير مادة محسوسة فلا تشبه حلاوة العسل ولا حلاوة الجماع بل هى اعلى واجل (فان قلت) هل تدوم تلك اللذة مع المجذوب الى موته ام تزول (فالجواب) تدوم اللذة معه زمانا ثم يفقدها قال الشيخ محيى الدين وكل جذب لا ينتج صاحبه علما لم يكن عنده قبل الجذب فليس هو بجذب ولا لتلك الحلاوة حلاوة فتح (فان قلت) فما الفرق بين المجاذيب والمجانين (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الرابع والاربعين ان الفرق بينهما هو ان المجانين سبب جنونهم فساد المزاج عن امر كونى من غذاء او جوع او فزع ونحو ذلك واما المجاذيب فسبب ذهاب عقولهم التجلى الالهى الذى جاءهم على بغتة فذهب بعقولهم فعقولهم محبوسة عند الحق تعالى منعمة بشهوده عاكفة فى حضرته متنزهة فى جماله فهم اصحاب عقول بلا عقول وسمى هؤلاء عقلاء المجانين اى المستورين عن تدبير عقولهم قال والمجاذيب على ثلاثة اقسام (الاول) من يكون وارده من القوة التى يكون فى نفسه عليها فيحكم الوارد عليه فيغلب عليه الحال فيكون تحكمه يصرفه الحال ولا تدبير له فى نفسه وكان ابو عقال المغربى

نان الطبائع لولم تكن معلومة مشهودة مميزة عند الله لم تميز فلما أوجد العالم الطبيعى الا من شئ معلوم عنده مشهود له نافذ التصرف فيه فضم بعضه الى بعض فظهر الجسم على هذا الشكل الخاص وبان لابراهيم باحالته على الاطيار الاربعة وجود الامر الذى فعله الحق تعالى فى ايجاد الاجسام الطبيعية والعنصرية فاجسام اهل السعادة طبيعية واجسام اهل النار عنصرية ولذلك لا تفتح لهم ابواب السماء اذ لو فتحت لخرجوا عن العناصر بالترقى فافهم هداك الله تعالى * وقال فى الباب الحادى والثلاثين وماتين من اعظم المكر بالعبدان يرزق العلم الذى يطلب العمل ويحرم العمل به او يرزق العمل ويحرم الاخلاص فيه فاذا رايت يا اخى هذا من نفسك او علمته من غيرك فاعلم ان المتصف به ممكور به * وقال فى الباب الرابع والثلاثين وماتين من النكت الجليلة التى ينبغى التنبيه عليها ان تعلم يا اخى ان المؤمن لا يأتى قط معصية توعد الله عليها بالعقوبة الا ويجد فى نفسه عند الفراغ منها الندم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقد قام به الندم فهو تائب فاذا قبله الحق سقطت عنه العقوبة فانه لابد للمؤمن ان يكره المخالفة ولا يرضى بها فى حال عملها فهو من كونه كارها لها مؤمنا بانها معصية

من اهل هذا المقام (الثاني) من يمسك عليه عقله في حضرة الله تعالى و يبقى عليه عقل حواسه فيأكل و يشرب و يتصرف من غير تدبير ولا روية و يتناول العيش الطبيعي كسائر الحيوانات (الثالث) من لم يدم له حكم ذلك الوارد بل زال عنه الحال و رجع الى نفسه بعقله فهو يدبر أمره و يعقل ما يقول و يقال له و يتصرف عن روية و تدبير مثل كل انسان وذلك هو الكامل من الاولياء و اطال في ذلك ثم قال واعلم ان اكبر من جذبه الحق تعالى الى حضرته الرسل عليهم الصلاة والسلام ولولا ان الحق تعالى كلفهم بتبليغ الرسالة وسياسة الامة لذهب بعقولهم اعظم ما شاهدوه من جلال الله وعظمته فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه الوحي ونزل به الروح الامين على قلبه يؤخذ عن حسه و يسجى بثوبه و يرغو كما يرغو البعير حتى ينفصل عنه وقد وعى ما جاء به الملك فيلقيه على الحاضرين و يبلغه للسامعين ومعلوم ان مواجيده صلى الله عليه وسلم التي كانت تطرقه من تجليات ربه على قلبه اعظم سطوة بيقين من نزول ملك او وارد في الوقت الذي لم يكن يسعه فيه غير ربه فلذلك كان يؤخذ عن نفسه مع كونه كان مستند الذلك الهول فعلم انه لولا ان الرسل مطالبون بهداية الخلق و جهادهم ما رد الله عليهم عقولهم فلذلك اعطاهم التمكين ليقوموا بما كلفوا به بخلاف المجاذيب فان هنالك من يقوم بهداية الخلق غيرهم من العارفين في كل عصر فافهم * وعلم ايضا انه ما ثم وارد يرد على قلب احد من الخواص وقد غلط في ذلك بعض اهل الطريق حين تكلموا على الفرق بين الولي و النبي وقالوا النبي يصرف الاحوال عنه والولي تصرفه الاحوال فجعلوا الانبياء مالكين احوالهم والاولياء مملوكين تحت احوالهم والحق ما ذكرناه من ان الرسل يؤخذون عن احساسهم عند واردات الحق تعالى بخلاف الولي صاحب الحال فقد يمكث دهره كله لا يحس بجوع ولا عطش ولا حر ولا برد بل و يما ذهب عمره كله كلمحة بارق * واعلم ان حالة ايام جذب المجذوب تكون بحسب الحالة التي جذبه الحق تعالى عليها فان جذبه في حال قبض فعمره كله قبض وان جذبه في حال بسط فعمره كله بسط وضحك او تبسم وان جذبه في حال كلام دنيوي فكذلك او اخروي فكذلك حتى اني رأيت بعض القضاة جذب فكنت لا أزال أراه يقول لا حقا ولا استحقاقا ولا دعوى ولا طلبا الى آخره و رأيت بعض النحاة جذب فكنت لا أزال أراه يقول باب النعت النعت تابع للمنعوت في نصبه وخفضه الى آخره فتأمل في هذا البحث فانك لا تجده مجموعا في كتاب والله يتولى هداك

(المبحث السابع والعشرون في بيان ان افعال الحق تعالى كلها عين الحكمة ولا يقال انها بالحكمة)

لئلا تكون الحكمة موجبة له فيكون محكوما عليه تعالى وهو لا يصح ان يكون محكوما عليه لانه تعالى أحكم الحاكمين فعلم انه لا ينبغي ان يعلل افعال الحق بالحكمة * وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والستين وثلثمائة في قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الباء في قوله بالحق بمعنى اللام اي للحق قال وهي عين اللام في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فان الله تعالى لا يخلق شيأ بشيء في الغالب وانما يخلق شيأ عند شيء وعلم ايضا انه تعالى اذا اخبر انه خلق شيأ بشيء فتلك اللام لام الحكمة فعين خلقه عين الحكمة اذ خلقه تعالى لا يعلل بالحكمة فيكون معلولا لها انتهى وعلم ايضا انه تعالى ان انعم فنعم فذلك فضله وان أبلى فعذب فذلك عدله وقد أخرج تعالى العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين وقال هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي ولم يعترض عليه معترض هنالك اذ لا موجود كان ثم سواه (فان قيل) فما معنى قوله تعالى في الحديث القدسي

ان يتوب عليهم وعسى من الله واجبة الوقوع فلا بد له من التوبة وحاصل الامر انه ذو عمل صالح من ثلاثة وجوه وذو عمل سيئ من وجه واحد كما تر *وقال في قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره لم يتعرض سبحانه في هذه الآية للمؤاخذة به ولكن لا بد من رؤيته لكل ما عمله فان كان ممن غفر له فانه يرى عظيم ما جنى وعظيم نعمة الله عليه بالمغفرة والكريم اذا توعد تجاوز وعفا والله أولى بهذه الصفة من الكرام من عبيده وأطال في ذلك والله أعلم * وقال في الباب الخامس والثلاثين ومائتين لا يجوز لاحد التواجد الا باشارة شيخ مرشد عارف بامراض الباطن (قلت) قال في الباب السادس والثلاثين ومائتين من شرط أهل الله في السماع ان يكونوا على قلب رجل واحد وان لا يكون فيهم من ليس من جنسهم أو غير مؤمن بطريقهم لان حضور مثل هؤلاء يشوش * وقال في الباب السابع والاربعين ومائتين استغفار الانبياء لا يكون عن ذنب سبقة

كذنوبنا وانما هو عن أمور نكبت عن دقة ولذا لا انه لا ذوق لنا في مقامهم فلا نخوض

من الذنب (قلت) ويتضح حمل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر

ولا أبالي (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين وثلثمائة ان معناه رحمتي سبقت غضبي في حق اهل الجنة وحقت كلمتي لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ويصح ان يكون سبق الرحمة أيضا في حق المشركين من حيث رحمة الايجاد من العدم اذ هي سابقة على ظهور الغضب الواقع عليهم بمعصياتهم ايام التكليف فلذلك كان تعالى لا يبالي بالفريقين واعلم ان الاسم الرب مع اهل الجنة لانهاد ار انس وجمال وتنزل الهي لطيف والاسم الجبار مع أهل النار لانهاد ار جلال وجبروت وقهر فلا يزال هذان الاسمان مع اهل الدارين ابد الآبدين ودهر الداهرين (فان قلت) فهل يتجلى الحق لاهل النار بالجلال الصرف أم بالجلال الممزوج كما في دار الدنيا (فالجواب) لا يتجلى الحق تعالى لاهل النار الا بالجلال الصرف لفقد الرحمة لهم بخلاف الدنيا فانه يتجلى بجلال ممزوج بجمال وذلك حتى يطيقه الخلائق (فان قلت) فاذن ليس المراد بعدم المبالاة بأهل النار ما يتبادر الى الافهام من عدم التهمم بأمرهم (فالجواب) وهو كذلك خلاف ما فهمه من لا معرفة له بالحقائق لانه لولا المبالاة بأمرهم ما آخذهم بالجرائم ولا وصف تعالى نفسه بالغضب السرمدي عليهم ولا كان بطشه الشديد حل بهم ولا كانت رحمته محرمة عليهم وهذا كله من المبالاة بهم والتهمم بأمرهم ولولا المبالاة ما كان هذا الحكم فللامور والاحكام مواطن اذا عرفها أهلها لم يتعدوا بكل حكم موطنه (فان قلت) فاذا كانت رحمته سبقت غضبه فما معنى قول الامام ابي القاسم بن قسي لا يحكم عدله في فضله ولا فضله في عدله (فالجواب) ان معناه ان كلا من النعتين ليس محلا لحكم الآخر كما تعطيه الحقائق ولكن قد علمنا من الله تعالى انه يتفضل بالمغفرة على طائفة من عباده قد عملوا الشرور ولا يقيم عليهم ميزان العدل ولا يؤاخذهم بالعدل وانما يحكم فيهم بفضله ولا يقال في هذا انه حكم فضله في عدله اذ محل حكم الصفة انما هو في المفضول عليه او المعدول عنه فعلى هذا يجب تأويل كلام ابن قسي فانه هو اللائق بمقامه فانه كان من الراسخين والله تعالى اعلم

(المبحث الثامن والعشرون في بيان انه لا رازق الا الله تعالى)

خلافا للمعتزلة في قولهم من حصل له الرزق بتعب فهو الرازق نفسه ومن حصل له بغير تعب فالله هو الرازق له واحتجوا بالحديث فكم ممن لا مطعم له ولا مأوي وليس في ذلك دليل لهم لان المراد به انما هو عدم تسهيل الرزق لا منع الرزق مطلقا من باب يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه قال اهل السنة ورزق العبد هو ما ينتفع به في التغذي وغيره ولو كان حراما بغصب أو سرقة او نحوهما وقالت المعتزلة ليس الحرام برزق حملا للرزق على الملك والجواب لا وجه للحمل عليه لان من الدواب ما لا يملك والله تعالى رازقها وعندهم ان العبد يقدر أن يأكل رزق غيره وعندهم ايضا انه لا يكون رزق الله تعالى الا حلالا لاستناده الى الله تعالى في الجملة وما اسند اليه من حيث انتفاع عباده به يصح ان يكون حراما يعاقبون عليه وقال اهل السنة لا قبح بالنسبة اليه تعالى فانه تعالى فعال لما يريد ويعاقبهم على الحرام لسوء مباشرتهم اسبابه * قال اهل السنة ويلزم المعتزلة ان المتغذي بالحرام فقط طول عمره لم يرزقه الله تعالى اصلا وهو مخالف لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ولا يترك تعالى قط ما أخبرنا انه عليه وان كان لا يجب عليه شئ لاطلاق حضرته وما اوجب الله تعالى على نفسه أشياء وحرم اشياء في نحو حديث اني حرمت الظلم على نفسي الا تأنيسا للعباد وتنزلا لعقولهم ليتخلقوا باخلاقه تعالى والا فالحق ان جميع ما أنعم به على عباده فضل منه ورحمة ولا يدخل تحت حد الواجب على عباده ومعنى قول المعتزلة السابق في الرزق لاستناده الى الله تعالى في الجملة اى لان الله تعالى هو خالق القدرة للعبد على تحصيل رزقه وفاقا منا ومن المعتزلة وهو بهذا الاعتبار مستند الى

فهل ذنوبهم على ما تعقله فنحن على نسبة الذنب اليه من حيث ان شريعته هي التي حكمت بانه ذنب فلولا أوحى به اليه ما كان ذنبا فجميع ذنوب أمته تضاف اليه والى شريعته بهذا التقدير وكذلك ذنب كل نبي ذكره الله وقد قالوا لم يعص آدم وانما عصى بنوه الذين كانوا في ظهره فما كان قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الا تطمينا له صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد غفر جميع ذنوب أمته التي جاءت بها شريعته ولو بعد عقوبة باقامة الحدود عليهم في دار الدنيا كما وقع لماعز ومن الواجب على كل مؤمن انتحال الاجوبة للاكابر جهده وذلك مما يحبه الله عز وجل ويحبه من أجبنا عنهم فافهم هذا اعتقادنا الذي نلقى الله تعالى عليه ان شاء الله تعالى * وقال في الباب الثامن والاربعين ومائتين لابد لطالب طريق الله تعالى من رمي ما بيده من الدنيا ان كان بلا عائلة ولا شيخ وان كان تحت تربية شيخ معتبر رماه بين يدي الشيخ وخرج عنها بالكلية ظاهرا او باطنا ولا يبقى له قط ملكا قال ولا ينبغي له ان ينتظر حالة تنشرح لاخراج ما بيده من الدنيا بل يرميه ولو كان في باطنه محبة له قال وهكذا كان خروجنا نحن بأيدينا من المال اذ لم يكن

الله تعالى عندهم ذكره الشيخ كمال الدين بن ابى شريف وقال بعضهم الذى يظهر لى ان خطأ الفرق الاسلامية كله خطأ اضافى لا مطلق ويحتمل ان يكون اكابر المعتزلة ما نفوا اضافة الرزق الحرام الى الله تعالى الا من باب ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ومن باب انه لا يقال سبحان خالق الخنازير وان كان تعالى خالقها فالمعتزلة يعتقدون ان الله تعالى خالق رزق العبد كله بل اليهود والنصارى والمجوس يعتقدون ذلك فضلا عن مسلم موحد كالزمخشرى وفى الحديث والخير كله فى يديك والشر ليس اليك اى لا يضاف اليك على وجه التشريف ويضاف اليك بحكم الخلق والقسمة وعليه يحمل حديث اللهم اغننى بحلالك عن حرامك قال وكثيرا ما ينصب العلماء الخلاف بينهم بلازم المذهب لا سيما المقلدون ولازم المذهب ليس بمذهب على الراجح فعلم أن المعتزلة ان ارادوا بقولهم الحرام ليس برزق الله الادب اللفظى فلا بأس به وان ارادوا غير ذلك فهم مخطئون باجماع اهـ وقد قال الشيخ محيى الدين فى الباب الثامن والسبعين واربعمائة فى قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها اعلم ان الحق تعالى يوصل لكل مخلوق رزقه الذى قسمه له وليس ذلك من اهانته عليه ولا كرامته فانه تعالى يرزق البر والفاجر والمكلف وغير المكلف ولكن من اعتنائه بالعبد أن يرزقه حلالا لا شبهة فيه ويخرجه له من بين الحرام والشبهات كما يستخرج اللبن من بين فرث ودم قال تعالى بقية الله خير لكم وهى ما أحل للخلق تناوله من جميع الاشياء التى تقويهم على طاعة ربهم قال وليس رزق العبد الا ما تقوم به نشأته وتدوم به قوته وحياته لا ما جمعه وادخره فقد يكون ذلك لغيره وحسابه على جامعه انتهى * وقال أيضا فى الباب الثامن والثمانين واربعمائة فى قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى اعلم ان رزق ربك هو ما أعطاك مما انت عليه فى وقتك وما لم يعطك فان كان لك فلا بد من وصوله اليك وما ليس لك فلا يصل اليك قط فلا تتعب نفسك فى غير مطمع ومرادنا بقولنا ان كان لك انك تأخذه على الحد المشروع فان ما أخذ من حرام لا ينبغى اضافته الى الله تعالى أدبا وانما يضاف الى الطبع كما أضاف الخليل عليه الصلاة والسلام المرض الى نفسه حيث كان مكروها والشفاء الى الله تعالى حيث كان محبوبا وكما قال ايوب عليه الصلاة والسلام رب انى مسنى الضر اهـ * وقال ايضا فى الباب الثامن والتسعين ومائة حيثما أضيف الرزق الى الله تعالى فالمراد به الحلال الطيب من حيث الكسب وكل ما كان به حياة العبد فهو رزق الله تعالى وليس فيه تحجير ومن هنا ابيح الحرام للمضطر لكن لا ينبغى اضافة الحرام الى الله تعالى أدبا وما ورد فى حديث اغننى بحلالك عن حرامك السابق فانما هو بيان للجواز

(خاتمة) فى بيان ان الاكتساب لا ينافى التوكل ولا ينبغى نصب خلاف فى ان السعى افضل من التوكل على هذا لان الحق تعالى جعل الرزق على حالتين فما سبق فى علم الله انه أتيك بسعى ولا بلا سعى لا يقال فيه ان السعى افضل وما سبق فى علم الله انه لا أتيك الا بالسعى فى تحصيله لا يقال فيه ترك السعى افضل فان الرزق فى طلب صاحبه دائر والمرزوق فى طلب رزقه حائر وبسكون احدهما يتحرك الآخر ولكن هذا الحال يحتاج الى كشف ومن لا كشف عنده فهو مخير بين السعى وعدمه وغالب الخلق يقولون كل شئ رأيناه يحتمل ان يكون قسم لنا فتراهم يتجاذبونه وكل من غلب صاحبه تبين انه له كالزقاق الذى يدخله الجاهل فان رآه ينفذ خرج منه وان رآه مسدودا رجع ثم ما قررناه أولا هو على مذهب المحققين من الصوفية واما على مذهب المتكلمين فرجح قوم التوكل مطلقا وآخرون الاكتساب مطلقا قال ابن السبكى والمختار ان ذلك يختلف باختلاف الناس فمن كان فى توكله خاليا عن التسخط اذا ضاق رزقه ولا تتطلع نفسه الى ما فى ايدى الناس فالتوكل فى حقه ارجح لما فيه

صدقوا اذ لم يأتوا باربعة شهداء وقال فى قضية خاصة فى ذلك كان ... فلو جاؤا عليه باربعة شهود

* وقال فى الباب الثالث والاحد وخمسين ومائتين فى قوله تعالى وقل رب زدنى علما اعلم ان كل من طلب الزيادة من شئ فما ارتوى منه ولذلك لم يأمر الحق سبحانه وتعالى بطلب العلم الى وقت معين ولا حد محدود بل أطلق طلب الزيادة والعطاء دنيا وآخرة فلا يزال طالب العلم عطشان لا يروى أبدا لانه كلما نال علما أعطاه ذلك العلم الاستعداد لعلم آخر كونى أو الهى فما قال بالرى الا من جهل ما يخلق فيه على الدوام والاستمرار ومن لا علم له بنفسه فلا علم له بربه واذا كان الحق تعالى لم يزل خلاقا الى غير نهاية فينا فالعلوم الى غير نهاية وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الثانى والستين ومائتين اعلم ان الشريعة تسمى حقيقة لانها حق كلها والحاكم بالشريعة على حق وهدى من الله وان كان المحكوم له على باطل والمحكوم عليه على حق لكن هل هو عند الله كما حكم هذا الحاكم أو كما هو فى نفس الامر قال بكل جاء وقال والمسئلة تحتاج الى مزيد وتحقيق نظر فان العتو ... قد اوقعها الله فى الرامين المحصنات وانه كان ... الحكم ... اذ لم يأتوا

من الصبر والمجاهدة للنفس ومن كان في توكله على خلاف ماذكرنا فالاكتساب في حقه اورج من التسخط والتطلع وقد سئل الحسن البصري رضي الله تعالى عنه عن شخص يريد ان يجلس في بيته تاركا للحرفة ولا يخرج ويقول انا متوكل على الله تعالى فقال ان كان له يقين كيقين ابراهيم عليه الصلاة والسلام فليفعل والا فليخرج الى الحرفة لئلا يصير يأكل بدينه وزهده ويصطاد بهما الدنيا انتهى * وقال الشيخ محيي الدين في باب الجنائز من الفتوحات اعلم ان اضطراب قلب المؤمن في امر رزقه لا يقدح في اصل ايمانه وانما يقدح في كماله فقط وذلك لان هذا الاضطراب ما هو عن تهمة في حق الله تعالى في ان الله لا يرزقه وانما هو اضطراب البشرية لعدم الصبر والاحساس بألم الفقد فان العبد يعلم بالايمان ان الله يرزقه ولا بد من حيث كونه حيوانا ولكن لم يعلمه الحق تعالى متى يرزقه انما اعلمه انه لا يموت حتى يستكمل رزقه فما يدري عند فقد السبب الجالب للرزق هل فرغ وجاء اجله فيكون فزعه من الموت ام رزقه لم يفرغ في علم الله فيكون اضطرابه لجهله بوقت حصول الرزق بانقطاع السبب فيخاف من ألم الجزع المتوقع او من دوامه ان كان وقع فهذا سبب الاضطراب انتهى * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول قد يدعي بعض الناس التوكل ويسعى كل السعي وان لامه احد على ذلك يقول سعيي لاجل العيال لا لاجل نفسي فمثل هذا يجب عليه ان يمتحن نفسه بأن يفرق جميع ما يكتسبه على العيال أولا فأولا ولا يدخر لنفسه منه شيأ وينظر فان وجد في نفسه رائحة اضطراب فليعلم انه غير متوكل على الله وانما هو مدع كذاب فان القوم ما سعوا في الرزق الا امتثالا لامر الله تعالى حتى لا تتعطل الاسباب فهمتهم امتثال الامر لا الاعتماد على الاسباب انتهى والله تعالى اعلم * (انتهت مباحث الالوهية وتوابعها) * فلنشرع في مباحث النبوة والرسالة فنقول وبالله التوفيق

(المبحث التاسع والعشرون في بيان معجزات الرسل والفرق بينها وبين السحر ونحوه كالشعبذة والكهانة وبيان استحالة المعجزة على يد الكاذب كالمسيح الدجال وذكر نقول المتكلمين من الصوفية وغيرهم وتحرير مسئلة ما كان معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي)

اعلم ان الحق تعالى ما ارسل الرسل الا ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم وذلك انه ما بعث رسول الا في زمن حيرة وتردد بين التنزيه والتشبيه بعقولهم فمن الله تعالى عليهم بان اقام الحق تعالى لهم شخصا ذكر انه جاء اليهم من عند الله تعالى برسالة يزيل بها حيرتهم فنظروا بالقوة المفكرة فرأوا ان الامر جائز ممكن فلم يعزموا على تكذيبه ولا رأوا علامة تدل على صدقه فوقفوا وسألوه هل جئت بعلامة من الله تعالى يعرف بها صدقك في ارسالك فانه لا فرق بيننا وبينك الا ذلك فجاءهم بالمعجزة فمن الناس من آمن ومنهم من كفر * فعلم ان كل نبي لم يظهر له شئ من الآيات الا بقدر اقامة الحجة على قومه لا غير فان جميع الآيات انما وقعت على يد الرسول من كونه رسولا رفقا بالمؤمنين من امته وحجة على الكافر ألا ترى الى قصة الاسراء لما خرج الى الناس صباح تلك الليلة وذكر لاصحابه ما جرى له في اسرائه وما وقع له مع ربه كيف انكر عليه بعض الناس لكونهم ما رأوا لذلك اثرا في الظاهر انما زادهم حكما في التكليف وانظر الى موسى عليه الصلاة والسلام لما جاء من عند ربه كساه الله نورا على وجهه يعرف به صدق ما ادعاه فما رآه احد الا عمي فكان يمسح وجهه الرائي له بثوب مما عليه فيرد الله عليه بصره من شدة نوره ولذلك كان يتبرقع حتى لا يتأذى الناظر ون اليه اذا رأوه قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والثلاثين واربعمائة وكان شيخنا ابو يعزى المغربي موسوي المقام وكان له هذه الكرامة فكان لا يراه احد الا عمي وممن رأى وجهه فعمي شيخنا ابو مدين لما رحل اليه

الحكم في ذلك فان جلد الرامي انما كان لرميته ولكونه ما جاء باربعة شهداء وقد تكون الشهداء شهود زور في نفس الامر وتحصل العقوبة بشهادتهم في المرمي فيقتل وله الاجر التام في الآخرة مع ثبوت الحكم عليه في الدنيا وعلى شهود الزور والمفتري العقوبة في الاخرى وان حكم الحق في الدنيا بقوله وبشهادة شهود الزور فيه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر مثلكم وانكم لتختصمون الي ولعل احدكم يكون الحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بحق اخيه فلا يأخذه فانما اقطع له قطعة من النار فقد قضى له بما هو حق لاخيه وجعله له حقا مع كونه معاقبا عليه في الآخرة كما يعاقب الانسان على الغيبة والنميمة مع كونهما صدقا فما كل صدق في الشرع تقترن به السعادة وأطال في ذلك * ثم قال في الباب الثالث والستين وماتين فعين الشريعة عين الحقيقة والشريعة حق ولكل حق حقيقة فحق الشريعة وجود عينها وحقيقتها ما ينزل منزلة الشهود البصري والوجود الحسي النافي للشك جملة اذ الحقيقة تطلب الحق لا تخالفه وما ثم حقيقة تخالف شريعة ابدا فان الشريعة من

اليه فسمع ابو مدين عيفيه بثوب ابي يعزى فرد الله عليه بصره قال الشيخ محيي الدين وكان ابو يعزى هذا في زماني ولكن لم اجتمع به لما كنت عليه من الشغل وكان غيره من الاولياء المحمديين ممن هو اكبر منه في الحال والعلم والقرب الالهي لا يعرفه ابو يعزى ولا غيره قال الشيخ من جعل الله كرامته في قلبه فقد ملأ يديه من الخير وكان ممن اصطنعهم الحق تعالى لنفسه فلم تعرفه الابصار في الدنيا ومن جعل الله كرامته في الآفاق وخرق العوائد اشتهر ضرورة بين الناس وخيف عليه الفتنة انتهى

* فقد بان لك ان الله تعالى ما أيد جميع رسله بالمعجزات الباهرات الا تأسيساً للانقياد قومهم اليهم اذ من شأن البشر أن لا ينقاد لبعضه بعضاً الا بظهور برهان وقد حد جمهور الاصوليين المعجزة بانها امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة من المرسل اليهم بان لا يظهر بينهم ذلك الخارق كما سيأتي بيانه في المبحث بعده والمراد بالتحدي هو الدعوى للرسالة وفيما قلنا تنبيه على انه ليس الشرط الاقتران بالتحدي بمعنى طلب الاتيان بالمثل الذي هو المعنى الحقيقي للتحدي وانما المراد انه يكفي دعواه الرسالة فكل من قيل له ان كنت رسولا فأتنا بمعجزة فاظهر الله تعالى على يديه معجزا كان ظهور ذلك دليلا على صدقه نازلا بمنزلة التصريح بالتحدي قال الشيخ كمال الدين بن ابي شريف واصل التحدي انه تفعل من الحداء اي تكلف الحداء على وجه يباري فيه الحادي شخصا آخر انتهى * وخرج بقولنا مقرون بالتحدي الخارق المتقدم على التحدي وذلك يتناول ما وجد من النبي قبل النبوة وهو المسمى عند علماء أصول الدين ارهاصا اي تأسيسا للنبوة من ارهصت الحائط اذا اسسته وخرج بالخارق للعادة غير الخارق كطلوع الشمس كل يوم وكذلك خرج ايضا الخارق من غير تحد ككرامات الاولياء وخرج ايضا المتأخر عنه بما يخرجه عن المقارنة العرفية وخرج ايضا السحر والشعبذة من المرسل اليهم اذ لا معارضة بذلك فعلم ان مرادهم بالخارق للعادة ان يظهر على خلافها كاحياء ميت واعدام جبل وانفجار ماء من بين الاصابع ونحو ذلك (فان قلت) فما القول فيما يظهر على يد المسيح الدجال من دعواه الالوهية واحياء الموتى وامطار السماء ونحو ذلك وجعله ذلك دليلا على صدقه في دعواه الالوهية في غاية الاشكال وهو من اكبر القوادح فيما قرره اهل الاصول في العلم بالنبوات من استحالة المعجزة على يد الكاذب وذلك لانه يبطل بهذه الفتنة كل دليل قرروه واي فتنة اعظم من فتنة تقدح في الدليل الذي اوجب السعادة للعباد (فالجواب) جميع ما يقع على يد الدجال ليس هو بامور حقيقية وانما هي امور متخيلة يفتتن بها ضعفاء العقول بخلاف ما يقع على يد الانبياء فانها امور حقيقية ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ ويشرع للامة من فتنة المسيح الدجال فان الدجل هو التمويه باظهار الباطل في صورة حق وما كل احد يخرق بصره حتى يدرك الامور المموهة ويميزها عن غيرها انما ذلك للانبياء وكمل ورثتهم فان العقول السليمة اذا شاهدت المعجزات لم يبق عندها شك في ان ما جاء به ذلك الرسول حق من عند ربه عز وجل واما العقول الضعيفة فلم تستجب لذلك الرسول ولم تؤمن به ولهذا قال الشيخ محيي الدين في لواقح الانوار نحن لا نشترط المعجزة عليه عليه الصلاة والسلام لانها ما خرجت عن كونها ممكنة والقدرة لا تتعلق الا بايجاد الممكنات واذا اتى الرسول بالممكن فانما يكون المعجز في ذلك عدم الاتيان ممن ارسل اليهم بمثل ذلك الذي تحدى به الرسول مع كون ذلك ممكنا وقوعه في نفس الامر ثم اذا نظرنا الى الذين انساقوا بالمعجزة الى الايمان فرأينا ذلك انما كان لاستقرار الايمان عندهم فتوقفت استجابتهم على المعجزة لضعف ايمانهم واما غيرهم فما احتاج الى ظهور ذلك بل آمن باول وهلة بما جاء به رسوله لقوة نصيبه من الايمان فاستجاب بايسر سبب واما من ليس له نصيب في الايمان فلم يستجب بالمعجزات ولا بغيرها قال تعالى ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا

جملة الحقائق ولكن لما كان الاطلاع على الحقائق عزيز المنال لا يعرفه كل أحد فرق الناس بينهما انتهى فليتأمل ويحرر وهذا الله تعالى * وقال في الباب الرابع والستين وماتين في قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه اعلم انه لا بد لجميع بني آدم من العقوبة والآلام شيأ بعد شيء الى دخولهم الجنة فاول الالم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته صارخا لما يجده عند مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بالم البرد فيبكي فان مات فقد أخذ حظه من البلاء وان عاش فلا بد له في الحياة الدنيا من الالم اذ الحيوان مجبول على ذلك فاذا انتقل الى البرزخ فلا بد له من الم أدناه سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلا بد له من الم الخوف على نفسه أو على غيره فاذا دخل الجنة ارتفع عنه حكم الآلام وصحبه النعيم أبد الآبدين * وقال في الباب الثامن والستين وماتين في قوله تعالى ويسئلونك عن الروح أي من اين ظهر فقيل له قل الروح من أمر ربي فما كان ذلك سؤالا عن الماهية كما فهمه بعضهم فانهم ما قالوا ما الروح وان كان السؤال بهذه الصيغة محتملا ولكن قوي الوجه الذي ذهبنا اليه ما جاء في الجواب من قوله من أمر ربي ولم يقل هو كذا كما قال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا واطال في ذلك

كانما يصعد في السماء انتهى * وقد نظم بعض اليهود بالشام ابياتا وارسلها للشيخ صدر الدين القونوي وطلب الجواب عنها فاجابه الشيخ رحمه الله وهي

أيا علماء الدين ذمي دينكم * تحير دلوه بأوضح حجة
اذا ماقضى ربي بكفري بزعمكم * ولم يرضه مني فما وجه حيلتي
دعاني وسد الباب دوني فهل الى . الدخول سبيل بينوا لي قضيتي
قضى بضلالي ثم قال ارض بالقضا * فها أنا راض بالذي فيه شقوتي
فان كنت بالمقضي يا قوم راضيا * فربي لا يرضى بشؤم بليتي
وهل لي رضا ما ليس يرضاه سيدي * وقد حرت دلوني على كشف حيرتي
اذا شاء ربي الكفر مني مشيئة * فها أنا راض باتباع المشيئة
وهل لي اختيار أن أخالف حكمه * فبالله فاشفوا بالبراهين غلتي

فاجابه الشيخ رحمه الله بقوله

صدقت قضى الرب الحكيم بكل ما * يكون وما قد كان وفق المشيئة
وهذا اذا حققته متأملا * فليس يسد الباب من بعد دعوة
لان من المعلوم ان قضاءه * بأمر على تعليقه بشريطة
يجوز ولا يأباه عقل كما ترى * حدوث أمور بعد أخرى تأدت
كما الري بعد الشرب والشبع الذي * يكون عقيب الاكل في كل مرة
فليس ببدع ان يكون معلقا * قضاء له الحق رب البرية
بكفرك مهما كنت بالكفر راضيا * تعاطي أسباب الهدى مع مكنة
فمن جملة الاسباب ما عارضته * مع الامن والايمان لفظ الشهادة
فانت كمن لا يأكل الدهر قائلا * اموت بجوعي اذ قضى لي بجوعة

انتهى فليتأمل الجواب ومن فتح الله عليه بجواب اوضح منه فليلحقه بهذا الموضع وقد تقدم في مبحث خلق الافعال ان هذه المسئلة من اشكل الامور فراجعه والله اعلم * ورأيت في كتاب سراج العقول للشيخ ابي طاهر القزويني رحمه الله ما نصه اعلم أن البرهان القاطع على ثبوت نبوة الانبياء هو المعجزات وهي فعل يخلقه الله خارقا للعادة على يد مدعي النبوة معترفا بدعواه وذلك الفعل يقوم مقام قول الله عز وجل له انت رسولي تصديقا لما ادعاه مثاله قام الانسان في ملا من الناس بحضرة ملك مطاع فقال يا معشر الحاضرين اني رسول هذا الملك وان آية صدقي ان الملك يقوم ويرفع التاج عن رأسه فيقوم الملك في الحال ويرفع التاج عن رأسه عقب دعوى هذا المدعي أليس ذلك الفعل منه يتنزل منزلة قوله صدقت انت رسولي قال وانما يراعى في ذلك ثلاثة أمور الفعل الخارق للعادة واقترانه بالدعوة وسلامته عن المعارضة اذ لو رفع التاج بقول غيره او بعد ذلك بمدة لا يكون حجة لهذا المدعي فهذه الثلاثة بمجموعها برهان قاطع على دعوى المدعي للرسالة نازل منزلة التصديق بالقول وهو مثل حصول العلم بسائر الاشياء من شواهد المقال وقرائن الحال (فان قلت) اقتران المعجزة بدعواه لا ينهض دليلا على صدقه لان نفس الاقتران بالاضافة الى دعواه والى غير دعواه من طريق الاقوال والافعال بمثابة واحدة (فالجواب) ان سبيل تعريف الله تعالى عباده صدق الرسل بالمعجزات كسبيل تعريفه تعالى الوهيته بالآيات الدالة عليها وذلك قد يكون مرة بالقول ومرة بالفعل فتصديقه بالقول كقوله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وتصديقه بالفعل كما علم آدم الاسماء كلها ثم قال للملائكة أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين

فليتأمل ويحرر * وقال في الباب التاسع والستين ومائتين في قوله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين الآية اعلم ان علم اليقين هو ما أعطاه الدليل الذي لا يقبل الدخل ولا الشبهة وعين اليقين هو ما أعطاه المكاشفة والشهود وحق اليقين هو ما حصل في القلب من العلم بما أريد له ذلك المشهود مثال علم اليقين الذي لا يدخله شبهة ولا يقدح في دليله دخل علمنا بان لله تعالى بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة يحج الناس اليه في كل سنة ويطوفون به ثم انه عند الوصول اليه شوهد فهذا عين اليقين الذي كان قبل هذا الشهود علم يقين فانه قد حصل في النفس برؤيته ما لم يكن عندها قبل رؤيته ذوقا ثم لما فتح الله عين بصيرة هذا المشاهد في كون ذلك البيت مضافا الى الله مقصودا دون غيره من البيوت المضافة الى الله فعلم علة ذلك ونسبته باعلام الله لا بنظره واجتهاده فكان علمه بذلك حقا يقينيا مقررا عنده لا يتزلزل فما كل حق له قرار ولا كل علم ولا كل عين كذلك فلذلك صحت الاضافة ولو كان علم اليقين وعينه وحقه نفس اليقين ما صحت الاضافة لان الشيء الواحد لا يضاف الى نفسه اذ الاضافة لا تكون الا بين متغاير مضاف ومضاف اليه فطلب الثمرة حتى يصح

وعلم محمدا القرآن ثم قال فاتوا بسورة من مثله فكما عجزت الملائكة عن معارضة آدم عليه الصلاة والسلام كذلك عجزت العرب عن معارضة محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن فدلت الاسماء هنالك والقرآن هنا على صدق النبي الذي هو اول الانبياء وعلى صدق النبي الذي هو آخر الانبياء فعلى هذه الصفة صح ان المقترن بدعواه له تأثير وينهض دليلا لا بخلاف الاقتران بما لا معجزة للخلق عنه انتهى كلام الشيخ أبي طاهر رحمه الله * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول تعرف نبوة النبي بامور منها ان يدعو الى طاعة الله وينهى عن معاصيه * ومنها ان لا يخالف ما يدعو الناس اليه ويعرف هو نبوة نفسه * ومنها ان يخلق الله له علما ضروريا فيعرف انه رسول * ومنها ان يظهر الله له آيات وكرامات فيضطر الى العلم انه من عند الله وان البشر يعجزون عن مثله * ومنها ان يخبره الله بما في قلبه وصدره فيضطر النبي الى معرفة كلامه اذ الغيب لا يعلمه الا الله تعالى * واعلم يا اخي ان خرق العوائد يكون على وجوه كثيرة وليس مرادنا هنا الا خرق العادة على من ثبتت استقامته على الشرع المحمدي والا فهو مكر واستدراج من حيث لا يشعر صاحبه وقد ذكر الشيخ في الباب السادس والثمانين ومائة ان من الخوارق ما يكون عن قوى نفسية وذلك ان اجرام العالم تنفعل للهمم النفسية هكذا جعل الله الامر فيها وقد تكون ايضا عن حيل طبيعية معلومة كالقلفطيريات ونحوها وبابها معلوم عند العلماء وقد يكون عن نظم حروف بطوالع وذلك لاهل الرصد وقد يكون باسماء يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة في ناظر عين الرائين لا في نفس الامر واطال في ذلك ثم قال وهذه كلها تحت قدرة المخلوق بجعل الله تعالى قال ولا يكون خرق العادة على وجه الكرامة الا من خرق العادة من نفسها باخراجها عن مألوفها الطبيعي الى الانقياد للشرع في كل حركة وسكون قال وليس خرق العادة الا اول مرة فاذا عاد ثانيا صار عادة وفي الحقيقة الامر جديد ابدا وما ثم ما يعود فما ثم خرق عادة وانما هو امر يظهر زي مثله لا عينه فلم يعد فما هو عادة فلو عاد لكان عادة وقد انحجبت الناس عن هذه الحقيقة بل ما رأيت احدا اطلع عليها من اهل عصري وقد نبهتك على ما هو الامر عليه ان كنت تعقل ما اقول فان الله تعالى اذا كان خلاقا على الدوام فاين التكرار انتهى (فان قيل) فكم الاعجاز على ضرب (فالجواب) هو على ضربين كما قاله الشيخ في الباب السابع والثمانين ومائة * الاول ان يمكن صرفه فيدعي في ذلك ان الذي هو مقدور لكم في العادة اذا أتيت به دليلا على صدق دعواي فان الذي ارسلني يصرفكم عنه فلا تقدرون على معارضته وكل من كان في قدرته ذلك يجد العجز في ذلك الوقت فلا يقدر على اتيانه بما كان قبل هذه الدعوى يقدر عليه وهذا انفع للنفس من الصرف * الضرب الثاني ان يأتي بأمر لا يكون في مقدور البشر ولا يقدر عليه الا الله كاحياء الموتى ولكن الوصول اليه على طريق العلم انه حي في نفس الامر عزيز لا يدركه الا اهل الكشف منا فانا رأينا عصا موسى حية وعصي السحرة حيات ولم يفرق العامة بين الحيتين فلهذا كان الوصول الى علم ذلك عزيزا جدا انتهى (فان قلت) فما المراد بتلقف عصا موسى لما صنعوا (فالجواب) ان المراد به كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر والباب الاربعين من الفتوحات انكشاف ذلك للسحرة والناس يظنون ان تلك الحيات حبال وعصي لا حيات حين ظهرت حجة موسى عليهم لان الحبال والعصي انعدمت اذ لو انعدمت لدخل عليهم اللبس في عصا موسى وكانت الشبهة تدخل عليهم في عصا موسى كذا وايضاح ذلك ان عصا موسى انما تلقفت صور الحيات من حبال السحرة وعصيهم فقط فبدت للناس حبالا وعصيا كما هي في نفس الامر هذا تلقفها وذلك كما يبطل الخصم بالحق حجة خصمه ويظهر بطلانها ولو انه كان المراد بتلقفها انعدام الحبال والعصي كما توهمه بعض المفسرين لدخل على السحرة الشبهة في عصا موسى والتبس

وجودها واطال في بيان الفرق بين هذه المراتب فليتأمل فانه نفيس * وقال في الباب الاحد والسبعين ومائتين في قوله تعالى الطلاق مرتان الآية اعلم ان الشارع انما كره الطلاق وقال أبغض الحلال الى الله الطلاق ندبا الى الالفة وانتظام الشمل ولما علم الله تعالى ان الافتراق لا بد منه لكل مجموع مؤلف لحقيقة خفيت عن أكثر الناس شرع الطلاق رحمة لعباده ليكونوا مأجورين في أفعالهم محمودين غير مذمومين ارغاما للشيطان فانهم في ذلك تحت اذن الهي وقال وانما كان الطلاق أبغض الحلال الى الله لانه رجوع الى العدم اذ بالائتلاف الطبائع ظهر وجود التركيب وبعدم الائتلاف كان العدم فمن أجل هذه الرائحة كرهت الفرقة بين الزوجين لعدم عين الاجتماع * وقال في الباب الثاني والسبعين ومائتين في قوله تعالى قل هو الله أحد انما لم يقل واحد لان الاحد هو الذي لا يشارك في أحديته قال وأما الواحد فانا نظرنا في القرآن هل اطلقه على غيره كما أطلق الاحدية فلم أجده وما أنا منه على يقين في هذا الوقت فان كان لم يطلقه فهو أخص من الاحدية ويكون اسما للذات علما لا صفة كالاحدية فان الصفة محل الاشتراك ولهذا أطلقت الاحدية على كل ما سوى الله في القرآن في نحو قوله ولا يشرك

عليهم الامر فكانوا لم يؤمنوا فتنبه يا أخي لذلك فان الله تعالى يقول تلقف ما صنعوا وما صنعوا الحبال والعصي بسحرهم وانما صنعوا في أعين الناظرين صور الحيات من الحبال والعصي وعلى ما توهمه بعضهم يكون المعنى الذي جاء به موسى من قبيل ما جاءت به السحرة الا ان سحره اقوى من سحرهم (فان قلت) فما سبب خوف موسى من عصاه حين ظهرت في صورة حية (فالجواب) انما خاف موسى من عصاه ليعلم السحرة ان ذلك ليس هو بسحر منه فان احدا لا يخاف من فعل نفسه لانه يعلم انه لا حقيقة له في نفس الامر (فان قلت) فما وجه من قال ان من سحر غيره كفر (فالجواب) ان في ضمن السحر الكفر لان الارواح الكافرة التي هي المعينة له على السحر انما تجيبه اذا خرج عن دين الاسلام (فان قلت) فلم سمي السحر سحرا (فالجواب) لانه مأخوذ من السحر الذي هو الزمان وهو اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح ولا هو بنهار لعدم طلوع الشمس وكذلك هذا الذي يسمى سحرا بسكون الحاء ما هو باطل محقق فيكون عدما فان العين ادركت امرا ما لا تشك فيه وما هو حق محض فيكون له وجود في عينه فانه ليس هو في نفس الامر كما تشهده العين ويظنه الرائي والله اعلم فعلم ان معجزة كل نبي انما تكون بحسب ما هو غالب على قومه كما اتى موسى عليه الصلاة والسلام بما يبطل السحر لما كان السحر غالبا على قومه وكما أتى عيسى بابراء الاكمه والابرص لما كان الطب غالبا على قومه وكما أتى محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم المعجز بفصاحته كل بليغ وفصيح لما غلب على قريش التفاخر بالفصاحة والبلاغة (فان قلت) قد شرطتم في المعجزة ان تكون فعلا كما مر ثم ادعيتم ان القرآن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان القرآن كلام الله والكلام عندكم صفة من صفات الذات كالعلم والقدرة فلو جاز ان تكون صفة الكلام معجزة لجاز ان تكون صفة العلم والقدرة معجزة (فالجواب) كما قاله الشيخ ابو طاهر القزويني رحمه الله انه لا يخفى ان المعجز حقيقة انما هو الله تعالى فانه خالق العجز والقدرة وانما سمي الفعل الخارق للعادة معجزة على طريق التوسع والمجاز لا على الحقيقة كمن نظر الى صاعقة تقع من السماء فيقول انظروا الى قدرة الله تعالى وانما هي من آثار قدرته وذلك ان العجز انما يكون عن مقدور عليه وليس احياء الميت مثلا من مقدور البشر حتى يقال ان فلانا عجز عن أحياء الموتى والانسان قد يحس من نفسه عدم القدرة على ذلك وعدم القدرة ليس بعجز كما ان عدم العلم ليس بجهل اذ الجدار مثلا عادم العلم وليس بجاهل لانه فاقد شرط العلم والجهل معا الذي هو الحياة والعامة يعبرون عن عدم القدرة بالعجز وهو وهم وتخييل لان العجز لا بد ان يقارن المقدور عليه فعلم مما قررناه ان مرادهم بقولهم القرآن معجزة ان نظمه وتأليفه على هذه الهيئة الغريبة والاساليب العجيبة هو فعل الله تعالى وذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس مرادهم ان كلام الله الذي هو صفته القائمة بذاته معجزة وقد اعجز الله تعالى جميع الخلق عن الاتيان بمثله كل ذلك دلالة على صدقه صلى الله عليه وسلم ولفظ القرآن في العربية يطلق على القراءة والمقروء كما قدمناه في مبحث اسمه تعالى المتكلم والله تعالى اعلم * ثم اعلم ان جمهور العلماء قائلون بان ما كان معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي وخالف في ذلك المعتزلة والشيخ ابو اسحق الاسفرايني فقالوا لا يجوز ان يكون ما ظهر معجزة لنبي ان يكون مثله كرامة لولي من سائر الخوارق وانما مبالغ الكرامة اجابة دعوة او موافاة ماء في بادية لا ماء فيها عادة ونحو ذلك مما ينحط عن خرق العادات قال الشيخ محيي الدين في الباب السابع والثمانين بعد المائة من الفتوحات وهذا الذي قاله الاستاذ هو الصحيح عندنا الا اني اشرط شرطا آخر لم يذكره الاستاذ وهو انا نقول لا يجوز ان تكون المعجزة كرامة لولي الا ان يقوم ذلك الولي بذلك الامر المعجز على وجه التصديق

بعبادة ربه احدا وان كان مذهبنا اختصاص الاحدية بالله تعالى دون خلقه وأطال في ذلك * وقال في الباب الرابع والسبعين ومائتين في قوله تعالى ثم قضى أجلا وهو نهاية عمر كل حي يقبل الموت وأجل مسمى عنده هو ميقات حياة كل من كان قبل الموت في حياته الاولى وهو المعبر عنه بالبعث ولذلك قال تعالى ثم أنتم تمترون يعني فيه فان الموت لا يمترون فيه فانه مشهود لهم في كل حيوان مع الانفاس وانما وقعت المرية في البعث وهو الاجل المسمى المذكور وانما لم يجعل اجل الموت مسمى لانه اذا نفخ في الصور صعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فاستثنى طائفة لا يصعقون فلا يموتون وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والسبعين ومائتين في قوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم المراد باقامة التوراة وما بعدها عدم تأويلها فمن أول كلام الله فقد أضجعه بعد ما كان قائما فمن نزهه من التأويل والتعمل فيه بفكره فقد أقامه اذ الفكر غير معصوم من الغلط في حق كل احد قال والمراد بقوله لاكلوا من فوقهم هو العلم الموهوب ومن تحت أرجلهم يعني العلم

المكتسب وأطال في ذلك ، وقال في الباب الاحد والثمانين ومائتين في قوله

لذلك النبي دون ان يقوم به على وجه الكرامة انفسه فلا يمتنع ذلك كما هو مشهود بين الاولياء اللهم الا ان يقول ذلك الرسول في وقت تحديه بمنع وقوعها في ذلك الوقت خاصة او في مدة حياته خاصة فانه جائز ان يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذي اشترطه وأما ان اطلق ذلك النبي ولم يقيد فلا سبيل الى ماقاله الاستاذ انتهى * قال اليافعي اليمني رحمه الله ولا يرد على قولهم ما جاز ان يكون معجزة لنبي الى آخره القرآن العظيم للزوم التحدي فلا يجوز وقوع مثله لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف الكرامة (فان قلت) ما الفرق بين الكرامة والمعجزة (فالجواب) الفرق بينهما ظاهر وذلك انه اذا توقفت الاجابة على المعجزة يجب على النبي ان يتحدى بها او يظهرها بخلاف الكرامة لا يجب على الولي اظهارها لانه انما يدعو بحكم التبع بشرع نبيه الثابت عنده فلا يحتاج الى دليل على صحة طريقه ودعواه بخلاف النبي وكان اليافعي رحمه الله يقول يجب على الولي اخفاء الكرامة الا عن ضرورة او اذن او حال غالب لا يكون له فيه اختيار ولا تعمل او يكون لتقوية يقين بعض المريدين كالذي غرف علا من الهواء ووضعه بين يدي مريده انتهى * وقد فرق الائمة بين المعجزة والكرامة بفروق كثيرة غير ماذكرناه فقال بعضهم من الفرق بينهما المعجزة تقع عند قصد النبي صلى الله عليه وسلم وتحديه وأما الكرامة فقد تقع من غير قصد الولي وقال بعضهم يجوز ان تقع الكرامة ايضا بقصد الولي وانما الفرق الصحيح بينهما ان المعجزة تقع مع التحدي والكرامة لا يتحدى بها الولي وقال بعضهم يجوز للولي ايضا ان يتحدى بالكرامة على ولايته اذا رأى في ذلك مصلحة ونصيحة للخلق حتى يهديهم الى الحق وانما الفرق الصحيح بينهما هو ان المعجزة لا تكون الا بعد دعوى له ولا تكون مع السكوت معجزة والكرامة يجوز ان تقع مع كلامه ومع سكوته معا وهذا القدر من الفروق كاف وحقيقة ذلك ان الولي اذا ادعى بفعل خارق للعادة انه ولي فان ذلك لا يقدح في معجزة النبي بخلاف ما اذا ادعى بمثل ذلك الفعل الآن على انه نبي فانه يكذب في دعواه والكاذب لا يكون وليا لله تعالى فلا يصح أن يظهر على يديه ما يظهر على ايدي الانبياء والاولياء قال الشيخ أبو طاهر وهو فرق ظاهر وهو معنى قول المشايخ المعجزات علامات صدق حيث وجدت فلا تظهر على ايدي الاولياء عند دعواهم النبوة لانها لو وجدت عند ذلك لانقلب الصدق كذبا وهو محال انتهى (فان قلت) هذا الفرق بين المعجزة والكرامة فما الفرق بين المعجزة والسحر والشعبذة (فالجواب) كما قاله الشيخ ابو طاهر رحمه الله ان الفرق بين المعجزة والسحر ونحوه ان المعجزة تبقى هي أو اثرها بعد النبي زمانا والسحر سريع الزوال * وأما الفرق بين المعجزة والشعبذة فهو ان المعجزة يظهرها النبي على رؤس الاشهاد وعظماء البلاد والشعبذة انما يروج أمرها على الصغار وضعفاء العقول وجهلة الناس قال القزويني رحمه الله وقد اختلف الناس في السحر واثره فقيل انه يمكن به تبديل الصورة فيقلب الانسان كلبا او تمساحا أو حمارا قال والظاهر ان امثال هذه خرافات العوام واسمار النسوة واطال في ذكر النيرنجيات والقلفطيريات في كتابه سراج العقول قال والسحر في اللغة اراءة الباطل في صورة الحق ومنه وقت السحر للفجر الكاذب وأما الشعبذة فهي منسوبة الى رجل اسمه شعبان وهو معرب وأصله خفة اليد في تقليب الاشياء والسحر عندنا حق على معنى انه ثابت واقع وانكر المعتزلة والروافض والدهرية السحر والدليل على صحته اجماع الامم سلفا وخلفا واجماع اهل الكتاب كلهم من الهند والروم والفرس وآيات القرآن ناطقة بذلك وقال الشيخ محيي الدين في الباب الاحد والسبعين ومائتين في قوله تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه اعلم ان الله تعالى انما كره التفريق وذم فاعله ندبا الى الالفة وانتظام الشمل ولما علم الله تعالى ان الافتراق لابد منه لكل مجموع مؤلف لحقيقة خفيت شرع الطلاق رحمة بعباده ليكونوا تحت الاذن في

صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله أي فقد اهله وماله اعلم ان سبب تخصيص صلاة العصر بالتشبيه المذكور دون غيرها من الصلوات أن سائر اوقات الصلوات محدودة الا العصر فهي غير محدودة وان قاربت الحد فان المغرب محدودة بغروب الشمس وهو محقق محسوس والعشاء محدودة أولها بمغيب الشفق من أولها وهو محقق محسوس اي شفق كان على الخلاف في ذلك والفجر محدود أوله بالبياض المعترض في الافق المستطيل وهو محقق محسوس والظهر محدود بزوال الشمس والظل ظهوره وهو محقق محسوس ولم يأت مثل هذه الحدود في العصر فتنزهت عن الحدود المحققة لانه صلى الله عليه وسلم قد جعل وقتها أن تكون الشمس مرتفعة بيضاء نقية فليس حدها ظاهرا مثل حد غيرها وأما جعل ظل الشاخص طوله غير ظل الزوال فليس ذلك في كل زمان فلم يتعلق الحد على التحقيق بها كتعلقه بسائر اخواتها فلذلك عظمها النبي صلى الله عليه وسلم للمناسبة التي فيها الصفات الحق من حيث نفي الحدود وقد أنشد

صلاة العصر ليس لها شبيه * لنظم الشمل فيها الحبيب

أي لأن العصر حقيقة

جميع افعالهم محمودين غير مذمومين ارغاما للشيطان ومع هذا فقد ورد ابغض الحلال الى الله الطلاق وذلك لانه رجوع الى العدم اذ بائتلاف الطبائع ظهر وجوب التركيب وبعدم الائتلاف كان العدم وكان تعطيل الاسماء الالهية عن التأثير في اهل حضراتها فلاجل هذه الرائحة كره التفريق بين الزوجين لعدم الاجتماع انتهى (فان قلت) فما الفرق بين المعجزة والكهانة (فالجواب) ان الفرق بينهما هو ان المعجزة فعل خارق للعادة مقرون بالتحدي يقوم مقام تصديق الله تعالى النبي بالقول كما مر واما الكهانة فهي كلمات تجري على لسان الكاهن ربما توافق وربما تخالف والنبي لا يكون قط الا كامل الخلق والخلق واما الكاهن فيكون مختل العقل ناقص الخلق غزورا فان ادعى النبوة بكهانته فربما قابله بدعواها كاهن آخر فلا يوجد الفرق بينهما البتة بخلاف النبوة فان النبي اذا تحدى بالمعجزة وقابله مدع كاذب لا يجوز ان يظهر له معجزة مثل معجزة الصادق وقد قدمنا ان المعجزة تصديق الله للصادق فكيف تكون تصديقا للكاذب والله تعالى لا يصدق الكاذب والله تعالى اعلم (فان قلت) فما وجه استحالة المعجزة على يد الكاذب (فالجواب) وجه ذلك ان الناس قد اشبعوا القول في استحالة المعجزة على يد الكاذب وكان ذلك كالاجماع على استحالتها (فان قيل) اذا جوزتم اضلال الله تعالى الخلق واغواءهم فما يشعركم انه تعالى يظهر الآيات على ايدي الكاذبين اضلالا واغواء ومعلوم ان ساحة ربوبيته تعالى بريئة من وجوب اضلال الخلق وهدايتهم (فالجواب) اننا انما جوزنا الاضلال لنصوص القرآن مثل قوله يضل به كثيرا وقوله ويضل الله الظالمين وغيرهما من الآيات وانما نجوزه فيما لا يؤدي الى المحال فان كل ما ادى الى المحال فهو محال والمحال لا يكون مقدورا البتة وذلك من وجوه اما ان يقع على خلاف المعلوم واما ان يتناقض الدليل والمدلول فيه واما ان يلتبس الدليل بالمدلول واما ان يؤدي الى تعجيز القدرة وتكذيب الحق تعالى فهذه اربعة وجوه تؤدي الى المحال فلا تتعلق القدرة بها والمعجزة على يد الكاذب من جملتها لان المعجزة مقرونة بالتحدي نازلة منزلة قول الحق تعالى لذلك الرسول صدقت وانت رسولي كما مر وتصديق الكاذب من المحال لذاته وعينه اذ كل من قال له انت رسولي صار رسولا وخرج عن كونه كاذبا والجمع بين كونه كاذبا ورسولا صادقا محال والله اعلم * وقد ذكر الشيخ ابو طاهر ان بعض الائمة قال اظهار المعجزة على يد الكاذب من المقدورات بناء على ان ما علم الله انه سيكون لا يخرج عن كونه مقدورا وخلاف المعلوم لا يكون مقدورا ثم الذي نقول به ان ذلك ولو كان مقدورا لا يقع ذلك قطعا كما لا ينقلب العلم جهلا واطال في ذلك في كتاب سراج العقول فراجعه ان شئت وحاصله ان شرط المعجز ان يكون ناقضا للعادة لان الفعل المعتاد يوجد مع الصادق والكاذب وان يكون في ايام التكليف لان الذي يظهر في القيامة من انفطار السماء وتكوير الشمس افعال ناقضة للعادة وليست بمعجزة لان الآخرة ليست بدار تكليف وان يكون مقرونا بالتحدي لانه قد يحصل احيانا افعال ناقضة كالزلازل والصواعق وليست بمعجزة لانها لم تكن مقرونة بذلك وان يكون على وجه الابتلاء لانه لو تلقن انسان سورة من القرآن ثم مضى الى قبيلة بعيدة لم تبلغهم الدعوة وتنبأ هناك لم تكن معجزة والله سبحانه وتعالى اعلم فتأمل في هذا المبحث فانه نفيس والله اعلم

(المبحث الثلاثون في بيان حكمة بعثة الرسل في كل زمان وقع فيه ارسال الانبياء عليهم الصلاة والسلام)

اعلم ان الاصل في هذا المبحث قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فما عاند بعد ارسال الرسل الا من لم ينصح نفسه ممن حقت عليه كلمة العذاب والشقاء الابدي * قال الشيخ محيي الدين رحمه الله واعلم ان جميع الحدود التي حدها الله اي قدرها الرب سبحانه وتعالى في هذه الدار لا تخرج

ضم شئ الى آخر لاستخراج مطلوب ماهو هنا ضم ذات عبد مطلق في عبودية لا يشوبها ربوبية بوجه من الوجوه الى ذات حق مطلق لا يشوبها عبودية اصلا بوجه من الاسماء التي تطلب الكون كالرحيم والغفار ونحوهما فلما تقابلت الذاتان بمثل هذه المقابلة كان المعتصر عين الكمال لكل ذات بما يليق بها قال وهذا هو المطلوب الذي له وجد العصر وقد القيت بك على مدرجة الكمال انتهى وهو كلام نفيس * وقال فيه لا حرج على العبد المريض في شكواه لاخيه ما به من المرض كما يستعين باخيه واذا تفرد الانسان بهمه عظم عليه واذا وجد من يقاسمه فيه ولو بالتوجع خف عليه التألم واستراح * وقال في الباب الثاني والثمانين ومائتين في قوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس الآية اعلم ان ورود الموت على النفوس لا يكون الا عن حياة سابقة اذ الموت لا يرد الا على حي والتفرق لا يكون الا عن اجتماع وكذا الحكم في موت النفس بعد العلم فان قيل ان العلم بالله طارئ الذي هو حياة النفوس والجهل ثابت لها قبل وجود العلم فكيف يوصف الجاهل بالموت وما تقدم علم يحيا به قلنا الا العلم بالله سبق الى كل نفس في الاخذ الميثاق في حين اشهدهم على انفسهم فلما

عن قسمين قسم يسمى سياسة حكمية بكسر الحاء وقسم يسمى شريعة وكلاهما انما جاء لمصلحة بقاء الاعيان الممكنات فى هذه الدار وسلامتهما من الفساد فاما القسم الاول فطريقه الالقاء بمثابة الالهام عندنا وذلك لعدم وجود شريعة بين اظهر اهل ذلك الزمان فكان الحق تعالى يلقى فى نظر نفوس الاكابر من الناس الحكمة فيحدون الحدود ويضعون النواميس فى كل مدينة وجهة واقليم بحسب المزاج الذى تقتضيه طباع تلك الناحية فانحفظت بذلك اموال الناس ودماؤهم واهلوهم وارحامهم وانسابهم وسموها نواميس ومعناها اسباب خير لان الناموس فى الاصطلاح هو الذى يأتى بخير عكس الجاسوس فهذه هى النواميس الحكمية وضعها العقلاء عن الهام من الله تعالى من حيث لا يشعرون لاجل مصالح العالم ونظمه وارتباطه انتهى * وقال فى الباب السابع والستين وثلثمائة اعلم انه انما يتعين استعمال النواميس الوضعية والقوانين السلطانية فى أيام الفترات وذلك ليجمع الله تعالى باستعمالها شمل العالم قال وما حرم الله تعالى كل من وضع ذلك اجرا ما من باب ان الله لا يضيع اجر المحسنين * قال وأما استعمال النواميس والقوانين فى زمن الشرائع فلا ينبغى استعمالها الا ان وافقت الشرائع لانه يحرم على كل حاكم أن يتعدى شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون * وقال أيضا فى الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة اعلم ان الشرع شرعان شرع منزل الهى وشرع حكمى سياسى عند فقد هذا الشرع فلا تخلو امة عن نذير يقوم بسياستها لبقاء المصلحة فى حقها سواء كان ذلك الشرع الهيا أو سياسيا (فان قلت) فهل كان لواضعى هذه النواميس علم بانها مقربة الى الله تعالى أم لا (فالجواب) انه لم يكن لهم علم بذلك كما انه لم يكن لهم علم بانه ثم بعث ولا حشر ولا نشر ولا ميزان ولا حساب ولا صراط ولا جنة ولا نار ولا شئ من احوال الآخرة جملة لان ذلك ممكن وعدمه أيضا ممكن ولا دليل لهم فى احد الممكنين بل رهبانية ابتدعوها فلهذا كان مبنى نواميس الحكماء فى كل زمان على ابقاء الصلاح فى هذه الدار لا غير وغاية علمهم انهم انفردوا فى نفوسهم بالعلوم الالهية من توحيد الله تعالى وما ينبغى لجلاله من التعظيم والتقديس وعدم المثل والشبيه وصاروا يحرضون الناس على النظر الصحيح فكان جل اشتغالهم فى ذلك فلما عرفوا ذلك شرعوا فى البحث عن حقائق نفوسهم حين رأوا ان الصورة الجسدية اذا ماتت ما نقص من اعضائها شئ فعلموا ان المدرك والمحرك لهذا الجسم امر آخر زائد عليه فبحثوا عن ذلك الامر الزائد فعرفوا نفوسهم وما حده لهم عقلهم لا غير فاورثهم ذلك ترددا بين التنزيه والتشبيه وحيرة من اثبات المعرفة ونفيها فى حق العالم فلما اورثهم ذلك ما ذكر رحمهم الله تعالى بارسال الرسل واطال الشيخ فى ذلك فى الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة فراجعه والله تعالى اعلم * واما القسم الثانى المسمى شريعة حقيقة فهو ما جاء على لسان الصادق المصدوق من سائر الاحكام التى ليس للعقل فيها مدخل الا من حيث قبولها والايمان بها لا غير كما مر فى مبحث المعجزات اذ لو استقلت العقول بأمور سعادتها لكان وجود الرسل عبثا ومعلوم قطعا ان كل انسان منا يجهل بالضرورة مآله والى أين ينتقل كما يجهل أيضا أسباب سعادته ان سعد او شقاوته ان شقى وذلك لجهله بعلم الله السابق منه وبما يريده به ولماذا خلقه فهو مفتقر بالضرورة الى التعريف الالهى له بذلك ولولا ارسال الرسل ما عرفنا الفرق بين الطاعة والمعصية ولا تميز احد من أهل القبضتين عن الآخر * فعلم ان بارسال الرسل قامت حجة الله تعالى على عباده وظهرت وما سعد من سعد الا بالقسمة الالهية وما شقى من شقى الا بها وليس للرسل عليهم الصلاة والسلام اثر فى ذلك ان عليك الا البلاغ انك لا تهدى من احببت وكذلك ابليس لا يا ابليس أثر فى الاضلال انما هو مزين وموسوس للناس ان يفعلوا ما قدره الله عليهم وسوف يخطب فى النار ويقول ما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموني

ـهرت الانفس الاجسام الطبيعية فى الدنيا فارقها العلم بتوحيد الله فبقيت النفوس ميتة بالجهل بتوحيد الله ثم بعد ذلك أحيا الله بعض النفوس بتوحيده واحياها كلها بالعلم بوجود الله اذ كان من ضرورة العقل العلم بوجود الله فلهذا اسميناه ميتا فلما رد اليه علمه حيى به كما ترد الارواح الى أجسامها فى الدار الآخرة يوم البعث وقوله كمن مثله فى الظلمات يريد مقابلة النور الذى يمشى به فى الناس وما هو عين الحياة اذ الحياة الاقرار بوجود الله والنور المجعول بتوحيد الله والموت الجهل بوجود الله والظلمات الجهل بتوحيد الله ولهذا لم يذكر الحق تعالى فى الاخذ الميثاق الا الاقرار بوجود الله لا بتوحيده ما تعرض للتوحيد فقال ألست بربكم قالوا بلى فاقروا له بالربوبية التى هى السيادة واطال فى ذلك * وقال فى قوله تعالى الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر اعلم ان شهود الكثرة يوجب للعبد الجهل بنفسه وذلك لان الروح لا يعقل نفسه الا مع هذا الجسم محل الكم والكثرة ولم يشهد نفسه قط وحده مع كونه فى نفسه واحدا ولا تعرف انسانيته الا مع وجود هذا الجسم ولا تعقل أحديته فى ذاته أبدا وانما تعقل أحدية الجنس لا الاحدية الحقيقية والذى يحصل له بالاكتساب انه احد فى عينه علم دليل فكرى لا علم ذوق شهودى

ولوموا انفسكم وذلك مكان يصدق فيه الكذوب وكذلك اذا امر الرسول أمته بفعل شئ مثلا فلسان حالهم يقول هل نفعل ماقسمه الحق امام لم يقسمه فلا يسع الرسول ان يقول افعلوا ماقسمه لكم فاذا قالوا اهل نفعله فى الوقت الذى قسم لنا الحق تعالى فعله فيه أو قبله يقول لهم الرسول فى الوقت الذى قسم لكم ان تفعلوه فيه ولكن سلطان الامر الالهى متوجه عليكم ان تفعلوا ذلك فى الوقت الحاضر وبالكم شرعا لاوقت ارادة نفوسكم وهنا تدحض حجتهم (فان قلت) فهل للحيوانات رسل منهم كالجن والانس كما قيل (فالجواب) ليس للحيوانات رسل منهم وانما ذلك خاص بالجن والانس وقد افتى المالكية بكفر من قال ان فى كل جنس من الحيوانات نذيرا منها اليها (فان قلت) فما تقولون فى قوله تعالى وان من أمة الاخلا فيها نذير وفى قوله الاأمم أمثالكم (فالجواب) ان هذا عام مخصوص بالجن والانس فانه قدورد فى الكلاب انها أمة من الامم وكذلك النمل والقيران ولم يردلنا دليل قاطع بأن لها نذيرا منها فاياك والغلط (فان قلت) فمتى ينقطع حكم التكليف فى حق الامة (فالجواب) ينقطع التكليف فى حق اهل الجنة واهل النار بالموت ماعدا اهل الاعراف الاان يخروا ساجدين يوم القيامة فترجح ميزانهم بتلك السجدة ثم يدخلون الجنة فانه لولاان تكليفهم باق الى ذلك الوقت مانفعتهم تلك السجدة ولارجحت ميزانهم بها (فان قلت) فما اول وقت كان فيه تكليف الروح (فالجواب) هى مكافحة من يوم ألست بربكم فلولاأن تكليفها وفعلها موجود ذلك اليوم ماخوطبت ولاأجابت وعلى ماورد فى الحديث من الامتحان للاطفال والمجانين وأصحاب الفترات على لسان رسول يوم القيامة يرسل اليهم فيقوم بعث ذلك الرسول فى ذلك اليوم مقام بعث الرسول اليهم فى دار الدنيا فمن أطاعه نجا ودخل الجنة ومن عصاه وخالف امره هلك ودخل النار ليقوم العدل من الله تعالى فى عباده بعد اقامة الحجة والله أعلم * وقد رأيت فى كتاب سراج العقول للامام ابى طاهر القزوينى فى الباب الخامس والثلاثين منه مانصه اعلم ان الله تعالى قدخلق جميع الكائنات من فضله وكرمه بعد أن لم يكن لا يكون اثر ولا يكون خبر ثم انه تعالى لما خلقهم من فضله لم يتركهم سدى هملا غافلين عما يرجع الى مصالحهم فى الامور الدينية والدنيوية ولما كان الجليل جل جلاله منزها عن المجئ اليهم والنزول عليهم ولم يكن كلامه بحرف ولاصوت حتى يسمعوا كلامه كفاحا بعث اليهم منهم رسلا مبشرين ومنذرين ليبلغوا الى اسماع عباده كلامه وقد ألم بعض الشعراء بهذا المعنى فقال

ولما تعذر أن نلتقى * وزاد النزاع وجد القدم
سعيت اليك برجل الرسول * وناجاك عنى لسان القلم

قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ٣ ان الحق تعالى من جملة فضله علينا ارسال الرسل الينا كما انه خلقنا بفضله من العدم اذلا يجب عليه تعالى شئ البتة (فان قلت) فما حقيقة النبوة (فالجواب) هوخطاب الله تعالى شخصا بقوله أنت رسولى واصطفيتك لنفسى كما مر فى المبحث قبله الله اعلم حيث يجعل رسالاته (فان قلت) فهل النبوة مكتسبة اوموهوبة (فالجواب) ليست النبوة مكتسبة حتى يتوصل اليها بالنسك والرياضات كما ظنه جماعة من الحمقى فان الله تعالى حكى عن الرسل بقوله قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وأمر النبى صلى الله عليه وسلم ان يقول سبحان ربى هل كنت الابشرا رسولا فالنبوة اذن محض فضل الله تعالى كما مر خلافا للمعتزلة ومن تابعهم من قولهم بوجوب النبوة عقلا من جهة اللطف والحق انها جائزة عقلا واجبة تواترا ونقلا بتنهى الى المعاينة وهى من فضل الله ورحمته وتدبيره فى الملك والملكوت بأوامره ونواهيه على من يشاء كيف يشاء وعلى هذا فالنبوة صفة راجعة الى اصطفاء الله

شخصا

كشفى وأطال فى ذلك * ثم قال واعلم ان الزيارة مأخوذة من الزور وهو الميل فمن زار قوما فقد مال اليهم بنفسه فان زارهم بمعناه فقد مال اليهم بقلبه وشهادة الزور هى الميل الى الباطل عن الحق وزيارة الموتى هى الميل اليهم تحقيقا لصفة الموت أن تحل به فان الميت لاحكم له فى نفسه وانما هو فى حكم من يتصرف فيه ولا يتصور من الميت منع ولااباية ولاجحود ولاذم ولااعتراض بل هو مسلم فمن وفى هذا المقام حقه فهو من رجال الله قال وجملة الامر ان يكون حيا فى افعاله الظاهرة والباطنة التى يتعلق بها التكليف ويكون ميتا بالتسليم لوارد القضاء عليه فى كل شئ لاالمقضى والله أعلم : وقال فى الباب الثالث والثمانين ومائتين ليس للشيطان على قلوب الانبياء اطلاع ولااستشراف بخلاف قلوب الاولياء الاترى ان الشيطان لعنه الله لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المثابة من العصمة أن يصل الى قلبه كيف جاءه فى الصلاة فى قبلته بشعلة من نار ليحيله فرمى بها فى وجهه وكان غرض الشيطان أن يحيل بينه وبين الصلاة لما يرى له فيها من الخير فانه يحسده بالطبع فتأخر النبى صلى الله عليه وسلم الى خلف ولم يقطع صلاته وأخبر بذلك أصحابه وأما الولى فان الشيطان يلقى اليه فى قلبه وقد يسمع منه مايحدث به نفسه

شخصا بخطابه ولو بواسطة الملك ولا ترجع الى نفس ذلك الشخص الذى هو النبى حتى انه يقال استحق النبوة لذاته واذا كانت كذلك فلا تبطل بالموت كما لا تبطل بالنوم والغفلة ومن قال ان النبوة مأخوذة من النبأ وهو الخبر اذ هو مخبر عن الله تعالى ومن مات لا يخبر نقول له حكم النبوة باق عليه ابدا حيا وميتا كما ان حكم نكاحه كذلك * وفى الحديث زوجاتى فى الدنيا زوجاتى فى الآخرة وفى الحديث ايضا الانبياء أحياء فى قبورهم يصلون وقد افتى المالكية وغيرهم بكفر من قال ان النبوة مكتسبة والله اعلم (فان قيل) هلا ارسل الله تعالى الملائكة فانهم كانوا بهيئتهم الملكية أدعى الى الحق والاستجابة لهم وكانت الكفرة لا تقول ابشرا منا واحدا نتبعه (فالجواب) ان هذا السؤال قد سبق من كفار مكة وأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وقال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون والمعنى فى ذلك ان فى الرسالة امتحانا واختبارا فينظر تعالى وهو العالم بما يكون قبل ان يكون هل يقوم بهم داء الحسد فلا يطيعون ذلك الرسول أو يطيعونه وذلك ان الحسد موضوعه ان يكون بين الجنس الواحد فليس بين البشر والملك حسد ولذلك طلب كفار مكة أن يكون الرسول اليهم ملكا لعدم الحسد بينهم وبين الملك بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم وايضا فان عامة البشر لا تطيق ان ترى الملائكة باعيانهم وصفاتهم فى صورهم فضلا عن اخذ الكلام عنهم وانما يستأنس الجنس بالجنس ولا عجب من أن يفزع الآدمى من صورة الملك الذى يسد الخافقين بنشر جناح واحد * ولقد بلغنا ان الله تعالى خلق عجائب فى أعالى الهند واقاصى بلاد الصين وجزائرها أناسا اذا ابصروا أحدا منا خروا على وجوههم ميتين ولو ابصر منا واحد صورة احدهم لانشقت مرارته خيفة منه وفى القصر المشيد خلق لا يقع بصر أحدنا عليهم الا تراءى عليهم فمات لوقته ولقد ربطوا انسانا بحبال وثيقة وقالوا له انظر ونحن نمسك فنظر اليهم فتمزع من الحبال ونزل اليهم قطعا قطعا * وحديث بدء الوحى مشهور فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوته وشهامته لما رأى الملك اولا بحراء قاعدا على كرسى بين السماء والارض وله صوت هائل امتلأ منه رعبا وهوى من الجبل الى الارض وجاء الى بيت خديجة وهو يقول زملونى فعلى هذا لو بعث الله تعالى ملائكة رسلا الى عباده لفروا منهم ولم يطيقوا استماع كلامهم بل ربما صعقوا من هيبتهم وماتوا كما قال تعالى ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون اى لماتوا من هيبته فى الحال فقد بان لك فائدة كون الرسول من جنس المرسل اليهم وهو تمكنهم من الاخذ عنه لاستئناسهم بحكم الجنسية كما قال تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم وقال تعالى ايضا وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم (فان قلت) فما التحقيق فى قوله افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم هل جميع ما جاءت به الرسل مخالف لهوى النفس من كل وجه ام بعضه موافق لهواها (فالجواب) كما قال الشيخ محيى الدين فى الباب الثامن والتسعين ومائتين ان الشرع لم يجئ لنا الا بمساعدة الطبع فلا ندرى من أين جاء الانسان المشقة والكلفة وايضاح ذلك ان الصفات التى جبل عليها الانسان

فيطمع ان يلبس عليه حاله واطال فى ذلك * وقال فى الباب الرابع والثمانين ومائتين ينبغى للعارف اذا كان فى مجلسه من لا يؤمن بكلام القوم ولا يفهمه ان لا يتكلم بشئ من الدقائق فان سبق منه كلام دقيق على من ليس من أهل الطريق فالادب منه أن يقول انما هذه عبارات أحوال ونطق حال لا نطق مقال كما تقول الارض للوتد لم تشقنى فيقول لها الوتد سلى من يدقنى * وقال فيه اعلم ان الفتح بعد المجاهدات والرياضات أمر لازم لا بد منه تطلبه الاعمال وتناله الانفس ولكن متى يكون ظهور ذلك الفتح هل هو الدنيا أم الآخرة ذلك الى الله تعالى فاذا رأيت يا أخى عامل صدق أو عرفت ذلك من نفسك ولم تر يفتح لك فى باطنك مثل ما فتح لمن رأيته على قدمك فى العمل فلا تتهم ربك فانه مدخر لك واطرح من نفسك التهمة فى ذلك وفر من ان تكون من أهل التهم * وقال قد يطلع الله الولى على ما تكنه القلوب فيعلم من الجليس جميع حركاته وسكناته من حين نفخت فيه الروح الى وقت مجالسته ومع ذلك فلا يعرف هو ما فى جيب نفسه لان العارف انما هو مع الله بحسب ما يطلعه (قلت) وقد شهدت ذلك من الشيخ محسن المجذوب بمصر رحمه الله فكان يخبر الشيخ بما فعله فى صباه فى ارض خلاف بلاده رضى الله عنه وأما شيخنا سيدى على الخواص فسمعته يقول لا يكمل الرجل عندنا حتى يعلم حركات مريده فى انتقاله فى الاصلاب وهو نطفة من يوم ألست بربكم الى استقراره فى الجنة أو النار والله تعالى أعلم * وقال فى الباب الخامس والثمانين ومائتين اعلم ان الحواس لا تخطئ لان ادراكها للاشياء ادراك ذاتى وان حصل غلط فهو عارضة فهى لا تؤثر فى الذاتيات واطال فى ذلك ثم قال واعلم ان ادراك العقل على قسمين ادراك ذاتى هو فيه كالحواس لا يخطئ وادراك غير ذاتى وهو ما يدركه بالآلة التى هى الفكر وبالآلة التى هى الحس فالخيال يعطوا الحس بما يعطيه والفكر ينظر فى الخيال فيجد الامور مفردات فيريد أن ينشئ منها صورة

يحفظها العقل فينسب بعض المفردات الى بعض فقد يخطئ فى النسبة للامر على ما هو عليه وقد يصيب فحكم العقل على ذلك الحد فيخطئ ويصيب فالعقل مقلد ولذلك اتصف بالخطأ ولما رأت الصوفية خطأ النظار عدلوا الى الطريقة التى لا لبس فيها فاخذوا الاشياء من عين اليقين وأطال فى ذلك والله أعلم * وقال فى الباب السابع والثمانين ومائتين ما من كلمة يتكلم بها العبد الا ويخلق الله تعالى من تلك الكلمة ملكا فان كانت خيرا كان ملك رحمة وان كانت شرا كان ملك نقمة فان تاب الى الله تعالى وتلفظ بتوبته خلق الله تعالى من تلك اللفظة ملك رحمة فان قال العبد تبت اليك يارب من كل شئ لا يرضيك خلق من هذا اللفظ ملائكة بعدد كلمات الشر التى كانت منه فان كل تدل على الكثرة فمعنى تبت الى الله من كل شئ تبت الى الله من كذا تبت الى الله من كذا تبت الى الله من كذا كما تقول زيدون تريد زيدا وزيدا وزيدا ثم قال ان ملائكة الشر ترجع كلها بالتوبة ملائكة رحمة كما قال تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الثامن والثمانين ومائتين فى قوله تعالى خلق الانسان من علق انما خلقه تعالى من علق اشارة للعلاقة التى بينه وبين الحق فانه خليفته فى الارض وأيضا فان العلقة فى ثالث مرتبة من أطوار خلقته فهى فى مقام الفردية التى لا تليق الا بالحق فانظر ما أعجب كلام الله عزوجل * وقال فى اسم الله الاعظم اعلم ان اسماء الله كلها عظيمة فاصدق واسأل حاجتك باى اسم الهى شئت وقد قال شخص لابى يزيد البسطامى علمنى اسم الله الاعظم فقال له أبو يزيد فارنى الاصغر ونحوه على ذلك * وقال انما سمى الانسان انسانا لانه به حصل الانس لمراتب الكمال فى الوجود اذلم يكن أحد يطلع عليه مراتب الوجود غير الانسان والالف والنون فيه زائدة مثل ... وأطال فى ذلك * وقال فى الباب التاسع والثمانين ومائتين فى قوله تعالى الله نور السموات والارض اعلم انه

لا تتبدل فانها ذاتية له فى هذه النشأة الدنيوية والمزاج الخاص فلا يكاد يفارق الجبن والبخل والشح والحسد والتكبر والغلظة وطلب القهر وامثال ذلك ثم لما سبق فى علم الحق تعالى ان هذه الصفات لم تكن تتبدل جعل الله تعالى لها مصارف وامر بصرفها اليها احكاما مشروعا فان تبعت النفس تلك المصارف سعدت ونالت الدرجات العلا ٣ عن اتيان المحارم لما تتوقعه من المضرة لها دنيا وأخرى وشحت كذلك بدينها ان تقع فى شئ ينقصه وحسدت من انفق المال ابتغاء مرضاة الله وطلب العلم على وجه الاخلاص وحرصت على الخير ايضا وتكبرت وتعززت بالله على من تكبر عن امر الله واغلظت القول والفعل فى المواطن التى امرها الله تعالى بها وطلبت القهر والغلبة لمن ناوى الحق وقاواه فقد بان لك ان صفات النفس لم تتغير فى حد ذاتها وانما صرفت تلك الصفات فى المصارف التى ندب الحق تعالى اليها ليحمدها ربها وملائكته ورسله وبيان ذلك ايضا ان الحق تعالى لم يحجر على العبد ما يقتضيه طبعه بالكلية وانما حجر عليه البعض وما اهلك الناس الا سلطان الاغراض فانه الذى ادخل الالم عليهم والمكروه ولو انهم كانوا اصرفوا اغراضهم الى ما اراده لهم خالقهم واختاره لهم لاستراحوا وأطال الشيخ فى ذلك (فان قلت) قوله تعالى نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء هل هو نور العقل مع نور الشرع او غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين ان المراد بهذين النورين نور الشرع مع نور التوفيق والهداية فلولا اجتماع هذين النورين ما كمل حال المكلف وذلك لان النور الواحد وحده لا يظهر له ضوء ولا شك ان نور الشرع قد ظهر كظهور نور الشمس من حين ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام ولكن الاعمى لا يبصر ذلك كما لا يبصر الخفاش شيأ فى ضوء النهار ولذلك من اعمى الله تعالى بصيرته لا يؤمن به لعدم ادراكه ذلك النور ولو كان نور البصيرة موجودا ولم يظهر للشرع نور لم يدر صاحب نور البصيرة اين يسلك ولا كيف يسلك لانها طريق مجهولة لا يعرف ما فيها ولا ما تنتهى اليه * فعلم ان الماشى فى هذه الطريق ان لم يحفظ سراجه من الاهواء والا هبت عليه رياح زعازع اطفأته واذهبت نوره ومرادنا بالزعازع كل شئ يؤثر فى نور توحيده وايمانه فان هبت ريح لينة أمالت سراجه ولسانه يعنى السراج حتى يحار فى الطريق فتلك الريح كتبعات الهوى فى فروع الشريعة وهى المعاصى التى لا يكفر بها الانسان ولا تقدح فى توحيده وايمانه انتهى (فان قلت) فهل يشترط فى وقوع العذاب على من خالف الرسل ثبوت رسالتهم عنده (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والسبعين وثلثمائة نعم يشترط ثبوت رسالتهم عنده وذلك حتى يبنى عليه وجوب امتثال امره واجتناب نهيه (فان قلت) فما صورة ثبوت الرسالة (فالجواب) ان تقوم الدلالة الظاهرة عند كل شخص ممن بعث اليهم سواء كانت بواسطة التواتر او باشراق نور فى القلب فرب آية يكون فيها غموض او احتمال بحيث لا يدرك معناها بعض الناس ولا يعرف وجه دلالتها فلا بد ان يكون الدليل على صحة الرسالة واضحا فى غاية الوضوح عند كل من قام له حتى يثبت عنده انه رسول وحينئذ ان جحد بعد ما تبين وتيقن تعينت مؤاخذته ولذلك قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولم يقل نبعث شخصا لانه لا بد ان

تنوت

تثبت رسالة المبعوث عنده من وجه اليه كما مر وفي هذه الآية رحمة عظيمة للامة لما الخلق عليه من اختلاف الفطر المؤدي ذلك الى اختلاف النظر وما فعل الله ذلك الا ليفتح باب الرحمة على من يريد ان يرحمه من عباده (فان قلت) فما السبب الذي منع العبد من العمل بما سمعه من الدعاة الى الله تعالى مما يجب عليه العمل به وهل حكمه حكم من لم يسمع فيكون الحق تعالى قد تفضل عليه وعفا عنه او حكمه حكم من علم فلم يعمل فعاقبه الله تعالى على ذلك عدلا منه فانه تعالى قال ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اي فانهم سمعوا ذلك حقيقة وفهموه لانه بلسانهم ثم قال تعالى وهم لا يسمعون اي حكمهم حكم من لم يسمع مع كونهم سمعوا (فالجواب) ان قرائن الاحوال تشهد بالعقوبة ان يسمع ولم يعمل بما سمع ولكن الامكان لا يرتفع في نفس الامر في حق الموحدين لما يعرف من سعة رحمة الله وتجاوزه عن سيآت جميع الموحدين الا من شاء الله ولم يخبرنا الحق بحكم من قالوا سمعنا وهم لا يسمعون هل يعاقبهم أم لا (فان قلت) فهل الاولى دعاء الرسول بالالحاح للمدعو أو من غير الحاح (فالجواب) ان من شروط الداعي الى الله تعالى نفوذ البصر الى باطن المدعو وان رأى المدعو يمكنه الاجابة دعاه بالالحاح والا دعاه بغير الالحاح لاقامة الحجة عليه خاصة ولذلك لم تبعث الانبياء الامر بالتوحيد الا للمشركين فقط كما ذكره الشيخ في آخر الباب الثاني والسبعين من الفتوحات قال وذلك لانهم ابعد الخلق عن الله تعالى فبعثوا اليهم بالتوحيد ليهدوهم الى طريق الهدى وهذا هو سر اهداء رسول الله صلى الله عليه وسلم البدن الى الكعبة مع ذكره فيها انها شياطين ليثبت عند العقلاء العالمين بذلك ان مقامه صلى الله عليه وسلم رد البعداء عن حضرة الله وانما اشعرها في صفحة سنامها الايمن لذي هو ارفع ما فيها لينبه على كبرياء المشركين التي كانوا عليها في نفوسهم وأيضا فان الصفحة مشتقة من الصفح فكان في ذلك اشعار من الله تعالى ان يصفح عمن هذه صفته اذا اراد التقريب من حضرة الله تعالى وانما جعل في رقابها النعال اشارة الى زوال الكبرياء والشيطنة التي كانت في البدن اذ لا يصفع بالنعال الا اخو الهون والذلة ومن كان بهذه المثابة فما بقي عنده كبرياء تظهر واهدى صلى الله عليه وسلم مرة غنما وهي من الحيوان الطاهر من الشيطنة فكان ذلك اشارة منه الى تقريب الموحدين في ترقيهم في مقامات التوحيد فقد علمت ان من حكمة بعثة الرسل ان يردوا الشاردين عن حضرة الله اليها ويرقوا اهلها في درجاتها والله أعلم

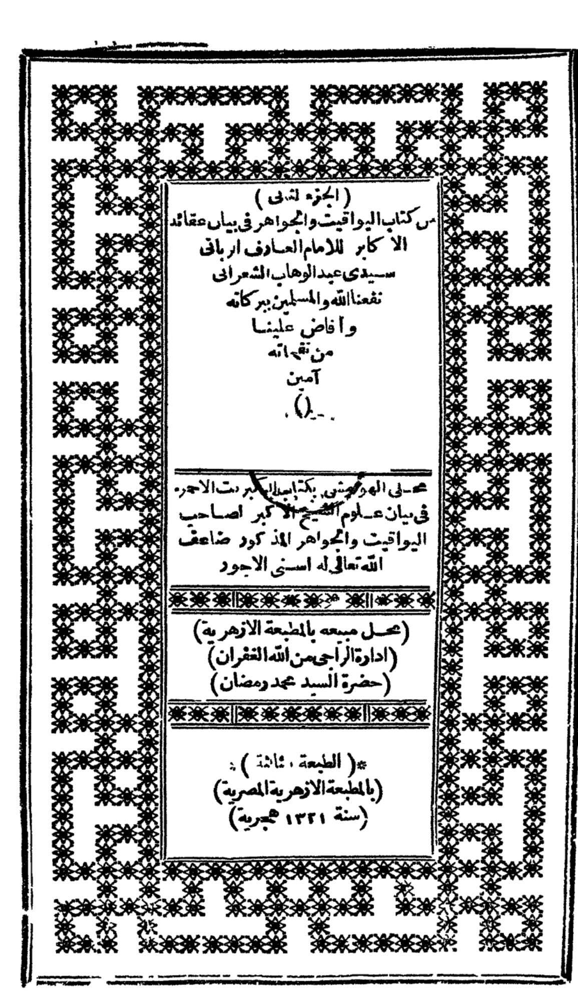
(خاتمة) في آثار بعثة الرسل اعلم ان من آثارها وجود القرينين اللذين هما الملك والشيطان فمن كان من اهل الفترات فلا قرين له بل هو يتصرف بحكم طبعه لان ناصيته بيد ربه خاصة فكل ما تمشى في ذلك الزمان من احوال الموحدين فهو فيه على صراط مستقيم واما من كان في أمة بعث فيها رسول او خلق في أمة بعث فيها رسول فان القرينين يلزمانه من حين ولادته لاجل وجود الشرع (فان قلت) ان المولود غير مكلف حتى يبلغ الحنث فلماذا يقترن به هذان القرينان وهو لم يكلف (فالجواب) ان الله تعالى ما جعل هذين القرينين في حق المولود نفسه وانما ذلك من اجل تربيته والديه او من كان

لولا النورية التي في الاجسام الكثيفة ما صح للكاشف أن يكشف ما وراء الجدران وما تحت الارض وما فوق السموات ولولا اللطافة التي هي أصلها ما صح اختراق بعض الاولياء الجدران ولا كان قيام الميت في قبره والتراب عليه والتابوت مسمرا عليه مجعولا عليه التراب لا يمنعه شيء من ذلك عن قعوده وأطال في ذلك * وقال في الباب التسعين وما ئتين اذا رأيت لوائح تبرق لك من خلف حجاب الخذلان من كثرة استعمالك كل مباح وخفت أن تنتقل الى مكروه فاسأل الله أن يخلق فيك الكراهية لذلك الامر والا هلكت * وقال من اراد ان يطلق الله عليه الالسنة بالثناء الحسن فليعمل بأعمال المقربين ويجتنب أعمال الفاسقين جملة واحدة ظاهرا وباطنا وأما من طلب الثناء عليه من غير سلوك طريق المقربين فيا عناه ويا تعبه على العارفين كلهم في هذه الدار لا يسألون كيف أصبحوا ولا كيف أمسوا عند الناس لانهم في موطن التكليف فلا تتركهم التكاليف أن يلتفتوا لغير الله عز وجل * وقال في الباب الحادي والتسعين وما ئتين ما من سائل عن شيء الا وفيه أهلية للجواب عن سؤاله وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان أعرابيا سأله وهو بين ظهراني أصحابه فقال يا رسول الله أسألك عن ثياب أهل الجنة أتخلق تخلقا أم تنسج نسجا فضحك الحاضرون من سؤاله فغضب صلى الله عليه وسلم وقال أتضحكون من جاهل سأل عالما يا هذا الرجل انها تشقق عنها ثمر الجنة فأجابه صلى الله عليه وسلم بما أرضاه وعلم ما يحتاج اليه وزال خجل السائل بتعليم أصحابه الادب معه حين سأل وانقلب الاعرابي عالما فرحا مسرورا * وقال في الباب الثاني والتسعين وما ئتين في قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى اعلم ان العلماء اختلفوا هل يكون الحق تعالى عوض الاغراض أم لا والتحقيق إن الحق تعالى من حيث ذاته ووجوده لا يقاومه شيء ولا يصح أن يطلب لذاته وانما يريد الطالب معرفة وجه ربه أو شاهدته أو

فيهمزه القرين الشيطاني فيبكي أو يلعب بيده فيفسد شيأ مما يكره والداه فساده اوغيرهما فتكون تلك الحركة الموجودة من المولود الغير المكلف شيأ مثيرا في الغير ضجرا او سخطا كراهية لفعل الله وتقديره فيتعلق به الاثم فلهذا قرن بالصغير الشيطان لالاجل نفسه فانه ليس له حركة نفسية ولاربانية حتى يبلغ الحلم (فان قلت) فاذا كان المولود في زمن لاشرع فيه فهل يقال ان حركته نفسية ام لا (فالجواب) اذا لم يكن المولود في أمة لها شرع فحركته كلها نفسية من حال ولادته الاان يموت مالم يرسل اليه رسول او يدخل هو في دين الهي يتعبد به أي دين كان مشروعا من الله اوغير مشروع وحينئذ يوكل به القرينان اذ لم يكن للعقل وحده ان يشرع القربات (فان قلت) فما حكم من يكون على مكارم الاخلاق المعتادة في العرف المحبوبة بالطبع المدركة بالعقل (فالجواب) مثل هذا لايحكم عليه بحكم يقطع به على الله تعالى فان العقل لايدرك ان ثم آخرة ولاجنة ولانارا ولاحشرا بعد الموت ولايعرف هذا المدبر لبدنه ماهو وانما يدرك ذلك من جهة اخبار الشارع عن الله عزوجل كما مر في مبحث المعجزات (فان قلت) فهل القرينان خاصان بالجن والانس في دار التكليف ام يكونان لهما ولغيرهما حتى في الجنة (فالجواب) ان القرينين خاصان بالجن والانس في دار التكليف فقط فان كل مخلوق سوى الانس والجن مفطور على تعظيم الله والتسبيح بحمده لايعصي الله ما امره وكذلك اعضاء جسد الانسان وجسد الجني ولكن تسبيح هؤلاء الاعضاء لاعلى جهة التقريب وابتغاء المنزلة العظمى بل يتعشون بذلك كالانفاس الداخلة والخارجة وكما يسبح الجن والانس في الجنة والنار فانه لاعلى طريق القربة المكلف بها ولاتنتج لهم قربة لانقضاء زمن التكليف فكل واحد من الخلق هنالك على مقام معلوم في تسبيحه وتحميده لكون العادة صارت هنالك طبيعية تقتضيها حقيقة كل احد ويرتفع التكليف والوقوع في المخالفات فلا يصير القرين يجد شيأ يكتبه والله تعالى اعلم

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني واوله المبحث الحادي والثلاثون)

رؤيته وكل هذا اماه وقين الحق تعالى واذا لم يكن عينه فقد تصح ان يكون عوضا كما ان من عبد الله تعالى كأنه يراه فجزاؤه في الآخرة رؤيته وأطال في ذلك * ثم قال وقد ترافع اثنان الى مالك بن أنس رضي الله عنه اذ في احدهما على الآخر هدية وطلب المكافأة عليها فقال له ما ذا ابتغيت بها حين اعطيتها له ان كنت ابتغيت بها جزاء في الجنة أو معاوضة في الدنيا فخذها منه ان كانت عينها باقية والا قيمتها وان كنت ابتغيت بها وجه الله فلا أحكم لك بشئ انتهى * وقال في الباب الثالث والتسعين ومائتين في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شئ اعلم ان الله تعالى جودا مطلقا وجودا مقيدا وهذه الآية من الجود المطلق وأما المقيد فهو قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة اي أوجب وفرض على نفسه الرحمة لقوم خصوص نعتهم بعمل خاص وهو قوله انه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فهذا جوده مقيد بالوجوب لمن هذه صفته وهو عوض عن هذا العمل الخاص ولايخفى ان التوبة والاصلاح من الجود المطلق فقابل جوده بجوده فاحكم عليه بحيث انه سواه ولاقيد مغيره * قال وحكي عن سهل ابن عبد الله عالمنا وامامنا انه قال لقيت ابليس فعرفته وعرف مني أني عرفته فوقعت بيننا مناظرة فقال لي وقلت له وعلا بيننا الكلام وطال النزاع بحيث انه وقف ووقفت وحار وحرت فكان من آخر ما قال لي ياسهل ان الله تعالى يقول ورحمتي وسعت كل شئ فعم ولايخفى عليك انني شئ بلاشك لان لفظة كل تقتضي الاحاطة والعموم وشئ أنكر النكرات فقد وسعتني رحمته قال سهل فوالله لقد اخرسني وحيرني بلطافة



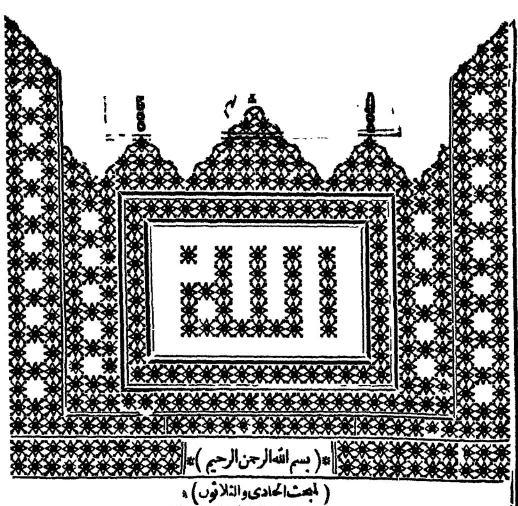
(الجزء الثاني)

من كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد
الاكابر للامام العارف الرباني
سيدي عبد الوهاب الشعراني
نفعنا الله والمسلمين ببركاته
وافاض علينا
من نفحاته
آمين

وعلى الهامش كتاب الكبريت الاحمر
في بيان علوم الشيخ الاكبر لصاحب
اليواقيت والجواهر المذكور ضاعف
الله تعالى له اسنى الاجور

(محل طبعه بالمطبعة الازهرية)
(ادارة الراجي من الله الغفران)
(حضرة السيد محمد رمضان)

(الطبعة الثالثة)
(بالمطبعة الازهرية المصرية)
(سنة ١٣٢١ هجرية)



(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المبحث الحادي والثلاثون)

في بيان عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من كل حركة وسكون او قول او فعل ينقص مقامهم الا كمل وذلك لدوام عكوفهم في حضرة الله تعالى الخاصة فتارة يشهدونه سبحانه وتعالى وتارة يشهدون انه يراهم ولا يرونه ولا يخرجون أبدا عن شهود هذين الامرين ومن كان مقامه كذلك لا يتصور في حقه مخالفة قط حقيقية وانما هي مخالفة صورية كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى وتسمى هذه حضرة الاحسان ومنها عصم الانبياء وحفظ الاولياء فالاولياء يدخلون ويخرجون والانبياء مقيمون فيها ومن أقام فيها من الاولياء كسهل بن عبد الله التستري وسيدي ابراهيم المتبولي فانما ذلك بحكم الارث والتبعية للانبياء استمدادا من مقامهم لا بحكم الاستقلال فافهم اذا علمت ذلك فلنذكر لك نقول المتكلمين في مبحث العصمة ثم نقول الصوفية فنقول وبالله التوفيق * قال ائمة الاصول الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون لا يصدر عنهم ذنب ولو صغيرة سهوا ولا يجوز عليهم الخطأ في دين الله قطعا وفاقا للاستاذ ابي اسحق الاسفرايني وابي الفتح الشهرستاني والقاضي عياض والشيخ تقي الدين السبكي وغيرهم وقال جماعة لا ينبغي اجراء الخلاف في الانبياء والمرسلين ابدا وانما الخلاف في الانبياء الذين لم يرسلوا وهو كلام محشو ادبا وذلك لتوقف حجية الرسل على القول بالعصمة وايضا فان الرسول مشرع لنا بجميع اقواله وافعاله وتقريراته فلو انه صدق عليه الوقوع في معصية ما لصدق عليه تشريع المعاصي ولا قائل بذلك ابدا وعبارة الشيخ محيي الدين في الفتوحات ويشترط في حق الرسول العصمة في جميع ما يبلغه عن الله عز وجل فان عصم في غير ما يبلغه فمن مقام آخر كان يخاطب بالتأسي به فيصير ذلك التأسي اصلا لا يجوز عليه فيه فعل حرام قطعا ولا فعل مكروه الا لبيان الجواز

سياقه وظفره بمثل هذه الآية وفهمه منها ما لم افهم وعلمه من دلالتها ما لم اعلم فبقيت حائرا متفكرا واخذت اتلو الآية في نفسي فلما جئت الى قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون الآية سررت وظننت أني قد ظفرت بحجة وظهرت عليه بما يقصم ظهره فقلت له يا ملعون ان الله تعالى قد قيدها بنعوت مخصوصة تخرجها من ذلك العموم فقال فسأكتبها للذين يتقون الى آخر النسق فتبسم ابليس وقال والله يا سهل ما كنت اظن ان يبلغ بك الجهل بصفات الله تعالى هذا المبلغ ولا ظننت انك ههنا ليتك سكت ليتك سكت ليتك سكت ألست تعلم يا سهل أن التقييد صفتك لا صفته تعالى قال سهل فرجعت الى نفسي وغصصت بريقي وأقام الماء في حلقي والله ما وجدت له جوابا ولا سددت في وجهه بابا وعلمت انه طمع في مطمع وانصرفت وانصرف والله ما ادري بعد هذا ما يكون فان الله تعالى ما نص بما يرفع هذا الاشكال فبقي الامر عندي

انتهى

على المشيئة منه في خلقه لا أحكم عليه في ذلك الا بما حكم به على نفسه من حيث وجوب الايمان به انتهى كلام سهل

انتهى وكان امام الحرمين رحمه الله يقول من جوز وقوع الصغيرة من الانبياء سهوا قيدها بغير الدالة على الخسة كسرقة لقمة والتطفيف في الكيل والوزن بتمرة مثلا ثم لا بد أن ينبهوا عليها على الفور واما استغفاره صلى الله عليه وسلم اكثر من سبعين مرة كما ورد فكان لاجل الترقي في المقامات فكان يستغفر من كل مقام ترقى عنه وثم مقام رفيع وارفع وكان الامام الجنيد يقول في حديث انه ليغان على قلبي فاستغفر الله تعالى في اليوم والليلة اكثر من سبعين مرة ان المراد انه ليغان على قلبي مما اطلعت عليه مما يقع لامتي بعدي من المخالفات فاستغفر الله لهم اكثر من سبعين مرة انتهى وقال جماعة من علماء الاصول الانبياء الذين لم يرسلوا معصومون قطعا من غير خلاف ومن قال فيهم غير ذلك فعليه الخروج من عهدته بين يدي الله عز وجل وبين يديهم فان بداية النبوة تؤخذ من بعد انتهاء الولاية فاين يتعقل الواحد منا اسم ذنوب الانبياء وقد قالوا حسنات الابرار سيئات المقربين فافهم والزم الادب واجب عن الانبياء عليهم السلام جهدك كل من كان في حجاب عن مقامهم واي فائدة لتجريح من عدله الله تعالى هل ينبني احد على ذلك لا والله بل ذلك الى الاثم اقرب * وقال الشيخ ابو طاهر القزويني في الباب الخامس والثلاثين من كتاب سراج العقول يجب تنزيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن كل ما يتبادر الى افهامنا من ذكر خطاياهم فان خطاياهم لا ذوق لنا فيها وان الله تعالى لما اصطفى الانبياء في سابق علمه للنبوة واداء الرسالة رشحهم لذلك في مبادي أمورهم وحماهم من مكايد الشيطان وصفى سرائرهم من الكدورات وشرح صدورهم بنوره وزينهم بالاخلاق الجميلة وطهرهم عن الرجس والرد ثم كما روي في الصحيح ان جبريل اتى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الصبيان فأخذه وصرعه وشق عن قلبه فاستخرج منه شبه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب من ماء زمزم ثم لأمه وعاد كما كان في مكانه * قال وصورة الشق ليست مثل شق الذبح بالسكين وانما المراد به كشف باطنه بيد جبريل من غير ألم يصيبه او دم يصيبه وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك . قال وهذا قريب من اخراج الله الذرية من ظهر آدم عليه السلام بمسح اليد كما يليق بجلاله وسبب توقف العقول الضعيفة ووقوع الاشتباه في مثل ذلك تعذر الخروج عن المألوفات بدليل قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك فلم يكن فيه بعد ذلك للهوى منفذ ولا للشيطان عليه سبيل واطال في ذلك * وقال الشيخ العارف بالله تعالى الجامع بين الطريقين سيدي عبد العزيز الديريني رضي الله عنه لا يجوز قطعا نسبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الذنوب على حد ما نتعقله نحن وانما سماها الله تعالى في حقهم معصية وخطيئة وذلك لان مقامهم الارفع لا ذوق لولي فيه ولو ارتفعت درجته فضلا عن غيره من امثالنا وذلك لانهم معصومون من الوقوع في ذنوبنا وغاية خطاياهم انما هو مثل نظره الى مباح او لفظة او تحتها رعونة ومكروه وباطنها علم وصلاح مثل قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام في معرض اقامة الحجة على قومه بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم وكما وقع له من قوله اني سقيم حتى لا يخرج مع قومه الى ما دعوه اليه من اللهو واللعب اي مائل الى السقم ونحو ذلك انتهى * وقال الشيخ في الباب الثاني والسبعين وثلثمائة من الفتوحات المكية يجب قطعا تنزيه الانبياء مما نسبه اليهم بعض المفسرين من الطامات الكبرى مما لم يجئ في كتاب ولا سنة صحيحة وهم يزعمون انهم قد فسروا قصصهم التي قصها الله تعالى علينا وكذبوا والله في ذلك وجاؤا فيه باكبر الكبائر وذلك كمسئلة ابراهيم الخليل عليه السلام وما نسبوه اليه من وقوع الشك بحسب ما يتبادر الى الاذهان وما نظروا في قوله صلى الله عليه وسلم نحن أولى بالشك من ابراهيم وذلك ان ابراهيم عليه السلام لم يشك في احياء الله الموتى معاذ الله ان يشك نبي في مثل ذلك وانما كان يعلم ان لاحياء الله الموتى طرقا ووجوها متعددة لم يدر بأي وجه

قال الشيخ محيي الدين واعلم رحمك الله اني تتبعت ما حكي عن ابليس فما رأيت أقصر منه حجة ولا اجهل منه بين العلماء فلما وقفت له على هذه المسئلة التي حكاها عنه سهل بن عبد الله تعجبت وعلمت انه قد علم علما لا جهل فيه فهو استاذ سهل في ذلك والله أعلم * وقال في قوله تعالى وجعل الشمس سراجا اعلم ان النور المنبسط على الارض الذي هو من شعاع الشمس الساري في الهواء ليس له حقيقة وجودية الا بنور البصر المدرك لذلك فاذا اجتمعت العينان عين الشمس وعين البصر استنارت المبصرات وقيل قد انبسطت الشمس عليها ولذلك يزول ذلك الاشراق بوجود السحاب الحائل لان العين فارقت العين الاخرى بوجود السحاب قال وهي مسئلة في غاية الغموض لاني اقول لو ان الشمس في جو السماء وما في العالم عين تبصر من حيوان ما كان لها شعاع ينبسط في الارض أصلا فان نور كل مخلوق مقصور على ذاته لا يستنير له غيره فبوجود الابصار ووجود الشمس ظهر النور المنبسط قال ولا يخفى ان الحرباء ظهر لونه بحسب ما تنعكس فيه من خضرة او حمرة او غيرها ولا وجود لتلك الالوان

منها يكون احياء الله تعالى الموتى وهو مجبول على طلب الزيادة من العلم فعين الله تعالى له وجها من تلك الوجوه فمكن ما كان عنده وعلم حينئذ كيف يحيي الله الموتى فما كان السؤال الاعن معرفة الكيف لا غير وكذلك القول فى قصة سليمان وما نسبوه الى الملكين ببابل هاروت وماروت كل ذلك لم يرد فى كتاب ولا سنة وانما ذلك نقل عن اليهود فاستحلوا أعراض الانبياء والملائكة بما ذكروا الهم من فجر بجهم أنبياء الله تعالى وملؤا تفاسيرهم للقرآن من ذلك فالله تعالى يحفظ اواخوانا من غلطات الافكار والافعال والاقوال آمين انتهى ❊ وقال أيضا فى الباب الرابع والخمسين ومائة ينبغى للواعظ ان يراقب الله تعالى فى أنبيائه وملائكته ويستحيي من الله عز وجل ويجتنب الطامات فى وعظه كالقول فى ذات الله بالفكر والكلام على مقامات الانبياء عليهم السلام من غير أن يكون وارثا لهم فلا يتكلم قط على زلاتهم بحسب ما يتبادر الى أذهان الناس بالقياس على غيرهم فان الله تعالى قد اثنى على الانبياء احسن الثناء بعد أن اصطفاهم من جميع خلقه فكيف يستحل اعراضهم بما ذكره المؤرخون عن اليهود قال ثم ان الداهية العظمى جعلهم ذلك تفسير الكلام الله تعالى ويقولون فى تفسيرهم قال المفسرون فى قصة داود انه نظر الى امرأة اوريا فاعجبته فارسله فى غزاة ليموت فيأخذها وكقولهم فى قصة يوسف عليه السلام انه هم بالمعصية وان الانبياء لم يعصموا عن مثل ذلك وكقولهم فى قصة قوم لوط لو ان لى بكم قوة اوآوى الى ركن شديد العجز والفقر ونحو ذلك ويعتمدون على تأويلات فاسدة واحاديث واهية نقلت عن قوم قالوا فى الله ما قالوا من البهتان والزور فمن اورد مثل ذلك فى مجلسه من الوعاظ مقته الله والانبياء والملائكة لكونه جعل ذلك ازاء هاد لمن فى قلبه زيغ فدخل منه الى ارتكاب المعاصى ويحتج بما سمعه منه فى حق الانبياء ويقول اذا كان الانبياء وقعوا فى مثل ذلك فمن اكون انا وحاشا الانبياء كلهم عن ذلك الذى فهمه هذا الواعظ فوالله لقد أفسد هذا الواعظ الامة وعليه وزر كل من كان سببا لاستهانته بما وقع فيه من المعاصى ولكن قد ورد انه لا تقوم الساعة حتى يصعد الشيطان على كرسى الوعظ ويعظ الناس وهؤلاء من جنوده الذين يتقدمونه انتهى (فان قلت) فما الفرق بين العصمة والحفظ (فالجواب) الفرق بينهما ان الانبياء معصومون من المباح لهوى انفسهم بخلاف الاولياء فاذا فعل الانبياء المباح لا يفعلونه لهوى انفسهم كغيرهم وانما يفعلونه على جهة التشريع انه مباح فهو واجب عليهم حينئذ يعنى فعل المباح اذ التبليغ واجب عليهم ذكره الشيخ محيي الدين فى آخر باب سجود التلاوة من الفتوحات المكية ❊ وقد حبب لى ان اذكر لك بعض اجوبة عن بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام مبتدئا بآدم عليه السلام خاتما بمحمد صلى الله عليه وسلم فتقيس على باب الاجوبة عن باقيهم فاقول وبالله التوفيق

اعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام اول فاتح لباب التوبة حين وقع على يديه ما وقع من أكل الشجرة بعد النهى عنها فكانت معصية صورية ليعرف بنيه كيف يفعلون اذا وقعوا فى المنهى عنه لانه عليه السلام هو فاتح القبضة ولو لم يقع ذلك على يديه لوقع على يد غيره وقد قال الشيخ محيي الدين فى الباب التاسع والثلاثين من الفتوحات كانت معصية آدم عليه السلام من عين نعمة الله تعالى عليه لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينتقلون قط من حال الا الى اعلى منها فان الله تعالى اجتباهم واصطفاهم بسابق العناية فلا يمكر الحق تعالى بهم ابدا ❊ قال ومن هنا يعلم ان هبوط آدم عليه السلام وحواء الى الارض لم يكن عقوبة لهما وانما كان عقوبة لابليس وحده فان آدم عليه السلام اهبط بصدق الوعد السابق بان يكون خليفة فى الارض من بعد ما تاب الله عليه واجتباه وبعد ما تلقى الكلمات من ربه بالاعتراف فكان اعترافه عليه الصلاة والسلام فى مقابلة قول ابليس أنا خير منه خ

مدرك لله فى حال عدمه فهو معدوم العين مدرك لله يراه فيوجده لنفوذ الاقتدار الالهى فيه (قلت) وهذا كلام دقيق غوره بعيد فليتأمل ويحرر والله أعلم ❊ وقال فى الباب الخامس والتسعين ومائتين معنى كون الشمس سراجا ان يضيء به العالم وتبصر به الاشياء التى كان يسترها الظلام فيحدث الليل والنهار بحدوث كواكب الشمس و الارض قال والليل هو ظلمة الارض الحجابية عن انبساط نور الشمس والكواكب كلها عند أهل الكشف مستنيرة لا تستمد من الشمس كما يراه بعضهم قال والقمر على أصله لا نور له البتة قد محا الله نوره وذلك النور الذى ينسب اليه هو ما يتعلق به البصر من الشمس فى مرآة القمر على حسب مواجهة الابصار منه فالقمر مجلى الشمس وليس فيه من نورها شئ قال واول من شرع فى تعليم الناس علم الحوادث التى تكون فى الارض باقترانات الكواكب هو ادريس عليه السلام وهو علم صحيح لا يخطئ فى نفسه وانما الناظر فى ذلك هو الذى يخطئ بعدم استيفائه النظر بالحنا او اقع فى نظر هؤلاء لا فى نفس العلم وهو من علوم الاسرار

فعرفنا الحق تعالى مقام الاعتراف عند الله تعالى وما ينتجه من السعادة لنتخذه طريقا اذا خالفنا أوامره ونواهيه فكان ما وقع من آدم كالتعليم لبنيه اذا وقعوا في مخالفة كيف يكون خلاصهم وتنصلهم منها كما مر وأما ابليس فعرفنا الحق تعالى بدعواه الخيرية ان كل من اتبعه في هذه الدعوى طرد عن حضرة الله ولعن ورجم فلنحذر من ان نقول نحن خير من فلان فلذلك كان هبوط ابليس الى الارض عقوبة له دون آدم فما اهبط ابليس الى الارض الا لاكتساب الاوزار بخلاف آدم عليه السلام فانه اهبط للخلافة والترقي في الدرجات فان جميع حسنات بنيه في صحائفه وابليس عليه من أوزارهم شئ (فان قلت) ان معصية ابليس لا تقتضي تأبيد الشقاء لانه لم يشرك بالله شيأ وانما افتخر على آدم عليه السلام بما جبله الله عليه من الطبيعة التي هي النار لكونها أقرب الى اسمه تعالى النور لما فيها من الاضاءة بخلاف الطين (فالجواب) انما جاءه الشقاء الابدي من اعتراضه على الله ونسبة افعاله الى غير الحكمة مع اضماره في نفسه انه لو بقي ابد الآبدين لوسوس للناس بالضلالة فجوزي بنظير قصده ونيته ورجع عليه وزر كل مشرك على وجه الارض وقد قال الشيخ ابو مدين انما خلد اهل الجنة والنار بالنيات والا فكان العدل ان يعذب الكفار بقدر مدة عصيانهم (فان قلت) فهل قوله حين تبرأ من الذين كفروا بقوله اني اخاف الله رب العالمين توحيد يسعد به أم لا (فالجواب) ليس هو بتوحيد لانه لا يقدر يوسوس لاحد بالشرك حتى يتصوره في نفسه على الصورة التي اذا حصلت في نفس المشرك زالت عنه صورة التوحيد فاذا تصورها في نفسه كهذه الصورة فقد خرج عن التوحيد ضرورة فلم يسعد به فكان ابليس مشركا في نفسه بلا شك ولا ريب ثم لو قدر ان صفة الشرك ذهبت من نفسه لم يجد المشرك في نفسه من يحدثه بالشرك * فاعلم ان ابليس اول مشرك بالله واول من سن الشرك فهو اشقى العالمين (فان قلت) فما الحكمة في قوله تعالى في آدم عليه السلام عصى وفي ابليس أبى (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب السابع والستين وثلثمائة ان ذلك من علوم الاسرار ولا يذكر الا مشافهة لاهله (فان قلت) فهل ابليس يجهل شيأ من شرائع الانبياء عليهم السلام (فالجواب) هو عالم بها كلها على الكمال وذلك ليوسوس للناس بضد ما أمرت الانبياء به ولولا علمه بها لربما التبس عليه الامر فأمر الناس بما أمرت به الرسل وذلك لا يصح منه وقد ذكر الشيخ في باب الحج من الفتوحات ان من اغرب الامور ان ابليس يقف كل سنة مع الناس ولكن لا يقف في عرفة وانما يقف في عرنة بفتح الراء وهي من عرفات فيقف يبكي على ما فاته من طاعة الله عز وجل ويحزن على ما فاته ولما يراه يحصل لاهل الموقف من المغفرة العامة فيقف بعرنة لعلمه انها من عرفة رجاء ان تصيبه الرحمة من باب الامتنان لا من باب الاعمال الصالحة قال وانما لم تطرده الملائكة عن عرنة لعلمهم بأن عنده معرفة الله عز وجل ودخول المشركين المساجد جائز في الجملة انتهى (فان قلت) فما الحكمة في وقوع آدم عليه السلام في أكله من الشجرة ثم نزوله بعد ذلك الى الارض التي هي دون الحضرة التي كان فيها (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والثلاثين ان الحكمة في ذلك كله تأنيس العلماء والاولياء اذا وقعوا في زلة فانحطوا عن مقامهم العلي وظنوا انهم نقصوا بذلك عند الله تعالى فيعلمون بقصة آدم عليه السلام ان ذلك الانحطاط الذي احسوا به في نفوسهم لا يقضي بشقائهم ولا بد فربما يكون هبوطهم كهبوط آدم للتكريم والحق تعالى لا يتحيز والوجود العلوي والسفلي كله حضرته فليست السماء التي اهبط منها اقرب الى الحق من الارض واذا كان الامر على هذا الحد فعين هبوط الولي في عيون الناس بعد الزلة وذله وانكساره بسببها هو عين الترقي فقد انتقل بالزلة الى مقام أعلى مما كان فيه لان علو الولي انما يكون بزيادة المعرفة والحال وقد زاد هذا الولي بحصول الذلة

الخطأ والنسيان فلا يؤاخذهم الله في الدنيا ولا في الآخرة فأما في الآخرة فمجمع عليه من الكل وأما في الدنيا فأجمعوا على رفع الذنب واختلفوا في الحكم وقد سئل الجنيد عن الشبلي رحمهما الله لما كان يرد من ولهه الى فعل الصلوات في أوقاتها فقال الحمد لله الذي لم يجر عليه لسان ذم أو قال ذنب قال وانما قال الجنيد ذلك خوفا على من لم يبلغ تلك المرتبة أن يظهر بها وهو غير محقق فيخطئ فيقع في الذنب وأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائتين في قوله تعالى نور على نور هو نور الشرع مع نور بصر التوفيق والهداية فلا بد للماشي في طريق الشرع من هذين النورين فلو وجد نور البصيرة دون نور الشرع لما درى العبد كيف يسلك لانه في طريق مجهولة لا يعرف ما فيها ولا أين تنتهي به ثم الماشي في هذا الطريق يحتاج أن يحفظ سراجه من الاهواء أن تطفئه بهبوبها فانه ان هبت عليه ريح زعزع أطفأت سراجه وأذهبت نوره قال ومرادنا بالريح الزعزع كل ريح تزعزع في نور توحيده وايمانه بخلاف غير الزعزع فانها لا تطفئ نور السراج وانما تميل لسانه حتى يحير في الطريق لا غير وهو مثال الشبه التابعة للهوى

والانكسار من العلم بالله تعالى مالم يكن عنده قبل الزلة وهذا هو عين الترقي فعلم ان من فقد هذه الحالة في زلته ولم يندم ولم ينكسر ولا ذل ولا خاف مقام ربه فهو في أسفل سافلين ونحن ما نتكلم الا على زلات أهل الله عز وجل اذا وقعت منهم قال تعالى ولم يصروا على ما فعلوا الآية وقال صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقيل لابي يزيد البسطامي أيعصي العارف فقال وكان امر الله قدرا مقدورا فلم يقل لا يعصي ولا انه يعصي ادبا مع الله تعالى ومعنى وكان أمر الله قدرا مقدورا أي ان معصية اهل الله تعالى بحكم القدر النافذ فيهم لا غير ولا يصح في حقهم ان يقعوا في المعاصي قط بشهوتها كما يقع فيها غيرهم لان في ذلك انتهاكا لحرمات الله تعالى واهل الله تعالى محفوظون من شهوة المعاصي والتلذذ بها لان الايمان المكتوب في قلوبهم يمنعهم من ذلك * قال سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى ومن حكمة وقوع العبد في المخالفة للاوامر وقوعه في مقام الادلال بالطاعات وعجبه بها فان توالي الطاعات الصرف ليلا ونهارا تورث غالب الناس الزهو والعجب وشهود انهم خير من كثير من الناس وهذا غاية البعد من حضرة الله عز وجل وما جعل الله تعالى التكاليف الا ليذل بها النفوس بين يديه ولا يرى بها المكلف شرف نفسه على احد من خلق الله تعالى فان ذلك ذنب ابليس الذي أخرج به من حضرة الله عز وجل وكل من ادعى مقام القرب مع عدم الادلال فهو كاذب انتهى * (فان قلت) قد ورد ان آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة اسود جسده وقد يتبادر الى الاذهان ان ذلك يؤذن بان آدم عليه السلام اثرت فيه المعصية نقصانا (فالجواب) ليس اسوداد بدنه علامة على نقصه بل هو علامة على حصول سيادته كما ذكره الشيخ في الباب الثاني والسبعين في الكلام على حديث نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم قال وكذلك القول في اسوداد جسد آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة يدل على سيادته لان ذلك أورثه الاجتباء والاصطفاء ولولا أكله من الشجرة ما ظهرت سيادته وكذلك الحجر الاسود لما اخرج من الجنة وهو أبيض فلا بد من اثر يظهر عليه تعرف به سيادته في دار الدنيا اذ رجع الى الجنة ويتميز به عن أقرانه ويظهر به عليه خلعة التقريب الالهي في جعله يمين الله في الارض ولم يكن من الاكوان ما يدل على السيادة الا اللون الاسود فكساه الله تعالى لون السواد اعلاما بانه صار سيدا بخروجه من الجنة الى الدنيا (قلت) ولعل من هذا القبيل جعل ستر الكعبة أسود وكذلك عمم ثم خلفاء بني العباس وغيرهم ولعل ذلك هو سر لبسه صلى الله عليه وسلم العمامة السوداء يوم فتح مكة اظهارا لسيادته على الخلق من باب التحدث بالنعمة * فعلم ان معنى قوله في الحديث فسودته خطايا بني آدم اي جعلته سيدا بتقبيلهم اياه وكذلك القول في اسوداد جلد آدم هو يدل على سيادته لان هبوطه الى الارض هبوط خلافة له للتناسل والترقي (فان قلت) فما الوجه الجامع بين سواد الحجر وجلد آدم وبنيه (قلنا) وجهه الاجتباء والسيادة فكان تقبيل الحجر يشبه الاجتباء والاصطفاء لآدم عليه السلام وبنيه بسبب خطاياهم (فان قلت) فلم امر الناس بالسجود على هذا الحجر وتقبيله والتبرك به (فالجواب) انما امروا بذلك ليكون كفارة لهم من خطاياهم فظهرت سيادته بذلك وحصل به تمييز القائم بآداب العبودية والمخل بالقيام بها فان بني آدم ربما زهوا بالصورة التي خلقوا عليها وبالكمالات التي خلعها الحق عليهم على ما سواهم فامرهم الحق تعالى بالسجود الى جهة الجماد الذي هو الكعبة مع انه انقص رتبة منهم فمنهم من اطاع فرضي الله تعالى عنه ومنهم من عصى فسخط الله عليه * (فان قلت) قال القوم ان حصول معرفة الله عز وجل للعبد تمنعه من الوقوع في معصية الله وآدم عليه الصلاة والسلام من رؤس العارفين بالله عز وجل فكيف وقع في أكله من الشجرة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب

(وقال) في قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته الآية اعلم ان القرين لا يكون الا في أمة بين أظهرها شرع فان لم يكن بين أظهرهم شرع فلا قرين اذ الشيطان الذي هو القرين لا يكون الا في مقابلة الملك الذي يأمر العبد بالخير بلسان الشرع وأما اذا لم يكن شرع فانما العبد متصرف بحكم طبعه لان ناصيته بيد ربه خاصة فلا يوكل به القرين الا ان دخل في دين الهي يتعبد نفسه به فان العقل وحده لا يستقل بمعرفة تشريع ما يتقرب الى الله تعالى وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر (وقال) قد أنكر الطبيعيون وجود ولد من ماء أحد الزوجين دون الآخر وذلك مردود عليهم بعيسى عليه السلام فانه خلق من ماء أمه فقط وذلك ان الملك لما تمثل لها بشرا سويا سرت اللذة بالنظر اليه بعد ما استعاذت منه وبعد ان عرفها انه رسول الحق ليهب لها غلاما زكيا فتأهبت لقبول ذلك فسرت فيها لذة النكاح بمجرد النظر فنزل الماء منها الى الرحم فتكون جسم عيسى من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة
فيها فهو من ماء امه فقط * وقال في الباب الموفي ثلثمائة في حديث ان الصدقة تقع بيد الرحمن فيربيها كما

السابع وماتتين ان المعرفة تمنع العارف بلاشك ولكن اذا اراد الله تعالى ان يوقع احدا من الاكابر فيما قدره عليه لحكمة سبق بها علمه فلا بد ان يزين الله تعالى له الوقوع فى ذلك بتأويل يقع له فيه وجه الحق ولا يقصد بذلك العمل انتهاك الحرمة كما وقع لآدم عليه السلام ثم اذا وقع ذلك المقرب فى المعصية بذلك التأويل اظهر الله له فساده فاذا تحقق بعد الوقوع انه اخطأ علم انه عصى فعند ذلك يحكم عليه لسان الشريعة بأنه عصى ويشهد على نفسه عند نفسه انها عصت واما فى حال وقوع الفعل منه فلا لاجل شبهة التأويل فهو كالمجتهد فى زمان فتواه بأمر ما اعتقادا منه ان ذلك عين الحكم المشروع فى المسئلة وفى ثانى الحال يظهر له بالدليل انه اخطأ فيكون لسان الظاهر يحكم عليه انه اخطأ فى زمان ظهور الدليل لاقبل ذلك (فان قلت) فهل تكون عقوبة العارفين على الذنب اشد من عقوبة الجاهلين (فالجواب) ان عقوبة العارفين بالله تعالى اشد لشدة اعتناء الحق تعالى بهم وربما كانت زلة العارف ترجح على سبعين زلة من زلات الجاهل ولو لم يكن من عقوبة العارف الا ما يحصل عنده من الاستحياء والخجل لكان ذلك كفاية بل ربما كان ذلك الخجل اشد على العارف من العقوبة الظاهرة كما ان المغفرة اشد عليهم من العقوبة وذلك لان العقوبة جزاء فيجد العبد الراحة عند الاستيفاء منه فهو بمنزلة من أوفى دينه والغفران ليس كذلك فلا يزال العارف ملازم الخجل والحياء مدة طويلة وذلك اشد من العقوبة الشديدة فى يوم وتنقضى كما قال تعالى والفتنة اشد من القتل ولهذا المعنى الذى ذكرناه كان الحق تعالى اذا اعتنى بعبده وغفر له ذنبه أحال بينه وبين تذكره وانساه اياه لانه لو تذكره لاستحيى ولا عذاب على النفوس الطاهرة الشريفة اعظم من ان ينعم عليها من هى مسيئة فى حقه حتى ان صاحب الحياء يود انه لم يكن شيأ مذكورا كما قالت الكاملة ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا مع ان حياءها انما كان من المخلوقين حين نسبوا اليها مالا يليق بها ولا بأبيها وامها كما اشار اليه قوله تعالى ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فبرأها الله تعالى مما نسب اليها الا جل ما نالها من عذاب الحياء من قومها فكيف بالحياء من رب العالمين فيما يحققه العبد من تعدى حدوده ومجاهرته بالمعاصى (فان قلت) فهل يلزم من كون الحق تعالى ينسى عبده سيآته ان تكون بدلت بحسنات كما اشار اليه قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات (فالجواب) لايلزم ذلك ولكن قال بعض العارفين ان فى نسيان العبد ذنوبه بالكلية بشرى عظيمة من الله بأنه بدل سيآته حسنات فان من علامة التبديل نسيان الذنب وذلك ان الذنب اذا بدله الله بحسنات لم يبق للذنب صورة وجود من الوجودات الاربع ويؤيد ذلك قول بعض العارفين كل ذنب لم يذهب من ذهن الانسان فليحدث له توبة جديدة فانه الى الآن لم يبدل وليكثر من الاستغفار طول عمره فوالله ما خافنا الا لامر عظيم * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما انسى الله تعالى خواص اولياءه ذنوبهم رحمة بهم لان العبد كلما تذكر ذنبه فكانه يجعل بينه وبين الله تعالى صورة قبيحة تؤذن بالبعد ولهذا قالوا ذكر الجفاء فى وقت الصفاء جفاء انتهى * وسمعت اخى افضل الدين رحمه الله تعالى يقول لما انزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر كان ذكر الذنب عليه اشد من الذنب لطف الحضرة التى كان فيها على ان تلك الذنوب لا يتعقلها امثلنا كما مر لانها ذنوب بالنظر الى مقامه الشريف من باب حسنات الابرار سيآت المقربين كما بلغنا ان شخصا من العارفين مر على جدار فانتحب عنده بالبكاء فقيل له ما سبب هذا البكاء فقال وقع لى أنى تيممت من تراب بغير اذن صاحبه وهذا الذنب لا يكاد يبكى عليه احد ولو من صالحى زماننا فضلا عن غيرهم * وقال الشيخ محيى الدين فى الباب السابع وماتتين من الفتوحات من حين نزل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وتألم النبى صلى الله عليه وسلم من ذكر

بر فى أحدكم فلوه أو فصيله الخ قال ذلك الشيخ فيقبل كما يربى أحدكم ولعله لان الولد ... قبلا يتقبل ... اذا كان ... بالولد غير محقق بل ربما يحصل على والده منه الضرر بحيث يتمنى ان الله لم يخلقه والفلو والفصيل ليس هما كذلك فان المنفعة بهما محققة ولابد اما بركوبه أو بما يحمله عليه أو بثمنه أو بلحمه يأكله ان احتاج اليه فشبهه صلى الله عليه وسلم بما يحقق الانتفاع به ليعلم المتصدق انه ينتفع بما تصدق به ولابد من الانتفاع بها انها تظله يوم القيامة من حر الشمس حتى يقضى بين الناس (قلت) ويحتمل أيضا انه انما مثل بالفلو دون الولد لان الولد ليس هو بمال يتصدق به بخلاف الفلو والله أعلم * وقال فى الباب الثالث والثلثمائة اختلف العلماء فى الموت هل هو طلاق رجعى أو بائن فذهب قوم الى ان المرأة اذا ماتت كانت من زوجها كالاجنبية ولابد فليس له ان يكشف عليها وذهب آخرون الى بقاء حرمة الزوجية فله ان يغسلها وحاله معها كحاله فى حياتها فان كان رجعيا فان الازواج ترد الى أعيان هذه الاجسام من حيث جواهرها فى البعث وان كان بائنا فقد ترد اليها مع اختلاف التأليف وقد ينشئ الله تعالى اجساما اخر اصفى واحسن لاهل النعيم ولاهل الشقاء بالعكس ولكن الاول أظهر لقوله تعالى

بعثر ما في القبور وقال وقت طلاق ... رجلي والله اعلم * وقال في حديث من حفظ القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لم

الذنب فما نزل عليه جبريل قط الا في صورة دحية وكان قبل نزول هذه الآية ينزل عليه في اي صورة
شاء وكان دحية اجمل اهل زمانه فكأن الحق تعالى يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم بلسان الحال ما بيني
وبينك الا صورة الجمال والحسن لانك اعظم حبيب * في آداب الملوك انه ينبغي للوزراء ان لا يكون في
احد منهم عاهة من برص او جذام او تشويه خلقه وان لا يحضر بين يديهم قط احد في بدنه عاهة بل
يقضون حاجته من غير ان يقفوه بين يدي السلطان فافهم * وكان من كمال دحية انه ما رآته حامل دخل
المدينة الا القت ما في بطنها لما ادركها في نفسها من شهود ذلك الجمال وانما لم تلق الحوامل ما في بطنها
عند رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه اجمل من دحية بما لا يتقارب لانه مشرع والناس
مأمورون برؤيته فستر الله تعالى جماله عن غالب الناس رحمة بهم بخلاف دحية لم يؤمر احد برؤيته
(فان قلت) ما صورة تبديل السيآت بالحسنات هل تصير نفس المعصية التي وقعت حسنة في صحيفة
العبد ام يصير العبد يطيع الله تعالى بعد ان كان يعصيه (فالجواب) كما قاله بعض اهل الكشف ان
صورة التبديل ان يبدل اسم السيئة في الصحيفة ويكتب مكانها حسنة تشاكلها فان كانت المعصية
كبيرة كتب مكانها حسنة كبيرة او كانت صغيرة كتب موضعها حسنة صغيرة وهذا الامر اعظم عنايات
الله تعالى بالعبد ان صح لانه يعطي النفس حظها في الشهوات الدنيوية ثم يكتب الله تعالى له في صحيفته
اعمالا صالحة لم يعملها فعلم ان الله تعالى اذا بدل سيآت العارف حسنات رأى ذلك من اكبر النعم
عليه (فان قيل) فهل يصح ان يعصي احد من الخواص ربه على الكشف والشهود اذا رأى في اللوح
المحفوظ ما قدره الله عليه (فالجواب) لا يصح ذلك لعارف ابدا الا ان المخصوص بما كشف بقلبه في حضرة
الاحسان على الدوام ولو قدر انه عصى الله تعالى على الكشف لا يشهد الحق تعالى الا غير راض عنه
في ذلك الفعل (فان قيل) قد تقدم قول ابي يزيد حين سئل أيعصي العارف فقال وكان امر الله قدرا
مقدورا فيجوز وقوع العارف في سائر المعاصي (فالجواب) وهو كذلك فجائز في حق الولي ان يكفر بعد
ايمان فضلا عن المعاصي الاسلامية كما وقع لابليس فانه عصى بعد معرفته بالله عز وجل وانما جوز
ابو يزيد ذلك وعدمه ادبا مع الله تعالى ان يحكم عليه بشيء معين كما راوائل المبحث اي ان كان الله تعالى
قدر على العارف المعصية فلا بد من وقوعه فيها لكن مع حجاب بتأويل او تزيين او غفلة او سهو كما
اشار اليه حديث اذا اراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم الحديث يعني العقول
الذاكرة انها بين يدي الله عز وجل حال عصيانها الا عقول التكليف فاياك والغلط والله تعالى اعلم
(فان قلت) قد قال الحق جل وعلا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وآدم عليه السلام من عبيد
الاختصاص بيقين فكيف كان ابليس واسطة في اكل آدم عليه السلام من الشجرة (فالجواب) ان
ابليس لم يأت آدم عليه السلام من باب المعصية وانما دلاه بغرور من ذلك حلفه لآدم عليه السلام بالله
تعالى انه له من الناصحين * ومنها انه قال له انما نهاك الله تعالى عن قرب الشجرة لا عن اكل ثمرها
ومنها كما هو مشهور في الاجوبة عن آدم عليه السلام فما اتاه من صورة ما نهي عنه وانما اتاه من
صورة ما لم ينهه عنه الذي هو الاكل * وايضاح ذلك ان ابليس اذا اراد اغواء عبد ورأى وجه العصمة
او الحفظ محيطا به تجسد له في صورة انسان مثله فيتخيل ذلك الولي مثلا انه انسان لا شيطان ويأتيه
بالاغواء من قبل اذنه فيدخل عليه فيما حجر عليه تأويلا وادناه ان يقول له ان الله غفور رحيم وهل
رحمته الا للمذنبين وقال نبيكم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي فاذا صغا اليه يقول له اعمل فان مثلك لا يضره
الذنب الا اذا كان دليله لا يحتمل التأويل وقد احتمل دليل هذه المعصية التأويل وذلك ان ابليس
يعلم ان الانسان العاقل لا يقدم على معصية الله ابتداء دون وسوسة بالتأويل والتزيين فاذا اعطاه

يقل فقد ادرجت النبوة في صدره او بين عينيه او في قلبه لان تلك رتبة النبي لا رتبة الولي واين الاكتساب من التخصيص فمن تعمل في تحصيل الولاية حصلت له وان كان نفس التعمل في تحصيلها اختصاصا من الله ايضا يختص برحمته من يشاء فما اكتسبت الولاية الا بالمشي في نور النبوة واطال في ذلك وقال كانت القوة التي ظهرت في ابي بكر الصديق يوم موت النبي صلى الله عليه وسلم كالمعجزة في الدلالة على رسالة النبي فقوي حين ذهلت الجماعة لانه لا يكون صاحب التقدم في الامامة الا صاحي غير سكران فكان هو الحقيق بالتقدم في ذلك اليوم لصحوه ولا يقدح في استحقاقه الخلافة كراهة بعض الناس له فان ذلك مقام الهي قال تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها واطال في ذلك ثم قال فعلم ان تقدم الخلفاء بعضهم على بعض في الولاية على الناس على ما وقع به الترتيب لا يقتضي الجزم بتفضيل بعضهم على بعض بل ذلك راجع الى الله فانه العالم بمنازلهم عنده ولم يعلمنا سبحانه بما في نفسه من ذلك فالله يحفظنا من الفضول انتهى (قلت) ذكر الشيخ

ابليس

ابليس هذا الاصل صار العبد من اهل الاجتهاد فى وقوعه فى الذنب او تركه فان اخطأ فله اجر فلم يتم للشيطان مراده من ذلك العبد المحفوظ مادام العبد ذاكرا قول ابليس فان نسى ماقاله ابليس وقع ضرورة كما وقع لآدم عليه السلام

قال الشيخ محيي الدين وانما اكل آدم وحواء من الشجرة لان قلوب الاصفياء صافية لا تعتقد ان احدا يكذب عليهم ولكن من عناية الله تعالى لآدم ان تلك الاكلة اعقبته الخلد فى جنته وملكا لايبلى على رغم انف ابليس لكن من غير ماقصده هو لآدم انما كان قصده له ان يقع فى الذنب ولا يتوب منه فتاب الله تعالى على آدم والتائب من الذنب كمن لاذنب له (فان قلت) فهل يمكن ان يكون ابليس قصد بقوله لآدم عليه السلام هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى الخير الذى آل امر آدم عليه السلام اليه فان ابليس لم يعين وقتا (فالجواب) لا يصح من ابليس قصد ذلك ابدا لانه ليس له خير الى آدم وذريته البتة وانما الله تعالى يرد وسوسته خائبة بحسن العاقبة لوليه مثلا فيجتبيه ويصطفيه ضد ماقصد ابليس * وكان الشيخ ابو العباس العريبى شيخ الشيخ محيي الدين يقول لم يعص آدم ربه معاذ الله وانما عصى من كان فى ظهره من ذريته الذين هم اهل الشقاء لان ظهره كان كالسفينة لسائر أولاده وكان الشيخ ابو مدين التلمسانى يقول لو كنت مكان آدم لا كلت الشجرة كلها وفى رواية أخرى لو علم آدم حين اكله من الشجرة مايؤل امره اليه من الخير لا كل الشجرة كلها انتهى وقد بسط الشيخ الكلام على حديث فجحد آدم فجحدت ذريته ونسى آدم فنسيت ذريته فى الباب الخامس وثلثمائة فراجعه ترى العجب فى غرائب تلك العلوم وقد سنح لى ان اضرب لك مثلا تعلم به يقينا تنزيه آدم عليه السلام من المعصية المحضة كما يقع فيها غيره وتقوم ببعض واجب حق ابيك عليه الصلاة والسلام فاقول وبالله التوفيق * اعلم ان الله سبحانه وتعالى لما قضى فى سابق علمه بالسعادة لقوم والشقاوة لقوم ولم يبدل ذلك القول لديه فلابد من فاتح يفتح القبضتين فكان ابليس فاتحا القبضة الشقاوة وآدم عليه السلام فاتحا القبضة السعادة فابليس شقى وآدم عليه السلام سعيد هو وذريته الذين اقتفوا آثاره فى التوبة والاعتراف فان آدم مع علمه بأن ماوقع فيه كان بقضاء وقدر اعترف بذنبه وقال ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين واضاف الذنب الى نفسه ليعلم بنيه كيف يخرجون اذا وقعوا فى معصية من الاثم ولا يصرون على المعاصى من غير توبة ولا اعتراف كما وقع فيها ابليس وجنوده من الانس والجن فكان حكم آدم عليه السلام فيما وقع له مع الحق جل وعلا حكم عبد قال الحق تعالى له فيما بينه وبينه انى اريد ان اظهر فى هذا الوجود ما كان مكنونا فى علمى وبحكم اسمائى فى اهل حضراتها من السعداء والاشقياء وتظهر حجتى على عبادى قبل ان أخرجهم من جوارى فان علمى سبق بذلك وانا كريم ومن شأن الكريم ان لايخرج احدا من جواره الا بحجة ظاهرة تقام عليه بين المحجوبين عن سماع ماقلته لك من سرى فاذا قلت لك لا تقرب هذه الشجرة فاعلم انى أذنت لك فى القرب منها فاقرب لاقيم عليك الحجة واخرجك الى دار خلافتك وترقيك بالاعمال فان هذه الدار التى انت فيها الان لا تكليف فيها ولا ترقى لاحد بأعماله كما هى أعمال اهل الجنة التى يؤل امر المؤمنين اليها بعد يوم القيامة سواء فلا يسع العبد صاحب هذا السر الا ان يبادر الى ما أذن له فيه سيده سرا من وراء المحجوبين ولم يكن ذلك معصية الا عند المحجوبين عن سماع ذلك السر الذى اسره الحق لآدم عليه السلام وأما الحاضرون السامعون ذلك فليس ذلك بمعصية عندهم فان الاذن من الحق فى فعل شئ والامر به واحد فى تلك الحضرة كما صرح به الشيخ فى الباب الثالث والسبعين فى الجواب الثامن والثلاثين من اسئلة

فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى المعطى مانصه اعلم ان الله تعالى ما أمرنا باتباع ملة ابراهيم لكونه أحق بها من محمد صلى الله عليه وسلم وانما أمرنا بها لتقدمه فى الزمان فيها فللزمان حكم فى التقدم من حيث هو لا فى المرتبة كالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان من حكمة الله تعالى اعطاؤها لابى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على بحسب اعمالهم التى قدر الله وقوعها أيام ولاية كل واحد على التعيين وكل لها أهل فى وقت أهلية الذى قبله ولابد من ولاية كل واحد منهم وخلع المتأخر لو تقدم لابد منه حتى يلى من لابد له عند الله فى سابق علمه من الولاية فرتب الله الخلافة ترتيب الزمان للاعمار حتى لا يقع خلع مع الاستحقاق فى كل واحد من متقدم ومتأخر وما علم الصحابة ذلك الا بالموت قال ومع هذا البيان بقى أهل الاهواء فى خوضهم يلعبون مع ابانة الصبح لذى عينين بلسان وشفتين انتهى * وقال أيضا فى الكلام على اسمه تعالى الآخر من الباب المذكور مانصه اعلم ان حد الآخر من الثانى الذى يلى الاول الى ماتحته فهو المسمى بالآخر لان له حكم التأخر عن الاولية بلاشك وان استحق الاولية هذا المتأخر فما تأخر عن الاول الا لامر اقتضاه الزمان لان

الحكيم الترمذي وانما فرق بينهما في لسان ظاهر الشرع فقط فان الامر غير الارادة في احكام الشريعة اذ الامر بخلاف الارادة اذ كتم الحق تعالى فيها بالجاء العبد في الباطن الى وقوع ذلك الفعل من غير ان يأمره بذلك ان الله لا يأمر بالفحشاء فافهم * وكان الشيخ ابو مدين يقول قول بعض العارفين ما فعلت الشئ الفلاني الا باذن من الله تعالى مراده بالاذن هنا الارادة الازلية انتهى * فعلم ان في نداء الحق تعالى على آدم بالمعصية والغواية نفعا عظيما لذريته المحجوبين الذين يتعدون حدود الله فيتأسون بابيهم في الندم والاستغفار والاعتراف فلم تكن تلك المعصية مقصودة لآدم بالاصالة كما هي ذنوب الغاوين من ذريته وانما بكى آدم عليه السلام مع اذن الحق تعالى له في أكله من الشجرة سرا على ما مر في كلام ابي مدين تشريعا لذريته فكان بكاؤه صوريا : فان قلت فلم لم يفتح آدم عليه السلام قبضة السعادة بالطاعة الصرف دون وقوعه في المعصية ثم توبته منها (فالجواب) انما كان الامر بعد وقوع المعصية ليظهر آدم بذلك سعة فضل الله ورحمته وحلمه على عباده الذين سبق في علمه انهم يقعون في معاصيه تعالى ولو انه فتح قبضة السعادة بالطاعة المحضة لتعطلت حضرات كثير من الاسماء الالهية المتعلقة بالعالم المخالف اذ الطائع لا يحتاج الى مغفرة ولا رحمة ولا حلم لعدم من يغفر له او يرحم او يحلم عليه ويؤيد ذلك حديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولأتى بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم فاعلم ذلك * واما الجواب عن نوح عليه السلام في قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فانما دعا عليهم بذلك رحمة بهم خوف ان يشتد عليهم غضب الله تعالى اكثر مما كانوا فيه وقد أمرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان يقول احدنا اذا خاف من وقوعه في فتنة اللهم توفني اذا كانت الوفاة خيرا لي فلم يكن دعاؤه على قومه من غضب نفسي حاشا الانبياء من ذلك * وقال الشيخ محيي الدين ليست دعوة نوح التي يعتد بها يوم القيامة قوله رب لا تذر على الارض انما هي قوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا لكونه تحكم على الله فيما لم يعرفه ولم يزل الحق يربي انبياءه بادب بعد ادب قال صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت اذا ادبني ربي فأحسن تأديبي انتهى * واما الجواب عن السيد ايوب عليه السلام في جمعه الذهب في ثوبه لما امطر الله تعالى عليه رجلا من جراد من ذهب وقال له ربه ألم أكن أغنيتك عن هذا فقال بلى يارب ولكن لا غنى لي عن خيرك وبركتك * فالجواب ان اكابر الاولياء فضلا عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينقص كمالهم أخذ الدنيا وامساكها فان كان ايوب عليه السلام جمع الذهب لما هو عليه من ظاهر الحال فهو صحيح مع انه قانع بلا شك لان القناعة عند اهل الله تعالى ليست هي الا الاكتفاء بالموجود من غير طلب مزيد وان كان فعل ذلك ليقتدي به قومه فما فعل الا ما هو اولى بالقربة الى الله تعالى من تركه لا سيما وايوب عليه السلام ممن هدى الله تعالى وممن امر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي بهداهم وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فقد رجعت القناعة بهذا التقرير الى بابها في لسان العرب وهي المسئلة فان القانع هو السائل لكن من الله لا من غيره قال تعالى في الظالمين يوم القيامة مقنعي رؤسهم اي رافعين رؤسهم الى الله تعالى يسئلونه العفو والمغفرة عن جرائمهم فعلم ان من سأل غير ربه فهو ظالم الا ان يرى ان ذلك الغير باب من ابواب الله تعالى من غير وقوف معه فان لم يكن كذلك خيف عليه الحرمان والخسران ولا يخفى ان السائل موصوف بالركون الى من سأله والله تعالى يقول ولا تركنوا الى الذين ظلموا ومن ركن الى نفسه او الى جنسه فقد ركن الى ظالم لقوله تعالى انه اي الانسان كان ظلوما جهولا * وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والتسعين اعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل الاولياء ما امسكوا الدنيا الا باطلاع عرفاني نتج لهم ما عشقهم في الامساك من نفح لا نفس بالاقوات التي قدر الله تعالى وصولها لاصحابها في

وجود الاهلية فيه من جميع الوجوه فالحكم في تأخيره وتقدم غيره الزمان لا الافضلية في الحقيقة كخلافة ابي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم اجمعين فما من واحد الا وهو مترشح للتقدم والخلافة مؤهل لها فلم يبق حكم لتقدم بعضهم على بعض فيما عند الله بفضل علم تطلبه الخلافة وما كان الا الزمان فلما سبق في علم الله ان ابا بكر يموت قبل عمر وعمر يموت قبل عثمان وعثمان يموت قبل علي والكل له حرمة عند الله وفضل فقدم الحق سبحانه وتعالى في الخلافة من علم ان أجله يسبق اجل غيره من هؤلاء الاربعة وما قدم من قدم من الاربعة لكونه اكثر اهلية من المتأخر منهم في علمنا فلم يبق الا حكم الآجال والعناية وفي الحديث اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما فلو بايع الناس احد الثلاثة دون ابي بكر فلا بد لابي بكر ان يكون خليفة وخليفتان لا يجتمعان فان خلع احد الثلاثة وولي ابو بكر كان عدم احترام في حق المخلوع ونسب الساعي في خلعه الى انه خلع عن الخلافة من يستحقها او نسب الى الهوى والظلم والتعدي في حقه ولو لم يخلع لمات ابو بكر في ايامه دون ان يكون خليفة ولابد له من الخلافة ان يأتي في علم الله فلا بد من تقدمه لتقدم اجله قبل صاحبه وكذلك تقدم عمر بن الخطاب

أوقات مخصوصة فما امسكوا الدنيا عن بخل ولا ضعف يقين حاشاهم من ذلك قال وانظر الى أيوب عليه السلام كيف أعطته المعرفة المذكورة انه صار يحثو في ثوبه من الذهب لما امطر عليه وهو يقول لاغنى لي عن بركتك انتهى * واما الجواب عن يونس عليه السلام فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه الآية فالمراد بقوله ان لن نقدر عليه ان يونس عليه السلام ظن ان الله تعالى لا يضيق عليه لما عهده من سعة رحمته من باب قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه أي ضيق عليه وانما آخذه الله تعالى لكونه قصر ذلك الاتساع الالهي على نفسه فقط ولم ينظر ذلك في حق غيره من امته فلما ظن ان رحمة الله تعالى لا تنالهم آثر غضبه ظلمة في ظاهره اعلو منصبه وصفاء قلبه فاسكن في ظلمة بطن الحوت ماشاء الله تعالى لينبهه تعالى على حالته حين كان جنينا في بطن أمه من كان يدبره فيه وهل كان في ذلك الموطن يتصور منه ان يغضب او يغاضب بل كان في كنف الله عز وجل لا يعرف سوى ربه فرده تعالى الى هذه الحالة في بطن الحوت تعليما له بالفعل لا بالقول فنادى في الظلمات ان لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين أي سبحانك يارب تفعل ما تريد وتوسع رحمتك على من تشاء وهذا كالاعتذار عن أمته وقوله كنت من الظالمين أي آثر غضبي رجح على ما أنت ظلمتني لان علمك ما تعلق بي الا على هذا الحال ثم لما زالت ظلمة المغاضبة ظلمة تليق بمقام الانبياء وانتشر النور اللائق بكمل النبوة في قلبه استجاب له ربه فنجاه من الغم فقذفه الحوت من بطنه مولودا على الفطرة السليمة فلم يولد أحد من بني آدم ولادتين سوى يونس عليه الصلاة والسلام فخرج ضعيفا كالطفل كما قال تعالى وهو سقيم وغطاه تعالى باليقطين وذلك لان ورقه ناعم ولا ينزل عليه ذباب اذ الطفل لضعفه لا يستطيع ان يرد الذباب عن نفسه فغطاه الله تعالى بهذه الشجرة التي من خاصيتها ان لا يقربها ذباب مع نعومة ورقها فانه مثل القطن في النعومة بخلاف ورق الاشجار كلها فان فيه الخشونة ذكره الشيخ في الباب الثالث والثلاثين من الفتوحات * وأما الجواب عن السيد موسى عليه الصلاة والسلام في قوله ففررت منكم لما خفتكم كيف خاف عليه السلام وهو كامل مع ان الواحد من الاولياء لا يخاف احدا الا الله تعالى * فالجواب مقام الخوف أولى من وجوه منها ان الكامل يرى من نفسه الضعف بخلاف صاحب الحال من الاولياء ومنها انه يجب على الكامل الفرار من شئ يؤذي بدنه او يلحقه بالعدم وان خالف ذلك اثم ومنها ان في الخوف عدم تعطيل الاسباب فكان من كمال موسى فراره ويحتمل ان خوفه منهم انما هو خوف من الله تعالى بالاصالة ان يسلطهم عليه فرجع خوفه منهم الى خوفه من الله تعالى وذلك محمود والله أعلم * وأما الجواب عن السيد سليمان عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق فهو ان تعلم يا اخي ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا توصف بفعل سفه ولا اتلاف مال لكمالهم وانما المراد انه لما احب الخير الذي هو المال عن ذكر ربه لا عن حكم الطبع طفق يمسح بيده على اعراف الخيل وسوقها فرحا وعجبا بخير ربه ولعله عليه الصلاة والسلام بأن الله تعالى يحب من عباده حب الخير وذلك الحب للخير اما ان يراد به حب الله اياه او حب الخير من حيث وصف الخير بالحب ومعلوم ان الخير لا يحب الا للأخيار فانهم محل وجود عينه فلذلك قال سليمان عليه الصلاة والسلام انى أحببت حب الخير عن ذكر ربي أي ما في الخير من حيث المحبة كالخير في حبه وله ذلك حتى توارت بالحجاب يعني الصافنات الجياد اشتاق اليها فقال ردوها علي لانه فقد المحل الذي أوجب له هذه الصفة المذكورة فانها كانت محلا له . قال الشيخ في الباب الرابع والعشرين ومائة من الفتوحات وليس للمفسرين الذين جعلوا التواري للشمس دليل لان الشمس ليس لها ههنا ذكر ولا الصلاة التي يزعمون وسياق الآية لا يدل على ما قالوه في ذلك بوجه ظاهر الآية واما

وعثمان وعلي والحسن فما تقدم من تقدم لكونه أحق بها من هؤلاء الباقين ولا تأخر من تأخر منهم عنها لعدم الاهلية قال وما علم الناس ذلك الا بعد ان بين الله ذلك بآجالهم وموتهم واحدا بعد آخر اذ التقدم انما كان بسبب الآجال عندنا وفي نظرنا الظاهر أو بعلم آخر في علم الله لم نقف عليه وحفظ الله المرتبة عليهم رضي الله عنهم اجمعين وقد أطال الشيخ محيي الدين الكلام على السر الذي وقر في صدر أبي بكر في الباب التاسع والستين وثلثمائة وسيأتي ذلك ملخصا في الباب المذكور ان شاء الله تعالى (قلت) الذي نعتقده ان تقديم الخلفاء الاربعة كان بالفضل والزمان معا وهذا أولى مما قاله الشيخ والله أعلم فليتأمل ويحرر والله واسع عليم * وقال في الباب الرابع وثلثمائة ما عظم الزهاد في أعين الملوك والامراء والاغنياء الا غناهم عما بأيديهم من حطام الدنيا ولو انهم طلبوا من الناس شيأ من الدنيا لنقصوا في أعينهم بقدر ما طلبوا مع كون الاغنياء يبادرون لقضاء حوائجهم ويتواضعون لهم فلو ان الزاهد وزن مرتبته في قلب الملك مثلا قبل طلب تلك الحاجة منه ثم وزنها بعد الحاجة لرآها نقصت عنها نقصا عظيما وأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن وثلثمائة في قوله تعالى [illegible] وأي قدا [illegible] على الانسان

استرواحهم فيما فسروه بقوله تعالى ولقد فتنا سليمان فالمراد بتلك الفتنة انما هو الاختبار اذ كان متعلقه الخيل ولا بد فيكون اختباره اذا رآها هل يحجبها عن ذكر ربه لها او يحجبه العينها فاخبر عليه السلام انه احبها عن ذكر ربه اياها لا لحسنها وكمالها وحاجته اليها فانها جزء من الملك الذي طلب ان لا يكون لاحد من بعده فاجابه الحق تعالى الى ما سأل في المجموع ودفع الحرج عنه وقال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب اي ما ينقصه هذا الملك شيأ من ملك الآخرة كما يقع لغيره من المتنعمين في الدنيا فان كل شيء تنعموا به في الدنيا نقص من نعيمهم في الآخرة كما ورد * قال ومن هنا يعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكن شيء يشغلهم عن الله تعالى من نعيم الآخرة فضلا عن الدنيا ولذلك سألوا التوسع في الدنيا ومحال ان يسألوا من ربهم ما يحجبهم عنه او يحجبهم الحق تعالى الى ما يحجبهم اكراما لهم وقد ذكر الشيخ في باب الوصايا من الفتوحات ان الاكابر ما سألوا الله تعالى التوسع في الدنيا الا لغرض صحيح وذلك لانهم لما احكموا الزهد في الدنيا والقناعة منها بالقليل آمنوا على نفوسهم من ان يشتغلوا عن الله بشيء فسألوا الله التوسع في الدنيا ليوسعوا بها على أنفسهم وعلى من يلوذ بهم اعطاء لنفوسهم ومعارفهم حقهم وليتلذذوا بخطاب الله عز وجل لهم بقوله اقرضوا الله قرضا حسنا فانه تعالى ما خاطب بذلك الا اهل الجدة والسعة فلاجل لذة توجه خطاب الحق تعالى لهم في ذلك سارعوا الى تحصيل مرتبة الغنى بالتجارات والمكاسب الشرعية لعلمهم بأن من لا مال له محروم من لذة هذا الخطاب فقد بان لك ان سليمان عليه السلام لم يقدح في كماله سؤاله الدنيا ان تكون له بأسرها الفقد العلة التي كرهت الدنيا من اجلها : وقد بلغنا ان نملة طلبت من سليمان الامان فاعطاها فقالت ما ملكك الذي أعطاكه الحق تعالى بسؤالك فقال خاتمي فقالت اف لملك يحويه خاتم ثم قالت له يا سليمان اذا كانت الامور التي يعطيها الحق تعالى لعباده لا تخرج عن ملكه تعالى فما فائدة طلبك ان يعطيك ملكا لا ينبغي لاحد من بعدك انتهى (قلت) وما ذكره الشيخ في هذه الآية تفسير غريب واضح وعليه فلا يصح استدلال الشبلي به على تخريق ثيابه بالنار حين شغلته عن ربه عز وجل وقال ان سليمان عليه السلام قطع سوق الخيل واعناقها لما شغلته عن الصلاة * واما قول بعض العلماء ان الضمير في توارت للشمس فلا يناسب قوله ردوها علي اذ الشمس ليس ردها في يد قومه حتى يردوها عليه ومع ذلك فان صح دليل في رد الشمس على سليمان باظهار الضمير الذي في توارت وردوه للشمس دون الخيل اتبعناه والله أعلم * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول ثم مقام يقتضي طلب العبد أن يوسع الله عليه الدنيا ليزداد بذلك فقرا الى الله تعالى والى نعمه وكيف يعاب على من سأل ربه ما هو اقل من جناح بعوضة انتهى * وأما الجواب عن خطيئة داود عليه الصلاة والسلام التي استغفر منها وخر راكعا واناب فكانت نظرة فجأة بغير تقدم نية صالحة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كانت خطيئة أخي داود النظر وذلك انه رفع رأسه من الارض بغير نية تناسب مقامه فآخذه الله بذلك ولذلك ورد انه لم يرفع بصره الى ناحية السماء بعد ذلك الى ان مات حياء من ذلك الرفع السابق مع الغفلة فعين الذنب هو رفع البصر ولو الى مباح بغير نية فافهم * فعلم ان مؤاخذة الاكابر في الحركات والسكنات مع الغفلة لا تختص بالنظر ولا غيره فلو قدر انه حرك أصابعه مع الغفلة عن شهود الحق بذلك لآخذه الله به لوجوب الحضور عليهم مع الله تعالى على الدوام وأما ما ذكروه من ان خطيئة داود كانت هي النظر الى امرأة اوريا فلم يصح انا ذلك في حديث والله اعلم وقد بسط ذلك في مبحث الجواب عن آدم عليه الصلاة والسلام فراجعه * واما الجواب عن السيد يوسف عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها الآية فقد ذكر الشيخ في الباب السابع والستين وثلثمائة

* واعلم ان آخر صورة تظهر فيها الانسان بتقدم وروده على العناصر الصورة الآدمية لانه كان قبلها له في كل مقام وحضرة تلك وسماء صورة ولم يكن قط في صورة من تلك الصور مذكورا بهذه الصورة الآدمية العنصرية ولهذا ما ابتلاه الله تعالى في صورة من تلك الصور ولا عصى ربه فيها ولا يموت الا فيها : قال ولا يخفى ان حقيقة مسمى الانسان هي اللطيفة والجسم معا وشرفه عارض لا ذاتي فان شرفه انما هو بما أعطاه الله من العلم والخلافة والسلطنة لا غير * وقال في الباب التاسع وثلثمائة رجال الله تعالى ثلاثة أصناف لا رابع لهم * عباد وصوفية وملامية وهم كمل الرجال فضابط العباد انهم رجال غلب عليهم الزهد والتبتل والافعال الظاهرة المحمودة لا يرون شيأ فوق ما هم عليه ولا معرفة لهم بالاحوال ولا بالمقامات ولا رائحة عندهم من العلوم الالهية الوهبية ولا بالمعارف والكشوفات ويخافون على أعمالهم من تحبطها لاعتمادهم عليها دون الله * وضابط الصوفية انهم رجال فوق هؤلاء العباد لانهم يرون الافعال كلها لله مع ما هم عليه من الجد والاجتهاد والورع والزهد والتوكل وغير ذلك ويرون أن ما هم فيه بالنظر للمقامات التي فوقهم كلا شيء ولكن هم مع حسن اخلاقهم وفتوتهم اهل رعونة ونفوس بالنظر لاهل

من

من الفتوحات ان روحه اجتمعت بروح يوسف عليه الصلاة والسلام في بعض الاسرا آت الروحية فقال
له يا نبي الله ما معنى الاشتراك في اخبار الله تعالى عنك بقوله ولقد همت به وهم بها فانه تعالى لم يعين في
ماذا ولا يخفى ان اللسان يدل على احدية المعنى فقال يوسف عليه الصلاة والسلام نعم ولذلك قالت الملك
على لسان رسوله ان يسئل النسوة فما ذكرت المرأة الا انها راودتني عن نفسي وما ذكرت اني راودتها فافهم
ما قلته لك فان به يزول ما كان يتوهمه بعض الناس لما لم يعين الله تعالى امر همي وهمها فقلت له
يا نبي الله اللسان يؤذن بالاشتراك فقال نعم صدقت لكن في اللفظ دون المعنى فانها همت بي لتقهرني
على ما كانت ارادت مني وهممت انا بها لا قهرها بالدفع عن ذلك فالاشتراك في طلب القهر مني ومنها
فكأنه تعالى يقول ولقد همت به يعني في عين ما هم بها وليس الا القهر فيما يريد كل واحد من صاحبه
دليل ذلك قول المرأة الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وما جاء في قصتي قط أنني راودتها عن
نفسها فاراني الله تعالى البرهان في ارادتي القهر في دفعها عني اولا بالقول اللين كما قال تعالى لموسى وهرون
فقولا له قولا لينا اي لا تعسف عليها يا يوسف وسسها فانها امرأة موصوفة بالضعف على كل حال قال
الشيخ محيي الدين فقلت له افدتني افادك الله تعالى فاعلم ذلك * واما الجواب عن ابينا ابراهيم الخليل
عليه الصلاة والسلام فذكر الشيخ في الباب السابع والستين وثلثمائة ان روحه اجتمعت بروح
الخليل عليه الصلاة والسلام قال فقلت له يا ابت لم قلت ولكن ليطمئن قلبي مع انك من المؤمنين بذلك
بلا شك فقال صحيح ولكن للاحياء وجوه كثيرة كما كان ايجاد الخلق فمنهم من اوجده الله تعالى عن كلمة
كن ومنهم من اوجده بيديه ومنهم من اوجده ابتداء ومنهم من اوجده عن خلق آخر فطلبت
العلم بتعيين وجه من هذه الوجوه فاذا اعلمني به اطمأن قلبي * قلت وقد بسط الشيخ الكلام على
ذلك في الباب الخامس والعشرين وماتتين والله اعلم ولنرجع الى المعنى الذي نحن فيه * قال الشيخ
فقلت له يا ابت لم قلت بل فعله كبيرهم هذا قال لانهم كانوا قائلين بكبرياء الحق تعالى على آلهتهم التي
اتخذوها فقلت له فماذا اردت باشارتك بقولك هذا قال لي انت تعلم المراد بها فقلت اني اعلم انها اشارة
ابتداء وخبره محذوف يدل عليه قولك بل فعله كبيرهم فاسئلوهم اقامة للحجة عليهم فقال عليه الصلاة
والسلام ما زدت على ما كان الامر عليه فقلت له فما كانت خطيئتك في قولك والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين فقال هي نسبة المرض الى نفسي في قولي واذا مرضت فهو يشفين مع انه في الحقيقة
لم يمرضني الا الله تعالى فهذا كان خطيئتي فكان في اضافة المرض الى نفسي ثم طلب المغفرة من تلك
الاضافة ادبا فقلت له فلم قال تعالى في حقك وانه في الآخرة لمن الصالحين فخص صلاحك بالآخرة
واطلق الصلاح لغيرك من الانبياء في الدنيا والآخرة * فقال لان الصالح من شرطه ان لا يضيف
الى نفسه شيأ الا باضافة الله تعالى وقد اضفت الى نفسي وغيرها ما ليس لها بغير اذن خاص من الله تعالى
بقولي واذا مرضت وقولي اني سقيم وقولي بل فعله كبيرهم هذا . فقلت له يا ابت فما قولك في الانوار
الثلاثة فانك معصوم عن اعتقادك فيها الالوهية في حين من الاحيان فقال انما قلت ذلك اقامة للحجة
على قومي الا ترى الى ما قال الحق تعالى في القرآن وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وما كان
اعتقاد قومي في الاله الا انه نمرود ولم تكن تلك الانوار آلهتهم ولا كان نمرود الها لهم وانما كانوا
يرجعون في عبادتهم لما نحتوه آلهة لا اليه ولذلك لما قلت ربي الذي يحيي ويميت لم يتجرأ نمرود ان
ينسب الاحياء والاماتة الى آلهتهم التي وضعها لهم لئلا يفتضح فقال انا احيي واميت فعدل الى نفسه
تنزيها لآلهتهم عندهم حتى لا يتزلزل الحاضرون فقلت له فلم عدلت الى الاقرب في الحجة فقال لاني
علمت قصور افهامهم عما جئت به لو وصلته وطال المجلس فعدلت لي الاقرب في افهامهم بذكر اتيان

الخمس الا الرواتب ولا
يتميزون عن الناس بحالة
زائدة يعرفون بها يمشون
في الاسواق ويتكلمون
مع الناس بكلام العامة
قد انفردوا بقلوبهم مع
الله لا يتزلزلون عن
عبوديتهم قط ولا يذوقون
للرياسة طعما لاستيلاء
الربوبية على قلوبهم فهم
ارفع الرجال مقاما رضي
الله عنهم اجمعين . وقال
في الباب العاشر وثلثمائة
في قوله تعالى يا ايها المدثر
قم فانذر اعلم ان التدثر
انما يكون من البرودة التي
تحصل عقب الوحي وذلك
ان الملك اذا اورد على النبي
صلى الله عليه وسلم بعلم أو
بحكم تلقى تلك الصورة
الروح الانساني فاذا تلاقيا
هذا بالالقاء وهذا بالاصغاء
احتد المزاج واشتعل
وتقوت الحرارة الغريزية
المزاجية فتغير وجه ذلك
الشخص لذلك وهو اشد
ما يكون ولذلك تصعد
الرطوبات البدنية كأنها
بخارات الى سطح كرة البدن
لاستيلاء الحرارة فيكون
من ذلك العرق الذي يطرأ
على اصحاب هذا الحال
للانضغاط الذي يحصل
بين الطبائع من التقاء
الروحين ثم لما كان الهواء
الخارج من البدن قويا
فتح المسام برطوبته فمنع
تخلل الهواء البارد من خارج فاذا سرى عن ذلك النبي او عن صاحب الحال وانصرف الملك سكن المزاج وانفشت تلك الحرارة

الله تعالى بالشمس من المشرق وطلبت ان يأتي بها من المغرب فبهت الذي كفر تعجيزا له من الله تعالى * ولنختم الاجوبة بالجواب عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فنقول وبالله التوفيق اعلم ان الاجوبة عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من علماء امته لا تحصى ولكن نذكر لك منها طرفا صالحا فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين وثلثمائة ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يزل معصوما عن كل ما ينقص مقامه الا كمل قبل النبوة وبعدها كما روى انه عليه الصلاة والسلام قبل رسالته كان يرعى الغنم بالبادية فكان يهم ان يدخل الى مكة فيصيب فيها ما يصيب الشبان من اللعب فاذا دخل مكة لذلك ارسل الله عليه النوم فيفوته فعل ما دخل لاجله فيستعجل الرجوع الى غنمه فكان في ذلك عصمته صلى الله عليه وسلم من حيث لا يشعر * وفي المثل السائر من العصمة ان لا تجد ويسمى هذا المقام علم الحاصل في عين الفائت كما قال تعالى وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيأ وهو شر لكم فكان في ذلك الفائت سعادة العبد وفضل على الحاصل انتهى وقد تقدم اوائل المبحث معنى قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فأستغفر الله تعالى في اليوم والليلة اكثر من سبعين مرة وان المراد بذلك انه كان دائم الترقي فكان يستغفر الله عز وجل عن كل مقام ترقى عنه فانه ثم مقام رفيع ومقام ارفع * وفي باب الوصايا للشيخ محيي الدين اذا كان الحق تعالى يحب دعوة الداعي اذا دعاه فينبغي للعبد ان لا يحدث في مناجاته للحق تعالى بما علمه له قبل ذلك فانه تضييع للوقت وانما ينبغي له ان يطلب دائما امرا جديدا انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الجواب الخامس والخمسين من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات ان المراد بهذا الخطاب وجميع العتاب الذي عاتب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم غيره من الامة نحو يا ايها النبي اتق الله لئن شركت ليحبطن عملك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا فكان من فتوته صلى الله عليه وسلم انه تحمل عن امته صولة الخطاب بالعتاب والتوبيخ فالخطاب له والمراد به غيره وهذا احسن الاجوبة * قال واما مغفرته تعالى لبقية النبيين عليهم الصلاة والسلام فانما هي لكون الحق تعالى ستر عنهم في هذه الدار العلم بان جميع مقاماتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم الاصالة وانهم نوابه صلى الله عليه وسلم كما يكشف لهم ذلك كله في الدار الآخرة واطال في ذلك * ثم قال فعلم من قولنا ان المخاطب بتلك المعاتبات كلها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بذلك غيره ان الحق تعالى من شأنه ان يؤدب الكبير بالصغير وكما ادب تعالى الامة بتاديب رسولها التبليغ باستعمال ذلك الادب الى نيل مأمولها فخاطب الرسول والمراد من ارسل اليه بالحث عليه انتهى * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة في قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك الآية هو من باب قولهم اياك اعني واسمعي يا جاره كما يشهد لذلك قرائن الاحوال * قال والحكمة في ذلك مقابلة لاعراض الكفار عن استماع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فلذلك اعرض الحق عنهم في الخطاب مقابلة اعراض باعراض مع كونهم هم المراد بذلك الخطاب فاسمعهم في غيرهم عقوبة لهم واستهانة بأمرهم انتهى * وقال الشيخ في الباب السابع والاربعين ومائتين اعلم انه لا يشترط في استغفار الاكابر ان يكون من ذنب وقع وانما استغفارهم من خوف ان يبدو منهم ما كان ينبغي ستره من الاحوال التي لم يؤمر وابذكرها لقومهم ولهذا ما نقل عن نبي قط انه ندم على ما قاله مما اوحي به اليه ولا سمع منه كلام عادي في حال الوحي حتى يفرغ من تنزله عليه فاذا انفصم عنه فحينئذ يخبر بما وقع * قال واما ما كان عن نظر من غير وارد وحي فقد يمكن ان يندم على ما جرى منه كما وقع له في اسارى بدر انتهى (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وما الذي اوقع رسول

وانقبضت تلك المسام وقيل بحبس الهواء البارد من خارج فتحلل الجسم فيبرد المزاج ويستولي على الحرارة ويضعفها فذلك هو البرد الذي يجده صاحب الحال ولهذا تأخذه القشعريرة فيزاد عليه الثياب ليسخن ثم بعد ذلك يفيق ويخبر بما وقع له من الوحي ان كان نبيا او من الالهام ان كان وليا واطال في ذلك * وقال في الباب الحادي عشر وثلثمائة لم اعرف اليوم احدا تحقق بمقام العبودية اكثر مني فانه ان كان هناك احد فهو مثلي فقط وذلك لاني بلغت من مقام العبودية غايته فانا العبد المحض الخالص الذي لا يعرف للسيادة طعما وقد منحنيها الله تعالى هبة انعم بها علي ولم انلها بعمل بل اختصاص الهي وارجو من الله تعالى ان يمسكها علي ولا يحول بيني وبينها حتى القاه بها بذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون (قلت) وقوله فانا العبد المحض يرد قول من نسب الشيخ الى الحلول والاتحاد والله اعلم * وقال فيه في قوة الكامل من البشر ان يظهر في صورة غيره كما وقع لقضيب البان وغيره وليس في قوة الكامل من الملائكة ان يظهر في صورة غيره من الملائكة فلا يقدر جبريل ان يظهر بصورة اسرافيل ولا ميكائيل وعكسه ففي قوة الانسان ما ليس في قوة الملك واطال في الفرق بينهما * وقال في الباب الحادي عشر وثلثمائة في معرفة وحي الاولياء الالهامي اعلم ان الحق

الله

الله صلى الله عليه وسلم فيما عاتبه الله عليه من خشية الناس (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والثلاثين وخمسمائة من الفتوحات ان سبب وقوعه صلى الله عليه وسلم فى خشيته من الناس قوله فى حق يوسف عليه الصلاة والسلام لو كنت مكانه لاجبت الداعى يعنى داعى الملك لما دعاه الى الخروج من السجن فلم يخرج حتى قال له ارجع الى ربك يعنى العزيز الذى حبسه فاسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن وذلك ليثبت عند العزيز براءته فلا تصح له المنة على يوسف فى اخراجه من السجن بل المنة لله وحده فقصد يوسف بذلك براءة ساحته اذ لو بقى الاحتمال لقدح فى عدالته وهو رسول من الله عز وجل فلابد لامته فى طريق انقيادهم له من ثبوت عدالته عندهم فلذلك خشى صلى الله عليه وسلم من الناس ان يعيبوا عليه تزويجه بزوجة من تبناه حتى لا يردوا دعوة الحق عليه فعلم ان الله تعالى ما ابتلى نبيه صلى الله عليه وسلم بتزويجه زوجة من تبناه الا ليذوق بلاء التهمة ويتخلق بالرحمة التامة على كل من اتهم فان تزوج الرجل زوجة من تبناه مما كان يقدح فى كماله صلى الله عليه وسلم عند جهال العرب وهو رسول واى رسول ثم انه تعالى لما اذاقه ألم الجرح فى مقامه دواه بابانته عن العلة فى ذلك بقوله ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ورفع الجرح فى مثل ذلك عن المؤمنين فاذاق الحق تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ما اذاق يوسف حين لم يجب الداعى وطلب ان تكون البراءة فى غيبته لكونها اكثر تنزيها له لانه لو حضر ربما قيل ماذكروه الا فى وجهه حياء منه ومن كمال الرجل ان يقف مع ما تمسك عليه المروءة العرفية فى كل ما لم يؤمر بفعله حتى يأتيه امر الله فهنالك يكون بحسب ما يؤمر به انتهى (قلت) ويحتمل ان يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لاجبت الداعى الثناء على يوسف بالقوة فى عدم خروجه من السجن فأظهر صلى الله عليه وسلم ضعف حاله عن حال يوسف كما قال نحن أولى بالشك من ابراهيم فان يوسف اجتمع عليه حالان حال السجن وحال كونه مفترى عليه وكل رسول يطلب أن يقرر فى نفوس امته ما يقبلون به دعاء ربه فى كل ما يدعوهم اليه فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت مكان يوسف لسارعت الى الخروج طالبا البراءة بجدالى عن نفسى لتثبت براءتى عند من أرسلت اليهم ويحتمل غير ذلك والله أعلم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم عفا الله عنك لم أذنت لهم هل هو توبيخ كما فهمه بعضهم أو سؤال عن العلة مثل قوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة أن ذلك سؤال عن العلة لا سؤال توبيخ لان العفو قد تقدم ذلك وقوله حتى يتبين لك انما هو استفهام مثل قوله تعالى لعيسى ما تقدم كانه تعالى يقول أفعلت يا محمد ذلك حتى يتبين لك الذين صدقوا فاما ان يقول عند ذلك نعم او لا فان العفو والتوبيخ لا يجتمعان لا سيما مع تقدم العفو فى الذكر كما تقدم فان من وبخ فما عفا مطلقا لان التوبيخ مؤاخذة وهو تعالى قد عفا قال ولما كان هذا اللفظ قد يفهم منه فى اللسان التوبيخ جاء لاجل ذلك بالعفو ابتداء ليتنبه العارف بالله تعالى وبمواقع كلامه انه لم يرد التوبيخ الذى يتوهمه من لا علم عنده بالحقائق انتهى * وقال فى الباب الثامن والثلاثين من الفتوحات ايضا فى قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم ذكر اهل التفسير انه تعالى قدم له البشرى قبل العتاب ليطمئن فؤاده صلى الله عليه وسلم قال والذى عندنا نحن من العلم الالهى ان هذه الآية بشرى خاصة ليس فيها عتاب انما هو استفهام لمن انصف واعطى كلام الله تعالى حقه فى الفهم انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى فى حقه صلى الله عليه وسلم عبس وتولى ان جاءه الاعمى الى آخر النسق هل معناه على ظاهره ام المراد به غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع وثلثمائة ليس ذلك العتاب على ظاهره وانما نبه نبيه صلى الله عليه وسلم على ماذكره ليعلمه انه

تعالى اذا أراد أن يوحى الى قلب ولى من أوليائه بأمر ما تجلى الحق الى قلب ذلك الولى ترفع الصمت فيفهم الولى من ذلك التجلى ما يريد الحق ان يعلم ذلك الولى به فيجد الولى فى نفسه علم ما لم يكن يعلم كما وجد النبى صلى الله عليه وسلم العلم بالضربة بين ثديه فى شربة اللبن ومن الاولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر به بل يقول وجدت فى خاطرى كذا وكذا ولا يعرف من أتاه به ولكن من عرف فهو أتم * وقال فى الباب الثالث عشر وثلثمائة اعلم ان أول رسول أرسل نوح عليه السلام ومن كانوا قبله انما كانوا أنبياء كل واحد على شريعة من ربه فمن شاء دخل فى شرعه معه ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا ومن لم يدخل فليس بكافر ومن أدخل نفسه ثم كذب الانبياء كان كافرا ومن لم يفعل وبقى على البراءة لم يكن كافرا قال واما قوله تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير فليس هو بنص فى الرسالة وانما هو نص فى ان فى كل أمة عالما بالله تعالى وبامور الآخرة وذلك هو النبى لا الرسول اذ لو كان الرسول لقال اليها ولم يقل فيها * قال وهو ونحن نقول انه كان فيهم أنبياء عالمون بالله فمن شاء وافقهم [illegible] فى دينهم [illegible] ومن لم يشأ لم يكلف ذلك وكان ادريس عليه السلام منهم ولم يجئ له نص فى القرآن برسالته بل قيل فيه صديقا نبيا فالشخص [illegible]

تعالى عند المنكسرة قلوبهم اكثر حضورا من الملوك لان رحمة الله تعالى لا تفارق الفقراء بخلاف الملوك وايضاح ذلك ان الحق تعالى يغار على عبده المنكسر القلب من اجل ربه اشد مما يغار لمن تظاهر بصفات العظمة واذا حضر عندك ملك مطاع نافذ الامر زائرا ثم ان فقيرا دخل عليك كذلك زائرا فاقبل على الفقير اكثر من الملك الا ان تخاف سطوته ولا تعرض عن الفقير حتى يفرغ من حاجته التى جاءك لاجلها * فعلم ان تجلى الحق تعالى بالحضور عند الملك المطاع تجل فى غير موطنه اللائق به اذ الكبرياء والعظمة انما تليق باهل الجنة فى الجنة لعدم التحجير عليهم وزوال التكاليف وما عاتب الله تعالى نبيه بقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الا لكون ذلك الاعمى فقيرا فغار تعالى لمقام العبودية والفقر أن يستهضم لاجل صفة عز وقهر ظهرت فى غير محلها واطال فى ذلك * وأما معنى قوله تعالى أما من استغنى فأنت له تصدى فذكر الشيخ فى الباب التاسع والاربعين وخمسمائة ان معناه العتاب فى حال اجتماع الفقراء مع الاغنياء لا مع الانفراد فان من الادب الاقبال على كل وارد من غنى أو فقير وفى الحديث اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وقال تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين * وهنا نكتة ينبغى لك يا أخى ان تعرفها وهى ان الملك العزيز فى قومه ما جاء اليك ولا نزل عليك حتى ترك جبروته وكبرياءه خلف ظهره قبل ان يأتيك فما اتاك الا وهو يرى نفسه دونك فكان جبروتك فى نفسك اذا لم تقبل عليه وتتواضع له اعظم من جبروته هو فعلى كل حال يلزمك مقابلته بنظير فعله معك وانزله انت منزلته من نفسك قبل ان يأتيك وادخل عليه السرور بالاقبال والتبسم تكن حكيم الزمان فان الله تعالى ما عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم فى حق الاعمى والاغنياء الا لكون الفريقين كانا حاضرين فبالمجموع وقع العتب لا مع الانفراد * وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول انما أقبل صلى الله عليه وسلم على الاغنياء لصفة الغنى التى تظاهروا بها والعارف بالله تعالى ينبغى له الاقبال على كل نعت الهى من جلال وعظمة وغيرهما فان وقع ان احدا من العارفين عوتب على اقباله على الاغنياء فليس ذلك من حيث تظاهرهم بالغنى وانما ذلك لعلة اخرى فعلم انه لا ينبغى القياس على هذا العتاب وطرده فى حق الاغنياء مطلقا فان ذلك مزلة قدم عن الشريعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امرنا باكرام كريم كل قوم اذا اتانا كما مر فافهم وعلم ايضا ان تعظيم العارف للملوك والامراء والاغنياء انما هو من تعظيم الرب جل وعلا واما تعظيم الفقراء فانما ذلك جبر القلوبهم لانكسارها انتهى * وقال فى تفسير هذه الآية ايضا فى الباب الثالث والستين ومائة اعلم ان الغنى صفة ذاتية للحق تعالى فان الله هو الغنى الحميد أى هو الذى يستحق ان يثنى عليه بهذه الصفة وكان مشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عاتبه ربه بقوله عبس وتولى الى آخره انما هو الصفة الالهية المذكورة وهو الغنى المطلق الذى لا يكون لغير الله قطعا فلهذا تصدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكابر قريش لظهور رائحة هذه الصفة الالهية فيهم فانها تعطى بذاتها الشرف والرفعة فى ذلك الوقت الذى تصدى لهم فيه فكان قصده صلى الله عليه وسلم باقباله على الاغنياء انما هو تعليم امته ان يتصدوا لكل من اتصف بصفة الغنى من الخلق ثم اذا رسخوا فى ذلك المقام امروا بالترقى الى شهود عدم تخصيص الصفات الالهية فان العالم كله من شعائر الله تعالى ومن صفته ولا ينفك شئ منه عن مصاحبة معية الحق تعالى له لعدم تحيزه جل وعلا فكل كامل يغار على هضم جناب المنكسرة قلوبهم لان الحق عندهم كما اخبرنا به الشارع صلى الله عليه وسلم وايضا فانه صلى الله عليه وسلم مع هذا المشهد كان له حرص عظيم على اسلام قريش فكان يعلم ان اكابرهم اذا مالوا اليه بقلوبهم اطاعوه واحبوه واسلموا فاسلم باسلامهم خلق كثير قال تعالى لقد جاءكم رسول من

يه الرسالة نوح عليه السلام واطال فى ذلك * وقال فى الباب الرابع عشر وثلثمائة متى خرج كشف ولى فى العلم عن الكتاب والسنة فليس ذلك بعلم ولا هو علم ولاية بل اذا حققته وجدته جهلا والجهل عدم والعلم وجود فعلم انه لا يتعدى كشف ولى فى العلوم الالهية فوق ما يعطيه كتاب نبيه ووحيه أبدا (وقال) فى قوله صلى الله عليه وسلم ان المصلى ينادى ربه أى بارتفاع الوسائط كما سيكلمه فى القيامة كفاحا ليس بينه وبينه ترجمان كما ورد فما تميزت الآخرة الا بكون العبد يعرف هنالك من يكلمه وهنا لا يعرفه واطال فى ذلك * وقال فى الباب السابع عشر وثلثمائة فى قوله تعالى وكان عرشه على الماء اعلم ان على ههنا بمعنى فى أى كان العرش فى الماء كما ان الانسان فى الماء أى منه تكون فان الماء أصل الموجودات كلها وهو عرش الحياة ومن الماء خلق الله كل شئ وكل ما سوى الله حى ولذلك يسبح بحمده ولو لم يكن حيا ما سبح قال وتأول ذلك بعض الناس وقال انما هو تسبيح حال والخلاف انما ينبغى أن يكون فى سبب حياته لا فى حياته والعرش هنا عبارة عن الملك وكان حرف وجودى أى الملك كله موجود فى الماء اذ الماء أصل ظهور عينه فهو للملك كالهيولى ظهر فيه صور العالم الذى هو ملك الله واطال فى ذلك * وقال

انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم اى ان عنادكم وعدم اسلامكم يعز عليه لمحبته الخير لكم (فان قلت) فكيف اوقع الحق تعالى العتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع هذا المشهد العظيم الذى قدمناه (فالجواب) انما عاتبه واعلمنا بذلك تأديبا لنا فان الانسان محل الغفلات وهو فقير بالذات ولو صار من أكبر ملوك الدنيا فهو فقير لان غناه عرضى عرض له من حصول الجاه والمال فما استغنى الا بغيره بخلاف الحق جل وعلا فليست الصفة التى ظهرت فى الاغنياء صفة الحق حقيقة حتى يتصدى العبد لها ولذلك قال تعالى فى الآية اما من استغنى بسين الطلب وما قال اما من هو غنى فكان مما أدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم الاعراض عن الاغنياء والاقبال على الفقراء اولا ثم امره ان يقبل على كل من ترك غناه وكبرياءه وجاء اليه قال الشيخ واكثر الناس غافلون عن هذا الادب الثانى فلا يكادون يشهدون له طعما ويتخيلون ان اقبال العارفين على احد من الرؤساء والاغنياء انما ذلك لاجل جاههم ومالهم وليس الامر كما ظنوا * ثم اعلم ان اهل الله تعالى اذا خافوا ان احدا من العوام يتبعهم على تعظيم الاغنياء من غير فهم المعنى الذى قصدوه وخافوا ان يزدادوا بذلك الفعل رغبة فى الدنيا فلهم اظهار الانفة على الاغنياء والرؤساء تقديما للمصلحة المدعوين وتأمل قولهم شرط الداعى الى الله عزوجل ان يكون غنيا عن المدعوين لا يحتاج اليهم فى شئ يمنون به عليه فعرف انه ينبغى له استجلاب الناس لا تنفيرهم عنه فيحسن اليهم بالمال والاقبال ولا ينبغى له قبول صدقاتهم واحسانهم لانه يهون بذلك فى اعين المدعوين ويجب عليه التعفف عما بايديهم وكف نفسه عنهم اما بمال او قناعة قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فاما الحكمة فهو غناه عما بايدى المدعوين واما الموعظة الحسنة فهو تمهيده بساط المدعوين حتى انهم يصيرون يبادرون الى فعل ماندبهم اليه من غير توقف لما يعلمون لنفوسهم فى ذلك من المصلحة وفى القرآن ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقد استقر الامر على ان تقديم الفقراء على الاغنياء مطلوب فى كل مافيه اكرام وانه لا ينبغى الفقير ان يراعى احدا من الاكابر بعد ماتبين له الحق فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والسلام *(خاتمة)* لا ينقص من كمال الانبياء عليهم السلام عدم معرفتهم بتدبير احوال الدنيا فى بعض الاوقات كما اشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم فى مسئلة تلقيح النخل انتم اعلم بامر دنياكم وذلك انه صلى الله عليه وسلم مر على قوم وهم على رؤس النخل فقال ما يصنع هؤلاء فقالوا يلقحون النخل فقال ما ارى ذلك يجدى شيأ فسمع بذلك الانصار فتركوا تلقيح نخلهم تلك السنة فقل حمل النخل وخرج البلح شيصا فاخبروه بذلك فقال انتم اعلم بامر دنياكم يعنى فى كل مالم يوح اليه فيه شئ * قال الشيخ محيى الدين وسبب خفاء بعض احوال الدنيا على الانبياء والاولياء انما هو لما غلب على قلوبهم من عظيم مشاهدة جلال الله تعالى فغابوا بذلك عن تدبيرهم للكون ولو ان ذلك الجلال والعظمة انحجب عنهم لكانوا اعرف الناس بامر الدنيا لكن لا يخفى ان حجابهم عن تدبير الكون انما هو لهم فى بعض الاوقات لا كلها كما اشار اليه خبر لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى * قال بعض العارفين وما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تزايد كماله وصار يدبر امر الدنيا والآخرة ولم يكن يشغله مشاهدة جلال الله عزوجل عن ذلك * وقد ذكر الجلال السيوطى رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم كان مكلفا بالاقبال على الله عزوجل وعلى الخلق معا فى آن واحد لا يحجبه الخلق عن الحق (فان قلت) فلم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاورة اصحابه مع كونهم دونه بيقين (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائة ان الله تعالى ما امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لمن هو دونه الا ليعلمه تعالى ان له فى كل موجود خصوصية لا تكون لغيره فقد يلقى الله تعالى من الوجه الخاص لآحاد الامة مالم يلقه الى احد من المقربين بدليل

الفرق بين الموت والنوم ان الموت اعراض الروح عن الجسم بالكلية فيزول بذلك جميع القوى كالميل بمغيب الشمس واما النوم فليس باعراض بالكلية عن الجسم انما هو حجب ابخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة فى النائم كالشمس اذا حال السحاب دونها او دون موضع خاص من الارض يكون الضوء موجودا كالحياة وان لم يقع ادراك الشمس لذلك الذى حال بينه وبين السماء من السحاب المتراكم *وقال فى الباب العشرين وثلثمائة فى قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا اعلم ان اسم كان هنا هو النفس فيسئل النفس عن سمعه وبصره وفؤاده فيقال له ما فعلت برعيتك كما يسئل الوالى الجائر اذا اخذه الملك وعذبه عند استغاثته رعيته منه وقال فى قوله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول المراد بهذا الغيب الذى يطلع عليه رسوله هو علم التكليف الذى غاب عنه العباد ولم تستقل عقولهم بدركه ولهذا جعل الملائكة له رصدا حذرا من الشياطين أن تلقى اليه مايعمل به فى نفسه من التكليف الذى جعله الله تعالى سعادة للعباد من امر ونهى فهذا الغيب هو علم الرسالة ولهذا قال ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم فاضاف الرسالة الى قوله

قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام والله اعلم

(المبحث الثاني والثلاثون)

في ثبوت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبيان انه افضل خلق الله على الاطلاق وغير ذلك
اعلم ان رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة بالكتاب المعجز والسنة والاجماع وكذلك اجمعت الامة على انه بلغ الرسالة بتمامها وكمالها وكذلك تشهد لجميع الانبياء انهم بلغوا رسالات ربهم وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فحذر وانذر واوعد وما خص بذلك احدا دون احد ثم قال الا هل بلغت فقالوا بلغت يا رسول الله فقال اللهم اشهد (فان قيل) ان بعضهم يقول انه سقط من القرآن حين جمعوه بعض آيات وعلى هذا فينبغي للعارف ان يبحث عنها من طريق كشفه ليتلوها فيثاب على تلاوتها فهل ذلك صحيح (فالجواب) هذا امر لا يوافق هذا القائل عليه احد وقد قال جمهور المحدثين يجب تأويل قول عائشة كانوا يقرؤن فعدة من ايام اخر متتابعات فسقط متتابعات وقالوا المراد بالسقوط النسخ فيحتمل ان يكون المراد بالسقوط في كلام هذا البعض النسخ ان صح النقل (فان قيل) هل الدليل على تصديق الرسول في ادعائه انه رسول ينسحب في الدلالة على ما جاء به من الاخبار والاحكام أو يفتقر الى دليل آخر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين من الفتوحات انه لا يفتقر الى دليل آخر بل ينسحب في الدلالة على ما جاء به صلى الله عليه وسلم (فان قلت) ايهما أكمل شهادتنا بما جاءنا من طريق الوحي او شهادتنا بالمعاينة (فالجواب) ان شهادتنا بالوحي اتم من شهادتنا بالعين والمشاهدة كما شهد خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم بانه ابتاع الجمل من الاعرابي ولم يكن خزيمة حاضرا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بم تشهد يا خزيمة قال بتصديقك يا رسول الله فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة وحده لكونها شهادة بالوحي ولو ان خزيمة كان شهد شهادة عين لم تقم شهادته مقام اثنين وبه حفظ الله تعالى علينا قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة فان جامع القرآن من الصحابة كان لا يقبل آية منه الا بشهادة رجلين فصاعدا الا هذه الآية فانها ثبتت بشهادة خزيمة وحده انتهى (فان قيل) فما اول ما ظهر من الموجودات بعد فتق العماء (فالجواب) كما قاله الشيخ تقي الدين بن ابي المنصور ان اول ما ظهر بعد فتق العماء محمد صلى الله عليه وسلم فاستحق بذلك الاولية للاوليات فهو ابو الروحانية كلها كما كان آدم عليه الصلاة والسلام ابا الجسمانيات كلها انتهى وسيأتي قريبا تحقيق الاولية في كلام الشيخ محيي الدين وان اول ما خلق الله الهباء فراجعه (فان قلت) فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين والنبي هو المخبر عن الله وكيف صح اخباره صلى الله عليه وسلم قبل ان يخلق وقبل وجود من يخبرهم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس وثلثمائة من الفتوحات معناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرف ذاته بذاته باذن الله في غير مجلى قبل اخذ الميثاق وهو الحال التي كان فيها صلى الله عليه وسلم يعرف نبوته وذلك قبل خلق آدم كما اشار اليه الحديث المذكور فكان له صلى الله عليه وسلم التعريف في ذلك الحال فان النشأة الانسانية كانت مبثوثة في العناصر ومراتبها الى حين وجودها لكن من الناس من اعطى في ذلك الموطن شهود نفسه ومرتبته اما على غاياتها بكمالها واما بأن يشهد صورة ما من صوره وهي عين تلك المرتبة التي له في الدنيا فيعلمها الحكم على نفسه بها وهنا شاهد صلى الله عليه وسلم نبوته ولا ندري هل شهد صور جميع احواله أم لا قال تعالى وأوحى في كل سماء امرها فما من فلك من الافلاك التسعة الا وللانسان صورة فيه فيحفظها ذلك الفلك الى وصول وقتها فوجودها كوجود الصورة الواحدة في المرايا الكثيرة المختلفة

ربهم لما علموا ان الشياطين لم تلق اليوم أعني الرسل شيأ فيتيقنون ان تلك الرسالة من الله تعالى لا من غيره تم
هذا القدر الذي يطلع عليه من ارتضاه من رسول هل هو باعلام الملك له أو هو لا بواسطة ملك الظاهر الثاني وتكون الملائكة تحف أنوارها برسول الله صلى الله عليه وسلم كالهالة حول القمر والشياطين من ورائهم لا تجد سبيلا الى هذا الرسول حتى يظهر الله له ما شاء من علم التكليف الذي خفي عنه وعن العباد علمه قال وليس في كتابنا هذا ولا غيره أصعب من تصور الغيب الذي انفرد به الحق ويسمى الغيب المحالي وذلك لانه لا يظهر عنه شيء أبدا يتصف بالشهادة وقتا أو حالا اما فهو غيب بين عالم الشهادة وعالم الغيب لا يتخلص لاحد الجانبين وقد حارت العلماء في هذا الغيب فانه ما هو محال فيكون عدما محضا ولا هو واجب الوجود فيكون وجودا محضا ولا هو ممكن يستوي طرفاه ولا هو غير معلوم بل هو معقول فلا يعرف له حد فهذا هو الغيب الذي انفرد به الحق حيث قال عالم الغيب
* وقال في الباب الثاني والعشرين وثلثمائة انما وجب نصب امام واحد في العالم تنبيها على ان الاله للعالم واحد فهو واجب شرعا مع كون طالب الامام موجودا في فطر العالم كلهم فان هممهم توفرت في كل بلدة أو قرية او جماعة

ان يكون لهم رئيس يرجعون اليه و يكونون تحت امره (فان قلت) ان الشارع لم ينص على الامر باتخاذ الامام فمن

الاشكال من طول وعرض واستقامة وتعويج واستدارة وتربيع وتثليث وصغر وكبر فتختلف صور الاشكال باختلاف المجلى والعين واحدة فلذلك قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يعرف ذاته بذاته من غير مجلى باذن الله تعالى واذا كان بهذه المثابة لم تؤثر فيه المراتب اذا نالها قال صلى الله عليه وسلم وهو في المرتبة العليا انا سيد ولد آدم ولا فخر فلم تحكم فيه المرتبة * وقال في وقت آخر وهو في مرتبة الرسالة والخلافة انما انا بشر مثلكم فلم تحجبه المرتبة عن معرفة نشأته وسبب ذلك انه رأى لطيفته ناظرة الى مركبها العنصري وهو متبدد فيها فشاهد ذاته العنصرية فعلم انها تحت قوة الافلاك العلوية ورأى المشاركة بينها وبين سائر الخلق الاناسي والحيواني والنبات والمعدن فلم ير لنفسه من حيث نشأته العنصرية فضلا على احد ممن تولد عنها بل رأى نفسه مثلا لهم وهم امثال له فقال انما انا بشر مثلكم وكان يتعوذ من الجوع فما افترق عنا الا بقوله يوحى الى فقد عرفت معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وان هذا القول انما كان بلسان تلك الصورة التي هو فيها انما هو معدود من صور تلك المراتب فترجم لنا في هذه الدار عن تلك الصورة * قال الشيخ رحمه الله تعالى وانا ايضا صورة فوق ماذكرناه لا تدرك بعقل ولا بالاسترواح من نقول الشرع فسكتنا عنها وذلك ان لنا صورة في الكرسي وصورة في العرش وصورة في الهيولى وصورة في الطبيعة وصورة في النفس وصورة في العقل المعبر عنه باللوح والقلم وصورة في العماء وصورة في العدم هذا كله مرقى لاصحاب الكشف وهو الذي يتوجه عليه خطاب الله القديم لعباده في مكنون علمه فافهم (فان قلت) فهل كان لآدم عليه الصلاة والسلام علم عند اخذ الميثاق بما يحتوي عليه ظهره من الصور (فالجواب) لم يكن له علم بذلك كما انه لا علم للفلك من الافلاك التي فيها صورة من صورنا بها (فان قيل) لم كان الاخذ من الظهر دون غيره (فالجواب) انه انما خص الظهر بالاخذ لان الظهر كان غيبا لآدم عليه الصلاة والسلام ولو انه تعالى اخذنا من بين يدي آدم لكان عرفنا وذلك لان له عليه الصلاة والسلام معنا صورة في صورة فشهد كما شهدنا * قال الشيخ محيي الدين وما نحن على يقين بانه عليه الصلاة والسلام لم يعلم بما اخذ منه او يعلمه ولكنا لما رأينا الحضرات التي تقدمت من الافلاك لا تعلم بصورة ما فيها قلنا بما يكون الامر في آدم كذلك فرحم الله من اطلع على ان آدم كان يعلم الصور التي اخذت من ظهره فالحقه بهذا الموضع من هذا الكتاب (قلت) قد اخبرني اخي افضل الدين رحمه الله ان الله تعالى اطلعه على عدد السعداء الذين كانوا في ظهر آدم عليه الصلاة والسلام دون الاشقياء قال وعددهم ما يحصل من ضرب تسعمائة الف الف الف الف الف الف الف الف تسع مرات وتسعمائة وتسعة وتسعين الفا ونصف ذلك وثلث ذلك مضروب جميعه في الاصول التي ذكرناها فما يحصل من ذلك فهو عدد من كان في ظهر آدم من السعداء لا يزيدون واحدا ولا ينقصون وهو حساب لا يتعقله العقل وانما طريقه الكشف انتهى والله تعالى اعلم * قال الشيخ محيي الدين ومن بعد عن فهمه تصور ماذكرناه من ان لنا في كل فلك صورة ليست احداهما احق بنا من الاخرى فلينظر في خبر الترمذي مرفوعا وقال فيه حسن غريب ان الله تعالى تجلى لآدم ويداه مقبوضتان اي كما يليق بجلاله فقال له يا آدم اختر ايهما شئت فقال اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة ففتحها فاذا آدم وذريته فنظر آدم عليه الصلاة والسلام الى شخص من اضوئهم فقال من هذا يارب فقال الله تعالى له هذا ابنك داود فقال يارب كم كتبت له من العمر فقال اربعين سنة فقال يارب وكم كتبت لي فقال الله تعالى الف سنة فقال يارب قد اعطيته من عمري ستين سنة قال الله له انت وذاك فما زال آدم يعد لنفسه حتى بلغ تسعمائة واربعين سنة فجاءه ملك الموت ليقبض روحه فقال له آدم قد بقي من عمري ستون سنة فقال الله تعالى يا آدم انك قد وهبتها لولدك داود فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي

أن يكون واجبا (قلنا) ان الله تعالى قد أمرنا باقامة الدين بلا شك ولا سبيل الى اقامته الا بوجود الامان في أنفس الناس على انفسهم وأموالهم واهليهم من تعدي بعضهم على بعض وذلك لا يصح ابدا مالم يكن ثم من يخاف سطوته وترجى رحمته يرجع أمرهم اليه ويجتمعون عليه فاذا زال الخوف الذي كانوا يخافونه على انفسهم وأموالهم واهليهم تفرغوا لاقامة الدين الذي أوجب الله عليهم اقامته ومالا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب فاتخاذ الامام واجب ثم انه يجب ان يكون واحدا لئلا يختلفا فيؤدي الى الفساد وامتناع وقوع المصلحة * وقال في الباب الثالث والعشرين وثلثمائة في قوله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون اعلم ان العبد ما دخل عليه مقت الله الا من باب اضافة الفعل الى نفسه من غير مشيئة الله تعالى فلو انه قرن العمل بالمشيئة الالهية لم يمقته الله تعالى فاذا لك شرع الحق تعالى لعباده الاستثناء الالهي ليرتفع عنهم المقت وكذلك لا يحنث أيضا من استثنى اذا حلف على فعل مستقبل فانه أضافه الى الله تعالى لا الى نفسه قال وهذا لا ينافي اضافة الافعال الى المخلوقين من حيث الحكم فان للعبد حكما في ظهور

آدم فنسبت ذريته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذلك اليوم امر الله تعالى بالكتاب والشهود انتهى فهذا آدم وذريته صورة قائمة في قبضة الحق كما يليق بجلاله وهذا آدم خارج عن تلك اليد وهو يرى صورته وصورة ذريته في يد الحق تعالى فما بالك يا اخي تقر به في هذا الموضع وتنكر علينا في قولنا بتعدد الصور في الافلاك فلو كان هذا محالا لنفسه لم يكن واقعا ولا جائزا نسبة اذ الحقائق لا تتبدل * قالوا كثر من هذا التأنيس لك فلا اقدر عليه فلا تكن ممن قال الله تعالى فيهم صم بكم عمي فهم لا يرجعون وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب السادس واربعين وثلثمائة (فان قلت) فهل اعطى احد النبوة وآدم بين الماء والطين غير محمد صلى الله عليه وسلم (فالجواب) لم يبلغنا ان احدا اعطى ذلك انما كانوا انبياء ايام رسالتهم المحسوسة (فان قلت) فلم قال كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ولم يقل كنت انسانا او كنت موجودا (فالجواب) انما خص النبوة بالذكر دون غيرها اشارة الى انه اعطى النبوة قبل جميع الانبياء فان النبوة لا تكون الا بمعرفة الشرع المقدر عليه من عند الله تعالى (فان قلت) فما معنى قولهم انه صلى الله عليه وسلم أول خلق الله هل المراد به خلق مخصوص او المراد به الخلق على الاطلاق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس ان المراد به خلق مخصوص وذلك ان اول ما خلق الله الهباء واول ما ظهر فيه حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم قبل سائر الحقائق وايضاح ذلك ان الله تبارك وتعالى لما اراد بدء ظهور العالم على حد ما سبق في علمه انفعل العالم عن تلك الارادة المقدسة بضرب من تجليات التنزيه الى الحقيقة الكلية فحدث الهباء وهو بمنزلة طرح البناء الجص ليفتح فيه من الاشكال والصور ما شاء وهذا هو اول موجود في العالم ثم انه تعالى تجلى بنوره الى ذلك الهباء والعالم كله فيه بالقوة فقبل منه كل شئ في ذلك الهباء على حسب قربه من النور كقبول زوايا البيت نور السراج فعلى حسب قربه من ذلك النور يشتد ضوءه وقبوله ولم يكن احد اقرب اليه من حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم فكان اقرب قبولا من جميع ما في ذلك الهباء فكان صلى الله عليه وسلم مبدأ ظهور العالم واول موجود * قال الشيخ محيي الدين وكان اقرب الناس اليه في ذلك الهباء علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه الجامع لاسرار الانبياء اجمعين انتهى وقول الشيخ في الامام علي رضي الله تعالى عنه انه جامع لاسرار الانبياء قد نقل ايضا عن الخضر عليه الصلاة والسلام في حق الشيخ ابي مدين التلمساني فقال فيه حين سئل عنه انه جامع لاسرار المرسلين لا اعلم احدا في عصري هذا اجمع لاسرار المرسلين منه فعلم كما قاله الشيخ محيي الدين في الفتوحات ان مستمد جميع الانبياء والمرسلين من روح محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو قطب الاقطاب كما سيأتي بسطه في مبحث كونه خاتم النبيين فهو ممد لجميع الناس اولا وآخرا فهو ممد كل نبي وولي سابق على ظهوره حال كونه في الغيب وممد ايضا لكل ولي لاحق به فيوصله بذلك الامداد الى مرتبة كماله في حال كونه موجودا في عالم الشهادة وفي حال كونه منتقلا الى الغيب الذي هو البرزخ والدار الآخرة فان انوار رسالته صلى الله عليه وسلم غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين (فان قلت) قد ورد في الحديث اول ما خلق الله نوري وفي رواية اول ما خلق الله العقل فما الجمع بينهما (فالجواب) ان معناهما واحد لان حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم تارة يعبر عنها بالعقل الاول وتارة بالنور (فان قلت) فما الدليل على كونه صلى الله عليه وسلم ممد الانبياء السابقين في الظهور عليه من القرآن (فالجواب) من الدليل على ذلك قوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده اي ان هداهم هو هداك الذي سرى اليهم منك في الباطن فاذا اهتديت بهداهم فانما ذلك اهتداء بهداك اذ الاولية لك باطنا والآخرية للظاهر اولو ان المراد بهداهم غير ما قررناه لقال تعالى له صلى الله عليه وسلم فبهم اقتده وتقدم حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فكل نبي تقدم

العمل وماله أثر في ايجاده وفرق بين الاثر والحكم قال وبهذا القدر تفاوتت درجات العقلاء الاترى الحق تعالى كيف قال يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ولم يقل يا أولي الالباب ولا يا أولي العلم لان العالم العاقل لا يقول ما لا يفعل الا بالاستثناء لعلمه بان خالق الفعل لله لا له واطال في ذلك وسيأتي تفسير الآية باوضح من هذا وان الانسان هو الذي مقت نفسه عند الله حين ينكشف له أن العمل لله لا للعبد فيخجل من ذلك * وقال في الباب الرابع والعشرين وثلثمائة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة اعلم ان المرأة تلحق الرجال في الابوة وتلحقهم ايضا في بعض المواضع فتقوم المرأة مقام الرجلين ويقطع الحكم بشهادتها كما يقطع بشهادة الرجلين وذلك في قبول الحاكم قولها في حيض العدة وقبول الزوج قولها في أن هذا ولده مع الاحتمال المتطرق الى ذلك وقبول قولها بانها حائض فقد تنزلت ههنا منزلة شاهدين عدلين كما تنزل الرجل في شهادة الدين منزلة امرأتين فقد دخلا في الحكم فهذه توليته لها من الله واما الحديث فانما هو في تولية الناس قال ولو لم يكن للنساء من الشرف الا قوله صلى الله عليه وسلم النساء شقائق الرجال لكان فيه غنية فان فيه اشارة الي

على زمن ظهوره فهو نائب عنه فى بعثته بتلك الشريعة ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث وضع الله تعالى يده بين ثديى اى كما يليق بجلاله فعلمت علم الاولين والآخرين اذ المراد بالاولين هم الانبياء الذين تقدموه فى الظهور عند غيبة جسمه الشريف وايضاح ذلك انه صلى الله عليه وسلم اعطى العلم مرتين مرة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام ومرة بعد ظهور رسالته صلى الله عليه وسلم كما انزل عليه القرآن أولا من غير علم جبريل ثم انزل عليه به جبريل مرة اخرى ولذلك قال تعالى له ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه اى لا تعجل بتلاوة ما عندك منه قبل ان تسمعه من جبريل بل اسمعه من جبريل وانت منصت اليه كانك ما سمعته قط وتلك عادات التلامذة المؤمنون بذلك مع أستاذيهم ذكر ذلك الشيخ فى الباب الثانى عشر من الفتوحات وفى غيره من الابواب (قلت) وفى تصريح الشيخ بان القرآن أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل جبريل نظر ولم اطلع على ذلك فى حديث فليتأمل (فان قلت) فاذا روح محمد صلى الله عليه وسلم هى روح عالم الخير كله وهى النفس الناطقة فيه كله (فالجواب) نعم والامر كذلك كما ذكره الشيخ فى الباب السادس والاربعين وثلثمائة فحال العالم المذكور قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم بمنزلة الجسد السوى وحاله بعد موته صلى الله عليه وسلم بمنزلة النائم وحال العالم حين يبعث يوم القيامة بمنزلة الانتباه من النوم فالعالم اليوم كالنائم من حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يبعث انتهى (فان قلت) فما الدليل على كونه صلى الله عليه وسلم افضل من ابيه ابراهيم مع انه صلى الله عليه وسلم امرنا ان نسأل الله ان يصلى عليه كما صلى على ابراهيم والقاعدة ان يكون المشبه به افضل من المشبه (فالجواب) ليس المراد ما يتبادر من ذلك الى الاذهان وانما النكتة فى قوله كما صليت على ابراهيم كونه صلى الله عليه وسلم كان مسؤلا فى تعليم الصحابة كيفية الصلاة عليه فلما قالوا له كيف نصلى عليك ما وسعه الا التواضع فقال قولوا كما صليت على ابراهيم وانت اذا قلت لانسان علمنى الفاظا فخصك بها لا يقدر ينطق لك بالفاظ تعطى التفخيم مع كونك اقل حياء من الشارع صلى الله عليه وسلم بيقين فافهم (فان قلت) فلم كان محمد صلى الله عليه وسلم افضل من ابيه آدم صلى الله عليه وسلم واقوى استعدادا منه مع انه فرع من آدم عليه الصلاة والسلام (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس من الفتوحات انه انما كان افضل من ابيه آدم عليه الصلاة والسلام لان آدم عليه الصلاة والسلام كان حاملا لالفاظ الاسماء ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حاملا لمعانيها وهى جوامع الكلم المشار اليها بحديث اوتيت جوامع الكلم فمن حصل على الذات حصل على الاسماء وكانت تحت حيطة علمه ومن حصل على الاسماء لا يكون محصلا للذات الذى هو المسمى قال ولهذا فضلت الصحابة فانهم حصلوا الذات ونحن حصلنا الاسم ولكن لما راعينا الاسم مراعاتهم الذات ضوعف لنا الاجر لحسرة الغيبة التى لم تكن لهم فكان لنا التضعيف بذلك فنحن الاخوان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الاصحاب وهو صلى الله عليه وسلم الينا بالاشواق وما افرحه بلقاء واحد منا وللعامل منا اجر خمسين ممن يعمل مثل عمل اصحابه كما ورد انتهى واما كونه صلى الله عليه وسلم اقوى استعدادا من ابيه آدم فلانه خلق من امتزاج الابوين لا من واحد منهما بل من المجموع حساً وهما فجمع صلى الله عليه وسلم استعداد الاثنين فلهذا كان كماله اعظم من كمال ابيه ذكره الشيخ فى الباب الثانى والسبعين فى اسرار الحج من الفتوحات * قال ومن هنا اختص محمد صلى الله عليه وسلم بالكمال على آدم وابراهيم لكونه ابنا لهما وكل ابن له فى النشأة هذا الكمال الا ان الناس يتفاضلون فيه لاجل الحركات العلوية والطوالع النورانية والاقترانات السعادية وان لم يكن لها عندنا اثر فى التخليق انتهى * وقال الشيخ فى الباب السابع والثلاثين وثلثمائة فى حديث لو كان موسى حيا ما وسعه الا ان يتبعنى

ان قل ما قاله الرجل من المقامات والمراتب يمكن ان يكون لمن شاء الله من النساء الا تنظر الى حكمة الله تعالى فيما زاد المراة على الرجل فى الاسم فقال فى الرجل المرء وقال فى الانثى المرأة فزادها هاء فى الوقف تاء فى الوصل على اسم المرء للرجل فلها على الرجل درجة فى هذا المقام ليس للرجل فى مقابلة قوله وللرجال عليهن درجة فسد تلك الثلمة بهذه الزيادة فى المراة واطال فى ذلك * قال ولو لم يكن فى شرف التأنيث الا اطلاق لفظ الذات على الله واطلاق الصفة وكلاهما لفظ تأنيث لكان فيه كفاية فان فى ذلك جبر القلب المرأة الذى يكسره من لا علم له من الرجال بما هو الامر (قلت) ذكر الشيخ فى الباب الخامس والاربعين وثلثمائة ما نصه انما قال تعالى ولم يكن له كفوا أحد نفيا للصاحبة لان المراد بالكفؤ هنا الصاحبة لاجل من قال ان المسيح ابن الله والعزير ابن الله فان الكفاءة هى المثل والمراة لا تماثل الرجل بدا ان الله يقول وللرجال عليهن درجة فليست له بكفؤ فان المنفعل ما هو كفؤ لفاعله والعالم كله منفعل عن ارادة الله فما هو كفؤ لله وحواء منفعلة عن آدم فله عليها درجة الفاعلية فليست له بكفؤ من هذا الوجه ولما قال تعالى وللرجال عليهن درجة لم يجعل عيسى عليه السلام منفعلا عن مريم حتى

اعلم انه صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء للعهد الذى اخذ على الانبياء بسيادته عليهم ونبوته فى قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية فعمت رسالته وشريعته كل الناس فلم يختص نبي بشئ الا ان كان ذلك الشئ لمحمد صلى الله عليه وسلم بالاصالة انتهى * فكل نبي تقدم على زمن ظهوره فهو نائب له صلى الله عليه وسلم فى بعثته بتلك الشريعة ذكره الشيخ تقي الدين السبكي ونقله عنه الجلال السيوطي فى اول الخصائص (فان قلت) قد تقدم ان القرآن انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة قبل ان ينزل عليه تفصيلا فما الحكمة فى ذلك (فالجواب) انما انزل عليه صلى الله عليه وسلم القرآن اجمالا ليفرق بين تنزيله عليه وتنزيل العلوم على الاولياء وذلك ان التدريج فى الامور انما هو للتعمل ولا تعمل للارسال بخلاف الاولياء لا تنزل عليهم العلوم الا وهى مفصلة فقط لان منها جهة الترقى والتكسب فالنبوة وهب والولاية كسب * وقال فى الباب العاشر من الفتوحات فى قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر انما كان صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم لان جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام نواب له صلى الله عليه وسلم من لدن آدم الى آخر الرسل وهو عيسى عليه الصلاة والسلام كما ابان عن ذلك حديث لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما الا اتباعى وصدق صلى الله عليه وسلم فى ذلك فانه لو كان موجودا بجسمه من لدن آدم الى زمان وجوده لكان جميع بنى آدم تحت شريعته حسا ولهذا لم يبعث نبي الى الناس عامة الا هو خاصة فجميع شرائع الانبياء هى بالحقيقة شرعه صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فهل يكون نسخ شريعته لكل شريعة تقدمت يخرج تلك الشرائع عن كونها شرعا له (فالجواب) لا يخرجها ذلك النسخ عن كونها من شريعته فان الله تعالى قد اشهدنا النسخ فى شرعه الظاهر مع اجتماعنا واتفاقنا على انه شرعه الذى نزل عليه فنسخ المتقدم بالمتأخر ومما يشهد لكون جميع الانبياء نوابا له صلى الله عليه وسلم كون عيسى عليه الصلاة والسلام اذا نزل الى الارض لا يحكم بشرع نفسه الذى كان عليه قبل رفعه وانما يحكم بشرع محمد صلى الله عليه وسلم الذى بعث به الى امته ولو ان الشرع الذى يحكم به عيسى اذا نزل كان له بالاصالة لما كان يحكم اذا نزل الى الارض الا به (فان قلت) قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس الحديث هل هو منسوخ او قاله تواضعا (فالجواب) هو تواضع منه صلى الله عليه وسلم والا فهو يعلم انه افضل خلق الله تعالى وذلك ليصح له تمام الشكر فانه اشكر خلق الله تعالى لله ولا يكون ذلك الا بمعرفته كل ما انعم الله به عليه فافهم ومعنى الحديث لا تفضلونى من ذوات نفوسكم لجهلكم بالامر وليس معناه لا تفضلونى مطلقا فانه من فضله بتفضيل الله عز وجل له فقد أصاب (فان قلت) فهل للعارف ان يفضله صلى الله عليه وسلم بحسب ما تحتمله الالفاظ (فالجواب) نعم له ذلك ولكن الكامل لا يعتمد فى جميع ما يقوله الا على ما يلقيه الله تعالى عنده لا على ما تحتمله الالفاظ والله اعلم (فان قلت) فهل جميع مقاماته صلى الله عليه وسلم تورث لاتباعه من الانبياء والاولياء ام يختص صلى الله عليه وسلم بمقامات لا يصح لاحد منهم أن يرثها منه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والثلاثين وثلثمائة يختص صلى الله عليه وسلم بمقامات لا يشاركه فيها أحد من الانبياء منها انه اعطاه ضروب الوحى كلها من وحى البشارات وانزاله على القلب والاذن وبالعروج به الى السماء ونحو ذلك ومنها انه أعطاه علم الاحوال كلها لكونه ارسل الى جميع الناس كافة ومعلوم ان احوالهم مختلفة فلا بد أن تكون رسالته تعم الكل بجميع احوالهم ومنها انه اعطاه علم احياء الاموات معنى وحسا بخلاف غيره فحصل صلى الله عليه وسلم العلم بالحياة المعنوية وهى حياة العلوم وحصل ايضا الحياة الحسية وهو ما أتى فى قصة ابراهيم تعليما واعلاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل

لا يكون الرجل منفعلا عن المرأة كما كانت حواء من آدم فتمثل لها الملك بشرا سويا وقال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا فوهبها عيسى عليه السلام فكان انفعال عيسى عن الملك المتمثل فى صورة الرجل ولذلك خرج على صورة أبيه ذكرا بشرا حيث تمثله بشرا وروحا فجمع بين الصورتين فكان روحا من حيث عينه بشرا من حيث تمثله فى صورة البشر والله أعلم فليتأمل ذلك مع ما هنا * وقال فى الباب الخامس والعشرين وثلثمائة فى قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وفى قوله تعالى يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة اعلم ان عداوة ابليس لبنى آدم أشد من معاداته لابيهم آدم عليه السلام وذلك ان بنى آدم خلقوا من ماء والماء منافر النار وأما آدم عليه السلام فجمع بينه وبين ابليس اليبس الذى فى التراب فبين التراب والنار جامع ولهذا أصدقه لما اقسم له بالله انه لناصح وما صدقه الابناء لكونه لهم ضدا من جميع الوجوه فلهذا كانت عداوة الابناء اشد من عداوة الاب له * قال ولما كان هذا العدو محجوبا عن ادراك الابصار جعل الله لنا فى القلب من طريق الشرع علامة يؤمر فيهما تقوم لنا مقام البصر الظاهر فنتحفظ بتلك العلامة من لقائه وأعاننا الله عليه بالملك الذى جعله الله مقابلا له

ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق ومنها انه اعطاه علم الشرائع المتقدمة كلها وامره ان يهتدى بهدى الانبياء لابهم ومنها انه اختص بشرع لم يكن لغيره كما شار اليه حديث اعطيت ستا لم يعطهن نبي قبلي فهذه امور خص بها لم يعطها احد غيره ومما خص به ايضا لواء الحمد في المقام المحمود الذي يقام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة باسمه الحميد (فان قلت) فهل لواء الحمد واحد او هو متعدد (فالجواب) هو سبعة الوية تسمى بالوية الحمد تعطى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولورثته المحمديين وفي تلك الالوية اسماء الله التي يثني بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه عز وجل اذا اقيم في المقام المحمود يوم القيامة وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا سئل في الشفاعة فاحمد الله تعالى بمحامد يعلمنيها لا اعلمها الآن اي اثني عليه تعالى بهذه الاسماء التي يقتضيها ذلك الموطن ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم لا يثني على الله الا باسمائه الحسنى وهي لا يحاط بها علما وذلك انا نعلم ان في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ونعلم اننا لا نعلم ايضا ما اخفى لنا من قرة اعين وما من شيء من ذلك الا وهو مستند الى الاسم الالهي الذي اظهره بخلاف الاسم الالهي الذي امتن الله تعالى علينا بالاطلاع عليه فلا بد ان نثني عليه به ونحمده به اما ثناء تسبيح واما ثناء اثبات * قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والثلاثين وثلثمائة وقد سألت الله تعالى ان يطلعني على عدد تلك الاسماء المرقومة في الالوية فقيل لي ان قدرها الف اسم وستمائة اسم واربعة وستون اسما قد رقم في كل لواء منها تسعة وتسعون اسما من احصاها في موطن القيامة دخل الجنة يعني قبل الناس وليس احصاؤها الا للرجل الكامل من نبي او ولي انتهى (فان قلت) فما حكمة جعل اللواء بيده صلى الله عليه وسلم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والسبعين انه انما جعل بيده ليجتمع اليه الناس اذ هو علامة على مرتبة الملك وعلى وجود الملك وانما سمي لواء لانه يلتوي على جميع المحامد فلا يخرج عنه حمد كما شار اليه حديث آدم ومن دونه تحت لوائي وايضاح ذلك ان آدم عليه الصلاة والسلام عالم بالاسماء وما ظهر بعلمها الا بحكم النيابة عن محمد صلى الله عليه وسلم في عالم الملائكة لتقدمه بالنبوة وآدم بين الماء والطين فلما ظهر جسم محمد صلى الله عليه وسلم كان هو صاحب اللواء فيأخذ اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الاصالة فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه * (فان قلت) * فهل يدخل تحت لوائه صلى الله عليه وسلم ايضا الملائكة (فالجواب) نعم لانها كانت تحت ذلك اللواء في زمان آدم فكذلك يكونون في الآخرة تحته حين يحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنالك يظهر لجميع الخلق سيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافته على الجميع انتهى (فان قلت) فاين منزلة محمد صلى الله عليه وسلم يوم الموقف الاعظم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والثلاثين وثلثمائة ان منزلته على يمين حضرة الرحمن حين التجلي على العرش واما منزلته يوم القيامة فهي بين يدي الحكم العدل لتنفيذ الاوامر الالهية في العالم فالكل عنه يأخذ في ذلك الموطن وهو صلى الله عليه وسلم وجه كله يرى من جميع جهاته وله من كل جانب اعلام من الله يفهم عنه يرونه لسانا ويسمعونه صوتا وحرفا انتهى (فان قلت) فهل الوسيلة مختصة به فلا تكون لغيره ام يصح ان تكون لغيره لقوله في الحديث لا ينبغي ان تكون الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فلم يجعلها له صلى الله عليه وسلم نصا (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والسبعين في الجواب الثالث والتسعين ان الذي نقول به انه لا يجوز لاحد سؤال الوسيلة لنفسه ادبا مع الله تعالى في حق رسوله صلى الله عليه وسلم الذي هدانا الله به وايثارا له ايضا على انفسنا وما طلب منا ان نسأل الله له الوسيلة الا تواضعا منه صلى الله عليه وسلم لنا وتأليفا لما نظير المشورة فتعين علينا ادبا وايثارا ومروءة ومكارم اخلاق ان الوسيلة لو كانت لنا لوهبناها له صلى الله عليه وسلم وكان هو الاولى

فيما الغيب واطال في ذلك * وقال فيه ما دام القرآن في القلب فلا حرف ولا صوت فاذا تعلق به القلوب نطق بصوت وحرف وكذلك اذا كتبه لا يكتبه الا بصوت وحرف واطال في ذلك * ثم قال والمفهوم من كون القرآن انزل حروفا منظومة من اثنين الى خمسة حروف متصلة ومنفردة امران كونه قولا وكلاما ولفظا وكونه يسمى كتابة ورقما وخطا فان نظرت الى القرآن من حيث كونه محفوظا فله حروف الرقم وان نظرت اليه من حيث كونه تنطق به فله حروف اللفظ فلماذا يرجع كونه حروفا منطوقا بها اهل هي لكلام الله الذي هو صفته او للمترجم عنه يحتاج الى ايضاح واطال في ذلك * ثم قال وقد صح في ذلك في الخبر ان الله تعالى يتجلى في القيامة في صور مختلفة فيعرف وينكر ومن كانت حقيقته تنكر تقبل التجلي في الصور فلا يبعد ان يكون يتكلم بالحروف كما يليق بجلاله من غير كيفية ولا تشبيه لقوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فنفى ان يماثل مع عقل المعنى وجهل النسبة فليتأمل وسيأتي مزيد على ذلك في الباب التاسع والعشرين وثلثمائة فراجعه * وقال في قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين وفي قوله قد جاءكم من الله نور وفي قوله وضياء وذكرى للمتقين

بأفضل الدرجات لعلو منصبه ولما عرفناه من منزلته عند الله تعالى * ومما يؤيد تحريم سؤالنا الوسيلة لانفسنا ما ذكره العلماء في الخصائص من تحريم خطبة المرأة التي عرض عليه الصلاة والسلام لوليها بتزويجها له ولذلك امتنع ابو بكر من اجابة عمر حين سأله عمر ان يتزوج ابنته حفصة وقال ابو بكر انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها انتهى (وقد رأيت) في نسخة من نسخ الفتوحات بمصر ما نصه يجوز لكل مسلم ان يسأل لنفسه الوسيلة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعينها لنفسه ولعلها من النسخ المدسوس فيها على الشيخ او مرجوع عنها بدليل قوله رضي الله عنه في الباب السابع وثلاثين وثلثمائة ان منزلته صلى الله عليه وسلم في الجنان هي الوسيلة التي يتفرع منها جميع الجنان وهي في جنة عدن دار المقامة ولها شعبة في كل جنة من الجنان ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لاهل تلك الجنة وهي في كل جنة اعظم منزلة فيها انتهى فاياك ان تضيف الى الشيخ ما في النسخة المدسوسة ثم تعترض عليه والله اعلم

(المبحث الثالث والثلاثون في بيان بداية النبوة والرسالة والفرق بينهما او بيان امتناع رسالة رسولين معا في عصر واحد وبيان انه ليس كل رسول خليفة وغير ذلك من النفائس التي لا توجد في كتاب)

اعلم يا اخي انه قد ورد في الصحيح اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة الحديث (فان قلت) ما حقيقة بدء الوحي (فالجواب) كما قاله الشيخ في الجواب الخامس والعشرين من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات ان المراد ببدء الوحي انزال المعاني المجردة العقلية في القوالب الحسية المقيدة في حضرة الخيال سواء كان ذلك في نوم او يقظة (فان قلت) فاذن هو من مدركات الحس (فالجواب) نعم هو من مدركات الحس وحضرة المحسوس كما في قوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا قال الشيخ محيي الدين وفي حضرة الخيال ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم في صورة اللبن ولذا كان يؤول به رؤياه وهذا هو ما ابقاه الله تعالى على الامة من اجزاء النبوة فان مطلق النبوة لم يرتفع وانما ارتفع نبوة التشريع فقط كما يؤيده حديث من حفظ القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه فقد قامت بهذا النبوة بلا شك وقوله صلى الله عليه وسلم فلا نبي بعدي ولا رسول المراد به لا مشرع بعدي (فان قلت) فما الحكمة في كون الرؤيا الصادقة جزأ من ستة واربعين جزأ من النبوة وما حكمة هذا العدد (فالجواب) انما خصت الاجزاء بهذا العدد لان نبوته صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثا وعشرين سنة وكانت رؤياه الصادقة ستة اشهر ونسبة الستة اشهر الى الثلاث وعشرين سنة جزء من ستة واربعين جزأ فلا يلزم ان تكون هذه الاجزاء النبوة كل نبي فقد يوحي الى نبي اكثر من ذلك فتكون الاجزاء بحسب ذلك من خمسين وستين واكثر والله اعلم (فان قلت) هل مقام الولاية من لازم مقام النبوة او هو وصف آخر لا يكون للانبياء (فالجواب) ان ولاية الله تعالى لعباده هي الفلك المحيط العام وهي الدائرة الكبرى وفي حكمها وحقيقتها ان الله تعالى يتولى من شاء من عباده برسالة او نبوة او ايمان ونحو ذلك من احكام الولاية المطلقة وكل رسول لابد ان يكون نبيا وكل نبي لابد أن يكون وليا وكل ولي لابد ان يكون مؤمنا (فان قلت) فالى اي وقت يستمر حكم الرسالة والنبوة (فالجواب) اما الرسالة فتستمر الى دخول الناس الجنة او النار واما النبوة فانها باقية الحكم في الآخرة لا يختص حكمها بالدنيا (فان قلت) فما حقيقة الرسالة وهل هي حال او مقام (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين ومائة ان حقيقة الرسالة ابلاغ كلام الله من متكلم الى سامع وهو حال لا مقام اذ لا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ فلا تزال الرسالة يتجدد حكمها كل حين وهو قوله تعالى

أما كون القرآن نورا فلما فيه من الآيات التي تطرد الشبه المضلة مثل قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله لا أحب الآفلين وقوله فاسئلوهم ان كانوا ينطقون وقوله فأت بها من المغرب ونحو ذلك واما كونه موعظة فظاهر واما كونه شفاء فكفاتحة الكتاب وآيات الادعية كلها وأما كونه هدى فكقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله ونحو ذلك من كل نص ورد في القرآن لا يدخله احتمال ولا يفهم منه الا الظاهر بأول وهلة كهاتين الآيتين واما كونه رحمة فلما فيه من البشرى مثل قوله لا تقنطوا من رحمة الله وقوله ورحمتي وسعت كل شيء وكل آية فيها رجاء واما كونه ضياء فلما فيه من الآيات الكاشفة للامور والحقائق مثل قوله كل يوم هو في شأن وقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله وقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وقوله والله خلقكم وما تعملون ونحو ذلك مما يدل على مجرى الحقائق فعلم ان لكل اسم من هذه الاسماء كلمات تخصه انتهى فليتأمل ويحرر *وقال في الباب السادس والعشرين والثلثمائة اعلم ان اعلم الارواح بالله عزوجل أرواح الجماد لكونها لا حظ لها في التدبير ودونهم في العلم بالله تعالى أرواح النبات ودونهم في العلم

ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث فالاتيان به هو الرسالة وحدوث الذكر هو عند السامع المرسل اليه ولهذا ظهر علم الرسالة فى صورة اللبن لان المرسل هو اللبن انتهى * وقال فى الباب السابع والخمسين ومائة اعلم ان الرسالة نعت كونى متوسط بين مرسل ومرسل اليه والمرسل به قد يعبر عنه بالرسالة وقد تكون الرسالة حال الرسول لانقضائها بانقضاء التبليغ قال تعالى ما على الرسول الا البلاغ فالرسالة هنا هى التى ارسل بها وبلغها وهكذا وردت فى القرآن حيثما وردت ولا يقبلها الرسول الا بواسطة روح قدسى ينزل بالرسالة تارة على قلبه وتارة يتمثل له الملك رجلا وكل وحى لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية وانما يسمى وحيا أو الهاما او وجودا ولا تكون الرسالة الا كما ذكرنا يعنى بواسطة روح قدسى (فان قلت) فما الفرق بين النبى والرسول (فالجواب) الفرق بينهما هو ان النبى اذا القى اليه الروح شيأ اقتصر به ذلك النبى على نفسه خاصة ويحرم عليه ان يبلغ غيره ثم ان قيل له بلغ ما نزل اليك اما لطائفة مخصوصة كسائر الانبياء واما عامة ولم يكن ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم سمى بهذا الوجه رسولا وان لم يخص فى نفسه بحكم لا يكون ان بعث اليهم فهو رسول لا نبى وأعنى بها نبوة التشريع التى لا تكون للاولياء * فعلم ان كل رسول لم يخص بشئ من الحكم فى حق نفسه فهو رسول لا نبى وان خص مع التبليغ بشئ فى حق نفسه فهو رسول ونبى فما كل رسول نبى على ما قررناه ولا كل نبى رسول بلا خلاف والله اعلم هكذا ذكره الشيخ محيى الدين فى الباب الثامن والخمسين ومائة فليتأمل فان من بلغ شرعا لا نصيب له فى العمل به يطلق عليه نبى ايضا من حيث انه مخبر والله اعلم (فان قلت) فهل كان الوحى للانبياء الذين لم يرسلوا على لسان جبريل فى اليقظة أم فى المنام (فالجواب) لم أر فى ذلك شيأ عن الاصوليين ولكن ذكر الشيخ عبد العزيز الديرينى فى كتابه المسمى بالدرر الملتقطة ان الانبياء الذين لم يرسلوا كان الوحى اليهم فى المنام على لسان جبريل انتهى فلا ادرى ما دليله فى ذلك فليتأمل (فان قلت) فكم تنقسم النبوة على قسم (فالجواب) تنقسم النبوة البشرية على قسمين (القسم الاول) من الله تعالى الى عبده من غير روح ملكى بين الله تعالى وبين عبده بل اخبارات الهية يجدها فى نفسه من الغيب او فى تجليات ولا يتعلق بذلك الاخبار حكم تحليل ولا تحريم بل تعريف بمعانى الكتاب والسنة او بصدق حكم مشروع ثابت انه من عند الله تعالى او تعريف بفساد حكم قد ثبت بالنقل صحته ونحو ذلك وكل ذلك تنبيه من الله تعالى وشاهد عدل من نفسه قال ولا سبيل لصاحب هذا المقام ان يكون على شرع يخصه يخالف شرع رسوله الذى ارسل اليه وامرنا باتباعه ابدا (القسم الثانى) من النبوة البشرية وهو خاص بمن كان قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهم الذين يكونون كالتلامذة بين يدى الملك فينزل عليهم الروح الامين بشريعة من الله تعالى فى حق نفوسهم يتعبدهم بها فيحل لهم ما شاء ويحرم عليهم ما شاء ولا يلزمهم اتباع الرسل وهذا المقام لم يبق له أثر بعد محمد صلى الله عليه وسلم الا فى الائمة المجتهدين من أمته لكن لا يفارقونهم بوجوب اتباعهم الرسل فلهم ان يحلوا بالدليل ويحرموا به انتهى (فان قلت) هل ثم احد من البشر ينال فى الدنيا علما من غير واسطة محمد صلى الله عليه وسلم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الاحد وتسعين واربعمائة ليس احد ينال علما فى الدنيا الا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم سواء الانبياء والعلماء المتقدمون على مبعثه والمتأخرون عنه واطال فى ذلك كما تقدم بسطه فى المبحث قبله (فان قلت) فهل اطلع الله تعالى احدا من الاولياء على عدد الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام او حصل له الاجتماع بهم كلهم من طريق كشفه (فالجواب) نعم ذلك واقع لكل من حق له قدم الولاية الكبرى * وقد قال الشيخ محيى الدين فى الباب التاسع والاربعين وثلثمائة اعلم ان عدد الانبياء والمرسلين من بنى آدم مائة ألف واربعة وعشرون الفا

بالله أرواح الحيوان ودونهم أرواح من تقيد بالعقل وذلك لان الثلاثة الاول مفطورون على العلم بالله تعالى بخلاف الرابع قال وأما الملائكة فهم كالجماد مفطورون كذلك على العلم بالله لكن لا عقول لهم ولا شهوة وأما الحيوان فمفطور على العلم بالله وعلى الشهوة وأما الجن والانس فمفطورون على الشهوة والمعارف لكن من حيث صورهم لا من حيث أرواحهم قال وانما جعل الله تعالى لهم العقل ليردوا به الشهوة الى الميزان الشرعى ولم يوجد الله لهم العقل لاجل اقتناء العلوم لان ذلك انما هو للقوة المفكرة التى أعطاها لهم وأطال فى ذلك (قلت) وقد ذكر فى كتابه الفصوص نظما يوافق ما هنا فقال فما ثم أعلى من جماد وبعده نبات على قدر يكون وأوزان وذو الروح بعد النبت والكل عارف بخلاقه كشفا وايضاح برهان وأما المسمى آدم فمقيد بعقل وفكر أو قلادة ايمان بذا قال سهل والمحقق مثلنا لانا واياهم بمنزل احسان ومن عرف الامر الذى قد ذكرته يقول بقولى فى خفاء واعلان ولا يلتفت قولا يخالف قولنا ولا يبذر السمراء فى أرض عميان هم الصم البكم الذين اتى بهم * لاسماعنا المعصوم فى نص قرآن وهذا النظم جواب

كما ورد في الحديث ولا بد من هذا العدد في الأولياء في كل عصر وقد يزيدون قال الشيخ وقد جمع الله تعالى بيني وبين جميع أنبيائه في واقعة صحيحة حتى لم يبق منهم أحد إلا وعرفته وكذلك جمعني على من هو على أقدامهم من الأولياء فرأيتهم وعرفتهم كلهم * وقال أيضا في الباب الثالث والستين وأربعمائة رأيت في كشفي جميع الأنبياء والمرسلين وأممهم كلهم أي مشاهدة على من كان منهم ومن يكون إلى يوم القيامة أظهرهم الحق تعالى في صعيد واحد قال وصاحبت منهم غير محمد صلى الله عليه وسلم جماعة منهم الخليل عليه الصلاة والسلام قرأت عليه القرآن كله باستدعائه ذلك مني فكان يبكي عند كل موضع ذكره الله تعالى فيه من القرآن وحصل لي منه خشوع عظيم وأما موسى عليه الصلاة والسلام فأعطاني علم الكشف والإيضاح عن الأمور وعلم تقليب الليل والنهار وأما هود عليه الصلاة والسلام فأخبرني بمسألة كانت وقعت في الوجود وما علمتها إلا منه * وأما عيسى عليه الصلاة والسلام فتبت على يديه أول دخولي في طريق القوم * قال ورأيت في هذه الواقعة أمورا علمت منها أنه لا حظ لي في الشقاء ومنها أني رأيت نفسي في السعداء الذين على يمين آدم عليه الصلاة والسلام فشكرت الله على ذلك *وقال أيضا في الباب الثالث والسبعين ما اجتمعت بأحد من الأنبياء أكثر من عيسى عليه الصلاة والسلام وكنت كلما اجتمعت به دعا لي بالثبات في الدين حيا وميتا وكان لا يفارقني حتى يدعو لي بذلك * وكان يقول لي يا حبيبي وأمرني أول اجتماعي عليه بالزهد والتجريد وكان من زهاد الرسل وأكثرهم سياحة وكان حافظا للأمانة لم يأخذه في الله لومة لائم ولذلك عادته اليهود انتهى * وقال أيضا في الباب الخامس والستين وثلثمائة قد شاهدت في واقعة نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وشاهدت جميع الأنبياء من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأشهدني الله تعالى جميع المؤمنين بهم حتى ما بقي منهم أحد ممن كان ولا ممن يكون إلى يوم القيامة وعرفت خاصتهم وعامتهم وعرفت جميع السعداء الذين كانوا في ظهر آدم وعددهم فلا يخفى علي الآن منهم أحد من أهل الجنة ولا من أهل النار لكن لم يعطني الله تعالى معرفة عدد أهل النار لكثرتهم فلا يعلم عددهم إلا الله تعالى وعرفت في هذا الكشف جميع مراتب الأنبياء والمرسلين وأتباعهم واطلعت على جميع ما كنت آمنت به مجملا مما هو في العالم العلوي والسفلي وشهدت ذلك كله عيانا وما زحزحني ذلك الذي رأيته وشاهدته عن إيماني فلم أزل أقول وأفعل ما أقوله لقول النبي صلى الله عليه وسلم لي قل كذا وافعل كذا لا لعلمي ولا لعيني ولا لشهودي فواخيت في شهودي بين الإيمان والعيان في آن واحد لئلا يفوتني ثواب الإيمان * قال وهذا مقام ما وجدت له ذائقا إلى وقتي هذا وإن كنت أعلم أن في رجال الله تعالى من ناله لكني لم أجتمع به يقظة ومشافهة * قال وسبب ذلك أني ما علقت خاطري قط من جانب الحق تعالى بشيء يطلعني عليه من الكون وإنما علقت خاطري مع الله تعالى أن يستعملني فيما يرضيه ولو خالف ذلك هوى نفسي وأن لا يحجبني عنه بوقوع ما يباعدني عنه وعن شهوده فأني أنا العبد المحض الذي لا أرى لي شفوفا على أحد من عباد الله تعالى وأتمنى أن يكون العالم كله مطيعا على قدم المعرفة * قال وإنما ذكرت لك ذلك من باب التحدث بالنعمة وفتح الباب لتنشيط الإخوان لطلب نيل مقامات الرجال انتهى (فإن قلت) فما معنى قوله تعالى يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده (فالجواب) أن الروح هنا هو الملقى من عند الله إلى قلوب عباده ويكون أمر الله تعالى هو الذي ألقاه لأن صورة ذلك الروح هو صورة قوله تعالى لا إله إلا أنا فاتقون ولو لم تكن صورته ذلك لكان يقول أن لا إله إلا هو فلوسائط مرتفعة في هذا التنزل لوجودها إذ كان عين الوحي المنزل هو عين الروح والملقي هو الله لا غيره فليس الروح هنا عين الملك (فإن قلت) فهل الملائكة تعرف هذا الروح (فالجواب) لا تعرف الملائكة هذا الروح لأنه ليس من جنسها إذ هو

السؤال هو قوله
فداء نبي ذبح القربان
وأين مقام الكبش من
بوس انسان
وعظمه الله الكريم عناية
به أو بنا لا أدري من أي ميزان
فياليت شعري كيف ناب
منابه
شخيص كبيش عن خليفة
رحمن
إلى آخر ما قال انتهى
فليتأمل ويحرر والله أعلم
*وقال في الباب السابع
والعشرين وثلثمائة في
قوله تعالى القلم كتب
يعني في اللوح علمي في خلقي
إلى يوم القيامة إنما خص
الكتابة بالدنيا فقط
لتناهيها بخلاف الآخرة
لا يقدر القلم يكتب علمه فيها
لأنها لا تتناهى وما لا يتناهى
أمده لا يحويه الوجود
والكتابة وجود وأطال
في ذلك *وقال في الباب
الثامن والعشرين وثلثمائة
في قوله تعالى ولكم فيها
ما تشتهي أنفسكم إنما لم
يقل ولكم فيها ما تريد
نفوسكم لأنه ما كل مراد
مشتهى فإن الإرادة تتعلق
بما يلتذ وبما لا يلتذ به
بخلاف الشهوة فإنها
لا تكون إلا بالملذوذ خاصة
وأطال في ذلك ثم قال
فالسعداء أخذوا الأعمال
بالإرادة والقصد وأخذوا
النتائج بالشهوة فمن رزق الشهوة في حال العمل فالتذ بالعمل التذاذه بنتيجته

روح غير مجهول وليس نورانيا والملك روح في نور * قال الشيخ في الباب الثامن والاثنين وماتين وهذا الرزق لنا ولسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام واما تنزل الارواح الملكية على قلوب العباد فانهم لا ينزلون الا بامر الله الرب وليس معنى ذلك أن الله يأمرهم من حضرة الخطاب بالانزال وانما يلقى اليهم ما لا يليق بمقامهم ان يعرفوه من ذواتهم في صورة من ينزلون عليه بذلك فيعرفون ان الله تبارك وتعالى قد اراد منهم الانزال والنزول بما وجده في نفوسهم من الوحي الذي لا يليق بهم فانه من خصائص البشر فان البشر يشاهدون صورة المنزل عليهم في الصورة التي عندهم فيعرفون من تلك الصورة من هو صاحبها في الارض فينزلون عليه ويلقون اليه ما القي اليهم فيعبر عن ذلك الملقى بالشرع والوحي فان كان منسوبا الى الله تعالى بحكم الصفة سمي قرآنا وفرقانا وتوراة وانجيلا وزبورا وصحفا وان كان منسوبا الى الله بحكم الفعل لا بحكم الصفة سمي حديثا وخبرا وسنة ورأيا قال الشيخ وقد ينزلون ايضا بالامر الالهي من حضرة الخطاب (فان قلت) فما معنى قول الملك وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا فما معنى هذا النسيان (فالجواب) معناه ليس ربك نسيا فيما شاهده من قول جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم في حال كونها اعيانا ثابتة في علمه حال عدمها وخطاباتها فصح قوله نسيا لانه حكاية امر محقق في وجود محقق لله لا يتصف بالحدوث ثم ان تلك الاعيان لما حدثت اخبرت بما كان منها قبل كونها مما شاهده الحق تعالى منها ولم تشهده هي لعدم وجودها لنفسها وقد روي عن الزهري انه حدث مرة عن شخص من الثقات فقال حدثني فلان عني اني قلت كذا وكذا وذلك ان الزهري لما قال حدثني فلان اتصل الاسناد وان كان هو لا يعلم هذا الحديث ذكره الشيخ في الباب السابع والثمانين وسيأتي بسط الكلام على احوال الملائكة في المبحث التاسع والثلاثين فراجعه والله اعلم (فان قلت) هل النبوة مكتسبة كالولاية اي ولاية النبي في نفسه كما قيل ام هي موهوبة (فالجواب) الولاية في كل من النبي والولي مكتسبة وما خرج عن الكسب سوى النبوة وايضاح ذلك ان الله تعالى قد خلق الخلق على منازل بحسب ما سبق في علمه فجعل الملائكة ملائكة والرسل رسلا والانبياء انبياء والاولياء اولياء والمؤمنين مؤمنين والمنافقين منافقين والكافرين كافرين كل ذلك مميز عنده سبحانه وتعالى لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ولا يتبدل احد باحد فليس لمخلوق تعمل في مقام لم يخلق عليه بل قد وقع الفراغ من ذلك فلا يجري احد في مجراه ولا يمشي احد في مدرجة احد اذ لو سلك احد في مدرجة احد لكانت النبوة مكتسبة وحصلها من لم يكن نبيا وذلك غير واقع انتهى * وقال الشيخ ايضا في الباب التاسع عشر لكل شخص من اهل الله تعالى سلم يخصه لا يرقى فيه غيره اذ لو رقي احد في سلم احد لكانت النبوة مكتسبة والامر على خلاف ذلك (فان قلت) فما شبهة قول من يقول ان النبوة مكتسبة (فالجواب) شبهته في ذلك كونه رأى الانبياء قبل رسالتهم لا بد ان ينقطعوا ويتعبدوا على نية قوة الاستعداد للوحي ليرجعوا الى الحالة التي كانوا عليها حين قدر الحق تعالى المقادير فلما نظر هؤلاء القوم الى انقطاعهم وتعبدهم ثم حصول النبوة لهم ظنوا ان النبوة مكتسبة وهو وهم وقصور نظر (فان قلت) فما شبهة منكري النبوات المعهودة (فالجواب) سبب انكارهم ذلك توهمهم ان كل من صفى جوهرة نفسه من الكدورات الطبيعية والتزم مكارم الاخلاق العرفية صار نبيا من غير وحي اليه على لسان ملك قالوا فانه اذا صفى قلبه انتقش في قلبه جميع ما في العالم العلوي من العلوم السماوية التي في اللوح المحفوظ وغيره بالقوة فينطق بالغيوب فهنالك يسمى نبيا عندهم ذكره الشيخ في الباب الخامس والستين وثلثمائة ثم قال وليس الامر عندنا وعند اهل الله تعالى كما قال هؤلاء وان جاز وقوع ما ذكروه من انتقاش العلوم الالهية لانه لم يبلغنا ان نبيا او حكيما صفى

فقد عجل له نعيمه ومن رزق الارادة في حال العمل من غير شهوة فهو صاحب مجاهدة قال واكثر الناس لذة باعمالهم العباد واقلهم لذة العارفون ولذلك سميت العبادات تكاليف * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم سبق درهم الف درهم اي لان صاحب الدرهم لم يكن له سواه فبذله لله ورجع معتمدا على الله تعالى وصاحب الالف اعطى ما عنده وترك منه ما يرجع اليه بعد العطاء ليس معتمدا على الله تعالى خالصا فسبقه صاحب الدرهم من هذا الوجه وهذا معقول فلو ان صاحب الالف بذل جميع ما عنده مثل صاحب الدرهم لساواه في الانعام فما اعتبر الشارع قدر العطاء وانما اعتبر ما يرجع اليه المعطي بعد العطاء فهو يرجع اليه واطال في ذلك وتقدم نحو ذلك في الباب السبعين في الكلام على مسئلة الغني الشاكر والفقير الصابر فراجعه * وقال في الباب التاسع والعشرين وثلثمائة في قوله تعالى الرحمن علم القرآن اعلم ان القرآن هو الوحي الدائم الذي لا ينقطع فهو الجديد الذي لا يبلى ويظهر في قلوب العلماء على صورة لم يظهر بها في المنزل لان الله تعالى جعل الحق مرطن حكما لا يكون لغيره فهو يظهر في القلب احدى العين فيجسده الخيال ويقسمه ثم يأخذه [illegible] في صدره شاكلة ذا حرف وصوت

جوهرة نفسه فأحاط علماً بما يحتوي عليه حاله في كل نفس أبداً بل غايته أن يعلم بعضاً ويجهل بعضاً وأطال في رد أقوال منكري النبوة فكذب والله وافترى من زعم أن الشيخ قائل في كلامه في مبحث حدوث العالم * وقد قال أيضاً في الباب الثامن والتسعين ومائتين من قال إن النبوة مكتسبة أخطأ لأن النبوة اختصاص إلهي قطعاً قال وشبهة قول من يقول إنها مكتسبة زعمه أنها ليست من الله تعالى وإنما هي من فيض العقل والأرواح العلوية انتهى * وقال أيضاً في الباب الرابع والثمانين اعلم أن كل مأمور به فهو مقام مكتسب ومن هنا قالوا المقامات مكاسب والأحوال مواهب انتهى (فإن قلت) فهل كل رسول خليفة أم الخلافة لبعض الرسل دون بعض (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والأربعين أنه ليس كل رسول خليفة إنما تكون الخلافة لمن نص الله تعالى على خلافته كداود عليه الصلاة والسلام فهو رسول وخليفة لأنه قال له احكم بين الناس بالحق وأما آدم عليه الصلاة والسلام فجعل الله تعالى له الخلافة وما قال له احكم (فإن قلت) فما الفرق بين الخلافة والرسالة (فالجواب) الفرق بين الخليفة والرسول أن الخليفة هو كل من جمعت فيه هذه الصفات فأمر ونهى وعاقب وعفا وأمرنا الله تعالى بطاعته فهذا هو الخليفة وأما الرسول فهو كل من بلغ أمر الله ونهيه ولم يكن له من نفسه أمر من الله أن يأمر وينهى في كل ما أراد فهذا رسول مبلغ رسالات ربه لا خليفة (قلت) ويصح أن يسمى الرسول الذي لم يصرح الحق له بقوله احكم خليفة أيضاً من حيث إنه نائب عن الحق في خطابنا بالتكاليف وغيرها والله أعلم * فعلم أن للخليفة أن يشرع كل ما أراده مما لم يأمره الحق به صريحاً وليس ذلك للرسول قال الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم أي أطيعوا الله فيما أمركم به على لسان محمد يقول محمد فيه إن الله يأمركم بكذا وأطيعوا الرسول فيما لم يبلغه عن أمري ولا قال لكم إنه من عندي ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى وأطيعوا الرسول ففصل أمر الله الذي يطيعه فيه من طاعة رسوله ولو كان يعني بذلك ما بلغه إلينا عن أمر الله الذي أمرنا به لم يكن ثم فائدة زائدة بطاعة رسوله فتعين أن يكون المراد بطاعتنا له صلى الله عليه وسلم أن نطيعه فيما أمر هو به ونهى عنه مما لم يقل هو إنه من عند الله وسيأتي بسط ذلك في مبحث وجوب الإذعان والطاعة للرسل إن شاء الله تعالى (فإن قلت) هل يقدح في كمال عبودية الرسل بالنظر إلى مقامهم طلبهم الأجر على التبليغ كما أشاروا إليه بقولهم إن أجري إلا على الله (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب أسرار الزكاة من الفتوحات لا يقدح في عبودية الرسل ذلك وإنما قال نوح عليه الصلاة والسلام إن أجري إلا على الله ليعلمنا بأن كل عمل خاص يطلب الأجر بذاته وذلك لا يخرج العبد عن أوصاف عبوديته فإن العبد في صورة الأجير ما أنت أجير إذ حقيقة الأجير من استؤجر وهو أجنبي عن عبودية المستأجر له والسيد لا يستأجر عبده وإنما العمل يقتضي الأجرة وهو لا يأخذها وإنما يأخذها العامل وهو العبد فهو قابض الأجرة من الله تعالى فأشبه الأجير في قبض الأجرة وفارقه بالاستئجار انتهى (فإن قلت) فهل الأفضل ترك الأجرة أو أخذها صدقة من الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الكلام على الأذان إن مذهب المحققين أخذ الأجرة وأن ذلك أفضل من تركها لكن بشرط أن يكون مشهوده الأخذ من الله تعالى لا من المخلوقين فالكمل طلب الأجرة وأخذها من باب المنة وإظهار الفاقة لا من باب الاستحقاق وذلك من أجل ما يؤكل ويتمتع به فعلم أن مقام الدعوة إلى الله تعالى يقتضي الأجرة وما من نبي دعا قومه إلى الله تعالى إلا قال لا أسألكم عليه أجراً فأثبت الأجر على الدعاء ولكن اختار أن يأخذه من الله تعالى (قلت) ويؤخذ من هذا أن للواعظ منا والمدرس أو المفتي بعلم أن يأخذ أجراً على ذلك إذ هو من عمل يقتضي الأجر بشهادة كل رسول لله تعالى وله أيضاً أن يترك الأخذ من الناس ويطلبه من الله تعالى اقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام

ويقيد به سمع الآذان وقد قال الله تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله فتلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه أصواتا وحروفا سمعها الأعرابي بسمع أذنه في حال ترجمته فالكلام لله بلا شك والترجمة للمتكلم به كان من كان فإن القلب بيت الرب فافهم * وقال في الباب الثلاثين والثلثمائة اعلم أن القضاء والقدر أمران متباينان فالقضاء هو الحكم الإلهي على الأشياء بكذا فله المضاء في الحكم في جميع الأمور وما القدر فهو الوقت المعين لإظهار الحكم فالقضاء يحكم على القدر والقدر لا يحكم في القضاء بل حكمه في المقدر لا غير فالقاضي حاكم بالمقدر موقت والقدر التوقيت وأطال في ذلك (قلت) وقد بسطنا نحو ذلك في أجوبة شيخنا رضي الله عنه فراجعه * وقال في الباب الحادي والثلاثين وثلثمائة اعلم أن موسى عليه السلام ما قال رب أرني أنظر إليك إلا لما قام عنده من التقريب الإلهي فطمع في الرؤية فسأل ما يجوز له السؤال فيه ذوقاً ونقلاً لا عقلاً لأن ذلك من محارات العقول ومعلوم أن الرسل أعلم الناس بالله تعالى وأنهم يعرفون أن الحق تعالى مدرك بالإدراك فإن الأبصار لا تدركه مع أنها آلة يدرك العبد بها رؤيته فقال وإنما منع موسى رؤيته لأنه سأله من غير وحي إلهي بها ومقامهم

اذهو أجر تفضل الله تعالى به على عبده لكون العبد لا يستحق على سيده أجرا من حيث انه ملكه وعين ماله * وقال الشيخ أيضا في الباب السادس عشر وثلثمائة * اعلم ان استخدام الحق العبد على حالين للعبد فتارة يعبده العبادة المحضة وتارة يعبده عبادة اجارة فمن كونه عبدا هو مكلف بالصلاة والزكاة وجميع الفرائض ولا أجر له على هذا جملة واحدة من حيث أداء فرضه انما له ما يمن به على عبده من النعم التي هي افضل من الاجر لا على جهة الاجر ثم انه تعالى ندب الى عبادته في أمور ليست فرضا على العبد فعلى هذه الاعمال المندوبة فرضت الاجور فكل من تقرب بها الى سيده اعطاه أجرته عليها وكل من لم يتقرب لم يطلبه بها ولا يعاقبه عليها فمن هنا كان العبد حكمه حكم الاجير في الاجارة فالغرض له الجزاء الذي يقابله من حيث انه هو العهد الذي بين الله وبين عباده وأما النوافل فلها الاجور وهي قوله في الحديث القدسي ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه الحديث فاذن أنتجت النافلة للعبد محبة الحق تعالى والنكتة في ذلك هو ان المتنفل عبد اختيار كالاجير فاذا اختار الانسان ان يكون عبد الله لا عبد هواه فقد آثر الله تعالى على هواه وأما في الفرائض فهو عبد اضطرار لان العبودية أوجبت على العبد خدمة سيده فيما افترضه عليه فعلم ان بين الانسان في عبوديته الاضطرارية وعبوديته الاختيارية كما بين الاجير والعبد المملوك فان العبد الاصلي ماله على سيده استحقاق الا ما لا بد منه فهو يأكل ويلبس من سيده ويقوم بواجبات اموره ولا يزال في دار سيده ليلا ونهارا لا يبرح الا اذا وجهه سيده في شغل فهو في شغله الدنياوي مع الله تعالى وكذلك هذا حاله يوم القيامة وفي الجنة فانها جميعها ملك لسيده فيتصرف فيها باذن سيده كتصرف المالك والاجير ليس له الا ما عين له من الاجرة فقط ومنها نفقته وكسوته وماله دخول على حرم سيده ومؤجره ولا له اطلاع على اسراره ولا تصرف في ملكه الا بقدر ما استؤجر عليه فاذا انقضت مدة اجارته وأخذ أجرته فارق مؤجره واشتغل بأهله وليس له من هذا الوجه حقيقة ولا نسبة ان يطلب من استأجره الا ان يمن عليه رب المال بأن يبعث خلفه ويخاليه ويخلع عليه فذلك من باب المنة (فان قلت) فهل يكون عبودية الاضطرار في الجنة كما هي في الدنيا (فالجواب) لا يكون في الآخرة عبودية اضطرار أبد العدم التحجير فان تفطنت يا اخي لما نبهتك عليه علمت من أي مقام قالت الانبياء ان اجري الا على الله مع كونهم العبيد الخلص الذين لم يملكهم قط هوى نفوسهم ولا هوى أحد من خلق الله وذلك لان طلب الاجر راجع الى دخولهم تحت حكم الاسماء الالهية فمن هناك وقعت الاجارة فهم في حال الاضطرار وهم في الحقيقة عبيد الذات وهم لها ملك والاسماء ادعتهم انما تطلبهم لتظهر آثارها فيهم فكل اسم يناديهم ادخلوا تحت أمري وأنا اعطيكم كذا فلهم الاختيار من هذا الوجه في الدخول تحت أي اسم شاؤا فلا يزال أحدهم في خدمة ذلك الاسم حتى يناديه السيد من حيث عبودية الذات فيترك كل اسم الهي ويقوم لدعوة سيده فاذا فعل ما امره به حينئذ رجع الى أي اسم شاء ولهذا كان الانسان يتنفل حتى يسمع اقامة صلاة لفريضة فيقوم ويترك كل نافلة ويبادر الى اداء فرض سيده ومالكه فاذا فرغ دخل في أي نافلة شاء (فان قلت) فمن أي حضرة كان اجر الانبياء على الله تعالى (فالجواب) هو من حضرة السيادة فانه هو الذي استخدمهم في التبليغ (فان قلت) فهل يكون زيادة اجر النبي صلى الله عليه وسلم ونقصه بحسب النية والعزم او بحسب التعب والراحة من جهة المدعوين (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر وأربعمائة ان اجر كل نبي يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة من المخالفين (فان قلت) فكيف يصح طلب الاجر من الله مع كون الاجر ليس هو بمعلوم القدر عند الرسول او الواعظ مثلا (فالجواب) انما صح طلب ذلك من الله تعالى مع كونه مجهولا لعلم الرسول بأن الله تعالى يعلمه بخلاف طلب الاجر المجهول من الخلق

الادب فلهذا قيل له لن تراني ثم انه تعالى استدرك استدراكا لطيفا لما علم تعالى ان حد موسى انتهى من حيث سؤاله الرؤية بغير وحي بالاحالة على الجبل في استقراره عند التجلي اذ الجبل من الممكنات فلما تجلى الحق للجبل واندك علم موسى انه فيما لم يكن ينبغي له وان كان الحامل له على ذلك شوق مثل ما يقع فيه من سكر من حب الله فقال تبت اليك وأنا اول المؤمنين بوقوع هذا الاثر واطال في صعقات الناس في رؤية الله عز وجل (وقال) فيه في قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم اعلم ان الهوى أعظم من عبد من دون الله فانه لنفسه حكم وهو الواضع لكل ما عبد ولولا قوة سلطانه في الانسان ما أثر مثل هذا الاثر فيمن هو على علم بانه ليس بالاله وأطال في ذكر من ادعى الالوهية من العبيد ومن ادعيت فيه ولم يدعها ومن ادعاها في سكر ثم قال وكان الحلاج ممن ادعاها في سكر بيقين فقال قول السكارى فخبط وخلط بحكم السكر عليه كما شتم السكران اعظم ملوك الدنيا في حال سكره ولا يلتزم معه أدبا فالحلاج سعيد وان شقي به آخرون وأطال في ذلك ثم قال واذا كان يوم القيامة حسد الله الهوى كما يجسد الموت لقبول الذبح كبشا فعذبه في صورته تلك ويجسد الهوى في لا يذكره العلماء بانه الى ان كان من اتبع هواه

لا يصح الا بعد علمه وذلك لجهل الخلق بما يصدقه المدعي عليهم (فان قلت) فهل للرسول اجر اذا رد قومه رسالته ولم يقبلوها منه (فالجواب) نعم للرسول أجر في ذلك لكن كما يؤجر المصاب فيمن يعز عليه فالرسول اجر بعد من رد رسالته من أمته بلغوا من العدد ما بلغوا كما ان الذي يعمل بشرع محمد صلى الله عليه وسلم ويؤمن به له مثل اجر جميع من اتبع الرسل لاستجماع الشرائع كلها في شرع محمد صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فما هو الغيب الذي يطلع الله تعالى عليه رسله المشار اليه بقوله فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول هل هو ما غاب عنه من أحكام التكاليف الموحى بها اليه أم غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاحد وعشرين وثلثمائة ان المراد بهذا الغيب المخصوص بمن كان رسولا هو علم التكاليف الذي غاب عن العباد ولم تستقل عقولهم بادراكه ولهذا جعل له الملائكة رصدا حذرا من الشياطين ان تلقي الى الرسول ما يعمل به في نفسه من التكاليف الذي جعله الله طريقا الى سعادة العباد من أمر ونهي ويؤيد ما قلناه من ان هذا الغيب هو علم الرسالة التي يبلغها الرسل عن الله تعالى قوله تعالى ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم فأضاف الرسالة الى قوله ربهم لما علموا ان الشياطين لم تلق اليهم أعني الرسل شيأ فيتيقنون أن تلك الرسالة من الله تعالى لا من غيره (فان قلت) فهل ذلك القدر الذي يطلع الله تعالى عليه من ارتضاه من رسول هل هو باعلام الملك له ام هو بلا واسطة ملك (فالجواب) هو بلا واسطة ملك فان الملائكة اذا لم يكن لها واسطة في الوحي تحف انوارها بالرسول كالهالة حول القمر وتكون الشياطين من ورائهم لا يجدون سبيلا الى هذا الرسول حتى يظهر الله تعالى ذلك الرسول على ما شاء من غيبه المتعلق بالتكاليف كما قال الشيخ محيي الدين وليس في الفتوحات المكية ولا غيره من كتبنا أصعب من تصور الغيب الذي انفرد به الحق ويسمى الغيب الهالي المشار اليه بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وانما كان صعبا لانه غيب برزخي بين عالم الشهادة وعالم الغيب لا يتخلص لاحد الجانبين وكان هذا مما فضل الصديق عن غيره به وقليل من عثر عليه (فان قلت) فما الحكمة في كونه صلى الله عليه وسلم كان يلحقه البرد اذا نزل عليه الوحي حتى يسجى بالكساء (فالجواب) الحكمة في ذلك ان الرسول اذا نزل عليه الوحي عرق من شدته للانضغاط الذي يحصل من التقاء روح الملك وروح الرسول ثم ان الهواء الخارج مع الرطوبات من البدن يغمر المسام بقوته فلا يتخلل الهواء البارد من خارج ثم اذا سري عن ذلك النبي وانصرف الملك عنه سكن المزاج وانتعشت الحرارة الغريزية وايضاح ذلك ان الملك اذا ورد على رسول الله بأمر يتعلق بعلم خبري أو حكم يتلقى ذلك منه الروح الانساني ويتلاقيان هذا بالاصغاء وذلك بالالقاء وكل منهما نور فيحتد عند ذلك المزاج ويشتعل وتتحرك الحرارة الغريزية المزاجية حتى يتغير وجه الرسول من شدتها وهو المعبر عنه بالحال وهو من أشد ما يكون ثم ان تلك الرطوبات البدنية تصعد بخارات الى سطح كرة البدن لاستيلاء الحرارة ومنه يكون العرق الذي يطرأ على صاحب الحال ثم اذا انتعشت تلك الحرارة وانفتحت المسام قبل الجسم الهواء البارد من خارج فتخلل الجسم وحصل البرد في المزاج فطلب الغطاء وزيادة الثياب ليسخن وذلك لاستيلاء البرد والقشعريرة على الحرارة الغريزية وضعفها ولا يخفى ان هذا كله خاص بما اذا كان التنزل على القلب بالصفة الروحانية والله اعلم (فان قلت) فلم اختار الانبياء النوم على ظهورهم دون جنوبهم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والثلاثين وثلثمائة انهم انما اضطجعوا على ظهورهم لعلمهم بأن كل ما قابل الوجه فهو أفق له ومعلوم ان الافق نوعان نوع أدون وهو الارض ونوع أعلى وهو السماء فلذلك استلقوا على ظهورهم ليكون أفقهم أعلى وايضاح ذلك كما في الباب الثالث والثلاثين هو أن تعلم ان الوارد الالهي الذي هو

الابدين *وقال في الباب الثاني والثلاثين وثلثمائة في قوله تعالى فيه شفاء للناس اي العسل اعلم انه تعالى لم يذكر للعسل مضرة قط وان كان بعض الامزجة يضره استعماله لان الشفاء هو المقصود الاعظم منه كما ان المقصود بالغيث ايجاد الرزق الذي يكون عن نزوله وتهديم الغيث بيت العجوز الفقيرة الضعيفة فما كان رحمة في حق هذه المرأة من هذا الوجه الخاص لان هدم البيت المذكور ما هو بالقصد العام الذي نزل له المطر وانما كان ذلك من استعداد البيت للهدم لضعف بنيانه فكذلك الضرر الواقع لمن أكل العسل انما ذلك من انحراف مزاجه ولم يكن بالقصد العام (قلت) وقد تقدم نحو ذلك في الكلام على النية من حيث انها موضوعة بالاصالة للاخلاص والله اعلم *وقال فيه في قوله تعالى تجري باعيننا انما جمع العيون هنا وفي قوله فانك باعيننا لان المراد بهذا الجمع عيون الحافظين للعالم من سائر الخلق فكل حافظ في العالم أمرا ما فهو جملة عيون الحق تعالى (قلت) الى ذلك الاشارة

صفة القيومية اذا جاءهم اشتغل الروح الانسانى المدبر عن تدبيره بما يتلقاه من الوارد الالهى من العلوم الالهية فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع الى أصله وهو لصوقه بالارض المعبر عنه بالاضطجاع ولو كان على سرير فان السرير هو المانع له من وصوله الى التراب فهذا سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحى عليهم ثم ان الروح اذا فرغ من ذلك التلقى وصدر الوارد الى حضرة ربه رجع الروح الى تدبير جسده فأقامه من ضجعته قال الشيخ وما بلغنا عن نبي قط انه تخبط واضطرب عند نزول الوحى أبدا والله أعلم (فان قلت) فما ثم اذن فى العباد أقوى من الانبياء لتحملهم ثقل الوحى (فالجواب) نعم ما ثم اقوى من الانبياء فهم أقوى من الجبل لتحملهم الوحى حين نزل اليهم ولم يتحمل ذلك الجبل بل تصدع قال الشيخ فى الباب الثانى والاربعين وثلثمائة ومما يؤيد قولنا ان الانبياء اقوى من الجبال قوتهم على سماع ما لا يليق بجناب الله من الكفار وغيرهم وعدم قوة الجبال لسماع ذلك قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وقد سمع الانبياء قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ولم يكادوا ينفطرون ولم يتزلزلوا بل ثبتوا وذلك لانه تعالى تجلى للانبياء فى نحو حضرة قوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا فعلموا من حضرة الاطلاق الالهى ما لم تعلمه السموات والارض والجبال فانتج لهم هذا العلم قوة فى نفوسهم حملوا بها ما سمعوه فى حق الله ولو ان ذلك نزل على من ليست له هذه القوة لذاب عظمه فانظر ما اكثف حجاب من اعتقد ان لله ولدا وما اشد عماه عن رؤية الحقائق انتهى (فان قلت) فهل كان قبل نوح عليه الصلاة والسلام رسل ام كانوا كلهم انبياء فقط حتى آدم عليه الصلاة والسلام (فالجواب) لم يبلغنا فى كتاب ولا سنة انه كان قبل نوح رسل وانما كانوا كلهم انبياء فقط كل نبي منهم على شريعة مخصوصة من ربه عز وجل ولكن كان كل من شاء من القوم دخل فى شرع احدهم معهم ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا ومن لم يدخل فليس بكافر كما انه اذا ادخل نفسه ثم كذب الانبياء كان كافرا واما من لم يكذب وبقى على البراءة فليس بكافر (قلت) لكن رأيت فى مسند الامام احمد مرفوعا كان آدم عليه الصلاة والسلام رسولا مكرما انتهى فليتأمل مع ما قبله وما بعده (فان قلت) قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير هل هو نص فى الرسالة (فالجواب) ليس هو بنص فى الرسالة كما ذكره الشيخ فى الباب الثالث عشر وثلثمائة قال وانما هو نص فى ان فى كل امة عالما بالله تعالى وبامور الآخرة وذلك هو النبي لا الرسول اذ لو كان الرسول لقال اليها ولم يقل فيها فليس هو بنص فى الرسالة قال وهذا هو الذى نقول به فلم يكن فيهم رسل وانما كان فيهم انبياء عالمون بالله تعالى فمن شاء وافقهم ودخل معهم فى دينهم وتحت حكم شريعتهم ومن شاء لم يكلف ذلك وكان ادريس عليه الصلاة والسلام منهم فلم يجئ له نص فى القرآن بالرسالة وانما قيل فيه صديقا نبيا فاول شخص افتتح الله به الرسالة نوح عليه الصلاة والسلام (فان قلت) فهل كان عدم اجابة اكثر قوم نوح عليه الصلاة والسلام لضعف عزمه ام لاتباع حاله وغلبة التسليم لله تعالى عليه فلم يكن له همة تنفذ فيهم (فالجواب) ليس للهمة من الداعين اثر فى المدعوين جملة واحدة ومن قبل من رسوله ما قبل فليس ذلك من علو همة الداعى وانما ذلك من حيث ما وهب الله تعالى لخلقه من المزاج الذى اقتضى له قبول مثل ذلك ويسمى هذا المزاج الخاص الذى لا يعلمه الا الله تعالى وبه كان كفر اول من كفر ممن ليس له ابوان يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما ورد فعلم انه لو كان تأثير الكلام فى المدعو من همة الداعى فقط لاسلم كل من شافهه الرسول بالخطاب كائنا من كان انفوذ همته وكان يقدح فى كمال الرسل رد قومهم رسالتهم ولا قائل بذلك فسقط قول من يقول لو كان الواعظ صادقا مخلصا

محيي الدين فى الباب الخامس وثمانمائة ما نصه انما قال تعالى فانك باعيننا ليعلم أنه ما حكم عليه صلى الله عليه وسلم الايماء والاصطلاح عنده سواء اسره ام ساءه هذا مراده بقوله باعيننا اى ما انت بحيث نجهلك وننساك والله اعلم ٭ وقال فى الباب الثالث والثلاثين وثلثمائة قال ابليس للحق جل وعلا يا رب كيف تطلب منى السجود ولم ترد ذلك فلو اردته لسجدت ولم أقدر على المخالفة فقال له الحق جل وعلا متى علمت انى لم ارد منك السجود بعد وقوع الاباية منك او قبل ذلك فقال ابليس ما علمت بذلك الا بعد ما وقعت منى الاباية فقال الله عز وجل له بذلك آخذتك فلله الحجة البالغة ٭ وقال فى حديث البخارى فى الذين يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم اعلم ان من لم يكن وارثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقام تلاوته للقرآن انما يتلو حروفا مثلة فى خياله وحصلت له من الفاظ معلمه ان كان اخذه عن تلقين او من حروف كتابة ان كان اخذه عن كتابة فاذا احضر تلك الحروف فى خياله ونظر اليها بعين خياله ترجم اللسان عنها فتلاها من غير تدبر ولا فهم ولا استبصار بل اقرأه تلك الحروف فى حضرة خياله قال ولهذا التالى أجر الترجمة لا اجر القرآن لانه ما تلا المعانى وانما تلا حروفا نزلت من الخيال الذى هو مقدم الدماغ الى اللسان يترجم به لا يجاوز حنجرته

فلا يصل الى قلبه منه شئ واطال فى ذلك * وقال فى الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة من

فى وعظه لا اثر وعظه فى قلوب السامعين فانه لا اصدق من الرسل ومع ذلك فلم يعم قولهم فى السامعين قبولا بل قال نوح عليه الصلاة والسلام انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا فلما لم يعم القبول فى السامعين لكلام الرسل مع تحققنا علو همتهم علمنا ان الهمة مالها اثر جملة واحدة وانما ذلك من المزاج كما مر ومن سمع قول واعظ فلم يؤثر فيه القبول فالعيب منه لا من الواعظ اذ صاحب العقل السليم يؤثر فيه الكلام الحق على يدى اى من جاء به من الناس ولو من كافر بالله اذ الوحى الذى جاء به المشرك حق على كل حال وان لم يعمل به حامله فالعاقل يقبل ذلك من حيث كونه حقا لا من حيث المحل الذى ظهر به (فان قلت) فما ايضاح ذلك (فالجواب) ان تنظر فى حال المدعو فان رأيته فى حال سماعه يسمع من الواعظ كلاما ولم يؤثر فيه ثم انه يسمعه من واعظ آخر بعينه فيؤثر فيه فاعلم ان ذلك التأثير لم يكن من حيث قبوله الحق وانما هو من حيث وجود نسبة بينه وبين الواعظ الثانى من اعتقاد فيه او نحو ذلك فما اثر فى السامع سوى نفسه وفى القرآن العظيم ان عليك الا البلاغ وقال ليس عليك هداهم اى ليس عليك ان توفقهم لقبول ما ارسلتك به وامرتك ببيانه ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم بالمهتدين اى الذين قبلوا التوفيق على مزاج خاص فالهادى الذى هو الله تعالى الابانة والتوفيق وليس للهادى من المخلوقين الا الابانة فقط ذكره الشيخ فى الباب التاسع والسبعين وثلثمائة (فان قلت) فما معنى قوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم مع ان القرآن جاء على لغتهم فما السبب الداعى الى احتياجهم الى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم (فالجواب) سبب ذلك ان كل كلام لا بد فيه من اجمال وما كل احد يعرف المجمل فلذلك لم يكتف الحق تعالى بنزول الكتب الالهية من غير بيان الرسل لما اجمل فيها ومعلوم انه لا يفصل العبارة الا العبارة فنابت الرسل مناب الحق تعالى فى تفصيل ما اجمله فى كتابه وناب المجتهدون مناب الرسل فيما اجملوه فى كلامهم ولولا ان حقيقة هذا الاجمال سارية فى العالم ما شرحت الكتب ولا ترجمت من لسان الى لسان ولا من حال الى حال قال تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله وهو ما انزل خاصة وأما ما فصله الرسول وابان عنه فهو تفصيل ما نزل لا عين ما نزل فان البيان وقع بعبارة أخرى ذكره الشيخ فى الباب الحادى والستين وثلثمائة (فان قلت) فهل النبوة من النعوت الالهية او الكونية (فالجواب) هى من النعوت الالهية أثبت حكمها فى الجناب الالهى الاسم السميع وأثبت حكمها صيغة الامر الذى فى الدعاء المأمور به واجابة الحق تعالى عباده فيما سألوه فيه فليست النبوة بمعقول زائد على هذا الذى ذكرناه الا انه تعالى لم يطلق على نفسه من ذلك اسما كما اطلق فى الولاية فسمى نفسه وليا وما سمى نفسه نبيا مع كونه أخبرنا وسمع دعاءنا ذكره الشيخ فى الباب الخامس وخمسين ومائة (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته كيف وصل الى قلب الرسول والنبى مع انهما معصومان منه (فالجواب) كما قال الشيخ فى الباب السادس من الفتوحات ان الانبياء عليهم السلام انما عصموا من العمل بوسوسة الشيطان فقط فهو يلقى اليهم ولا يعملون بقوله لعصمتهم فليس له على قلوب الانبياء من سبيل فالعصمة حقيقية انما هى من العمل بما يلقى لا من الالقاء لاجل الآية المذكورة فى السؤال بخلاف قلوب الاولياء فقد يعملون بما يلقى اليهم ان لم تحفهم عناية الحفظ ولما علم ابليس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من العمل بقوله لعصمة قلبه من استشراف ابليس عليه جاء فى الصلاة بشعلة نار مخيلة ورمى بها فى وجهه وكان غرض الشيطان أن يفتن بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته وعن الاقبال عليها لما رأى ما له فى الصلاة من الخير اذ هو لعنه الله حسود لبنى آدم بالطبع فتأخر النبى صلى الله عليه وسلم الى خلفه ولم يقطع الصلاة واخبر بذلك أصحابه * (خاتمة) * ان قلت هل يمتنع رسالة

الى القلب الذى فى صدره شرف هذه الامة المحمدية على سائر الامم ان الله تعالى أنزلها منزلة خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العالم قبل ظهوره فانه تعالى أعطى خلفاءه من الانبياء التشريع وأعطى هذه الامة الاجتهاد فى مذهب الاحكام وأمرهم ان يحكموا بما أدى اليه اجتهادهم وذلك تشريع فلحقوا بمقامات الانبياء عليهم السلام فى ذلك وجعلهم ورثة لهم لتقدمهم عليهم فان المتأخر يرث المتقدم بالضرورة واطال فى ذلك * وقال فيه فى معنى حديث جعلت لى الارض مسجدا اعلم أن فى هذا الحديث اشارة الى أن جميع الارض بيت الله فيلازم العبد الادب حيثما حل كما يؤمر به فى المساجد فاهل الادب من هذه الامة جلساء الله على الدوام لانهم فى مسجد وهى الارض أحياء وأمواتا فانهم فى قبورهم قد انتقلوا من ظهر الارض الى بطنها وحرمة المسجد الى سبع أرضين * وقال فيه قد نزل الله تعالى محمدا أربع منازل لم ينزل فيها غيره من الانبياء وهى انه أعطاه ضروب الوحى كلها من وحى المبشرات وأنزله على القلب والاذن وأعطاه انباء علم الاحوال كلها لانه أرسله الى جميع الناس كافة

نديين معافى آن واحد الى شخص واحد (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والعشرين من الفتوحات نعم يتبع رسالتهما الا ان يكونا ينطقان فى رسالتهما بلسان واحد فى آن واحد كموسى وهرون عليهما السلام قال تعالى فيهما اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا الى آخر النسق فلم يكن لكل منهما عبارة تخصه دون الآخر لاسيما وموسى عليه الصلاة والسلام يقول عن هرون هو أفصح منى لسانا انتهى والله أعلم

(المبحث الرابع والثلاثون فى بيان صحة الاسراء وتوابعه وانه رأى من الله تعالى صورة ما كان يعلمه منه فى الارض لاغير وما تغيرت عليه صلى الله عليه وسلم صورة اعتقاده حال كونه فى الارض)

اعلم ان الاصل فى قصة الاسراء قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير قال الشيخ محيى الدين والضمير فى قوله انه راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الى البارى جل وعلا واطال فى ذلك ثم قال فما نقل الحق تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم من مكان الى مكان الا ليريه ما خص تعالى به ذلك المكان من الآيات والعجائب الدالة على قدرته تعالى من حيث وصف خاص لا يعلم من الله تعالى الا بتلك الآية كانه تعالى يقول ما اسريت بعبدى الا لرؤية الآيات لا الى لانه لا يحوينى مكان ونسبة الامكنة الى نسبة واحدة وكيف اسرى بعبدى الى وأنا معه حيث كان (قلت) فما بقى الان رؤية الملك فى دسكرة ملكه وجنوده أعلى فى التعظيم وحصول الهيبة من رؤيته وهو متنكر وانما كان تعالى لا يحويه مكان لان المكان المعقول هو من سقف العرش الى تخوم الارضين وذلك كالذرة بالنسبة لما فوق العرش وما تحت التخوم فان صعد العرش الى ابد الآبدين لا يجد بعده سقفا ونزل العرش أبد الآبدين لا يجد له ارضا ومن رأى الوجود هذه الرؤية بعد عن القول بالجسمية تعالى الله رب العالمين عن ذلك * قال الشيخ محيى الدين فى الباب السابع والستين وثلثمائة ولما اراد الله سبحانه وتعالى ان يرى محمدا صلى الله عليه وسلم من آياته ما شاء انزل الله تعالى اليه جبريل عليه الصلاة والسلام وهو الروح الامين بدابة يقال لها البراق اثباتا للاسباب وتقوية له ليريه العلم بالاسباب ذوقا كما جعل الاجنحة للملائكة ليعلمنا بثبوت الاسباب التى وضعها فى العالم والبراق دابة برزخية فانه دون البغل الذى تولد من جنسين مختلفين وفوق الحمار الذى تولد من جنس واحد وذلك لحكمة تعلمها اهل الله تعالى فركبه صلى الله عليه وسلم واخذه جبريل عليه السلام وسار به فى الهواء قال الشيخ محيى الدين والبراق للرسل مثل فرس النوبة الذى يخرجه المرسل للمرسل اليه ليركبه تهمما به فى الظاهر واما فى الباطن فمعناه انه لا يصل الى حضرته الا بما كان منه تعالى لا على ما يكون لغيره فهو تشريف وتنبيه لمن لا يدرى مواقع الامور منا فجاء صلى الله عليه وسلم الى البيت المقدس ونزل عن البراق وربطه بالحلقة التى تربطه بها الانبياء قبله كل ذلك اثباتا للاسباب فانه ما من رسول الا وقد اسرى به راكبا على ذلك البراق ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اختص عنهم فى اسرائه بامور تعرفها اهل الله عز وجل (فان قلت) فما الحكمة فى ربطه صلى الله عليه وسلم مع علمه بانه مأمور (فالجواب) انما ربطه اثباتا لحكم العادة التى اجراها الله تعالى فى مسمى الدابة ولو انه اوقفه من غير ربطه بالحلقة لوقف ولكن حكم العادة منعه من ذلك الا تراه صلى الله عليه وسلم كيف وصف البراق بانه شمس وهو من شأن الدواب التى تركب وانه قلب بحافره القدح الذى كان يتوضأ به صاحبه فى القافلة التى لاقته فى طريق مكة فوصف البراق بانه يعثر والعثور هو الذى اوجب قلب الآنية يعنى القدح ولما جاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم قال له يا محمد اركب

وأحوالهم مختلفة بلا شك فلا بد أن تكون رسالته تعم العلم بجميع الاحوال

وأعطاه ايضا علم احياء الاموات معنى وحسا وأعطاه أيضا علم الشرائع المتقدمة كلها وأمره ان يهتدى بهداهم لا بهم فهذه أربع منازل خص بها (وقال) فيه فى قوله تعالى أفرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض اعلم ان خلق عيسى للطير انما كان باذن الله فكان خلقه الطير عبادة يتقرب بها الى الله لانه مأذون له فى ذلك فما أضاف تعالى الخلق الا لاذن الله وعيسى عليه السلام عبد والعبد لا يكون الها قال وانما جئنا بهذه المسئلة فى هذه الآية لعموم كلمة ما فانها تطلق على كل شئ ممن يعقل ومما لا يعقل كذا قال سيبويه وهو المرجوع اليه فى العلم باللسان فان بعض المنتحلين لهذا الفن يقولون ان لفظة ما تختص بما لا يعقل ومن تختص بمن يعقل قال وهو قول غير محرر فقد رأينا فى كلام العرب جمع من لا يعقل جمع من يعقل واطلاق ما على من يعقل وانما قلنا هذا لئلا يقال فى قوله ما تدعون من دون الله انما اراد من لا يعقل وعيسى يعقل فلا يدخل فى هذا الخطاب قال وقول سيبويه أولى * وقال فى الباب الثامن والثلاثين وثلثمائة كل علم لم يظهر له الشارع تعليلا وعلمه العبد أو عمل به كان تعبدا محضا * وقال فى الباب

فركبه صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل وطاربه البراق فى الهواء واخترق به الجو وعطش صلى الله عليه وسلم واحتاج الى الشرب فاتاه جبريل باناءين اناء لبن واناء خمر وذلك قبل تحريم الخمر فعرضهما عليه فتناول اللبن فقال له جبريل عليه السلام أصبت الفطرة اصاب الله بك امتك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتأول اللبن بالعلم فلما وصلا الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقال له الحاجب من هذا فقال له جبريل قال من معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قال أوقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح فدخل جبريل ومحمد فاذا آدم عليه السلام وعن يمينه اشخاص بنيه السعداء عمرة الجنة وعن يساره نسم بنيه الاشقياء عمرة النار ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورته هنالك فى اشخاص السعداء فشكر الله تعالى وعلم عند ذلك كيف يكون الانسان فى مكانين وهو عينه لا غيره فكان له الصورة المرئية والصور المرئيات فى المرآة الواحدة والمرايا فقال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم عرج فى البراق وهو محمول عليه فى الفضاء الذى بين السماء الاولى والسماء الثانية فاستفتح جبريل السماء الثانية كما فعل فى الاولى وقال وقيل له فلما دخل اذا بعيسى عليه السلام بجسده عينه فانه لم يمت الى الآن بل رفعه الله الى هذه السماء واسكنه فيها وحكمه فيها * قال الشيخ محيي الدين وهو شيخنا الاول الذى رجعنا الى الله تعالى على يديه وتبنا وله عليه الصلاة والسلام بنا عناية عظيمة لا يغفل عنا ساعة واحدة فرحب وسهل ثم عرج الى السماء الثالثة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بيوسف عليه السلام فسلم عليه ورحب به وسهل وجبريل فى هذا كله يسمى له ما يراه من هؤلاء الاشخاص ثم عرج به الى السماء الرابعة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بادريس عليه السلام جسمه فانه ما مات الى الآن بل رفعه الله الى هذه السماء وأسكنه فيها قال تعالى ورفعناه مكانا عليا وهذه السماء قلب السموات فسلم عليه ورحب وسهل ثم عرج به الى السماء الخامسة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بهرون عليه الصلاة والسلام ويحيى بن زكريا فسلما عليه ورحبا به ثم عرج به الى السماء السادسة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بموسى عليه السلام فسلم ورحب وسهل ثم عرج به الى السماء السابعة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بابراهيم عليه السلام مسند ظهره الى البيت المعمور فسلم عليه ورحب وسهل وسمى له البيت المعمور الضراح فنظر اليه وصلى فيه ركعتين وعرفنا عليه السلام انه يدخله كل يوم سبعون الف ملك من الباب الواحد ويخرجون من الباب الآخر فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغاربها واخبران اولئك يخلقهم الله تعالى كل يوم من قطرات ماء الحياة التى تسقط من جبريل حين ينتفض كما ينتفض الطائر عندما يخرج من الماء عند انغماسه فى نهر الحياة فان له فى كل يوم غمسة فيه ثم عرج به الى سدرة المنتهى فاذا نبقها كالقلال وورقها كآذان الفيلة فرآها وقد غشاها الله تعالى من النور ما غشى فلا يستطيع احد ان ينعتها الان البصر لا يدركها حتى ينعتها لشدة نورها ورأى يخرج من اصلها أربعة انهار نهران ظاهران ونهران باطنان فأخبره جبريل ان النهرين الظاهرين النيل والفرات والنهرين الباطنين نهران يمشيان الى الجنة وان النيل والفرات يرجعان يوم القيامة الى الجنة وهما نهرا العسل واللبن فى الجنة قال الشيخ وهذه الانهار تعطى لشاربها علوما متنوعة يعرفها اصحاب الاذواق فى الدنيا واخبره ان اعمال بنى آدم تنتهى الى تلك السدرة وانها مقر الارواح فهى نهاية لما ينزل عما هو فوقها ونهاية لما يعرج اليها عما هو دونها وبها مقام جبريل عليه السلام وهنالك منصته فنزل صلى الله عليه وسلم عن البراق بهذه المنصة وجىء اليه بالرفرف وهو نظير المحفة عندنا فقعد عليه وسلمه جبريل الى الملك النازل بالرفرف فسأله الصحبة ليأنس به فقال له لا اقدر ولو خطوت خطوة لاحترقت فما منا الا له مقام معلوم وما اسرى الله تعالى بك يا محمد الا ليريك من آياته فلا تغفل فودعه وانصرف مع ذلك الملك والرفرف يمشى به

الحادى والاربعين وثلثمائة لا يجوز النظر فى كتب الملل والنحل لاحد من القاصرين وأما صاحب الكشف فينظر فيها ليعرف من أى وجه تفرعت أقوالهم لا غير وهو آمن من موافقتهم فى الاعتقاد لما هو عليه من الكشف الصحيح * وقال فى الباب الثانى والاربعين وثلثمائة مما يؤيد قول من يقول ان الاسم عين المسمى قوله تعالى ذلكم الله ربى وليس هو غير أسمائه فانه لقائل قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فجعل الاسم هنا عين المسمى كما جعله فى موضع آخر غيره قال فلو لم يكن الاسم عين المسمى فى قوله ذلكم الله لم يصح قوله ربى فافهم * وقال فى الباب السادس والاربعين وثلثمائة انما قال الله تعالى فى الحديث القدسى كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الى آخره وذكر الصور المحسوسة دون القوى الروحانية كالخيال والفكر والحفظ والتصوير والوهم والعقل لان هذه مفتقرة الى الحواس والحق تعالى لا يتنزل منزلة من يفتقر الى غيره من المخلوقات بخلاف الحواس الظاهرة فانها انما هى مفتقرة الى الله تعالى لا الى غيره فتنزل تعالى لمن هو مفتقر اليه لم يشركه به أحد فعلم ان الحواس أتم لكونها هى التى تهب القوى الروحانية ما تصرف فيه وما به تكون حياتها

الى ان ظهر لمستوى سمع فيه صريف القلم والاقلام فى الالواح وهى تكتب بما يجريه الله تعالى فى خلقه وما تنسخه الملائكة من اعمال عباده وكل قلم ملك قال تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ثم زج به فى النور زجة فأفرده الملك الذى كان معه وتأخر عنه فلم يره فاستوحش لما لم ير معه وبقى لا يدرى ما يصنع واخذه هيمان مثل السكران فى ذلك النور واصابه الوجد فاخذ يميل ذات اليمين وذات الشمال واستفرغه الحال وكان تمايله كتمايل السراج اذا هب عليه نسيم رقيق لا يطفئه وكان سبب الهيمان سماع ايقاع تلك الاقلام وصريفها اى صوتها فى الالواح فاعطت من النغمات المستلذة ما اداه الى ماذ كرنا من سريان الحال فيه وحكمه عليه فتقوى بذلك الحال فعلم ان الرفرف ما تدلى له الا لكون البراق له مكان لا يتعداه كجبريل عليه السلام لما بلغ الى المكان الذى لا يتعداه وقف فلوان الحق تعالى اراد لجبريل الصعود فوق ذلك المقام لما صعد الا معه ولا مثل ما حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عروجه انما كان لعروج البراق بحكم التبعية والحركة القسرية وكذلك المقام الرفرفى لما وصل الى مقام لا يتعداه الرفرف زج به فى النور فغمره النور من جميع نواحيه كما بسطه الشيخ فى الباب الرابع عشر وثلثمائة وسيأتى الكلام على عروج الملائكة فى مبحثها ان شاء الله تعالى ثم انه صلى الله عليه وسلم لما تقوى بالحال اعطاه الله تعالى فى نفسه علما علم به ما لم يكن يعلمه قبل ذلك عن وحى من حيث لا يدرى وجهته فطلب الاذن فى الرؤية بالدخول على حضرة ربه الخاصة فرأى صوتا يشبه صوت ابى بكر وهو يقول يا محمد قف ان ربك يصلى فراعه ذلك الخطاب وقال فى نفسه اربى يصلى فلما وقع فى نفسه هذا التعجب من هذا الخطاب وانس بصوت ابى بكر رضى الله عنه فتلا عليه هو الذى يصلى عليكم وملائكته فعلم عند ذلك ما هو المراد بصلاة الحق تعالى فلما فرغ تعالى من الصلاة مثل قوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان مع انه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولكن لما كان لخلقه لاصناف العالم ازمنة مخصوصة وامكنة مخصوصة لا يتعدى بها زمانها ولا مكانها لما سبق فى علمه ومشيئته صح قوله تعالى سنفرغ لكم من هذه الحيثية اى فان ربك قد سبق فى علمه انه لا يجمع بين شغلين ترتب احدهما على الآخر فى آن واحد وظهر بذلك شدة الاعتناء برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقيمه فى مقام التفرغ له بحكم التنزل الالهى المعقول فهو تنبيه على العناية به والله اعلى واجل فى نفس نبيه صلى الله عليه وسلم من ذلك ثم امر صلى الله عليه وسلم بالدخول لتلك الحضرة الشريفة فاوحى الله تعالى اليه فى تلك الحضرة ما اوحى ورأى عين ما كان يعلم لا غير وما تغيرت عليه صلى الله عليه وسلم صورة اعتقاده وذكر الشيخ رجوعه عليه الصلاة والسلام من تلك الحضرة ومراجعته لموسى فى شأن الصلوات الى ان قال ثم ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى وانصرف نازلا الى الارض قبل طلوع الشمس * قال الشيخ وكان هذا الاسراء بجسمه الشريف ولو كان الاسراء بروحه صلى الله عليه وسلم ويكون رؤيا رآها كما يرى النائم فى نومه ما انكره احد من قريش ولا نازعه فيه وانما انكروا عليه كونه اعلمهم ان الاسراء كان بجسمه الشريف فى تلك المواطن التى دخلها كلها (فان قلت) فكم كانت اسراآته صلى الله عليه وسلم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع عشر وثلثمائة انها كانت اربعة وثلاثين مرة واحدة بجسمه والباقى بروحه رؤيا رآها قال ومما يدلك على ان الاسراء ليلة فرض الصلاة كان بالجسم ما ورد فى بعض طرق الحديث انه صلى الله عليه وسلم استوحش لما زج به فى النور ولم ير معه احدا اذ الارواح لا توصف بالوحشة ولا بالاستيحاش قال وكذلك مما يدل على ان الاسراء كان بجسمه ما وقع له من العطش فان الارواح المجردة لا تعطش (قال) وانما سمع صوت ابى بكر تأنيسا له وقد اعطت المعرفة بان الانس لا يكون الا بالمناسب ولا مناسبة بين الحق تعالى وبين عبيده وان اضيف الى الحق المؤانسة فانما ذلك

الغلبية * قال ولما كان تجلى الحق تعالى فى الثلث الآخر من الليل يعطى العلوم والمعارف اكثر مما يعطى الثلث الاول والاوسط كان علم اهل الثلث الآخر من مدة عمر هذه الامة اكمل واتم وذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله والكفر ظاهر لم يدع الصحابة الا الى الايمان خاصة ولم يظهر لهم شيأ من العلم المكنون وصار يترجم لهم عما انزل من القرآن بحسب ما يبلغه الى عموم ذلك القرن فكان الصحابة اتم فى مقام الايمان والتابعون اتم فى العلم وتابع التابعين اتم فى العمل * قال والحكمة فى كون الصحابة اقوى ايمانا ان نشأة الانسان فطرت على الحسد فلما بعث الهاشمى من جنسها لم يؤمن به الا من قوى على دفع ما فى نفسه من الحسد وحب الشفوف وهروبها من الدخول تحت حكم غيرها فكان ايمان الصحابة اقوى بهذا النظر لمشاهدتهم تقديم جنسهم عليهم وكان معظم اشتغالهم فيما يدفع سلطان الحسد الذى يقوم بهم وذلك مانع لهم من ادراك غوامض العلوم والاسرار فارتفعوا علينا بقوة الايمان ولكن جبر الله نقصنا باعطائه لنا التصديق بما نقل لنا عنهم من الشرع فحصل لنا درجة الايمان بالغيب الذى لا درجة للصحابة فيه ولا قدم فعلم انهم ما فضلونا الا بقوة الايمان والسبق واما فى العلم والعمل فقد

على وجه خاص يرجع الى الكون فافهم * قال الشيخ وانما خص ابو بكر بذلك لكونه كان يأنس به
في الارض فخر لذلك وانس به وتعجب من ذلك الصوت في ذلك الموطن لكونه جاءه من العلو وقد تركه
في الارض (فان قلت) فهل ثم في المعراج الى السماء بالجسم او الروح فائدة اخرى غير رؤية الآيات
(فالجواب) نعم منها انه اذا مر على حضرات الاسماء الالهية صار متخلقا بصفاتها فاذا مر على الرحيم كان
رحيما او على الغفور كان غفورا او على الكريم كان كريما او على الحليم كان حليما او على الشكور كان
شكورا او على الجواد كان جوادا وهكذا فما يرجع من ذلك المعراج الا وهو في غاية الكمال ومنها شهود
الجسم الواحد في مكانين في آن واحد كما رأى محمد صلى الله عليه وسلم نفسه في اشخاص بني آدم السعداء
حين اجتمع به في السماء الاولى كما مر وكذلك آدم وموسى وغيرهما فانهم في قبورهم في الارض حال
كونهم ساكنين في السماء فانه قال رأيت آدم رأيت موسى رأيت ابراهيم واطلق وما قال رأيت روح
آدم ولا روح موسى فراجع صلى الله عليه وسلم موسى في السماء وهو بعينه في قبره في الارض قائما يصلي
كما ورد فيا من يقول ان الجسم الواحد لا يكون في مكانين كيف يكون ايمانك بهذا الحديث فان
كنت مؤمنا فقلد وان كنت عالما فلا تعترض فان العلم يمنعك وليس لك الاختبار فانه لا يختبر الا الله
وليس لك ان تتأول ان الذي في الارض غير الذي في السماء لقوله عليه الصلاة والسلام رأيت موسى
واطلق وكذلك سائر من رآه من الانبياء هناك فالمسمى موسى ان لم يكن عينه فالاخبار عنه كذب انه
موسى هذا والمعترض يقول رأيتك البارحة في النوم ومعلوم ان المرئي كان في منزله على حالة غير الحالة
التي رآه عليها ولكن في موطن آخر ولا يقول له رأيت غيرك ثم ان المعترض ينكر على الاولياء مثل هذا في
تطوراتهم وقد كان قضيب البان يتطور فيما شاء من الصور في اماكن متعددة وكل صورة خوطب فيها
اجاب ان الله على كل شئ قدير ذكره الشيخ في الباب الرابع والسبعين ومائتين * وقال في الباب السابع
والاربعين اعلم ان العبد محمول بالقدرة الالهية في جميع احواله لا استقلال له بشئ ولهذا ما اسري برسول
قط الا على براق اذا كان الاسراء بالجسم المحسوس فان كان الاسراء به في النوم كما يقع للاولياء فقد يرى
نفسه محمولا على مركب وقد لا يرى نفسه محمولا لكن يعلم انه محمول في الصورة التي يرى نفسه فيها اذ قد
علمنا ان جسمه في فراشه وفي بيته نائم (فان قلت) فهل يكون الوارث للانبياء عليهم الصلاة والسلام
له في هذه المرتبة فيكون محمولا بالقدرة على الكشف والشهود في جميع احواله (فالجواب) نعم ولذلك
قال تعالى في حق سيد العبيد على الاطلاق محمد صلى الله عليه وسلم سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام فاقامه في العبودية المطلقة ونزعه من الدعوى في الربوبية على شئ من العالم وجرده عن كل
شئ حتى عن الاسراء وجعله يسرى به وما اضاف السرى اليه فانه لو قال سبحان الذي دعا عبده لأن
يسري اليه والى رؤية آياته فسرى لكان له ان يقول ذلك ولكن المقام منعه ان يقول فجعله مجبورا
لا حظ له في الدعوى في فعل من الافعال * ومنها أي من فوائد الاسراء ايضا التنويه بشرف مقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومدحه نظير مدحه تعالى بالاستواء على العرش والثناء بذلك على نفسه فان
العرش اعظم الاجسام لاحتوائه على جميع الموجودات فما فوقه سقف في العلو ولا ارض في السفل
وانما خص الاستواء به لانه غاية مطمح ابصار المؤمنين واما العارفون من الانبياء وكمل اتباعهم فيرون
هذا العرش بالنسبة لاتساع الوجود كالذرة الطائرة في الهواء ليس لها سقف ترسي عليه ولا ارض تنزل
عليها فسبحان من لا يعرف قدره غيره وفي كلام سيدي علي بن وفا رحمه الله يصف حاله

وقد نفذت من الاقطار اجمعها * وقد تجاوزت حد الخفض والرفع

وقال ايضا ليس الرجل من يقيده العرش وما حواه من الافلاك والجنة والنار وانما الرجل من

يساويهم غيرهم في ذلك وأطال في ذلك * ثم قال فالحمد لله جاءينا في الزمن الاخير وجبر قلوبنا بالتصديق وعدم الشك والتردد فيما اوجدناه منقولا في اوراق سوادا في بياض ولم نطلب على ذلك دليلا ولا ظهور آية ولو اننا جئنا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا نعرف كيف يكون حالنا عند مشاهدته صلى الله عليه وسلم هل كان يغلب علينا داء الحسد فلا نطيعه أم نغلب نحن نفوسنا ونطيعه فكفانا الله ذلك فله الحمد على كل حال * وقال في الباب السابع والاربعين وثلثمائة في الكلام على العندية الالهية في نحو قوله تعالى وما عند الله باق وفي قوله آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وقال وعنده مفاتح الغيب وفي الحديث صفوا كما تصف الملائكة عند ربها * وقال تعالى ان الله عنده علم الساعة وقال وان من شئ الا عندنا خزائنه اعلم ان هذه العندية اختلفت اضافاتها بحسب ما اضيف اليه من اسم وضمير وكناية وهي ظرف ثالث فانه ليس بظرف زمان ولا ظرف مكان مخاص بل ما هو ظرف مكان جملة واحدة على الاطلاق قال وكذلك في قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فجعل لنا عندية وما هي ظرف مكان في حقنا قال ما رأيت احدا من اهل الله نبه على هذه الظرفية الثالثة

تقذ بصره الى خارج هذا الوجود كله وهنالك يعرف قدر عظمة موجده سبحانه وتعالى انتهى * وقال الشيخ في الباب السادس عشر وثلثمائة اعلم انه لما كان الاستواء على العرش تمدحا لله عز وجل جعل الله تعالى لنبيه كذلك نسبة على طريق التمدح عليه حيث كان العرش أعلى مقام ينتهي اليه من أسرى به من الرسل عليهم الصلاة والسلام قال وهذا يدل على ان الاسراء كان بجسمه صلى الله عليه وسلم ولو كان الاسراء رؤيا رآها لما كان الاسراء ولا الوصول الى هذا المقام تمدحا ولا وقع من الاعراب في حقه انكار على ذلك لان الرؤيا يصل الانسان فيها الى مرتبة رؤية الله تعالى وهي اشرف الحالات ومع ذلك فليس لها ذلك الموقع من النفوس اذ كل انسان بل كل حيوان له قوة الرؤيا قال وانما قال صلى الله عليه وسلم على سبيل التمدح حتى ظهرت لمستوى سمعت فيه صريف الاقلام وانى يعرف الغاية الذي هو حتى اشارة لما قلناه من أن منتهى السير بالقدم المحسوس العرش والله تعالى اعلم

(خاتمة) ذكر الشيخ في الباب العاشر ومائة ما نصه (فان قيل) ما الفرق بين تنزل الوحي على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبين تنزله على الاولياء في المنام على يد ملك الالهام (فالجواب) الفرق بينهما ان تنزل الوحي على النبي يكون على قلبه وعلى صدره لكون نبوته مشهودة له واما تنزله على الاولياء فيكون بين جنبيهم من وراء حجبهم لان نبوتهم مستورة عنهم فالوحي لهم في الظهر لا في الظهور والى ذلك الاشارة بقول بعض العارفين لم يمت ابو يزيد البسطامي حتى استظهر القرآن اي من الله تعالى عليه بفهم معانيه كلها من طريق الالهام بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم. من استظهر القرآن هكذا فقد أدرجت النبوة بين جنبيه واطال في ذلك وسيأتي بسط ذلك زيادة على ذلك في مباحث الولاية ان شاء الله تعالى والله تعالى اعلم

(المبحث الخامس والثلاثون في كون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين كما صرح به القرآن)

اعلم ان الاجماع قد انعقد على انه صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين كما انه خاتم النبيين وان كان المراد بالنبيين في الآية هم المرسلين وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والستين واربعمائة من الفتوحات قد ختم الله تعالى بشرع محمد صلى الله عليه وسلم جميع الشرائع فلا رسول بعده يشرع ولا نبي بعده يرسل اليه بشرع يتعبد به في نفسه انما يتعبد الناس بشرعه الى يوم القيامة (قلت) واما اجتهاد الائمة وتشريعهم في الاحكام فذلك باذنه مع ان مادتهم في الاستنباط انما هو شرعه صلى الله عليه وسلم الثابت كتابا كان او سنة وأعني بالسنة هنا الحديث ويلحق بالسنة كل حكم صدر عن المجتهد من قياس فرع على اصل فانه من السنة ايضا وهو المراد بالاستنباط واما قياس فرع على فرع فلا يقول به الا المقلدون للائمة فانهم جعلوا قياس الفرع على الاصل اصلا رابعا كما جعلوا الاجماع اصلا ثالثا وقالوا ان الائمة لا تجمع على امر الا وهم يعرفون له دليلا وان لم يذكروه ولنا فنحن نقطع بتحريم خرق اجماع الائمة سواء اعلمنا لهم دليلا في ذلك ام لم نعلم والله اعلم * وقال في الباب الرابع عشر من الفتوحات اعلم ان حقيقة النبي الذي ليس برسول هو شخص يوحي الله اليه بأمر يتضمن ذلك شريعة يتعبد بها في نفسه فان بعث بها الى غيره كان رسولا ايضا واطال في ذلك ثم قال واعلم ان الملك يأتي النبي بالوحي على حالين تارة ينزل بالوحي على قلبه وتارة يأتيه في صورة جسدية من خارج فيلقي ما جاء به الى ذلك النبي على اذنه فيسمعه او يلقيه على بصره فيبصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء قال وهذا باب اغلق بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم فلا يفتح لاحد الى يوم القيامة ولكن بقي للاولياء وحي الالهام الذي لا تشريع فيه انما هو بفساد حكم قال بعض الناس بصحة دليله ونحو ذلك

حتى يعرف ماهي فعجب من العلماء كيف غفلوا عن تحقيق هذه العندية التي اتصف بها الحق والانسان وأطال في ذلك ثم قال

فعندية الرب معقولة
وعندية الهو لا تعقل
وعندية الله مجهولة
وعندية الخلق لا تجهل
وليس هما عند ظرفية
وليس لها غير مهمل

قال والضمير في قوله لها يعود على الظرفية وفي قوله هما يعود على عندية الحق والخلق والله أعلم *وقال في الباب الثامن والاربعين وثلثمائة في قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية اعلم ان الشجرة التي توقد منها المصباح مثال لهويته تعالى فان هويته تعالى لا هي شرقية ولا هي غربية ولا تقبل الجهات والزيتونة هنا هي مادة الزيت الذي هو المادة للنور وكنى عن الهوية بالشجرة لان الشجرة مأخوذة من التشاجر وهو التضاد لان الهوية حاملة للاسماء المتقابلة كلها كالمعز والمذل والنافع والضار فانظر يا أخي ما أكمل العبارات الالهية في الاخبار بما هو الامر عليه وأطال في ذلك * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك اعلم ان في هذا الحديث اشارة الى أمة الاختصاص وهم الاولياء المحمديون خاصة فمن زاد على سبعين سنة فما هو محمدي المقام وانما هو وارث ان شاء الله

فيعمل به في نفسه فقط قال ولو ان الوحي على لسان جبريل عليه السلام كان باقيا بعد محمد صلى الله عليه وسلم لكان عيسى عليه السلام اذا نزل لا يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشرعه الذي يوحى به اليه جبريل واطال في ذلك * وقال في الباب العاشر وثلثمائة اعلم ان الوحي لا ينزل به الملك على غير قلب نبي اصلا ولا يأمر غير نبي بأمر الهي جملة واحدة فان الشريعة قد استقرت وتبين الفرض والواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح فانقطع الامر الالهي بانقطاع النبوة والرسالة وما بقي احد من خلق الله تعالى يأمره الله بأمر يكون شرعا يتعبد به ابدا فانه ان امره بفرض كان الشارع امره به واخطأ هو في ادعائه نبوة قد انقطعت او نهاه عن حرام كان الشارع نهاه عنه او أمره بمندوب كان الشارع ندبه اليه او نهاه عن مكروه كان الشارع كرهه له فان قال ان الله امرني بفعل المباح قلنا له لا يخلو ان يرجع ذلك المباح واجبا في حقك او مندوبا وذلك عين نسخ الشرع الذي انت عليه حيث صيرت بالوحي الذي زعمته المباح الذي قرره الشارع مباحا مأمورا به يعصى العبد بتركه وان ابقاه مباحا كما كان في الشريعة فأي فائدة لهذا الامر الذي جاء به ملك وحي هذا المدعي فان قال لم يجئني بذلك ملك وانما امرني الله تعالى به من غير واسطة قلنا له هذا اعظم من الاول فانك اذن ادعيت ان الله تعالى كلمك كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام ولا قائل بذلك لا من علماء النقل ولا من علماء الذوق ثم انه تعالى لو كلمك او قال لك ما كان يلقي في كلامه الا علوما واخبارا لا احكاما ولا شرعا ولا يأمرك بأمر جملة واحدة انتهى * وقال الشيخ ايضا في الباب الحادي والعشرين من الفتوحات من قال ان الله تعالى أمره بشيء فليس ذلك بصحيح انما ذلك تلبيس لان الامر من قسم الكلام وصفته وذلك باب مسدود دون الناس فانه ما بقي في الحضرة الالهية امر تكليفي الا وهو مشروع فما بقي للاولياء وغيرهم الا سماع امرها ولكن لهم المناجاة الالهية وتلك لا أمر فيها وانما هو حديث وسمر وكل من قال من الاولياء انه مأمور بأمر الهي في حركاته وسكناته مخالف لامر شرعي محمدي تكليفي فقد التبس عليه الامر وان كان صادقا فيما قال انه سمعه فليس ذلك عن الله وانما هو عن ابليس فظن انه عن الله لان ابليس قد اعطاه الله تعالى ان يصور عرشا وكرسيا وسماء ويخاطب الناس منه كما مر في مبحث خلق الجن انتهى وسيأتي بسط ذلك في مبحث الولاية ان شاء الله تعالى فقد بان لك ان ابواب الاوامر الالهية والنواهي قد سدت وكل من ادعاها بعد محمد صلى الله عليه وسلم فهو مدع شريعة أوحي بها اليه سواء وافق شرعنا او خالف فان كان مكلفا ضربنا عنقه والا ضربنا عنه صفحا (فان قيل) فهل كان قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحجير في ادعاء النبوة (فالجواب) لم يكن في ادعائها تحجير ولذلك قال العبد الصالح خضر عليه الصلاة والسلام وما فعلته عن امري فان زمانه اعطى ذلك وهو على شريعة من ربه أوحي اليه بها على لسان ملك الالهام وقيل بلا واسطة وقد شهد له الحق تعالى بذلك عند موسى وعندنا وزكاه واما اليوم فالياس والخضر عليهما الصلاة والسلام على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم اما بحكم الوفاق او بحكم الاتباع وعلى كل حال فلا يكون لهما ذلك الا على سبيل التعريف لا على طريق النبوة وكذلك عيسى عليه الصلاة والسلام اذا نزل الى الارض لا يحكم فينا الا بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه الحق تعالى بها على طريق التعريف وان كان نبيا انتهى واعلم ان امر الحق عز وجل حكمه العموم الا ان يخصه دليل وقد قال تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول فلم يجعل لاحد بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ان يخالف شرعه انما اوجب عليه الاتباع وجعل لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يشرع فيأمر وينهى واما قوله تعالى وأولوا الامر منكم فالمراد بطاعتنا لهم فيما اذا امرونا بمباح او نهونا عنه لا انهم يشرعون لنا شريعة تخالف شرع محمد الثابت فاذا امرونا بمباح او نهونا عنه فاطعناهم فقد أجرنا في ذلك أجر من أطاع امر الله

تعالى

لهز الانبياء من آدم عليه السلام الى خالد بن سنان عليه السلام وأطال في ذلك * وقال في حديث السبعين الذين يدخلون الجنة بغير حساب أي لم يكن ذلك في حسابهم ولا تخيلوه فبدا لهم من الله خير لم يكونوا يحتسبونه وأطال في شرح كلمات الحديث * وقال التجلي الرباني في الليل على ثلاثة أقسام وكذلك تجليه في النهار فيتجلى تعالى في الثلث الاول من الليل للارواح المهيمة وفي الثلث الاوسط للارواح المسخرة وفي الثلث الآخر للارواح الطبيعية المدبرة للاجسام العنصرية وأما النهار فيتجلى تعالى في الثلث الاول منه للاجسام اللطيفة التي لا تدركها الابصار وفي الثلث الاوسط للاجسام الشفافة وفي الثلث الآخر للاجسام الكثيفة وأطال في ذلك وتقدم نحو ذلك في أجوبة شيخنا رضي الله عنه * وقال الشمس غير غائبة عن الارض في طلوعها وغروبها وانما تطلع وتغيب عن العالم الذي فيها والظلام الحادث في الارض انما هو اتصال ظلالات ما فيها من العالم فهو على الحقيقة ظل والناس يسمونه ظلاما ومن لا كشف له يسميه ظل الارض لما هي عليه من الكثافة والدهر من حيث عينه يوم واحد لا يتجدد ولا ليل له ولا نهار الله نور السموات والارض أي منورهما وذلك النور مستمر غير منقطع فافهم

تعالى فيما اوجبه من امر ونهي وهذا من كرم الله تعالى بنا ولا يشعر به غالب الناس بل ربما استهزؤا به والله اعلم * وقال الشيخ في الباب الثامن والثلاثين من الفتوحات لما اغلق الله باب الرسالة بعد محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك من اشد ما تجرعت الاولياء مرارته لانقطاع الوحي الذي كان به الوصلة بينهم وبين الله تعالى فانه قوت ارواحهم انتهى * وقال في الجواب الخامس والعشرين من الباب الثالث والسبعين اعلم ان النبوة لم ترتفع مطلقا بعد محمد صلى الله عليه وسلم وانما ارتفع نبوة التشريع فقط فقوله صلى الله عليه وسلم لانبي بعدي ولا رسول بعدي اي ما ثم من يشرع بعدي شريعة خاصة فهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ولم يكن كسرى وقيصر الاملك الروم والفرس وما زال الملك في الروم ولكن ارتفع هذا الاسم فقط مع وجود الملك فيهم وسمي ملكهم باسم آخر غير ذلك وقد كان الشيخ عبد القادر الجيلي يقول اوتي الانبياء اسم النبوة واوتينا اللقب اي حجر علينا اسم النبي مع ان الحق تعالى يخبرنا في سرائرنا بمعاني كلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ويسمى صاحب هذا المقام من انبياء الاولياء فغاية نبوتهم التعريف بالاحكام الشرعية حتى لا يخطئوا فيها لا غير انتهى (فان قلت) فما الحكم في تشريع المجتهدين (فالجواب) ان المجتهدين لم يشرعوا شيأ من عند انفسهم وانما شرعوا ما اقتضاه نظرهم في الاحكام فقط من حيث انه صلى الله عليه وسلم قرر حكم المجتهدين فصار حكمهم من جملة شرعه الذي شرعه فانه صلى الله عليه وسلم هو الذي أعطى المجتهد المادة التي اجتهد فيها من الدليل ولو قدر ان المجتهد شرع شرعا لم يعطه الدليل الوارد عن الشارع رددناه عليه لانه شرع لم يأذن به الله والله اعلم

(خاتمة) مما يؤيد كون محمد صلى الله عليه وسلم افضل من سائر المرسلين وانه خاتمهم وكلهم يستمدون منه ما قاله الشيخ في علوم الباب الاحد والتسعين واربعمائة من انه ليس لاحد من الخلق علم يناله في الدنيا والآخرة الا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم سواء الانبياء والعلماء المتقدمون على زمن بعثته والمتأخرون عنها وقد اخبرنا صلى الله عليه وسلم بانه أوتي علم الاولين والآخرين ونحن من الآخرين بلا شك وقد عمم محمد صلى الله عليه وسلم الحكم في العلم الذي أوتيه فشمل كل علم منقول ومعقول ومفهوم وموهوب فاجهد يا اخي ان تكون ممن يأخذ العلم بالله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانه اعلم خلق الله بالله على الاطلاق واياك ان تخطئ أحدا من علماء أمته من غير دليل وهذا امر نبهتك عليه فاحتفظ به ولا تقل حجرت واسعا وتقول قد يعطي الله تعالى عبده من الوجه الخاص الذي بين كل مخلوق وبين ربه عز وجل من غير واسطة محمد صلى الله عليه وسلم ما شاء من العلوم بدليل قصة الخضر عليه السلام مع موسى الذي هو رسول زمانه لانا نقول نحن ما حجرنا عليك ان لا تعلم مطلقا وانما حجرنا عليك ان لا يكون لك علم ذلك الا من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم شعرت بذلك ام لم تشعر قال الشيخ ووافقنا على ذلك الامام ابو القاسم بن قسي في كتابه خلع النعلين وهو من روايتنا عن ابنه عنه بتونس سنة تسعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

(المبحث السادس والثلاثون في عموم بعثة محمد صلى الله عليه وسلم الى الجن والانس وكذلك الملائكة على ما سيأتي فيه وهذه فضيلة لم يشركه فيها احد من المرسلين)

وقد ورد في صحيح مسلم وغيره وارسلت الى الخلق كافة وفسروه بالانس والجن كما فسروا بهما ايضا من بلغ في قوله تعالى واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ اي بلغه القرآن وكما فسروا بذلك ايضا العالمين في قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا قاله الجلال المحلي

* وقال لا تقوم الساعة حتى يظهر الكشف في الخاص والعام كلما قربت الساعة كان الكشف في الناس أكمل وأتم * وقال يخرج النيل والفرات من أصل سدرة المنتهى فيمشيان الى الجنة ثم يخرجان منها الى دار الجلال فيظهر النيل من جبل القمر ويظهر الفرات من أردن الروم وهما في غاية الحلاوة وانما تغير طعمهما عما كانا عليه في الجنة من مزاج الارض فاذا كان يوم القيامة عادا الى الجنة (قلت) ومن أين يشرب الناس من حين قيامهم من قبورهم الى دخول الجنة أم لا احد يشرب حتى يدخل الجنة او يرد الحوض فمن وجد شيأ فليلحقه بهذا الموضع والله عليم خبير * وقال في قوله ان احسنت أمتي فلها يوم وان أساءت فلها نصف يوم يعني من أيام الرب الذي هو كالف سنة مما تعدون والمراد باحسانها نظرها الى العمل بشريعة نبيها صلى الله عليه وسلم وانما قال صلى الله عليه وسلم ان احسنت وان أساءت ولم يقطع بشيء لعلمه صلى الله عليه وسلم ان احوال امته بين حكم الاسم الخاذل والناصر وليس ليومهما مقدار معلوم عندنا بل ميزانه لا يعلمه الا الله (قلت) وقد أحسنت ولله الحمد وجاوزت الخمسمائة سنة المحسوبة من ولاية معاوية فالحمد لله رب العالمين * وقال في الباب التاسع والاربعين وثلثمائة قد جمع الله بيني وبين جميع أنبيائه

رحمه الله (فان قلت) فهل تكليف الجن بالشرائع المنزلة من عند الحق تعالى تكليف الزمهم به الحق تعالى ابتداء او الزموا به انفسهم ايثار كونا فى الفضائل فالزمهم الحق تعالى به كالنذر (فالجواب) قد أورد هذا السؤال الشيخ فى الباب السادس والستين وثلثمائة وقال لا أدرى انتهى فمن ظفر فى ذلك بنقل فليلحقه بهذا الموضع من هذا الكتاب واختلفوا فى الملائكة هل ارسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أم لا فنقل البيهقى فى الباب الرابع من شعب الايمان عن الحليمى انه صرح بانه صلى الله عليه وسلم لم يرسل الى الملائكة ثم انه نقل عن الحليمى ايضا فى الباب الخامس عشر بانفكاكهم عن شرعه وفى تفسير الرازى والبرهان النسفى حكاية الاجماع فى تفسير الآية الثانية السابقة آنفا على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولا اليهم * قال الشيخ كمال الدين بن ابى شريف فى حاشيته وفى نقل البيهقى ذلك عن الحليمى اشعار بالتبرى من عهدته وبتقدير أن لا اشعار فيه فلم يصرح بأنه مرضى عنده قال واما الحليمى فانه وان كان من اهل السنة فقد وافق المعتزلة فى تفضيل الملائكة على الانبياء وما نقل عنه هنا اى من انه لم يرسل الى الملائكة موافق لقوله بافضلية الملائكة فلعله بناه عليه واطال الشيخ كمال الدين فى ذلك ثم قال ومع ذلك فالاليق بالعلماء الوقف عن الخوض فى هذه المسئلة على وجه يتضمن دعوى القطع فى شئ من الجانبين انتهى (قلت) والحاصل ان كلام الاصوليين يرجع الى قولين الاول انه ارسل الى الملائكة والثانى لم يرسل اليهم والذى صححه السبكى وغيره انه أرسل اليهم وزاد البارزى رحمه الله انه ارسل الى الحيوانات والجمادات والشجر والحجر ذكره الجلال السيوطى فى اوائل كتاب الخصائص ونقل فيها ايضا عن السبكى انه كان يقول ان محمد صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء فهو كالسلطان الاعظم وجميع الانبياء كامراء العساكر ولو ادركه جميع الانبياء لوجب عليهم اتباعه اذ هو مبعوث الى جميع الخلق من لدن آدم الى قيام الساعة فكانت الانبياء كلهم نوابه مدة غيبة جسمه الشريف وكان كل نبي يبعث بطائفة من شرعه صلى الله عليه وسلم لا يتعداها انتهى * وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول كان صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الخلق اجمعين فى عالم الارواح والاجسام من لدن آدم الى قيام الساعة (وسمعته) يقول الملائكة على ثلاثة اقسام (قسم) ارسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم بالامر والنهى معا وهم الملائكة الارضيون وما بين الارض والسماء الاولى (وقسم) ارسل اليهم بالامر فقط وهم ملائكة السموات فانهم لا يذوقون النهى طعما انما هم فى الامر فقط قال تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون (وقسم) لم يرسل اليهم اصلا لا بامر ولا نهى وهم الملائكة العالون المشار اليهم بقوله تعالى لابليس استفهام انكار أستكبرت أم كنت من العالين فان هؤلاء الملائكة عابدون لله تعالى بالذات التى جبلهم عليها لا يحتاجون الى رسول بل هم مهيمون فى جلال الله تعالى لا يعرفون ان الله تعالى خلق آدم ولا غيره انتهى فليتأمل القسم الاول ويحرر فانه غريب فى كلامهم والله أعلم (وسمعته) مرة اخرى يقول ملائكة الارض الى السماء الاولى غير معصومين لان محمدا صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم بالنهى ولا يرسل نبي الى احد بالنهى الا ان كان يتصور وقوعه فيه فان المعصوم لا يحتاج الى رسول ولذلك لم يرسل قط نبي الى نبي ومن سمى ملائكة الارض جنا فهو صحيح لاستتارهم عن العيون قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا فقالوا انها بنات الله تعالى عن ذلك قال ومما يؤيد عدم عصمة ملائكة الارض وقوع النزاع منهم فى قصة آدم عليه الصلاة والسلام بقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فانهم لم يقولوا ذلك الا عن ذوق وقع لهم فى الارض قبل آدم ولولا ذوقهم لذلك ما اهتدوا للاعتراض عليه انتهى وعلم من كلامه سابقا ولاحقا ان من قال انه أرسل الى الملائكة مطلقا بالامر والنهى معا فما حقق الامر ومن قال لم يرسل

اليهم

فى واقعة حتى لم يبق أحد منهم الا ورأيته وعرفته وكذلك جمعنى تعالى على و و ثهم من الاولياء وعرفتهم وهم لا ينقصون فى كل عصر عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا واطال فى ذلك * وقال فى الباب الحادى والخمسين وثلثمائة قد ذهب بعض العلماء الى ان الاكراه على الزنا لا يصح وذلك لان الآلة لا تقوم الا بسريان الشهوة وحكمها فيه قال وعندنا انه مجبور فى مثل هذا مكره على ان يريد الوقاع ولا يكون الوقاع الا بعد الانتشار ووجود الشهوة وحينئذ يعصم نفسه من أذى المكره له على ذلك لتوعده له بقتل أو ضرب أو حبس ان لم يفعل فصح الاكراه فى مثل هذا باطن بخلاف الكفر فانه يقنع فيه بالظاهر وان خالفه الباطن فالزانى يشتهى ويكره تلك الشهوة من حيث ايمانه ولولا ان الشهوة ارادة بالالتذاذ لقلنا انه غير مريد لما اشتهاه وانشد

من يشتهى الامر قد تراه
غير مريد لما اشتهاه
لكنه اضطر فاشتهاه
فى ظاهر الامر اذ رآه

* وقال فى الباب الرابع والخمسين وثلثمائة من أدب العارف بالله تعالى اذا أصابه ألم أن يرجع الى الله تعالى بالشكوى كرجوع أيوب عليه السلام إذ بأمر الله تعالى وإظهارا للعجز حتى لا يقاوم القهر الالهى كما يفعله أهل الجهل

بالله ويظنون أنهم أهل تسليم وتفويض وعدم اعتراض فيجمعوا بين جهالتين وأطال فى ذلك * وقال فى الباب

اليهم مطلقا كذلك فما حقق الامر ومن فصل فى ذلك كما تقدم أصاب وهو كلام منزعه الكشف ولم أجده لغيره رحمه الله وقد ذكر القاشانى مايؤيد القول بعدم عصمة الملائكة الارضية فقال ان قيل كيف وقع من الملائكة نزاع واعتراض فى قصة آدم مع عصمتهم وقول الله تعالى صدق قطعا (فالجواب) ان هذا النزاع لم يقع من ملائكة الجبروت والسموات لعصمتهم وانما وقع ذلك من ملائكة الارض ومابينها وبين السماء لكونهم لاعصمة عندهم فان ملائكة الجبروت والسموات اغلبة النورانية عليهم واحاطتهم بالمراتب يعرفون شرف مقام الانسان الكامل وعلو رتبته عليهم عند الله تعالى ولم يأت لنا فى كتاب ولاسنة تصريح بأن هذا النزاع وقع من الملائكة السماوية والارضية وانما أخذنا ذلك من معرفة العناصر حين رأينا أهل كل عنصر تحت حكم عنصرهم من نور أو ظلمة فقلنا ان النزاع وقع من ملائكة الارض لغلبة الظلمة عليهم والطبيعة الموجبة للحجاب قال ويؤيد ذلك الاشارة بتخصيص الارض بالذكر فى قوله انى جاعل فى الارض خليفة فما وقع منهم النزاع الا من علمهم بأحوال أهل الارض فان الملائكة السماوية لا يفسدون ولا يسفكون الدماء بل ليس لاحد منهم دم فى جسمه يسيل أبدا وأطال فى ذلك ثم قال فقد بان لك ان الاعتراض والطعن فى آدم لم يصدر من ملائكة الجبروت اذ النزاع لا يكون الا ممن ركب من الطبائع الاربع لما فيها من التضاداد المتكون منها الا يكون الا على حكم الاصل انتهى قال بعضهم ولعل مراده بهؤلاء الملائكة القاطنين بين السماء والارض نوع من الجن سماهم ملائكة اصطلاحا له (فان قيل) قد وصف الله تعالى الملأ الاعلى بالخصام فى قوله ما كان لى من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون وفى قوله فى الحديث قلت يارب فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الفتوحات ان خصام هؤلاء ليس هو فى الاعتراض على أحكام الله وتقديره فى خلقه وانما خصامهم فى بيان الافضل من الاعمال كما صرح به الحديث وذلك حتى انهم يتبادرون الى بنى آدم يدعونهم بلسانهم ويرغبونهم فى فعل ما فيه الاجر العظيم من الاعمال حتى يقدموه على غيره من غير التفات الى غيره مما أجره يسير فهم كالرجلين المتناظرين فى مسائل الحيض التى لانصيب فيها للرجال (فان قيل) فهل هم فى هذا الخصام مسبحون لله تعالى به لكونهم قد وصفهم الله تعالى بأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وذلك لزوال الملل (فالجواب) نعم هم مسبحون لله تعالى بذلك الخصام وهو من جملة تسبيحهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ومعلوم انه كان يتحدث مع الاعراب ويمزح مع الاطفال والعجائز وهو فى ذلك ذاكر لله تعالى لا يتحرك ولا يسكن الا فى أمر مشروع (فان قلت) فهل ذلك المقام لكل كامل بعده صلى الله عليه وسلم (فالجواب) نعم لان الله تعالى ما شرع لعباده امرا الا ليشهدوه تعالى حال العمل بذلك الامر فمنهم من وفى بذلك المقام ومنهم من أتى بعباداته مع الغفلة (فان قلت) فهل يلحق خصام أرباب المذاهب بخصام الملائكة المذكورين فى الاجر والثواب (فالجواب) نعم لكن بشرط أن يكون الجدال والخصام بصريح السنة لا بالفهم وان يكونوا مخلصين فى عملهم لا يشوبهم غرض نفسانى فان قصدوا مغالبة الخصوم ورد أقوال مذاهبهم فذلك مذموم شرعا فان الله تعالى يقول ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومن سعى فى تفرقة لدين ولو باللازم فقد أضجعه من قيامه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجدال فى دين الله بغير نص وقال عندنا لا ينبغى التنازع وحكم تقرير العلماء شرعه من بعده فى الادب كحكم حضوره هم عنده سواء كما يعلم ذلك العلماء بالله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم

*(المبحث السابع والثلاثون فى بيان وجوب الاذعان والطاعة لكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الاحكام وعدم لاعتراض على شئ منه)

التاسع والخمسين وثلثمائة فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء الآية اعلم أن الانسان مجبول على حب من أحسن اليه لاجل احسانه وعلى استجلابه الود من اشكاله بالتودد اليهم ولما علم الله ان الانسان منطو على ماذكرناه لم يكتف تعالى بقوله لا تتخذوا عدوى فقط لعلمه أنا لا نقوم فى هذا النهى فى جانب الحق مقام من يخافه حتى قابل زاد تعالى وعدوكم ليبغضهم الينا بذلك بحبهم التى كانت عندنا ولا نؤثر هوانا على مرضاته تعالى قال وليس فى حقنا ذم فى القرآن أعظم من هذا فانه تعالى لو علم منا اننا نؤثره على هوانا الاكتفى بقوله عدوى وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الستين وثلثمائة فى قوله صلى الله عليه وسلم لما قيل له هل رأيت ربك فقال نور أنى أراه فيه اشارة الى مباينة نور الحق لسائر الانوار فلا يدرك لاندراج نور الادراك فيه فلذلك لم يدركه مع ان من شأن النور ان يدرك ويدرك به كما ان من شأن الظلمة ان تدرك ولا يدرك بها قال واذا عظم النور ادرك ولم يدرك به لشدة لطافته ثم انه لا يكون ادراك قط الا بنور من المدرك لا بد من ذلك عقلا

اعلم انه يجب على كل مؤمن ان ينشرح لكل ماشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقد ذكر الشيخ محيي الدين اواخر الحج من الفتوحات مانصه اياك ان ترى امورا قد اباحها الشارع صلى الله عليه وسلم فتكره ذلك ويقع فى نفسك من فعلها حزازة وتقول لو ان الحكم لى فيها لحجرتها وحرمتها على الناس فترجح نظرك فى ذلك على نظر الشارع وتجعل نفسك ارجح ميزانا منه وتنخرط فى سلك الجاهلين قال وهذا واقع كثيرا من بعض الناس الذين لم يماوسوا الادب مع الشارع صلى الله عليه وسلم فيغضب على الناس اذا فعلوا بعض المباحات التى أباحها الشارع ويقول اذا عجز عن كف الناس عنها اى شئ اصنع هذا قد أباحه الشارع ومن يقدر يتكلم فتراه يصبر على حنق وكره فى نفسه استعمال الناس شرع ربهم وهذا من اعظم مايكون من سوء الادب وصاحبه ممن اضله الله على علم قال وقد ظهر ذلك من بعض الناس فى العصر الاول واما اليوم فقد فشا فى غالب الناس ويقولون لو أدرك ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لمنع الناس منه ونحن نعلم ان الشارع هو الله تعالى ولا يعزب عن علمه شئ ولو كانت اباحة ذلك الامر خاصة بقوم دون آخرين لبينها تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله احكامه فيما أراده الله تعالى لا ينطق قط عن هوى نفسه ولا ينسى شيأ مما امره بتبليغه ان هو الا وحى يوحى وما كان ربك نسيا وماقرره تعالى من الشرائع الا ماتقع به المصلحة فى العالم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ومهما زيد فيه او نقص منه اولم يعمل بما قرره الشارع فقد اختل نظام المصلحة المقصودة للشارع فيما نزله وقرره من الاحكام وقد عاب بعض اكابر الصحابة على عائشة رضى الله تعالى عنها فى قولها لو راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماصنع النساء بعده لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بنى اسرائيل لايهام هذا القول الاعتراض على الشارع وانه لم يعلم ان ذلك يقع من الناس واطال الشيخ محيي الدين فى ذلك ثم قال فعلم ان من سلك كمال الادب لا يجد قط فى نفسه حرجا مما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله قولا عاما اللهم الا ان يحصل من ذلك ريبة ظاهرة فلا منع من المنع واما على الظن والتوهم فلا فالعاقل لا ينبغى له ان يغار الا فى مواطن مخصوصة شرعها الحق تعالى له لا يتعداها وكل غيرة تعدت ذلك فهى خارجة عن حكم العقل منبعثة عن حكم الهوى فليس لانسان ان يغار على كشف زوجته وجهها فى الاحرام فان الله تعالى قد شرع لها ذلك واوجب عليها كشفه مع ان الله تعالى أغير من جميع خلقه كما فى الصحيح ان سعدا الغيور وأنا اغير من سعد والله أغير منى ومن غيرته انه تعالى حرم الفواحش ماظهر منها ومابطن فمن زاد على ماجعل الحق تعالى غيرته فيه من الفواحش فكانه ادعى انه أغير من الله تعالى لكونه غار على امر ليس هو بفاحشة عند الله تعالى وما احسن قوله تعالى ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو عرض الانسان حال ايمانه وادخله فى هذا الميزان لعلم انه بعيد عن مقام الايمان الذى ذكره الله تعالى فى قوله فلا وربك لا يؤمنون الى آخره فان الله تعالى نفى الايمان عمن هذه صفته واقسم بنفسه عليه انه ليس بمؤمن واطال الشيخ فى ذلك ثم قال ولولا تعلق الاغراض النفسانية مانزلت آية الحجاب فانها انما نزلت باستدعاء بعض النفوس واهل الله عز وجل يفرقون بين الحكم الالهى اذا نزل ابتداء من الله وبين الحكم الالهى اذا نزل مطلوبا لبعض العباد وكانه تعالى سئل فى تنزيله فاجاب السائل اذ لولا ذلك مانزل وفى البخارى عن محمد بن كعب القرظى التابعى الجليل انه كان يقول ان اعظم المسلمين فى المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم فحرم على المسلمين من اجل مسئلته وكان صلى الله عليه وسلم يخاف على أمته من كثرة تنزل الاحكام

وحساو اطال فى ذلك * وقال فى قوله تعالى للملائكة انبؤنى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فى هذه الآية توبيخ للملائكة وتقرير كانه تعالى يقول هل سبحتمونى او قدستمونى بهذه الاسماء حيث قلتم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فزكيتم نفوسكم وجرحتم خليفتى فى ارضى ولم يكن ينبغى لكم ذلك فما قدرتمونى حق قدرى قال فالمراد بالاسماء هنا الاسماء الالهية التى استندت اليها المشار اليهم بهؤلاء فى ايجادهم واحكامهم واطال فى ذلك وقال ليس للملك والحيوان والنبات ارادة تتعلق بامر من الامور فهم مع مافطروا عليه من السجود لله والثناء عليه فشغلهم به لا عنه واما الانسان فله الشغل به وعنه والشغل عنه هو المعبر عنه بالغفلة والنسيان * وقال فى قول أبى يزيد بطشى أشد اى من حيث نفسه الحيوانية وذلك لانه يبطش بمن لا يخلقه فلا رحمة له فيه والحق تعالى اذا بطش بمن خلق فالرحمة مندرجة فى بطشه بكل مؤمن فهو أرحم بالعبد من امه وابيه فله الحمد * وقال الانكار فى التجلى الاخروى خاص باهل النظر العقلى لا باهل الكشف وذلك لان اهل النظر العقلى قيدوا الحق تعالى بعقولهم فلما لم يروا ما قيدوه به فى الآخرة انكروه الا اذا راهم اذا وقع التجلى لهم بالعلامة التى قيدوه بها يقرون له بالربوبية

انه لا يعجزوا عنها كما قال لمن سأله عن الحج اكل عام يارسول الله قال لا ولو قلت نعم لوجبت ولم يستطيعوا واطال فى ذم السؤال ثم قال فعلم ان من كمال العارف ان يعتنى بالامر المنزل ابتداء اشد من اعتنائه بما نزل بسؤال فالله تعالى يفهمنا مقاصد الشرع حتى لانخرج عنه ومارجح احدهم واهشيا سكت الشارع عن بيانه كخطبة العيد فان الشارع فعلها ولم يخبرنا بكونها واجبة اومندوبة فخلاص العبد من اتباع الهوى ان يفعلها على وجه التأسى به صلى الله عليه وسلم بقطع النظر عن كونها واجبة اومندوبة (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول مامن عالم يأمر الناس بفعل شئ لم يصرح الشارع بالامر به الا ندم يوم القيامة انه لم يكن رجح شيأ ثم ان المرجحين باهويتهم خلاف مارجح الشارع رجلان الواحد يغلب جانب الحرمة والثانى يغلب رفع الحرج عن هذه الامة رجوعا الى الاصل فهذا عند الله اقرب منزلة من الذى يغلب الحرمة اذ الحرمة امر عارض عرض للاصل ورافع الحرج دائر مع الاصل واليه يعود حال الناس فى الجنان يتبوؤن من الجنة حيث شاؤا وما اغفل اهل الاهواء وان كانوا مؤمنين عن هذه المسئلة وسيندمون اذا انكشف الحجاب فاياك يا اخى وهوس الطبيعة فان العبد فيه ممكور به من حيث لا يشعر قال الشيخ وكم قاسينا فى هذا الباب من المحجوبين حيث غلبت اهواؤهم على عقولهم فانا آخذ بحجزهم عن النار وهم يقتحمون فيها وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة الى طعامه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وهذه واشار الى عائشة رضى الله تعالى عنها فقال الرجل لا فأبى ان يجيبه الى ان انعم له فيها ان تأتى معه فاقبلا يتدافعان يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وعائشة الى منزل ذلك الرجل والله تعالى يقول لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة فاين ايمانك اليوم لو رأيت صاحب منصب من قاض اوخطيب اووزير اوسلطان يفعل مثل هذا تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تنسبه الا الى سفساف الاخلاق ولو ان هذه الصفة لم تكن من مكارم الاخلاق مافعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه بعث ليتمم مكارم الاخلاق ونظير هذه الواقعة نزوله صلى الله عليه وسلم من فوق المنبر وهو يخطب حتى اخذ الحسن والحسين وصعد بهما المنبر لما رآهما يعثران فى اذيالهما ثم عاد الى خطبته اترى ذلك كان من نقص حال لا والله بل كان من كمال معرفته بربه عز وجل لان ذلك من الشغل بالله لا عن الله وقد عاب العارفون على الشبلى لما سمع قارئا يقرأ ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وازواجهم فقال انه شغلهم بالجنة عنه تعالى اللهم لاتجعلنى منهم وقالوا للشبلى ان الله تعالى قد ذكر الشغل عن اصحاب الجنة وانهم هم وازواجهم فى ذلك الشغل وما عرفنا تعالى بمن تفكهوا هم وازواجهم فبماذا يحكم الشبلى عليهم بانهم اشتغلوا بذلك عن الله عز وجل قال الشيخ محيى الدين وقد عدوا هذا من قصور نظر الشبلى حيث جرح اهل الجنة ببادى الرأى ولعل ذلك كان فى بدايته واطال فى ذلك ثم قال فعليك يا اخى بالغيرة الايمانية الشرعية ولا تزد عليها فتشقى فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا فلا تزال متعوب النفس فيما لا ينبغى الاعتراض عليه واما فى الآخرة فلانه يؤدى الى سؤال الحق تعالى لك عن ذلك وعما ينسحب عليه ومنه من الاعتراض المحال على الله تعالى فى احكامه وحصول الكراهية فى النفس عما اباحه الله تعالى انتهى وقال ايضا فى الكلام على صلاة العيدين من الباب الثامن والستين اعلم ان الله تعالى قد شرع الزينة والشغل باحوال النفوس من اكل وشرب وبعال فى يوم العيد فمن ادب المؤمن ان لا يشتغل فى هذا اليوم الا بما ذكره الشارع فجميع ما يفعله العبد من المباحات فيه يشبه سنن الصلاة فى الصلاة وجميع ما يفعله فيه من النوافل فى ذلك اليوم يشبه الاركان فى الصلاة فلا يزال العبد فى يوم العيدين فى افعال تشبه افعال المصلى ولهذا سمى يوم العيد اى لانه يعود على العبد بالاجر فى كل مباح يفعله وهذا احسن من قول بعضهم انما سمى عيد العود السرور فيه كل سنة فانه ربما انتقض

ولوانه كان تجلى لهم اولا بهذه العلامة لما انكر وه فافهم وقال فى قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم ثم قال وصدقت بكلمات ربها وماهو الا عيسى فقط فجعله تعالى كلمات انها لانه عليه السلام كثير من حيث نشأته الظاهرة والباطنة ومن حيث ان كل جزء منه باطنا اوظاهرا هو كلمة فلهذا قال وصدقت بكلمات ربها افرد الكلمة باعتبار وجمعها باعتبار * وقال فى قوله تعالى ان ربك هو الخلاق العليم اعلم ان الحق تعالى خلاق على الدوام ولو كان الامر على ماقاله مخالفوا اهل الحق من بقاء الاعراض لم يصح ان يكون الحق تعالى خلاقا على الدوام فهو مع كل مخلوق وهو معكم اينما كنتم يحفظ عليكم وجودكم وكنتم امرا وجوديا بلاشك لا يعلم منه الا الايجاد والوجود ولهذا لا يقال للموجود قط كن عدما ولا كن معدوما لاستحالة ذلك * وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة انما لم يقل من مات وهو يؤمن او يقول ليعلمنا ان كل موحد لله فى الجنة يدخلها من غير شفاعة شافع ولو لم يوصف بالايمان كقس ابن ساعدة واضرابه ممن لاشريعة بين اظهرهم يؤمنون بها وبصاحبها فقس رضى الله عنه موحد لامؤمن فتأمل * وقال النفس تذكر وتؤنث قال تعالى ان تقول نفس ياحسرتا على مافرطت فى جنب

بالصلوات الخمس فانها تعود بالسرور كل يوم لوقوف العبد فيها بين يدى الله ولا يقال فيها عيد (فان قلت) ان العيد مرتبط بالزينة قلنا والزينة مشروعة فى كل صلاة قال تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد وايضا فان الصوم فى يوم العيد حرام فصار الفطر فيه عبادة مفروضة بعد أن كان مباحا ثم لما كان يوم العيد يوم فرح وسرور وزينة واستيلاء النفوس على طلب حظوظها من الشهوات أبدلها الشارع فى ذلك تحريم الصوم فيه وشرع للناس فيه اباحة اللعب والزينة وأقر الحبشة على لعبهم فى المسجد يوم العيد ووقف صلى الله عليه وسلم هو وعائشة ينظران الى لعبهم وعائشة خلفه وفى هذا اليوم ايضا دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مغنيتان فغنتا فى بيته صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ولما اراد أبو بكر ان يمنعهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهما يا ابا بكر فانه يوم عيد واطال الشيخ فى ذلك ثم قال ولما كان هذا اليوم يوم حظوظ النفوس شرع ايضا تكرار التكبير فى الصلاة ليتمكن من قلوب الناس ما ينبغى للحق تعالى من الكبرياء والعظمة لئلا يشغلهم حظوظ نفوسهم عن كمال مراعاة حقه جل وعلا قال وبما قررنا يعرف حكمة ترك التنفل قبل صلاة العيد اذ المقصود فى هذا اليوم فعل ما كان مباحا على جهة الندب خلاف ما كان عليه ذلك الفعل فى سائر الايام فلا يتنفل فى ذلك اليوم سوى بصلاة العيد خاصة لان الحكم اذا كان مربوطا بوقت غلب على ما لم يكن مربوطا بوقت وايضا فانه انما ندب اللعب والفرح والزينة فى هذا اليوم تذكيرا بسرور أهل الجنة ونعيمهم فلا يدخل مع ذلك مندوب آخر يعارضه ثم اذا زال زمان ذلك الحكم المربوط حينئذ يبادر العبد الى سائر المندوبات ويرجع ما كان مندوبا ليه فى ذلك اليوم مباحا فيما عداه من الايام وهذا كله من فعل الحكيم العادل فى القضايا فان لنفسك عليك حقا واللهو واللعب والطرب فى هذا اليوم من حق النفس فلا تنكر يا أخى ظالما لنفسك واعطها حقها انتهى (فان قلت) فهل يلحق بالسنة الصحيحة فى وجوب الاذعان لها ما ابتدعه المسلمون من البدع الحسنة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والستين ومائتين انه يندب الاذعان لها ولا يجب كما اشار اليه قوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم وكما اشار اليها قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فقد أجاز لنا ابتداع كل ما كان حسنا وجعل فيه الاجر لمن ابتدعه ولمن عمل به ما لم يشق ذلك على الناس وأخبر أن العابد لله تعالى بما يعطيه نظره اذا لم يكن على شرع من الله تعالى معين يحشر أمة وحده يعنى بغير امام يتبعه فجعله خيرا والحقه بالاخيار كما قال فى حكيم بن حزام اسلمت على ما اسلفت من خير وكان سأله عن امور تبرر بها فى الجاهلية من عتق وصلة رحم وكرم وامثال ذلك وقال ايضا فى حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان ابراهيم كان أمة قانتا لله وذلك قبل ان يوحى اليه وفى الحديث بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فمن كان على مكارم الاخلاق فهو على شرع من ربه وان لم يعلم هو ذلك والله اعلم (فان قلت) فما المراد بحقيقة قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث واربعين وخمسمائة ان المراد به بيان ما جاء من الوحى على لسان الرسول وما جاء منه تعالى الى عباده ولكل من الحالتين ميزان يخصه فما جاءنا على ايدى الرسل وجب علينا اخذه بغير ميزان وما جاءنا من غير واسطة بيننا وبين الله تعالى اعنى من الوجه الخاص بطريق الالهام وجب علينا اخذه بالميزان فان الله تعالى قد نهى ان نأخذ منه كل عطاء وهو قوله تعالى وما نهاكم عنه فانتهوا فصار اخذك من الرسول انفع لك واحصل لسعادتك لعصمته فعلم ان اخذك من الرسول واجب على الاطلاق واخذك من الله بطريق الالهام واجب على التقييد لعدم عصمتك فيما اخذته بغير واسطة فانظر ما اعجب هذا الامر ما تأخذه من الرسول مطلق مع ان الرسول مقيد وما نأخذه من الله

تعالى

الله الآية فانث ثم قال بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها بتاء مفتوحة خطاب المذكر والعين واحدة فان النفس والعين عند العرب يذكران ويؤنثان وذلك لاجل التناسل الواقع بين الذكر والانثى ولذلك جاء فى الايجاد الالهى القول وهو مذكر والارادة وهى مؤنثة فاوجد العالم عن قول وارادة فظهر عن اسم مؤنث ومذكر فقال انما قولنا لشئ والقول مذكر اذا اردناه والارادة مؤنثة أن نقول له كن فيكون فظهر التكوين فى الارادة عن القول والعين واحدة واطال فى ذلك بكلام نفيس فى التوحيد والله أعلم * وقال فى الباب الحادى والستين وثلثمائة فى قوله تعالى فى آدم لما خلقت بيدى بالتثنية اعلم ان كل مخلوق فى العالم فهو مضاف خلقه الى يد الهية قال تعالى مما عملت أيدينا أنعاما فجمع الايدى وقال فى الحديث ان الله تعالى غرس شجرة طوبى بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده فوحد اليد وثناها وجمعها قال وما اضاف الحق تعالى آدم الى خلقه بيديه الا تنبيها على شرفه عنده وانه هو المقصود من العالم فان الانعام خلقها بايديه مع انها فى تسخير بنى آدم وايضاح ذلك ان التثنية برزخ بين الجمع والافراد فهى تقابل الطرفين بذاتها فلها درجة الكمال فان المفرد لا يصل الى الجمع الا بها

تعالى مقيد مع انه تعالى مطلق فان في هذا ظهور الاطلاق والتقييد في الجانبين وايضاح ذلك ان تعلم ان الله تعالى ما ارسل رسوله ليمكر بنا وانما ارسله ليبين لنا ما نزل الينا فلهذا اطلق لنا الاخذ عن الرسول والوقوف عند قوله من غير تقييد فنحن آمنون فيه من مكر الله عز وجل بخلاف الاخذ من الوجه الذي بيننا وبين الله تعالى من طريق الالهام ليس احد على أمان من المكر فيه فربما مكر الحق تعالى بالعبد من حيث لا يشعر فان له تعالى في عباده مكرا خفيا قال تعالى ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقال وهو خير الماكرين ولم يبح للرسل هذه الصفة ولم يجعل لهم فيها قدما لانهم بعثوا مبينين فبشروا وانذروا وكل ذلك صدق واعطى رسوله الميزان الموضوع فمن اراد السلامة فلا يضع ذلك الميزان من يده فكل ما جاءه من عند الله من غير واسطة وضعه في ذلك الميزان فان قبله أخذه وعمل به وان لم يقبله أهمله تعالى ومن عزم على الاخذ عن الله ولا بد فليقل لا خلابة فاذا قال ذلك فان كان من عند الله ثبت واخذه وان كان مكرا من الله ذهب من بين يديه بارادة الله فلم يجده عند قوله لا خلابة اذ الامر كالبيع والشراء وان كان الحق تعالى لا يدخل تحت الشرط هذا يقتضيه مقام الحق تعالى بالذوق وانما يشترط على الله تعالى من يجهل الله او يدل عليه حين ظن به خيرا كما في حديث فليظن بي خيرا واطال الشيخ في ذلك بكلام نفيس * وقال في الباب الثامن والاربعين أيضا في قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا اى لاني جعلت له ان يأمر وينهى زائدا على تبليغ صريح امرنا ونهينا الى عبادنا * وقال فيه أيضا في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اعلم انه انما لم يكتف بقوله اطيعوا الله عن قوله واطيعوا الرسول مع انه تعالى قال من يطع الرسول فقد أطاع الله لانه تعالى ليس كمثله شيء فلذلك استأنف القول وصرح بقوله وأطيعوا الرسول بخلاف طاعة أولي الامر لم يستأنف فيها بقوله واطيعوا اولي الامر منكم فهم لا تشريع لهم انما هو بحكم التبع للشارع واطال في ذلك * وقال في باب اسرار الصلاة يجب على العبد اذا وعظه ولي الامر عالم يعمل هو به ان ينقاد لامره ويعمل ولا يقل لا اعمل بذلك حتى تعمل أنت به اذ لا يشترط في الداعي ان يكون عاملا بكل ما يدعو اليه فقد يدعو بما ليس هو عليه في حاله وهو خير من ترك الدعاء على كل حال (فان قلت) فما الحكمة في سلام المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة مع انه آمن منه صلى الله عليه وسلم والسلام انما هو امان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين ان الحكمة في ذلك للمؤمنين هو ان مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعطي الاعتراض عليهم ولو بالباطن لامرهم الناس بما يخالف اهواءهم كما ان مقامهم يعطي التسليم لهم أيضا فلذلك شرع لنا ان نسلم على نبينا صلى الله عليه وسلم كأنا نقول له أنت يا رسول الله في أمان منا ان نعترض عليك في شيء أمرتنا به او نهيتنا عنه انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولم يكتف تعالى بقوله استجيبوا للرسول اذ الشرع ما عرفناه الا منه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع عشر وخمسمائة ان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعونا من طريقين فان دعانا بالقرآن فهو مبلغ وترجمان وهو حينئذ من دعاء الله تعالى لا من دعاء الرسول فاجابتنا حقيقة انما هي لله وللرسول الاسماع وان دعانا بغير القرآن فالدعاء حينئذ دعاء الرسول فكانت اجابتنا للرسول وان كان لا فرق بين الاجابتين ولا بين الدعاءين وفي الحديث انى شرعت لكم مثل القرآن او اكثر رواه الطبراني وغيره فاذن علة اجابة الرسل هو السماع لا من قال انه سمع ولم يسمع كما ذكره الشيخ في الباب العشرين وخمسمائة اذ السمع هو عين العقل لما ادركته الاذن بسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى فاذا علم ما سمع كان بحسب ما علم فان العلم حاكم قاهر في حكمه لا بد من ذلك وان لم يكن كذلك

والجمع لا ينظر الى المفرد الاسم فافهم (قلت) فقد ذكرنا نحو ذلك في اجوبة شيخنا رضي الله عنه والله أعلم * ثم قال في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون لما أراد الله تعالى خلق آدم أخذ ترابا لزجا وخلطه بالماء فصيره طينا بيديه تعالى كما يليق بجلاله اذ ليس كمثله شيء ثم تركه مدة يختمر بما مر عليه من الهواء الحار الذي يتخلل أجزاء طينته فتغير وتغيرت رائحته فكان حمأ مسنونا متغير الريح قال الشيخ ومن اراد ان يرى صدق ذلك ان كان في ايمانه خلل فليحك ذراعه بذراعه حكا قويا حتى يجد الحرارة من جلد ذراعه ثم يستنشقه فانه يجد فيه رائحة الحمأ وهي اصله التي خلق جسمه منها واطال في ذلك بكلام نفيس منزعه الكشف * وقال من علامة من ادعى انه صار يذكر الله بالله أن يجد الاحتراق في لسانه حسا حتى يحرق لسانه ولا يكون له اثر قط في النطق فمن لم يشاهد هذا الحرق من الاشياخ فليس هو ذاكر الله بالله وانما ذلك توهم قال وقد ذقت ذلك حين ذكرت الله بالله ومكثت على ذلك ست ساعات ثم رد على لساني فذكرته بالحضور معه لا به واطال في ذلك فراجعه * وقال في حديث ان الله خلق آدم على صورته اعلم ان الصورة تطلق ويراد بها الامر والشأن والحكم أي جعل آدم يأمر وينهى ويعزل ويولي ويؤاخذ ويسامح ويصفح ويرحم ونحو ذلك فهذا هو المراد بالصورة

فليس بعلم ولذلك لم يقدر أحد يعصى الله تعالى وهو يعتقد مؤاخذته على تلك المعصية أبدا انتهى

(فان قلت) فهل تخلف احد عن الاذعان لما جاء به الشارع غير الانس والجن ممن بعث اليهم من الملائكة والحيوانات والجمادات والاشجار على ما مر في مبحث عموم بعثته أم التخلف خاص بالانس والجن

(فالجواب) لم يتخلف أحد من سائر من بعث اليهم صلى الله عليه وسلم سوى من تخلف من الجن والانس وقد قال الشيخ في الباب التاسع والاربعين في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ان الله تعالى لم يخص بالذلة التي هي العبودية احدا غير الثقلين مع انهم لم يكونوا حين خلقهم اذلاء وانما خلقهم ليذلوا في المستقبل وأما ما سوى الثقلين فانه خلقهم أذلاء من أصل نشأتهم ولذلك لم يقع من أحد من خلق الله تكبر على الرسل الا الثقلان (فان قلت) فما سبب تكبر الثقلين على الرسل دون غيرهما

(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب المذكور آنفا ان سبب تكبرهم كون التوجه على ايجادهم من الاسماء أسماء اللطيف والحنان والرحمة والشفقة والتنزل الالهي فلما أبرزهم الحق تعالى الى هذا الوجود لم يروا عظمة ولا عزا لغيرهم ولا كبرياء ورأوا نفوسهم قد استندت في وجودها الى لطف وعطف لكون ان الحق تعالى لم يبد لهم شيأ من عظمته ولا كبريائه ولا جلاله ولا جبروته حين اخرجهم الى الدنيا فقال الوارد بنا لم خلقتنا فقال تعالى لهم لتعبدوني اى لتكونوا اذلاء بين يدي فلم يروا صفة قهر ولا عزة تذلهم ورأوا الحق تعالى قد أضاف فعل الاذلال اليهم فتكبروا لذلك ولو انه تعالى قال لهم ما خلقتكم الا اذلاء لكم لرأوا الذلة من نفوسهم خوفا من سطوة هذه الكلمة وقهرها كما قال تعالى للسموات والارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين لاجل قوله أو كرها فافهم قال وأما سبب عدم تكبر غير الثقلين فلان المتوجه على ايجادهم من الاسماء الالهية أسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والعزة والقهر فلذلك خرجوا اذلاء تحت هذا القهر الالهي فلم يتمكن لاحد منهم ان يرفع رأسه على أحد من خلق الله تعالى فضلا عن رسل الله ولا ان يجد في نفسه طعما للكبرياء على احد من خلق الله تعالى انتهى فتأمله فانه نفيس لا تجده في كتاب والله تعالى أعلم

(المبحث الثامن والثلاثون في بيان ان افضل خلق الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم الانبياء الذين ارسلوا ثم الانبياء الذين لم يرسلوا ثم خواص الملائكة ثم عوامهم ونسكت عن الخوض في تفاضل المرسلين بعد محمد على التعيين الا بنص صريح)

اعلم انه قد اضطربت نقول العلماء فيمن هو الافضل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من المرسلين والملائكة فتكلم كل بما ظهر له من قرائن الاحوال وظواهر الكتاب والسنة لعدم نص صريح يعتمدون عليه اذا علمت ذلك فلنصدر المبحث بكلام أهل الاصول ثم بكلام محققي الصوفية فنقول وبالله التوفيق * قال الامام صفي الدين بن أبي المنصور الذي نعتقده ان جميع الرسل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة بأسرها على خلاف بيننا وبين المعتزلة وان خواص الملائكة أفضل من عموم النبيين وان عموم النبيين افضل من جملة الملائكة وان عموم الملائكة افضل من عموم المؤمنين كل نوع يعتبر فضله بما يقابله من النوع الآخر وان النبوات فاضلة بالمقام فضلا يشمل واسعهم وضيقهم فليس لاحد معهم مشاركة بالمقام النبوي الا بحكم الارث التبعي وسيأتي في المبحث بعده بيان المراد بعموم الملائكة فراجعه انتهى وعبارة الشيخ كمال الدين بن ابي شريف في حاشيته على شرح جمع الجوامع الافضل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الانبياء ثم الملائكة العلوية انتهى وعبارة صاحب المواقف لا نزاع في ان الانبياء افضل من الملائكة السفلية الارضية وانما النزاع في الملائكة العلوية السماوية انتهى وعبارة البرماوي رحمه الله الانبياء من بني آدم كالرسل وغيرهم

افضل

فافهم وقال الانسان مجبور في عين اختياره عند كل ذي عقل سليم مع ان جميع ما يظهر عنا من الافعال يجوز أن يفعله الله تعالى وحده لا بأيدينا ولكن ما وقع ذلك في الشاهد ولا ظهر الا بأيدينا ذا الاجل لا تظهر أحكامها الا في جسم (قلت) وان كان هذا حقا وصدقا * وقال أخذ بطرف دون طرف والكمال أن تقول ان الاعمال لله خلقا ولنا اسنادا فنضيفها الى الله بوجه والينا بوجه كما قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وان كان ذلك حكاية عن قول السيد ابراهيم فقد أقره الحق وارتضاه من حيث ان مقام الانبياء يجل عن ان يحكي خلاف ما الامر عليه في نفسه والله أعلم * وقال في الباب الثالث والستين وثلثمائة من عدم الانصاف ايمان الناس بما جاء من اخبار الصفات على لسان الرسل وعدم الايمان بها اذا أتى بها احد من العلماء الوارثين لهم فان البحر واحد واذا لم يؤمنوا بما جاءت به الاولياء فلا أقل من ان يأخذوه منهم على سبيل الحكاية وكما جاءت الانبياء بما تحيله العقول من الصفات وآمنت به كذلك يجب الايمان بما جاء به الاولياء المحقوظون وكما سلمنا ما جاء به الاصل كذلك نسلم ما جاء به الفرع بجامع الموافقة وأطال في ذلك * وقال الكلام في كاف ليس كمثله شيء فضول فان ذلك لا يدرك بالقياس ولا بالنظر بل يرجع

أفضل من الملائكة وخواصهم كالانبياء افضل من خواصهم وعوامهم افضل من عوامهم وبنات آدم افضل من الحور العين انتهى * وعبارة شيخ السنة الامام ابى الحسن البيهقى رحمه الله والاولياء من البشر افضل من الاولياء من الملائكة وعوام البشر افضل من عوام الملائكة يعنى الصلحاء من البشر افضل من الصلحاء من الملائكة انتهى وليس المراد بالعوام الفسقة اذ الملائكة ليس فيهم فاسق قاله ابن أبي شريف انتهى * وأما عبارة الشيخ محيي الدين فقال فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم ان المختار عدم التفاضل بين المرسلين على التعيين بالعقل مع ايماننا بان بعضهم افضل من بعض عند الله تعالى اذ الخوض فى مقام المرسلين غير محمد صلى الله عليه وسلم من الفضول فعلم انا نعتقد تفاضلهم على الابهام ولا بد لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولم يعين لنا من هو الافضل ومعلوم انه لا ذوق لنا فى مقامات الانبياء حتى نتكلم عليها وغاية أمرنا أن نتكلم بحسب الارث المناسب لمقامنا واين المقام من المقام فلا ينبغى ان يتكلم فى مقام الرسول الا رسول ولا فى مقام الانبياء الا نبى ولا فى مقام الوارثين الا رسول أو نبى أو ولى أو من هو منهم هذا هو الادب الالهى ولولا ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخبرنا انه سيد ولد آدم لما ساغ لنا ان نفضله بعقولنا انتهى * وقال فى الكلام على صلاة الجمعة من الفتوحات لقد أطلعنى الله تعالى على من هو الافضل بعد محمد صلى الله عليه وسلم من الرسل على الترتيب ولو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تفضلوا بين الانبياء لبينت ذلك ولكن تركته لما يؤدى اليه من تشويش بعض القلوب التى لا كشف عند أصحابها ولكن من وجد نصا صريحا او كشفا محققا قال به انتهى * وقال فى الباب الثانى والستين واربعمائة لا تعرف مراتب الرسل والانبياء الا من الختم العام الذى يختم الله تعالى به الولاية المحمدية فى آخر الزمان وهو عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فهو الذى يترجم عن مقام الرسل على التحقيق لكونه منهم واما نحن فلا سبيل لنا الى ذلك انتهى * وقال فى شرحه لترجمان الاشواق لا ذوق لنا فى مقام الانبياء حتى نتكلم عليه انما نراه كما نرى النجوم فى السماء كما سيأتى بسطه ان شاء الله تعالى فى مبحث الولاية * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول الخوض فى تفاضل الانبياء على التعيين من غير كشف فضول فان نحو قوله منهم من كلم الله وقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا لا يؤخذ منه تفضيل احدهما على الآخر على القطع لجهل بأى المقامين افضل الخلة أو الكلام انتهى * وسمعته ايضا يقول من فاضل بين الرسل بعقله فقد صدق عليه انه فرق بين الرسل وقد قال تعالى لا نفرق بين احد من رسله وان كان المراد بالتفريق عند المفسرين الايمان ببعض والكفر ببعض فافهم انتهى وذكر نحوه الشيخ محيي الدين فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات (فان قلت) فهل فضل الرسل على بعضهم بعضا من حيث ما هم رسل او غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والخمسين وما ئتين ان الرسل لم يفضل بعضهم بعضا من حيث ما هم رسل وكذلك الانبياء لم يفضلوا على بعضهم من حيث كونهم أنبياء وانما فضل الانبياء والرسل باحوال أخر ليست هى عين ما وقع فيه الاشتراك اذ ما من جماعة يشتركون فى مقام الا وهم على السواء فيما اشتركوا فيه هذا هو الاصل وقد يكون ما وقع به المفاضلة يؤدى الى التساوى كما هو مذهب الامام ابى القاسم بن قسى رحمه الله ومن وافقه من الطائفة فيكون كل واحد من الرسل فاضلا من وجه مفضولا من وجه آخر ففضل كل واحد بأمر لا يكون عند غيره وفضل ذلك المفضول بامر ليس عند الفاضل فيكون المفضول من ذلك الوجه الذى خص به يفضل على من فضله * قال الشيخ محيي الدين والذى عندنا غير ذلك فيجمع لواحد جميع ما عند الجماعة كمحمد صلى الله عليه وسلم فيفضل الجماعة بجميع ما يفضل به بعضهم على بعض

الى قصد المتكلم ولا يعرف أحد ما فى نفس المتكلم الا بافصاحه عما فى نفسه ولم يفصح الحق سبحانه وتعالى من هذه الكاف هل هى أصلية أم زائدة وأطال فى ذلك * قلت قد ذكر الشيخ فى الباب الستين وثلثمائة السابق انه ما قال ان الكاف زائدة فى كمثله شئ الا من لا معرفة له بالحقائق قال والحق أنها كاف الصفة انتهى فليتأمل ويحرر * وقال فى الباب الخامس والستين وثلثمائة فى قوله تعالى فاذكرونى أذكركم وفى نحو حديث ان الله لا يمل حتى تملوا اعلم ان الحق تعالى لا يعامل عباده الا بما يعاملونه به فهو تعالى بحكم التبعية لهم فى ذلك وان كان ابتداء الامر منه ولكن هكذا علمنا وقرره لدينا فننسب اليه تعالى ما نسبه لنفسه ولا يمكن لنا الا ذلك فهى من حكم تبعية الحق تعالى للمخلوق تنزلا للعقول وأطال فى ذلك * وقال فيه سبب غلط منكرى النبوة من الحكماء قولهم ان الانسان اذا صفى جوهره نفسه من كدورات الشهوات وأتى مكارم الاخلاق العرفية انتقش فى نفسه ما فى العالم العلوى من الصور بالقوة فنطق بالغيوب واستغنى عن الوسائط والامر عند أهل الله ليس كذلك وان جاز وقوع ما ذكروه فى بعض الاشخاص وذلك انه لم يبلغنا قط عن أحد من نبى ولا حكيم انه أحاط علما بما يحوى عليه ساله فى كل نفس الى حين وفاته بل [illegible]

لا بأمر زائد فهو أفضل من كل واحد واحد ولا تفاضل فيكون سيد الجماعة بهذا المجموع فلا ينفرد في فضله قط بأمر ليس عند آحاد الجنس انتهى * ثم ان الشيخ نقل كلام ابن قسي في الجواب التاسع والعشرين من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات ثم قال وصاحب هذا القول الذي قاله ابن قسي ومن تبعه ما حرر القول على ما يقتضيه وجه الحق فيه مع انه معدود من اهل الكشف قال والذي نقول نحن به ان معنى المفاضلة المعقولة من قوله فضلنا بعض النبيين على بعض اي اعطينا هذا ما لم نعط هذا واعطينا هذا ما لم نعط من فضله ولكن من مراتب الشرف فمنهم من فضله الله بان خلقه بيديه كما يليق بجلاله وأسجد له ملائكته وهو آدم عليه السلام (ومنهم) من فضله بالكلام كموسى عليه السلام (ومنهم) من فضله بالخلة كابراهيم (ومنهم) من فضله بالصفوة وهو يعقوب عليه السلام فهذه كلها صفات مجد وشرف لا يقال ان خلقه اشرف من كلامه ولا كلامه اشرف من صفة خلقه بيديه لان ذلك كله راجع الى ذات واحدة لا تقبل الكثرة ولا العدد وايضا فان جميع المراتب مرتبطة بالاسماء الالهية والحقائق الربانية ومن فاضل فكأنه يقول الاسماء الالهية بعضها اشرف من بعض ولا قائل بذلك لا شرعا ولا عقلا انتهى واما التفاضل والخلاف المنصوب بين الاشعرية والمعتزلة من قولهم الملك افضل من خواص البشر وعكسه فقد قال الشيخ محيي الدين في كتابه لواقح الانوار لم يظهر لي وجه الخلاف في التفاضل بين خواص البشر والملائكة لان من شرط التفاضل ان يكون بين جنس واحد والبشر والملك جنسان فلا يقال مثلا الحمار افضل من الفرس وانما يقال هذا الحمار اشرف من هذا الحمار اللهم الا ان يقال ان التفاضل حقيقة انما هو في الحقائق التي هي الارواح وارواح البشر ملائكة فالملك اذا جزء من الانسان فالكل من الجزء والجزء من الكل انتهى فليتأمل هذا وما قبله من كلامه ويحرر * وقال في الباب السابع والاربعين من الفتوحات مما غلط فيه جماعة قولهم انما كان ابن آدم أفضل من الملك لكون ابن آدم له الترقي في العلم والملك لا ترقي له ولم يقيدوا صنفا ولا مرتبة من المراتب التي يقع بها التفاضل الا كون ابن آدم يترقى بخلاف الملك قال وسبب غلطهم عدم الكشف ولو كشف لهم لرأوا الترقي في العلم لازما لكل حيوان من الانس والجن والملائكة وغيرهم ممن اتصف بالموت دنيا او برزخا وآخرة ولو ان الملائكة لم يكن لها ترق في العلم وحرمت المزيد فيه ما قبلت الزيادة من آدم حين علمها الاسماء كلها فانه زادهم علما الهيا بالاسماء لم تكن عندهم فسبحوه تعالى وقدسوه (فان قلت) فاذن الملائكة مساوون لنا في الترقي بالعلم (فالجواب) نعم بخلاف الترقي بالعمل فلا اعمال لهم يترقون بها كما لا نترقى نحن في الجنة بالاعمال التي نفعلها هنالك لزوال التكليف فنحن واياهم في ذلك سواء في الآخرة (فان قلت) فهل ترقينا بالعلوم والاعمال من باب الشرف لنا على غيرنا او من باب الابتلاء (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين ان ذلك من باب الابتلاء ليبلونا الحق به تعالى لا لغير ولم يفهم ذلك من قال الكامل من البشر أفضل مطلقا من حيث ترقيه ولو علموا ان ذلك ابتلاء ما فضلوا به انتهى * وقال الشيخ في أواخر الباب السابع والستين وثلثمائة مما يؤيد قول الاشعرية ان خواص البشر أشرف من غيرهم كون الحق تعالى من حين خلق آدم ما رؤي في المنام قط الا على صورته لشرفها واستقامتها وكان قبل خلق آدم يتجلى للرائي في المنام في كل صورة في العالم ومن هنا يعلم ان المقصود من العالم كله انما هو الانسان الكامل فان الله تعالى لما خلقه كانت حقائقه كلها متبددة في العالم كله فناداها الحق تعالى من جميع العالم فاجتمعت فكان من جميعها الانسان فهو الخليفة الاعظم وخزانة علم الله تعالى انتهى (فان قلت) فاذا كان الملك يترقى كالبشر فما معنى قول جبريل وما منا الا له مقام معلوم وهل جميع الخلق غير الملك

النبوة (وقال) فيه لقد همات على تحصيل ايماني بما جاء من عند الله ولم أكتف بالسماع حتى علمت من اين آمنت وبماذا آمنت لكن مجملا وما زحزحني علم ما رأيته وعاينته عن ايماني فلم أزل أقول واعمل ما أقوله واعمله لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا العلمي ولا الشهودي فانا فواخيت بين الايمان والعيان قال وهذا مقام ما وجدت له ذائقا الى وقتي هذا وان كنت أعلم ان في رجال الله من يناله لكن ما اجتمعت به قال وكذلك اشهدني الله تعالى جميع أنبيائه وأوليائه من آدم الى يوم القيامة خاصهم وعامهم كما تقدم ذلك في الباب التاسع والاربعين وثلثمائة (قلت) وذكر الشيخ في الباب الثالث والستين وأربعمائة انه رأى جميع المؤمنين كذلك من كان منهم ومن يكون الى يوم القيامة في صعيد واحد وانه صاحب من الرسل غير محمد صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ابراهيم الخليل قرأ عليه القرآن وعيسى تاب على يديه أول دخوله في الطريق وموسى أعطاه علم الكشف والافصاح عن الامور وعلم تقليب الليل والنهار وقال ومن حين حصل عندي هذا العلم زال الليل وبقي النهار في اليوم كله فلم تغب شمسي ولم تطلع

لهم كذلك مقام معلوم او ذلك خاص بالملك (فالجواب) نعم لكل مخلوق في علم الله تعالى مقام معين مقدر مغيب عن ذلك المخلوق واليه ينتهي كل شخص بانتهاء نفسه فآخر نفس يتشخص هو مقامه المعلوم الذي يموت عليه ولهذا ادعوا الى السلوك فسلكوا علوا باجابة الدعوة المشروعة وسفلا باجابة الامر الارادي من حيث لا يعلمون الا بعد وقوع المراد فكل شخص من الثقلين ينتهي في سلوك المقام الذي عين له فنهم شقي وسعيد فكل مخلوق سواهما فهو في مقامه لم ينزل عنه فلم يحتج ان يؤمر بالسلوك اليه لاقامته فيه سواء كان ذلك ملكا او حيوانا او معدنا او نباتا فهو سعيد عند الله تعالى لا شقاء يناله فقد بان لك ان الثقلين داخلان في قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم والله اعلم * واعلم يا اخي ان القول بتفضيل الملائكة على خواص البشر قد نسب للشيخ محيي الدين وهو الذي رأيته في نسخ الفتوحات بمصر وقد قدمنا في الخطبة ان نسخ مصر مدسوس فيها على الشيخ والذي رأيته في النسخة المقابلة على نسخة الشيخ بقونية المروية عنه بالاسناد أن خواص البشر أفضل من خواص الملائكة ويؤيده ما قاله الشيخ من الشعر أول الباب الثالث والثمانين وثلثمائة من تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على خواص الملائكة بعد كلام طويل:

وليس يدرك ما قلنا سوى رجل * قد جاوز الملأ العلوي والرسلا
ذاك الرسول رسول الله أحمدنا * رب الوسيلة في أوصافه كملا   انتهى

فاياك ان تنسب الى الشيخ القول بمذهب اهل الاعتزال الشامل لتفضيل الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يتولى هداك

(المبحث التاسع والثلاثون في بيان صفة الملائكة واجنحتها وحقائقها وذكر نفائس تتعلق بها لا توجد في كتاب أحد ممن صنف في الملائكة فان منزع هذا المبحث الكشف والنقول فيه عزيزة)

اعلم انه قد تقدم في المبحث الثالث والثلاثين نفائس في بيان نزول الملائكة بالوحي فراجعه والذي يخصنا هنا ان تعلم ان الملائكة عند أهل الحق اجسام لطيفة ولهم قوة التشكل والتبدل قادرون على الافعال الشاقة عباد مكرمون مواظبون على الطاعات معصومون من المخالفات والفسق لا يوصفون بذكورة ولا انوثة كما سيأتي ايضاحه في هذا المبحث ان شاء الله تعالى (فان قلت) هل النجوم والشمس والقمر املاك أو منصات املاك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين من الفتوحات ان جميع النجوم والشمس والقمر مراكب للملائكة وذلك لان الله تعالى قد جعل في السموات نقباء من الملائكة وجعل لكل ملك نجما هو مركب له يسبح فيه وجعل الافلاك تدور بهم في كل يوم دورة فلا يفوتهم شيء من أحوال المملكة السماوية والارضية واملاك هذه المنصات منهم جنود وأمراء ووزراء وملوك واطال في ذكرهم ثم قال فكل سلطان لا ينظر في أحوال رعيته ولا يمشي بالعدل بينهم ولا يعاملهم بالاحسان الذي يليق بهم فقد استحق العزل (فان قلت) فهل بين ولاة السموات وولاة الارض مناسبات ورقائق تمتد بهم الى ولاة أهل الارض بالعدل مطهرة من الشوائب مقدسة من العيوب فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الارضيين من أرواح الملائكة ورقائقها بحسب استعداداتهم فمن كان من ولاة الارض استعداده قويا حسنا قبل ذلك الامر الذي امتد اليه من رقائق الملائكة طاهرا مطهرا من الشوائب على صورته من غير تغيير فكان والي عدل وامام فضل وأما من كان استعداده رديا فانه يقبل ذلك الامر الطاهر فيرده الى شكله من الرداءة والقبح فكان والي جور ونائب ظلم فلا يلوم الا نفسه انتهى * وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في التنزلات الموصلية

وكان لي هذا الكشف اعلاما بانه لا حظ لي في الشقاء في الدار الآخرة قال ولم يكلمني الا هو عليه السلام انتهى وقد ذكرنا في اجوبة شيخنا حكمة كونه لم يكلمه الا هو عليه السلام فراجعها والله أعلم * وقال سعي الانسان في عدالته عند الحكام لقبول شهادته من باب السعي في حق الغير لا في حق نفسه وذلك لامور تطرأ فانه اذا لم يكن عدلا لم يقبل الحاكم شهادته وربما ظهر الباطل على الحق فوجب السعي في العدالة لهذا قال عليه السلام أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر فلم يكن مراده صلى الله عليه وسلم الا اعلام امته بمقامه ليريحهم من تعب يوم القيامة ولا يمشون في ذلك اليوم الى نبي بعد نبي كما تمشي الامم فيقتصرون على محمد صلى الله عليه وسلم بما أعلمهم من ذلك بان الرجوع اليه آخر الامر والله أعلم * وقال في الباب السادس والستين وثلثمائة جملة الامور التي ينفذ فيها حكم الحاكم ثلاثة الدماء والاعراض والاموال لا غير * وقال فيه في قوله تعالى غضب الله عليهم الآية اعلم أن غضب الله تعالى في الدنيا على عباده هو ما أمر باقامته عليهم من الحدود والتعزيرات واما غضبه في الآخرة فهو ما يقيمه من الحدود على من استوجب النار وهو تطهير الا في حق الكفار فافهم * وقال انما نهى الحاكم عن

(فان قلت) فهل فى قوة الملك ان يتطور كيف شاء كالجن (فالجواب) نعم كما مر اول المبحث (فان قلت) فهل فى قدرة الكامل من البشر ان يظهر فى صورة غيره كالملائكة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى عشر وثلثمائة ان فى قوة الكامل من البشر كقضيب البان وغيره ان يظهر فى صورة غيره من البشر وليس فى قوة الكامل من الملائكة ان يظهر فى صورة غيره من الملائكة فلا يقدر جبريل يظهر فى صورة اسرافيل ولا عكسه فعلم ان فى قوة الانسان ما ليس فى قوة الملك (فان قلت) فأى الملائكة أكبر مقاما على الاطلاق كما هو الحال فى محمد صلى الله عليه وسلم (فالجواب) لم نطلع من ذلك على نص ولا ينبغى لاحد ان يفاضل بعقله بين الملائكة السماوية ولا غيرهم فلا يقال جبريل افضل من اسرافيل ولا افضل من ميكائيل ولا عزرائيل أفضل من اسمعيل الذى هو ملك السماء الدنيا الا بنص صريح (فان قلت) فهل يوصف الملأ الاعلى بأنهم انبياء او اولياء كالبشر (فالجواب) لا يوصف الملأ الاعلى بأنهم انبياء او اولياء لانهم لو كانوا انبياء او اولياء ما جهلوا الاسماء التى علمها الهم آدم عليه السلام اذ معرفة الله تعالى تكون بحسب المعرفة باسمائه وجهل العبد به يكون بحسب جهله بها (فان قلت) فهل جميع الملائكة من عالم الخير فان قلتم بذلك فكيف قالوا اللهم اعط ممسكا تلفا ودعوا على مال المؤمن بالاتلاف (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب الزكاة من الفتوحات ليس ذلك دعاء على مال المؤمن بالاتلاف الذى يتألم منه المؤمن وانما هو دعاء له بان ينفقه فى مرضاة الله عز وجل فيؤجر عليه كما يؤجر المنفق اختيارا لان الملك من عالم الخير لا يدعو على مؤمن بما يضره فمعنى قوله اللهم اعط ممسكا تلفا اى اجعل الممسك ينفق ماله فى مرضاتك فتخلفه عليه وان كنت يا ربنا لم تقدر فى سابق علمك ان ينفقه باختياره فأتلف ماله عليه حتى تأجره فيه اجر المصاب ليصيب خيرا فهو دعاء له بالخير كما مر لا كما ظنه من لا معرفة له بمقام الملائكة فان الملك لا يدعو بشر لا سيما فى حق المؤمن بوجود الله وتوحيده وبما جاء من عنده قال الشيخ ولا شك ان دعاء الملك مجاب لوجهين الاول لطهارته والثانى كونه دعاء فى حق الغير فهو دعاء اصاحب المال بلسان لم يعص الله به وهو لسان الملك فعلم ان المراد بالاتلاف الانفاق لكنه اى الملك غاير بين اللفظين والله اعلم (فان قلت) فهل فى قوة البشر ان ينزل الملك من السماء بالاقسام عليه بالله تعالى كما يفعله اهل الرصد (فالجواب) ليس فى قوة البشر ان ينزل واحدا من الاملاك من السماء باقسام عليه او غير ذلك لقوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك فلا يؤثر فى مثل هؤلاء الذين لا يتنزلون الا بامر الرب خاصة نبات ولا اقسام عليهم بالله عز وجل كما ذكره الشيخ فى الباب الخامس والعشرين قال وهذا بخلاف أرواح الكواكب السماوية فانها تنزل بالاسماء والبخورات واشباه ذلك لانه تنزل معنوى ومشاهدة صور خيالية فان ذات الكواكب لم تبرح فى السماء عن مكانها وانما جعل الله تعالى لمطارح شعاعها فى عالم الكون والفساد تأثيرات عند العارفين بذلك لكن باذن الله تعالى كوجود الرى عند شرب الماء والشبع عند الاكل ونبات الحبة عند دخول الفصل بنزول المطر والصحو حكمة اودعها الحكيم العليم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا هل هو الجن او الملائكة كما هو المشهور من قولهم فى الملائكة انهم بنات الله تعالى عن ذلك (فالجواب) المراد بالجنة هنا الملائكة وسموا جنة لاستتارهم عن العيون مع كونهم يحضرون معنا فى مجالسنا ولا نراهم لان الله تعالى جعل بينهم وبين اعين الناس حجابا مستورا فكما ان الحجاب مستور عنا فهم كذلك مستورون بالحجاب عنا فلا نراهم الا اذا شاؤا ان يظهروا لنا ذكره الشيخ فى الباب التاسع والستين وثلثمائة قال فيه ولا يخفى ان الجنة من الملائكة هم الذين يلازمون الانسان ويتعاقبون فينا بالليل والنهار ولا نراهم عادة ولكن اذا اراد الله عز وجل لاحد من

الحكم حالة الغضب لانه ربما خلط مع اقامة الحدود التشفى من المحدود لحظ نفسه فيحرم الأجر من تلك الحيثية لان الامر لا يحتمل الشركة وعلامة الصادق فى انه خالص من حظ نفسه ان نزول الغضب منه على ذلك الشخص عند الفراغ من اقامة الحد حتى ربما قام اليه وعانقه وآنسه واظهر له السرور والبشاشة من حيث ان الله تعالى طهره قال تعالى ونبلو اخباركم فالله تعالى يبتلى عباده بما كلفهم به فاذا عملوا ذلك ابتلى اعمالهم هل عملوها بخطاب الحق ام عملوها لغير ذلك وهو قوله تعالى يوم تبلى السرائر واطال فى ذلك ثم قال وان كان ولا بد فليحاكم من الفرح باقامة الحد على المحدود فليكن ذلك لما اسقطه ذلك الحد من المطالبة فى الآخرة قال وليس عندنا فى مسائل الاحكام المشروعة أصعب من الزنا خاصة فانه ولو أقيم عليه الحد فانه يبقى عليه بعد اقامته مطالبات من مظالم العباد انتهى فليتأمل ويحرر وقال من أراد الاجر التام فلا يقدم شيأ على تلاوة القرآن لاجل سماع الملائكة السياحين فانهم لا يقدمون شيأ على سماع القرآن لانه اشرف أرزاقهم وأعلاها ومن لم يتيسر له تلاوة القرآن فليجلس لبث العلم لاجل الارواح الذين غذاؤهم العلم لكن لا يتعدى علوم القرآن قال واعلم

الانس

الانس ان يراهم من غير ارادة منهم لذلك رفع الله الحجاب عن عين الذي يريد الله ان يدركهم فيدركهم وقد يأمر الله الملك بالظهور لنا فنراهم او يرفع الغطاء عنا فنراهم رأى العين لكن لا يصح كلامهم لنا اذا رأيناهم فان ذلك من خصائص الانبياء وأما الولي فان رأى الملك لا يراه مكالمه وان كلمه الملك لا يرى شخصه فلا يجمع بين الرؤية والكلام الا نبي (فان قلت) فهل للملك حظ في الشقاء (فالجواب) لا حظ للملك في الشقاء وأما ما نقل عن هاروت وماروت فلا يصح منه شيء فالشقاء والسعادة خاصان بالجن والانس والسلام (فان قلت) فما السبب الذي امرت الملائكة بالسجود لآدم لاجله هل هو لكونه في احسن تقويم او لتعليمهم الاسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ في علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة ان سجود الملائكة لآدم ليس لاجل تعليمهم الاسماء وانما ذلك لاجل كونه في احسن تقويم وسيأتي قريبا ان سبب السجود كان عن اغضاب خفي على الملائكة (فان قلت) فلم امروا بالسجود لآدم قبل ان يعرفوا فضله عليهم (فالجواب) انما امروا بذلك قبل ان يعرفوا فضله عليهم بما علمه الله له من الاسماء امتحانا للملائكة ولو ان السجود كان بعد ظهوره بالعلم ما ابى ابليس ولا قال انا خير منه ولا استكبر عليه ولهذا قال أأسجد لمن خلقت طينا وقال خلقتني من نار وخلقته من طين والنار اقرب الى اسم النور من الطين لاضاءتها (فان قلت) فاذن ما كان اعلام الله تعالى الملائكة بخلافة آدم الا بعد ما اخبر الله تعالى عنهم (فالجواب) نعم ولهذا قال في قصته واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فاتى بالماضي من الافعال وباداة اذ وهي لما مضى من الزمان فاجعل بالك من هذه المسئلة لتعلم فضل آدم بعلمه على فضله بالسجود له لمجرد ذاته ولتعلم ايضا لماذا نهى الشرع ان يسجد انسان لانسان فانه سجود الشيء لنفسه فانه مثله والشيء لا يخضع لنفسه وقد نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن الانحناء ايضا وأمرنا بالمصافحة (فان قلت) فهل كان الامر بالسجود لآدم ابتلاء للملائكة او لامر آخر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والاربعين وثلثمائة ان ذلك ابتلاء من الله للملائكة عن اغضاب خفي لا يشعر به الا العلماء بالله عز وجل لانها اعترضت على الحق تعالى في جعله آدم خليفة في الارض ولو انها ما اعترضت ما ابتليت بالسجود لآدم الذي هو عبد الله عز وجل * قال الشيخ وهكذا كل مؤاخذة وقعت بالعالم لا تكون الا بعد اغضاب خفي او جلي لان الله تعالى خلق العالم بالرحمة المتوجهة على ايجاده وليس من شأن الرحمة الانتقام بخلاف الغضب فان من شأنه الانتقام ولكنه على طبقات قال وحيث وقع الانتقام فهو تطهير الا الكفار وهذا من علوم الاسرار فاحتفظ به انتهى (فان قلت) قد ورد صفوا يعني في الصلاة كما تصف الملائكة عند ربها يعني خلف امامها وورد انها تصف خلف امامنا فاذن امامنا عند ربها ايضا (فالجواب) نعم وايضاحه أن الملائكة تصف خلفنا فهي في هذا الحال عند الامام المصلي بها وهي لم تزل عند ربها فالامام لنا مكان آدم فاماما يسجد لله تعالى في قبلة الامام كما يليق بجلاله والامام قبلة الملائكة فما زال سجود الملائكة لآدم وبنيه في كل صلاة كما سجدوا لابيهم آدم فلا تزال الخلافة في بني آدم ما بقي منهم مصل الى يوم القيامة ذكره الشيخ في الباب السابع والاربعين وثلثمائة وقال فيه ان الشأن الالهي والامر اذا وقع في الدنيا لم يرتفع حكمه الى يوم القيامة وقد وقع السجود لآدم من الملائكة فبقي سجودهم لذريته خلف كل من صلى الى يوم القيامة كما نسي آدم فنسيت ذريته وكما جحد فجحدت ذريته وكما قتل قابيل اخاه هابيل ظلما فما زال القتل في بني آدم ظلما الى يوم القيامة فكل مصل امام للملائكة والملائكة خلفه تسجد الى جهته (فان قلت) فما الفرق بين السجودين اعني سجودهم لآدم وسجودهم لاولاده (فالجواب) من الفرق بين آدم وبنيه ان الملائكة اذا سجدت خلف بنيه انما تسجد لسجود بني آدم في القراءة

أن جميع ما أتكلم به في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه فاني أعطيت مفاتيح الفهم فيه والامداد منه وذلك كله حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه اعلم ان حركات جميع الائمة العادلة لا تكون قط الا في حق الغير لا في حق نفوسهم بالاصالة فاذا رأيتم السلطان قد اشتغل عن مصالح رعيته وما يحتاجون اليه فاعلموا انه قد عزلته المرتبة بهذا الفعل ولا فرق حينئذ بينه وبين العامة وتأملوا قصة موسى لما خرج لحاجة اهله كلمه الله في عين حاجته وهي النار وكذلك الخضر بعثه امير الجيش الذي كان فيه يرتاد له ماء وكانوا قد فقدوا الماء فوقع بعين الحياة فشرب منها فعاش الى الآن وهو لا يعرف ما خص الله به شارب ذلك الماء من الحياة فهذا ما انتجه سعيه في حق الغير قال ولقد لقيت الخضر باشبيلية وأفادني التسليم لمقالات الشيوخ وان لا انازعهم وان كانوا مخطئين في نفس الامر * وقال في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا مراده بهؤلاء الذين ناداهم باسم الايمان هم الذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله كما قال تعالى وان يشرك به تؤمنوا فسمى المشرك مؤمنا وأطال في ذلك والله أعلم * وقال في الباب السابع والستين وثلثمائة اجتمعت بروح عيسى عليه السلام في

والصلاة واما سجودهم لآدم فهو سجود المتعلم للعلم فاجتمعا في السجود وافترقا في السبب والله اعلم

(فان قلت) فلم يقف النبي صلى الله عليه وسلم عن يمين جبريل لما صلى خلفه كما هو شأن المفرد (فالجواب) انما لم يقف عن يمينه لان النبي صلى الله عليه وسلم راى الملائكة خلف جبريل ببصره فوقف في صفهم ولو انه لم ير صف الملائكة لوقف عن يمين جبريل وكذلك ينبغي ان يقال في الجواب عن الرجل الذي صلى خلف النبي صلى الله عليه وسلم وامره بالوقوف عن يمينه لو كان يشاهد الملائكة الذين كانوا يصلون خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم لما امره بالوقوف عن يمينه فراعى صلى الله عليه وسلم حكم مقام ذلك المأموم وليس حكم من لم يشاهد الامور مثل حكم من يشاهدها والمقصود بما ذكرناه كله اعلامك بان السجود من الملائكة خلف بني آدم ما ارتفع وان الامامة ما ارتفعت من آدم الى آخر مصل والملائكة تبع لهذا الامام فنحن عند الله في حال امامتنا كما والملائكة تبع لامامنا والملائكة عندنا بالاقتداء فهي عند ربها لان الامام وهذه الملائكة عنده وكل صف امام ان خلفه بالغا ما بلغ

(فان قلت) فهل تتقرب الملائكة الى ربها بالنوافل كما يتقرب البشر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والعشرين واربعمائة انه ما ثم ملك يتقرب الى الله تعالى بنافلة ابدا انما هم في الفرائض دائما ففرائضهم قد استغرقت انفاسهم فلا نفل عندهم (فان قلت) فاذن هم ناقصون عن مقام البشر لفقدهم المقام الذي اخبر الحق تعالى انه يكون فيه سمعهم وبصرهم الى آخر النسق كما يليق بجلاله (فالجواب) نعم فهم عبيد اضطرار ونحن عبيد اضطرار واختيار فنقصوا بذلك عن مقامنا كما نقصوا عنا ايضا من حيث انه ليس لهم فكرة وانما لهم عقل فقط ففاتهم ثواب الفكر في مصنوعات الله وعدموا كون الحق تعالى سمعهم وبصرهم كما فاتهم ايضا ثواب اجتناب النهي لانهم لا يذوقون له طعما لعصمتهم انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد هل المراد بالرقيب العتيد هما الكاتبان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين وخمسمائة ان الملكين الكاتبين هما الرقيب والعتيد من ملائكة الليل والنهار فهم يكتبون كل ما تلفظ به العبد ولا يكتبون غير ذلك فان العبد اذا تلفظ رمى به في الهواء وبعد ذلك يتلقاه الملك فان الله تعالى عند قول كل قائل في حين قوله فيراه الملك نورا قد رمى به هذا القائل الذي الحق الله تعالى عند لسانه فيأخذه الملك أدبا مع القول فيحفظه له عنده الى يوم القيامة فعلم ان الحفظة تعلم ما يفعل العبد بنص القرآن ولكنها لا تكتب له عملا حتى يتلفظ به فاذا تلفظ به كتبته فهم شهود اقوال وسبب ذلك عدم اطلاعهم على ما نواه العبد في ذلك الفعل ولهذا كانت ملائكة العروج بالاعمال تصعد بعمل العبد وهي تستقله فيقبل منها ويكتب في عليين وتصعد بالعمل وهي تستكثره فيقال لهم اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانه لم يرد به وجه الله الحديث بمعناه وقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء فلو علمت الحفظة ما في نية العبد عند العمل ما ورد مثل هذا الخبر فالنية بالقلب لا يعلمها الا الله ثم صاحبها فالملك يكتب حركة العبد حتى حركة لسانه فاذا تلفظ فالله شهيد لانه تعالى عند قول عبده على الحقيقة بالاعتناء لا عند عبده فهذه الكينونة الالهية هي التي تحدث بحدوث الكون في الشهود وسبب ذلك انه تكوين والتكوين لا يكون الا عند القول الالهي في كل كائن فجميع ما يتكون في الكون فعن القول الالهي فليس بين الحق تعالى وبين العبد مناسبة أعم ولا اتم من مناسبة القول ولهذا ورد ان الله عند لسان كل قائل فان الكون الذي هو القول مفارق قائله فان لم يكن الحق تعالى عنده ضاع القول فلا بد من كون الحق تعالى عنده لينشئه صورة قائمة الخلقة كما يقبل تعالى الصدقة

السماء الثانية ونبت على يديه وكان له بي عناية عظيمة فهو لا يغفل عن تربيتي الى الآن وأطال في ذكر ما وقع له معه وكذلك الانبياء الذين في السموات ثم قال ولما اجتمعت بابراهيم عليه السلام قلت يا أبت لم قلت بل فعله كبيرهم قال لانهم قائلون بكبرياء الحق على آلهتهم التي اتخذوها فقلت له فما اشارتك بقولك هذا فقال لي أنت تعلمها فقلت له اني أعلم انها اشارة ابتداء وخبره محذوف يدل عليه قولك بل فعله كبيرهم فاسئلوهم اقامة للحجة عليهم منهم فقال لي عليه السلام مازدت على ما كان الامر عليه فقلت له فما قولك في الانوار الثلاثة يعني الكوكب والقمر والشمس أكان ذلك عن اعتقاد فقال لا انما كان عن تعريف اقامة الحجة على القوم الا ترى الى قول الحق تعالى في كتابكم وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وما كان اعتقاد القوم في الاله الا انه نمرود ابن كنعان لا تلك الانوار قال ولم يكن القوم يعتقدون في النمرود انه الاله الحق لانهم انما كانوا يعبدون الآلهة التي نحتوها وأطال في ذلك بكلام دقيق فليتأمل ويحرر (وقال) في الباب الثامن والستين وثلثمائة في قوله تعالى خالق السموات والارض بالحق اعلم ان جماعة من أهل الله غلطوا في هذا الحق المخلوق به وجعلوه عينا موجودة والحق ان

فير بها حتى تكون كالجبل العظيم انتهى (فان قلت) قد قال العلماء ان الملائكة يكتبون الاعمال ايضا لكون الله تعالى اخبرانهم يعلمونها وما يعلمونها الاليكتبوها (فالجواب) لم نعلم لقولهم هذا دليلا من القرآن فمن ظفر بدليل صريح فليلحقه بهذا الموضع والله اعلم (فان قلت) فما المراد بالملائكة المشار اليهم بقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله هل هم الحفظة أوغير ذلك (فالجواب) المراد بهؤلاء الملائكة ملائكة التسخير الذين يكونون مع العبد بحسب ما يكون العبد عليه فهم تبع له وليس المراد بهم الحفظة والله اعلم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة كرام بررة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين وماثة ان المراد بالصحف المكرمة هى علم الرسالة والمراد بالسفرة هم الرسل من الملائكة ومعنى بررة أى محسنون فهم سفراء الحق تعالى الى الخلق ورئيسهم الاكبر جبريل عليه الصلاة والسلام فاذا اراد الله تعالى انفاذ امر في خلقه اوحى الى الملك الاقرب الى مقام تنفيذ الاوامر وهو الكرسى فيلقى الله تعالى ذلك الامر على وجوه مختلفة ثم يأمره بان يوحى به الى من يليه و يوحى اليه ان يوحى الى من يليه وهكذا الى سماء الدنيا و ينادى به ملك الماء فتوضع تلك الرسالة في الماء و ينادى ملائكة اللمات وهم ملائكة القلوب فيلقونها في قلوب العباد فيعرف الشياطين ماجاءت به الملائكة وتأتى بامثاله الى قلوب الخلق فتنطق الالسنة بما تجده في القلوب وهي الخواطر قبل التكوين بانه كان كذا اواتفق كذا فما لم يكن فما يكون منه بعد الكلام به فكذلك بما جاءت به الملائكة ومالم يكن فهو مما القته الشياطين و يسمى ذلك في العالم الارجاف وتقول عنه العامة انه مقدمات التكوين ثم ان ملك الماء اذا القى ما اوحى به اليه في الماء فلا يشرب من ذلك الماء حيوان الاو يعرف ذلك السر الا الثقلين انتهى (فان قلت) فهل للملائكة آخرة كالانس والجن ام لا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن عشر وخمسمائة انه ليس للملائكة آخرة وذلك انهم لا يموتون فيبعثون وانما هو صعق وافاقة كالنوم والافاقة منه عندنا وذلك حال لا يزال عليه الممكن في التجلى الاجمالى دنيا وآخرة والاجمال هناك عند الملائكة عين المتشابه عندنا ولهذا يسمعون الوحى كانه سلسلة على صفوان وعند الافاقة يقع التفصيل الذى هو نظير المحكم فينا الامر فينا وفيهم آيات متشابهات وآيات محكمات فهم الابتلاء والفتنة بالاجمال والمتشابه المذكورين الملأين الاعلى والاسفل (فان قلت) فهل تتفاضل الملائكة في العلم بالله تعالى (فالجواب) نعم لكن من غير فرق لانهم على مقامات لا يتعدونها كما مر فالمفضول منهم يستفهم من العالم كما في قولهم ماذا قال ربكم قالوا الحق وايضاح ذلك ان الملائكة ارواح في انوار ولها اجنحة فاذا تكلم الحق تعالى بالوحى على صورة خاصة وتعلقت به أسماعهم كانه سلسلة على صفوان كما ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا وتصعق حتى اذا فزع الله عن قلوبهم وهو افاقتهم من صعقتهم قالوا ماذا اى يقول بعضهم لبعض ماذا فيقول بعضهم قال ربكم كذا اعلاما بان كلام الله عين ذاته فيقول بعضهم لهذا القائل الحق اى الحق يقول وهو العلى الكبير عن هذا التشبيه فانتهى كلام الملائكة الى قوله قالوا الحق فقال الله وهو العلى الكبير نظير قوله ليس كمثله شئ والله اعلم (فان قيل) فهل للعالم البشرى التصرف في عالم الصور وعالم الانفس المدبرين لهذه الصور (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ في الباب السادس والستين وثلثمائة قال عدا هذين الصنفين فما للعالم البشرى عليهم حكم لكن من اراد منهم أن يحكم من شاء على نفسه كعالم الجان فله ذلك فعلم ان العالم النورى من الملائكة خارجون عن ان يكون للعالم البشرى عليهم ولاية لان كل واحد منهم على مقام معلوم عينه له ربه فما ينزل عنه الا بامر ربه فان اراد ان ينزل واحد منهم فليتوجه في ذلك الى ربه وربه يأمره ويأذن له في ذلك اسعافا

هى عين اللام في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال وايضاح ذلك ان الحق تعالى لا يخلق شيأ بشئ وانما يخلق شيأ عند شئ وكل باء تقتضى الاستعانة والسببية فهى لام فما خلق الله شيأ الا لحق وهو ان يعبده ذلك المخلوق على حسب ما يليق به وأطال في ذلك فليتأمل * وقال في الباب التاسع والستين وثلثمائة اختلف اصحابنا في هذا النوع هل ينقطع اشخاصه بانتهاء مدة الدنيا أم لا فمن لم يكشف قال بانتهائه ومن كشف قال بعدم انتهائه وان التوالد في النوع لانسانى باق في الجنة وأطال في ذلك * وقال في قوله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا أى فما لكم بالمحجوبين لا تعلمون ما تحدثكم به فان الشرع كله حديث وخبر الهى عما يقبله الوهم والعقل وما أعلمه بالله انما تعلمون قديما وان حدث عندكم فما هو حديث العين قال الله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وما هو الا كلام الله الازلى فحدث عله عندهم حين سمعوه فهو محدث الاتيان قديم العين كما تقول حدث اليوم عندنا ضيف ومعلوم أنه كان موجودا قبل ان يأتى وقد جاء القرآن في مواد حادثة تلقى السمع بها وكذلك الفهم

لهذا السائل أو ينزل عليه ابتداء (فان قيل) فما مقام الملائكة السياحين (فالجواب) مقامهم المعلوم كونهم سياحين يطلبون مجالس الذكر الذي هو القرآن فلا يقدمون على من ذكر الله بالقرآن احدا من الذاكرين بغير القرآن فاذا لم يجدوا من يذكر الله بالقرآن غدوا على الذاكرين بغيره وذلك رزقهم الذي يعيشون به وفيه حياتهم ولذلك كان المهدي اذا خرج يقيم جماعة يتلون كتاب الله آناء الليل والنهار ذكره الشيخ في الباب السادس والستين وثلثمائة (فان قيل) فهل في الملائكة احد يجهل صفات الله عز وجل كما يقع لعوام الجن والانس (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة انه ليس في الملائكة بعد تعليم آدم الاسماء من يجهل الحق تعالى بل كلهم علماء بالله عز وجل ولذلك قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة ثم قال في حق الناس واولوا العلم فلم يطلق الامر كما أطلقه في الملائكة وأطال في ذلك ثم قال فالمراد بهذا العلم هو علم التوحيد لا علم الوجود فان العالم كله عالم بالوجود بخلاف التوحيد في الذات او في المرتبة يجهله بعض الناس (فان قيل) فهل اختصت الملائكة عن البشر بشئ من العلوم (فالجواب) نعم كما ذكره الشيخ في الباب الخامس والسبعين وثلثمائة وذلك انهم اختصوا بالعلم الذي لا يعرفه احد من البشر الا ان تجرد عن بشريته وعن حكم ما فيه للطبيعة من حيث نشأته حتى يبقى الروح المنفوخ فيه على أصله الاول وحينئذ يختص لاعلم الله تعالى من حيث علمه الملائكة فيقوم في عبادة الله تعالى مقام الملائكة في عبادتهم لله تعالى قال وقد ذقنا ذلك ولله الحمد ولولا خوفنا اننا اذا علمنا هذا العلم لاحد يدعيه كذبا لبيناه منها ما تقر به العيون (فان قلت) فهل فطر احد من الملائكة على الشهوة ولكن يحميه الله تعالى ام لا شهوة له اصلا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والسبعين وثلثمائة ليس للملائكة شهوة وانما فطرهم الله على المعرفة بالله وعلى الارادة ولذلك أخبر عنهم بانهم لا يعصون الله ما امرهم لما خلق لهم من الارادة ولولا الارادة ما أثنى عليهم بانهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (فان قلت) فعلى ماذا فطر الحيوان (فالجواب) فطر على العلم بالله وعلى شهوة خاصة بخلاف الجن والانس فانهم فطروا على المعرفة والشهوة وذلك تعلق خاص في الارادة اذ الشهوة ارادة طبيعية فليس للجن والانس ارادة الهية كالملائكة وفطرهما الله تعالى على العقل لا لاكتساب العلم وانما هو آلة جعلها الحق تعالى للجن والانس ليردعوا به الشهوة في هذه الدار خاصة وجميع ما استفاده الانسان والجان من العلم من غير طريق الكشف فانما هو من طريق الفكر بالموافقة فعلم ان العلوم التي في الانسان انما هي بالفطرة والضرورة والالهام وغاية الكشف ان يكشف له عن العلوم التي فطره الله عليها الاغير فهو يرى به معلومه واما بالفكر فمحال ان يصل به الى العلم (فان قلت) فمن اين علمت هذا وهو من مدركات الحس فلم يبق الا النظر (فالجواب) علمنا ذلك من طريق الالهام والاعلام الالهي وذلك ان النفس الناطقة تتلقى ذلك العلم من ربها كشفا وذوقا من الوجه الخاص من طريق الالهام فان لكل موجود من الله وجها خاصا فعلم ان الفكر الصحيح غاية امره ان لا يزيد على الامكان بخلاف ما ذكرناه من علم الله واعلامه كما ان غاية مقام يصل اليه العبد بالنظر الصحيح في المعرفة بالله تعالى الحيرة في الله وهذا مبتدا البهائم لانها مفطورة على الحيرة والعبد يريد ان يخرج عنها فلا يقدر ابدا (فان قلت) فكم اصناف الملائكة (فالجواب) هم ثلاثة اصناف كما ذكره الشيخ في الباب الرابع وخمسين ومائة الاول الصنف المهيمون في جلال الله تعالى كما اوجدهم فانه تعالى تجلى لهم في اسمه الجميل فهيمهم وافناهم عنهم فلا يعرفون نفوسهم ولا من هاموا فيه هكذا ادركناهم من طريق كشفنا فهم في الحيرة سكارى وقد اوجدهم الله تعالى من ابنية العماء الذي ما فوقه هواء وما تحته هواء وجعل ما بينا فيه وهم ارواح في هيا كل انوار كسائر الملائكة

ثم أو عادلت عليه السكلمات فله الحدوث من وجه والقدم من وجه وأطال في ذلك * وقال لا يطلب العبد بان يعرف حقيقة نسبة أخبار الصفات الى الله عز وجل وكل من أولها حرم رؤية الحق يوم القيامة حين يقع التجلي فيا أعظمها من حسرة * وقال ليس في الجن من يجهل الحق تعالى ولا من يشرك به هم ملحقون بالكفار لا بالمشركين وان كانوا هم الذين يوسوسون بالشرك للناس وأطال في ذلك فليتامل ويحرر * وقال صلى الله عليه وسلم ما فضلكم أبو بكر بكثير صوم ولا صلاة ولكن بسر وقر في صدره اعلم ان الاشارة بهذا السر والله أعلم الى ما وقع له رضي الله عنه يوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثبات حين اضطربت عقول الصحابة ذلك اليوم وقال ما لا يمكن ان يسمع حتى شهد على نفسه ذلك اليوم بقصوره وأبو بكر رضي الله عنه لم يتغير عليه حال بل صعد المنبر وقرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فتراجع من كان حكم عليه وهمه من الناس وعرف الناس فضل أبي بكر على الجماعة فاستحق الامامة والتقدم وما بايعه من بايعه سدى وما تخلف عن بيعته الا من جهل منه السر الذي وقر في صدره او من كان في محل ظاهر من دلالات أو منا أولا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه

الآن وليس لها ولا للملائكة من الولاية الا الولاية الممكنات * الثاني ملائكة التسخير كالمسخرين لنا
بالعروج ليلا ونهارا من حضرة الحق الخاصة الينا ومن حضرتنا الى الحق وكالملائكة المستغفرين لمن
في الارض والمستغفرين للمؤمنين خاصة وكالملائكة الموكلين بالالهام والموكلين بالارحام والموكلين
بالالهام والموكلين بنفخ الارواح وكالملائكة الموكلين بالارزاق والامطار وكالموكلين بالانسان وكالملائكة
الصافات والزاجرات والتاليات والمقسمات والنازعات والمرسلات والناشرات والسابقات والسابحات
والملقيات والمدبرات وغيرها وكل من عموم النبيين افضل من هؤلاء كما مر في المبحث قبله * واعلم ان
راس ملائكة التسخير هو القلم الاعلى وهو العقل الاول سلطان عالم التدوين والتسطير قال الشيخ وكان
وجود هؤلاء مع العالم المهيم غير ان الله تعالى حجبهم عن هذا التجلي الذي هام به غيرهم * الثالث
ملائكة التدبير وهي الارواح المدبرة للاجسام كلها سواء الطبيعية والنورية والفلكية والعنصرية
وجميع اجسام العالم واطال الشيخ في ذلك ثم قال وقد ذكرنا في الباب الرابع عشر وثلثمائة انه ليس
للملائكة كسب ولا تعمل في مقام وانما هي مخلوقة في مقامها لا تتعداه فلا تكتسب قط مقاما وان زادت
علوما فليست تلك العلوم عن فكر ولا استدلال لان نشأتهم لا تعطي ذلك مثل ما تعطيه نشأة الانسان
(فان قلت) فما المراد بالاجنحة في قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع
(فالجواب) ان المراد بهذه الاجنحة هو القوى الروحانية وليس لهذه القوى تصرف الا فيما كان من
مقامها فلا تتعدى مقام صاحبها من الاملاك كما مر في مبحث الاسراء ان غاية كل شيء ان يرجع للمحل
الذي صدر منه لكن لا يخفى ان الاجنحة المذكورة ما جعلت للملائكة الا ينزلوا بها الى من هو دونهم في
العنصر لا ليصعدوا بها الى من فوقهم فيه وهذا بعكس الطائر عندنا فانه يهوي بلا اجنحة ويصعد بها
فان اجنحة الملائكة لا تصعد بها فوق مقامها فعلم ان الاصل في اجنحة الطائر ان تكون للصعود والاصل في
اجنحة الملائكة ان تكون للهبوط فالطير اذا نزل نزل بطبعه واذا علا علا بجناحه والملك اذا نزل نزل بجناحه
واذا علا علا بطبعه كل ذلك ليعرف كل موجود عجزه وان لا يمكن له ان يتصرف الا على قدر ما حد له
(فان قلت) فما المراد بعروج الملائكة فانه لا يعرج الا من نزل (فالجواب) لا يختص عروج
الملائكة بالعلويات كعروج غيرهم بل يسمى نزولهم اليناعروجا ايضا لظهار الاطلاق الحكم لله رب
العالمين فان له تعالى في كل موجود تجليا ووجها خاصا به يحفظه ولا سيما وقد ذكر سبحانه وتعالى ان له
جهة العلو على الاطلاق أي سواء وقع التجلي في السفليات والعلويات قال تعالى سبح اسم ربك الاعلى
وقال وهو الله في السموات وفي الارض فجعل له العلو سواء كان في السموات أو في الارض بقرينة
حديث اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فافهم فالعلو له دائما قال الشيخ وايضاح ذلك ان الله
تعالى اعطى الملائكة من العلم بجلاله بحيث انهم اذا توجهوا من مقامهم لا يتوجهون الا الى الله تعالى
لا الى غيره فلهم نظر الى الحق في كل شيء ينزلون اليه فمن حيث نظرهم الى من ينزلون اليه قال تنزل
الملائكة ومن حيث انهم في نزولهم أصحاب عروج قال تعرج الملائكة وبالجملة فكل نظر وقع الى الكون من
اي كائن كان فهو نزول وكل نظر وقع الى الحق وقع من اي كائن كان فهو عروج وقد قررنا فيما سبق ان
الملك اذا عرج يعرج بذاته لانه رجوع الى أصله واذا عرج الرسول الى السماء عرج تبع الذات البراق بحكم
التبعية له (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى خطابا لابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
استكبرت ام كنت من العالين (فالجواب) المراد به استكبرت اي في نظرك وكذلك كان الامر فان الله
أخبر عنه انه استكبر وظن بنفسه في باطن الامر انه خير من آدم فهو هنا جهل ابليس (فان قلت) فهل
العالون ارواح أو ملائكة (فالجواب) هم ارواح ما هم ملائكة اذ الملائكة هم الرسل من هذه الارواح

وسلم شهدله في حياته بفضله على الجماعة بالسر الذي وقر في صدره ولم تظهر حكم ذلك السر الا يوم مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصل
ذات أبي بكر وصوله الى
مقام شهد فيه ان موت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم حق وانه محل لجريان
أحكام الربوبية عليه
وهنالك تجرد أبو بكر بقلبه
الى جانب الحق وتوكل
على الله وحده ولما علم رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ان أبا بكر قلبه مع الله
بالاعتماد عليه وحده دون
غيره وانه صار يترقب لما
يوحي الله به اليه على لسان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم في كل خطاب سمعه
منه قال في حقه ما قال
(قلت) ومن هنا جعل
القوم حال أبي بكر المذكور
ميزانا للكمال المريد وأنه
متى صار يرى شيخه محلا
لجريان الاقدار وان الامر
كله لله وصار لا يتأثر لفقد
شيخه اذا فقد بموت أو سفر
بعيد كل ذلك التأثر فقد
كمل حاله واستحق الفطام
واطال في ذلك وتقدم في
الباب الثالث وثلثمائة
الكلام على حكمة ترتيب
ولاية الخلفاء الاربعة
فراجعه * وقال فيه من
قال ان الحق تعالى يحل
في الصور فهو أعمى البصر
والبصيرة لان غاية الناس
مرتبة الاحسان ثم الايقان
المشار اليها بقوله اعبد الله
كانك تراه فتمثله في خيالنا
مرئيا ولم يحجر الشارع علينا الا ان نجعل معبودنا محسوسا كالاصنام لا ان نتخيله صورة فان الشارع يعلم ان من مرتبة الخيال ان يجسم

كجبريل وامثاله فان الالوكة هي الرسالة في لسان العرب فما بقي ملك الا سجد لانهم هم الذين قال الله لهم اسجدوا لآدم فلم تدخل الارواح المهيمنة فيمن خوطب بالسجود فانه ماذكر انه خاطب الملائكة لا الارواح ولهذا قال فسجد الملائكة كلهم اجمعون ونصب ابليس على الاستثناء المنقطع لا المتصل وهذه الارواح المشار اليهم بالعالين لا يعرفون ان الله تعالى خلق آدم ولا غيره لشغلهم بالله تعالى فقول الله تعالى لابليس ام كنت من العالين اي من هؤلاء الذين ذكرناهم فلم تؤمر بالسجود ولا يخفى ان السجود في اللسان هو التطاطؤ لان آدم خلق من تراب وهو اسفل الاركان لا اسفل منه وسمعت بعض أشياخنا يقول انما لم يأمر العالون بالسجود لآدم لانهم لا يعرفونه حتى يسجدون له وايضا فلانهم ماجرى لهم ذكر في تعريف الله ايانا ولولا ماذكر الله تعالى ابليس بالاباية ماعرفنا انه امر بالسجود ذكره الشيخ في الباب الحادي والستين وثلثمائة * وقال في الباب السابع والخمسين ومائتين ارفع الارواح العلوية العالون وليسوا بملائكة من حيث الاسم فانه موضوع للرسل منهم خاصة اذ معنى الملائكة الرسل وهو من المقلوب وأصله مألكة والالوكة الرسالة فلا تختص بجنس دون جنس ولهذا دخل ابليس في الخطاب بالامر بالسجود لما قال الله للملائكة اسجدوا لانه كان ممن يستعمل في الرسالة في الجملة فالملائكة جنس يعم الارواح البررة السفرة والجن والانس فكل صنف فيه من ارسل وفيه من لم يرسل فالنبوة الملكية المهموزة لا ينالها الا الطائفة الاولى العالون من حول العرش يسبحون بحمد ربهم او الافراد من ملائكة الكرسي والسموات وملائكة العروج قال وآخر نبي من الملائكة اسماعيل صاحب سماء الدنيا وكل واحد منهم على شريعة من ربه من باطنية شريعة محمد صلى الله عليه وسلم في عالم الارواح مغياة بغاية وذلك قوله تعالى ومامنا الا له مقام معلوم فاعترفوا بان لهم حدودا يقفون عندها لا يتعدونها ولا معنى للشريعة الا هذا فاذا اوحى الله تعالى اليهم سمعوا كلام الله بالوحي فضربوا باجنحتهم واطال في ذلك (فان قلت) فما المراد بالاسماء الالهية التي استند اليها الملائكة المشار اليهم بهؤلاء من قوله انبئوني باسماء هؤلاء في ايجادهم واحكامهم (فالجواب) هي سائر الاسماء الالهية فكان جهلهم بالاسماء نقصا يستحقون به المؤاخذة والتوبيخ كانه تعالى يقول لهؤلاء الملائكة هل سبحتموني وقدستموني بهذه الاسماء قط مع انكم ادعيتم تسبيحي وتقديسي وزكيتم نفوسكم وجرحتم الخليفة في الارض ولم يكن ينبغي لكم ذلك (فان قلت) فهل للملك والحيوان والمعدن والنبات ارادة (فالجواب) ليس لهم ارادة تتعلق بامر من الامور فهم مع مافطروا عليه من السجود لله والثناء عليه فشغلهم دائما به تعالى لا عنه واما الانسان فله الشغل به وعنه والشغل عنه هو المعبر عنه بالغفلة والنسيان (فان قلت) فهل في الارواح قوة مصورة كما في الانسان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والستين وثلثمائة ان الارواح لها قوة التصور وما لها القوة المصورة فان القوة المصورة تابعة للفكر الذي هو صفة للقوة المفكرة وكذلك الارواح التي فوق الطبيعة لا يشهدون صور العالم ولا يقبلون التصور كالنفس الكلية والعقل والملائكة المهيمين في جلال الله والله أعلم وفي هذا القدر من احوال الملائكة كفاية وسيأتي نبذة صالحة من الكلام على ملائكة الالهام في مبحث الولاية ان شاء الله تعالى

(المبحث الاربعون في مطلوبية بر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ووجوب الكف عن الخوض في حكم ابوي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحكم اهل الفترتين بين نوح وادريس وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وبيان أنهم يدخلون الجنة وان لم يكونوا مؤمنين بكتاب ولا سنة رسول)

اعلم انه يستحب بر الانبياء كلهم والدعاء لهم بان الله يزيد في درجاتهم رجاء رضاء الله عز وجل عنا وقد قال الشيخ

ويصور ماليس بجسد ولا صورة وهذا من رحمة الله بنا التي وسعت كل شئ ومن شك في قولنا فليتخيل الحق في حال مناجاته في الصلاة خلفه كما هو امامه فانه لا يقدر هذا حكم الوهم وأما من حيث الايمان بالله فانه تعالى لا يتحيز وليس هو في جهة فاعلم ذلك * وقال لما سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخيل اليه انه يأتي نساءه وهو لم يأتهن فاتاهن في الخيال ولم يأتهن في الحس ومن هنا قالوا ان السحر له وجه الى الحق ووجه الى الباطل اذ هو مشتق من السحر الذي هو اختلاط الضوء والظلمة من غير تخلص لاحد الجانبين قال ومن أراد ابطال السحر فلينظر الى ماعقد الساحر فيعطي لكل عقدة كلمة يحلها بها كائنة ما كانت فان نقص عنها الكلمات بقي عليه من العقد شئ ضرورة فلا يزول السحر الا بحل جميع العقد والسلام قال وهذا من العلوم الالهية فان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان روح القدس نفث في روعي ولا يكون النفث الا بريح بريق لابد من ذلك حتى يعلم بخلاف النفخ فانه ريح مجرد واطال في ذلك بذكر غرائب * وقال انما كان حديث النفس مغفورا ما لم تعمل او تتكلم لان الكلام عمل يؤاخذ العبد به من حيث ما هو متلفظ به كالغيبة والنميمة فانه يؤاخذ بحسب ما يؤدي اليه ذلك اللفظ وان

الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والخمسين واربعمائة اعلم انه ينبغي لكل مؤمن بر اجداده وآبائه المسلمين وغير آبائه من اكابر الاولياء من آدم الى ابيه الاقرب قال الشيخ وليلة اعتمرت مرة عن ابينا آدم عليه السلام وامرت اصحابي بذلك فوجدنا ابواب سماء الدنيا التي فيها آدم عليه السلام قد فتحت تلك الليلة وعرجت ملائكة لا يحصي عددهم الا الله ونزلت ملائكة كذلك وتلقونا بالترحيب والتسهيل الى ان بهتنا منهم وذهلنا من كثرتهم لاجل صلة ابينا آدم عليه السلام تلك الليلة وذلك لان رحم آدم عليه السلام مقطوعة عند اكثر الناس قال ولقد الهمني الله تعالى صلتها فوصلتها ووصلت بسببي ايضا وكان ذلك عن توقيف الهي لم ار لاحد في ذلك تقدما امشي عليه وما قال الحق تعالى في غير موضع من القرآن يا بني آدم الا ليذكرنا تعالى بابينا آدم عليه السلام لنصله ومع هذا فلم يتنبه احد لهذه الابوة ولا للوفاء بحقها وما اشبه هذه الذكرى من الله تعالى بقوله لمريم يا اخت هرون واين زمن هرون من مريم * واما وجوب الكف عن الخوض في حكم ابوي النبي صلى الله عليه وسلم في الآخرة فللشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله في هذه المسئلة ست مؤلفات وقد طالعتها كلها فرأيتها ترجع الى ان الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب وان من آذاه فقد آذى الله وقال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا وفي القرآن العظيم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ومن طالع فيما نقله اهل السير من كلام عبد المطلب لما اراد نحر عبد الله في قصة حفر بئر زمزم شهد له بالتوحيد وصاحب التوحيد سعيد باي وجه كان توحيده كما سيأتي قريبا في حكم اهل الفترات قال الجلال السيوطي وقد ورد في الحديث ان الله تعالى احيا ابويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به وعلى ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي وابو القاسم ابن عساكر وابو حفص بن شاهين والسهيلي والقرطبي ومحب الدين الطبري وابن المنير وابن سيد الناس والصفدي وابن ناصر الدمشقي وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين ولفظ السهيلي بعد ايراد حديث الحاكم وصححه عن ابن مسعود قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابويه فقال ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما واني القائم يومئذ المقام المحمود قال ففي هذا الحديث تلويح بانه صلى الله عليه وسلم يشفع فيهما في ذلك المقام ليوفقا للطاعة عند الامتحان الذي يقع يوم القيامة كما ورد في عدة احاديث قال المحب الطبري والله تعالى قادر على ان يحيي ابويه صلى الله عليه وسلم حتى يؤمنا به ثم يموتا ويكون ذلك مما اكرم الله تعالى به سيد الاولين والآخرين انتهى وقال القرطبي ليس احياؤهما وايمانهما به صلى الله عليه وسلم يمتنع لا عقلا ولا شرعا فقد ورد في القرآن احياء قتيل بني اسرائيل حتى اخبر بقاتله انتهى (قلت) وعلى القول بصحة احيائهما بعد موتهما فيكون ذلك الاحياء مثل احياء من قال لهم الله موتوا ثم احياهم اي الى تكملة آجالهم وعلى ذلك فما آمن ابوي النبي صلى الله عليه وسلم الا في زمن تكليفهما فكانهما آمنا به قبل ان يموتا كما قال بعض المحققين في سجدة اهل الاعراف من ان ميزانهم ترجح بتلك السجدة يوم القيامة ثم يدخلون بها الجنة فلولا ان هذه السجدة نفعتهم وسعدوا بها لم يدخلوا الجنة مع انها ما وقعت الا بعد موت فيوم القيامة برزخي له وجه الى الدنيا ووجه الى الآخرة والله اعلم وكان الامام ابو بكر بن العربي المالكي الفقيه المحدث يقول ما عندي احد اشد اذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يقول ان ابويه في النار وفي حديث مسلم لا تؤذوا الاحياء بسبب الاموات فيحرم جزما ان يقال ان ابوي النبي صلى الله عليه وسلم في النار انتهى قال الشيخ جلال الدين السيوطي خاتمة حفاظ مصر رحمه الله وقد صرح جماعات كثيرة بان ابوي النبي صلى الله عليه وسلم لم تبلغهما الدعوة والله تعالى يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجيا

كان تلفظ به وله عمل زائد على التلفظ به فلم يعمل به فما عليه الا وزر عين ما تلفظ به فهو مسؤل عند الله من حيث لسانه قال ولا يدخل الهم بالشيء في حديث النفس كما توهم اذ الهم بالشيء له حكم آخر في الشرع خلاف حديث النفس ولذلك موطن كمن يريد في الحرم المكي الحاد بظلم يذيقه الله من عذاب اليم سواء وقع منه ذلك الظلم او لم يقع واما في غير الحرم المكي فانه غير مؤاخذ بالهم وان لم يفعل ما هم به كتبت له حسنة اذا ترك ذلك من اجل الله خاصة فان لم يتركها من اجل الله لم يكتب له ولا عليه فهذا الفرق بين الحديث النفسي والارادة التي هي الهم (قلت) وسيأتي ان شاء الله تعالى في الباب الثاني والعشرين واربعمائة قول الشيخ اعلم ان الله تعالى قد عفا عن جميع الخواطر التي لا تستقر عندنا الا بعلة لان الشرع قد ورد ان الله تعالى يؤاخذ فيه من يرد فيه بالحاد بظلم وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطائف احتياطا لنفسه فانه ليس في قوة الانسان ان يمنع عن قلبه الخواطر فمن لم يخطر له الحق تعالى خاطر سوء فذلك هو المحفوظ ومن لنا بذلك قال وقد اخبرني سليمان الدنبلي على وجه التحدث بالنعم ان له منذ خمسين سنة ما خطر الحق تعالى في قلبه خاطر سوء انتهى قال وانما نكر

ولا يعذب ويدخل الجنة قال وهو مذهبنا لا خلاف فيه بين المحققين من أئمتنا الشافعية في الفقه والاشاعرة في الاصول ونص على ذلك الامام الشافعي رضي الله عنه وتبعه على ذلك الاصحاب قال الجلال السيوطي رحمه الله ومما يوضح لك انهما لم تبلغهما الدعوة انهما ماتا في حداثة سنه صلى الله عليه وسلم وصحح العلائي وغيره ان والد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله عاش من العمر ثمان عشرة سنة ووالدته ماتت في حدود العشرين ومثل هذا العمر لا يسع الفحص على المطلوب في التوحيد على القول بان الله تعالى لم يحيهما حتى آمنا به مع ان ذلك الزمان الذي كانا فيه كان زمانا قد عم فيه الجهل والفترة انتهى * ولنذكر لك جملة من احكام اهل الفترتين ليدخل ابوا النبي صلى الله عليه وسلم في اشرف اقسامهم فنقول وبالله التوفيق اعلم ان الموحد سعيد باي وجه كان توحيده وان لم يكن مؤمنا بكتاب ولا رسول ويدخل الجنة وذلك ان متعلق الايمان انما هو الخبر الذي ياتي به الانبياء عن ربهم عز وجل وليس بين ظهري اهل الفترتين كتاب ولا رسول حتى يؤمنوا بهما وحينئذ يصح ان يلغز بذلك فيقال انا شخص مات على غير الايمان ويدخل الجنة وهو من وحد الله بنور وجده في قلبه ومات على ذلك وقد قسم الشيخ محيي الدين اهل الفترتين في الباب العاشر من الفتوحات الى ثلاثة عشر قسما وحكم لستة اقسام منهم بالسعادة والاربعة بالشقاء والثلاثة بانهم تحت المشيئة (فاما) السعداء فقسم وحد الله تعالى بنور وجده في قلبه كقس بن ساعدة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فان قسا كان اذا سئل هل لهذا العالم اله يقول البعرة تدل على البعير واثر الاقدام على المسير الى آخر ما قال واما سعيد ابن زيد فكان يسجد ويقول الهي اله ابراهيم وديني دين ابراهيم كما في صحيح البخاري وكان يقول ايضا اني لانتظر نبيا من ولد اسماعيل من بني عبد المطلب ولا اراني ادركه وانا اومن به واصدقه واشهد انه نبي ومن طالت به مدة ورآه مرة فليقره مني السلام انتهى * ذكره ابن سيد الناس في سيرته قال الشيخ محيي الدين ويسمى من وحد الله تعالى مثل قس صاحب دليل ممتزج بفكر وذلك لانه ذكر المخلوقات واعتباره فيها ولذلك كان يبعث امة وحده كما ورد لا تابعا ولا متبوعا (وقسم) وحد الله تعالى بما تجلى لقلبه من النور الذي لا يقدر على دفعه من غير فكر ولا روية ولا نظر ولا استدلال فهذا على نور من ربه خاص غير ممتزج بفكر في كون من الاكوان ويحشر هذا يوم القيامة مع الاصفياء الابرار (وقسم) القي في نفسه واطلع من كشفه لشدة نوره وصفاء سره وخلوص يقينه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم وسيادته وعموم رسالته باطنا من زمن آدم عليه السلام الى زمن هذا المكاشف فآمن به في عالم الغيب على شهادة منه وبينة من ربه وهو قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه اي يشهد له في قلبه بصدق ما كوشف له فهذا يحشر يوم القيامة في ضياء من خلفه وفي باطنية محمد صلى الله عليه وسلم (وقسم) اتبع ملة حق ممن تقدمه كمن تهود او تنصر واتبع ملة ابراهيم او من كان من الانبياء حين علم واعلم انهم رسل الله تعالى يدعون الى الله تعالى طائفة مخصوصة فتبعهم وآمن بهم وسلك سنتهم فحرم على نفسه ما حرم ذلك الرسول وتعبد نفسه بشريعته وان كان ذلك ليس هو بواجب عليه اذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثا اليه فهذا يحشر مع من تبع ذلك النبي يوم القيامة ويتميز في زمرته في ظاهر يته اذا كان شرع ذلك النبي قد تقرر في الظاهر (وقسم) طالع في كتب الانبياء فعرف شرف محمد صلى الله عليه وسلم وشرف دينه وثواب من اتبعه فآمن به وصدق على علم وان لم يدخل في شرع نبي قط ممن تقدم لا سيما ان كان قد اتى بمكارم الاخلاق كحكيم بن حزام واضرابه فهذا يحشر يوم القيامة مع المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم لا في العاملين بشريعته ولكن في ظاهرية محمد صلى الله عليه وسلم (وقسم) آمن بنبيه الذي ارسل اليه وادرك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به فله اجران فهؤلاء ستة اقسام

تعالى الظالم بقوله بظلم لصاحب من سدن مكة جميع الظلم في كبير وصغير والله أعلم وقال في حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما اما نصرة المظلوم المعلومة عند الجميع واما نصرة الظالم فان تنصره على ابليس الذي يوسوس في صدره بما يقع منه في الظلم بالكلام الذي تستحليه النفوس وتنقاد اليه فتعينه على رد ما وسوس اليه الشيطان من ذلك فهذه نصرته اذا كان ظالما وكذا جاء الخبر في نصرة الظالم ان تأخذ على يديه والمراد به ما ذكرنا فلا بد ان تكون النصرة واردة على شيء فافهم * وقال الشهادة بالوحي اتم من الشهادة بالمعاينة كشهادة خزيمة في قصة بيع الجمل فانه لم يكن حاضرا وانما قال اشهد بتصديقك يا رسول الله فحكم صلى الله عليه وسلم بشهادة خزيمة وحده لانها شهادة بالوحي ولو ان خزيمة شهد شهادة عين لم تقم شهادته مقام اثنين وبذلك حفظ الله علينا لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة فانها ثبتت بشهادة خزيمة وحده وقد كان جامع القرآن لا يقبل آية منه الا بشهادة رجلين فصاعدا الا هذه الآية * وقال مما يدلك على ان الكلام لله والترجمة للمتكلم قوله تعالى مقسما انه يعني القرآن لقول رسول كريم فاضاف الكلام الى الواسطة والمترجم كما اضافه تعالى الى نفسه بقوله

كلامه

كلهم سعداء عند الله يوم القيامة لتوحيدهم وان لم يتصفوا بالايمان (وأما) الاشقياء (فقسم) عطل لا عن نظر بل عن تقليد فذلك شقي مطلق (وقسم) اشرك لا عن استقصاء نظر فذلك شقي (وقسم) عطل بعدما أثبت لا عن استقصاء نظر او تقليد فذلك شقي (وقسم) اشرك عن تقليد محض فذلك شقي (واما) من هو تحت المشيئة فقسم عطل فلم يقر بوجود عن نظر قاصر ذلك القصور بالنظر اليه لضعف في مزاجه عن قوة غيره فهو تحت المشيئة (وقسم) أشرك عن نظر اخطأ فيه طريق الحق مع بذل المجهود الذي تعطيه قوته فذلك تحت المشيئة (وقسم) آخر عطل بعدما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوة التي هو عليها مع ضعفها بالنسبة لمن فوقه فهو تحت المشيئة (فهذه) أقسام اهل الفترات التي بين ادريس ونوح وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فاياك ان تحكم على أهل الفترات كلهم بحكم واحد من غير هذا التفصيل فتخطئ طريق الصواب فرحم الله تعالى الشيخ محيي الدين ما كان اوسع اطلاعه فان هذا التقسيم لم تجده لغيره والله أعلم

(المبحث الحادي والاربعون في بيان ان ثمرة جميع التكاليف التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام يرجع نفعها الينا والى الرسل لا الى الله عز وجل فان الله غني عن العالمين وذلك انها كفارة لما نرتكبه من المخالفات فما من فعل منهي عنه الا ويقابله امر مأمور به يكون كفارة له)

اذ علمت ذلك فاقول وبالله التوفيق نقل بعض العارفين ان سبب مشروعية جميع التكاليف هو الاكلة التي أكلها أبونا آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة فكانت جميع التكاليف في مقابلتها كفارة لها وتطهير المحلها انتهى (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله ينقل ذلك ايضا عن سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله عنه ولا يخفى ان أكل آدم من الشجرة لم يكن معصية حقيقة وانما كانت صورة ليرى بنيه كيف يفعلون اذا وقعوا في محظور لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ترقيهم دائم فلا ينقلون قط من مقام او حال الا الى اعلى منه كما مر بسطه في مبحث الاجوبة عن الانبياء فراجعه فكان حكم هذه الاكلة منسحبا على بنيه بالاصالة الى يوم القيامة الا من شاء الله تعالى لان الشجرة كانت مظهر الارتكاب بنيه النهي فعلا او هما حراما او مكروها او خلاف الاولى ولكل اهل وان تفاوتت مراتب الناس فدونهم من يرتكب خلاف الاولى وأعلاهم من ارتكب أكبر الكبائر غير الشرك فان الشرك لا كفارة له الا التوبة منه والذي عندنا فيما ورد من اطلاق اسم المعاصي في حق الانبياء فمحمول على خلاف الاولى لانهم لا يتعدون قط مرتبة خلاف الاولى فمعاصيهم كلها من هذا الباب وان فعلوا مكروها فانما يفعلونه لبيان الجواز للامة توسعة من الله عليهم فلهم في ذلك الاجر كما يؤجرون على بيان المباح بفعلهم له وأما معاصي غير الانبياء فان كان الولي محفوظا حفظه المكروه مادامت العناية تحفه فان تخلفت عنه العناية فقد يقع في الحرام أيضا وأما عامة الناس فربما يقعون في الثلاثة أحوال الحرام والمكروه وخلاف الاولى فعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يشاركون غيرهم في ارتكاب حرام ولا مكروه الا لبيان الجواز ولكن لما شرف مقامهم سمى الله تعالى وقوعهم في خلاف الاولى معصية وخطيئة فافهم فما من المكلفين من الامة احد الا وقد وقع في النهي ولو في خلاف الاولى الذي هو كناية عن أكله من الشجرة فكانت جميع التكاليف في مقابلة وقوع بني آدم فيما ذكرناه وكان في أكل آدم من الشجرة ثم توبة الله عليه واجتبائه واصطفائه فتح باب الذلة والانكسار لبنيه وبيان انهم كلهم تحت القضاء والقدر في كل ما يتحركون ويسكنون فيه من أمر ونهي ومباح * ولنبين لك أحكام التكاليف من حيث انها

تعالى فاجره حتى يسمع كلام الله سواء فاذا تلى علينا القرآن فقد سمعنا الكلام الله وموسى لما كلمه ربه سمع كلام الله ولكن بين السماعين بعد المشرقين فان الذي يدركه من يسمع كلام الله بلا واسطة لا يساويه من يسمعه بالوسائط (وقال) في قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية اعلم ان الله عز وجل ما اصطفى عبدا قط الا حفظه قبل اصطفائه من الغوص في علوم النظر وحال بينه وبينها ورزقه الايمان بالله وبما جاء من عند الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فان صاحب النظر العقلي وان سعد لا يكون أبدا في مرتبة الساذج الذي لم يكن عنده علم بالله الا من حيث ايمانه وتقواه وهذا هو وارث الانبياء في هذه الصفة قال وما بلغنا انه تقدم لنبي قبل نبوته نظر عقلي في العلم بالله أبدا ولا ينبغي له ذلك قال وكل من تقدم له من الاولياء النظر العقلي فليس هو ممن أورثه الله الكتاب وأطال في ذلك (قلت) وتقدم قبيل الباب الثامن والستين وثلثمائة ان استدلال السيد ابراهيم بالكواكب انما كان لاقامة الحجة على قومه لا عن اعتقاده والله أعلم * وقال الملك ان يعة والا عن ثلاثة أشياء وهي التعرض للحرم واختبار سيره والقدح في الملك * وقال في الباب السبعين وثلثمائة لما كان الحق تعالى هو السلطان

كفارة من باب الطهارة الى باب أمهات الاولاد فنقول وبالله التوفيق اعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من شجرة النهي الذي هو قبل خلافه الا لى بغير اذن صريح من الباري بل وهلا في حال نسيانه وفي حال غلمة ان ابليس لا يحلف بالله كاذبا سمى الحق تعالى ذلك معصية لعلو مقامه ثم بعد التوبة زاد في اعتنائه به بأنه جعل له مذكرا من نفسه لما وقع منه وهو البطنة القذرة المنتنة على خلاف ما كان عليه في تلك الجنة فكان آدم عليه السلام كلما أخذته البطنة من بول أو غائط أو ريح كريه تذكر ما وقع منه فزاد في الاستغفار اجلالا وتعظيما لله عز وجل ولذلك جاءت شريعتنا بطلب الاستغفار اذا خرجنا من الخلاء وهذا حكمته وزادت حواء وبناتها على آدم وذكوره بنية الحيضة في كل شهر زيادة على البطنة لتزيينها لآدم عليه السلام الاكل من الشجرة وقطعها الثمرة من الشجرة لآدم حتى أكلها وكانت شجرة التين على خلاف في ذلك ولا يخفى ان عقوبة من يأتي المخالفات وهو مستحس لها أشد ممن يأتيها مستقبحا لها اذ التأويل يذهب قبح المعصية واعلم يا أخي ان تلك الجنة التي كان فيها آدم وحواء ليست محلا للقذر الذي تولد من تلك الاكلة فلذلك انزلا الى الارض التي هي محل العفونات ثم لما انزلا اليها تولد في بطنهما من تلك الاكلة التي أكلاها من الشجرة البول والغائط والدم والنوم ولذة اللمس للنساء بجماع أو غيره وتولد في ذريتهما كذلك بسبب أكلهم من شجرتهم الخاصة بهم وبمقاماتهم زيادة على ذلك وهو الجنون والاغماء بغير مرض والمخاط والصنان والقهقهة والتبختر والتكبر باسبال الازار والقميص والسراويل والعمامة والغيبة والنميمة والبرص والجذام والكفر والشرك وغير ذلك مما ورد في الاخبار والآثار انه ينقض الطهارة وكل هذه الامور متولدة من الاكل كما ذكرنا ولا يوجد لنا ناقض للطهارة قط الا وهو متولد من الاكل والشرب فان من لا يأكل ولا يشرب حكمه حكم الملائكة في عدم وقوعه في شئ ينقض الطهارة مما ذكرناه ومما لم نذكره فان الملائكة لا تبول ولا تغوط ولا يجري لها دم أصلا وكذلك لا تشتهي لذة اللمس ولا الجماع ولا تنجر ولا يغمى عليها ولا تنام ولا تعصي الله بقول ولا فعل ولا يبرص لها جسم ولا يلحقها جذام ولا يخرج لها صنان ولا مخاط ولا تضحك الا تبسما من غير قهقهة ولا تكفر ولا تشرك بالله ولا ترتد عن دينها أبدا وايضاح ذلك ان العبد لا يعصي قط حتى يحجب ولا يحجب الا حتى يأكل ويشرب فلولا انه حجب بالاكل والشرب ما وقع في معصية قط فصح قول الامام علي رضي الله عنه من مس أبرص أو أجذم أو يهوديا أو نصرانيا أو صليبا فليتوضأ ولما كانت هذه النواقض كلها من لازمها سوء الادب مع الله تعالى والغفلة عنه وكان ذلك مضعفا للبدن والقلب حتى ربما الحقه بالمريض امرنا الشارع صلى الله عليه وسلم واتباعه المجتهدون بالتطهير بالماء المطلق المنعش للبدن وامرونا بالتنزه عن كل شئ تولد من الاكل والشرب وحرموا علينا الصلاة ونحوها مع وجوده حتى نتطهر بالماء او التراب بل امرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالتنزه عن مس المحل الخارج منه البول والغائط حتى ان الشارع صلى الله عليه وسلم امرنا بنضح السراويل التي يمسها الفرج وقال بذلك امرني جبريل عليه السلام فكان صلى الله عليه وسلم ينضح سراويله بالماء كلما توضأ وليس النضح المذكور دفعا للوسواس في حقه صلى الله عليه وسلم كما يتوهمه بعضهم لعصمته عن مثل ذلك اذ قيل انه نوع من الجنون والحق ان ذلك انما هو لملامسة السراويل للفرج كما قررنا ذلك * وقد اورد على الولد عبد الرحمن هنا سؤالا فلم يفتح الله تعالى لي فيه بجواب وهو انه اذا حكم الشارع بنقض الوضوء من لمس الفرج لكونه محلا للخارج فلم لا يأمرنا بالوضوء اذا مسسنا الغائط الذي هو أقبح من محله انتهى فقد علمت ان القول بالنقض بمس الذكر والدبر وفرج المرأة ليس لذاتهما وانما هما لكونهما محلا لخروج الناقض و لامسته اذ لو كان النقض بذلك لذات الفرج من حيث كونه متولدا من الاكل لكان حكم جميع اعضاء

الاعظم ولا بد للسلطان من مكان يكون فيه حتى يقصد بالحاجات مع انه تعالى لا يقبل المكان اقتضت المرتبة ان يخلق عرشا ثم ذكر انه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج منه كل ذلك رحمة بعباده وتنزلا لعقولهم ولولا ذلك لبقي العبد حائرا لا يدري اين يتوجه بقلبه وقد خلق الله تعالى العبد ذا جهة فلا يقبل الا ما كان له جهة وقد نسب الحق تعالى لنفسه الفوقية من سماء وعرش واحاطة بالجهات كلها بقوله فاينما تولوا فثم وجه الله وبقوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا وبقوله صلى الله عليه وسلم ان الله في قبلة أحدكم وحاصله ان الله خلق الامور كلها للمراتب لا للاعيان والله أعلم وقال من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع ما جاء به كان له أجر من اتبع جميع الانبياء وآمن بكل كتاب وبكل صحيفة لكن أجر الايمان بهم لا أجر من عمل باحكامهم كلها فافهم * وقال في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة لو أن العاصي علم ان الله يؤاخذه على المعصية ولا بد ما عصى فلا يصح ان يكون على بصيرة في العقاب أبدا قال وهذا هو الذي أجرأ النفوس على ارتكاب المحارم الا من حماه الله تعالى بخوف أو حياء أو رجاء أو عصمة في علم الله خارجة عن هذه الثلاثة ولا خامس لهذه الاربعة فتأمل * وقال في قوله تعالى

البدن كذلك ولا قائل به فان جميع الاعضاء قد تولدت من الاكل ونمت به وقد جاءت اقوال المجتهدين على وفق الادلة الواردة فى النقض تخفيفا وتشديدا فمنهم المشددون ومنهم المخففون ومنهم المتوسط فى الناقض وفى الماء الذى يتطهر به فمما اتفقوا على النقض به البول والغائط والجماع والجنون ومما اختلفوا فى النقض به لمس المحارم ومس الفرج بباطن الكف ولمس العجوز الشوهاء وخروج الدم من البدن والغيبة والقهقهة ومس الابط الذى فيه صنان ومس المشركين والاوثان والصلبان وقد جمع بعضهم بين قولى النقض بمس الفرج وعدمه فجعل النقض به خاصا بالاكابر من العلماء وجعل عدم النقض به خاصا بالعوام من اهل الضرورات كالموسوسين فى ايام البرد الشديد فليس للاكابر الترخص فى ترك الوضوء من مس الذكر والمرأة الا لعذر شديد وكذلك القول فى كل ما جاء فيه تخفيف وتشديد من الشارع كما سيأتى بسطه ان شاء الله تعالى فى مبحث ان سائر ائمة المسلمين على هدى من ربهم فعلم ان الناقض حقيقة انما هو الطبيعة المتولدة من الاكل حتى القول بنقض الطهارة بخروج حصاة او عود منه لان الناقض حقيقة ما على الحصاة او العود من الطبيعة لا نفس الحصاة والعود فان الطبيعة هى التى تحركت الشهوة بها حتى حجبت العبد عن شهوده لربه عز وجل وليس فى الحصاة والعود اثارة شهوة ولو بلعهما المكلف ثم خرجا منه وأما بطلان الصوم ببلعهما فانما حكم به العلماء سد الباب الاكل من باب تحريم الحريم كما منعوا الاستمتاع بما بين السرة والركبة فرارا من القرب من الفرج الذى هو المقصود بالنهى وكما حكموا ببطلان الصوم بالكل مقدار سمسمة مع ان ذلك لا يثير شهوة وكما حرموا شرب قطرة خمر مع ان اصل علة التحريم هى الاسكار وقس على ذلك دخول الميل فى ذكر الصائم او دبره مثلا فانهم حكموا على فاعل ذلك بالافطار مع انه لا يسمى أكلا ولا شربا لا شرعا ولا لغة ولا عرفا (فان قيل) فلم وجب علينا تعميم البدن بالغسل من خروج المنى مع انه دون الغائط فى الاستقذار بيقين (فالجواب) انه انما وجب علينا تعميم البدن فى الغسل من الجنابة بخروج المنى لانه ورع اقوى لذة من أصله فاوجب تعميم البدن فى ذلك الا من حيث اللذة لا من حيث الاستقذار فان المجامع لما كان يحس باللذة انها قد عممت بدنه كله حتى انه لا يكاد يتعقل شيأ معها امر بتعميم بدنه بالماء لينعشه من ذلك الفتور الذى حصل للبدن عقب خروج المنى فكانت الغفلة عن الله تعالى فيه أكثر من الغائط والبول ولذلك قال أبو حنيفة رضى الله عنه ان القهقهة فى الصلاة تنقض الوضوء لما كانت لا تقع الا من قلب غافل غير حاضر مع ربه عز وجل ومعلوم ان حضرة الرب منزهة عن وقوع القهقهة فيها من احد من اهل حضرته انما شأنهم الادب والبهت والذبول (فان قيل) فما وجه وجوب تعميم البدن على الحائض والنفساء (فالجواب) ان وجه ذلك زيادة القذر الحاصل من دم الحيض والنفاس وكثرة انتشار الدم فى مجلات البدن بواسطة العرق وغيره وأيضا فلبعد الزمن المتخلل بين الحيضات فلا يشق عليها الغسل كلما حصل موجبه بخلاف الحدث الاصغر اقرب زمنه من بعضه بعضا عادة فلذلك خفف الامر علينا فيه بغسل الاعضاء المفروضة والمسنونة فقط لكثرة تكرر سبب حدثها وأيضا فان أعضاء الوضوء آلة لغالب المعاصى الواقعة من العبد فاذا غسل المتوضئ الحاضر القلب مع الله تعالى أعضاء الوضوء وتذكر عند غسل كل عضو منها ما جناه من المعاصى واستغفر الله تعالى عند ذلك وندم عليه طهر ذلك العضو ظاهرا وباطنا وخرت خطاياه لان من كان مصرا على المعاصى ربما لا تخر له خطايا بغسل أعضائه بالماء فافهم بخلافه اذا تاب وندم فان خطاياه تخر ان قبلت توبته بنص الحديث مع الماء فيدخل حينئذ حضرة الله تعالى التى هى الصلاة على كل حال يليق به (فان قيل) فما وجه تفق العلماء على نجاسة البول والغائط من الآدمى دون البهائم

وانشقت السماء فهى يومئذ واهية انما انشقت لذهاب عمدها الذى كان يمسكها وهو الانسان الكامل فاذا زال سقطت الى الارض والسماء معلوم انها جسم شفاف صلب فاذا هوت السماء حال جسمها من النار فعادت دخانا احمر كالدهان السائل مثل شعلة النار كما كانت اول مرة وزال ضوء الشمس فطمست النجوم فلم يبق لها نور وسجرت فى النار لكن على غير الوجه التى كانت فى الدنيا عليه من السير واطال فى ذلك ثم قال فعلم ان آخر من تقبض روحه من بنى آدم الانسان الكامل الذى يقوم ذكره مقام ذكر جميع العالم لو قدر فقده وهذا هو المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يبقى احد على وجه الارض يقول الله الله فما امسك الله تعالى صور السموات ان تقع على الارض الا لاجل هذا الانسان الموحد الذى لا يمكنه ان يتكلم بالنفى اذ ليس فى خاطره الا الله الواحد الاحد قال وهذا الذكر الذى هو الله الله هو ذكر الله الاكبر المشار اليه بقوله تعالى ولذكر الله أكبر ولا يعترض علينا بالمعطلة فانهم كالعضو الاشل من الانسان الكامل وأطال فى ذلك * وقال فى قول عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه اى فى جميع الاحوال فيه اثبات المجالسة من رسول الله صلى الله عليه وسلم

التي تؤكل مع ان الآدمي اشرف من البهائم كلها (فالجواب) انا نقول وما جاءنا الاتفاق على نجاسة
بوله وغائطه الا من جهة شرفه فانه هو المكلف دون البهائم ٣ فلما اكل من شجرة النهي بالمعنى
السابق اول المبحث بخلاف البهائم فانها لا توصف بطاعة ولا معصية فلذلك خفف في بولها وغائطها
والقاعدة ان كل من عظمت مرتبته عظمت صغيرته وكان الاصل من حيث العقل عكس ذلك ليسامح
المقرب ويؤاخذ المبعد وكان ينبغي لكل من شرفت مرتبته ان يطهر كل شئ خالطه من الماء كل
والمشارب لكنه لما غفل عن ربه واشتغل بشهوات طبيعته انعكس حكمه فلذلك صارت الماء كل
والمشارب الطيبة المبخرة بالمسك والعود نجسة خبيثة قذرة بولا وغائطا ودما ومخاطا وصنانا حين صاحبته
نحو يوم وليلة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (فان قيل) يفهم من تقريركم هذا ان من كان
معصوما ولم يشتغل عن ربه بحكم طبيعته ان يكون بوله وغائطه طاهرا (فالجواب) نعم وهو كذلك كما
افتى به شيخ الاسلام البلقيني والسبكي والجلال السيوطي وغيرهم حتى قال شيخ الاسلام السراج
البلقيني والله لو وجدت شيأ من بول النبي صلى الله عليه وسلم وغائطه لاكلته وشربته وفي الحديث
ما يؤيد ذلك فروى الطبراني وغيره نحن معاشر الانبياء تنبت اجسادنا على اجسام اهل الجنة اهـ ولذلك
كانوا يشمون المسك من موضع برازه صلى الله عليه وسلم واما دليل من قال بنجاسة البول والغائط من
النبي صلى الله عليه وسلم فهو كونه صلى الله عليه وسلم كان يتنزه عنه ويغسل ما اصابه منه او يمسحه بالحجر
ولو من حيث الجزء البشري (فان قيل) فلم تتفق العلماء على نجاسة فضلات الآدمي كلها من مخاط
وبصاق وعرق ابطه لتولده كله من الاكل (فالجواب) انما لم يتفقوا على ذلك لخفة القبح والقذر فيها
وبعدها عن صورة لون الطعام والشراب بخلاف البول والغائط فانهما يشبهان غالبا لون اصلهما (فان
قيل) فما وجه الامر بالجمع بين الماء والتراب في نجاسة الكلب (فالجواب) ووجهه ان الله تعالى
جعل سؤره نجسا يميت القلب اذا اكل او شرب ومعلوم ان من مات قلبه صار لا يحن الى موعظة ولا الى
خير ولا يهتدي لتوبة اذا وقع في ذنب وما كان يؤثر اكله او شربه ما ذكر صح التعبير عنه بالرجس
والنجس كما قال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فكما سماها تعالى
رجسا من حيث ما تورثه من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة فكذلك صح تسمية سؤر الكلب نجسا
بالنظر لما يورثه من القساوة في الانسان ووجب علينا التباعد عنه فلذلك امرنا الشارع بالجمع بين الماء
والتراب في الغسل من سؤره او غير ذلك من فضلاته لكون الماء والطين اذا اجتمعا انبتا الزرع بخلاف
احدهما بمفرده اذا وضع على الحب لا ينبت ثمرة ولا يتم له نتاج فكذلك من غسل النجاسة الكلبية بالماء
فقط او التراب فقط بان مسحها به لا يزيل ذلك الاثر الذي يميت القلب (فان قلت) فاي المذهبين
اولى بالعمل من يقول بطهارته او من يقول بنجاسته (فالجواب) القائل بنجاسته اولى واحوط في
الدين وان لم صرح الشارع بنجاسته لفظا وقد تتبع الامام البيهقي الادلة على التصريح بنجاسة الكلب
فلم يجده فاستدل على نجاسته بانه صلى الله عليه وسلم نهى عن اكل ثمن الكلب وقال لولا نجاسته لما حرم
الله تعالى علينا اكل ثمنه انتهى * ومما وقع ان سيدي عليا الخواص رحمه الله نهى شخصا من
المالكية عن شرب ابن شرب منه الكلب فقال الفقيه مذهبي انه طاهر فقال له الشيخ ان شربت فضلته
يميت قلبك فلم يسمع للشيخ فعمي قلبه تسعة شهور وصار يجيء للشيخ ويقول يا سيدي تبت الى الله تعالى
فان قلبي صار لا يحن الى قراءة قرآن ولا علم ولا يستلذ بعبادة فقال له الشيخ قد نهيتك فلم تسمع فلولا ان
هذا الفقيه ذاق العلة في نفسه لما آمن بكلام الشيخ وما رأيت احدا نبه على هذه العلة غيره رضي الله
عنه فان قيل فما الوجه الجامع بين اقوال الائمة في التطهير بالماء المطلق والمستعمل وما ملحظهم في

واما أخبرها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك
وأطال في ذلك * وقال خلق
الله الارض مثل كرة
وهي مجموع أجزاء ترابية
وحجرية ضم بعضها الى
بعض ولما خلق الله السماء
بسط الارض بعد ذلك
ليستقر عليها من خلقت له
ولذلك مادت ولو بقيت
كرة مادت فخلق الله الجبال
فقال بها عليها دفعة واحدة
وأدار بالماء المحيط بها جبلا
جعله لها كالمنطقة وجعل
أطراف قبة السماء عليها
قال وأما الزرقة التي ينسبها
الناس الى السماء فانما هي
لبعد السماء عن البصر كما
ترى الجبال اذا بعدت
سودا او زرقا وهي بيض
* وقال ما أخذ الله من أخذ
من الامم الا في آخر النهار
وذلك لاستيفاء حركة
الفلك فان اليوم دائرة
الفلك الاطلس فكان ذلك
كالتربص بالعنين الى آخر
السنة فاذا انقضت فصولها
فرق بينه وبين المرأة
أعني زوجته وذلك لان
أسباب التأثير الالهي
المعتاد في الطبيعة قد
مرت عليه وما أثرت فيه
فدل على ان العنة فيه قد
استحكمت لا تزول فلما
عدمت فائدة النكاح من
لذة وتناسل فرق بينهما اذ
كان النكاح موضوعا
بالالتذاذ والتناسل أو لو جماعه [illegible] في طائفة بكذا وفي حق أخرى بكذا وفي حق أخرى المجموع

ذلك (فالجواب) ان ملحظهم الاعمال الواقعة من المكلفين فمن كان ملحظه عظمة الذنوب وقبحها اشترط في الطهارة الماء المطلق ومن كان ملحظه غلبة الرحمة على الخلق جوز الطهارة بالماء المستعمل بشرطه لبقاء الروحانية في الماء ولو تكررت الطهارة به بدليل انباته الزرع فكلما كانت ذنوب العبد أقبح وا كثر طواب باستعمال الماء الذي لم يستعمل قط الا ان يكون مستبحرا ولا شك ان الماء الذي لم يستعمل أنعش لبدن العاصي ومن شك فليجرب وللامام ابى حنيفة في الماء المستعمل ثلاث روايات (احدها) ان المستعمل في الحدث حكمه حكم الماء المتغير بالنجاسة (ثانيها) انه كبول البهائم سواء (ثالثها) انه طاهر في نفسه غير مطهر لغيره كقول الشافعية وهذه اعدل الروايات واما الامام مالك فجوز الطهارة بالماء مستعملا مالم يتغير جدا على ما بلغنا فهو اوسع الائمة قولا في ماء الطهارة ولكل من روايات ابى حنيفة الثلاثة وجه فوجه الرواية الاولى الاخذ بالاحتياط فجعل غسالة تلك الطهارة كانها غسالة في الكبائر من زنا ولواط وشرب خمر ومرافعة في الناس وغيبة في العلماء العاملين والاولياء والصالحين وغسالة هذه الكبائر اذا خرجت في ماء قذرته ضرورة وغيرته والناس بين مقل ومكثر في ارتكابه هذه الذنوب ومن الناس من يجمع بين فعلها كلها في يوم او جمعة (فان قيل) ان الحكم بنجاسة غسالة طهارة الناس يلزم منه سوء الظن بهم (فالجواب) لا يلزم من ذلك سوء ظن انما ذلك احتياط فيعامل الناس كمعاملة من يسيء بهم الظن من غير سوء ظن فلا يلزم من الحكم بنجاسة الماء المستعمل اثبات المعاصي في حقهم * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول مرارا انما قال الامام ابو حنيفة بنجاسة غسالة ماء الطهارة لانه كان من اهل الكشف فكان اذا رأى في الماء عرف غسالة كل ذنب وميزه عن غسالة غيره وصاحب هذا الكشف لا يقدر على الخروج عن حكم مشهده لانه يشاهد الماء قذرا منتنا فكيف يتوضأ منه او يغتسل وكان سيدى على رحمه الله يقول من كشف الله عن بصيرته رأى غسالة الكبائر أقذر وانتن من بول الكلاب والحمار او جيفتهما انتهى واما وجه الرواية الثانية فهو ان غالب معاصي العباد الذين يتطهرون منها صغائر والاصل عدم وقوعهم في الكبائر أو ندور ذلك بالنسبة لوقوعهم في الصغائر ومعلوم ان الصغائر حالة متوسطة بين الكبائر والمكروهات فيكون على قياسه حكم الماء المستعمل حكم النجاسة المتوسطة بين المغلظة والمعفو عنها واما وجه الرواية الثالثة من قول الامام ابى حنيفة ومن وافقه رضى الله عنه فهو ان احسان الظن بالمسلمين واجب بالاصالة ولان الاصل عدم ارتكاب المتطهرين للكبائر والصغائر أو أنهم ارتكبوها وكفرت عنهم باعمال اخرقبل أن يتوا الماء للطهارة او ليس عليهم خطيئة الهم الا ان يشاهد انسانا زنى مثلا ولم يتب فورا ولم يعمل اعمالا تكفر عنه ما جناه فهذه ربما يندب للمتورع ان يجتنب ماء طهارته لان ماءه كماء اهل الرواية الاولى فرضى الله تعالى عن الامام ابى حنيفة ما ادق نظره وما انصحه لدين الله واعباده ورضى الله عن بقية المجتهدين آمين * ثم لا يخفى ان التراب قائم مقام الماء عند فقده فلا يقال انا اسقطنا الكلام على التيمم كما لا يقال انا اسقطنا الكلام على مسح الخف لانه لا بد من غسل الرجلين او مسح الخفين والله تعالى اعلم * فقد بينا لك توجه تعلق الحدث والطهارة بالاكل فتأمله فانه نفيس * واما وجه تعلق مشروعية الصلاة بأنواعها بالاكل من شجرة النهى كل احد بما يليق بحاله من ارتكابه محرما او مكروها او خلاف الاولى فهو ان تعلم ان الصلاة ما شرعت الا توبة واستغفارا وتقربا الى الله تعالى وفتحا الباب رضا الحق سبحانه وتعالى عنا حين اكلنا من شجرة النهى او همنا به فشرع تعالى لنا الصلاة فرضها ونفلها تكفير الذلك وفي الحديث تقول الملائكة عند دخول وقت الصلاة يا بنى آدم قوموا الى ناركم التى اوقدتموها فاطفئوها وقد جمع لنا الحق تعالى في الصلاة جميع عبادات

وكذلك اليوم في حق من أخذ من الامم اذا انقضت ذنوبه وقع الاخذ الالهي آخره * وقال في الباب الرابع والسبعين وثلثمائة في قوله هؤلاء الجنة ولا ابالى وهؤلاء النار ولا ابالى اعلم ان الجنة دار جمال وانس ومنزل الهى لطيف واما النار فهى دار جلال وجبروت فالاسم الرب مع أهل الجنة والاسم الجبار مع أهل النار أبد الآبدين ودهر الداهرين وانما كان الحق تعالى لا يبالى بذلك لان رحمته سبقت غضبه في حق الموحدين أو في حق المشركين ويكون المراد بالرحمة رحمة الايجاد من العدم لانها سابقة على سبب الغضب الواقع منه فلذلك كان تعالى لا يبالى بما فعل بالفريقين قال ولو كان المراد بعدم المبالاة ما توهمه بعضهم لما وقع الاخذ بالجرائم ولا وصف الحق تعالى نفسه بالغضب ولا كان البطش الشديد فهذا كله من المبالاة والتهمم بالمأخوذ فلولا المبالاة ما كان هذا الحكم فالامور والاحكام مواطن اذا عرفها أهلها لم يتعدوا بكل حكم موطنه وأطال في ذلك * وقال في قوله تعالى هو الله لا احد القهار اعلم ان القهر عذاب ومن أراد ان يزول عنه حكم هذا القهر فليصحب الحق تعالى بلا غرض ولا تشوف بل ينظر في كل ما يقع في العالم وفي نفسه فيجعله كالمراد له فيلتذ به ويتلقاه بالقبول والبشر والرضا فلا

الملا الاعلى والاسفل ان يعقلها (فان قلت) فما وجه تكرارها في الليل والنهار (فالجواب) وجهه حتى يتذكر العبد ما جناه من المعاصي والشهوات والغفلات من الصلاة الى الصلاة كلما توضأ وصلى فيتوب ويستغفر داخل الصلاة وخارجها فلو كشف للمصلي لرأى ذنوبه تتحدر يمينا وشمالا عنه في حال قيامه وركوعه فلا يصل الى حضرة السجود التي هي اقرب ما يكون العبد من شهود ربه وعليه خطيئة واحدة فيناجي ربه عز وجل في سجوده وهو طاهر مطهر من الذنوب (فان قلت) فاذا كان لا يصل الى السجود حتى لا يبقى عليه خطيئة الا كفرت بالافعال والاقوال التي في الصلاة فاي فائدة للوضوء قبلها (فالجواب) ان الوضوء شرط من شروط الصلاة حتى ان الصلاة تصح فتكفر الذنوب فانه اذا انتفى الوضوء انتفت الصحة الا لعذر شرعي كفاقد الطهورين فمغفرة الذنوب في الصلاة لا تكون الا باجتماع الوضوء والصلاة وذلك ان من الناس من يموت بدنه بالمعاصي او يضعف او يفتر ومن الناس من يموت بدنه بخلاف الاولى او يضعف او يفتر ومنهم من يموت قلبه بتوالي الغفلات او يضعف او يفتر فاذا تطهر بذلك الماء المنعش لذلك البدن حيي ثم انه يقوم فيدخل حضرة الحق تعالى في صلاته فيعبد الله تعالى كانه يراه فهو ما بين تكبير الله عز وجل وتحميد له وثناء عليه بما هو اهله وسؤال ان الله تعالى يعينه على اداء ما كلفه به في هذه الدار حتى الصلاة التي هو فيها وهدايته الى الصراط المستقيم وموافقة الامام في قوله آمين فيغفر له ما تقدم من ذنوبه اي الخاصة بالصلاة والا فقد ورد ان من توضأ كما امره الله خرت خطاياه اعضائه كلها حتى يخرج نقيا من الذنوب ثم يكون مشيه الى صلاة الجماعة رفع درجات فمرادنا بالذنوب التي تبقى الى الدخول في الصلاة الذنوب الخاصة بها كما مر فعلم انه لا يخر مع الوضوء الا المعاصي الخاصة به لا بالصلاة ولو كان المراد الذنوب التي تخر في الوضوء جميع الذنوب بحكم العموم لم يبق لغيره من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك مما ورد في الشريعة شيء يكفر فافهم * وقد قدمنا ان كل منهي له مأمور يكفره هذا اذا اتى بالمأمورات على التمام والا احتاجت نفس المأمورات الى مكفرات كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب أسرار العبادات وهو كتاب نفيس ما وضع مثله فيما اظن ومما يؤيد ما قررناه ما قاله المفسرون في قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيآت ان المراد بالسيآت هنا الصغائر دون الكبائر اذ الكبائر لا يكفرها الا التوبة النصوح هذا في احكام الدنيا واما احكام الآخرة فقد يكفر الزنا صدقة الزاني برغيف على مسكين كما ورد في قصة العابد الذي عبد الله خمسمائة سنة ثم زنى فوزنت عبادته كلها فرجحت الزنية عليها ثم تصدق برغيف فرجح على تلك الزنية فافهم (فان قيل) فاذا كانت الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر فلم امرنا بالنوافل (فالجواب) انما امرنا بالنوافل جبرا لما يقع في فرائضنا من الخلل والنقص فان تأدية الفرائض بلا خلل ولا نقص من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك فتأمل قوله لك تعثر على ما قلناه ولا نفل الا بعد كمال فرض ومن ذلك ايضا سجود السهو فانه يجبر خلل النقص الواقع بترك الابعاض كما ورد وكما قيس (فان قلت) فما كيفية تكملة الفرائض بالنوافل (فالجواب) كيفيتها ان يكمل الخلل الذي في أركان الفرائض باركان النوافل والخلل الذي في نوافل الفرائض كالاذكار المستحبة بالسنن التي في النوافل فلا يكمل واجب بسنة ولا عكسه هكذا قال الشيخ محيي الدين في الفتوحات والله اعلم (فان قيل) فما وجه تأكيد الشارع بعض النوافل دون بعض (فالجواب) وجهه انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك توسعة على امته اذ لو اكدها كلها لشق ذلك عليهم وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب التخفيف على امته ويقول اتركوني ما تركتكم وصلى ركعتين مرة في جوف الكعبة ثم خرج وقال لعلي شققت على امتي انتهى اي

يزال من هذه حالته مقيما في النعيم الدائم لا يتصف بالقهر ولا باللذة * قال ومارأيت لهذا المقام ذائقا غيري وصاحبه يحصل له اللذة بكل واقع منه او فيه او من غيره او في غيره فان اقتضى ذلك الواقع التغير له تغير لطلب الحق تعالى منه التغير وكان هذا التغير هو المطلوب لانه هو الواقع اذ ذاك وليس بقهر وفيه بل هو ملتذ بالموجب للتغير فتأمل قال وايضاح ذلك ان الانسان لا يخلو نفسا واحدا عن طلب يقوم به لامر ما واذا كانت حقيقة الانسان ظهور الطلب فيه فليجعل متعلق طلبه مجهولا غير معين الا من جهة واحدة وهو ان يكون متعلق طلبه ما يحدثه الله في العالم اذ ذاك عين مطلوبه من خير وشر فللخير الرضا والفرح وللشر السخط والكراهة ومن عرف هذا الذي ذكرناه عرف جهل من طلب المحال فقال لمن قال له ماتريد أريد ان لا اريد وغاب الحق انه كان يقول أريد ماتريد فيتصف بالارادة لما أراده الشارع خاصة ولا يبقى له غرض في مراد معين واطال في ذلك * وقال رؤية الله تعالى لا تكون بالطلب لانها امتنان من الله تعالى وما كان امتنانا لا يصح طلبه انما يصح طلب ما كان سعادة واطال في ذلك ثم قال واذا وقع ما وقع من الرؤية عن الطلب فليس هو الرؤية الحقيقية الحاصلة عن الطلب وذلك لان مطلوبه من المرئي انما هو ان يراه على

اذاتاسوا بي في ذلك فان طلوع البيت الغالب فيه المشقة من الزحمة وغيرها وصلى ركعتين قبل المغرب وقال لمن شاء انتهى اى كراهة ان يشدد احد من أمته على نفسه بالمواظبة عليها (فان قيل) فما وجه تعلق مشروعية صلاة الجماعة وصلاة السفر وصلاة الجمعة وصلاة الخوف بالاكل من شجرة النهى (فالجواب) وجهه ان من شأن من يأكل الحجاب فاذا حجب تكاسل عن العبادات وملّ منها وثقل عليه الخروج لصلاة الجماعة في المسجد البعيد والقريب وخرج عن كمال طاعة الشارع ولو كان في ذلك ذهاب شعار دينه فلذلك امرنا بصلاة الجماعة في المسجد لئلا يذهب نظام ديننا او يضعف وعلم الشارع ان نظام الدين في الصلاة يحصل بالاجتماعة ما امرنا به في الجمعة والصلوات الخمس وما الحق بذلك من العيدين والتراويح والنوافل وانما خفف عنا الشارع في صلاة السفر والمرض وجعل للمسافر القصر والجمع تقديما وتأخيرا وللمريض الجمع دون القصر رحمة بنا لما يحصل عادة للمسافر والمريض من المشقة في تأدية الفرائض ومعلوم ان اصل ذلك كله الاكل فان من لا يأكل لا يحصل عنده ملل من عباداته كما قال تعالى في الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون وكذلك من لا يأكل لا يحصل عنده كسل عن عبادة ولا يأنف من طاعة امامه وكذلك من لا يأكل لا يخاف من عدو ابدا فان الخوف انما حصل من حجاب العبد عن ربه بالاكل فمن لا يأكل لا يخاف احدا من خلق الله كما هو شأن الملائكة فان من يجوع كثيرا ولا يأكل اصلا يصير الغالب عليه الروحية والارواح ملائكة لا تخاف من بعضها بعضا وكذلك من لا يأكل لا يتبختر في مشيته ولا يلبس حريرا ولا ذهبا للتفاخر فتأمل ذلك (فان قيل) فما وجه مشروعية النوافل المؤكدات التى شرعت فيها الجماعة كالعيدين والصلوات ذوات الاسباب كالكسوف والاستسقاء وصلاة الجنازة وما وجه مشروعية قتل تارك الصلاة جحدا او كسلا (فالجواب) وجه مشروعيتها انها شرعت لحكم ومصالح للعباد واصل ذلك كله حجابهم بالاكل من شجرة النهى فانهم لما كانوا امثالا بحسب مقاماتهم من الحرام الى خلاف الاولى قل خوفهم من الله تعالى فخوفهم الله تعالى بالآيات العظام من كسوف الشمس والقمر والقحط والغلاء فلولا حجابنا بالاكل ما احتجنا الى التخويف بالآيات ولا غفلنا عما خلقنا له لاسيما من يأكل الحرام والشبهات فانه ربما يحجب بالكلية عن مصالح الدنيا والآخرة فلذلك شرعت هذه الصلوات مشحونة بالدعاء والاستغفار والتكبير لله تعالى عن جميع وجوه صفات التعظيم التى تبلغها عقولنا او تكبيره عن ان يخرج شئ في الوجود عن ارادته ومعلوم ان من يأكل الشهوات لا يؤدى حق اخوانه لا احياء ولا امواتا لحجابه فلذلك شرعت لنا صلاة الجنازة تكملة لوفاء حقوق اخواننا التى اخللنا بها في حال حياتهم فننفعهم بصلاتنا عليهم وطلبنا من الحق تعالى ان يغفر لهم وان يسامحهم (واما) الحكمة في مشروعية جماعة العيدين فهى تأليف القلوب المتنافرة من كثرة المزاحمة على الاغراض النفسانية والمشاححة فيها حتى وربما تعلق الشخص بما ليس هو من رزقه ليكون رزقه فلا يكون واصل ذلك كله الحجاب بالاكل وكذلك الحكمة في مشروعية مصالحة الاعداء قبل الخروج لطلب السقيا من الله تعالى اعاذ لك لكون التشاحن يرفع نزول الرحمة فاذا تصالحوا وتصافحوا وائتلفت قلوبهم نزلت عليهم الرحمة وناسبهم اذ ذاك الفرح في العيدين والسرور ولبس الثياب المفيسة والحلى للغلمان والنساء والبنات فلا ينبغى للمؤمن ان يفارقه العيد وفي قلبه كراهة لاحد من المسلمين الابطريق شرعى وهذا وان كان مطلوبا في كل وقت ففى العيد آكد لاسيما الحجاج في الحرم المكى فان الله تعالى توعد بالعذاب من اراد فيه بالحاد سواء اولم يفعله (واما) وجه تعلق حكم تارك الصلاة جحدا او كسلا بالاكل من الشجرة فهو لكونه لما اكل حجب عن تأدية حقوق الله تعالى وحقوق نفسه بتعريضها للقتل فامرنا الشارع باقامة الحد عليه

ماهو عليه في نفسه وذلك محال فان التجلى لا يقع لعبد الا على صورة علمه به والا أنكره فما تجلى تعالى لطالب الرؤية الا في غير ما طلبه فلهذا كانت الرؤية اذا وقعت امتنانا على العبد لا استحقاقا وجزاء ثم اذا وقع الالتذاذ بما رآه وتخيل انه مطلوبه تجلى له بعد ذلك من غير طلب فكان ذلك التجلى امتنانا الهيا واعطاه من العلم به ما لم يكن عنده ولا خطر على باله وكان تنعمه بتلك الرؤية كنعيم أهل الجنان قال وهذه مسئلة ما نبه عليها أحد غيرى فيما أعلم وأطال في ذلك :. وقال في الباب الخامس والسبعين وثلثمائة في قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون اعلم ان كل جاهل متنعم بجهله بالامور لكن لا يعلم انه جاهل بها فانه لو علم ان ثم علما خلاف ما يعلمه هو لا دركه التنغيص وما تنعم بجهله قط فليس كل حزب بما لديهم فرحون في الدنيا وانما ذلك في الآخرة وأما في الدنيا فذلك في كثير من الناس لا في كلهم * وقال في قوله تعالى في المنافقين واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم اعلم ان المنافق برزخ بين المؤمن والكافر فاذا انقلب تخلص الى أحد الطرفين وهو طرف الكفر ولم يتخلص للايمان اذ لو تخلص هنا للايمان ولم يكن برزخ

وان ادى الى قتله كفارة لذلك الفعل الى ان يترك الصلاة جحدا لوجوبها فانه يقتل كفرا فهذا كان سبب مشروعية الصلاة بأنواعها وتعلقها بالاكل من شجرة النهي والله تعالى اعلم * واما وجه تعلق الزكاة بأنواعها بالاكل من شجرة النهي فظاهر وذلك اننا لما اكلنا ما لا ينبغي لنا شرعا اما من حيث الزيادة على الحاجة واما من حيث الحرام والشبهات حجبنا عن كون الملك لله تعالى في الاموال والاقوات فادعينا الملك فيها لانفسنا دون الله تعالى غفلة وشحنا بما دخل تحت يدنا فلم تسمح نفوسنا ان نعطي منه شيأ لمحتاج بل صار احدنا يجمع ويمنع ويتخذ الحلي الذي لم يشرع ومنع حق الله تعالى من المواشي والنقود ومن المعدن والركاز ومن ربح مال التجارة ونسيت نفسه كون الحق تعالى الزمها باخراج الزكاة على الحكم المشروع فيها حتى انهم لم تخرج زكاة فطرها فحصل بذلك ضيق على الفقراء والمساكين وابن السبيل وغيرهم من الاصناف فلما حصل الضيق المذكور امرنا الشارع باخراج نصيب معين من كل نوع من اموال الزكاة تطهيرا لنا ولاولادنا من الرجس الحاصل بمنعها من سواد القلب وغضب الرب وقلة البركة في الرزق وما سماها الله تعالى زكاة الا لينتبه المؤمن الكامل على كثرة نمو امواله اذا اخرج حق الله تعالى منها وعدم نقصها بذلك الاخراج قال تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة * واما وجه تعلق نوافل الزكاة بالاكلة المذكورة فهو ان العبد اذا اكل ما لا ينبغي حجب واذا حجب لم تطب نفسه باخراج الزكاة فاخرجها كارها لها او ناقصة العدد او رديئة فامرنا الشارع بصدقة النافلة جبرا لذلك الخلل كما تقدم نظيره في نوافل الصلاة * واما زكاة الفطر فانما امرنا بها ليصعد صومنا الى محل القبول فقد ورد في الحديث صوم رمضان معلق بين السماء والارض حتى تؤدى زكاة الفطر وما عوقه عن الصعود الا الخلل الواقع في الصوم من حجاب الاكل في الليل ولولا الاكل ما نقص لنا كاف عمل ولكان يأتي به كاملا من غير ان يخرقه بغيبة او نميمة او شتم او اكل حرام او نظر الى محرم عليه ونحو ذلك والله تعالى اعلم * واما وجه تعلق مشروعية صوم رمضان وغيره بالاكلة المذكورة فهو ان الله تعالى جعل الصوم تطهيرا للنفوس وتقوية للاستعداد والتوجه الى الله تعالى في قبول توبتنا من سائر الذنوب التي وقعنا فيها لما حجبنا بالاكل وذلك ان الصوم يورث رقة القلب وزوال الحسد ويسد مجاري الشياطين التي انفتحت بالاكل في سائر البدن حتى صار البدن كطاقات شبكة الصياد فان العبد اذا جاع ثم تعشى بقدر السنة وتسحر بقدر السنة فقط ولم يزد في السحور على ثلاث تمرات مثلا ضاقت على الشيطان المجاري حتى لا يجد له مسلكا يدخل منه الى بدن الصائم ليوسوس له بما يرديه ولذلك ورد الصيام جنة يعني على البدن ما لم يخرقه بغيبة ولا نميمة فلو فرض ان عبدا صام الصوم الشرعي ولم يخرق صومه بشيء لكان محفوظا من الشيطان من رمضان الى رمضان (فان قيل) فلم كان رمضان ثلاثين يوما او تسعا وعشرين يوما بحسب تمام الشهر ونقصه (فالجواب) قد ورد ان تلك الاكلة التي اكلها آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة مكثت في بطن آدم شهرا والشهر يكون تارة ثلاثين وتارة تسعا وعشرين ثم خرجت فاستمر حكم تلك المدة في بنيه فلولا اكله عليه السلام من الشجرة التي هي مظهر خلاف الاولى كامر ما فرض صوم رمضان عليه وعلى بنيه لاسيما من اكل من الحرام والشبهات (فان قيل) فلم شرع صوم النفل (فالجواب) شرع جبرا للخلل الواقع في صوم الفرض نظير الصلاة والزكاة ولما علم الشارع من امته انهم لا يؤدون عبادة صومهم على وجه الكمال شرع لهم زيادة على صوم رمضان صوم الاثنين والخميس وثلاثة ايام من كل شهر وغير ذلك وقد ورد ان آدم عليه السلام لما اكل من الشجرة اسود جسده اما باعتبار البنية في نظر اهل الحجاب واما ظاهرا لحصول سيادته بذلك في نظر العارفين اذ الانبياء لا ينقلون قط من حالة الا لاعلى منها الدوام ترقيهم في

لكان اذا انقلب لا ينقلب الا الى الله في دار كرامته فما اخذ المنافق الا بامر دقيق لا يشعر به كثير من العلماء وقد نبه على ذلك بقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا فلو انهم قالوا ذلك حقيقة لسعدوا وكذلك قوله واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم اي لو قالوا ذلك وسكتوا لما اثر فيهم الذم الواقع ولكنهم زادوا قولهم انما نحن مستهزؤن فشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين فما اخذوا الا بما اقروا به والا فلو انهم بقوا على صورة النفاق من غير زيادة لسعدوا الا ترى ان الله تعالى لما اخبر عن نفسه في مؤاخذته اياهم كيف قال الله يستهزئ بهم فما اخذهم بقولهم انا معكم وانما اخذهم بما زادوا به على النفاق من قولهم انما نحن مستهزؤن كامر وفي الحديث مداراة الناس صدقة والمؤمن يداري الطرفين مداراة حقيقة ولا يزيد على المداراة شيأ من الاستهزاء فيجني ثمرته قال فتفطن لذلك فانه سر غامض في القرآن ووضوحه اخفاه وانظر الى صورة كل منافق تجده ما اخذ الا بما زاد على النفاق قال فالمؤمن المداري منافق لكنه ناج وفاعل خير لانه اذا انفرد مع احد الفريقين اظهر الاتحاد به ولم يتعرض الى ذكر الفريق الآخر الذي ليس بحاضر عنده فاذا انقلب الى الآخر كان معه بهذه المثابة والباطن

المقامات لعصمتهم كما مر بسطه فى مبحث عصمة الانبياء فأمره الله تعالى لما اسود جسده ان يصوم ثلاثة أيام الليالى البيض فزال بكل يوم ثلث سواد بدنه وذلك واقع لكل من وقع فى مخالفة الامر من بنيه بعده ولكن لا يشعر بذلك الا من كشف الله عن بصيرته وما منا الا من وقع ولو فى مكروه وقد وقع لشخص من تلامذة الجنيد رضى الله عنه انه نظر الى أمرد جميل فاسود وجهه فى الحال حتى صار كالزفت الاسود فما زال حتى استغفر له الجنيد ثلاثة أيام ومن الحكمة فى صوم هذه الثلاثة ايام أيضا ان كل شهر ورد على العبد فهو ضيف نزل به من قبل الحق جل وعلا وحق الضيف ثلاثة أيام فاذا استوفى قراه ذهب شاكرا صنيع العبد معه لله تبارك وتعالى (فان قيل) فلم خص الشارع الثلاثة المذكورة بالثالث عشر وتالييه (فالجواب) انما خصها بذلك لان من جملة اكرام الضيف تعجيل اكرامه سواء كان قبل اطالة الجلوس أو فى وسط المدة او قبل انصرافه ولذلك شرع صوم ثلاثة أيام من آخره أيضا ليفارق الشهر ذلك العبد على أثر الاكرام (فان قيل) هل تحصل السنة بصيام الثلاثة ايام متفرقة فى غير الثالث عشر وتالييه (فالجواب) نعم لكن يفوته كمال السنة (فان قيل) فلم شرعت الكفارة لمن جامع فى نهار رمضان بشرطه (فالجواب) ان الكفارة شرعت لتكون حجابا بين العبد وبين ما عرض نفسه له من حلول البلايا وهى العقوبات بارتكاب المخالفة واصل ذلك كله الاكل فانه لما اكل ما لا ينبغى له حجب فانتهك حرمة رمضان بالجماع فشرعت له الكفارة كما شرعت للظاهر والقاتل والحالف فان البلاء اذا أراد ان ينزل من حضرة الاسم المنتقم مثلا يجد الكفارة قد سترت ذلك العاصى فى ظل جناحها واكتنفته وصارت عليه جنة ووقاية فرجع البلاء غير نافذ كل ذلك لسبق الرحمة الغضب على من عصى الله تعالى فهذا كان سبب مشروعية الصوم فرضا ونفلا ❊ واما وجه تعلق مشروعية الاعتكاف عقب الصوم وكلما دخل المسجد فى اى وقت شاء بالاكلة المذكورة فهو ان العبد اذا اكل حجب فغفل فنسى مراقبة الله عز وجل فوقع فى المخالفات فشرع الشارع للعبد كل قليل أن يعتكف بقلبه وبدنه فى بيت الله الخاص مستشعرا به انه بين يدى الله تعالى ليجبر ذلك الخلل الحاصل بالغفلة عن الله عز وجل المؤذنة بارخاء العنان فى تناول الشهوات ولذلك حرم عليه الشارع ان يباشر امرأته او حليلته فى المسجد لاسيما حال الاعتكاف خروجا عن مقام الادلال فى حضرة الحق فان الادلال فيها يجر الى العطف فلا يناسبها الا الخوف المحض والهيبة والجلال لا الترفه بالجماع ومقدماته فان ذلك ينافى الادب ولو انه وقع فى شئ من ذلك لتعدى حدود الله ومن هنا أوجب بعض الائمة الصوم فى الاعتكاف سد الباب الترفه جملة واحدة ادبا مع الله تعالى وقالوا لا ينبغى للمعتكف ان يعود مريضا ولا يشهد جنازة لانه فى حضرة الله الكبرى والعيادة وصلاة الجنازة تفرقه وتخرجه من تلك الحضرة وثم مقام رفيع وارفع والله أعلم ❊ وأما وجه تعلق مشروعية الحج والعمرة بالاكل من الشجرة فهو ان الله تعالى شرع الحج تكفير الذنوب العظام التى لا يكفرها شئ الا الحج وقد تقدم فى الكلام على مشروعية الوضوء والصلاة ان لكل مأمور شرعى تكفيرا خاصا المهى خاص واصل وقوعنا فى الذنوب حتى احتجنا الى المكفرات هو الاكل فلولا الاكل لما احتجنا الى مكفر وكان الحج آخر ما وجب على آدم من المكفرات فانه صلى الله عليه وسلم تلقى الكلمات من ربه فى تلك الاماكن فتاب عليه وهدى قال ابن عباس والكلمات هى قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقد تقدم فى مبحث عصمة الانبياء ان ذنب آدم عليه السلام لم يكن ذنبا فى الحقيقة وانما ذلك صورة ذنب ليعلم بنيه اذا وقعوا فى مخالفة كيف يتوبون فلذلك أمره الحق تعالى بالحج تكفير التلك الاكلة التى صورتها صورة المخالفة فافهم (فان قيل) فلم كان الحج على الناس مرة واحدة فى العمر فقط ولم يتكرر كالصلاة والصوم وغيرهما

فى الحالتين مع الله عز وجل وقد قال تعالى لموسى وهرون فقولا له قولا لينا وذلك عين المداراة فانه يتحيل فى ذلك المقام انك معه ❊ قال الشيخ رحمه الله ولما صح لى هذا المقام وتحدثت بالملوك والسلاطين ما قضيت لاحد من الناس حاجة الا من طريق المداراة ولذلك ما ردوا لى شفاعة فى أحد قط وذلك أنى كنت ابسط لذلك بساطا استدرجه فيه حتى يكون هو السائل فى قضاء تلك الحاجة فيقضيها على الفور بطيب نفس لما يرى له فيها من المصلحة قال ولقد كلمت السلطان الملك الظاهر بأمر الله بيبرس أبا الفتوحات صاحب حلب فى حوائج كثيرة للناس فقضى لى فى يوم واحد مائة حاجة وثمانين عشرة حاجة ولو كان معى ذلك اليوم أكثر من ذلك لقضاه لى قال ومن علم ان الحق تعالى مع الجبابرة لزم أدب الخطاب معهم بهذا عز يزجدا وأطال فى ذلك ❊ وقال فى الباب السادس والسبعين وثلثمائة وجه من قال انه ليس لله ان يحكم بعلمه بل بالبينة كون الحق تعالى مع علمه بما فعل عبيده لا يؤاخذهم يوم القيامة الا بعد اقامة البينة عليهم وذلك اخلص للحكام فى الدنيا والآخرة وأبعد عن التهمة ومن هنا يعلم ان الحق تعالى لا يؤاخذ عباده الا على صورة ما شرعه لهم فى الدنيا ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم عن أمر ربه رب احكم بالحق يعنى بالحق الذى بعثتني به

(فالجواب) انما كان مرة واحدة تخفيفا من الله عز وجل علينا لضعفنا ولكثرة المشقة علينا فى السفر للحج كل سنة لاسيما فى حق اهل البلاد البعيدة وقالوا من ورد حضرة الله عز وجل الخاصة مرة واحدة فى عمره لم تمسه النار ابدا (فان قيل) فما حكمة التجرد عن لبس المخيط (فالجواب) ذلك اشارة الى ان من ادب كل داخل الحضرة الالهية ان يدخل مفلسا متجردا عن شهود حسناته السابقة وتائبا من جميع زلاته اذ الامداد الالهية انما هى الخاصة بالفقراء والمساكين غالبا وقد اجمع اهل الله قاطبة على انه لا يصح دخول حضرة الله قط لاغنى ولا متكبر قال تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين فلما تجرد المحرمون مما ذكرنا استحقوا مواهب الله تعالى وفضله عليهم وفى الحديث من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه فكأن المحرم يولد هنالك ولادة جديدة ثم لا يخفى ان سبب دعوى الغنى والتكبر انما هو الاكل فانه لما اكل حجب فنازع الصفات الالهية فى الكبرياء والعظمة ودعوى الغنى فحرم بركة امداده (فان قيل) فما وجه تعلق بعض الناس باستار الكعبة (فالجواب) ان ذلك نظير تعلق الرجل بثوب صاحبه اذا كان بينه وبينه جناية ليصفح عنه ويسامحه والا فمن ادب الاكابر عدم التعلق باستار بيت الله الخاص لما لا يخفى فقد كمل لآدم عليه السلام بالحج كمال مقام التوبة من اكله من الشجرة على ما قررناه وكذلك كمل لذريته بحكم التبع كمال توبتهم فمن لم يحج لم يحصل له كمال التوبة من حيث الذنوب الخاصة بالحج التى لا يكفرها الا هو كما مر فى الكلام على الوضوء والصلاة وانما قلنا كمال التوبة ولم نقل لم تحصل له التوبة من اجل ان الندم وقع من آدم لما اكل من الشجرة وكذلك الحكم فى كل مؤمن من ذريته لابد من ندمه عقب المعصية امر لازم لكل من رد اليه عقله بعد الزلة ومعلوم ان الندم هو معظم اركان التوبة لاستلزامه عادة وجود بقية الاركان وقد ورد ان آدم عليه السلام لما حج البيت قال يارب اغفر لى ولذريتى فقال الله عز وجل اما انت فقد غفرت لك ذنبك حين ندمت واما بنوك فمن اتانى لا يشرك بى شيأ غفرت له ذنوبه فهذا كان اصل مشروعية الحج وتعلقه بالاكل من شجرة النهى كل حاج بما يناسبه يكفر عنه الحج ذنوبه كلها من الكبائر الى خلاف الاولى * واما وجه تعلق البيع والشراء وسائر المعاملات وتوابعها بالاكلة المذكورة فهو ان الانسان اذا اكل حجب واذا حجب حاف فى البيع والشراء وغش وجار وظلم فشرع له البيع على الميزان الشرعى دفعا للحيف والجور فان الانسان اذا حجب ربما اكل اموال الناس بالباطل ضرورة وشرهت نفسه وكثر ظلامه واشتدت ظلمة باطنه ومن لازم ذلك كثرة محبة الدنيا حتى انه يصير يتلقى الركبان ويبيع الناس بالربا ويمتنع من فرض المحتاجين الا ان راباهم وربما باع وندم او اشترى وندم فشرع له الخيار وربما غصب الاموال واحتكر الطعام على الناس فجاءت الشريعة بالنهى عن الاحتكار والغصب وربما جحد البيع او الشراء فشرع التحالف قطعا للنزاع وربما اشترى الثمرة قبل التأبير فادعاها المشترى او اشترى عقارا فقط فادعى ما فيه من المنقولات وهكذا فشرع له احكام باب بيع الاصول والثمار وامر باعطاء كل ذى حق حقه على يد شهود عدول ليرجع اليهم كما هو الغالب على اهل الدنيا وسبب مشروعية ذلك كله انما هو الاكل فانه لما اكل حجب عن جميع الحقوق التى ذكرناها ثم ان الشارع صلى الله عليه وسلم لما علم حجاب امته بالاكل من ارفاق بعضهم بعضا على حكم المسامحة اللائقة باخوة الاسلام وسع صلى الله عليه وسلم على الناس بالسلم والرهن وضرب الحجر على من عليه ديون الناس ولا يجد لها قضاء حتى ان المفلس لا يحبس ويحجر على السفيه حتى لا يتلف ماله فى غير طريق شرعى فان الله تعالى قد جعلها له قياما واصل وجود السفه فى الانسان انما هو من الاكل وكذلك وسع صلى الله عليه وسلم على الناس بالعارية والوديعة والشركة والوكالة والشفعة والحوالة وامرهم ان يقروا بما عليهم من الحقوق فى هذه الدار قبل الدار

وشرعت لى ان احكم به فيهم اى لانه رحمة فساله الرحمة لامته بهذا القول على سبيل التضرع * وقال فيه فى قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين ونحوهما من الآيات اعلم ان للحق تعالى ان يوجب على نفسه ماشاء لانه يفعل ما يريد ولكن لا يدخل تحت حد الواجب على عباده فله تعالى ان يخالف ما كتب ولا يلحقه ذم ولا لوم بخلاف العبد اذا اوجب على نفسه شيأ كالنذر يدخل تحت حد الواجب فيأثم الناذر اذا لم يقم به عقوبة له حيث اوجب على نفسه مالم يوجبه الله عليه وزاحم فى التشريع ولهذا نهى الشارع عن النذر فافهم ثم اذا وفوا بنذورهم آجرهم الله عليه ثواب الواجبات الشرعية فضلا منه ورحمة * وقال فى حديث يقول الله عز وجل يوم القيامة اكملوا لعبدى فريضته من تطوعه اى ما نقص من الفرض الواجب كملوه من الفرض الذى فى النوافل كالقراءة والركوع والسجود ونحو ذلك وما نقص من سنن الفرض الواجب كملوه من السنن التى فى النوافل كل شئ بمثله * قال واعلم ان النوافل هى كل ما جاء زائدا على الفرائض من جنسها فان لم يكن لذلك الزائد عين صورة فى الفرائض فليس هو بنافلة بل عمل مستقل وله مرتبة فى الاجر ليست للنوافل * وقال

الآخرة واصل ذلك كله حجابهم بالاكل عن شهود مصالحهم ومصالح اخوانهم وكذلك شرع لامته ان يضمنوا بعضهم بعضا ويصالحوا ببعض ديونهم اذا عجز المديون عن الوفاء وكذلك نفس صلى الله عليه وسلم عن أمته بالمساقاة والقراض والاجارة ووسع عليهم في احياء الموات وامرهم برد اللقطة واللقيط واعطاء الجعالة من رد الآبق لما حجبوا عن فعل ذلك مع اخوانهم واصل حجابهم الاكل فلولا الاكل لكان الناس كلهم يتعاونون على البر والتقوى من غير مخالفة فيكونون كالملائكة لا يتصرفون قط الا في خير ولا يقعون في شر البتة وتأمل الملائكة تجدهم منزهين عن الوقوع في شئ من هذه الامور لعدم حجابهم وأما الهبة والهدايا والوقف فانما شرع ذلك شكر النعمة الحاصلة بالبيع والشراء فهي نوع آخر معدود من مكارم الاخلاق وانما كان الوقف لا يصح الا على التأبيد مبالغة في دوام المعروف والصدقة بعد الموت وجبر الخلل الواقع من صاحب المال طول مدة كون المال في يده فلو كان كل من وجده محتاجا اعطاه حاجته اولا فاولا ما شدد عليه في تأبيد الوقف وكان يكفيه ان يقدر له مدة معلومة انتهى (فان قيل) فما وجه تعلق باب الفرائض وبيان قسمتها بالاكل من الشجرة (فالجواب) ان وجهه انه لما اكل حجب فشرهت نفسه عن ان يعطي غيره من مال موروثه شيأ فجعل الله تعالى لكل وارث نصيبا مفروضا دفعا للفساد وكانت الوصية في مرض الموت او غيره كالنافلة مع الفريضة لتجبر خلل ما اخل به من المعروف مدة عمره ولذلك ورد افضل الصدقة ان تتصدق وأنت صحيح شحيح تؤمل البقاء وتخاف الفقر وليست الصدقة اذا بلغت الروح الحلقوم فقلت لفلان كذا ولفلان كذا الحديث بالمعنى في بعضه اي فان ذلك قليل الثواب بالنسبة لصدقة الانسان حال صحته فالحمد لله رب العالمين فهذا كان سبب مشروعية ربع البيع كله وتعلقه بالاكلة المذكورة والله أعلم ✽ واما وجه تعلق مشروعية النكاح وتوابعه بالاكلة المذكورة فظاهر وذلك ان شهوة النكاح ما نشأت الا من الاكل فلولا الاكل لما وجد في الناس شهوة وكان الناس كالملائكة وانما امرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالنكاح وقال شراركم عذابكم ولم يكتف فيه بالوازع الطبيعي شفقة علينا وتقوية لقلب من يستحي من فعل ذلك بل أكثر الناس يستحيون من ذكره فضلا من فعله وايضا فانما امرنا بالنكاح لنكون بذلك تحت طاعة الشارع وممتثلين لامره لا تحت طاعة نفوسنا فنثاب بذلك بل بعض الاولياء ربما يحضر مع الله تعالى في حال جماعه كما يحضر معه في حال صلاته من حيث جامع المشروعية من كل منهما وايضا فان حثه صلى الله عليه وسلم لنا على التزويج يورث الاكثار منه فيكثر بذلك نسلنا وذرارينا ليستغفروا لنا ولتكون أعمالهم الصالحة من جملة حسناتنا فانا كنا محلا لوجودهم فينا ومنا وليس علينا من اوزارهم شئ كما انه ليس على آدم عليه السلام من اوزار اولاده المخالفين لامر الله عز وجل شئ ونرجو من فضل ربنا قبول استغفار ذريتنا لنا وان يعفو عنا ربنا ويصلح بذلك حالنا هذا هو الاصل في الترغيب بالنكاح ✽ وأما حكم دفع شهوة الزنا ومقدماته فانما ذلك بحكم التبع لتلك المنافع الحاصلة لنا من اولادنا ✽ وأما وجه تعلق محرمات النكاح بالنسب والمصاهرة بالاكلة المذكورة فهو ان العبد لما أكل ما لا ينبغي أظلم قلبه فقل حياؤه فربما اشتهى وطء محارمه فحرم الله تعالى عليه ما حرم من المحارم ومن النساء من لا كتاب لهن من المشركين ولولا بيان الشارع لنا صلى الله عليه وسلم لذلك لنكحنا محارمنا ✽ واما وجه تعلق باب الخيار والاعفاف ونكاح العبد بالاكلة من الشجرة فلان نفرة احد الزوجين من الآخر بعاهة من العاهات انما سببه الشهوة الطبيعية الناشئة من الاكل فلولا الاكل ما حصل لاحدهما جنون ولا جذام ولا برص ولا عنة ولا نفر من الرتقاء ولا القرناء كالاينة ومنها الملك لعدم الشهوة الى وطئها وكذلك لولا حجابه بالاكل ما خفي عليه وجوب اعفاف والده اذا تاقت نفسه الى النكاح ولا كان امتنع من تزويج عبده مع استخدامه في

في حديث لا يقبل من صلاة الرجل الا ما عقل منها اعلم أن في حديث قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين اشارة الى ان أكثر ما يكون حق الله تعالى النصف في الصلاة من غير زيادة وأما هنا فهو القدر الذي عينه تعالى له من صلاة عبده وهو العشر فانه قال عشرها تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها وما ذكر النصف الا في الفاتحة فعلمنا المعنى فعيناه في جميع أفعال الصلاة وأقوالها بل في جميع ما كلفنا من الاعمال فاما عينه فهو ما انحصرت فيه الفاتحة وهي تسعة أقسام القسم الاول بسم الله الرحمن الرحيم الثاني الحمد لله رب العالمين الثالث الرحمن الرحيم الرابع مالك يوم الدين الخامس اياك نعبد السادس واياك نستعين السابع اهدنا الصراط المستقيم الثامن صراط الذين أنعمت عليهم التاسع غير المغضوب عليهم ولا الضالين فالخاسر الساهي عن صلاته من لم يحضر مع الله في قسم واحد من هذه التسعة الاقسام التي ذكرناها في الفاتحة وهي التي ذكرها الله في القبول من العشر الى النصف فمن رأى البسملة آية منها ولا يفصلها فالقسمة على ما ذكرناه في الفاتحة فان حكم الله تعالى في الاشياء حكم المجتهد فهو معه في اجتهاده ومن أداه اجتهاده الى الفصل ففصل البسملة من الفاتحة و جعلها ليست بآية منها

مهماته ليلاونهارا * واما وجه تعلق هذا بالاصهار قبل التزويج ووزن الصداق بالا كلة المذكورة فانما شرع ذلك استجلابا لميل خاطر الولي والزوجة الى اجابة الخاطب فان خاطر الولي والمرأة اذا كان مائلا الى الزوج بالمحبة اسرع بالحمل وجاء الولد نجيبا وكثرالنسل لعدم الامر المنغص للخاطر من كراهة المرأة وأهلها للزوج وأصل وقوع المنغصات كلها من الا كل فانه اذا اكل حجب واذا حجب عمي عن اكرام أصهاره ومن أمره الله تعالى بحو الاتهم من المسلمين وكذلك القول في سبب مشروعية القسم والنشوز ووجود الشقاق بين الزوجين أصله كله الا كل فلولا الا كل لما حجب الزوج ولما حاف ولما ظلم ولكان يعدل بين زوجاته لانتفاء الاغراض النفسانية حينئذ وكذلك لولا الا كل لما اخلت المرأة بحق زوجها ولما كفرت نعمته ولو أن الزوجين أكلا ما ينبغي لم يقع منهما حيف ولا جور كما هو شأن الانبياء والاولياء * وأما وجه تعلق الخلع والطلاق والرجعة والايلاء والظهار بالا كلة المذكورة فسببه أيضا الا كل وذلك انه اذا شبع من الحلال فضلا عن الحرام وبطر جاءت جوارحه فخاصم وفجر وكان من أقرب الناس اليه في ذلك زوجته فضاجرها وغايرها بالضرائر والسرارى حتى سألته الطلاق بعوض منها لتستريح من سوء خلقه فخلعها أو طلقها وابتداء من غير عذر بطرا وطلب أن يتزوج أعلى منها وحلف أن لا يطأها فظاهر منها ثم اذا راقت نفسه من ذلك التكدير والخصام وربما طلب مراجعتها أو لم يطلب وكانت العدة والاستبراء والرضاع من توابع النكاح عند حصول فراق أو طلاق أو زوال فراش أو وجود ولد رضيع ذكر أو أنثى أو موت فبين لنا الشرع حدود ذلك كله حتى لا ينزع الولد ممن هو أحق به ولئلا يتزوج الانسان أخته من الرضاع ويشح على المرضعة باجرتها كل ذلك لحجابه بالا كل * وأما وجه مشروعية نفقة الزوجة والاولاد والوالدين فانما كان ذلك لحجابنا بالا كل فانا لما أكلنا حجبنا عن تأدية حقوق زوجاتنا وأولادنا ووالدينا وأقاربنا ورقيقنا وبهائمنا وغفلنا عن تأدية حقوقهم للحجاب الحاصل لنا من الا كل فلولا الحجاب ما احتجنا الى أن نؤمر بذلك لعظم حق الوالدين وبيان فضل صلة رحمهم ومن ألحق بهم من القرائب وزيد الوالدان في الحق علينا لكونهما كانا سببا في ايجادنا مع تحملهما همومنا وغمومنا وخدمتنا في حال طفوليتنا وشبابنا ورجوليتنا وفي حال صحتنا ومرضنا * وأما وجه نفقة رقيقنا فهو مكافأة لهم على خدمتهم لنا وصبرهم على تحجيرنا عليهم ليلا ونهارا في شئ لا يستطيع احدنا الاقامة عليه وأما البهائم فلكثرة نفعها لنا بالحرث والدراس والطحن وحملنا وأمتعتنا الى البلاد البعيدة التي لا يستطيع احدنا ان يمشي اليها بنفسه فضلا عن حملنا متاعنا عليها وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم ان اصل حجابنا عن تأدية جميع هذه الحقوق انما هو الا كل والله تعالى اعلم *(وأما وجه تعلق مشروعية جميع الحدود بالا كلة المذكورة وما يذكر معها فهو ظاهر)* فان الانسان اذا اكل الشهوات ربما فسق وتعدى حدود الله تعالى فقتل النفس بغير حق وقطع العضو او جرحه أو شج الراس وقلع العين وكسر السن والعظم وسرق أمتعة الناس وقطع الطريق وشرب الخمر وزنى وقذف الناس بالباطل وصال على البضع والمال وجار في القسمة ولم يقر بما جناه فأحوج الناس الى ان تحلف الناس خمسين يمينا وصار يحلف الايمان الكاذبة ويكثر من الصادقة ويبخل بالطعام والمال على المحتاجين ولم تسمح نفسه ان يعطيه لاحد من عباد الله الا ان شفى الله تعالى مريضه أو ردضالته أو أخذ بيده في لشدائد فلذلك عاهد الله بالنذر حتى قدر على نفسه انها تسمح به كل ذلك لعظم محبته ورغبته في الدنيا الناشئ ذلك كله من حجاب الا كل ولو انه ترك الا كل جملة او جاع وأكل سد الرمق أوالا كل الشرعي لضعفت جوارحه عن تعدى هذه الحدود التي قدمناها كلها بل ربما يكاد أخوه اذا جاع فيثقل عليه الكلام ولا يرد عليه الا بتكاف من شدة الجوع وكذلك لولا الا كل ما حجب العبد حتى ادعى

تسمل الله له الجزء التاسع ولا الضالين والبسملة أحق وأولى فانها من القرآن بلاشك عند العلماء بالله وتكرارها في السور ومثل ما تكرر في القرآن من سائر الكلمات وما زاد على التسعة فعقله في التلاوة على عدد حروف الكلمة فقد يعقل المصلي حرفا من حروف الكلمة ثم يغفل عن الباقي فهذا معنى قوله العام انه لا يقبل منها الا ما عقل فالعاقل من اتى بها كاملة ليقبلها الله كاملة ومن انتقص منها شيأ في صلاته جبرت له من قراءة الفاتحة في نوافله من الصلاة فليكثر من النوافل فان لم تف قراءتها في النوافل بما نقصه من قراءة الفاتحة في الفريضة اكمل له من تلاوته بحضور في غير الصلاة المعينة وان كان في جميع أفعاله في صلاة كمن هم على صلاتهم دائمون فاعلم ذلك * وقال في الباب السابع والسبعين وثلثمائة اعلم انه لا يلزم من شهود العبد ربه بقلبه ان يكون هو ذلك المطلوب له الا باعلام الله وجعله العلم الضروري في نفس العبد مثل ما يجد النائم في نومه من رؤيته صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الحق تعالى في النوم فيجد في نفسه علما ضروريا من غير سبب ظاهر ان ذلك المرئي هو الرسول إن كان الرسول أو الحق تعالى إن كان هو الحق وذلك لوجدانه حقا في نفسه مطابقا لما هو الامر

الدعاوي

الدعاوى الباطلة التى يقول الله له فيها كذبت ولا تحمل الشهادة على غير علم ولا وضى بين الناس بغير علم ولوانه كان لا يأكل طعاما او أكل الا كل المشروع تقطا لما وقع منه شئ من ذلك فلذلك امر الله تعالى اصحاب هذه الصفات ان ينقادوا لاصحاب الحقوق ليقتصوا منهم وتقام عليهم هذه الحدود وحفظا لنظام الوجود عن الفساد الحاصل بالاكل وانما شرع فى بعض الحدود الكفارة بعتق أو اطعام أو كسوة اوصوم لزيادة القبح فى ذلك الذنب ولتكون الكفارة حجابا مانعا من وقوع البلاء على ذلك العاصى كما مرت الاشارة اليه فى الكلام على صوم رمضان والله اعلم *(واما وجه تعلق عتق الرقبة وكتابته وتدبيره وتحريم بيع أمهات الاولاد بالاكلة المذكورة)* فهوان سبب العتق والكتابة والتدبير مقابلة العبد بنظير ما فعل مع سيده من الخدمة ولولا ان الشارع أمر السيد بذلك لما اهتدى لتلك المقابلة لحجابه بالاكل عن ادراك قبح تحمل منة الخلائق اذ ملكه للعبد ليس ملكا حقيقيا وانما المالك فيه الله رب العالمين ولوان الله عز وجل جعل الرقيق خفيف العقل ما ادخله تحت تحجير عبد آخر فكان حكم العبد مع سيده كحكم الطفل فى يد وليه لولاه اضاعت مصالحه فافهم ويؤيد ما قلناه حديث اخوانكم خولكم اطعموهم مما تطعمون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون فان كلفتموهم فاعينوهم * واما وجه تعلق مشروعية تحريم بيع امهات الاولاد بالاكلة المذكورة فهوان السيد لما أكل ما لا ينبغى حجب ونسى حقوق ام ولده عليه حين كانت له فراشا مع ان ماءها اختلط بمائه فى الولد فكان عتقها كفارة لذلك الجهل الحاصل بحجاب الاكل والله أعلم واما وجه تعلق مشروعية نصب الامام الاعظم وسائر نوابه بالاكلة المذكورة من الشجرة فظاهر فانه لولا الامام الاعظم ونوابه ما نفذ شئ من الاحكام ولا اقيم شئ من الحدود ولا قام لدين الاسلام شعار وكان يفسد نظام العالم كله وأصل الاخلال بذلك كله حجاب الخلق بالاكل فلولا الاكل ما تعدى احد حدود الله ولا احتاج الناس الى امام ولا حاكم ولا قاض وكان الانسان يعطى الحقوق التى عليه لاربابها قبل المطالبة كما عليه طائفة الاولياء الذين كشف الله حجابهم لكن لما كان الخلق كلهم لا يقدرون على المشى على الطريقة المذكورة احتاجوا ضرورة الى الحاكم ليحموا انفوسهم وأموالهم وحريمهم من الفسقة والمتمردين وايضا فلولا الامام الاعظم ونوابه ما انتظم لبيت المال حال ولا قدر احد على تخليص خراج يصرف على عساكر الاسلام فكانت تضيع مصالح الخلق اجمعين فالحمد لله رب العالمين فهذا ما حضر فى الآن فى حكمة وجود التكاليف التى جاءت بها الشرائع كلها والله تعالى اعلم

(المبحث الثانى والاربعون فى بيان ان الولاية وان جلت مرتبتها وعظمت فهى آخذة عن النبوة شهودا ووجودا)

فلا تلحق نهاية الولاية بداية النبوة أبدا ولوان وليا تقدم الى العين التى يأخذ منها الانبياء لاحترق وغاية امر الاولياء انهم يتعبدون بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم قبل الفتح عليهم وبعده ومتى ما خرجوا عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم هلكوا وانقطع عنهم الامداد فلا يمكنهم ان يستقلوا بالاخذ عن الله ابدا وقد تقدم فى المباحث السابقة ان جميع الانبياء والاولياء مستمدون من محمد صلى الله عليه وسلم ويؤيد ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يتعبد قبل رسالته بشريعة ابراهيم عليه السلام او غيره على خلاف فى ذلك فلما جاءه الوحى انقطع عن ذلك التعبد واتبع ما اوحى به اليه وكذلك القول فى الولى غايته الالهام الموافق لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد الفتح فلا يعمل به مستقلا لان نبوة التشريع قد انقطعت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير ملك الالهام يفهم ذلك الولى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويطلعه على اسرارها حتى كأنه اخذها عن رسول الله صلى الله

عليه فيما رآه هكذا العلم بالله فلا يدرك الا هكذا واما النظر والفكر فلا * وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم فاقول سحقا سحقا يعنى فى حق الطائفة الذين أخذ بهم ذات الشمال انما قال صلى الله عليه وسلم وهو الرؤف الرحيم سحقا سحقا الان من كان عالما بالامور لا يزيد على حكم ما يقضى به الوقت ولذلك قالوا الصوفى ابن وقته ثم انه اذا زال الحال تلطف فى المسئلة وتشفع فى كل موحد حتى يخرج من أمته فى مكان سحيق * وقال فى قوله تعالى واذا الارض مدت اعلم ان مد الارض هو تدكدك جبالها حتى تصير ارضا فما كان منها عاليا فى الجو اذا انبسط زاد فى بسط الارض قال ولهذا جاء فى الخبر ان الله يمد الارض يوم القيامة مد الاديم فشبه مدها بمد الاديم لان الانسان اذا مد الاديم طال من غير ان يزاد فيه شئ لم يكن فى عينه فما زاد الا لما كان فيه من التقبض والنتوء فلما مد انبسط عن قبضه وفرش ذلك النتوء الذى كان فيه فزاد فى سعة الارض ورفع المنخفض منها حتى يسطه فزاد فيها ما كان من طول من سطحها الى القاع منها كما يكون فى الجلد سواء فلا ترى فى الارض هنالك عوجا ولا امتا فيأخذ البصر من المبصر جميع من فى الموقف بلا حجاب من ارتفاع وانخفاض ليرى الخلق كلهم بعضهم بعضا فيشهدون حكم الله فى الفصل

علیه وسلم بلا واسطة فاذا اصح الولی قدم الاخذ عن رسول الله صلی الله علیه وسلم من غیر واسطة فهنالك یصح ان یرشد الامة المحمدیة ویتصدر لدعائهم الی الله عز وجل بحكم النیابة عن رسول الله صلی الله علیه وسلم قال تعالی قل هذه سبیلی ادعو الی الله علی بصیرة انا ومن اتبعنی الآیة فقد بان لك ان الولایة لا تلحق النبوة ابدا ومن قال من العارفین ان مقام الولایة اكمل واتم من مقام الرسالة فمراده كما قاله الشیخ محیی الدین فی الفتوحات ان مقام ولایة النبی فی نفسه اتم واكمل من مقام رسالته وذلك لشرف المتعلق ودوامه فان الولایة یتعلق حكمها بالله تعالی ولها الدوام فی الدنیا والآخرة والرسالة یتعلق حكمها بالخلق وینقطع بزوال زمن التكلیف فلیس مراد احد من القوم بما قالوه نصب الخلاف بین مطلق الولایة ورسالة الانبیاء فان هذا لا یقوله الا الجاهلون بالله تعالی الذین لم یقربوا من حضرته ولم یعرفوا اهلها وحاشا الاولیاء من ذلك * وقد سئل بعضهم عن ولایة غیر النبی هل یصح انها افضل ولایة نبی فقال لم یرد لنا فی ذلك شیء والذی نمیل الیه ان ولایة كل نبی فاضلة علی ولایة اعظم الاولیاء وهو الذی یلیق بمقامهم لان الولایة آخذة عن النبوة كما مر * واعلم ان من جملة ما اشیع عن الشیخ محیی الدین انه یقول مقام الولایة اتم من مقام الرسالة علی الاطلاق والشیخ رضی الله عنه بریء من ذلك فقد قال فی الباب الرابع عشر من الفتوحات اعلم ان الحق تعالی قصم ظهور الاولیاء بانقطاع النبوة والرسالة بعد موت محمد صلی الله علیه وسلم وذلك لفقدهم الوحی الربانی الذی هو قوت ارواحهم ولو ان احدا من الاولیاء كان فی مقام نبی فضلا عن كونه قد فضله ما قصم ظهره ولا احتاج الی وحی علی لسان غیره وانما غایة لطف الله تعالی بالاولیاء انه ابقی علیهم وحی المبشرات فی المنام لیتأنسوا برائحة الوحی انتهی * وقال ایضا فی الكلام علی التشهد من الفتوحات اعلم ان الله تعالی قد سد باب الرسالة عن كل مخلوق بعد محمد صلی الله علیه وسلم الی یوم القیامة وانه لا مناسبة بیننا وبینه صلی الله علیه وسلم لكونه فی مرتبة لا ینبغی ان تكون لنا انتهی * وقال فی شرحه لترجمان الاشواق اعلم ان مقام النبی ممنوع لنا دخوله وغایة معرفتنا به من طریق الارث النظر الیه كما ینظر من هو فی اسفل الجنة الی من هو فی اعلی علیین وكما ینظر اهل الارض الی كواكب السماء وقد بلغنا عن الشیخ ابی یزید انه فتح له من مقام النبوة قدر خرم ابرة تجلیا لا دخولا فكاد ان یحترق * وقال فی الباب الثانی والستین واربعمائة من الفتوحات اعلم انه لا ذوق لنا فی مقام النبوة لنتكلم علیه وانما نتكلم علی ذلك بقدر ما اعطینا من مقام الارث فقط لانه لا یصح لاحد منا دخول مقام النبوة وانما نراه كالنجوم علی السماء * وقال فی الباب السابع والستین وثلثمائة لقد اعطیت من مقام العبودیة التی اختص بها رسول الله صلی الله علیه وسلم مقدار الشعرة الواحدة من جلد الثور فما استطعت القیام به انتهی فهذه نصوص الشیخ محیی الدین رحمه الله تكذب من افتری علیه انه یقول الولایة اعظم من النبوة والله تعالی اعلم

(المبحث الثالث والاربعون فی بیان ان افضل الاولیاء المحمدیین بعد الانبیاء والمرسلین ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علی رضی الله عنهم اجمعین)

وهذا الترتیب بین هؤلاء الاربعة الخلفاء قطعی عند الشیخ ابی الحسن الاشعری ظنی عند القاضی ابی بكر الباقلانی ومما تشبث به الروافض فی تقدیمهم علیا رضی الله عنه علی ابی بكر رضی الله عنه حدیث انه صلی الله علیه وسلم اتی بطیر مشوی فقال اللهم ائتنی باحب خلقك الیك یأكل معی من هذا الطیر فأتاه علی رضی الله عنه وهذا الحدیث ذكره ابن الجوزی فی الموضوعات وافرد له الحافظ الذهبی جزأ وقال ان طرقه كلها باطلة واعترض الناس علی الحاكم حیث ادخله فی المستدرك ودلیل

والقضاء فی عباده واطال فی ذلك * وقال فی الباب التاسع والسبعین وثلثمائة المسمی القرآن قرآنا لانه جمع بین ما نزل فی الكتب والصحف وما لم ینزل فیها ففیه كل ما فی الكتب المنزلة وفیه ما لم ینزل فی كتاب ولا صحیفة كما قیل فی الفاتحة ان الله تعالی اعطاها نبیه محمدا صلی الله علیه وسلم خاصة دون غیره من الرسل من كنز تحت العرش فلم توجد فی كتاب منزل ولا فی صحیفة الا فی القرآن خاصة * وقال فی قوله صلی الله علیه وسلم ان ربكم واحد وان اباكم واحد انما لم یقل صلی الله علیه وسلم ان ابویكم اثنان یعنی حواء وآدم كما وقع فی الظاهر لان حواء عین آدم اذ هی عین ضلعه فلم یكن الاب واحدا فی صورتین مختلفتین ولیس ابوك الا من انت عینه فما ثم الا اب واحد واطال فی ذلك * وقال فی حدیث حبب الی النساء والطیب لم یبین صلی الله علیه وسلم من حبب الیه ذلك ولكن نحن نعلم یقینا من وجه عصمته ان المراد حببهن الله تعالی الیه ذلك فانه معصوم عن ان یحب لطمع او طبع او حذر فعلم ان من احب النساء والطیب بحكم الطبع مثلا فلیس بوارث للنبی صلی الله علیه وسلم فی هذا المقام وسیأتی معنی وجعلت قرة عینی فی الصلاة فی الباب الثامن والثمانین وثلثمائة فراجعه * وقال فی قوله

صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء اعلم انه ليس المراد بالعلم هنا ما تستقل العقول والحواس بادراكه دون

اهل السنة فى تفضيل أبى بكر على على رضى الله عنهما الحديث الصحيح ما فضلكم ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشئ وقر فى صدره وهو نص صريح فى أنه أفضلهم وفى البخارى عن ابن عمر قال كنا نقول خير الناس بعد النبى صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ولا ينكر ذلك علينا * وقال الشيخ أبو الحسن الاشعرى ومما فضل به ابو بكر رضى الله عنه انه ما زال بعين الرضا من الله عز وجل اى بحالة غير مغضوب فيها عليه اذ لم يثبت عنه حالة كفر كما ثبت عن غيره ممن آمن وان لم يكن موصوفا بالايمان قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم اذ حكم السعادة دائر مع حكم التوحيد لا مع الايمان اذ متعلق الايمان انما هو الخبر الذى جاء به الصادق عن الله عز وجل ولا خبر ولا كتاب فى زمن الفترة التى قبل النبوة حتى يتعلق به ايمان أبى بكر رضى الله عنه او ايمان غيره فصح حينئذ قولهم ان ابا بكر ما زال بعين الرضا وقد أطبق السلف الصالح من الصحابة والتابعين على احترام هؤلاء الاربعة الخلفاء عند الله وتعظيمهم على هذا الترتيب الذى ذكرنا اما الصحابة فلانهم شاهدوا فضل ابى بكر بقرائن الاحوال المقترنة بقوله صلى الله عليه وسلم و بفعله المنبئين عن الافضلية عند الله تعالى وأما التابعون فلانهم خير القرون بعد الصحابة ولانهم اعرف بعقد الصحابة فى ابى بكر وغيره * قال العلماء وانما كان ابو بكر يدعى بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه خليفته فى امر الرعية واستخلافه للصلاة بالناس فى مرض وفاته صلى الله عليه وسلم فابو بكر افضل الاولياء المحمديين وقالت الشيعة وكثير من المعتزلة الافضل بعد النبى صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب رضى الله عنه ودخل فى قولنا ان ابا بكر افضل الاولياء المحمديين اولياء الامم السالفة فابو بكر افضل منهم بناء على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم فى حق من تقدمه وفى حق من تأخر عنه بالزمان وخرج بقولنا فى الترجمة بعد الانبياء والمرسلين يعنى الاحياء والاموات غير عيسى عليه السلام فانه افضل من أبى بكر بيقين وكذلك خرج الخضر عليه السلام فان مقامه برزخى بين الولاية والنبوة كما ذكره الشيخ فى الفتوحات وعبارته ومقام الخضر عليه السلام دون النبوة وفوق الصديقية كما اخبرنا بذلك عليه السلام عن نفسه مشافهة قال و يسمى مقام القربة وانكر الامام الغزالى هذا المقام انتهى * قلت وذكر النووى فى تهذيب الاسماء واللغات ما نصه الخضر عليه السلام نبى وانما اختلف فى رسالته وشذ بعض الصوفية فقال بولايته انتهى والله اعلم وعبارة الشيخ فى الباب الثالث والتسعين من الفتوحات اعلم انه ليس فى امة محمد صلى الله عليه وسلم من هو افضل من ابى بكر غير عيسى عليه السلام وذلك انه اذا نزل بين يدى الساعة لا يحكم الا بشرع محمد صلى الله عليه وسلم فيكون له يوم القيامة حشران حشر فى زمرة الرسل بلواء الرسالة وحشر فى زمرة الاولياء بلواء الولاية انتهى * وقال الشيخ كمال الدين بن ابى شريف فى حاشيته الذى يتجه ان عيسى عليه السلام لا يعد من امة محمد صلى الله عليه وسلم لانه غير داخل فى دعوته فلم يكن من أمة الدعوة ولا من أمة الملة انتهى * وقال الشيخ تقى الدين بن أبى المنصور فى عقيدته و يعتقد ان أبا بكر رضى الله عنه أفضل من سائر الامة المحمدية وسائر امم الانبياء وأصحابهم لانه كان ملازما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالصديقية لزوم الظل للشاخص حتى فى ميثاق الانبياء ولذلك كان اول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال الشيخ فى الباب الثالث وثلثمائة من الفتوحات اعلم ان السر الذى وقر فى صدر أبى بكر رضى الله عنه وفضل به على غيره هو القوة التى ظهرت فيه يوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت له كالمعجزة فى الدلالة على دعوى الرسالة فقوى حين ذهلت الجماعة لانه لا يكون صاحب التقدم والامامة الا صاحيا غير سكران فكان رضى الله عنه هو الحقيق بالتقدم ولا يقدح فى كماله واستحقاقه الخلافة كراهة بعض الناس فان ذلك مقام الهى قال تعالى والله

الاخبار فان ذلك ليس بوراثة وانما المراد به هنا ما لا تستقل العقول بادراكه من حيث نظرها بل تحكيه بأدلتها فاعلم ذلك * وقال فى الباب الاحد والثمانين وثلثمائة انما كان أكابر الرجال لا مقام لهم معروف لان مشهودهم الحق تعالى ومن كان كذلك فلا غاية لمشهوده ولا لشهوده بخلاف أصحاب المقامات من الصوفية فان هممهم منحصرة الى غايات ونهايات فكلما وصلوا الى تلك الغايات تجددت لهم فى قلوبهم غايات أخر تكون تلك الغايات التى وصلوا اليها بدايات لهذه الغايات الاخر فتحكم عليهم الغايات بالطلب لها ولا يزال هذا الامر لهم دائما بخلاف الكمل من الرجال * وقال فيه اعلم ان للخيال سلطانا عظيما على الطبيعة حتى انه يجسد ما ليس من شأنه التجسد فيريك الاسلام قبة والقرآن سمنا وعسلا والقيد ثباتا فى الدين قال ومن أراد نجابة ولده فليقم فى نفسه عند الجماع صورة من شاء من أكابر العلماء وان أراد ان يحكم ذلك فليجامع وهو ينظر ذلك العالم مثلا من وراء حجاب و يتأمل فى جماله و يذكر ذلك الجمال ايضا لامرأته و يستغرقان فى النظر الى حسنه فانه

يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها فاذا كان بعض الناس يسجد لمن بيده ملكوت السموات والارض كرها لا طوعا فكيف بحال ابي بكر اوغيره فعلم انه لا بد من طائع وكاره ولو كان يدخل في الامر على كره لاجل شبهة تقوم عنده اذا كان ذا دين وكل الصحابة كذلك فتقديم بعضهم على بعض كما وقع به الترتيب في خلافتهم لا بد منه لكونه سبق ذلك في حكم الله واما من حيث قطعنا بتفضيل بعضهم على بعض فذلك مصروف الى الله تعالى فهو العالم بمنازلهم عنده ولم يعلمنا سبحانه وتعالى بما في نفسه من ذلك فالله تعالى يحفظنا من الفضول ومن مخالفة اهل السنة والجماعة آمين * وقال الشيخ صفي الدين بن ابي المنصور وكان ترتيب الخلفاء الاربعة كما ذكرنا متعينا لترتيب الحكمة وسر كمال دائرة الامة * وقال الشيخ كمال الدين بن ابي شريف في حاشيته اعلم ان الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر فعمر فعثمان فعلي رضي الله عنهم اجمعين والادلة على ذلك من السنة كثيرة يتظافر دلالة مجموعها على تقديم ابي بكر حتى يظهر ذلك للواقف عليها كفلق الصبح وكانت امارة عثمان بالعهد من عمر ان يكون الامر شورى بين ستة يختار خمسة منهم السادس ليكون خليفة فوقع الاختيار على عثمان والوفاق على امارته وكانت امارة علي رضي الله عنه باجتماع كبراء المهاجرين والانصار والتماسهم منه قبول مبايعتهم اياه فبايعوه رضي الله عنهم انتهى كما قال الشيخ كمال الدين رحمه الله تعالى * وقال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والتين وثلثمائة مما يدل على فضل ابي بكر رضي الله عنه على غيره كونه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم كالمريد الصادق اذا كمل فقده مع شيخه وبذلك استحق الخلافة فما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تجرد ابو بكر الى جانب الحق جل وعلا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا محضا ليس له مع الله تعالى حركة ولا سكون الا باذن من الله تعالى وقال ابو السعود بن الشبلي رحمه الله مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار ابو بكر متعهدا على الله تعالى دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يأخذ كل شئ يأتيه من الاحكام من الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتأثر كل ذلك التأثر كما وقع لغيره فانه ما من احد من الصحابة الا واضطرب ذلك اليوم وقال مالا ينبغي سماعه وشهد على نفسه في ذلك اليوم بقصوره وعدم معرفته بحال رسوله الذي اتبعه وأما ابو بكر فكان يعلم حقائق الامور ولذلك صعد المنبر وقرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فتراجع من كان حكم عليه وهمه وعرف الناس حينئذ فضله على الجماعة حينئذ فاستحق الامامة والتقدم فما بايعه من بايعه سدى وما تخلف عن بيعته الا من جهل منه ما كان يجهل من رسول الله صلى الله عليه وسلم او من كان في محل نظر من ذلك اومتأولا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد له في حياته بفضله على الجماعة بالسر الذي وقر في صدره فظهر حكم ذلك السر يوم موته صلى الله عليه وسلم وليس السر الا ما ذكرناه من استيفائه مقام العبودية بحيث انه لم يخل منه شئ في حقه ولا في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم من ابي بكر انه صار مع الله لا مع رسوله صلى الله عليه وسلم الا بحكم انه كان يرى ما يخاطبه به الحق تعالى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم في كل خطاب سمعه منه وكان لابي بكر ميزان في نفسه يعلم ما يقبل من خطابه في حقه ومالا يقبل * قال الشيخ محيي الدين وقد تحققت بمقام العبودية اصرف الخالصة وبلغت فيه الغاية فانا العبد المحض الخالص الذي لا يشوبني شئ من دعوى الربوبية على شئ من العالم قال ولا أعلم احدا ممن تقدمني بالزمان ورث مقام العبودية على التمام كما ورثته الا ما بلغني عن رجل من رجال رسالة القشيري انه قال لو اجتمع الناس على ان ينزلوا نفسي منزلتها التي هي عليها من الخسة والتواضع لم يستطيعوا فانا وان كان الناس يستفيدون مني العلوم فاما في نفسي عن ذلك

أن وقع لامرأة حمل من ذلك الجماع أثر في ذلك الحمل ما تخيله بقدرة الله تعالى فيخرج المولود بتلك المنزلة ولا بد فان لم يخرج كذلك فانما هو لامر طرأ في نفس الوالدين عند نزول النطفة في الرحم أخرجهما ذلك الامر عن مشاهدة تلك الصورة في الخيال من حيث لا يشعران قال ويؤيد ما ذكرناه عند العامة بالتوهم وقد يقع بالاتفاق عند الوقاع في نفس احد الزوجين صورة كلب او أسد او حيوان ما فيخرج الولد من ذلك الوقاع في اخلاقه على صورة ما تخيلاه حسنا وقبحا واطال في ذلك ثم قال وتأمل كيف أثر الخيال في زكريا حين دخل على مريم المحراب ورآها بتولا يعني منقطعة عن الرجال فطلب من عند الله أن يهب له ولدا من لدنه وليا أي من عندية الله من حيث الرحمة واللين والعطف وكانت مريم في خياله من حيث مرتبتها فجاء يحيي على صورتها حصورا أي منقطعا عن مباشرة النساء وهو العنين عندنا كما كانت مريم منقطعة عن مباشرة الرجال قال واسمها حنة ومريم لقب لها * وقال في الباب الثاني والثمانين وثلثمائة في قوله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار اعلم ان الحق تعالى ختم على كل قلب أن يدخله ربوبية الحق تعالى فلا أحد قط من الخلق يجد في نفسه أنه رب إله بل كل أحد منهم يعلم

بمعزل

بعزل انتهى (فان قلت) فما حقيقة الصديقية (فالجواب) كما قاله الشيخ فى كتاب لواقح الانوار ان الصديقية عبارة عن ايمان صاحبها بجميع ما اخبر به الرسل فتصديقه لذلك هو صديقيته (فان قلت) فهل فى الصديقية تفاضل (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين انه لا تفاضل فى الصديقية لانها كلها حقيقة واحدة فاذا رأيت بين الصديقين تفاضلا فليس هو من باب الصديقية وانما هو من باب آخر وسر آخر كالذى وقر فى قلب ابى بكر ففضل به على جميع الصديقين لا بنفس الصديقية كما مر * وقال فى الباب التاسع وثلثمائة اعلم ان رأس الاولياء الملامية هو ابو بكر الصديق رضى الله عنه (فان قلت) ما المراد بالملامية (فالجواب) هم قوم لا يزيدون على الصلوات الخمس الا الرواتب ولا يتميزون عن المؤمنين المؤدين فرائض الله تعالى بحالة زائدة يمشون فى الاسواق ويتكلمون مع الناس لا يتميزون عن العامة بعبادة ظاهرة قد انفردوا بقلوبهم مع الله تعالى راسخون فى العلم وفى العبودية لا يتزلزلون عنها طرفة عين فهم لا يعرفون للرياسة طعما لاستيلاء سلطان الربوبية على قلوبهم والمحقق الامام ابى بكر رضى الله عنه بمقام العبودية لم ينقل عنه ما نقل عن غيره من الاكثار من نوافل العبادات لكثرة ما كان يخفى من احواله فكانت اعماله قلبية مع ان كل ذرة ظهرت من اعماله لا يعادلها قناطير من عمل غيره رضى الله عنه * قال الشيخ رضى الله عنه ومما يدل على تفضيل ابى بكر على عمر رضى الله عنهما من وقائع الاحوال ما ثبت فى الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر ما اصبح اليوم عند آل محمد شئ يقوتهم فأتاه ابو بكر بجميع ماله حتى وضعه بين يديه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تركت لاهلك يا ابا بكر فقال الله ورسوله فسمع عمر رضى الله عنه بذلك فأتاه بشطر ماله فقال له صلى الله عليه وسلم ما تركت لاهلك يا عمر فقال الشطر يا رسول الله فقال بينكما ما بين كلمتيكما الحديث * وقال الشيخ فى الباب الثامن والاربعين ومائتين وجه التفضيل انه صلى الله عليه وسلم لم يحد لهما فى مالهما حدا بل عمى الامر عليهما ليفعل كل واحد بقدر عزمه والا فلو انه صلى الله عليه وسلم كان حد لهما حدا ما تعدياه فكان فضل ابى بكر على عمر لا يظهر فاراد صلى الله عليه وسلم بابهام الامر الابيان ظهور فضيلة ابى بكر على عمر رضى الله عنهما قال وفى قول ابى بكر تركت لاهلى الله ورسوله غاية الادب حين قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى فتحا الباب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قدر انه رد على ابى بكر شيأ من ماله لكان قبله من يده صلى الله عليه وسلم لكونه رضى الله عنه ترك رسول الله لاهله يعولهم فما حكم ابو بكر فى ماله الا من استنابه رب المال فانظر يا اخى ما اشد معرفة ابى بكر بمراتب الامور وبذلك فضل على عمر وكان قد تخيل انه يسبق ابا بكر ذلك اليوم فلما وقع له ما وقع من اتيانه بشطر ماله قال لا أسبق ابا بكر بعد اليوم وسلم له المقام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد على ابى بكر شيأ من ماله وذلك لينبه الحاضرين على ما علمه من صدق ابى بكر فى المحبة فانه لو رد على ابى بكر شيأ من ماله لتطرق الاحتمال فى حق ابى بكر انه خطر له الرفق برسول الله صلى الله عليه وسلم وانه انما عرض على ابى بكر ذلك مكافأة له لما علم من عدم طيب نفسه باعطائه ماله كله كما وقع لعبد الرحمن بن عوف فانه جاء مرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بماله كله فرده عليه ولو علم صلى الله عليه وسلم منه انه لا يرى له معه ملكا كما كان ابو بكر لم يرده عليه انتهى وقال الشيخ فى بعض كتبه اعلم ان استحقاق الامامة لشخص واحد يعرف بامور منها نص من يجب قبول قوله من نبى أو امام عادل ومنها اجتماع المسلمين على امامته وكان الامام بالاجماع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ثم عمر بنص ابى بكر رضى الله عنه عليه ثم عثمان بنص عمر عليه ثم على بنص جماعة جعل الامر شورى بينهم فانه لم يستخلف احدا وقد اجمع المعتبرون من الصحابة على امامة عثمان ثم على

من نفسه انه عبد ذليل مفتقر محتاج فلذلك طبع الله على كل قلب متكبر جبار ان لا يدخله كبر الهى ابدا الختم على باطن كل عبد ان يدخله تاله واما الالسنة فلم تعصم من التلفظ بدعوى الالوهية كما لم تعصم الانفس ان تعتقد الالوهية فى غيرها فعصمت ان تعتقدها فى نفسها دون امثالها واطال فى ذلك * وقال من اراد الدخول الى فهم كلام ربه فليترك عقله ويقدم بين يديه شرعه ويقول لعقله انت عبد مثلى كيف اترك ما نسبه الحق الى نفسه لعجزك عن تعقله مع انك قاصر عن معرفة ربك ولو الزمت نفسك الانصاف للزمت حكم الايمان والتلقى وجعلت النظر والاستدلال فى غير ما لم يرد عن ربك واطال فى ذلك * ثم قال فى قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث اعلم انه لا يلزم من حدوث الامر عندك ان يكون حادثا فى نفسه لا عقلا ولا عرفا ولا شرعا لانك تقول حدث عندنا اليوم ضيف وهو صحيح حدوثه عندك لا حدوثه فى نفسه ذلك الوقت بل كانت عينه موجودة من قبل نحو سبعين سنة واكثر واطال فى ذلك وقد ذكرنا ذلك ايضا فى اجوبة شيخنا والله اعلم * وقال فى قوله تعالى منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات اعلم ان المحكم من الآيات كله عربى والمتشابه كله موسوى لانه عجمى والعجمية عند اهل العجمية

المرتضى فهؤلاء الاربعة هم الخلفاء الراشدون ثم ان الخلافة وقعت بين الحسن ومعاوية وصالحه الحسن فاستقرت الخلافة على معاوية ثم على من بعده من بني أمية و بني مروان حتى انتقلت الخلافة الى بني العباس وأجمع اهل الحل والعقد عليهم وانساقت الخلافة منهم الى ان جرى ماجرى وقول بعض الروافض ان ابابكر غصب الخلافة وتقدم كرها على الامام على رضى الله عنهما باطل و يلزم منه اجماع الصحابة على الظلم حيث مكنوا ابابكر من الخلافة وحاشا حماة الدين رضى الله عنهم من ذلك وكان الشيخ محيي الدين رضى الله عنه يقول بتقديم ابى بكر فى الفضل على عمر قطعي وتقديم عمر على غيره ظنى قال والذى أطلعنا الله تعالى عليه من طريق كشفنا ان تقدم شخص بالامامة على آخر انما هو تقدم بالزمان ولا يلزم منه التقدم بالفضل فان الله تعالى قد أمرنا باتباع ملة أبينا ابراهيم وليس ذلك لكونه احق بها من محمد صلى الله عليه وسلم وانما هو لتقدمه بالزمان فان للزمان حكما فى التقدم من حيث هو زمان لا من حيث المرتبة وذلك كالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان من حكمة الله تعالى ترتيبها بحسب الآجال والاعمال التى قدرها الله عز وجل أيام ولاية كل واحد على التعيين مع ان كل واحد أهل لها حال ولاية الآخر وقد سبق فى علم الله انه لابد من ولاية كل واحد من الخلفاء الاربعة على الترتيب الذى وقع حتى لو قدران المتأخر تقدم فلابد من خلعه حتى يلى احدهم من لابد له من الولاية عند الله تعالى فكان فى ترتيب ولايتهم بحكم اعمارهم عدم وقوع خلع أحدهم مع الاستحقاق اذ الصحابة كلهم عدول ذكره الشيخ فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى المعطى * وقال فى هذا الباب أيضا فى الكلام على اسمه تعالى الآخر اعلم ان الخلفاء الاربعة لم يتقدموا فى الخلافة الا بحسب اعمارهم فان الاهلية للخلافة موجودة فيهم من جميع الوجوه فكان سبقهم لا يقتضى التفضيل بمجرده وانما ذلك بوجود نص قاطع قال ولما سبق فى علم الله تعالى ان أبا بكر يموت قبل عمر وعمر يموت قبل عثمان وعثمان يموت قبل على والكل لهم حرمة عند الله وفضل قدم الله فى الخلافة من علم ان أجله يسبق أجل غيره من هؤلاء الاربعة قال وفى الحديث اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما فلو قدران الناس بايعوا احدا من الثلاثة دون ابى بكر مع كونه لابد لابى بكر من الخلافة فى ذلك الزمان فخليفتان لا يجتمعان وقتل الآخر من هؤلاء الخلفاء لا يجوز وان قدر خلع احد من الثلاثة وولى ابو بكر الخلافة كان فى ذلك عدم احترام فى حق المخلوع ونسبة من خلعه الى الجور والظلم فانه خلع من الخلافة من يستحقها ثم ان قدر ان من قدم لم يخلع كان ابو بكر يموت ايام خلافة من تقدمه من غير ان يلى الخلافة وقد سبق فى علم الله انه لابد له ان يليها ومخالفة سبق العلم محال وأطال الشيخ فى ذلك ثم قال و بالجملة فلا ينبغى الخوض فى مثل ذلك الامع وجود نص صريح مع اننا قائلون بترتيب هؤلاء الخلفاء الاربعة كما عليه الجمهور وانما خالفناهم فى علة التقديم فهم يقولون هى الفضل ونحن نقول هى تقدم الزمان ولو ان كل من تأخر كان مفضولا لكان من تقدم محمدا صلى الله عليه وسلم افضل منه ولا قائل بذلك من المحققين انتهى فليتأمل ويحرر قالوا وأفضل الناس بعد الخلفاء الاربعة بقية العشرة المشهود لهم بالجنة وما زاد على العشرة فالادب الوقف عن الخوض فى تفضيلهم مع محبتهم وتعظيمهم و رفع درجتهم على سائر الاولياء * وقال المحدثون أفضل الناس بعد العشرة أهل بدر ثم اهل احد ثم أهل بيعة الرضوان ثم السابقون من المهاجرين والانصار من اهل بدر أو من أهل أحد أو من صلى للقبلتين فى ذلك اقوال ذكره الحافظ ابن حجر رضى الله عنه ‌: (خاتمة) : ذكر الشيخ محيي الدين فى الباب السادس والاربعين وثلثمائة ان اهل القرن الاول ما فضلوا على غيرهم الا بقوة الايمان فانهم كانوا فيه أتم وكان التابعون أتم من غالب الصحابة فى العلم وكان تابع التابعين أتم من غالب

عربية والعربية عند الاعاجم عجمية وما ثم عجمة الا فى الاصطلاح والالفاظ والصور الظاهرة وأما المعانى فلا عجمة فيها بل كلها عربية فمن ادعى علم المعانى وقال بالتشابه لا علم له أصلا بما ادعى انه علمه من ذلك فان المعانى كالنصوص عند أهل الالفاظ لانها بسائط لا تركيب فيها والعجمة من شرطها التركيب فلولا التركيب ما ظهر للعجمة صورة فى الوجود * وقال فى الباب الثالث والثمانين وثلثمائة معنى قوله صلى الله عليه وسلم لبلال بم سبقتنى الى الجنة مع انه صلى الله عليه وسلم يعلم أن السبق له هو أى بم صرت مطرقا بين يدى فى الجنة كالمطرقين فى الدنيا بين يدى الملوك قال فافهمنا صلى الله عليه وسلم أن من فعل مثل بلال من انه كلما أحدث توضأ وصلى ركعتين كان كذلك مطرقا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبلال الاولية وغيره تبع له * وقال فى الباب الخامس والثمانين وثلثمائة فى قوله صلى الله عليه وسلم للسوداء أين الله اعلم انه قد دل الدليل العقلى استحالة حصر الحق فى أينية ولكن الشارع صلى الله عليه وسلم لما علم أن الجارية المذكورة ليس فى قوتها ان تعقل موجدها الا على ماصورته فى نفسها خاطبها بذلك ولو انه خاطبها بغير ما تصورته فى نفسها لارتفعت الفائدة

التابعين فى العمل (فان قيل) فما الحكمة فى كون الصحابة اقوى فى الايمان مع انهم عاصروه صلى الله عليه وسلم ورأوا معجزاته واخلاقه والقاعدة ان الايمان بالغيب اشد فى حق صاحبه من الايمان بالحاضر (فالجواب) ان قوة الايمان انما جاءت للصحابة من حيث ان الانسان فطر على الحسد فاذا بعث الى امة رسول من جنسها ثار الحسد فى الناس فلم يؤمن به الا من قوى على دفع ما فى نفسه من الحسد وحب الشفوف ولاسيما اذا كان الحاكم عليها من جنسها فكان ايمان الصحابة اقوى بهذا النظر لمشاهدة تقدم جنسهم عليهم أول الاسلام وكان اشتغالهم بما يدفع سلطان الحسد أن يقوم بهم مانعا لهم من ادراك غوامض العلوم والاسرار لنا ففاقونا بقوة الايمان وجبر الله نقصنا بان اعطانا التصديق بما نقل الينا عنهم فحصل لنا درجة الايمان بالغيب فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم الذى لا درجة للصحابة فيه ولا قدم لانهم شاهدوا الشارع وشهدوا احواله ووقائعه فآمنوا وصدقوا على الشهود فما فضلونا الا بقوة الايمان والسبق واما العلم والعمل فقد يساويهم غيرهم فى ذلك فالحمد لله الذى جاء بنا فى الزمن الاخير وجبر قلوبنا بالتصديق وعدم الشك والتردد فيما وجدناه منقولا فى اوراق سواد فى بياض ولم نطلب على ذلك دليلا ولا ظهور آية ولو انما جئنا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا نعرف كيف تكون احوالنا عند مشاهدته هل كان يغلب علينا داء الحسد فلا نطيعه ام تغلب نفوسنا ونطيعه فكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وقال الامام الشافعى رضى الله عنه فى رسالته القديمة والصحابة رضى الله عنهم فوقنا فى كل علم وايمان وآراؤهم عندنا اجل من آرائنا لانفسنا انتهى

(المبحث الرابع والاربعون فى بيان وجوب الكف عما شجر بين الصحابة ووجوب اعتقاد انهم مأجورون)

وذلك لانهم كلهم عدول باتفاق اهل السنة سواء من لابس الفتن ومن لم يلابسها كفتنة عثمان ومعاوية ووقعة الجمل كل ذلك وجوبا لاحسان الظن بهم وحملا لهم فى ذلك على الاجتهاد فان تلك امور مبناها عليه وكل مجتهد مصيب او المصيب واحد والمخطئ معذور بل مأجور وقال ابن الانبارى وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة العصمة منهم وانما المراد قبول رواياتهم لنا احكام ديننا من غير تكلف بحث عن اسباب العدالة وطلب التزكية ولم يثبت لنا الى وقتنا هذا شئ يقدح فى عدالتهم ولله الحمد فنحن على استصحاب ما كانوا عليه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يثبت خلافه ولا التفات الى ما يذكره بعض أهل السير فان ذلك لا يصح وان صح فله تأويل صحيح وما احسن قول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه تلك دماء طهر الله تعالى منها سيوفنا فلا نخضب بها السنتنا وكيف يجوز الطعن فى حملة ديننا وفيمن لم يأتنا خبر عن نبينا الا بواسطتهم فمن طعن فى الصحابة فقد طعن فى نفس دينه فيجب سد الباب جملة واحدة لاسيما الخوض فى امر معاوية وعمرو ابن العاص واضرابهما ولا ينبغى الاغترار بما نقله بعض الروافض عن اهل البيت من كراهيتهم فان مثل هذه المسئلة منزعها دقيق ولا يحكم فيها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مسئلة نزاع بين اولاده واصحابه قال الكمال بن أبى شريف وليس المراد بما شجر بين على ومعاوية المنازعة فى الامارة كما توهمه بعضهم وانما المنازعة كانت بسبب تسليم قتلة عثمان رضى الله عنه الى عشيرته ليقتصوا منهم لان عليا رضى الله عنه كان رأى ان تأخير تسليمهم اصوب اذ المبادرة بالقبض عليهم مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدى الى اضطراب امر الامامة العامة فان بعضهم كان عزم على الخروج على الامام على وعلى قتلهم لما نادى يوم الجمل بان يخرج عنه قتلة عثمان ورأى معاوية ان المبادرة الى تسليمهم للاقتصاص منهم اصوب فكل منهما مجتهد مأجور فهذا هو المراد بما شجر بينهم انتهى *(خاتمة)* قال العلماء

المطلوبة ولم يحصل القبول فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم ان سأل مثل هذه الجارية مثل هذا السؤال وبهذه العبارة ولذلك لما أشارت الى السماء قال فيها انها مؤمنة يعنى مصدقة بوجود الله ولم يقل انها عالمة لانها صدقت قول الله تعالى وهو الله فى السموات ولو كانت عالمة لم تقيده بالسماء فعلم ان العالم أن يصحب الجاهل فى جهله تنزلا لعقله والجاهل لا يقدر على صحبة العالم بغير تنزل قال وايضاح ما قررناه فى الابنية ان الشرائع كلها انما نزلت بحسب ما وقع عليه التواطؤ فى السنة الامم قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ثم ان التواطؤ قد يكون على صورة ما هى الحقائق عليه وقد لا يكون والحق تعالى تابع لهم فى ذلك ليفهم عنه ما انزله من احكامه وما وعد به واوعد عليه فما جاء الشارع بلفظ الابنية فى حق الحق الا من أجل التواطؤ الذى عليه لسان المرسل اليهم فال ولو ان غير الرسول قالها لشهد الدليل العقلى بجهل القائل فانه لا ابنية لله تعالى فلما قالها الرسول وبان لنا حكمته وعلمه علمنا انه تنزل للجارية والله اعلم *وقال فى الباب الثامن والثمانين وثلثمائة فى قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عينى فى الصلاة ليس المراد به المناجاة وانما المراد به شهود من ناجاه فيها الخ

و يجب اعتقاد براءة عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها قطعا من جميع ما قاله الملحدون في حقها لنزول القرآن العظيم ببراءتها في سورة النور وكذلك يجب اعتقاد وجود محبة جميع ذرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وا كرامهم واحترامهم وهم الحسن والحسين واولادهما ٣ من فاطمة وغيرها الى يوم القيامة ونسكت عن المفاضلة بين الحسن والحسين وبين احد من الصحابة غير من ثبت فيهم النص ونكره كل من آذى شريفا ونهجره ولو كان من اعز اصحابنا وفاء بقوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى والمودة هي ثبات الحب لا مجرد الحب هذا مذهبنا سواء ثبت نسب ذلك الشريف او طعن في نسبه اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب العهود فراجعه والله تعالى اعلم

(المبحث الخامس والاربعون في بيان ان اكبر الاولياء بعد الصحابة رضي الله عنهم القطب ثم الافراد على خلاف في ذلك ثم الامامان ثم الاوتاد ثم الابدال رضي الله عنهم اجمعين)

فاما القطب فقد ذكر الشيخ في الباب الخامس وخمسين ومائتين انه لا يتمكن القطب ان يقوم في القطابة الا بعد ان يحصل معاني الحروف التي في أوائل السور المقطعة مثل الم والمص ونحوهما فاذا اوقفه الله تعالى على حقائقها ومعانيها تعينت له الخلافة وكان اهلا لها (فان قلت) فما علامة القطب فان جماعة في عصرنا قد ادعوا القطبية وليس معنا علم برد دعواهم (فالجواب) قد ذكر الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان للقطب خمس عشرة علامة ان يمد بمدد العصمة والرحمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم و يكشف له عن حقيقة الذات واحاطة الصفات و يكرم بكرامة الحكم والفصل بين الموجودين وانفصال الاول عن الاول وما انفصل عنه الى منتهاه وما ثبت فيه وحكم ما قبل وما بعد وحكم من لا قبل له ولا بعد وعلم الاحاطة بكل علم ومعلوم ما بدا من السر الاول الى منتهاه ثم يعود اليه انتهى * وقال في الفتوحات في الباب السبعين ومائتين ان اسم القطب في كل زمان عبد الله وعبد الجامع المنعوت بالتخلق والتحقق بمعاني جميع الاسماء الالهية بحكم الخلافة وهو مرآة الحق تعالى ومجلى النعوت المقدسة ومحل المظاهر الالهية وصاحب الوقت وعين الزمان وصاحب علم سر القدر وله علم دهر الدهور ومن شأنه ان يكون الغالب عليه الخفاء لانه محفوظ في خزائن الغيرة ملتحف باردية الصون لا يعتريه شبهة في دينه قط ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه كثير النكاح راغب فيه محب للنساء يوفي الطبيعة حقها على الحد المشروع له و يوفي الروحانية حقها على الحد الالهي يضع الموازين و يتصرف على المقدار المعين الموقت له لا يحكم عليه وقت انما هو لله وحده حاله دائما العبودية والافتقار يقبح القبيح و يحسن الحسن يحب الجمال المقيد في الزينة والاشخاص تأتيه الارواح في احسن الصور يذوب عشقا يغار لله عز وجل و يغضب له تعالى له الاطلاق في المظاهر من غير تقييد لا تظهر روحانيته الا من خلف حجاب الشهادة والغيب لا يرى من الاشياء الا محل نظر الحق فيها يضع الاسباب و يقيمها و يدل عليها و يجري بحكمها ينزل اليها حتى يحكم عليه و يؤثر فيه لا يكون فيه رياسة على احد من الخلق بوجه من الوجوه مصاحب لهذا الحال دائما ان كان صاحب دنيا وثروة تصرف فيها تصرف عبد في مال سيد كريم وان لم يكن بيده دنيا وكان على ما فتح الله تعالى له به لم تستشرف له نفس بل يقصد بنفسه عند الحاجة بيت صديق ممن يعرفه يعرض عليه ما تحتاج اليه طبيعته كالشافع لها عنده فيتناول لها منه قدر ما تحتاج اليه ثم ينصرف لا يجلس عن حاجته الا الضرورة فان لم يجد حاجته لجأ الى الله تعالى في حاجة طبيعته لانه مسؤل عنها ومتول عليها ثم ينتظر الاجابة عن الله فيما سأل فان شاء تعالى اعطاه ما سأل عاجلا او آجلا غرضه الالحاح في الدعاء والشفاعة في حق طبيعته بخلاف اصحاب الاحوال فان

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان الله في قبلة أحدكم * وقال اعبد الله كأنك تراه خطابا لمن ليس في مقامه صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم كان يراه في عبادته ما كان كانه يراه وأطال في ذلك * وقال في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة سألت شيخنا عن هذه الزيادة فقال ما لا يخطر بالبال * وقال تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي فنكر ونفى العلم بما أخفي لهم من قرة أعين فعلمنا على الاجمال انه أمر مشاهد لكونه قرنه بالاعين ولم يقرنه بالاذن ولا شيء من الادراكات وفي الحديث ان في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلا بد أن يكون غير معلوم البشر ولا بد أن يكون البشر صفة غير معلومة ولا معينة ليحصل لذلك الشخص الجزاء الذي لم يخطر على قلب بشر موازنة مجهول لمجهول * وقال كل عمل لم يظهر له الشارع تعليلا من جهته فهو تعبد محض والعبادة مع عدم معرفة العلة أظهر من العمل المعلل فان العمل اذا علل ربما يكون الباعث العبد على ذلك العمل حكمة تلك العلة واذا لم يعلل لم يقمه الى ذلك العمل الا العبادة المحضة امتثالا لامر الله لا غير (وقال) ثم مقام للانبياء يطلب منهم ان يطلبوا رؤية الحق تعالى ولذلك طلب موسى الرؤية وأطال

الاشياء كالماتتكون عن هممهم لان الله تعالى يجعل لهم نصيبا من احوالهم فى الجنة فهم ربانيون والقطب منزه عن المحال ثابت فى العلم فان اطلعه الله على ما يكون اخبر بذلك على وجه الافتقار لله لا على وجه الافتخار لا تطوى له ارض ولا يمشى فى هواء ولا على ماء ولا يأكل من غير سبب ولا يظهر عليه شئ من خرق العوائد الا فى النادر لامر يراه الحق تعالى فيفعله باذن الله من غير ان يكون ذلك مطلوبا له وكذلك من شأنه ان يجوع اضطرارا لا اختيارا او يصبر عن النكاح كذلك لعدم الطول يعلم من تجلى النكاح ما يحرضه على طلبه والتعشق به لا يتحقق قط بالعبودية فى شئ اكثر مما يتحقق به فى النكاح لا يرغب فى النكاح للنسل وانما يرغب فيه لمجرد الشهوة واحضار التناسل فى نفسه لامر مشروع فنكاحه لمجرد اللذة كنكاح اهل الجنة وقد غاب عن هذه الحقيقة اكثر العارفين لما فيه من شهود الضعف وقهر اللذة المغيبة له عن احساسه فهو قهر لذيذ وذلك من خصائص الانبياء ولعلو مراقى هذا المقام جهله اكثر الاولياء وجعلوا النكاح شهوة حيوانية ونزهوا انفسهم عن الاكثار منها * واعلم ان من مقام القطب ان يتلقى انفاسه اذا دخلت واذا خرجت بأحسن الادب لانها رسل الله اليه فترجع منه الى ربها شاكرة له لا يتكلف لذلك واطال الشيخ فى ذلك ثم قال فاذن القطب هو الرجل الكامل الذى حصل الاربعة دنانير التى كل دينار منها خمسة وعشرون قيراطا وبها توزن الرجال والاربعة هم الرسل والانبياء والاولياء والمؤمنون فهو وارثهم كلهم رضى الله عنه * وقال الشيخ فى الباب الحادى والخمسين وثلثمائة من شأن القطب الوقوف دائما خلف الحجاب الذى بينه وبين الحق جل وعلا فلا يرتفع حجابه حتى يموت فاذا مات لقى الله عز وجل فهو كالحاجب الذى ينفذ اوامر الملك وليس له من الله تعالى الا صفة الخطاب لا الشهود انتهى (فان قلت) فهل يحتاج القطب فى توليته الى مبايعة فى دولة الباطن كما هى الخلافة فى الظاهر (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ فى الباب السادس والثلاثين وثلثمائة وعبارته اعلم ان الحق تعالى لا يولى قط عبدا مرتبة القطابة الا وينصب له سريرا فى حضرة المثال يقعده عليه ينبئ صورة ذلك المكان عن صورة المكانة كما ينبئ صورة الاستواء على العرش عن صورة احاطته تعالى علما بكل شئ ولله المثل الاعلى فاذا نصب له ذلك السرير فلا بد ان يخلع عليه جميع الاسماء التى يطلبها العالم وتطلبه فيظهر بها حلة وزينة متوجا مسورا مدملجا النعمة الزينة علوا وسفلا ووسطا وظاهرا وباطنا فاذا قعد عليه قعد بصورة الخلافة وامر الله العالم ببيعته على السمع والطاعة فى المنشط والمكره دخل فى تلك البيعة كل مأمور من أدنى وأعلى الا العالون وهم المهيمون فى جلال الله عز وجل العابدون لله تعالى بالذات لا بأمر الهى ظاهر على لسان رسول واعلم ان اول من يدخل عليه الملأ الاعلى على مراتبهم الاول فالاول فيأخذون بيده على السمع والطاعة ولا يتقيدون بمنشط ولا مكره لانهم لا يعرفون هاتين الصفتين فيهم اذ لا يعرف شئ الا بضده فهم فى منشط لا يعرفون لها طعم العدم ذوقهم المكره وما منهم روح يدخل عليه للمبايعة الا ويسأله عن مسئلة من العلم الالهى فيقول له يا هذا انت القائل كذا وكذا فيقول له نعم فيقول له فى هذه المسئلة وجهان يتعلقان بالعلم بالله تعالى احدهما أعلى من الذى كان عند ذلك الشخص فيستفيد منه كل من بايعه علما ليس عنده ثم يخرج قال الشيخ وقد ذكرنا جميع سؤالات القطابة فى جزء مستقل ما سبقنا احد اليه وليست هذه المسائل معينة يتكرر السؤال بها لكل قطب وانما يخطر الله تعالى ذلك لمن يسأل القطب حال السؤال بعد ان جرى ذلك على خاطره فيما مضى من الزمان قال الشيخ وأول من يبايعه العقل الاول ثم النفس ثم المقدمون من عمار السموات والارض من الملائكة المسخرة ثم الارواح المدبرة للهيا كل التى فارقت اجسامها بالموت ثم الجن ثم المولدات ثم سائر ما سبح الله تعالى من مكان ومتمكن ومحل

فى ذلك والله أعلم * وقال فى الباب التاسع والثمانين وثلثمائة من أراد فهم المعانى الغامضة فى الشريعة فليشتغل فى تكثير النوافل فى الفرائض وان أمكنه ان يكثر من نوافل النكاح فهو أولى اذ هو أعظم نوافل الخيرات فائدة لما فيه من الازدواج والانتاج فيجمع بين المعقول والمحسوس فلا يفوته شئ من العلم بالعالم الصادر عن الاسم الظاهر والباطن فيكون اشتغاله بمثل هذه النافلة أتم وأقرب لتحصيل ما يرومه فانه اذا فعل ذلك أحبه الحق واذا أحبه صار من أهل الله كاهل القرآن واذا صار من أهل القرآن كان محلا لالقائه وعرشا لاستوائه وسماء لنزوله وكرسيا لامره ونهيه فيظهر له منه ما لم يره فيه مع كونه كان فيه وأطال فى ذلك * وقال فى قوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا اعلم ان الانبياء لا تنهزم ولا تقتل فى مصاف وقد وصف الحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الانهزام وقول الله صدق لكن لم يكن توليه لرؤية اجسامهم لانهم اناس مثله وانما توليه من شهود أمر يهوله مما قام بهم قال وقد رأيناهم فى سياحتنا وما ملئنا منهم رعبا لانا ما شهدنا منهم الا صور اجسامهم فرأيناهم أمثالنا مع انه صلى الله عليه وسلم رأى ليلة الاسراء أمورا مهولة ولم يتأثر مثل ما كان يتأثر لو اطلع على أهل الكهف وروى البيهقى أن رسول الله

وحال فيه الا العالون من الملائكة كما مر وكذلك الافراد من البشر لا يدخلون تحت دائرة القطب وماله فيهم تصرف اذهم كمل مثله مؤهلون لما ناله هذا الشخص من القطبية لكن لما كان الامر يقتضي ان لا يكون في الزمان الا واحد يقوم بهذا الامر تعين ذلك الواحد لكن لا باولية وانما هو يسبق العلم فيه بأن يكون هو الوالي وفي الافراد من يكون اكبر منه في العلم بالله تعالى وحده * قال الشيخ في الباب الخامس والخمسين ومائتين ومن خصائص القطب ان يختلي بالله تعالى وحده ولا تكون هذه المرتبة لغيره من الاولياء ابدا ثم اذا مات القطب الغوث انفرد تعالى بتلك الخلوة لقطب آخر لا ينفرد قط بالخلوة لشخصين في زمان واحد أبدا وهذه الخلوة من علوم الاسرار وأما ما ورد في الآخرة من ان الحق تعالى يخلو بعبده ويعاتبه فذلك من باب انفراد العبد بالحق تعالى لا من باب انفراد الحق بالعبد فافهموا واكتم انتهى * ثم اعلم انه لما كان نصب الامام واجبا لاقامة الدين وجب ان يكون واحدا لئلا يقع التنازع والتضاد والفساد فحكم هذا الامام في الوجود حكم القطب قال وقد يكون من ظهر من الائمة بالسيف ايضا قطب الوقت كابي بكر وعمر في وقته وقد لا يكون قطب الوقت فتكون الخلافة لقطب الوقت الذي لا يكون الا بصفة العدل ويكون هذا الخليفة الظاهر من جملة نواب القطب في الباطن من حيث لا يشعر فان الجور والعدل يقع من ائمة الظاهر ولا يكون لقطب الا عادلا واعلم ان القطبية كما انها قد تكون لولاة الامور كذلك قد تكون في الائمة المجتهدين من الاربعة وغيرهم بل هي فيهم اظهر ويكون تظاهرهم بالاشتغال بالعلم الكسبي حجابا عليهم لكون القطب من شأنه الخفاء رضي الله عنهم اجمعين * قال الشيخ محيي الدين وقد اجتمعت بالخضر عليه السلام وسألته عن مقام الامام الشافعي فقال كان من الاوتاد الاربعة فسألته عن مقام الامام احمد فقال هو صديق واطال في ذلك ثم قال في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم المراد باولي الامر الاقطاب والخلفاء والولاة لكن فيما لا يخالف شرعا مأمورا به وذلك هو المباح الذي لا أجر فيه ولا وزر فان الواجب والمندوب والحرام والمكروه من طاعة الله ورسوله فما بقي لاولي الامر الا المباح فاذا امرك الامام الذي بايعته على السمع والطاعة بمباح من المباحات وجب عليك طاعته في ذلك وحرمت عليك مخالفته وصار حكم تلك الاباحة الوجوب فيحصل لمن عمل بذلك اجر الواجب لارتفاع حكم الاباحة منه بامر هذا الامام الذي بايعته واطال الشيخ في ذكر مبايعة النبات وسائر الحيوانات للقطب فراجعه (فان قلت) فما المراد بقولهم القطب لا يموت (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات ان المراد به ان العالم لا يخلو زمانا واحدا من قطب يكون فيه كما هو في الرسل عليهم الصلاة والسلام ولذلك ابقى الله تعالى من الرسل الاحياء باجسادهم في الدنيا اربعة ثلاثة مشرعون وهم ادريس والياس وعيسى وواحد حامل العلم اللدني وهو الخضر عليه السلام وايضاح ذلك ان الدين الحنيفي له اربعة اركان كاركان البيت وهم الرسل والانبياء والاولياء والمؤمنون والرسالة هي الركن الجامع للبيت واركانه فلا يخلو زمان من رسول يكون فيه وذلك هو القطب الذي هو محل نظر الحق تعالى من العالم كما يليق بجلاله ومن هذا القطب يتفرع جميع الامداد الالهية على جميع العالم العلوي والسفلي قال الشيخ محيي الدين ومن شرطه أن يكون ذا جسم طبيعي وروح ويكون موجودا في هذه الدار الدنيا بجسده وحقيقته فلا بد أن يكون موجودا في هذه الدار بجسده وروحه من عهد آدم الى يوم القيامة ولما كان الامر على ما ذكرناه ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما قرر الدين الذي لا ينسخ والشرع الذي لا يتبدل دخلت الرسل كلهم في شريعته ليقوموا بها فلا تخلو الارض من رسول حي بجسمه اذ هو قطب

صلى الله عليه وسلم قال لما تدلى لنا الرفرف ليلة عرج بي فغشي على جبريل ولم يغش على من ذلك فعلمت فضل جبريل على في العلم بذلك قال وهذا نكتة وهي ان الله تعالى ما ذكر الادوية عينهم بذكر الاطلاع عليهم فهم أسفل منه بالمقام ومع ذلك خاف ان يلحق بهم فينزل عن مقامه فامتلأ بذلك رعبا لئلا يؤثر وافيه تاثير الادنى في الاعلى الرضاء والسخط عليه فلذلك كان حقيقا أن يولي منهم فرارا كما يفر الانسان من الوقوف على مهواة خوف السقوط وأطال في ذلك فراجعه * وقال في الباب التسعين وثلثمائة لقد طفت بالكعبة مع قوم لا أعرفهم فأنشدوني بيتين حفظت واحدا ونسيت الآخر

لقد طفنا كما طفتم سنينا بهذا البيت طرا أجمعينا

وقال لي واحد منهم أما تعرفني فقلت لا قال انا من أجدادك الاول قلت له كم لك منذ مت قال لي بضع وأربعين الف سنة فقلت له ليس لآدم عليه السلام هذا القدر من السنين فقال لي عن أي آدم تقول عن هذا الاقرب اليك او عن غيره فتذكرت حديثا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد خلق مائة ألف آدم فقلت قد يكون ذلك الجد الذي ننتمي اليه من أولئك والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك فان العالم لا يصح له مرتبة

العالم

العالم الانسانى ولو كانوا فى العدد الف رسول فان المقصود من هؤلاء هو الواحد فادريس فى السماء الرابعة وعيسى فى السماء الثانية والياس والخضر فى الارض ومعلوم أن السموات السبع من عالم الدنيا لكونها تبقى ببقاء الدنيا وتفنى بفنائها اصورة فهى جزء من دار الدنيا بخلاف الفلك الاطلس فانه معدود من الآخرة فان فى يوم القيامة تبدل الارض غير الارض والسموات يعنى يبدلان بغيرهن كما تبدل هذه النشأة الترابية منا بهيا السعداء بنشأة أخرى أرق وأصفى والطف فهى نشأة طبيعية جسمية لا يبول أهلها ولا يتغوطون كما وردت بذلك الاخبار وقد أبقى الله فى الارض الياس والخضر وكذلك عيسى اذا نزل وهم من المرسلين فهم القائمون فى الارض بالدين الحنيفى فما زال المرسلون ولا يزالون فى هذه الدار لكن من باطنية شرع محمد صلى الله عليه وسلم ولكن أكثر الناس لا يعلمون فالقطب هو الواحد من عيسى وادريس والياس والخضر عليهم السلام وهو أحد أركان بيت الدين وهو كركن الحجر الاسود واثنان منهم هما الامامان وأربعتهم هم الاوتاد فبالواحد يحفظ الله الايمان وبالثانى يحفظ الله الولاية وبالثالث يحفظ الله النبوة وبالرابع يحفظ الله الرسالة وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفى فالقطب من هؤلاء واحد لا بعينه قال الشيخ ولكل واحد من هؤلاء الاربعة من هذه الامة فى كل زمان شخص على قلبه نائبا عنه مع وجودهم وأكثر الاولياء لا يعرفون القطب والامامين والاوتاد لا النواب ولا هؤلاء المرسلون الذين ذكرناهم ولهذا يتطاول كل أحد لنيل هذه المقامات ثم اذا خصوا بها عرفوا عند ذلك انهم نواب لذلك القطب فاعرف هذه النكتة فانك لا تراها فى كلام أحد غيرنا ولولا ما ألقى فى سرى من اظهارها ما أظهرتها انتهى (فان قلت) فما المراد بقولهم فلان من الاقطاب على مصطلحهم (فالجواب) مرادهم بالقطب فى عرفهم كل من جمع الاحوال والمقامات وقد يتوسعون فى هذا الاطلاق فيسمون القطب فى بلادهم أو بلدهم كل من دار عليه مقام ما من المقامات وانفرد به فى زمانه على أبناء جنسه فرجل البلد قطب ذلك البلد ورجل الجماعة قطب تلك الجماعة وهكذا ولكن الاقطاب المصطلح عليهم فيما بين القوم لا يكون منهم فى الزمان الا واحد وهو الغوث (فان قلت) فهل يكون القطب الغوث أحدا من مشايخ سلسلة القوم كالشيخ يوسف العجمى وسيدى أحمد الزاهد وسيدى مدين واضرابهم (فالجواب) كما قاله سيدى على الخواص رحمه الله لا يلزم أن يكون أحدهم قطبا فان مقام القطبانية عزيز جل ان يمح سناه كل أحد ولكن المسلكون المذكورون كالحجاب على باب الملك يعلمون كل من أراد دخول حضرة الملك الآداب به اللائقة وما ظهر على يديهم من الكرامات والخوارق انما هو لشدة صفاء نفوسهم وكثرة مراقبتهم لله تعالى وكثرة اخلاصهم ومجاهداتهم قال وقد ذكر الشيخ عبد القادر الجيلى ان للقطابة ستة عشر عالما ما خلا الدنيا والآخرة عالم من هذه العوالم وهذا أمر لا يعرفه الا من اتصف بالقطبية (فان قيل) هل يكون محل اقامة القطب بمكة دائما كما هو مشهور (فالجواب) هو بجسمه حيث شاء الله لا يتقيد بالمكث فى مكان بخصوصه ومن شأنه الخفاء فتارة يكون حدادا وتارة تاجرا وتارة يبيع الفول ونحو ذلك والله أعلم (فان قيل) فهل كان قبل محمد صلى الله عليه وسلم أقطاب وكم عددهم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع عشر من الفتوحات أن الاقطاب لا يخلو عصر منهم قال وجملة الاقطاب المكملين من الامم السالفة من عهد آدم الى محمد عليهما الصلاة والسلام خمسة وعشرون قطبا أشهدنيهم الحق تعالى فى مشهد قدس فى حضرة برزخية وأنا بمدينة قرطبة وهم الفرق ومداوى الكلوم والبكاء والمرتفع والشفاء والماضى والماحق والعاقب والمنحور وشجر الماء وعنصر الحياة والشريد والصائغ والراجع والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحى والراقى والواسع والبحر والمنصف والهادى والاصلح والباقى فهؤلاء هم الاقطاب الذين هم الثامن

الاولية لانه مقتول الله تعالى هو وقال فى الباب الاحد والتسعين وثلثمائة فى قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اعلم ان فى هذه الآية اثبات القتل والرمى لمن نفاه عنه ثم انه لم يثبت على الاثبات بل أعقب الاثبات نفيا كما اعقب النفى اثباتا بقوله ولكن الله قتلهم وبقوله ولكن الله رمى فما اسرع ما نفى وما اسرع ما اثبت لعين واحدة قال وايضاح ذلك ان الله تعالى قال فاقتلوهم فاظهر امرا وآمرا ومأمورا فى هذا الخطاب فلما وقع الامتثال وظهر القتل بالفعل من أعيان المحدثات قال ما انتم الذين قتلتموهم بل انا قتلتهم فانتم لنا بمنزلة السيف لكم أو أى آلة كانت للقتل فكما ان القتل وقع فى المقتول بالآلة ولم نقل فيها انها القاتلة بل الضارب هو القاتل كذلك الضارب بالنسبة الينا ليس هو القاتل بل هو مثل السيف بالنسبة اليه هو فافهم * وقال فى الباب الثانى والتسعين وثلثمائة فى قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الآية اعلم أن كل من غضب من العالم وانتقم فقد رحم نفسه بذلك الانتقام لكونه شفاء له مما يجده من ألم الغضب وصدقة الانسان على نفسه من أفضل الصدقات ثم اذا رحم نفسه وزال الغضب لابد أن تعقبه الرحمة وهو الندم الذى يجده الانسان فى

لها انوى بقلبك انه اذا افتح الله كفك ان تبتلعيها فنوت وقربت يدها الى فمها فدخلت الورقة فى فيها قهرا عليها فقال الولى ثم عرفت ذلك فقلت الهمت ان الله تعالى لم يرد منها ان يطلع احدا عليها قال وقد أطلعنى الله تعالى على الفرق بين كتابة الله تعالى فى اللوح المحفوظ وغيره وبين كتابة المخلوقين وهو علم عجيب رأيناه وشاهدناه انتهى (فان قلت) فما حقيقة الوحى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات ان حقيقته هو ما تقع به الاشارة القائمة مقام العبارة فى غير عبارة اذ العبارة يتوصل منها الى المعنى المقصود منها ولهذا سميت عبارة بخلاف الاشارة التى هى الوحى فانها ذات المشار اليه والوحى هو المفهوم الاول والافهام الاول ولا عجب من أن يكون عين الفهم عين الافهام عين المفهوم منه فان لم يحصل لك يا اخى معرفة هذه النكتة فليس لك نصيب من معرفة علم الالهام الذى يكون للاولياء الا ترى ان الوحى هو السرعة ولا اسرع مما ذكرناه انتهى (فان قلت) فما صورة تنزل وحى الالهام على قلوب الاولياء (فالجواب) صورته ان الحق تعالى اذا اراد ان يوحى الى ولى من اوليائه بأمر ما تجلى الى قلب ذلك الولى فى صورة ذلك الامر فيفهم من ذلك الولى التجلى بمجرد مشاهدته ما يريد الحق تعالى ان يعلم ذلك الولى به من تفهيم معانى كلامه او كلام نبيه صلى الله عليه وسلم فهنالك يجد الولى فى نفسه علم ما لم يكن يعلم من الشريعة قبل ذلك كما وجد النبى صلى الله عليه وسلم العلم فى الضربة باليد الالهية كما يليق بجلاله تعالى وكما وجد العلم فى شربة اللبن ليلة الاسراء ثم ان من الاولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر بل يقول وجدت كذا وكذا فى خاطرى ولا يعلم من آتاه به ولكن من عرفه فهو اتم لحفظه حينئذ من الشيطان واطال فى ذلك فى الباب الثانى عشر وثلثمائة * وقال فى الباب الثالث والخمسين وثلثمائة اعلم انه لم يجئ لنا خبر الهى ان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحى تشريع ابدا انما لنا وحى الالهام قال تعالى ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك ولم يذكر ان بعده وحيا ابدا وقد جاء الخبر الصحيح فى عيسى عليه السلام وكان ممن اوحى اليه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذا نزل آخر الزمان لا يؤمنا الا بنا اى بشريعتنا وسنتنا مع ان له الكشف التام اذا نزل زيادة على الالهام الذى يكون له كالخواص هذه الامة (فان قلت) فاذن الالهام خبر الهى (فالجواب) نعم وهو كذلك اذ هو اخبار من الله تعالى للعبد على يد ملك مغيب عن الملهم (فان قلت) فهل يكون الهام بلا واسطة أحد (فالجواب) نعم قد يلهم العبد من الوجه الخاص الذى بين كل انسان وبين ربه عز وجل فلا يعلم به ملك الالهام لكن علم هذا الوجه يتسارع الناس الى انكاره ومنه انكار موسى على الخضر عليهما الصلاة والسلام وعذر موسى فى انكاره ان الانبياء ما تعودوا أخذ أحكام شرعهم الا على يد ملك لا يعرف شرعا من غير هذه الطريق فعلم ان الرسول والنبى يشهدان الملك ويريانه رؤية بصر عند ما يوحى اليهما وغير الرسول يحس باثره ولا يراه فيلهمه الله تعالى بواسطته ما شاء ان يلهمه او يعطيه من الوجه الخاص بارتفاع الوسائط وهو اجل الالقاء واشرفه اذا حصل الحفظ لصاحبه ويجتمع فى هذا الرسول والولى ايضا (فان قلت) فما محل الالهام من العبد (فالجواب) محله من العبد هو النفس قال تعالى فألهمها فجورها وتقواها اى ان الله تعالى الهم النفس فجورها لتجتنبه وتعلمه لا لتعمل به والهمها تقواها لتعمل به وتعلمه فهو الهام اعلام لا كما ظنه من لا علم له بالحقائق ولذلك قال تعالى وقد خاب من دساها والدس هو الحاق خفى بازدحام فقد الحق هذا الجاهل العمل بالفجور بالعمل بالتقوى وما فرق فى مواضع التفريق فأخطأ فال وسبب خطئه رميه ميزان الشريعة من يده ولو ان الميزان كانت فى يده لرأى انه مأمور بالتقوى منهى عن الفجور فتبين له الامران معا (فان قلت) فقد ذكر الغزالى فى بعض كتبه ان من الفرق بين

فيها من الدلال واطال فى ذلك * وقال فى الباب السابع والتسعين وثلثمائة انما ظهر الشيخ عبد القادر الجيلى بالتصريف فى الوجود والتأثير والدعاوى العريضة لان مشهده من الحق تعالى كان حضرة الاسم الظاهر فأعطاه مقام الصولة والهمة والشطح واظهار العلو على امثاله واشكاله بل على من هو أعلى منه فى مقامه قال وهذا المقام وان كان رفيعا فثم ما هو أرفع منه وهو مقام الادب واظهار الذل والمسكنة قال ومن شطح على احكام الله اكثر ادبا ممن شطح على عباد الله لان الله تعالى يقبل الشطح لوسعه بخلاف المخلوق لضيقه قال وثم اقوام يشطحون على أهل الله من شهود فى حضرة خيالية فهؤلاء لا كلام لنا معهم لانهم مطرودون عن باب الله وعلامتهم انهم لا يرفعون بالاحكام الشرعية رأسا ولا يقفون عند حدود الله تعالى مع وجود عقل التكليف عندهم واطال فى ذلك * وقال فى الباب الثامن والتسعين وثلثمائة فى قوله تعالى قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى الواحدة أن يقوم الواعظ من أجل الله اما غيرة واما تعظيما قوله مثنى اى بالله ورسوله فانه من أطاع الرسول فقد أطاع الله فيقوم صاحب هذا المقام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا عن هوى نفس ولا تعظيم كونى ولا غيرة نفسية وقوله

تنزل

تنزل الوحي على قلب الانبياء وتنزله على قلوب الاولياء نزول الملك فان الولي يلهم ولا ينزل عليه ملك قط والنبي لابد له في الوحي من نزول الملك به فهل ذلك صحيح (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين وثلثمائة ان ذلك غلط والحق ان الكلام في الفرق بينهما انما هو في كيفية ما ينزل به الملك لا في نزول الملك اذ الذي ينزل به الملك على الرسول او النبي خلاف ما ينزل به الملك على الولي التابع فان الملك لا ينزل على الولي التابع الا بالاتباع لنبيه وبافهام ما جاء به مما لم يتحقق له علمه كحديث قال العلماء بضعفه مثلا فيخبره ملك الالهام بانه صحيح فللولي العمل به في حق نفسه بشروط يعرفها اهل الله عز وجل لا مطلقا وقد ينزل الملك على الولي ببشرى من الله بانه من اهل السعادة كما قال تعالى في الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وهذا وان كان انما يقع عند الموت فقد يعجل الله تعالى به لمن يشاء من عباده * قال الشيخ وسبب غلط الغزالي وغيره في منع تنزل الملك على الولي عدم الذوق وظنهم انهم قدموا واسلوكهم جميع المقامات فلما ظنوا ذلك بانفسهم ولم يروا ملك الالهام نزل عليهم انكروه وقالوا ذلك خاص بالانبياء فذوقهم صحيح وحكمهم باطل مع ان هؤلاء الذين منعوا قائلون بان زيادة الثقة مقبولة واهل الله كلهم ثقات قال ولو ان اباحامد وغيره اجتمعوا في زمانهم بكامل من اهل الله واخبرهم بتنزل الملك على الولي لقبلوا ذلك ولم ينكروه قال وقد نزل علينا ملك الالهام بما لا يحصى من العلوم واخبرنا بذلك جماعات كثيرة ممن كان لا يقول بقولنا فرجعوا الينا ولله الحمد (فان قلت) فهل ينزل ملك الالهام على احد من الاولياء بامر ونهي (فالجواب) ان ذلك ممتنع كما قاله الشيخ في الباب العاشر وثلثمائة فلا ينزل ملك الالهام على غير نبي بامر ونهي ابدا وانما للاولياء وحي المبشرات وهو الرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى له وهي حق ووحي غالبا الا انها غير معصومة (فان قلت) فهل يكون وحي المبشرات في غير النوم كما هو في النوم (فالجواب) نعم وعلى كل حال فهي رؤيا بالخيال وبالحس لا في الحس والمتخيل قد يكون من دخل في القوة وقد يكون من بخار تمثيل روحاني او هو التجلي المعروف عند القوم اذا كان المزاج مستقيما مهيئا للحق وهو خيال حقيقي واطال الشيخ في ذلك (فان قلت) ان بعضهم يقول اذا اعترضوا عليه في فعله امرا من الامور ما فعلت ذلك الا بامر من الله تعالى كما نقل عن سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه انه ما قال قدمي هذه على عنق كل ولي لله تعالى الا بعد امر الحق له بذلك فهل ذلك صحيح (فالجواب) الامر بذلك غير صحيح ولعل الناقل لذلك اشتبه عليه الاذن بالامر اذ الاذن يطلق على المباح شرعا بخلاف الامر فانه تشريع جديد يقتضي عصيان من خالفه فافهم * وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والعشرين من الفتوحات من قال من الاولياء ان الله تعالى امره بشيء فهو تلبيس لان الامر من قسم الكلام وصفته وهذا باب مسدود دون الاولياء من جهة التشريع (وايضاح ذلك) انه ليس في الحضرة الالهية امر تكليفي الا وهو مشروع فما بقي للاولياء الاسماع امرها فاذا امرهم الانبياء بشيء كان لهم المناجاة واللذة السارية في جميع وجودهم لا غير ومعلوم ان المناجاة لا امر فيها ولا نهي انما هو حديث وسمر وكل من قال من اهل الكشف انه مأمور بامر الهي مخالف لامر شرعي محمدي تكليفي فقد التبس عليه الامر وان كان صادقا فيما قال انه سمعه قال ويمكن ان بعض الاولياء يكشف الله عن قلبه الحجاب ويقيم الله تعالى له مظهرا محمديا فيسمع فيه امر الحق ونهيه لمحمد صلى الله عليه وسلم فيظن ان الحق تعالى كلمه هو وانما كلم روح محمد صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك من باب التعريف بالاحكام الشرعية لا تشريعا جديدا فان ذلك باب قد اغلق بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى (فان قلت) فاذن وحي البشائر هو الاعم الاغلب (فالجواب) نعم اذ هو الوحي الخاص الذي بين كل انسان وبين ربه عز وجل فيناجيه

وقرادى أى بالله خاصة او برسوله خاصة * وقال لا يجوز لاحد المبادرة الى الانكار اذا رأى رجلا ينظر الى امرأة في الطريق مثلا فربما يكون قاصدا خطبتها او طبيبا فلا ينبغي المبادرة للانكار الا فيما لا يتطرق اليه احتمال قال وهذا يغلط فيه كثير من المتدينين لا من اصحاب الدين لان صاحب الدين اول ما يحتاط على نفسه ولا سيما في الانكار خاصة وقد ندبنا الحق تعالى الى حسن الظن بالناس لا الى سوء الظن بهم فصاحب الدين لا ينكر قط مع الظن لانه يعلم ان بعض الظن اثم ويقول لعل هذا من ذلك البعض واثمه ان ينطق به وان وافق العلم في نفس الامر وذلك انه ظن وما علم فنطق فيه بامر محتمل وما كان له ذلك قال ومعلوم ان سوء الظن بنفس الانسان اولى من سوء ظنه بالغير وذلك لانه من نفسه على بصيرة وليس هو من غيره على بصيرة فلا يقال في حقه ان فلانا اساء الظن بنفسه لانه عالم بنفسه وانما عبرنا بسوء الظن بنفسه اتباعا لتعبيرنا بسوء ظنه بغيره فهو من تناسب الكلام قال والى الآن ما رأيت احدا من العلماء استبرأ لدينه هذا الاستبراء فالحمد لله الذي وفقنا لاستعماله * وقال في قوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور يعني في حق راكب البحر اذا اشتد عليه الريح ويرد فيما في ذلك من النعمة يطلب منه الشكر وبما في ذلك من الشدة والخوف

منه فى سره حال سجوده وغيره فلا يجد أحدا أقرب اليه من الله تعالى وذلك تأييد من الله تعالى لبعض الصادقين وقد يكون وحى البشارات ايضا بواسطة ملك ولكن النبوة من شأنها الواسطة فلا بد من الملك فيها والمبشرات ليست كذلك فالعارف لا يبالى بما فاته من الامر مع بقاء المبشرات عليه واطال الشيخ فى ذلك فى الباب الثالث والعشرين وثلثمائة * وقال فى الباب الثامن والستين ومائتين اعلم ان الفرق بين وحى الاولياء ووحى الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان الاولياء يشاهدون تنزل الارواح على قلوبهم لكن لا يرون الملك النازل بخلاف النبى والرسول فان شهد الولى الملك لا يشهد القاءه عليه حال شهوده وان شهد الالقاء لا يشهد الملك فيعلم انه من الملك من غير شهود له فلا يجمع بين رؤية الملك والالقاء منه اليه الا نبى او رسول وبهذا يفرق بين الرسول والولى وقد أغلق الله تعالى باب التنزل بالاحكام الشرعية وما اغلق باب التنزل به بالالهام على قلوب أوليائه الذى هو التنزل الروحانى بالعلم وذلك ليكون الاولياء على بصيرة فى دعائهم الى الله بها كما كان موروثهم صلى الله عليه وسلم ولذلك قال تعالى قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى فهو آخذ لا يتطرق اليه تهمة قال الجنيد فى معرض الثناء على علم اهل الله تعالى يغالطك ٣ بعلم الناس فيه تهمة فان علم غيرهم لا يكون صاحبه على بصيرة لا فى الفروع ولا فى الاصول اما فى الفروع فللاحتمال فى التأويل واما فى الاصول فلما يتطرق الى الناظر فى الدليل من الدخل عليه فيه من نفسه وغيره فهو يتهم دليله لهذا الخلل وقد كان يقطع به قبل ذلك واهل الله تعالى كلهم اهل بصائر وعلمهم كله من حق اليقين اى حق استقراره فى القلب فلا يزلزله شئ عن مقره يقال قر الماء فى الحوض اذا استقر وهناك يحصل له السكون والاستقرار ويزول التردد والاوهام والظنون وهذا السكون والاستقرار ان أضيف الى النفس والعقل يقال له علم اليقين وان اضيف الى الروح الروحانى يقال له عين اليقين وان اضيف الى القلب الحقيقى يقال له حق اليقين وان اضيف الى السر الوجودى يقال له حقيقة حق اليقين انتهى * وقال فى الباب الثامن والثلاثين لما أغلق الله تعالى باب الرسالة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك من اشد ما تجرعت الاولياء مرارته لانقطاع الوصلة بينهم وبين من يكون واسطتهم الى الله تعالى فرحمهم الحق تعالى بان ابقى عليهم اسم الولى الذى هو من جملة اسمائه تعالى جبرا لمصيبتهم قال ولذلك نزع الله تعالى هذا الاسم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه بالعبد والرسول اللذين لا يليقان بالله شرفا له صلى الله عليه وسلم ان يزاحم الحق تعالى فى التسمية واما وصفه صلى الله عليه وسلم برؤوف رحيم فذلك خلعة من الله تعالى بيانا لشرفه من الله على وجه خاص ليغبط به قوما خاصين قال ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى أمته من تجرع كاس انقطاع الوحى والرسالة جعل لخواص أمته نصيبا من الرسالة ليكونوا بذلك عبيدا اتباعا له صلى الله عليه وسلم اذ اشرف مقام يضاف الى العبد كونه عبد الله عز وجل فقال ليبلغ الشاهد الغائب فأمرهم بالتبليغ ليصدق عليهم اسم الرسل اذ الرسالة مخصوصة بالعبد وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها يعنى حرفا بحرف من غير تصرف فيما يبلغه كما تبلغ الرسل كلام ربها باللفظ الذى يلقيه الله اليهم بواسطة او بغيرها وما فاز بهذه الدرجة وبدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالرحمة الا الذين يروون أحاديثه بالالفاظ التى سمعوها من غير زيادة لفظ فان من يروى الحديث بالمعنى انما ينقل الينا صورة فهمه هو فكأنه رسول نفسه ولا يحشر يوم القيامة فى صفوف الرسل الامناء بلغ الوحى من كتاب او سنة بلفظه كما سمعه فالصحابة اذا نقلوا الوحى على لفظه رسل رسول الله والتابعون رسل الصحابة وهكذا جيلا بعد جيل الى يوم القيامة فان شئنا قلنا فى المبلغ الينا انه رسول الله وان شئنا اضفناه الى من بلغ عنه وانما جوزنا حذف الواسطة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخبره جبريل او ملك من

الملائكة

يتطلب منه الصبر قال ومما يغفل عنه كثيرا من الناس عدم شهودهم ما فى النعم من البلايا وما فى البلايا من النعم وذلك انه ما من نعمة ينعمها الله على عباده الا وهى محفوفة ببلاء وذلك ان الله يطالبه بالقيام بحقها من الشكر عليها واضافتها الى من يستحقها بالايجاد وصرفها فى الموضع الذى امره الحق ان يصرفها فيه ومن كان مكلفا بفعل هذه الامور متى يتفرغ للالتذاذ بها حتى تكون فى حقه نعمة خالصة وكذلك القول فى البلايا والرزايا هى فى نفسها مصائب وبلايا وهى محفوفة بطلب الصبر عليها ورجوعه الى الحق فى رفعها عنه ووجوب تلقيها بالرضا او بالصبر الذى هو حبس النفس عن الشكوى لغير الله مطلقا ووجه النعمة فى المصائب ما فيها من الاجر فى الآخرة وتواضع النفس فى الدنيا للخاص والعام فان البلايا تذل نفوس الجبابرة * وقال فى الباب السادس عشر وأربعمائة اعلم ان كل من تكلف دليلا على كون الصفات الالهية عينا او غيرا فدليله مدخول هكذا كان شيخنا ابو عبد الله الكتانى امام المتكلمين بالمغرب يقول * وقال فى الباب السابع عشر وأربعمائة فى قوله تعالى عن نوح عليه السلام ان أجرى الا على الله انما كان أجرهم على الله لانه تعالى هو الذى استخدمهم فى التبليغ واطال فى ذلك ثم قال ولا يخفى ان

الملائكة ولا نقول فيه رسول جبريل ولا رسول ذلك الملك واطال في ذلك ثم قال فعلم ان تسمية العبد بالولي ينقص من عبوديته بقدر هذا الاسم فمن أراد أن لا ينقص وليا من مقام عبوديته فليسمه محمدا بفتح الدال المهملة فانه اولى له من اسم الولي انتهى (فان قلت) فهل جميع الاولياء يعرفون الروح النازل عليهم (فالجواب) ليس كل الاولياء يعرفون ذلك فيرى احدهم العلوم النازلة على قلبه ولا يدري ممن جاءته كما يقع للكهنة واصحاب الزجر واصحاب الخواطر واهل الافهام فكل هؤلاء يجدون العلم في قلوبهم ولا يعرفون من جاءهم به حقيقة والخواص يعرفون من جاءهم ولذلك يتلقونه بالادب ويأخذونه عنه بالادب رضي الله عنهم اجمعين * وقد قال الشيخ في الباب الثالث والسبعين في الاجوبة عن اسئلة الحكيم الترمذي اعلم ان مما اختص به المحدثون من اهل الله كونهم يعرفون حديث الحق تعالى معهم في نفوسهم لما هم عليه من الصفاء وغيرهم لا يعرف ذلك قال وراس المحدثين عمر بن الخطاب رضي الله عنه والناس كلهم من الامة ورثته في ذلك (فان قلت) فبم يحفظ الولي من التلبيس عليه فيما يأتيه من وحي الالهام (فالجواب) يعرف ذلك بالعلامات فمن كان له في ذلك علامة بينه وبين الله عرف الوحي الحق الالهامي الملكي من الوحي الباطل الشيطاني حفظ من التلبيس ولكن اهل هذا المقام قليل قال الشيخ في الباب الثالث والثمانين ومائتين مما غلط فيه جماعة من اهل الله عز وجل كابي حامد الغزالي وابن سيدلون رجل بوادي اشت قولهم اذا ارتقى الولي عن عالم العناصر وفتح لقلبه ابواب السماء حفظ من التلبيس قالوا وذلك لانه حينئذ في عالم الحفظ من المردة والشياطين فكل ما يراه هنالك حق قال الشيخ محيي الدين وهذا الذي قالوه ليس بصحيح وانما يصح ذلك ان لو كان المعراج بأجسامهم مع ارواحهم ان صح ان احدا يرث رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المعراج واما من عرج به بخاطره وروحانيته بغير انفصال موت وجسده في بيته مثلا فقد لا يحفظ من التلبيس الا ان يكون له علامة في ذلك كما مر واطال في ذلك ثم قال واعلم ان الشيطان لا يزال مراقبا القلوب اهل الكشف سواء كان احدهم من اهل العلامات أم لم يكن لانه حريصا على الاغواء والتلبيس لعلمه بأن الله تعالى قد يخذل عبده فلا يحفظه فيعيش ابليس بالترجي ويقول لعل وعسى فان رأى ابليس باطن العبد محفوظا وانوار الملائكة قد حفت به انتقل الى جسد ذلك العبد فيظهر له في صورة الحس أمورا عسى يأخذه بها فاذا حفظ الله تعالى قلب ذلك العبد ولم ير له على باطنه سبيلا جلس تجاه قلبه فينتظر غفلة تطرأ عليه فاذا عجز عن ان يوقعه في شيء يقبله منه بلا واسطة نظر في حال ذلك الولي فان رأى ان من عادته الاخذ للعارف من الارض أقام له أرضا متخيلة ليأخذ منها فان أيد الله تعالى ذلك العبد رده خاسئا لاطلاعه حينئذ على الفرق بين الارضين المتخيلة والمحسوسة وقد يأخذ الكامل من ابليس ما ألقاه اليه من الله لا من ابليس فيرده ايضا خاسئا وكذلك ان رأى ابليس ان حال ذلك الولي الاخذ من السماء أقام له سماء متخيلة مثل السماء التي يأخذ منها او يدرج له فيها من السموم القاتلة ما يقدر عليه فيعامله العارف بما قلناه في شأن الارض المتخيلة والاصلية وان رأى ان حال ذلك الولي الاخذ من سدرة المنتهى او من ملك من الملائكة خيل له سدرة مثلها او صورة ملك مثل ذلك الملك وتسمى له باسمه والقى اليه ما عرف ان ذلك الملك يلقيه اليه من ذلك المقام فان كان ذلك الشخص من اهل التلبيس فقد ظفر به عدوه وان كان محفوظا حفظ منه فيطرد عنه ابليس ويرمي ما جاء به او يأخذ ذلك عن الله تعالى لا عن ابليس كما مر ويشكر الله تعالى على ذلك وان رأى الشيطان ان حال ذلك الولي الاخذ من العرش او العماء او الاسماء الالهية القى اليه الشيطان بحسب حاله ميزانا بميزان واطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والثمانين ومائتين (فان قلت) فهل يصح ان الحق تعالى يمكر بابليس فيجعله طريقا لوصول الخير لبعض العباد (فالجواب) نعم يصح

الا الله فصح طلب الاجر المجهول عند الرسول من الله لان الله تعالى يعلمه بخلاف طلب الاجر المجهول من الخالق لا بد من تقديره قبل الطلب قال فكل من ورد رسالة نبي ولم يؤمن بها أصلا فان لذلك النبي أجر المصيبة وللمصاب أجر على الله بعدد من ورد رسالته من أمته بلغوا ما بلغوا فله أجر الهداية وأجر المصيبة وعلى هذا فلا يكون أحد اكثر اجرا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يتفق لنبي من الانبياء ما اتفق له صلى الله عليه وسلم في كثرة طائعي أمته اجابته ولا في كثرة عصاة أمته دعوته خارجين عن الاجابة واطال في ذلك * وقال في قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله المراد بالاصلاح هنا أن يحسن الى من كان أساء عليه زيادة على العفو عنه ولو علم الناس قدر أجرهم عند الله اذا عفوا ما جازى أحد احدا بإساءة وما كان في العالم الا عفوا مصلحا ولكن الحجب التي على أعين بصائر غالب الناس كثيفة وليست سوى الاغراض واستعمال التشفي والمؤاخذة ومن أحسن الى من أساء عليه فقد أزال ما قام به من الموجب للإساءة ولاشك ان ذلك محبوب والله يحب المحسنين ولو لم يكن في احسانه المعبر عنه بإصلاح سوى حصول حب الله له الذي

ان الله تعالى يمكر بابليس كما ذكره الشيخ فى الباب الثامن والستين وعبارته واعلم ان من مكر الله تعالى بابليس ان يلهمه ما به يكون فعل الخير مع العباد من حيث لا يشعر ابليس وذلك انه يوسوس فى قلب العبد بلمته فيخالفه العبد و يعمل بخلافه فيحصل له بمخالفته ابليس الاجر فلو علم ابليس ان ذلك العبد يسعد بوسوسته لما القى اليه شيأ قال وما رأيت احدا من اهل الله نبه على هذا المكر ابدا انتهى (فان قلت) فما صورة وصول الاولياء الى العلم باحوال السموات (فالجواب) يصل الاولياء الى ذلك بانجلاء مرآة قلوبهم كما يكشفون عن احوال اهل الجنة واهل النار الآن بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى الجنة والنار فى صلاة الكسوف ورأى فى النار عمرو بن لحى الذى سيب السوائب وصاحب المحجن وصاحبة الهرة التى حبستها حتى ماتت وفى بعض طرق الحديث رأيت الجنة والنار فى عرض هذا الحائط انتهى والله تعالى اعلم

(المبحث السابع والاربعون فى بيان مقام الوارثين للرسل من الاولياء رضى الله عنهم اجمعين)

اعلم ان عدد منازل الاولياء فى المعارف والاحوال التى ورثوها من الرسل عليهم الصلاة والسلام مائتا الف منزل وثمانية واربعون الف منزل وتسعمائة وتسعة وتسعون منزلا لا بد لكل من حق له قدم الولاية ان ينزلها جميعها ويخلع عليه فى كل منزل من العلوم ما لا يحصى قال الشيخ محيي الدين وهذه المنازل خاصة بهذه الامة المحمدية لم ينلها احد من الامم قبلهم ولكل منزل ذوق خاص لا يكون لغيره ذكره فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات * وقال فى الباب التاسع والاربعين وثلثمائة كنت اظن قبل ان يطلعنى الله تعالى على مقامات الانبياء من حيث كونى وارثا لهم ان من الادب ان يقال فلان على قدم الانبياء ولا يقال انه على قلبهم لان الاولياء على آثار الانبياء مقتدون ولو انهم كانوا على قلوب الانبياء لنالوا ما نالته الانبياء اصحاب الشرائع فلما اطلعنى الله على مقامات الانبياء علمت ان للاولياء معراجين احدهما يكونون فيه على قلوب الانبياء ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم كما سيأتى لكن من حيث هم اولياء وملهمون فيما لا تشريع فيه والمعراج الثانى يكونون فيه على اقدام الانبياء اصحاب التشريع فيأخذون معانى شرعهم بالتعريف من الله ولكن من مشكاة نور الانبياء فلا يخلص لهم الاخذ عن الله تعالى ولا عن الروح القدس وما عدا ذلك فانه يخلص لهم من الله تعالى ومن الروح القدس من طريق الالهام انتهى * وقال فى الباب الثامن والثلاثين واربعمائة اعلم ان ورثة الانبياء هم العلماء والاولياء فالاولياء حفاظ الاحوال والاحكام الباطنة التى تدق عن الافهام والعلماء حفاظ الاحكام الظاهرة التى تفهم ببادى الرأى وقد يرث هؤلاء ايضا الانبياء فى الاحوال الباطنة كما كان عليه السلف الصالح فكانوا اولياء علماء فلما تخلف الناس عن العمل بكل ما يعلمون سموا علماء فقط وسلبوهم اسم الولى والا فالعلماء حقيقة هم الاولياء على ما عليه الناس اليوم كل ولى عالم عامل بلا شك وليس كل عالم وليا لانه قد يتخلف عن مقام العمل بما علم فالفقهاء على الحقيقة هم الاولياء لزيادتهم بعلم الاحوال على علم المقال (فان قلت) فما الفرق بين الوارث المحمدى والوارث لغيره من الانبياء عليهم السلام (فالجواب) ان الفرق بينهما ان ورثة الانبياء آياتهم فى الآفاق من خرق العوائد وغيرها وآية الوارث المحمدى فى قلبه فلذلك كان الوارث المحمدى مجهولا فى العموم معروفا فى الخصوص لا غير لان خرق العادة انما هو حال وعلم فى قلبه فهو فى كل نفس يزداد علما بربه علم حال وذوق لا يزال كذلك كما مرت الاشارة اليه اول مبحث المعجزات * وقال فى الباب التاسع والثلاثين واربعمائة من علامة الوارث المحمدى ان يشهد نفسه خلف كل نبى ولو كانوا مائة الف نبى لرأى نفسه فى اماكن على عددهم فان جميع الانبياء والرسل قد جمعت

لا يعدله شئ لكان فيه كفاية فى الترغيب فيه لكنه شديد ما كل أحد يقدر على فعله كما أشار اليه قوله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا واى حبسوا نفوسهم عن مجازاة المسئ باساءته اساءة وأطال فى ذلك ثم قال واعلم ان الملائكة الكتاب لا يكتبون على العبد من افعال السوء الا ما يتكلم به وهو قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وهو الكاتب فهم وان كانوا يعلمون ما يفعلون لا يكتبونه (قلت) يرد على كلامه رضى الله تعالى عنه قوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون الا ان يكون الشيخ حمل الاستنساخ على خلاف الكتابة والله أعلم انتهى فليتأمل ويحرر * وقال فى الباب الثامن عشر واربعمائة فى قوله تعالى وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر وفى قوله كلا بل ران على قلوبهم وقوله تعالى ام على قلوب أقفالها ونحو ذلك اعلم ان المراد بالكن ان يكون العبد فى بيت الطبيعة مشغولا بامه ما عنده خبر من أبيه الذى هو الروح فلا يزال هذا فى ظلمة الكن وهو حجاب الطبيعة المشار اليه بقوله ومن بيننا وبينك حجاب ومن كان فى حجاب كن وظلمة فلا يسمع كلام دعاة الشرع ولا يفهم واما الوقر فهو ثقل الاسباب الدنياوية التى تصرفه عن الاشتغال بما ينفعه فى الآخرة واما الران فهو صدأ أو طخاء فى مرآة القلب

حقائقهم وشرائعهم فى محمد صلى الله عليه وسلم فمن آمن به وصدق فكأنه آمن بجميع الانبياء حقيقة ثم انه اذا تعددت صورته خلف جميع الانبياء بصير يعلم انه هو وليس غيره فى كل صورة واطال فى ذلك *وقال فى الباب الثالث والسبعين فى الجواب الثامن والخمسين اعلم ان هذه الدولة المحمدية جامعة لاقدام النبيين والمرسلين فأى ولى رأى قدما امامه فى حضرة الحق فذلك قدم النبى الذى هو له وارث واما قدم محمد صلى الله عليه وسلم فلا يطأ أثره احد كما لا يكون احد على قلبه وكما لا يكون احد وارثاله على الكمال ابدا الا انه لو ورثه على الكمال لكان رسولا مثله او نبيا بشريعة تخصه يأخذها ممن اخذ منه محمد صلى الله عليه وسلم ولا قائل بذلك فنعوذ بالله من التلبيس انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء هل هم المحدثون او مطلق العلماء (فالجواب) المراد بهم كل من كان علمه لا تستقل به العقول ولا الحواس بل تحيله العقول من حيث نظرها وليس المراد بهم ما يستقل العقول والحواس بادراك علمهم فان ذلك لا يكون وارثه فافهم* واعلم انه لا يصح ميراث لاحد الا بعد انتقال الموروث الى البرزخ لان كل ما حصل للعبد بغير انتقال لا يسمى ارثا وانما يسمى هبة وعطية ومنحة يكون العبد فيها نائبا وخليفة لا وارثا *قال فى الباب الثمانين والثلثمائة ولا يخفى ان الارث كله يرجع الى نوعين معنوى ومحسوس فالمحسوس هو الاخبار المتعلقة بافعاله صلى الله عليه وسلم واقواله واحواله واما المعنوى فهو تطهير النفس من مذام الاخلاق وتحليتها بمكارمها وكثرة ذكر الله عز وجل على كل حال بحضور ومراقبة (فان قلت) فمن هو اعظم الورثة للانبياء عليهم الصلاة والسلام (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الجواب الثالث عشر من الباب الثالث والسبعين ان اعظم الورثة الختمان واحدهما اعظم من الآخر فواحد يختم الله به الولاية على الاطلاق وواحد يختم الله به الولاية المحمدية فاما خاتم الولاية على الاطلاق فهو عيسى عليه السلام فهو الولى بالنبوة المطلقة فى زمان هذه الامة وقد حيل بينه وبين التشريع والرسالة فينزل آخر الزمان وارثا وخاتما لا ولى بعده بنبوة مطلقة كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبوة لا نبوة تشريع بعده فيعلم ان عيسى عليه السلام وان كان بعده ومن أولى العزم وخواص الرسل فقد زال حكمه من هذا المقام بحكم الزمان عليه الذى هو لغيره فيرسل وليا ذا نبوة مطلقة ويلهم بشرع محمد صلى الله عليه وسلم ويفهمه على وجهه كالاولياء المحمديين فهو منا وهو سيدنا فكان آخر الامر نبيا كما كان آدم اول الامر نبيا فختمت النبوة بمحمد والولاية بعيسى *قال الشيخ واما خاتم الولاية المحمدية فهو رجل من العرب من اكرمها اصلا ويدا وهو فى زماننا اليوم موجود وقد اجتمعت به فى سنة خمس وتسعين وخمسمائة ورأيت العلامة التى اخفاها الحق تعالى فيه عن عيون عباده وكشفها الى بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية المحمدية منه ورأيته مبتلى بالانكار عليه فيما يتحقق به فى سره من العلوم الربانية واطال فى ذلك * ثم قال واعلم ان الاولياء كثيرا ما يتكلمون بالخوارق فينبغى التسليم لهم ما لم يخرج احدهم عن الشرع كأن زعم احدهم ان الله تعالى كلمه كما كلم موسى عليه السلام فان ذلك يبطل اختصاص موسى واصطفاءه على الناس بالكلام وفى القرآن العظيم وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب الآية (فان قلت) فلم سمى الانسان بشرا (فالجواب) سمى بشرا لمباشرته للامور التى تعوقه عن اللحوق بدرجة الروح فلو انه خلص من العوائق لكلمه الله تعالى من حيث كلم الارواح وارتفاع بشريته محال لان جزءها يدق ولا ينقطع فلا يصح مكالمة الله تعالى كفاحا لاحد من الامة ولو ارتفعت رتبته (فان قلت) فما الفرق بين الكلام والمحادثة والمناجاة فان اهل الله يمنعون المكالمة دون المحادثة والمناجاة (فالجواب) الفرق بينهما ان مقام الكلام لا بد أن يسمع صاحبه كلام الحق والمحادثة والمناجاة ليس فيهما سماع كلام الحق فهم كالمجتهدين

يحدث من النظر الى مالم يأمره الله بالنظر اليه وجلاؤه يكون بذكر الله وتلاوة كلامه وأما القفل فهو لاهل الاعتذار يوم القيامة من الموحدين فانهم يقولون يا ربنا انا لم نقفل على قلوبنا وانما وجدناها مقفلا عليها ولم نعرف من قفلها فرمنا الخروج فمنعنا من فك الختم والطبع فبقينا ننتظر الذى قفل عليها عسى يكون هو الذى يتولى فتحها فلم يكن بايدينا من ذلك شئ فاب وكان عمر ابن الخطاب واضرابه ممن اسلم من الصحابة من أهل تلك الاقفال فلما تولى الله فتحه واسلم شيد الله به الاسلام وعضده رضى الله عنه (وقال) من أوتى الفهم فى القرآن فقد اوتى الحكمة ومن أوتى الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا انما كثرها لما فيها من الوجوه قال وايضاح ذلك ان الفهم فى الكلام على قسمين قسم مكتسب من مادة وقسم مكتسب من غير مادة فالذى يكتسب من غير مادة لا يقال فيه فهم وانما يقال فيه علم وأما المكتسب من المادة فهو الذى يقال فيه فهم وهو تعلق خاص فى العلم فاذا علم السامع اللفظة من اللافظ بها او رأى الكتابة ففيه تفصيل فان علم مراد المتكلم من تلك الكلمة مع تضمنها فى الاصطلاح معانى كثيرة خلاف مراد المتكلم بها فهو الفهم وان لم يعلم مراد المتكلم من تلك الكلمة على التفصيل واحتمل عنده فيها

فى الاعصار يناجون الحق و يسامرونه و يلهمهم الفهم عنه و بعض اهل الله يمنع المحادثة مع الحق ايضا لاحد من الاولياء و يقول المراد بحديث ان يكن من امتى محدثون فعمر هو المناجاة (فان قلت) فما الفرق بين المحدثين من الاولياء والنبيين (فالجواب) الفرق بينهما التكاليف وذلك ان النبوة لابد فيها من علم التكليف وحديث المحدثين لا تكليف فيه جملة واحدة وانما يقع لهم الحديث فيما تعطيه الاحوال والمقامات واطال الشيخ فى ذلك فى الباب الثالث والسبعين (فان قلت) فما المراد بحديث ان لله عبادا ليسوا بانبياء يغبطهم النبيون بمقامهم وقربهم من ربهم (فالجواب) المراد بهم ارباب العلوم وارباب السلوك الذين اهتدوا بهدى انبيائهم ولكن ليس لهم اتباع لعلو مقامهم فهم مستريحون يوم القيامة لا يحزنهم الفزع الاكبر ولا يخافون على انفسهم لما عندهم من الاستقامة ولا على غيرهم لانهم ليس لهم اتباع ذكره الشيخ فى الباب المذكور ايضا (فان قلت) قد رأينا فى كلام بعضهم تكفير الاولياء المحدثين بفتح الدال المهملة لكونهم يصححون الاحاديث التى قال الحفاظ بضعفها (فالجواب) تكفير الناس للمحدثين المذكورين عدم انصاف منهم لان حكم المحدثين حكم المجتهدين فكما يحرم على كل واحد من المجتهدين ان يخالف ما ثبت عنده فكذلك المحدثون بفتح الدال وكلاهما شرع بتقرير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشيخ محيي الدين فى الباب الثالث والسبعين من الجواب السابع والخمسين وقد وقع لنا التكفير مع علماء عصرنا لما صححنا بعض احاديث قالوا بضعفها قال ونحن نعذرهم فى ذلك لانه ما قام عندهم دليل على صدق كل واحد من هذه الطائفة وهم مخاطبون بغلبة الظن ولو انهم وفوا النظر معهم حقه لسلموا لهم حالهم كما يسلم الشافعى للحنفى حكمه ولا ينقض حكم من حكم به من الحكام ومما اعتذروا به قولهم لو صدقت القوم فى كل ما يدعونه من نحو ذلك لدخل الخلل فى الشريعة لعدم العصمة فيهم فلذلك سددنا الباب وقلنا ان الصادق من هؤلاء لا يضره سدنا هذا الباب قال الشيخ محيي الدين ونعم ما فعلوه ونحن نسلم لهم ذلك ونصوبهم فيه ونحكم لهم بالاجر التام على ذلك ولكن اذا لم يقطعوا بان ذلك الولى مخطئ فى مخالفتهم فان قطعوا بخطئه فلا عذر لهم فان اقل الاحوال ان ينزلوا الاولياء المذكورين منزلة اهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم انتهى وكذلك قال الشيخ ايضا فى اواخر الباب الثالث والستين وثلثمائة ولفظه اعلم ان من عدم الانصاف من الناس ايمانهم بما جاء من اخبار الصفات على لسان الرسل وعدم ايمانهم بها اذا اتى بها احد من خواص اتباعهم من العلماء والاولياء فان العبد واحد والبتهم اذ لم يؤمنوا بها اذا جاءت على يد الاولياء يأخذونها على وجه الحكاية فان الانبياء كما جاؤا بما تحيله العقول وآمن الناس به كذلك ينبغى الايمان به اذا جاء على لسان الاولياء فكثيرا ما تهب نفحة من نفحات الانبياء على قلوب أتباعهم تؤديهم الى الموافقة فى الالفاظ التى جاءت بها الرسل من صفات البارى جل وعلا فكما سلمنا فى الاصل فكذلك نسلم فى الفرع بجامع الموافقة فاياك والكفران فانه خسران انتهى * وقال ايضا فى الباب الاحد وثلثمائة كثيرا ما يرد على أهل الكشف من الاولياء أمور لا تقبلها النقول وترمى بها واذا قالها النبى صلى الله عليه وسلم قبلت ايمانا وتأويلا ولا تقبل من غيره وهذا من عدم الانصاف فان الاولياء اذا عملوا بما شرع لهم هبت عليهم من تلك الحضرة نفحات جود الهى تكشف لهم عما شاء الله من اعيان تلك الامور الالهية التى قبلت من الانبياء فاذا جاء بها ولى كفروه مع انهم يؤمنون بها عينها اذا جاء بها النبى فما أعمى بصيرة هؤلاء المكفرين واقل الامور ان يقولوا له ان كان ما تقول حقا وانك خرطبت به أو كشف لك عنه فتأويله كذا وكذا ان كان ذلك من اهل التأويل وان كان ظاهريا يقول قد ورد فى الخبر النبوى ما يشبه هذا فان ذلك ليس هو من شرط النبوة ولا حجره الشارع فى كتاب ولا سنة انتهى (فان قلت)

وبوجوه كثيرة مما تقبل غلبة الكلمة ولا علم مراد المتكلم من تلك الوجوه هل ارادها كلها او اراد بعضها قال فهذا لا يقال فيه انه أعطى الفهم فى القرآن وانما أعطى العلم بمدلولات تلك الالفاظ بالاصطلاح الذى عرفه وأطال فى ذلك ثم قال واعلم ان كلام الله تعالى قد انزل بلسان العرب فاذا اختلفوا فى الفهم عن الله ماذا أراد بكلامه مع اختلاف مدلولات تلك الكلمة او الكلمات كان كلام الله يقبل جميع الوجوه التى فهموها وذلك لان الله تعالى عالم بجميع تلك الوجوه فما من وجه منها الا وهو مقصود لله تعالى من تلك الكلمة بالنظر الى من يفهم منه ذلك الوجه المقصود ومقصود ايضا لذلك الشخص المتكلم ما لم يخرج عن اللسان فان خرج عن لسان العرب فلا فهم ولا علم قال وليس هذا الحكم الذى قررناه لكلام احد من المخلوقين فقد يكون بعض الوجوه غير مقصود لصاحب ذلك الكلام فليتأمل ويحرر والله تعالى أعلم: وقال فى الباب التاسع عشر واربعمائة فى قوله صلى الله عليه وسلم من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا فان الشيطان لا يتمثل بى اعلم ان من التوفيقات الالهية المبشرات وهى الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له قال وله العمل بما فيها من الحكم فى حق نفسه فقط

فان سلمنا للاولياء ما جاؤا به فما حكمه اذا خالف ما جاءت به الرسل (فالجواب) حكمه الرد فان الولي اذا اتى في كشفه بما يخالفه ما كشف الرسل وجب علينا الرجوع الى كشف الرسل وعلمنا ان ذلك الولي قد طرأ عليه في كشفه خلل لكونه زاد على كشفه نوعا من التأويل بفكره فلم يقو مع كشفه فهو كصاحب الرؤيا يخبر بما رأى وكشفه صحيح ولكن اخطأ في التعبير فان الكشف لا يخطئ ابدا وانما المتكلم في مدلول ذلك يخطئ ويصيب الا ان كان يخبر عن الله تعالى في ذلك انتهى * قال الشيخ ابو تراب النخشبي رحمه الله اذا الف القلب الاعراض عن الله صحبته الوقيعة في اولياء الله قال ولما علم العارفون من المجادلين بغير علم انهم لا بد لهم من الانكار على الطائفة عدلوا الى الاشارات كما عدلت مريم عليها السلام من اجل اهل الافك والالحاد الى الاشارة فكل آية او حديث له عندهم وجهان وجه يرونه في نفوسهم ووجه يرونه فيما خرج عنهم قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم فيسمون ما يرونه في نفوسهم اشارة ليؤنسوا بذلك المنكرين عليهم ولا يسمونه تفسيرا وقاية لشرهم وتشنيعهم عليهم وذلك لجهلهم بمواقع خطابات الحق تعالى واقتدوا في ذلك بسنن من قبلهم فان الله تعالى كان قادرا على ان ينص ما تأوله اهل الله وغيرهم في كتابه ومع ذلك فما فعل بل ادرج في تلك الكلمات الالهية التي نزلت على لسان العامة علوم معاني الاختصاص الخاص فهمها بالخاص قال ولو ان هؤلاء المنكرين ينصفون لاعتبروا في نفوسهم اذا نظروا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمونها فيما بينهم فيرون انهم يتفاضلون في ذلك ويعلو بعضهم على بعض في الكلام في معنى تلك الآية فلا يقر القاصر منهم بفضل الافضل والقاصر بفضل غير القاصر فيها وكلهم في مجرى واحد ومع هذا الفضل المشهود لهم فيما بينهم ينكرون على اهل الله اذا جاؤا بشئ مما يغمض عن ادراكهم وذلك لانهم يعتقدون فيهم انهم ليسوا بعلماء وان العلم لا يحصل الا على يد المعلم المعتاد في عرفهم وصدقوا فان اصحابنا ما حصل لهم العلم الا بالاعلام الروحاني الرباني فهم عاكفون على حضرته ينتظرون ما يفتح الله به على قلوبهم قال تعالى خلق الانسان علمه البيان وقال تعالى علم الانسان ما لم يعلم وقال في حق الخضر وعلمناه من لدنا علما فصدق المنكرون فيما قالوا ان العلم لا يكون الا بالتعلم واخطؤا في اعتقادهم ان الله تعالى لا يعلم من ليس بنبي ولا رسول قال تعالى يؤتي الحكمة من يشاء والحكمة هي العلم وجاء بمن وهي نكرة ولكن لما آثر هؤلاء المنكرون الدنيا على الآخرة وآثروا ما يتعلق بجناب الخلق على ما يتعلق بجناب الحق وتعودوا اخذ العلم من الكتب وافواه الرجال الذين من جنسهم ورأوا في زعمهم انهم من اهل الله تعالى بما علموا وامتازوا عن العامة حجبهم ذلك عن ان يعلموا ان لله عبادا تولى تعليمهم في سرائرهم على يد ملك الالهام فعلمهم معاني كلامه وكلام رسله وهو تعالى هو العالم الحقيقي واطال في ذلك * ثم قال فلهذا صان اهل الله تعالى نفوسهم بتسميتهم الحقائق اشارات فان المنكرين لا يرون الاشارات واين هؤلاء المنكرون من قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه لو تكلمت لكم في تفسير الفاتحة لحملت لكم سبعين وقرا فهل هذا العلم الا من العلم اللدني الذي اعطاه الله تعالى في القرآن اذ الفكر لا يصل الى ذلك وقد كان ابو يزيد البسطامي رضي الله عنه يقول خطابا للمنكرين عليه في زمانه قد اخذتم علمكم ميتا عن ميت واخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت وكان الشيخ ابو مدين اذا سمع احدا يقول نقل فلان عن فلان لا تطعمونا القديد اطعمونا اللحم الطري يرفع بذلك همة اصحابه كانه يقول لا تحدثونا بفتوح غيركم وحدثونا بفتوحكم الجديد في فهمكم لكلام الله او كلام رسوله فعلم ان اهل الله تعالى ما وضعوا الاشارات التي اصطلحوا عليها فيما بينهم لانفسهم فانهم يعلمون الحق الصريح في ذلك وانما وضعوها للدخيل بينهم حتى انه لا يعرف ما هم فيه شفقة عليه ان يسمع منهم

بشرط أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصورة المحمدية التي كان عليها في دار الدنيا كما نقل اليه من الوجه الذي صح عنده حتى انه يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكسور الثنية العليا فان لم يره بهذه العلامة فما هو ذاك وان تحقق انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤيا لكن رآه شيخا او شابا مغايرا للصورة التي كان عليها في الدنيا ومات عليها او رآه في حسن ازيد مما وصف له او في اقبح صورة او وقع منه سوء ادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك راجع الى الرائي لا اليه صلى الله عليه وسلم فلا يجوز له الحكم بصحة ما رآه ولا يجوز له العمل بما اخبره به لا سيما ان خالف نصا صريحا في الشريعة او اقتضى نسخ حكم ثابت ونحو ذلك قال وقد رأيناه على الصورة التي كان عليها وسألناه عن عدة احاديث قيل بضعفها فاخبرنا صلى الله عليه وسلم بصحتها فعلمنا بها وقد ذكر الامام مسلم في صدر كتابه عن شخص انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فعرض عليه الف حديث كان في ذهنه انها صحيحة فاثبت له صلى الله عليه وسلم من الالف ستة احاديث وانكر صلى الله عليه وسلم ما بقي فعلم ان من رآه صلى الله عليه وسلم في المنام فقد رآه في اليقظة ما لم تتغير عليه الصورة فان الشيطان لا يتمثل على صورته اصلا فهو معصوم الصورة

شيا لا يصل الى عقله القاصر فينكر عليهم فيحرم ذلك العلم فانه قد جرب ان ما احد انكر شيا على احد من العارفين الا وحرم ذلك الشئ عقوبة له واطال فى ذلك ثم قال واصل الانكار كله الحسد المشتمل عليه النوع البشرى ولو ان الناس تركوا الحسد لنارت قلوبهم وادركوا علوم اهل الله تعالى وقد بسطنا الكلام على ذلك فى المقدمة اول هذا الكتاب واطال الشيخ محيى الدين الكلام على ذلك فى الباب الثلاثين من الفتوحات المكية والله أعلم

(المبحث الثامن والاربعون فى بيان ان جميع أئمة الصوفية على هدى من ربهم وأن طريقة الامام ابى القاسم الجنيد رضى الله عنه اقوم طرق القوم كلها لتحريرها على الشريعة تحرير الجوهر)

اعلم رحمك الله ان حقيقة الصوفى فقيه عمل بعلمه لا غير فاورثه الله تعالى بعلمه الاطلاع على دقائق الشريعة واسرارها حتى صار احدهم مجتهدا فى الطريق والاسرار كما هو شأن الائمة المجتهدين فى الفروع الشرعية ولذلك شرعوا فى الطريق واجبات ومحرمات ومندوبات ومكروهات وخلاف الاولى زائدا على ما صرحت به الشريعة كما استنبط المجتهدون نظير ذلك وابطلوا اى مجتهد والقوم العبادات والعقود بالاخلال بما اوجبوه وشرطوه او بارتكاب ما حرموه هذا شأنهم رضى الله عنهم فما من احد منهم حق له قدم الولاية الا وهو مجتهد فى الطريق ليس عنده تقليد الا لما صرحت به الشريعة او اجمع عليه الائمة فقط فمن ادعى مقام الكمال وهو مقلد لامام فهو غير صادق وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول مرارا لا يكمل الرجل عندنا فى الطريق حتى يأخذ العلم من حيث أخذه المجتهدون انتهى * ثم مما اختص به الصوفية عن غيرهم علمهم بالطريق الموصلة لهم الى العمل بالكتاب والسنة فاذا قلت لهم ان مقصودى أن أزهد فى الدنيا بحيث لا يبقى عندى ميل عادى لها يقولون لك اكثر من ذكر الله تعالى ليلا ونهارا حتى يرق حجابك فتدرك الآخرة بعين بصيرتك وتنظر ما لمن يزهد فى الدنيا من الدرجات والنعيم كما وقع لابراهيم بن ادهم رضى الله عنه فاذا رأيت ذلك زهدت لا محالة فى الدنيا ولو قال لك جمهور الناس ارغب فى الدنيا لا تصغى لهم ولو انك يا اخى قلت ذلك لعالم لقال لك ان الله تعالى امرك ان تزهد لا غير ولا يهتدى للطريق الى ذلك فحكمه حكم طبيب يحفظ كتابا فى الطب ولا يعرف علاج المرض فعلم ان سبب انكار بعض الناس على الصوفية انما هو لدقة مداركهم ولو ان المنكر لزم الادب لسلم للقوم كل ما خفى فهمه مما لم يعارض كتابا ولا سنة ولا اجماعا وقد رأيت فى كتاب الرعاية للشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء بمصر فى عصره ما نصه كل الناس قعدوا على رسوم الشريعة وقعد الصوفية على قواعدها التى لا تتزلزل * قال ويؤيد ذلك ما يقع على يدهم من الكرامات والخوارق ولا يقع ذلك قط على يد عالم ولو بلغ فى العلم ما بلغ الا ان سلك طريقهم انتهى وقد بلغنا انه كان يقول قبل ذلك وهل ثم طريق للشريعة غير ما بايدينا من النقول ثم يقول من زعم ان ثم علما باطنا للشريعة غير ما بايدينا فهو باطلى يقارب الزنديق فلما اجتمع بالشيخ ابى الحسن الشاذلى بمصر المحروسة واخذ عنه صار يمدح طريق القوم كل المدح ويقول انها طريق جمعت اخلاق المرسلين وكان يقول حجة الاسلام الغزالى رحمه الله مثل ما كان يقول الشيخ عز الدين اولا فلما اجتمع بالصوفية وذاق طريقهم صار يقول ضيعنا عمرنا فى البطالة اى لما فى الاشتغال بالعلم على طريق اهل الجدال من غلبة القول على العمل والحق ان الاشتغال بالفقه ليس هو بطالة انما هو اساس للطريق فان من شأن اهل الطريق ان يكون جميع حركاتهم وسكناتهم محررة على الكتاب والسنة ولا يعرف ذلك الا بالتبحر فى علم الحديث والفقه والتفسير فقول الغزالى ان الاشتغال

بالفقه

شيا ومثالا من رآه فقد رآه فى اى صورة لكن منها ما هو اوضح وقد تقدم الكلام على الرؤيا فى الباب الثامن والثمانين ومائة فراجعه (قلت) وكان شيخنا سيدى محمد المغربى الشاذلى رحمه الله يقول فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة كما يقول به بعضهم المراد باليقظة هنا يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسمانية وذلك لان من بالغ فى كمال الاستعداد والتقرب صار محبوبا للحق واذا احبه كان نومه من كثرة اليقظة القلبية كحالة اليقظة لغيره قال وحينئذ فما رآه صلى الله عليه وسلم الا بروحه المتشكلة بشكل الاشباح من غير انتقال ذاته الشريفة ومجيئها من البرزخ الى مكان هذا الرائى اكراما لها وتنزيها عن كلفة المجىء والرواح هذا هو الحق الصراح انتهى والله اعلم * وقال فى الباب الحادى والعشرين واربعمائة فى قوله تعالى لا تدركه الابصار يعنى من كل عين من اعين الوجوه واعين القلوب فان القلوب ما ترى الا بالبصر واعين الوجوه لا ترى الا بالبصر فالبصر حيث كان هو الذى يقع به الادراك لكن يسمى البصر فى العقل عين البصيرة ويسمى فى الظاهر بصر العين اذ العين فى الظاهر محل البصر كما ان البصيرة فى الباطن محل البصر العين التى فى الوجه فاختلف الاسم عليه وما اختلف هو فى نفسه فكما

بالفقه بطالة انما هو كلام صدر حال عشقه فى طريق القوم والعاشق حكمه حكم السكران ولو انه تأمل فى حاله لعرف ما قلناه من ان الفقه اساس الطريق وان غاية الصوفى انه عالم عمل بعلمه لاغير (وقد كان) سيدى ابراهيم الدسوقى رحمه الله يقول لو ان الفقيه اتى العبادات والمأمورات الشرعية بغير علة كما امره الله تعالى لاستغنى عن الشيخ ولكنه اتى العبادات بعلل وامراض فلذلك احتاج الى طبيب يداويه حتى يحصل له الشفاء ومن هنا استغنى التابعون عن الخلوة والرياضة كما عليه تلامذة الاشياخ ولم ينقل عن احد منهم انه دون شيأ فى علاج الامراض الباطنة لعدمها فى عصرهم او قلتها جدا حتى لاتكاد توجد وكان معظم اجتهادهم انما هو فى جمع احاديث الشريعة والمطابقة بينها وبين الكتاب العزيز وهذا اهم بيقين من اشتغالهم بعلاج امراض لعلها لاتوجد وقد حصل بذلك الجواب عن قول من قال لاى شئ لم يدون الائمة المجتهدون شيأ فى علم التصوف او يشتغلوا بالذكر لتنجلى قلوبهم كما يفعل الصوفية فانه لايقول عاقل قط عن احد يعنى من الائمة انه يعلم من نفسه عجبا او رياء اوغلا او حقدا ومكرا وخديعة ولا يجاهد نفسه ابدا ولو انهم علموا ان فيهم شيأ من ذلك لقدموا علاجه على سائر الاعمال من باب ما لايتم الواجب الا به فهو واجب وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة فافهم فقد بان لك ان سائر ائمة الصوفية على هدى من ربهم كالائمة المجتهدين وانه لاينبغى لاحد ان ينكر عليهم كلامهم الا بعد ان يدخل طريقهم ويعرف مصطلحهم وجميع من شطح عن ظاهر الشريعة انما هو دخيل فيهم او غلب عليه حال او كان مبتدئا فى الطريق واما الكاملون كالجنيد واضرابه فطريقهم محررة على الادب تحرير الذهب اذهم حماة الدين رضى الله عنهم اجمعين وانما خصصنا كغيرنا طريق الشيخ ابى القاسم الجنيد بمزيد التقويم وان كل من سلكها نجا لانها كما قال الجلال المحلى وغيره طريق خال عن البدع دائر على التسليم والتفويض لله تعالى والتبرى من حظوظ النفس وهذا من أصح الطرق فهى كطريق الشيخ ابى الحسن الاشعرى فى العقائد الدينية ولذلك قالوا ونعتقد ان طريق الشيخ ابى الحسن الاشعرى فى العقائد الدينية طريق مثلى لكونها بين التفريط والافراط قال الجلال المحلى ولا التفات الى من تكلم فى الشيخ ابى الحسن من اهل الزيغ ويكفينا فى امامته وجلالته اكباب علماء الاسلام من اهل التفسير والحديث والفقه والاصول على الاعتماد على قوله فى العقائد وكذلك يكفينا فى امامة ابى القاسم الجنيد رحمه الله اجماع الناس كلهم على جلالته وقولهم انه سيد الطائفة كلها علما وعملا وهو جدير بذلك وقد كان يقول علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة انتهى وانما لم يذكر القياس والاجماع لان القياس والاجماع انما تعلم دلالتهما اذا وافقا قواعد الكتاب والسنة فاستغنى الجنيد عن القياس والاجماع بذكر الكتاب والسنة وكان يقول ايضا اذا رأيتم شخصا متربعا فى الهواء فلا تلتفتوا اليه الا ان رأيتموه مقيدا بالكتاب والسنة وكان يقول الطرق كلها مسدودة على الخلق الا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول لو كنت حاكما لضربت عنق من سمعته يقول لا موجود الا الله وليس لى فعل مع الله لان ظاهر كلامه نفى غير الله وهدم احكام التكاليف كلها قال الجلال المحلى وغيره ولا التفات الى من رمى الشيخ الجنيدى فى جملة من رمى بالزندقة من الصوفية عند الخليفة جعفر المقتدر بالله تعالى حتى انه امر بضرب اعناقهم وقد بلغنا انهم كلهم امسكوا الا الجنيد مع انه شيخ الجماعة وذلك لانه كان يستر كلام اهل الطريق عمن ليس منهم وكان يستتر بالفقه والافتاء على مذهب ابى ثور وكان اذا تكلم فى علوم القوم اغلق باب داره وجعل مفتاحه تحت وركه وكذلك بلغنا عن الحسن البصرى رضى الله عنه وكانا يقولان اتحبون ان يرمى اولياء الله بالزندقة زورا وبهتانا عند من لايعرف اصطلاحهم ولم يبلغنا قط عن الجنيد

لاتدركه العيون بابصارها كذلك لاتدركه البصائر باعينها (قلت) وقد اخبر واستيذى الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله عنه ان شخصا يزعم انه رأى ربه بعين بصره فقال هذا شخص ملبس عليه وهو انه خرق من عين بصيرته خرق الى باصره عين وجهه فرأى ربه حينئذ فظن انه رآه بعين بصره انتهى ففى هذه الحكاية اشارة الى صحة الرؤية بالبصيرة فى دار الدنيا فليتأمل مع كلام الشيخ محيى الدين فانى حاولت جمعا فلم يحصل لى سوى ان المتفق عليه جواز الرؤية بنفس البصيرة لا بعين البصيرة ولا بعين الوجه ولا بعين القلب فتكون البصيرة على هذا قدرا زائدا عن الجميع وفى الجميع انما يتأتى اذا قررنا الكلام على رؤيته تعالى فى دار الدنيا لغيره صلى الله عليه وسلم اما رؤيته فى الآخرة ورؤيته فى الدنيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمن بان ذلك بعين الرأس قطعا والله اعلم * وقال فى الباب الثانى والعشرين واربعمائة قد عفا الله عن جميع الخواطر التى لاتستقر عندنا الا بكلة كما مر ايضاحه فى الباب التاسع والستين وثلثمائة * وقال فى قوله تعالى فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية اعلم ان الميزان يوم القيامة يظهر بصورة نشأة الخلق من الثقل لانهم انما يحشرون وينشرون

انه تكلم بشئ من الشطح كما نقل عن ابى يزيد وغيره كل ذلك لكماله قال الجلال المحلى ولما بسط النطع لضرب اعناق الصوفية الذين امسكوا تقدم من آخرهم الشيخ ابو الحسن النورى وقال للسياف اضرب عنقى قبل أصحابى فقال له السياف لم ذلك فقال لا وثر اصحابى بحياة ساعة فبهت السياف وانهى الامر الى الخليفة فردهم الى القاضى اسماعيل بن اسحق المالكى فسأل النورى عن مسائل فقهية فاجابه عنها ثم قال وبعد فان لله عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله فقبل القاضى قوله وارسل يقول للخليفة ان كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الارض مسلم فخلى الخليفة سبيلهم رضى الله عنهم اجمعين * وحكى ابن ابى فى رسالته عن الامام احمد رضى الله عنه انه كان فى اول امره ينهى ولده عن مجالسة الصوفية حتى نزل عليه جماعة منهم فى الليل من الهواء فسألوه عن مسائل فى الشريعة حتى اعجزوه ثم صعدوا فى الهواء فمن ذلك الوقت وهو يقول لولده عليك بمجالسة الصوفية فانهم ادركوا من خشية الله واسرار شريعته ما لم ندركه وكان اذا عجز عن جواب مسئلة يقول للشيخ ابى حمزة البغدادى ما تقول فى هذا يا صوفى فاذا اجابه بشئ اخذ به * وحكى القشيرى عن ابن سريج انه كان ينكر على الجنيد فتنكر يوما وحضر مجلس الجنيد وهو لا يشعر فلما انصرف الجنيد قالوا لابن سريج ماذا رأيت فى كلام هذا الرجل فقال لم افهم من كلامه شيأ الا ان صولة الكلام ليست بصولة مبطل فعلم ان الانكار لم يزل فى العلماء على الصوفية فى كل عصر لدقة مداركهم لا لخروجهم عن الشريعة فى نفس الامر معاذ الله ان تقع الاولياء فى ذلك وان جاز ذلك فى حقهم وقد بسطنا الكلام على ذلك فى مقدمة الطبقات الكبرى والله تعالى اعلم

(المبحث التاسع والاربعون فى بيان ان جميع الائمة المجتهدين على هدى من ربهم من حيث وجوب العمل بكل ما ادى اليه اجتهادهم واثبات الاجر لهم من الشارع وان اخطؤا)

على ما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى واعلم يا اخى ان مبحث الجواب عن الائمة يكتفى فيه باى وجه كان وأما التحقيق فله مكان آخر فلا ينبغى الاعتراض علينا اذا بنينا هذا المبحث على القول المرجوح بان كل مجتهد مصيب (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول اعملوا على الجمع بين اقوال العلماء جهدكم فان اعمال القولين أولى من الغاء احدهما وبذلك يقل تناقض اقوال العلماء ومن وصل الى مقام الكشف وجد جميع الائمة المجتهدين لم يخرجوا عن الكتاب والسنة فى شئ من اقوالهم وشهدها كلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة لانهم على آثار الرسل سلكوا فكما انه يجب عليك يا اخى الايمان والتصديق بصحة كل ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام مما يخالف شريعتك ظاهرا فكذلك يجب عليك الايمان والتصديق بصحة ما استنبطه المجتهدون وان خالف مذهب امامك انتهى وقد تتبعت بحمد الله ادلة المجتهدين فلم اجد فرعا من فروع مذاهبهم الا وهو مستند الى دليل اما آية او حديث أو أثر أو قياس صحيح على اصل صحيح لكن من أقوالهم ما هو مأخوذ من صريح الحديث أو الآية أو الاثر مثلا ومنه ما هو مأخوذ من المفهوم او مأخوذ من ذلك المأخوذ وهكذا فمن اقوالهم قريب واقرب وبعيد وابعد وكلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة التى هى الاصل ومحال ان يوجد فرع من غير اصل (وايضاح ذلك) ان نور الشريعة المطهرة هو النور الوضاح ولكن كلما اقرب الشخص منه يجده أضوأ من غيره وكلما بعد عنه فى سلسلة التقليد يجده اقل نورا بالنسبة لما هو اقرب من عين الشريعة وهذا هو سبب تفاوت اقوال علماء المذاهب وتضعيف بعضهم كلام بعض الى عصرنا هذا فان بيننا الآن وبين الشارع نحو خمسة عشر دورا وأين من يخرق بصره هذه الادوار كلها

فى الاجسام الطبيعية فمن ثقلت موازينه فهو السعيد فان الحسنة بعشر امثالها الى مائة الف فما فوق ذلك وقد فعل هذا حسنا فى ظاهر بدنه واراد حسنا فى باطنه واما الذى خفت موازينه وهو الشقى فلانه فعل سيأ والسيئة بواحدة فخفت موازينه بالنسبة الى ثقل ميزان السعيد قال ولم يعتبر الحق تعالى فى الوزن الا كفة الخير لا كفة الشر فهى الثقيلة فى حق السعيد الخفيفة فى حق الشقى مع كون السيئة غير مضاعفة ومع هذا فقد خفت كفة خيره فالكفة الثقيلة للسعيد هى بعينها الخفيفة للشقى لقلة ما فيها من الخير او عدمه بالكلية مثل الذى يخرجه الله من النار وما عمل خيرا قط غير ان هذا ليس فى كفة اليمين منه شئ اصلا وليس عنده الا ما فى قلبه من التوحيد الحاصل من العلم الضرورى وليس له فى ذلك تعمل مثل سائر الضروريات فلو اعتبر الحق فى الثقل والخفة الكفتين معا كفة الخير وكفة الشر لكان نزيد بيانا فى ذلك فان احدى الكفتين اذا ثقلت خفت الاخرى بلاشك خيرا كان او شرا هذا حكم وزن الخير والشر واما اذا وقع الوزن للعبد فيكون هو فى احدى الكفتين وعمله فى الاخرى ذلك بوزن آخر فيه ثقل ميزانه نزول عمله الى اسفل وذلك لان الاعمال فى الدنيا من

حتى

حتى يشهد اتصال اقوال جميع الادوار بعين الشريعة وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول مثال عين الشريعة المطهرة التى يتفرع منها كل قول من اقوال المجتهدين ومقلديهم مثال العين الاولى من شبكة الصياد ومثال اقوال علمائها مثال العيون المنتشرة منها فى سائر الادوار فمن كشف الله تعالى عن بصيرته وادرك العين الاولى وما تفرع منها اقر جميع اقوال علماء الاسلام بحق وشاهدها كلها مرتبطة بالعين الاولى من العيون كارتباط الظل بالشاخص أو كارتباط الاصابع بالكف ومن لم يكشف الله تعالى عن بصيرته اخطأ ضرورة كل ما زاد عن مطمح بصره واخرجه عن الشريعة قال وعلى ما قررناه ينزل القولان من ان كل مجتهد مصيب أو المصيب واحد والباقى مخطئ وبالاول قال جماعة من الاصوليين ومن المالكية ابو بكر بن العربى وغيره وبالثانى قال الجمهور انتهى وقد كنت وضعت بحمد الله تعالى ميزانا اوضحت فيها ادلة هذين القولين ثم لما رأيت الغالب على اهل المذاهب الاكباب على قول امامهم وعدم التدين بأقوال غيره الا ضرورة رجعت عنه (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول ما ثم لنا قول الا واصله مجمل فى الكتاب والسنة ولولا ذلك ما قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم لتبين للناس ما نزل اليهم بل كان يكتفى بتبليغه القرآن من غير بيان قال ولما كان من المعلوم انه لا يفصل العبارة الا العبارة نابت الرسل عليهم الصلاة والسلام عن الحق تعالى فى تفصيل ما اجمله تعالى فى كتابه العزيز وناب المجتهدون مناب الرسل عليهم الصلاة والسلام فى تفصيل ما اجملوه فى كلامهم وناب اتباع المجتهدين مناب المجتهدين فيما اجملوه من كلامهم وهكذا القول فى كلام اهل كل دور ممن بعدهم الى وقتنا هذا يفصل اهل كل دور ما اجمله الدور الذى قبلهم ولولا ان حقيقة هذا الاجمال سارية فى العالم ما شرحت الكتب ولا ترجمت من لسان الى لسان ولا وضع الناس على تفسير بعضهم وشروحه حواشى بل ربما وضعوا على الحواشى حواشى والسر فى ذلك ان غير الشارع صلى الله عليه وسلم اذا تكلم على حكم شرعى لا يمكنه ان يستحضر جميع ما يرد على تلك العبارة من الاسئلة والاحكام حتى يفصح عنها فى تلك العبارة بل ينسى اكثر الاحكام بخلاف الشارع صلى الله عليه وسلم فانه لا يتكلم الا بوحى من ربه عز وجل معصوم من الخطا ونقص المعانى وصحة الايرادات عليه وما كان ربك نسيا وغير الشارع بالعكس قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فعلم ان اهل كل دور درجة على من بعدهم كما ان للتابع من الخلق المنة على متبوعه من السلف من حيث علمه بعلم متبوعه وكتابة ثواب ذلك فى صحائفه فعلوم جميع الامة المحمدية وعلمهم فى صحائف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن من غير منة عليه صلى الله عليه وسلم بخلاف غيره من المجتهدين وغيرهم فافهم فلمحمد صلى الله عليه وسلم المنة على المجتهدين ومقلديهم الى يوم القيامة باعطائهم المادة التى يستنبطون منها الاحكام وليس للمجتهدين منة عليه صلى الله عليه وسلم انما لهم المنة على من قلدهم الى يوم القيامة فلولا التابع ما ظهر كمال المتبوع من الخلق فى كل دور بحسبه فافهم وكذلك لولا بيان الشارع صلى الله عليه وسلم ما اجمل فى القرآن باحاديث شريعته لبقى القرآن على اجماله الى وقتنا هذا وما كنا عرفنا كيفية تأدية الصلاة ولا الطهارة ولا عرفنا نواقض الطهارة ولا عرفنا انصبة الزكاة ولا شروطها ولا واجبات الصوم والحج ولا مفسدهما ولا كيفية العقود ولا المعاملات ولا غير ذلك مما هو معلوم وكذلك لولا بيان المجتهدين ما اجمل فى الشريعة لمقلديهم لبقيت السنة على اجمالها وهكذا الكلام فى كل دور بعدهم الى يوم القيامة يفصل كل دور ما اجمل فى كلام من قبله ومن زعم ان المجتهدين عرفوا المجمل من القرآن بلا واسطة بيان السنة له فليأتنا بمثال ذلك ولعله لا يجده (وايضاح ذلك) انه ليس لتابع علم من غير دائرة علم متبوعه ابدا كما ان كشف الاولياء لا يتعدى كتاب نبيهم

مثال النفوس والمشاق فهلها النار فتنزل كفة عمله تطلب النار وترتفع الكفة التى هو فيها الخفيفة فيدخل الجنة لانها العلو والشقى تثقل كفة الميزان التى هو فيها وتخف كفة عمله فيهوى فى النار وهو قوله فامه هاوية فكفة ميزان العمل هى المعتبرة فى هذا النوع من الوزن الموصوفة بالثقل فى السعيد لرفعه صاحبها والموصوفة بالخفة فى حق الشقى لثقل صاحبها وهو قوله يحملون أوزارهم على ظهورهم وليس الا ما تعطيهم من الثقل الذى يهوون به فى نار جهنم وحاصل ذلك ان وزن الاعمال بعضها ببعض يعتبر فيه كفة الحسنات ووزن الاعمال بعاملها يعتبر فيه كفة العمل انتهى فليتأمل ويحرر * وقال فى الباب الرابع والعشرين واربعمائة العبد المسلم محب لله ومحبوب لله ولكن الابتلاء لا يكون الا من وجه كونه محبا لله لا من وجه كونه محبوبا وذلك ليظهر بالابتلاء الصادق فى المحبة من الكاذب واطال فى ذلك ولا يرد على الشيخ قوله صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه لانا نقول محبة العبد لله عز وجل من لازم محبة الله العبد وحيث كان ذلك فقد صح كلام الشيخ * وقال فى الباب الرابع والثلاثين واربعمائة فى قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ففيه نفى تعلق العلم لا نفى العلم مع ان نفى العلم علم لمن فهم * وقال فى الباب الخامس والثلاثين

وسنته ابدا و بتقدير انه يأتينا بعلم من طريق كشفه لا يجوز لنا العمل به الا بعد عرضه على الكتاب والسنة وموافقته لهما وفي سنن البيهقي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ولى شريحا القضاء قال له انظر فما تبين لك في كتاب الله عز وجل صريحا فلا تسأل عنه احدا ومالم يتبين لك في كتاب الله تعالى فاتبع فيه سنة محمد صلى الله عليه وسلم ومالم يتبين لك في السنة فاجتهد فيه رأيك وان شئت فآمرني ولا ارى مؤامرتك اياي الا اسلم لك انتهى وقد تبرأ المجتهدون كلهم من القول في دين الله بالرأي كما اوضحنا ذلك في مقدمة كتابنا المسمى بالمنهج المبين في بيان أدلة المجتهدين وهو كتاب ما صنف في الاسلام مثله فراجعه * وملخص اقوالهم في ذلك ان البيهقي روى بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يقول اذا افتى الناس هذا رأي عمر فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمن عمر و يقول استغفر الله وروى البيهقي ايضا عن عبد الله بن عباس وعطاء ومجاهد ومالك بن انس رضي الله عنهم انهم كانوا يقولون ما من احد الا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن ابي حنيفة رضي الله عنه انه كان يقول لا ينبغي لمن لم يعرف دليلي ان يفتي بكلامي وكان رضي الله عنه اذا افتى يقول هذا رأي النعمان بن ثابت يعني نفسه وهو احسن ما قدرنا عليه فمن جاء باحسن منه فهو اولى بالصواب وكان الامام مالك يقول ما من احد الا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الحاكم والبيهقي عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه كان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبي وفي رواية اذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط وقال يوما للمزني يا ابراهيم لا تقلدني في كل ما اقول وانظر في ذلك لنفسك فانه دين وكان رضي الله عنه يقول لا حجة في قول احد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كثروا الا في قياس ولا في شيء وما ثم الا طاعة الله ورسوله بالتسليم وقد نقلنا جميع ما نقل عنه من التبري من الرأي في كراسة وكان الامام احمد رضي الله عنه يقول ليس لاحد مع الله تعالى ورسوله كلام (قلت) ولذلك لم يدون له كتابا ابدا في الفقه وجميع مذهبه الآن انما هو ملفق من صدور الرجال رضي الله عنه وبلغنا انه وضع في الصلاة ثلاثين الف مسئلة وسأله رجل مرة عن مسئلة فقال لا تقلدني ولا تقلدن مالكا ولا الاوزاعي ولا النخعي ولا غيرهم وخذ الاحكام من حيث اخذوا من الكتاب والسنة انتهى وهو محمول على من اعطى قوة الاجتهاد اما الضعيف فيجب عليه التقليد لاحد من الائمة والا هلك وضل (فان قلت) فما دليل المجتهدين في استنباطهم الاحكام وهل لا وقفوا على حد صريح ما ورد (فالجواب) دليلهم في الاجتهاد ما وقع من اجتهاده صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج في شأن الصلوات من المراجعة بين موسى عليه السلام و بين ربه عز وجل فان الله تعالى لما فرض على أمة محمد الخمسين صلاة نزل بها الى موسى ولم يقل شيأ ولا اعترض ولا قال هذا كثير فلما قال له موسى عليه السلام راجع ربك بقي صلى الله عليه وسلم متحيرا من حيث ان شفقته على امته تطلبه بالتخفيف عنهم لئلا يقعوا في الضجر والسآمة والكراهية من ثقل تلك التكاليف فلما بقي حائرا اخذ يطلب الترجيح اي الحالين اولى وهذا هو الاجتهاد فلما ترجح عنده انه يراجع ربه رجع الى قول موسى وأمضى ذلك في امته باذن من ربه عز وجل وكان في تشريع أمته الاحكام باذن الله تأنيسا لمحمد صلى الله عليه وسلم بما جرى منه لئلا يستوحش مع أن ما جرى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من التشريع فيه جبر لقلب موسى عليه السلام ايضا فان موسى لا بد اذا رجع الى نفسه وخف عنه الحال الذي كان عليه من وفور الشفقة يجد الله تعالى الذي كلف أمة محمد بالخمسين صلاة أرحم بهم من موسى و يرى ان الخمسين كانت من أقل ما ينبغي لجلال الله عز وجل في العبادة ولم يستكثر بها على العبيد وعلم ايضا ان الله تعالى لو امضى عليهم الخمسين

واربعمائة في حديث من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير انما عوقب هذا بالكفارة لان فيه حثا على فعل مكارم الاخلاق واليمين على ترك فعل الخير من مذام الاخلاق فعوقب بالكفارة وفي هذا اشارة الى ان لنا اخلاف الوعيد اذا لم يكن حدا مشروعا كان لنا الخيار فيه وعلمنا ان تركه أولى من فعله عند الله قلنا ان لا نفي به وان نتصف بالخلف فيه وأطال في ذلك * ثم قال وهنا دقيقة وهو ان من أساء الينا قد أعطانا من خير الآخرة ما نحن محتاجون اليه حتى لو كشف الغطاء لقلنا انه لم يحسن الينا احد مثل ما أحسن الينا ذلك المسيء ومن كان هذا مشهده فلا ينبغي ان يكون جزاء المسيء اليه الحرمان بل يعفو عنه ولا يجازيه و يكفيه قوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله او يحسن اليه بما عنده من الفضل على قدر ما تسمح به نفسه كما أشار اليه قوله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين الآية فتأمل ذلك والله أعلم * وقال في الباب السادس والثلاثين واربعمائة العبد ان يدعو على من آذاه بحصول العقوبات والانكاد والموت بقصد ان لا يزيد اي فيه وانما يكون ذلك خوفا عليه ان يزداد طغيانا وكفرا فيزداد من الله مقتا ولكن الدعاء ان آذاه

صلاة فلابد انه كان يقويهم على فعلها فان القوة بيد الله ولا يكلف نفسا الا وسعها ثم ان موسى عليه السلام لما ندم على قوله فى شأن المراجعة جبر الله تعالى قلبه بقوله تعالى ما يبدل القول لدى فى آخر رجعة وآنسه باطلاعه على ان القول قبل ذلك كان معروضا يقبل التبديل ولذلك سر بهذا القول وعلم ان من القول الالهى ما يقبل التبديل ومنه ما لا يقبله وعلم ان كلامه الذى كان ندم عليه من حيث معارضته لما فرضه الحق تعالى العليم الخبير ما وقع منه الا حين كان القول معروضا لا حين حق القول منه تعالى فعلم ان فى تشريع الاجتهاد للائمة المجتهدين جبر القلب محمد صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد فصار له اسوة بهم وصار لهم اسوة به فهذا كان منشأ الاجتهاد للمجتهدين (قلت) ومما اجرأ الائمة على استنباط الاحكام قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها واجر من عمل بها الى يوم (فان قلت) فهل يجوز لاحد الطعن فى قول مجتهد (فالجواب) لا يجوز لاحد الطعن فى حكم المجتهد لان الشارع قد قرر حكم المجتهد فصار شرعا لله بتقرير الله اياه فمن خطأ مجتهدا بعينه فكانه خطأ الشارع فيما قرره حكما وهذه مسئلة يقع فى محظورها كثير من اصحاب المذاهب لعدم استحضارهم لما نبهناهم عليه مع كونهم طاعنين به ذكره الشيخ فى باب مسح الخف من الفتوحات * وقال فى باب الوصايا منها اياكم والطعن على احد من المجتهدين وتقولون انهم محجوبون عن المعارف والاسرار كما يقع فيه جهلة المتصوفة فان ذلك جهل مقام الائمة فان للمجتهدين القدم الراسخ فى علم الغيوب فهم وان كانوا يحكمون بالظن فالظن علم وما بينهم وبين اهل الكشف الا اختلاف الطريق وهم فى مقامات الرسل من حيث تشريعهم للامة باجتهادهم كما شرعت الرسل لاممهم انتهى * وقال فى الباب التاسع والستين وثلثمائة بعد كلام طويل فى مدح المجتهدين فعلم ان المجتهدين هم الذين ورثوا الانبياء حقيقة لانهم فى منازل الانبياء والرسل من حيث الاجتهاد وذلك لانه صلى الله عليه وسلم اباح لهم الاجتهاد فى الاحكام وذلك تشريع عن امر الشارع فكل مجتهد مصيب من حيث تشريعه بالاجتهاد كما ان كل نبى معصوم قال وانما تعبد الله المجتهدين بذلك ليحصل لهم نصيب من التشريع ويثبت لهم فيه القدم الراسخة ولا يتقدم عليهم فى الآخرة سوى نبيهم صلى الله عليه وسلم فتحشر علماء هذه الامة حفاظ الشريعة المحمدية فى صفوف الانبياء والرسل لا فى صفوف الامم فما من رسول الا وبجانبه عالم من علماء هذه الامة او اثنان او ثلاثة او اكثر وكل عالم منهم له درجة الاستاذية فى علم الاحكام والاحوال والمقامات والمنازلات الى ان ينتهى الامر فى ذلك لخاتم الائمة المجتهدين المحمديين الذى هو المهدى عليه السلام انتهى * وقال ايضا فى باب الجنائز من الفتوحات انما امرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالصلاة على آله العلماء بقوله لنا قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم ليكون لآله الذين هم المجتهدين من الوحى مثل ما كان لآل ابراهيم الذين هم اسحق ويعقوب ويوسف من التشريع بالاجتهاد وان تفاوتت المقامات قال وقد حقق الله تعالى له رجاءه صلى الله عليه وسلم وجعل وحى المجتهدين فى اجتهادهم اذ المجتهد لم يحكم الا بما اراه الله تعالى فى اجتهاده ولذلك حرم الله على المجتهد ان يخالف ما ادى اليه الاجتهاد كما حرم على الرسل ان تخالف ما اوحى به اليهم فعلم ان الاجتهاد نفحة من نفحات التشريع ما هو عين التشريع وان معنى اللهم صل على آل محمد كما صليت على آل ابراهيم اى كما جعلت آل ابراهيم أنبياء ورسلا فى المرتبة عندك بما اعطيتهم من التشريع والوحى فارحم آل محمد ومن رحمتك ان تجعل خواص امتى مشرعين بالاجتهاد وقد وقع ذلك ولله الحمد فقد شبه المجتهدون الانبياء من حيث تقرير الشارع لهم كل ما اجتهدوا فيه وجعله حكما شرعيا انتهى * وقال فى الباب الحادى والستين ومائة اعلم ان جميع المجتهدين لهم فى مقام الارث النبوى القدم

بالاصلاح اولى من ان يدعو عليه بالهلاك والله سبحانه اعلم وقال فى الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة فى قوله تعالى ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية الآية كانت السكينة فى بنى اسرائيل خارجة عنهم وجعلها الله فى هذه الامة فى قلوبهم فلم تكن فى قلوب بنى اسرائيل والسكينة هى الطمأنينة كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب فعلوم هذه الامة كلها واسرارهم فى قلوبهم لا يكاد يظهر للناس منها الا ما كان فيه اقامة حجة أو فتح باب للاتباع والاقتداء ولذلك كان الناس ينكرون على اهل الله كل ما لم يظهر عليهم فيه اثر وتأمل قصة الاسراء لما خرج صلى الله عليه وسلم بكرة تلك الليلة وذكر لاصحابه ما وقع له فى تلك الليلة كيف أنكر عليه بعضهم لكونهم لم يروا لذلك اثرا فى الظاهر وموسى عليه السلام لما جاء من عند ربه كساه نورا على وجهه يعرف الناس به صدق ما ادعاه فما رآه أحد الا عمى فكان يسمع الرائى اليه وجهه بثوب مما عليه فيرد الله عليه بصره من شدة نوره ولذلك كان يتبرقع حتى لا يتأذى بذلك الرائى له عند رؤيته وجهه قال الشيخ وكان شيخنا ابو يعزى بالمغرب موسوى المقام فكان لا يرى أحد وجهه الا عمى ومن رآ شيخنا ابومدين فعمى فمسح أبومدين

الراسخة لكنهم لا يعرفون انهم فى ذلك المقام ولذلك ناظر بعضهم بعضا اسريان الامداد الالهية بالعلوم اليهم من هذا المقام فطلب كل واحد من صاحبه أن يرجع الى ما ظهر له من الادلة من وجوب أو تحريم أو ندب او كراهة وكما انهم لا يعرفون انهم فى ذلك المقام كذلك لا يعرفون ممن يستمدون كشفا ومشاهدة وانما يعرفون ذلك بواسطة الادلة فكل مجتهد على حق لاستمدادهم كلهم من عين الشريعة كما ان كل نبي تقدم على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم على حق والايمان بذلك واجب فعلم ان المجتهدين من هذه الامة ورثة الانبياء فى التشريع لكن لا يستقلون بشرع لانه لولا المادة التى أعطاها لهم الشارع من شرعه ما قدروا على التشريع المذكور فقد قامت لهم ادلتهم مقام الوحى للانبياء وكان اختلاف اجتهادهم كاختلاف شرائع الرسل الا انهم لا يلحقون بالرسل لعدم الكشف اليقيني فان أحدهم يحكم بحكم ثم يبدو له خلافه فيرجع عنه بخلاف الانبياء لا يتركون الحكم الاول الا بامر جديد يرد عليهم من الله تعالى ينسخ حكمه فهم فى حال علمهم وفى حال تركهم تابعون لامر الشارع خارجون عن رأى نفوسهم كما اشار اليه قوله تعالى لتحكم بين الناس بما اراك الله وقال فى خلافة داود ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فنص سبحانه وتعالى على حكم محمد وغيره بما اراه الله تعالى لنبيه ولم يقل له احكم بما رأيت بل عتبه لما حرم باليمين ما حرم على نفسه فى قصة عائشة وحفصة تشريعا لنا فقال يا أيها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات أزواجك فكان هذا من جملة ما أرته نفسه الشريفة وتبين ان المراد بقوله بما أراك الله اى ما يوحى به اليك لا ما تراه من رأيك فلو كان الدين بالرأى لكان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى من كل رأى واطال الشيخ محيي الدين فى ذلك فى الباب الثمانين وثلثمائة ثم قال واذا كان العتب وقع على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ارته نفسه فكيف برأى من ليس بمعصوم والخطأ اقرب اليه من الاصابة واطال فى ذلك ثم قال وقد دل هذا على ان المراد بالاجتهاد الذى ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاجتهاد فى طلب الدليل على نفس الحكم فى المسئلة الواقعة لا فى تشريع حكم فى النازلة من قبل نفس المجتهد فان ذلك شرع لم يأذن به الله (فان قلت) فمما اشتق الاجتهاد (فالجواب) انه مأخوذ من الجهد وهو بذل الوسع لا يكلف الله نفسا الا وسعها ومن هنا عمم بعضهم الحكم فى حصول الاجر للمجتهد اذا اخطأ ولو فى الاصول ولكن الجمهور خصوا الاجر بمن أخطأ فى الفروع دون الاصول مع أن تخصيص الخطأ بالفروع هو من الاجتهاد أيضا وقد قرر الشارع كل علم حصل بواسطة الاجتهاد وجعله حكما شرعيا فى حق المجتهد يحرم عليه مخالفته (فان قلت) فهل تقرير الشارع حكم المجتهد باق بعده الى يوم القيامة (فالجواب) نعم لا يجوز لاحد نقضه وقد أرسل الامام الليث بن سعد سؤالا للامام مالك يطلب جوابه فكتب اليه الامام مالك أما بعد فانك يا أخى امام هدى وحكم الله فى هذه المسئلة ما أدى اليه الاجتهاد انتهى (فان قلت) فاذا كان كل مجتهد مصيبا عندكم فما الجواب عن حديث اذا اجتهد الحاكم واخطأ فله اجر وان اصاب فله اجران (فالجواب) ان المراد بالخطأ فى هذا الحديث عدم مصادفة المجتهد الدليل الوارد فى تلك المسئلة من الكتاب او السنة فهذا له اجر واحد وهو اجر التتبع ولو انه كان وجد الدليل لكان له اجران اجر التتبع واجر مصادفة الدليل هكذا اجاب ابن حزم الظاهرى وغيره * وقد قال الشيخ محيي الدين فى الكلام على صلاة الكسوف من الفتوحات اعلم ان الخطأ الواقع للمجتهد بمنزلة الكسوف الواقع للشمس ليلا او للقمر نهارا فكما لا اعتبار بذلك كذلك لا وزر على المجتهد اذا اخطأ فى الحكم بل هو مأجور هذا على ان المراد بخطإ المجتهد خطؤه فى نفس الحكم كما هو المتبادر الى الاذهان اما على ما قاله ابن حزم الظاهرى فلا يصح خطأ المجتهدين فى الحكم لانه لو صح خطؤه فى الحكم لخرج عن الشرع واذا

فيه بالثوب الذى على أبي يعزى فرد الله عليه بصره قال وكان أبو يعزى فى زمانى وما اجتمعت به لما كنت عليه من الشغل وأطال فى ذلك ثم قال فمن جعل الله نوره فى قلبه فقد ملأ يديه من الخير فتأمل والله أعلم * وقال فى الباب التاسع والثلاثين وثلاثمائة ما تولى الله عز وجل عبدا من عبيده الا واسمعه كلامه من قلبه نثرا ونظما كما اشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم لحسان لما أراد أن يهجو قريشا نصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا حسان فان روح القدس يؤيدك ما دمت تنافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجعل صلى الله عليه وسلم للشيطان على حسان سبيلا وأطال فى ذلك * وقال نشأة الآخرة تشبه فى بعض الاحكام النشأة البرزخية فترى نفسها وهى واحدة فى صور كثيرة وفى أماكن مختلفة فى الآن الواحد فيدخل الانسان من أبواب الجنة الثمانية فى آن واحد من غير تقدم ولا تأخر ويجد الانسان نفسه داخلا من كل باب كما قال أبو بكر فما على من يدخل منها كلها يا رسول الله بأس الحديث قال ولذلك يطلب الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواطن القيامة فيجدونه من حيث طلبهم فى كل موطن يقتضيه ذلك الطلب فى الوقت الذى يجد الطالب الآخر فيه وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الحادى والاربعين

خرج

خرج عن الشرع فلا اجرفافهم (فان قلت) فهل الاجتهاد خاص بهذه الامة المحمدية ام هو فيها وفى غيرها وهل هو باق الى يوم القيامة ام لا (فالجواب) هو خاص بهذه الامة كما صرح به الشيخ فى الفتوحات وهو باق الى يوم القيامة حتى يخرج المهدى عليه السلام فلا اجتهاد بعده قال الشيخ محيي الدين فى كتاب الجنائز من الفتوحات واذا بلغ المريد مرتبة الاجتهاد المطلق حرم عليه الرجوع الى قول شيخه الا ان يكون دليل شيخه اوضح من دليله (فان قلت) فهل الاولى ان يسمى ماشرعه المجتهد سنة او يقال بدعة حسنة (فالجواب) الاولى ان يقال سنة حسنة واما قول عمر بن الخطاب فى التراويح نعمت البدعة فلا يقدح فى ذلك فان قوله ونعمت البدعة هى مدح لها فرجعت الى انها حسنة (فان قلت) ماقررتموه من ان الاجتهاد خاص بهذه الامة يشكل عليه قوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فانه كالصريح فى ان الاجتهاد كان فى الامم قبلنا لانه من جملة ما نفس الله به عن عباده وذلك يقتضى العموم (فالجواب) ليس اجتهاد الامم كاجتهادنا لعدم تقرير نبيهم لهم على ذلك بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه اقرنا على ذلك فصار اجتهادنا من شرعه بتقريره فلم يشبه اجتهادنا اجتهادهم لان اجتهادهم من باب القوانين العقلية بخلاف اجتهادنا وقال بعضهم لافرق بين اجتهادنا واجتهاد الامم قبلنا لانهم ماابتدعوا تلك الرهبانية الا باجتهاد منهم وطلب مصلحة عامة اوخاصة يقتضيها ادلة شريعتهم ويؤيد ذلك كون الحق تعالى اثنى على من رعاها حق رعايتها وما اثنى عليه الا لحسن القصد والنية فى ذلك مع انهم انما شرعوها لانفسهم لا للناس قال وعلى هذا ففى الآية تقديم وتأخير تقديره فما رعوها حق رعايتها الا ابتغاء رضوان الله فما ادموا الامن حيث قلة مراعاتهم لما ابتدعوه لاغير انتهى وذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين فى الباب الثامن والتسعين ومائة فليتأمل ويحرر (فان قلت) فما حكم من قلد مجتهدا من علماء الامة هل يكون بذلك معدودا من ورثة الانبياء ام هو وارث لذلك المجتهد فقط (فالجواب) هو وارث لذلك العالم فقط وهو مع ذلك معدود من اتباع النبى صلى الله عليه وسلم ايضا لان ذلك من جملة شرعه وكلامنا فيما لم يكن فيه نص عن الشارع اما مافيه نص فلا يدخله الاجتهاد ابدا كما اذا نص الشارع على تحريم شئ او وجوبه او استحبابه او كراهيته فلا سبيل لاحد الى مخالفته انما هو السمع والطاعة والتسليم فلو قدر ان مجتهدا خالف النص باجتهاده حرم علينا العمل بقوله وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم لما خطب فى قصة تزويج على على فاطمة ابنة ابى جهل ان فاطمة بضعة منى يسوءنى مايسوءها ويسرنى مايسرها وانه ليس لى تحريم مااحل الله ولا تحليل ماحرم الله ولكن ان اراد ابن ابى طالب ذلك يطلق ابنتى فوالله ماتجتمع بنت عدو الله مع بنت رسول الله تحت رجل واحد ابدا فما طلب صلى الله عليه وسلم مع معرفته بهذا الوجه الالهى الا ابقاء ماهو محرم على تحريمه وما هو محلل على تحليله فلم يحرم على على نكاح ابنة ابى جهل اذ كان ذلك حلالا له وانما قال ان اراد ابن ابى طالب ذلك الى آخره فرجع ابن ابى طالب عن ذلك فلو انه كان لاحد من المجتهدين ان يحرم مااحل الله باجتهاده لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى بذلك وما عدل مع انه له الكشف الاتم والحكم الاعم صلى الله عليه وسلم ذكره الشيخ فى الباب الثانى والمائتين من الفتوحات (فان قلت) فمن المراد بحديث العلماء ورثة الانبياء هل هم الاولياء ام الفقهاء (فالجواب) المراد بهم العلماء العاملون لجمعهم فى الارث بين القال والحال كما كان عليه علماء السلف فى الزمن الماضى فان حقيقة الصوفية هم علماء عملوا بعلمهم وتبعوا النبى صلى الله عليه وسلم فى الاخلاق فلما تخلف غالب الناس عن العمل سماهم الناس فقهاء لاصوفية وانما قال ورثة الانبياء ولم يقل ورثة نبى خاص لان كل عالم على قدم

وأربعمائة اعلم ان العلم والمعرفة والفهم فى الاصطلاح بمعنى واحد لكن بينها تميز منقول فى الدلالة كالتمييز الواقع فى الفاظهم فيقال فى الحق انه عالم ولا يقال فيه عارف ولا فهيم ويقال هذه الثلاثة القاب فى الانسان قال ولما اثنى تعالى على من اختصه من عباده بالعلم اكثر مما اثنى به على من اعطاه المعرفة علمنا ان اختصاصه بمن شاركه فى الصفة أعظم عنده وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الثالث والاربعين وأربعمائة فى قول الصديق رضى الله عنه مارأيت شيأ الا رأيت الله قبله اثبت رضى الله عنه انه يرى انفعال الاكوان عن الحق وحده ليس للكون فيه اثر البتة وليس هذا المشهد لغير المقام الصديقى فافهم * وقال فى الباب الثامن والاربعين وأربعمائة فى قول موسى رب ارنى أنظر اليك الى قوله تبت اليك وأنا أول المؤمنين اعلم ان مراده بقوله تبت اليك أى لا أطلب رؤيتك على الوجه الذى كنت طلبتها اولا فانى علمت عند تدكك الجبل مالم أكن اعلمه منك يارب وأنا اول المؤمنين أى بقولك لن ترانى لانك ما علمت ذلك الا لى وهو خبر فلذلك الحقه بالايمان لا بالعلم لولا ان المراد بالايمان الايمان بقوله لن ترانى ماصحت الاولية فان المؤمنين كانوا قبله ولكن بهذه الكلمة لم يكن مؤمن و اطال فى ذلك والله اعلم * وقال فى الباب السادس

نبي ممن تقدم محمدا ومن ورث محمدا صلى الله عليه وسلم نال الحظ الاوفر من ارث جميع الانبياء ودليل ماقلناه قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فانه ذكر ان الارث على قسمين وزادهم قسما ثالثا وهو الظالم لنفسه والمراد به من ظلم نفسه لمصلحة دينه وطلبا للثواب فحملها مشاق التكاليف التى لم يوجبها الله تعالى عليه حتى يسعد بها فى الآخرة وذلك كحال ابى الدرداء وامثاله من الرجال الذين صاموا فلم يفطروا وقاموا الليل فلم يناموا واخذوا بالعزائم دون الرخص فعلم ان الشريعة تشمل هذا القسم الثالث لتقرير الشارع لصاحبه على فعله وان كان ثم فوقه مقاما كمل منه كما اشار اليه حديث ان لنفسك عليك حقا الى آخره فان من ذكر فى الآية ماظلم نفسه الا ابتغاء مرضاة الله فاحتقر عملها فى جانب ماعليه من حقوق الربوبية وكذلك تشمل الشريعة الظالم لنفسه بالمعاصى اذامات على الاسلام لانه مصطفى فى العموم بالنسبة للكفار فلنا مصطفى فى الخصوص ومصطفى فى العموم فافهم انتهى (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول اكمل الورثة للانبياء هم المجتهدون رضى الله عنهم ظاهرا وقياما بالارث بتعليم شريعته للناس والفتوى بها بخلاف الصوفية عرفا فانهم معدون لتعليم الاخلاق الباطنة فى الغالب انتهى (وسمعته) ايضا يقول المجتهد المطلق هو الوارث الحقيقى للشارع لكون الشارع امره ان يعمل بكل ما ادى اليه اجتهاده (وسمعته) ايضا يقول الاجتهاد وان كان مبناه على الظن فقد يكون منتهاه الى علم اليقين او عين اليقين او حق اليقين (فان قلت) فما حقيقة هذه العلوم الثلاثة (فالجواب) حقيقة علم اليقين انه هو الذى اعطاه الدليل الصحيح الذى لا يقبل الدخل ولا الشبهة وحقيقة عين اليقين هو ما اعطته المشاهدة والكشف وحقيقة حق اليقين هو كل ما حصل فى القلب من العلم بما من ذلك الامر المشهود مثال علم اليقين علم العبد بان لله تعالى بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة يحج الناس اليه فى كل سنة ويطوفون به فاذا وصل العبد اليه وشاهده فهو عين اليقين الذى كان قبل الشهود علم يقين لانه حصل فى النفس عند رؤيته مالم يكن عندها قبل رؤيته ذوقا ثم ان الله تعالى لما فتح عين بصيرة هذا العبد حتى شهد وجه اضافة ذلك البيت الى الله وخصوصيته على غيره من البيوت علما لام الله تعالى تلك الخصوصية فكان علمه حق اليقين لكن ذلك ليس هو بنظره واجتهاده فان حق اليقين هو الذى حق استقراره فى القلب فلم يكن يزول بعد ذلك بدليل آخر فما كل علم يقين او عين يقين يحق له هذا الاستقرار والافاين يقين الانبياء من يقين آحاد الامة يقال يقن الماء فى الحوض اذا استقر (فان قلت) فهل يقدح فى علم اليقين وجود اضطراب من قبل الاسباب (فالجواب) ان كان الاضطراب من الوقوف مع الاسباب دون الله قدح ذلك فى علم اليقين وان كان هبوب النفس فى ازالة ذلك الاضطراب الى جناب الحق دون الاسباب فلا يقدح ذلك فى علمه لاعتقاده ان الحق تعالى هو الفاعل فان شاء ازال ذلك الامر بالاسباب اى عندها وان شاء ازاله بغير ذلك فصار متعلق اليقين الاعتماد على الجناب الالهى دون الاعتماد على الاسباب ذكره الشيخ فى الباب الثانى والعشرين ومائة * فقد بان لك بهذا التقرير ان اباحنيفة ومالكا والشافعى واحمد والسفيانين والاوزاعى وداود وسائر ائمة المسلمين على هدى من ربهم وان مذاهب الائمة كلها مفسوخة من الكتاب والسنة سداها ولحمتها منهما ووجب عليك حينئذ ان تعتقد جزما ان سائر ائمة المسلمين على هدى من ربهم اما كشفا ويقينا واما نظرا واستدلالا واما ادبا وتسليما ومابقى لك عذر فى تخلفك عن هذا الاعتقاد فان بعض الناس يقول ذلك بلسانه فقط دون قلبه ومصداق ذلك انه اذا اضطر الى العمل بقول احد غير امام مذهبه يلحقه بذلك حصر وضيق حتى كانه قد خرج عن الشريعة فاين دعواه انه يعتقد ان سائر ائمة المسلمين على هدى من ربهم فان من فعل الرخصة بشرطها فهو على هدى

من

والخمسين واربعمائة لا ينبغى للاشياخ ان يسلموا المريد حركة الوجد الذى يبقى معه الاحساس بمن فى المجلس ولا تسلم له حركته الان فاب وهو مما احس بمن فى المجلس تعين عليه ان يجلس الان يعرف الحاضرين انه متواجد لاصاحب وجد فيسلم له ذلك على ان هذه الحالة غير محمودة بالنظر الى مافوقها * وقال فى الباب الموفى ستين واربعمائة فى حديث مسلم فى تجلى الحق يوم القيامة فى الصور حين يقع الانكار من قوم اعلم ان صاحب مقام الاحسان هو الذى لا ينكره تعالى فى تجل من التجليات لانه جاوز مقام الاسلام والايمان وصاحب مقام الايمان ينكره فى تجليه فى مقام الاحسان وصاحب مقام الاسلام ينكره فى تجلى مقام الايمان والاحسان فان كل انسان انما ينكر مالم يذقه فى دار الدنيا ولا يخفى ان الاسلام عمل والايمان تصديق والاحسان رؤية اوكالرؤية فشرط الاسلام الانقياد وشرط الايمان الاعتقاد وشرط الاحسان الاشهاد (قلت) رأيت فى كلام سيدى على بن وفا رضى الله تعالى عنه ان وراء مقام الاحسان مقام الايقان ولم ار ذلك فى كلام احد غيره والله اعلم * وقال فى الباب الثانى والستين واربعمائة اعلم انه لاذوق لاحد فى مقامات الرسل ليتكلم عليها وانما غايته ذوق الوارث فلا

من ربه فيها ايضا وبالجملة فلا يصل الى اعتقاد ان سائر ائمة المسلمين على هدى من ربهم جزما ويقينا الا من سلك طريق القوم وقطع منازلها حتى وقف على العين التي يستمد منها جميع المجتهدين وقد وضعت في تقرير مذاهب جميع المجتهدين ميزانا عظيمة تعلمتها من مولانا ابي العباس الخضر عليه السلام فمن شاء فليراجعها والله عليم حكيم

(المبحث الخمسون في ان كرامات الاولياء حق اذ هي نتيجة العمل على وفق الكتاب والسنة فهي فرع المعجزات وان من لاحال له لا كرامة له وان كل من لم يخرق العادة في العلوم والمعارف والاسرار واللطائف والمجاهدات وكثرة العبادات لم تخرق له العادات)

اعلم انه قد تقدم في مبحث المعجزات ان كرامات الاولياء ثابتة شائعة بين اهل السنة والجماعة وانما أنكرها اكثر المعتزلة لعدمها فيما بينهم وذلك من ادل دليل على انهم اهل بدعة كما تقدم بسطه في المبحث المذكور ومن شبه المعتزلة في انكارها قولهم لو جوزنا وقوعها على يد الاولياء لعجز الناس عن الفرق بينها وبين المعجزة (والجواب) لا تعجيز لان المعجزة هي التي تظهر وقت الدعوى بخلاف الكرامة فان صاحبها لا يتحدى بها ولو اظهرها وقت الدعوى كانت شعبذة ثم ان ذلك يؤدي الى انكار كرامة السيدة مريم ونقل عرش بلقيس ونحوهما مما ثبت في الكتاب والسنة وكان ابو منصور الماتريدي رحمه الله يقول من الفرق بين المعجزة والكرامة ان صاحب المعجزة مأمون من الاستدراج وصاحب الكرامة لا يأمن ان يكون حاله كحال بلعام بن باعورا قال وانما أنكرت المعتزلة الكرامة بناء منهم على ان الفعل انما يكون معجزة لخرق العادة فحسب وليس كذلك بل ينضم الى خرق العادة التحدي بالنبوة والاقتران بدعوة النبي الا ترى ان آيات الساعة خارقة للعادة وليس بمعجزة انتهى (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول الكمل يخافون من وقوع الكرامات على ايديهم ويزدادون بها وجلا وخوفا لاحتمال ان تكون استدراجا ومعجزات الانبياء تزيد قلوبهم تثبيتا لعصمتهم عن وقوع الاستدراج لهم وايضا فان الانبياء يحتجون بالمعجزات على المشركين والاولياء يحتجون بالكرامات على نفوسهم لتصلح ولنفوسهم لتطمئن واجمع القوم على ان كل من خرق العادة بكثرة العبادات والمجاهدات لا بد له ان يخرق له العادة اذا شاءها وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله يقول من أصدق دليل على صحة طريق الصوفية واخلاصهم في اعمالهم ما يقع على ايديهم من الكرامات والخوارق قال ومن ادل دليل على اثبات جواز وقوع الكرامات كونها افعالا خارقة للعادة فاذا لم تؤد الى سد باب النبوة جاز ظهورها على ايدي الاولياء كجريان النيل بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورؤيته جيشه وهو اي الجيش بنهاوند العجم وهو على المنبر بالمدينة المشرفة حتى قال لامير الجيش ياسارية الجبل يحذره ممن وراء الجبل لمكر العدو به هناك وفي ذلك كرامتان احداهما رؤيته سارية مع بعد المسافة والثانية اسماع سارية كلامه كذلك وكشرب خالد بن الوليد السم من غير تضرر به وكقلب الاعيان واحياء الموتى باذن الله ونحو ذلك من الخوارق * وقال الاستاذ ابو اسحق القشيري رحمه الله ولا ينتهون الى نحو ولد دون والد ولا الى قلب جماد بهيمة قال ابن السبكي وهذا حق فخصص به قول غيره ما كان معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي اي فلا فارق بينهما الا التحدي فقط وتقدم في مبحث المعجزات تقييد قولهم ما كان معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي بما اذا ظهر الولي الكرامة بحكم التبع لا بحكم الاستقلال من غير اتباع للشرع وبما اذا لم يقل النبي هذه المعجزة لا تكون لاحد بعدي فراجعه وبالجملة فمن عاشر الصالحين بالصدق وخالطهم رأى كراماتهم عيانا وعرف صدقهم

الالهي * وقال لابد في كل اقليم أو بلد أو قرية من ولي لله عز وجل به يحفظ الله تلك الجهة سواء كان أهل تلك الجهة مؤمنين او كفارا * وقال في الباب الثالث والستين واربعمائة ما ورد في تفضيل بعض السور والآيات على بعض هو راجع الى التالي لا الى المتلو لان المتلو لا تفاضل فيه لانه كله كلام الله تعالى فالتفاضل راجع الى ماهي الآية عليه من حيث كونها متكلما بها لا في الكلام فليتأمل ويحرر * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم يؤتى بشيخ يوم القيامة بين يدي الله عز وجل فيقول له مافعلت من الحسنات فيقول يارب فعلت كذا وكذا والله يعلم انه كاذب فيأمر الله به الى الجنة فتقول الملائكة يارب انه كاذب فيقول الله تبارك وتعالى قد علمت ذلك ولكني استحييت منه أن أكذب شيبته اعلم ان في هذا الحديث حثا لنا أن نظهر لمن كذب علينا بصورة من نصدقه من غير أن نتركه يلحق بنا فان الشارع ما اخبرنا بذلك الا لنكون بهذه الصفة مع الناس * وقال سأل بعض الاقطاب ربه عز وجل أن يعطي مقامه لولده فقال له الحق تعالى في سره مقام الخلافة لا يكون بالوراثة انما ذلك في العلوم أو الاموال وقال وقد يفتح الله تعالى على الطالب على لسان شيخه بعلوم لم تكن عند

الشيخ محسن أدبه مع الله ومع شيخه قال وقد وقع لي ذلك وأفدت الطالب علوما لم تخطر لي قط على بال قبل سؤاله

(فان قلت) فهل يجب على الانسان الايمان بالكرامة اذا وقعت على يده كما يجب عليه الايمان اذا وقعت على يد غيره (فالجواب) نعم كما صرح به اليافعي رحمه الله وقال لا فرق بين وقوعها على يده او يد غيره (فان قلت) فهل يستحب للولي ان يحمي نفسه واصحابه بالحال والكرامة (فالجواب) نعم يستحب له ذلك كما صرح به سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله عنه وقال ان كان ذلك نقصا في المقام فهو كمال في العلم انتهى (فان قلت) فاذا ادعى شخص غريب لا يعرف له أب انه خلق من تراب كما وقع لآدم عليه السلام هل لنا تصديقه (فالجواب) نعم نصدقه لان غايته انه ادعى ممكنا لم يرد لنا نفي وقوعه ولا انه خاص بآدم عليه السلام هكذا اجاب بعضهم فليتأمل (فان قلت) ان الكرامات قد تشبه السحر فما الفارق بينهما (فالجواب) كما قاله الشيخ اليافعي رحمه الله وغيره من المحققين الفارق بينهما كون السحر يظهر على يد الفساق والزنادقة والكفار الذين هم على غير شريعة ومتابعة واما الكرامة فلا تقع الا على يد من بالغ في الاتباع للشريعة حتى بلغ الغاية فهذا هو الفارق بينهما قال اليافعي والناس في انكار الكرامات على أقسام فمنهم من ينكرها مطلقا وهم اهل مذهب مشهور ومنهم من يصدق بكرامات من مضى و يكذب بكرامات أهل زمانه فهؤلاء كبني اسرائيل فانهم صدقوا بموسى حيث لم يروه وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث رأوه حسدا وعدوانا ومنهم من يصدق بأن لله تعالى أولياء في عصره ولكن لا يصدق بأحد معين فهذا المحروم من جميع الامداد في عصره و بعضهم اذا رأى أحدا من أولياء زمانه متربعا في الهواء قال هذا استخدام للجن لا ولاية واطال اليافعي في ذلك ثم قال و بالجملة فلا ينبغي لاحد التوقف في الايمان بكرامات الاولياء لانها جائزة عقلا وواقعة نقلا اما جوازها عقلا فلانها من جملة الممكنات التي لا تستحيل على القدرة الالهية وبذلك قال اهل السنة والجماعة من المشايخ العارفين والنظار والاصوليين والفقهاء والمحدثين رضي الله عنهم اجمعين * واما وقوعها نقلا فمن ذلك قصة مريم عليها السلام في قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا الآية وفي قوله تعالى لها ايضا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وكان ذلك في غير أوان الرطب * ومن ذلك كلام كلب اهل الكهف معهم وقصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام في عرش بلقيس واتيانه به قبل أن يرتد الطرف وكل هؤلاء ليسوا بأنبياء * ومن ذلك كلام الطفل لجريج الراهب حين قال من ابوك قال فلان الراعي * ومن ذلك قصة اصحاب الغار الثلاثة الذين دعوا الله عز وجل بصالح اعمالهم فانفرجت عنهم الصخرة التي لا يستطيع الجم الغفير أن يزحزحوها عن فم الغار * ومن ذلك كلام البقرة التي حمل عليها صاحبها المتاع وقولها اني لم أخلق لهذا وانما خلقت للحرث كما في الصحيحين * ومن ذلك ان ابابكر الصديق رضي الله عنه اكل مع ضيفه فكان كلما اكل لقمة من تلك القصعة يربو من أسفلها اكثر منها حتى شبع الضيوف وهي اكثر مما كانت قبل الاكل بثلاث مرات * ومن ذلك استجابة دعوة سعد بن ابي وقاص في الرجل الذي كذب عليه كما في الصحيحين وكان يقول اصابتني دعوة سعد * ومن ذلك ما رواه ابو نعيم في الحلية ان عون بن عبد الله بن عتبة كان اذا نام في الشمس اظلته الغمام * ومن ذلك حديث البخاري في قصة خبيب حين كان أسيرا موثقا بالحديد وكانوا يجدون عنده العنب وما بارض مكة حينئذ عنب ومن ذلك قصة الرجل الذي سمع صوتا في السحاب يقول اسق حديقة فلان كما في الصحيح ومن ذلك قصة العلاء بن الحضرمي حين ارسله النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة وحال بين الجيش و بين عدوهم قطعة من البحر فدعا الله تعالى ومشوا كلهم بخيلهم ودوابهم على الماء ومن ذلك تسبيح القصعة التي اكل منها سلمان الفارسي وابو الدرداء حتى سمع تسبيحها الحاضرون روى هذا والذي قبله الحافظ ابو نعيم وغيره * ومن ذلك ان عمران بن الحصين كان يسمع تسليم الملائكة عليه

(وقال) من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم في اليقظة فقد رأى جميع المقربين لانطوائهم فيه ومن اهتدى بهديه فقد اهتدى بهدى جميع النبيين * وقال قد اجمعنا على انه لا موجد الا الله وانه حكيم يضع الامور كلها في مواضعها ومن شهد هذا علم يقينا ان كل ما ظهر في العالم فهو حكمه ووضعه في محله لكن مع هذا المشهد لا بد من الانكار لما أنكره الشارع فاياك والغلط وقال كنت من أبغض خلق الله تعالى للنساء وللجماع في أول دخولي الطريق وبقيت على ذلك نحو ثمان عشرة سنة حتى خفت على نفسي المقت لمخالفة ما حبب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما افهمني الله معنى حبب علمت ان المراد ان لا يحبهن طبعا وانما يحبهن بتحبيب الله عز وجل فزالت تلك الكراهة عني وانا الآن من أعظم الخلق شفقة على النساء لاني في ذلك على بصيرة لا عن حب طبيعي واطال في ذكر قوله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل الآية (قلت) وتقدم الكلام على هذه الآية ايضا في الباب الثاني والعشرين من الفتوحات فراجعه ترى العجب والله أعلم وقال انما انسب الحق تعالى الخلق الى عباده في قوله تعالى فتبارك الله احسن

*ومن ذلك مارواه ابو نعيم عن عبد الله بن شقيق انه كان اذا مرت عليه سحابة يقول لها أقسمت عليك بالله الا امطرت علينا فتمطر في الحال * ومن ذلك ان عامر بن عبد قيس كان يعطى عطاءه فيضعه في حجره و يصير يقبض منه و يعطي الناس حتى يصل الى داره فيعده فيجده لم ينقص منه شئ * ومن ذلك ان عبد الرحمن بن ابي نعيم بلغ الحجاج انه يمكث خمسة عشر يوما لا يأكل ولا يشرب فحبسه الحجاج خمسة عشر يوما ثم فتح الباب فوجده قائما يصلي بالوضوء الذي دخل به الحبس * ومن ذلك ان حارثة بن النعمان الصحابي كان يقول لعياله في كل شئ احتاجوا اليه ارفعوا الفراش تجدوا حاجتكم فيرفعونه فيجدونها ولم يكن تحت الفراش شئ قبل ذلك * وبالجملة فقد ورد عن السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الكرامات ما يبلغ حد الاستفاضة * وقد سئل الامام احمد رضي الله عنه لم يشتهر عن الصحابة من كثرة الكرامات كما وقع ان بعدهم من الاولياء فقال انما لم يشتهر عن الصحابة كثرة كرامات لان ايمانهم كان في غاية القوة بخلاف ايمان من بعدهم فكلما ضعف ايمان قوم كثرت كرامات اولياء عصرهم تقوية ليقين الضعفاء منهم ويؤيد ذلك قول ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان مريم عليها السلام كان يتعرف اليها في بداياتها بخرق العوائد بغير سبب تقوية لايمانها وتكميلا ليقينها فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا فلما قوي ايمانها ويقينها ردت الى السبب لعدم وقوفها معه فقيل لها وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا انتهى (فان قيل) اذا كان الحق تعالى خلاقا على الدوام يوجد كوائن بعد كوائن فما ثم عوائد تنخرق انما هو خلق جديد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين وثلثمائة نعم والامر كذلك ونقله عن المحققين من اهل الكشف ولفظه اعلموا انه ليس عند المحققين عوائد تنخرق ابدا وانما هو ايجاد كوائن وما ثم في نفس الامر عوائد تنخرق لعدم التكرار في الوجود فما ثم هناك ما يعود وانما هي خرق العوائد في ابصار العامة فقط والى ذلك الاشارة بقوله تعالى بل هم في لبس من خلق جديد اى في الصفات لا في الذوات فافهم انتهى * وقال في الباب الثاني والخمسين وثلثمائة اعلم ان أكابر الاولياء يشهدون كونهم في حال خرق العادة في عين العادة فلا يشهدهم الناس الا وهم آخذون من الاسباب ولا يفرقون بينهم وبين العامة وليس لاصحاب خرق العوائد الظاهرة من هذا المقام شمة لانهم آخذون من الاسباب مع الوقوف معها فما زالت الاسباب عنهم وانما خفيت عليهم لانه لا بد لصاحب خرق العادة الظاهرة من حركة حسية هي سبب عين وجود ذلك المطلوب فيغرف او يقبض بيده من الهواء ذهبا او سكرا ونحوهما فلم يكن الا عن سبب من حركة يده وقبض وفتح فما خرج عن سبب لكنه غير معتاد فسموه خرق عادة انتهى (فان قلت) فهل كرامة كل ولي تكون تبعا لمعجزة من هو وارثه من الانبياء أم هي غير متوقفة على ارث (فالجواب) لا يكون قط كرامة لولي الا تبعا لمن هو وارثه من الانبياء ولذلك كان خواص هذه الامة يمشون في الهواء وخواص قوم عيسى يمشون على الماء دون الهواء فكل وارث لا يتعدى كرامة مورثه فلا يقال كيف قال صلى الله عليه وسلم عن عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على الهواء مع ان عيسى عليه السلام اقوى يقينا من خواص هذه الامة الذين مشوا على الهواء بلا ارتياب لانا نقول ان الخواص منا ما مشوا على الهواء الا بحكم التبعية لنبيهم صلى الله عليه وسلم فانه اسرى به محمولا في الهواء فما كان مشي الخواص منا على الهواء لزيادة يقينهم على يقين عيسى عليه السلام وانما كان لصدق التبعية لمحمد صلى الله عليه وسلم فهن مع الرسل في خرق العوائد التي اختصوا بها وورثناهم فيها بحكم صدق التبعية لا غير الا ترى ان المماليك الذين يمسكون نعال اساتيذهم من الامراء يدخلون مع اساتيذهم على السلطان وغيرهم من الامراء واقف على الباب حتى يؤذن لهم بالدخول ومعلوم ان الامراء

الخالقين فانه أثبت ان ثم خالقين ولكن الله تعالى أحسنهم خلقا وذلك انه تعالى اذا خلق شيأ يخلقه من شهود في علمه فيكسوه الخالق حلة الوجود بعد أن كان معدوما في شهود الخلق بخلاف العبد اذا خلق الله على يديه شيأ لا يخلقه الا من تقدم تصور اى تصور من أعيان موجودة يريد أن يخلق مثلها او يبدع مثلها فحصل الفرق بين خلق الله وخلق العباد واكثر من هذا الايقال * وقال في الباب الخامس والستين واربعمائة أعل هبل أعل هبل هو صنم كان يعبد في الجاهلية وهو الحجر الذي يطؤه الناس في العتبة السفلى من باب بني شيبة وهو الآن مكبوب على وجهه و بلط الملوك فوقه البلاط * وقال في الباب السابع والستين واربعمائة أعلى المحامد عندنا بلا خلاف عقلا وشرعا قولنا ليس كمثله شئ لانه لا يصح ان يثني على الله تعالى بما لا يعقله العبد فما بقي الا أن يثني عليه بما يتعقله والحق تعالى وراء كل ثناء العبد فيه شرف فاني علمت شيأ او عقلته كان صفتك ولا بد فحقيقة التسبيح هي التسبيح عن التسبيح مثل قولهم التوبة هي التوبة من التوبة اذ التسبيح تنزيه ومعلوم أنه لا نقص في جانب الحق قال واذا كان كل شئ يسبح بحمده فسبح بعد ذلك او لا تسبح فانك مسبح شئت ام أبيت علمت او جهلت وأطال في ذلك ثم قال واعلم انا لا نحمد الله الا بما أعلمنا ر

ارفع مقاما عند السلطان من المماليك فما دخل المماليك الا بحكم التبعية لا ساداتهم لا لشرفهم على الامراء انتهى ذكره الشيخ فى الباب السادس والثلاثين من الفتوحات (فان قلت) فما المراد بقولكم فى ترجمة المبحث ان الكرامات فرع المعجزات (فالجواب) مرادنا انها فرع الحال النبوى فلا تقع كرامة لولى الا ان كان صحيح الحال والحال هو ما يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب ومن علامته تغير صفات صاحبه فهو الى الوهب اقرب من الكسب ولذلك يقتل صاحب الحال بالهمة و يعزل و يولى كما عليه بعض الطوائف بافريقية (فان قلت) فهل هذا الحال خاص باهل الاسلام (فالجواب) نعم هو خاص باهل الاسلام وان وقع لبعض المشركين انه مشى فى الهواء او قتل بالهمة فذلك باستعمال عقاقير على اوزان معلومة فيفعل بها ما اراد وهذا بخلاف حال اهل الله عز وجل والفارق بين الحالين هو ان اهل الله عز وجل لا يحصل لهم هذا الحال الا بعد المبالغة فى اتباع الشريعة بخلاف الكفار فان حكم حالهم حكم من شرب الدواء المسهل فيفعل ما وضع له بالخاصية لا بالمكانة عند الله عز وجل فلا يسمى بالكرامة الا من كان صاحبه على شرع (فان قلت) فهل القتل بالهمة والولاية والعزل الذى يقع من بعض الاولياء كمال فيهم ام نقص (فالجواب) هو نقص بالنسبة لما فوقه من المقامات وقد اعطى الشيخ ابو السعود بن الشبل مقام التصريف فى الوجود فتركه وقال نحن قوم تركنا الحق تعالى يتصرف لنا فكان أكمل من الشيخ عبد القادر الكيلانى مع انه تلميذه هكذا ذكره الشيخ فى الباب الثانى والتسعين ومائة وايضا فان الكامل لا يجد فى الوجود شيأ حقيرا حتى يرسل تصريفه عليه او ينفذ همته فيه ومن شرط نفوذ الهمة ان تكون على حقير فيرى صاحب الحال نفسه كبيرا وغيره حقيرا فيجمع حقارته فى قلبه ثم يتوجه بقلبه اليه فيؤثر فيه القتل او المرض ونحو ذلك (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول الكامل من الاولياء هو من مات عن التصريف والتدبير اكتفاء بفعل الله تعالى له فيسرق الناس ماله حال حياته و يسرقون ستره وشمعه بعد مماته فلا يقابل احدا بسوء بخلاف الولى الناقص كل من تعرض له عطبه وذلك علامة على بقايا بخل عنده ومن شرط الكامل الكرم حيا وميتا انتهى (فان قلت) فما الفرق بين الكرامة والمعجزة (فالجواب) الفرق بينهما ان الرسول يجب عليه اظهار المعجزة من اجل دعواه اذا توقف ايمان قومه عليها بخلاف الولى لا يجب عليه اظهار الكرامة انما الواجب عليه سترها هذا ما عليه الجماعة وذلك الولى تابع والتابع غير مشرع فهو يدعو الى شرع قد ثبت وتقرر على يد رسوله فلا يحتاج الى اظهار كرامة على ان يتبعه الناس على ما دعاهم اليه * وقال الشيخ فى الباب الحادى والثلاثين ومائتين انما كان الاولياء يجب عليهم ستر الكرامات دون الرسل عليهم الصلاة والسلام لان الولى متبع فهو يدعو الى الله بحكاية دعوة الرسول الذى ثبت عنده رسالته بلسانه لا بلسان يحدثه من قبل نفسه وقد صار الشرع كله مقررا عند العلماء فلا يحتاج ولى الى آية ولا بينة على صدقه بل لو فرض انه قال ما يخالف شرع رسوله لم يتبع عليه بخلاف الرسول يحتاج الى آية لانه ينشئ التشريع و يريد ينسخ بعض الشرائع المقررة على يد غيره من الرسل فلذلك كان لا بد له من اظهار آية تدل على صدقه وانه يخبر عن الله تعالى انتهى وكان يقول قد وضع الله تعالى ميزان الشرع بيد العلماء اهل التقوى فهم ارباب التعديل والتجريح فما وقع على يد من ظهرت امارات اتباعه للشرع سموه كرامة وما وقع على يد غيره سموه سحرا او شعبذة وغير ذلك ذكره الشيخ فى الباب الخامس والثمانين ومائة قال ولا يخفى ان الكرامة عند أكابر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس الا ان كانت لنصرة دين او جلب مصلحة لان الله تعالى هو الفاعل عندهم لاهم هذا مشهدهم وليس وجه الخصوصية الا وقوع ذلك الفعل الخارق على يدهم دون غيرهم فاذا احيا كبشا مثلا او دجاجة فانما ذلك بقدرة الله لا بقدرته واذا رجع

لا ينبغى للعبد ان يثنى على الله تعالى بخلقه المحقرات عرفا والمستقذرات طبعا وان كان ذلك داخلا فى قول العبد الحمد لله خالق كل شئ ولكن لا ينبغى فى الادب التعيين المحقر لئلا ينسب العبد الى سوء العقيدة مع ان ذلك صحيح لو قاله العبد قال ولا امثل به لانى استحيى ان يقرا فى كتابى مع انى ما ارى شيأ فى الوجود حقيرا من حيث ان الله تعالى اعتنى به وابرزه فى الوجود والله اعلم * وقال فى الباب الحادى والسبعين واربعمائة فى قوله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل ما تقرب المتقربون الى بمثل اداء ما افترضت عليهم ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه الحديث اعلم ان عبادة الفرض عبادة اضطرار وعبادة النفل عبادة اختيار فيها رائحة دعوى لانها كالتواضع ومعلوم ان التواضع تعمل لا يقوم الا ممن له سهم فى الرفعة والعبد ليس له سهم فى السيادة ولهذا قالوا العبد من لا عبد له فنقص النفل عن درجة الفرض وايضاح ذلك ان علم العبد مربه ينقص بقدر ما اعتقده من النفل بل من اول قدم يضعه فى النفل يتصف بالنقص فى العلم به وبالامر عليه واطال فى ذلك ثم قال فعلم

الامر الى القدرة فلا تعجب فتأمل (فان قلت) فهل التطور الذى يقع للاولياء كمال ام نقص (فالجواب) هو كمال يدل على فناء بشريتهم وقوة ارواحهم حتى صاروا كاهل الجنة يلبسون من الصور ماشاؤا فان من غلبت بشريته على روحانيته فهو كثيف لا يصح له تطور واذا التطور من خصائص الارواح * وقد ذكر الشيخ محيى الدين فى الباب الثالث والستين وار بعمائة ان الحلاج كان يدخل بيتا عنده يسميه بيت العظمة فكان اذا دخله ملأه كله بذاته فى عين الناظرين حتى ان بعض الناس نسبه الى علم السيمياء لجهله باحوال الفقراء فى تطوراتهم ولما دخلوا عليه ليأخذوه للصلب كان فى ذلك البيت فما قدر احد يخرجه من ذلك البيت لان الباب يضيق عنه فجاءه الجنيد وقال سلم لله تعالى واخرج لما قضاه وقدره فرجع الى حالته المعهودة وخرج فصلبوه وكان ينشد وهو يرفل فى قيوده حال ذهابهم به الى الصلب

حبيبى غير منسوب * الى شئ من الحيف
سقانى ثم حيانى * كفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكاسات * دعا بالنطع والسيف
وذاك جزاء من يشرب * مع التنين فى الصيف

(فان قلت) فما دليل القوم فى تسميتهم ماوقع على يد المتبعين للشرع كرامة دون المخالفين (فالجواب) دليلهم فى ذلك ان الكرامة صادرة من حضرة اسمه تعالى البر فلا يكون الا للابرار من عباده جزاء وفاقا اذ المناسبة تطلبها وان لم يطلبها اصاحبها ذكره الشيخ فى الباب الرابع والثمانين ومائة واطال فى ذلك ثم قال واعلم ان الكرامة على قسمين حسية ومعنوية ولا تعرف العامة الا الحسية مثل الكلام على الخاطر والاخبار بالمغيبات الآتية والاخذ من الكون والمشى على الماء واختراق الهواء وطى الارض والاحتجاب عن الابصار واجابة الدعوة فى الحال ونحو ذلك فهذا عند العامة هو الولى (واما) الكرامة المعنوية فهى التى بين الخواص من اهل الله تعالى واجلها واشرفها ان يحفظ الله على العبد آداب الشريعة فيوفق لفعل مكارم الاخلاق واجتناب سفسافها وان يحافظ على اداء الواجبات والسنن فى اوقاتها مطلقا والمسارعة الى الخيرات وازالة الغل والحقد والحسد وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الانفاس ومراعاة حقوق الله تعالى فى نفسه وفى الاشياء ومراعاة انفاسه فى دخولها وخروجها فيتلقاها بالادب ويخرجها وعليها حلة الحضور مع الله تعالى لانها رسل الله اليه فترجع شاكرة من صنيعه معها فهذه عند المحققين هى الكرامات التى لا يدخلها مكر ولا استدراج بخلاف الكرامات التى يعرفها العامة فانه يمكن ان يدخلها المكر والاستدراج فالكامل من قدر على الكرامة وكتمها ثم اذا فرضنا كرامة فلا بد ان تكون نتيجة عن استقامة فلا يبعد ان يجعلها الله عز وجل هى حظ جزاء اعمال ذلك الولى فيذهب الى الآخرة صفر اليدين من الخير وانما قلنا ان الكرامات المعنوية لا يدخلها مكر ولا استدراج لان العلم يصحبها والحدود الشرعية لا تنصب حبالة للمكر الالهى بل هى عين الطريق الواضحة الى نيل السعادة (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول اذا وقع على يد الكامل شئ من الكرامات المحسوسة خاف وضج الى الله تعالى وسأل الله ستره بالعوائد وان لا يتميز عن العامة بامر يشار اليه فيه ماعدا العلم فان العلم هو المطلوب وبه تقع المنفعة ولو لم يعمل احد به قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (وسمعته) ايضا يقول اسنى ما اكرم الله تعالى به العلماء هو العلم خاصة فهو الكرامة التى لا يعادلها كرامة اذا عمل به وذلك لان موطن الدنيا انما هو للعلم والعمل واما النتائج من خرق العوائد ونحو ذلك فانما موطنه الدار الآخرة انتهى * وقد ذكر الشيخ فى الباب السابع والسبعين ومائة ان اعظم الكرامات ان يصل

أن حب الله لصاحب الفرائض أكمل من حبه لصاحب النوافل كما أشار اليه حديث اذا قال العبد لاخيه انا أحبك فاحبه الآخر فانه لا يلحقه فى درجته فى الحب أبدا لان حب الاول ابتداء وحب الثانى جزاء فلن يكافئه أبدا كما أن حب العناية من الله للانبياء أعلى من حب الكرامة للاولياء (قلت) ومن هنا كان الائمة الذين هم أكابر القوم لا يصلون مع الفرائض الا مالا بد منه من مؤكدات النوافل خوفا أن يقوم بهم دعوى انهم أتوا بالفرائض على وجه الكمال الممكن وزادوا على ذلك فانه لا نفل الا من كمال فرض ونعم ماذهبوا ولكن ثم ماهو أعلى وهو أن يكثر من النوافل توطئة لمحبة الله لهم ثم يرون ذلك جبرا لبعض مافى فرائضهم من النقص والله أعلم * وقال فى الباب الثانى والسبعين وأربعمائة فى قوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول فى هذه الآية نفى للمحبة أن يكون متعلقها الجهر بالسوء من القول مع أن الجهر بالسوء قد يكون قولا وقد يكون فعلا فيكون المراد بهذا السوء القولى واما السوء الفعلى فقد وقع التصريح بالنهى عنه فى آيات أخر وربما كان ذلك يؤخذ من هذه الآية بطريق الاولى والمراد بالجهر به ظهوره وافشاؤه من العبد كما فى حديث من بلى منكم بشئ من هذه

العبد الى حد لو غمل العالم كله عن الله عز وجل لقام ذكر ذلك الولى مقام ذكر الجميع فاذا قال سبحان الله مثلا انتقش فى جوهر نفسه جميع ما كان يقوله ذلك العالم كله لو ذكر الله تعالى وذلك لان الله تعالى اذا جازى ذلك الولى اعطاه مثل ثواب جميع العالم انتهى (فان قلت) فما الذى يحفظ الولى من المكر الخفى الذى فى الكرامات الحسية (فالجواب) يحفظه من ذلك عدم رمى ميزان الشرع من يده ليزن بها احاله فى كل نفس لان فى الكرامات مكرا خفيا لا يشعر به الا العارفون قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * قال الشيخ فى الباب الحادى والثلاثين وماتين واكثر ما يقع المكر الخفى للمتاولين آيات الصفات واخبارها وفيمن يبقى على حاله مع وقوعه فى المخالفات وفيمن يرزق العلم الذى يطلب العمل ويحرم العمل به او يرزق العمل ويحرم الاخلاص فيه فاذا رأيت يا اخى هذا الحال من نفسك او من غيرك فاعلم ان المتصف بذلك ممكور به واطال فى ذلك ثم قال فعلم ان الله تعالى ما اخفى المكر الا عن الممكور به خاصة دون غير الممكور به فان الله تعالى ما اعاد الضمير فى يعلمون الا على الضمير فى سنستدرجهم * وقال ايضا ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فضمر قوله هم هو المضمر فى مكروا فكان مكر الله تعالى بهؤلاء هو عين مكرهم الذى اتصفوا به وهم لا يشعرون واطال فى ذلك ثم قال وكل من لا يدعو الى الله على بصيرة وعلم يقينى فهو غير محفوظ من المكر وان كان هو صاحب اتباع والله تعالى اعلم

*(المبحث الحادى والخمسون فى بيان الاسلام والايمان وبيان انهما متلازمان الا
فيمن صدق ثم اخترمته المنية قبل اتساع وقت التلفظ فان
الايمان وجد هنا دون الاسلام كما سيأتى
ايضاحه ان شاء الله تعالى)*

واعلم ان الاسلام الشرعى هو اعمال الجوارح من الطاعات كالتلفظ بالشهادتين والصلاة والزكاة وغير ذلك كما بينه حديث الشيخين بقوله الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ثم ان هذه الاعمال الاسلامية لا يخرج الانسان بها عن عهدة التكليف بالاسلام الا مع الايمان وحقيقته تصديق القلب بما علم مجىء الرسول به من عند الله ضرورة كما بينه سؤال جبريل فى حديث الصحيحين السابق بقوله فيه الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره والمراد بتصديق القلب بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذعان لما جاءت به الرسل والقبول له * قال ائمة الاصول والتكليف بذلك تكليف باسبابه كالقاء الذهن وصرف النظر وتوجيه الحواس وصرف الموانع والا فذلك ليس من الافعال الاختيارية التى هى مناط التكليف وانما هو من الكيفيات النفسانية واشاروا بقولهم والتكليف بذلك تكليف باسبابه الى سؤال وجوابه تقرير السؤال ان التصديق احد قسمى العلم وهو من الكيفيات النفسانية دون الافعال الاختيارية فكيف يتعلق التكليف بتحصيله وتقرير الجواب ان تحصيل تلك الكيفية اختيارا يكون باختيار مباشرة الاسباب وصرف النظر وما ذكر معهما والتكليف بها معناه التكليف بذلك لا يقال وانشراح الصدر الذى هو اول المبادى فى النظر ليس هو باختيار العبد ايضا لانا نقول ما رقى فوق ذلك فهو من علم سر القدر الذى نهى العلماء عن افشائه والايضاح عنه (فان قلت) فهل الايمان مخلوق او غير مخلوق (فالجواب) الايمان من حيث هو هداية من الله تعالى غير مخلوق لان الهداية صفة من صفاته تعالى وصفات الله قديمة واما من حيث هو اقرار من العبد واذعان فهو مخلوق لانه معدود حينئذ

القاذورات فليستتر يعنى لا يجهر بها واطال فى ذلك ثم قال فعلم ان السوء على نوعين سوء مشروعى وسوء يتسوء له
وان حده الشرع ولم يذمه فهذا السوء هو سوء من حيث كونه يسوءك لا ان السوء فيه حكم الله كما فى السيئة الثانية فى قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فان السيئة الاولى فى الآية شرعية لان صاحبها تعدى حد الله والسيئة الثانية التى هى جزاء ليست بشرعية وانما سميت سيئة لانها تسوء المجازى بها فان الله لا يشرع البداءة بالسوء ولكن لما اطلق فى الاصطلاح فى لسان على السيئ والحسن نزل الشرع من عند الله بحسب التواطئ فانهم سموا سوأ وقالوا ان ثم سوأ فاخبرنا الله تعالى انه لا يحب الجهر بالسوء من القول الا من ظلم اى لا يحب السوء الذى سميتموه انتم سوأ لكونه لا يوافق اغراضكم فانه الاحسن بالنسبة سيئ بالنسبة فى الحقيقة ولكن كل ما وافق الاغراض من القول فهو حسن كما ان كل شئ من الله حسن فاعلم ذلك أم سر فليتأمل ويحرر * وقال فى قوله تعالى ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون اعلم ان من الادب ان تمشى حيث مشى بك الشرع وتقف حيث وقف بك فتعقل فيما قال لك فيه اعقل وتؤمن فيما قال لك فيه آمن وتنظر فيما قال لك فيه انظر يعنى تفكر وتسلم فيما قال لك فيه

من اعمال العبد والله خلقكم وما تعملون قال ثمناولا يعتبر التصديق المذكور في خروج العبد به
عن عهدة التكليف بالايمان الامع التلفظ بالشهادتين القادر عليه وذلك لان الشارع جعل
التلفظ بالشهادتين علامة لنا على التصديق الخفي عنا حتى يكون المنافق مؤمنا فيما بيننا كافرا عند
الله تعالى قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا * قال الشيخ كمال
الدين بن أبي شريف في حاشيته وحاصل هذه المسئلة كما قاله بعضهم ان جمهور المحدثين والمعتزلة
والخوارج ذهبوا الى ان الايمان ليس هو التصديق فقط بما علم مجيء الرسول به في احكام الدنيا
والبرزخ والآخرة وانما هو مجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه فمن اخل
بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند
الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة ورأيت على حاشية الحاشية بخطه ايضا
مانصه حاصل الكلام في هذه المسئلة ان الايمان شرط للاعتداد بالعبادات فلا ينفك الاسلام المعتبر
عن الايمان وان كان الايمان قد ينفك عنه فلا يوجد اسلام معتبر بدون الايمان وقد يوجد الايمان
المعتبر بدون الاسلام كمن صدق ثم اخترمته المنية قبل اتساع وقت التلفظ ومن قال ان الايمان
والاسلام واحد فسر الاسلام بالاستسلام والانقياد الباطن بمعنى قبول الاحكام فمن حقق النظر ظهر له
ان الخلاف في انهما مترادفان ام لاخلاف في مفهوم الاسلام وقد قال بالترادف كثير من الحنفية وبعض
الشافعية انتهى * قال الشيخ تاج الدين بن السبكي وهنا سؤال وهو انه هل التلفظ بالايمان الذي هو
الشهادة شرط للايمان او شطر منه فيه تردد للعلماء قال الجلال المحلي وكلام الغزالي يقتضي انه ليس
بشرط ولا شطر وانما هو واجب من واجباته قال الكمال في حاشيته على شرح جمع الجوامع وايضاح
ذلك ان يقال في التلفظ هل هو شرط لاجراء احكام المؤمنين في الدنيا من التوارث والمناكحة وغيرهما
فيكون غير داخل في مسمى الايمان او هو شطر منه اي جزء من مسماه قال والذي عليه جمهور المحققين
الاول وعليه فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه من الاقرار كان مؤمنا عند الله تعالى قال وهذا
اوفق باللغة والعرف وذهب شمس الائمة السرخسي وفخر الاسلام البزدوي من الحنفية وكثير من
الفقهاء الى الثاني والزمهم القائلون بالاول بأن من صدق بقلبه فاخترمته المنية قبل اتساع وقت الاقرار
كان كافرا وهو خلاف الاجماع على مانقله الامام الرازي وغيره (فان قلت) فهل الايمان يتجزأ
اي يتبعض (فالجواب) ان الايمان واحد لا يتبعض حتى يكون جزء منه في مكان في البدن وجزء منه
في مكان آخر بل نوره منتشر في جميع الاعضاء حتى انه اذا قطع عضو منه ذهب الايمان في القلب لكونه
لا يتجزأ والله اعلم هذا ملخص ماوجدته عن ائمة الاصول * واما عبارات الشيخ محيي الدين فقال في
الباب الستين وار بعمائة من الفتوحات المكية اعلم ان الاسلام عمل والايمان تصديق والاحسان رؤية
او كالرؤية فالاسلام انقياد والايمان اعتقاد والاحسان اشهاد فمن جمع هذه النعوت لم ينكر شيأ من
تجليات الحق تعالى حيث يتجلى في الآخرة وينكره بعضهم كما في حديث مسلم فكان الحق تعالى
تجلى له في سائر التجليات وحده ومن لم يجمع في اعتقاده بين هذه النعوت انكره ضرورة في كل مالم يذقه
في دار الدنيا انتهى * وقال ايضا في الباب الحادي والخمسين وثلثمائة اعلم ان الصدق محله الخبر
والخبر محله الصادق وليس هو بصفة لاصحاب الادلة وانما هو نور يظهر على قلب العبد يصدق به
المخبر عن الله تعالى او عن غيره ويكشف له ذلك النور عن صدق المخبر ويرجع عنه برجوع المخبر لان
نور الصدق تابع للمخبر حيث مشى والمصدق بالدليل ليس هذا حكمه ان رجع المخبر لم يرجع لرجوعه
فهذا هو الفارق بين الرجلين قال وهذه المسئلة من اشكل المسائل في الوجود فان الاحكام المشروعة

وآيات لقوم يسمعون وآيات للعالمين وآيات للمؤمنين وآيات للموقنين وآيات لاولي النهى وآيات لاولي الالباب وآيات لاولي الابصار ففصل كما فصل لك الحق ولا تتعدا الى غير ماذكر لك ونزل كل آية وعبرة موضعها وانظر فيمن خاطبه بها واجعل نفسك مخاطبا بها فانك مجموع ماذكر فانك منعوت بالعقل والايمان والتفكر والتقوى والعلم والسمع واللب والابصار وغير ذلك فانظر بنظرك في تلك الصفة التي نعتك بها واظهر بها تكن ممن جمع له القرآن وأعطى الفرقان * وقال في الباب الثالث والسبعين واربعمائة في قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به اعلم ان الشرك عدم لا وجود له هذا يتيقنه المؤمن بايمانه واذا كان عدما فالاشراك عدم واذا كان الاشراك عدما فلا يغفره الله اذ الغفر الستر ولا يستر الا من له وجود والشريك عدم فما ثم من يستر فهي كلمة تحقيق فمعنى قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به انه لا وجود له ولو وجد لصح وكان للمغفرة عين تتعلق بها واطال في ذلك * وقال في الباب الخامس

والسبعين واربعمائة في قوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله اعلم ان شعائر الله اعلامه واعلامه الدلائل عليه الموصلة

اخبار الهية يدخلها النسخ والتصديق تبع الحكم فيثبته مادام المخبر يثبته و يرفعه مادام المخبر برفعه ولا يتصف الحق تعالى بالبداء فى ذلك وهذا هو الذى جعل بعض الطوائف ينكرون النسخ فى الاحكام واما الصادق فما كذب نفسه فى الخبر الاول وانما هو اخبر بثبوته واخبر برفعه وهو صادق فى الحالين فعلم ان صدق الايمان نور كشفى لا يقبل صاحبه دخول الشبه عليه اصلا اه (فان قلت) فهل ثم فرق بين الصدق والحق أم هما بمعنى واحد (فالجواب) انهما شيآن لان الحق ما وجب فعله والصدق ما اخبر به على الوجه الحق الذى هو عليه وقد يجب فيكون حقا وقد لا يجب فيكون صدقا لا حقا فلهذا قال تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم يعنى فان كان وجب عليهم فعله نجوا وان لم يجب عليهم بل منعوا منه هلكوا ذكره الشيخ فى الباب الرابع والسبعين وثلثمائة واطال فى ذلك ⁎ ثم قال واعلم ان من الحقوق ما يقتضى الثناء الجميل على من لا يقيمه كالمحرم المستحق للعقاب باجرامه يعفى عنه فهذا حق قد ابطل وهو محمود كما ان الغيبة والنميمة وافشاء سر الزوجة صدق وهو مذموم فكل حق صدق وما كل صدق حقا لان الصادق يسئل عن صدقه ولا يسئل ذو الحق اذا قام به عنه فالغيبة واشباهها صدق لا حق والسلام (فان قلت) فكم ينقسم نور الايمان على قسم (فالجواب) هو على قسمين كما ان اهله على قسمين (القسم الاول) من آمن من نظر واستدلال وبرهان فهذا لا يوثق بثبات ايمانه لدورانه مع الدليل ومثل هذا لا يخالط بشاشة نور ايمانه القلوب لانه لا ينظر الا من خلف حجاب دليله وما من دليل من ادلة اصحاب النظر الا وهو معرض لحصول الدخل فيه والقدح ولو بعد حين فلهذا كان لا يمكن صاحب البرهان ان يخالط الايمان بشاشة قلبه للحجاب الذى بينه وبينه (القسم الثانى) من كان برهانه حين حصول الايمان فى قلبه لامر آخر ضرورى وهذا هو الايمان الذى يخالط بشاشة القلوب ولا يتصور فى حق صاحبه شك لان الشك لا يجد محلا يعمره فان محله الدليل وما ثم دليل فما ثم ما يرد عليه الدخل ولا الشك ذكره الشيخ فى الباب الثالث والسبعين ⁎ وقال قبله فى الباب الخامس من الفتوحات اعلم ان الايمان على خمسة اقسام ايمان عن تقليد وايمان عن علم وايمان عن عيان وايمان عن حق وايمان عن حقيقة فالتقليد للعوام والعلم لاصحاب الادلة والعيان لاهل المشاهدة والحق للعارفين والحقيقة للواقفين واما حقيقة الحقيقة الزائدة على الخمسة اقسام فهى للمرسلين وقد منعنا الحق تعالى من كشفها فلا سبيل الى بيانها انتهى وتقدم فى المقدمة اول الكتاب ان من اخذ ايمانه تقليدا جزما للشارع فهو أعصم وأوثق ممن يأخذ ايمانه عن الادلة وذلك لما يتطرق اليها من الدخل والحيرة (فان قلت) فاى الناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام أعلى ايمانا (فالجواب) أعلى الناس ايمانا وتصديقا الصحابة على اختلاف طبقاتهم ثم من يؤمن بالغيب على الكمال كاهل زماننا رأينا سوادا فى بياض فآمنا به وصدقناه ولم نقل كما قال غيرنا هذا اساطير الاولين فالحمد لله رب العالمين (فان قلت) فما الوجه الجامع بين قول بعضهم الايمان لا يزيد ولا ينقص وبين قول الجمهور انه يزيد وينقص (فالجواب) الوجه الجامع بينهما ان يحمل قول من قال انه لا يزيد ولا ينقص على ايمان الفطرة ويحمل قول من قال انه يزيد وينقص على ما بين الفطرة الى طلوع الروح فان كل انسان لا يموت الا على ما فطر عليه وايضاح ذلك كما قاله الشيخ فى الباب الاحد وثمانين ومائتين ان يقال الايمان الاصلى الذى لا يزيد ولا ينقص هو الفطرة التى فطر الله الناس عليها وهو شهادتهم له تعالى بالوحدانية فى الاخذ للميثاق فكل مولود يولد على ذلك الميثاق ولكنه لما حصل فى حصر الطبيعة فى هذا الجسم الذى هو محل النسيان جهل الحالة التى كان عليها مع ربه ونسيها فافتقر الى النظر فى الادلة على وحدانية خالقه اذا بلغ الى الحال التى يعطيه النظر وان لم يبلغ الى هذا الحد كان حكمه حكم والديه فما

الى مفرقته ويا عجبا كيف يصل اليه من هو عنده قال ولما كانت البدن من شعائر الله لهذا كانت تشعر أى تجرح ليعلم انها من شعائر الله وما وهب لله لا رجعة فيه الا ترى انها اذا ماتت قبل الوصول الى البيت الحرام كيف ينحرها صاحبها ويخلى بينها وبين الناس ولا يأكل منها شيأ قال واعلم ان الشعائر جمع شعيرة وكل شعيرة دليل على الله واطال فى ذلك ⁎ وقال فى الباب السادس والسبعين واربعمائة ثم من العلوم علم يعلم ولا يعتقد ولا ينطق به ولا يجرى على لسان عبد مختص الا فى مضايق الاحوال لا غير ⁎ وقال فى الباب الثامن والسبعين واربعمائة فى قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها اعلم ان الحق تعالى لا بد ان يوصل لكل مخلوق رزقه الذى قسمه له قال وليس ذلك من اهانته عليه ولا كرامته فانه تعالى يرزق البر والفاجر والمكلف وغير المكلف وغاية اعتنائه تعالى بالعبد ان يقسم له حلالا لا شبهة فيه قال تعالى بقية الله خير لكم أى ما احل لكم تناوله من الشئ الذى تقوون به على طاعة ربكم قال وليس رزق العبد الا ما تقوم به نشأته وتدوم به قوته وحياته لا ما جمعه وادخره فقد يكون ذلك لغيره وحسابه على جامعه وأطال فى ذلك ⁎ وقال فى الباب الثمانين واربعمائة فى

نظر

نظر العبد فى الادلة الا ليرجع الى الحالة التى كان عليها عند اخذ الميثاق كالذى يكون مسافرا والسماء مصحية وهو يعرف جهة القبلة وصوب مقصده فحصل لها سحاب وغيم حتى صار لا يعرف جهة مقصده ولا القبلة ومثل هذا يجب عليه الاجتهاد فافهم وسيأتى قريبا ايضاح ذلك (فان قلت) فما حكم من تقدم ايمانه بتوحيد الله شرك ورثه عن ابويه او عن نظره او عن الامة التى هو فيها (فالجواب) حكمه حكم من لم يغير ولم يبدل لان التوبة تجب ما قبلها فكان ذلك الايمان هو عين ايمانه الميثاقى لا غيره فان المشرك مقر بوجود الله لكنه اشرك به حين حال بينه وبين توحيده الحجاب فلما ارتفع الحجاب رجع لحالته عند الميثاق (فان قلت) فايهما اقرب الى الايمان المشرك او المعطل (فالجواب) كما قاله الشيخ ابو طاهر القزوينى المعطل اقرب الى الايمان من المشرك فانه لا بد لكل انسان ان يجد فى نفسه مستندا فى وجوده الى امر ما لا يدرى ما هو فيقال له ذلك الذى لا تدرى ما هو هو الله الذى خلقك ورزقك فربما آمن به وصدق فان حدث له بعد ذلك هل هو واحد او اكثر كان فى محل النظر الذى فى ذلك او يقلد من يعتقده من الموحدين فما ثم على هذا ايمان محدث بل هو مكتوب فى قلب كل مؤمن على ما هو التفصيل أوائل المبحث (فان قلت) فاذن بالتوحيد تتعلق السعادة وبنفيه يتعلق الشقاء المؤبد (فالجواب) نعم والى ذلك الاشارة بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا يعنى فى العهد الميثاقى آمنوا اى لقول رسولنا لكم آمنوا فلولا ان الايمان كان موجودا عندهم ما وصفوا به فقد بان لك بهذا التقرير ان ايمان الفطرة هو الذى يموت عليه العبد وهذا لا يزيد ولا ينقص وان المراد بزيادته ونقصه هو ما طرأ فى العمر والله اعلم * وقال فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم ان المراتب التى تعطى السعادة للانسان اربعة الايمان والولاية والنبوة والرسالة ثم ان العلم من شرائط الولاية وليس من شرط الولاية الايمان لان متعلق الايمان الخبر وقد يوجد ولى لله تعالى من غير ايمان كقس بن ساعدة فانه موحد لا مؤمن وهو سعيد بلا شك فاول مرتبة العلماء بالله تعالى توحيدهم ثم ايمانهم ثم علمهم وما اتخذ الله من ولى جاهل به ابدا وقد تقدم فى مبحث اهل الفترات انه يصح ان يلغز فيقال لنا شخص يدخل الجنة وهو غير مؤمن وهو من وحد الله تعالى بنور وجده فى قلبه ولم يكن فى زمنه شرع يؤمن به وهى مسئلة عظيمة اغفلها العلماء فانه يدخل تحت فلك الولاية كل موحد لله بأى طريق كان توحيده (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وكيف صح الايمان مع الشرك (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب السابع والتسعين واربعمائة ان المراد بهذا الشرك هو شرك النفس فان المؤمن الكامل هو من آمن بالله لا بنفسه ويؤيد ذلك قوله تعالى وليؤمنوا بى اى لا بنفوسهم فيرون انها مدخلا فى الايمان بل الواجب ان يروا حصول الايمان محض فضل من الله تعالى واطال فى ذلك ثم قال وهذه الآية لا تعطى الايمان بتوحيد الله وانما تعطى مشاهدة ميثاق الذرية حين اشهدنا الحق تعالى على انفسنا بقوله ألست بربكم وقلنا بلى ولم يكن هناك الا التصديق بالملك والوجود لا بالايمان والتوحيد وان كان هناك توحيد فهو توحيد الملك فمعنى قوله تعالى الا وهم مشركون اى حين خرجوا الى الدنيا لان الفطرة انما كانت على ايمانهم بوجود الحق والملك كما مر فلما احتجب التوحيد عن الفطرة ظهر الشرك فى الاكثر ممن يزعم انه موحد وما اداهم الى ذلك الا التكليف فانه لما كلفهم تحقق اكثرهم ان الله ما كلفهم الا وقد علم ان لهم اقتدارا نفسيا على ايجاد ما كلفهم به من الافعال فلم يخلص لهم توحيد ولو انهم علموا ان الله تعالى ما كلفهم الا لما فيهم من الدعوى فى نسبة الافعال اليهم لكانوا تجردوا عنها بنفوسهم كما فعل اهل الشهود فعلم انه لو كان المراد بالايمان فى الآية التوحيد لم يصح قوله الا وهم مشركون فدل على انه تعالى لم يرد الايمان بالتوحيد وانما اراد الايمان بالوجود انتهى (فان قلت) فمن اين شقى الكفار (فالجواب) شقوا

قوله صلى الله عليه وسلم فى الغيث انه حديث عهد بربه أى قريب التكوين وكذلك عيسى عليه السلام لما لم يكن عن أب عنصرى لم يحل بينه وبين ادراك قربه من الله حائل لبعده عن عالم الاركان فى خلقه فلم يكن ثم ما يغيبه عمن صدر عنه فقال وهو صبى فى المهد مخبرا عما شاهده من الحال ما قال من جهة براءة امه وبرأها الله بنطقه عما كانوا افتروا عليها فكان نطقه احد الشاهدين وتحنين الجذع اليه هو الشاهد الثانى وقد اكتفى بالشاهدين العدلين فى الحكومات ولا اعدل من هذين قال وكان نطقه أن قال انى عبد الله فحكم على نفسه بالعبودية لله وما قال ابن فلان لانه لم يك ثم آتانى الكتاب فحصل له الحكمة قبل بعثه فكان على بينة من ربه وجعلنى نبيا فحكم بان النبوة بالجعل وجعلنى مباركا اى خصنى بزيادة لم تحصل لغيرى وتلك الزيادة هى ختمه لدورة الولاية ونزوله آخر الزمان وحكمه بشرع محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ليرى ربه يوم القيامة فى المرآة المحمدية التى هى اكمل المرايا اينما كنت دنيا واخرى واوصانى بالصلاة يعنى المفروضة فى امة محمد ان اقيمها اذا نزلت لانه جاء بالالف واللام فيها والزكاة كذلك ما دمت حيا زمان التكليف وهو الحياة الدنيا وبرا بوالدتى لانها محل تكوينه ولم يجعلنى جبارا شقيا وذلك

بحكم القضاء الذي لا مرد له فلم يرجعوا الى حالة الميثاق ابد الآبدين ودهر الداهرين واضافوا الربوبية لله تعالى فلم ينكروها احد مطلقا وانما اشركوا معها ربوبية أخرى وزادوا على ذلك تكذيب الرسل فشقوا اشقاء الابد نسأل الله حسن الخاتمة من فضله واحسانه * وقال الشيخ في الباب الرابع واربعين واربعمائة في قوله تعالى الا لله الدين الخالص المراد بهذا الدين هو الدين الذي خلص لنفسه في وفاء العهدية وليس المراد به ما استخلصه العبد من الشيطان او من الباعث عليه من خوف من نار او رغبة في جنة فانه قد يكون الباعث الكاف على اخلاصه مثل هذه الامور فيكون العبد من المخلصين ويكون الدين بهذا الحكم مستخلصا من يد من يعطي المشاركة فيه فيميل العبد به عن الشرك ولهذا قال تعالى حنفاء لله اي غير مائلين به الى جانب الحق الذي شرعه واخذه على المكلفين من جانب الباطل اذ قد سماهم الحق تعالى مؤمنين في كتابه فقال في طائفة انهم آمنوا بالباطل وكفروا بالله فكساهم خلعة الايمان فعلى هذا ليس اسم الايمان خاصا بالسعداء ولا الكفر خاصا بالاشقياء من حيث الالفاظ وانما ذلك من حيث المعاني فان قرائن الاحوال هي التي تميز في العهد الخالص هو الذي اخذه الله من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ثم ان كل بني آدم ولدوا على الفطرة وهذا هو الميثاق الخالص لنفسه الذي ما ملكه احد غصبا فاستخلص منه بل لم يزل خالصا لنفسه في نفس الامر طاهرا مطهرا ومن هنا كان ابو يزيد البسطامي وسهل بن عبد الله التستري واضرابهما يقولون ما نقصنا من ميثاق الحق تعالى شيئا بل عهده باق عندنا سالما خالصا وهذا هو الدين الخالص لا المخلص بفتح اللام المشددة لانه قام في العبد من غير استخلاص ولم يزل محفوظا من النقص قبل تكليف صاحبه وبعده فمثل هؤلاء لم يؤمروا بأن يعبدوا الله مخلصين له الدين اذ لا فعل لهم في الاستخلاص هكذا ذكره الشيخ محيي الدين في بعض نسخ الفتوحات والذي يظهر لي ان لسان الامر بالاخلاص عام في كل مقام بحسبه حتى مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاعبد الله مخلصا له الدين وقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وعلى ما قرره الشيخ محيي الدين يكون المخاطب بالاخلاص للدين حقيقة امته صلى الله عليه وسلم لا هو فهو المخاطب بالاخلاص والمراد به غيره لانه اذا كان خواص امته لا يصح منهم تغيير العهد الميثاقي فكيف به صلى الله عليه وسلم الذي هو صاحب جميع المقامات فتأمل والله تعالى اعلم (فان قلت) فهل يقدح في الايمان عدم ايماننا بحياة الجماد (فالجواب) نعم يقدح ذلك في ايمان كل مؤمن وقد ذكر الشيخ في الباب السابع والخمسين وثلثمائة انه يجب على كل مؤمن حفظ ايمانه مما ينقصه كان لا يؤمن بحياة كل شئ أخبر الحق تعالى انه يسبح بحمده فان الله تعالى ما نفى حياة كل شئ وانما نفى كوننا نفقه تسبيحه لا غير فاهل الكشف يشهدون ذلك عيانا واهل الايمان الكامل يقبلون ذلك ايمانا وعبادة قال وانما عقب ذلك بقوله انه كان حليما غفورا الذين هما اسما الحجاب والستر وتأخير المؤاخذة الى الآجل وعدم حكمها في العاجل لما علم ان في عباده من حرم الكشف والايمان الكامل وهم عبيد الافكار من العقلاء واطال في ذلك * ثم قال واهل الكشف يقولون سمعنا نطق الجمادات وآبناه واهل الايمان يقولون آمنا بذلك وصدقنا وعبيد الافكار من المحجوبين يقولون ما سمعنا ولا رأينا قال وتأمل في قوله تعالى اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم كيف عقبها بقوله ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون لما علم ان طائفة من الناس لا يؤمنون بذلك ويخرجونه بالتأويل عن آخره ومعنى لا يوقنون اي لا يستقر الايمان بالآيات التي هذه الآية منها في قلوبهم بل يقبلون ذلك على غير وجهه الذي قصد له فالله يرزق جميع اخواننا الايمان ان لم يكونوا من اهل العيان آمين وسيأتي في مبحث

الاطفال عند الولادة حتى يصرخ الولد اذا خرج من طعنته فلم يصرخ عيسى بل وقع ساجدا لله حين خرج ويوم اموت تكذيبا لمن افترى عليه انه قتل لانه لم يقل ويوم اقتل ويوم ابعث حيا في القيامة الكبرى فكان في اتيانه الحكم صبيا رضيعا في المهد بيان تمام وصلته بربه وانه اتم من يحيى ابن خالته لان عيسى سلم على نفسه بسلام ربه ولهذا ادعي فيه أنه اله ويحيى سلم عليه ربه تعالى واطال في ذلك ثم قال واعلم ان الناس انما كانوا يستغربون الحكمة من الصبي الصغير دون الكبير لانهم ما عهدوا الا الحكمة الحاصلة عن الفكر والروية وليس الصبي في العادة محل لذلك فيقولون انه منطق بها فتظهر عناية الله بهذا المحل الطاهر فزاد يحيى وعيسى بانهما على علم ما نطقا به علم ذوق لان ظهور مثل ذلك في ذلك الزمان والسن لا يصح الا ذوقا فان الله آتاه الحكم صبيا وهو حكم النبوة الذي لا يكون الا ذوقا قال الشيخ وقد قلت مرة لبنتي زينب وهي في سن الرضاعة قريبا عمرها من سنة ما تقولين في الرجل يجامع حليلته ولم ينزل فقالت يجب عليه الغسل فتعجب الحاضرون من ذلك ثم اني فارقت تلك البنت وغبت عنها

عذاب القبر وسؤال منكر ونكير بيان أدلة تسبيح الجمادات بلسان المقال فراجعه (فان قلت) فهل يجب التحفظ من قبول هدية من أمرنا الله تعالى بمعاداته (فالجواب) نعم يجب علينا ذلك فان فى الحديث تهادوا وتحابوا وللعطاء أثر قادح فى الايمان اذ المحسن محبوب للنفس قهرا عليه وهذه مسئلة خطرة فى حق كل محجوب عن شهود العطاء من الله عز وجل فكيف يطلب من يرى العطاء من الخلق انه لا يحب الكفار والظلمة المصرين على المعاصى اذا قبل برهم واحسانهم هذا أمر عسر على غالب الخلق الا من شاء الله لانه خروج عن الطبع فهو وان لم يكن له أثر فى الظاهر فله أثر فى الباطن انتهى (فان قلت) فاوضح لنا أمثالا نعرف به المؤمن الكامل (فالجواب) المؤمن الكامل من صار الغيب عنده كالشهادة فى عدم الريب وتولاه الله تعالى بالايمان الذى هو القول والعمل والاعتقاد الصحيح فكان قوله وفعله مطابقا الاعتقاده فى ذلك الفعل ولهذا قال تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يريد ما قدموه من الاعمال الصالحة عند الله قال صلى الله عليه وسلم المؤمن من آمنه الناس على انفسهم وأموالهم وفى رواية المؤمن من أمن جاره بوائقه (وسمعت) أخى أفضل الدين رحمه الله يقول من شرط كمال الايمان ان يصير الغيب عند المؤمن كالشهادة سواء ويسرى منه الأمان فى نفس العالم كله فيأمنه المؤمنون الكاملون على القطع على انفسهم وأموالهم وأهليهم من غير ان يتخلل ذلك الأمان تهمة فى أنفسهم من هذا الشخص فمن لم يكن فيه هاتان العلامتان فلا يغالط ولا يدخل نفسه فى كمل المؤمنين (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول من ادعى كمال الايمان بما وعده الله عليه فليمتحن نفسه فيما وعده الله به من مضاعفة الصدقة مثلا الى سبعين ضعفا وأكثر فان وجدها لا تتوقف فى اعطاء أحد من المحتاجين شيأ ولو أنفقت جميع ما بيدها فليعلم ان ايمانه بذلك كامل فيجب عليه الشكر لله عز وجل وان توقفت عن العطاء مع وجود قوت يومها وليلتها فليعلم انه ناقص الايمان بما وعده الله تعالى ولو ان يهوديا جاس بشكارة ذهب وقال كل من أعطى فقيرا نصفا أعطيته دينارا لتزاحم الناس على العطاء وأعطوا الفقراء كل ما بأيديهم من الفضة نسأل الله تعالى اللطف (وسمعته) يقول أيضا فى قوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اذا رأيت يا أخى من يدعى كمال الايمان ويذكره الناس فلا تنفعه الذكرى فاعلم انه فى ذلك الحال ناقص الايمان بمرة فان شهادة الله حق وهو صادق وقد أعلمنا ان المؤمن ينتفع بالذكرى وقد رأينا هذا لم ينتفع بالذكرى فلابد ان نقول ان ايمانه توارى عنه تصديقا لله ولا معنى للنفع الا وجود العمل منه وبالجملة فلا نرى أحدا يتوقف عن العمل بما امر به الا وفى نفسه احتمال ومن قام له فى شئ اخبره الصادق به احتمال فليس هو بكامل الايمان مع انك لو سألته لقال لا أشك فى صدق ما اخبرنا الله به ورسوله فتنبه يا أخى لنفسك فانك الآن تأتى الله تعالى وانت كامل الايمان من غير كثير عمل خير لك من ان تأتيه بأعمال الثقلين وفى ايمانك ثلمة ونقص فعلم كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والخمسين ومائة ان الايمان علم ضرورى يجده المؤمن فى قلبه لا يقدر على دفعه وكل من آمن عن دليل فلا وثوق بايمانه كما ذكرناه فى مقدمة هذا الكتاب وذلك لان صاحب الدليل معرض للشبه القادحة فى ايمانه اذ هو ايمان نظرى لا ضرورى والنظرى صاحبه أسير الدليل فكل شئ ترجح عنده فى وقت وترك ما كان عليه قبل ذلك ولهذا لا يشترط فى وجود الرسالة اقامة الدليل للمرسل اليه ولذلك لم نجد مع وجود الدليل وقوع الايمان من كل أحد بل من بعضهم فقط فلو كان لنفس الدليل لعم ونراه أيضا يوجد ممن لم ير دليلا فدل على ان الايمان انما هو نور يقذفه الله فى قلب من يشاء من عباده لا بدليل ولذلك قلنا لا يشترط فيه وجود الدليل وقد ذكر نحو ذلك الشيخ محيى الدين فى الباب التاسع والخمسين ومائة قال وقد نبهتك على سر

سنة فى مكة وكنت أذنت والدتها فى الحج فجاءت مع الحاج الشامى فلما خرجت الاقامتها رأتنى من فوق الجمل وهى ترضع فقالت بصوت فصيح قبل أن ترانى أمها هذا أبى وضحكت ورمت بنفسها الى قال وقد رأيت من أجاب أمه بالتشميت وهو فى بطنها وكان اسمه الشيخ عبد القادر بدمشق وكذلك ذكره أيضا فى الباب الثالث وثلثمائة ٣ وقال شهد على الثقات بذلك ولم يذكر انه سمعه وهو فى بطنها حين عطست وسمع الحاضرون كلهم صوته من جوفها (قلت) وقد تقدم فى الباب الثانى والخمسين نحو ذلك فتزاد هذه القصة على ما نظمه الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله بقوله

تكلم فى المهد النبى محمد * وموسى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التى * يقال لها تزنى ولا تتكلم
وماشطة فى عهد فرعون طفلها * وفى زمن الهادى المبارك يختم

وبنت لمحيى الدين قدس سره

وعم بناجمعا وذلك متمم

*وقال فى الباب الاحد والثمانين وأربعمائة الاحسان هو العمل على استحضار ما أمكنه من عظمة الله وجلاله حتى يصير كأنه فى حضرة الحق ومشاهدته فى العبادة وفى ذلك تنبيه عجيب فانه بتلك الرؤية يبصر أن العامل هو الله

غامض لا يعرفه كل احد فاحتفظ به والله تعالى أعلم *(خاتمة)* قال الشيخ في الباب الرابع والستين وثلثمائة اعلم انه لا يموت احد من اهل التكليف الا مؤمنا عن عيان وتحقق لا مرية فيه ولا شك لكن من العلم بالله والايمان به خاصة وما بقي الا هل ينفعه ذلك الايمان ام لا وفي القرآن العظيم فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا قال وقد حكى الله تعالى عن فرعون أنه قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين فلم ينفعه هذا الايمان وأطال في ادلة انه لم ينفعه ايمانه (قلت) فكذب والله وافترى من نسب الى الشيخ محيي الدين انه يقول بقبول ايمان فرعون وهذا نصه يكذب الناقل على انه قال بقبول ايمان فرعون جماعة منهم القاضي ابو بكر الباقلاني وبعض الحنابلة قالوا لان الله حكى عنه الايمان آخر عهده بالدنيا انتهى وجمهور العلماء قاطبة على عدم قبول ايمانه وايمان جميع من آمن في الباس لان من شرط الايمان الاختيار وصاحب ايمان الباس كالملجأ الى الايمان والايمان لا ينفع صاحبه الا عند القدرة على خلافه حتى يكون المرء مختارا ولان متعلق الايمان هو الغيب وأما من يشاهد نزول الملائكة لعذابه فهو خارج عن موضوع الايمان والله تعالى أعلم

(المبحث الثاني والخمسون في بيان حقيقة الاحسان)

اعلم ان حقيقة الاحسان ان يعبد العبد ربه كانه يراه كما صرح به في حديث سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان وقال الجلال المحلي رحمه الله حقيقة الاحسان مراقبة الله تعالى في جميع العبادات الشاملة للايمان والاسلام أيضا حتى تقع عبادات العبد كلها في حال الكمال من الاخلاص وغيره انتهى وتقدم في مبحث مسئلة خلق الافعال والكسب ان علم العبد بان الله تعالى يراه أكمل في التنزيه من شهوده هو الحق لانه لا يشهده الا بقدر دائرة عقله هو فقط وتعالى الله عن ذلك بخلاف علمه بان الله يراه وتقدم فيه أيضا أن في الحديث اشارة لطيفة وهو أن صاحب مقام الاحسان اذا عبد الله كأنه يراه لم يجد الفعل الا لله وحده وليس للعبد فيه اثر وانما له حكم فيه لكونه محلا لبروزه من الجوارح لا غير ومن شهد هذا المشهد فهو الذى أخلص عمله لله ولم يشرك فيه نفسه مع الله وتقدم أيضا في المباحث السابقة ان من كمال العبد ان يواخي بين العيان والايمان فيكون مؤمنا بما هو مشاهده من غير حجاب وذلك حتى لا يفوته ثواب الايمان بالغيب حال الشهود والمعاينة وان ذلك مقام عزيز * قال الشيخ محيي الدين في باب الاسرار من الفتوحات ولا يخفى ان الايمان والاسلام مقدمتا الاحسان لان الايمان له التقدم والاسلام تال والا لم يقبل فهذا شفع قد ظهر والختام للوتر فاوتره الاحسان لانه اول الافراد الثلاثة لا الواحد فافهم * وقال فيه أيضا اعلم ان الايمان تصديق فلا يكون الا عن مشاهدة الخبر في التخيل فلا بد من الاحسان والاسلام انقياد والانقياد لا يكون الا لمن رأى يد الحق كما يليق بجلاله وهي آخذة بناصيته فانقاد طوعا فان لم ير يد الحق التي هي تأييده له ولا تخيلها فما انقاد الا كرها والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (قلت) قد رأيت في كلام سيدي على بن وفا رضي الله عنه ان وراء مقام الاحسان مقام آخر يسمى مقام الايقان ولم اره ذلك في كلام غيره فليتأمل وقد تقدم في مبحث الاجوبة عن الانبياء ان اهل مقام الاحسان لا يتصور منهم معصية ماداموا في حضرة الاحسان وان من هنا عصم الانبياء وحفظ غيرهم من الاولياء لعكوف الانبياء والاولياء في حضرة الاحسان أما الانبياء فهم فيها على الدوام وأما الاولياء فهم فيها في أغلب احوالهم وغاية معصية أهل حضرة الاحسان ان يقعوا في خلاف الاولى لا في حرام ولا مكروه كما مر في الجواب عن آدم عليه السلام والله تعالى أعلم

لاهو وان العبد انما هو محل لظهور ذلك العمل لا غيره * وقال في الباب السادس والثمانين واربعمائة في قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله اعلم انه لم يرد من يعص الرسول فقد عصى الله وذلك لان طاعة المخلوق لله ذاتية ومعصيته عارضة لانها بالواسطة فلو انزل هنا الرسول كما انزله في الطاعة لم يكن تعالى الها وهو الاله فما عصى من عصى منا الا الحجاب وليس الحجاب سوى الواسطة بيننا وبين الله قال فنحن اليوم أبعد في معصية الرسول صلى الله عليه وسلم من أصحابه الى من دونهم الينا الا انا ما عصينا الا أولي أمرنا في وقتنا وهم العلماء متابعا أمر الله به ونهى عنه فنحن أقل مؤاخذة وأعظم أجرا لان للواحد منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل الصحابة كما في الحديث للواحد منهم أجر خمسين يعملون مثل عملكم فاجعل بالك لكونه لم يقل منكم * وقال في الباب السابع والثمانين واربعمائة في قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة من الحياة الطيبة ان يبدل الله سيآت العبد حسنات حتى انه يود أن لو كان أتى بسائر المعاصي الواقعة من الخلق حين يشاهد التبديل قال ورأيت من أهل هذا المقام في عمري كله رجلين أحدهما شيخنا أبو العباس العريني بمغرب الاندلس والثاني رجل بمكة * وقال

(المبحث الثالث والخمسون في بيان انه يجوز للمؤمن ان يقول انا مؤمن ان شاء الله خوفا من الخاتمة المجهولة لا شكا في الحال)

قال الجلال المحلي رحمه الله ومنع الامام ابو حنيفة رضي الله عنه ذلك * وحكى في المقاصد المنع عن الاكثرين وعبارة النسفي في عقائده ولا ينبغي ان يقول العبد انا مؤمن ان شاء الله وقد حملها المولى سعد الدين على ان الاولى تركه لا على المنع بمعنى عدم الجواز ثم ذكر المولى سعد الدين انه لا خلاف بين الفريقين حقيقة في المعنى لانه ان اريد بالايمان مجرد حصول المعنى فهو حاصل في الحال وان اريد ما يترتب عليه النجاة والثواب في الآخرة فهو تحت مشيئة الله تعالى ولا قطع بحصوله في الحال فمن قطع بالحصول اراد الاول ومن فوض الى المشيئة اراد الثاني انتهى وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اذا سئل عن ذلك يقول قول العبد انا مؤمن ان شاء الله تعالى اولى من الجزم لا يقال ان قول العبد ان شاء الله يوهم الشك في الحال في ايمانه لانا نقول كل مؤمن متحقق بالايمان في الحال جازم باستمراره عليه الى الخاتمة التي يرجو حسنها ويسأل من فضل ربه تحقيقها انتهى ودليل الامام ابي حنيفة ومن تبعه في عدم جواز الاستثناء في الايمان قول الله تعالى في السحرة قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ولم يستثنوا وقوله تعالى اولئك هم المؤمنون حقا ولم يستثن وايضا فان الايمان عقد فالاستثناء يقطعه ويحله واجاب الشافعية بانا لم نوجب الاستثناء وانما جوزناه ومعلوم ان من يستثني منا لا يريد ابطال الاول ولا التردد فيه بالاجماع *(خاتمة)* اذا شرك المؤمن في عمله رياء وسمعة فلا اجر له واختاره ابن عبد السلام والزركشي وقال انه الظاهر واما الامام الغزالي فاعتبر الباعث على العمل فان كان الاغلب الباعث الدنيوي فلا اجر له وان كان الاغلب هو باعثه الديني فله اجر بقدره وان تساويا تساقطا والله اعلم

(المبحث الرابع والخمسون في بيان ان الفسق بارتكاب الكبائر الاسلامية لا يزيل الايمان)

خلافا للمعتزلة في زعمهم انه يزيله يعني انه واسطة بين الايمان والكفر بناء على قولهم ان الاعمال جزء من الايمان قاله الجلال المحلي وقد استند المعتزلة الى ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن الحديث وقالوا ظاهر الحديث نفي الايمان * قال الشيخ نجم الدين البكري والحق الذي نعتقده ان المراد بقوله وهو مؤمن اي بأن الله يراه اي حاضر القلب مع الله تعالى اذ لو كان حاضر القلب مع الله تعالى لم يستطع ان يعصي حياء من الله عز وجل فلا بد للعاصي من سدل الحجاب عليه حتى يقع في المعصية واقل الحجاب ان يقع في تأويل او تزيين من النفس كأن تقول له نفسه ربك غفور رحيم ولا يكون غفورا رحيما الا للمذنبين وقال النبي صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وبعيد ان الله تعالى يؤاخذ مثلك مادمت تستغفر الله وتقول له نفسه ايضا افعل ما قدر عليك فانك لا تستطيع ان ترد ما قدره الله عليك وتفتح له نفسه باب الرجاء الواسع حتى تهون عليه الذنب * وقد اجمع اهل الكشف على انه لا يصح لعارف ان يعصي الله تعالى على الكشف والشهود ابدا فان علمه بان الله تعالى يراه يمنعه من الوقوع ثم لو فرض ان العاصي يشهد ان الله تعالى يراه حال المعصية فلا بد ان يشهده غير راض عنه في تلك المعصية * وفي حديث الطبراني وغيره مرفوعا اذا اراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم والمراد بهذه العقول التي تسلب العقول التي تشهد نظر الحق تعالى اليها حال معصيتها لا عقول التكليف اذ لو كان المراد بها ذلك ما آخذ الله تعالى احدا لعدم التكليف وقد ثبتت المؤاخذة بالنصوص القاطعة فافهم فان هذا موضع

أنت عليه في وقتك ومالم يعطك فان كان لك فلا بد من وصوله اليك وما ليس لك فلا يصل اليك قط فلا تتعب نفسك في غير مطمع قال والمراد بقولنا ان كان لك ان تأخذه على الحد الالهي الذي اباحه الشارع لك فان ما اخذ من حرام لا ينبغي اضافته الى الله ادبا وانما يضاف الى الطبع واطال في ذلك * وقال في الباب التاسع والثمانين واربعمائة في حديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له المراد بهذا العلم المذكور في الحديث هو ما سنه من السنن الحسنة كما عليه الائمة المجتهدون والمراد بالصالح المسلم والصدقة الجارية مثل حفر الآبار ونحو ذلك * وقال في الباب التسعين واربعمائة في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون الآية اعلم ان للمقت درجات بعضها اكبر من بعض ومن قال قولا ولم يفعل هو به مقت نفسه عند الله اكبر المقت اذا اطلع على ما حرمه من الخير بترك الفعل ولاسيما اذا واي غيره قد انتفع به ممالا قال والناس يأخذون في هذه الآية بغير ما آخذها فيقولون ان الله مقتهم وما

غلط فيه جماعة من المتصوفة فعلم انه لا يلزم من كون العبد يحجب عنه الايمان بان الله تعالى يراه حال المعصية ان ينتفي عنه الايمان بوجود الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره كما توهمه بعضهم بل هو مؤمن بذلك كله لم يحجب عنه ماعدا كون الله تعالى يراه فانه لا بد من حجابه فيه ليقضي الله امرا كان مفعولا والا كان ذلك في غاية قلة الحياء مع الله تعالى فاذا فهمت ذلك علمت ان الايمان يتخصص في كل موطن بما يناسبه بحسب السياق الذي هو فيه وذلك كقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين اي باني انصرهم فاني عند ظن عبدي بي وقس على ذلك هكذا قرره الشيخ نجم الدين البكري في تفسيره (فان قلت) فما معنى حديث نعم العبد صهيب لو لم يخف الله تعالى لم يعصه (فالجواب) معناه كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة ان الاسباب المانعة للعبد من الوقوع في المعاصي اربعة اشياء لا خامس لها وهي الحياء من الله تعالى والخوف من عقابه والرجاء في ثوابه وعدم التقدير في علم الله تعالى فمعنى الحديث ان صهيبا لو لم يخف الله تعالى لم يعصه اي لان معه من الاسباب المانعة من الوقوع في المعصية ثلاثة اشياء وهي الحياء من الله والرجاء لثواب الله وعدم التقدير في علم الله وكذلك القول في الثلاثة الباقية كما لو قال صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يستح من الله لم يعصه او لو لم يرج ثواب الله لم يعصه فان معناه كما قلنا في الخوف سواء انتهى * وقال في الباب الثامن والستين اعلم ان الحكمة في ان الايمان يخرج من صاحبه حال الزنا والسرقة وشرب الخمر مثلا انه يخرج عن صاحبه حتى يحميه من وقوع العذاب الذي عرض نفسه له بالزنا مثلا فان الايمان لا يقاومه شيء وقد اشار الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج عنه الايمان حتى يصير عليه كالظلة فاذا اقلع رجع اليه الايمان * قال وما بعد بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان فعلم ان خروج الايمان ليس هو لدخول صاحبه في الكفر وانما خرج ليمنع عنه وقوع العذاب عناية بصاحبه واطال الشيخ في ذلك ثم قال وهنا نكتة جليلة خفية وهي ان العبد المؤمن لا يخلص له قط معصية محضة فلا بد ان يشوبها طاعة وتلك الطاعة هي ايمانه بانها معصية تسخط الله تعالى عليه فهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم اي يرجع عليهم بالرحمة * قال العلماء وعسى من الله واجبة الوقوع من حيث ان رحمته بالمسلمين سبقت غضبه عليهم * وقال في الباب الرابع والخمسين وثلثمائة ايضا في معنى حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن اي مصدق بالعقاب عليه اذ لو كان معه تصديق بالعقاب ما وقع في الذنب كما اذا اوقدنا له نارا عظيمة وقلنا له ازن بهذه المرأة لنحرقك بالنار لا يزني بها قط ولو مكثنا نأمره مدى الدهر وذلك لشهوده العقاب فافهم * وقال في الباب الرابع والثلاثين ومائتين ايضا اعلم ان من لازم المؤمن الكامل انه لا يأتي معصية قط توعد الله عليها بالعقوبة الا ويجد في نفسه الندم عند الفراغ منها وفي الحديث الندم توبة وقد قام بهذا الندم فهو تائب اي من جهة حقوق الله تعالى لا من جهة حقوق الآدميين فسقط حكم الوعيد بهذا الندم فانه لا بد للمؤمن الكامل ان يكره المخالفة ولا يرضى بها في حال عمله بها فهو من حيث كونه كارها لها نادم على وقوعه فيها ومؤمن بانها معصية ذو عمل صالح من ثلاثة وجوه وهو من حيث كونه فاعلا لها شر فاذو عمل سيئ من وجه واحد وهو ارتكابه اياها ومن تأمل في قوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره عثر على ما قلناه فانه تعالى لم يتعرض للمؤاخذة بذلك الشر وانما ذكر انه يراه فقط ثم لا يكون من الكريم الا الكرم انتهى هكذا رأيته في كلام بعضهم وعليه فتكون الحكمة في الطائفة التي تدخل النار من الموحدين انما هو لبيان اظهار فضله على الذين لم يؤاخذهم كما يؤدب السلطان من شاء ادبه من الغلمان ولا تقبل فيه شفاعة ليعرف الناس مقدار نعمه عليهم والله تعالى أعلم * وقال الشيخ في الباب السابع والتسعين

يمقتون قوله تعالى عند الله أي تمقتون انفسكم اكبر المقت عند الله اذا جعتم اليه في الدنيا والآخرة واطال في ذلك ثم قال وملخص القول ان الحق تعالى كأنه يقول يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ان الفعل لكم وما هو كذلك فانه لي فكيف تضيفون الى انفسكم ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا اي يقاتلون من ينازع الحق في اضافة الافعال ويقول ان الفعل للخلق كالمعتزلة حتى يرجع عن نزاعه ويضيف الافعال كلها الى الله قال فالمراد بالعندية هنا هو شهود الحق فاعلا وحده ومقته نفسه هو الرجوع عن اضافة الفعل لنفسه الا على وجه ما وبذلك يسعد ويلحق بالعلماء فليتأمل ويحرر * وقال في الباب الثاني والتسعين واربعمائة العلم المأخوذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة او غيرها اوثق من العلم الذي يأخذه العبد من الله بلا واسطة من الوجه الخاص الذي هو الالهام على انه ليس لنا علم الآن يؤخذ عن الله الا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم لقوله فعلمت علم الاولين والآخرين وانت يا أخي من الآخرين بلا شك فلا تقل قد هجرت واسعا الا ما حجرت عليك انه لا يأتيك الا بواسطة وهذا ليس بحجير فتأمل قال وقد وافقنا على ما قلناه ابو القاسم

والتسعين ومائتين في معنى حديث لو لم تذنبوا وتستغفروا الله لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم اعلم ان من رحمة الله تعالى بخلقه انه أوجد فيهم النسيان والحجاب حال عصيانهم في دار التكليف فان المعاصي والمخالفات قد سبق تقديرها على العباد في هذه الدار فلا بد من وقوعها منهم ولو أنها أوقعت منهم على الكشف والتجلي لكان ذلك مبالغة في قلة الحياء مع الله تعالى حيث انه يشهده ويراه فلولا الحجاب لعظم الامر وشق والقدر حاكم بالوقوع فلذلك حجب الله تعالى العاصي عن ذلك المشهد لعظم المصاب انتهى * وقال في أواخر باب الحج من الفتوحات اعلم ان بعض الناس قد ينفعه ذنبه فيرد ابليس خاسئا وذلك كما اذا كان عند العبد عجب باعماله وكبر على اخوانه ونحو ذلك فيقع في معصية فيحصل له ذل وانكسار وندم فيزول مرضه ويكتب من التوابين واطال في ذلك انتهى وفي كلام ابن عطاء الله رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا انتهى وسيأتي في المبحث عقبه زيادة على ما ذكرناه هنا والله تعالى اعلم

(المبحث الخامس والخمسون في بيان ان المؤمن اذا مات فاسقا بان لم يتب قبل الغرغرة تحت المشيئة الالهية)

فاما ان يعاقب بادخاله النار ثم يخرج منها لموته على الاسلام واما ان يسامح بان لا يدخل النار فضلا من الله من غير شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم او مع شفاعته او شفاعة من شاء الله تعالى وتردد الامام النووي في الاخير وهو كلام القاضي عياض قال الشيخ تقي الدين السبكي وانما تردد النووي في شفاعة من شاء الله لانه لم يرد في السنة تصريح بذلك ولا بنفيه ثم قال وهي في اجازة الصراط بعد نصبه ويلزم منها النجاة من النار قال تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وقال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وزعمت المعتزلة ان من مات مصرا على كبيرة يخلد في النار ولا يجوز العفو عنه ولا الشفاعة فيه ونقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما مستندا الى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية فانها نزلت بعد قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهي محكمة غير منسوخة هكذا رأيته في تفسير الامام سند بن عبد الله الازدي من اقران الامام مالك بن انس رضي الله تعالى عنه واجاب الجمهور مع تقدير عدم النسخ بأنه لا يلزم من الوعيد بالشر وقوعه كما يقول السيد لعبده اذا خالفه ما جزاؤك الا ان أضربك واحبسك ثم لا يضربه ولا يحبسه هذا كلام اهل الاصول * واما نقول الشيخ محيي الدين فقال في الباب السابع والاربعين ومائة اعلم ان من قتل انسانا ولم يقتل به في الدنيا فأمر القاتل الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه قال واما قوله في الحديث القدسي فيمن قتل نفسه بادرني عبدي حرمت عليه الجنة فالمراد به انه لا يدخل الجنة مع الرعيل الاول كما في نظائره من الاحاديث الواردة في عذاب الشيخ الزاني ومدمن الخمر وقاطع الرحم والمسبل ازاره خيلاء ونحو ذلك ليوافق النصوص الصحيحة نحو قوله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق * وقال ايضا في باب صلاة الجنائز من الفتوحات اعلم ان الاخبار الصحيحة والاصول الصريحة تقضي بخروج قاتل نفسه من النار وان النص الوارد بتأبيد الخلود خرج مخرج الزجر او يحمل على قاتل نفسه من الكفار لانه لم يقيده في الحديث بالمؤمنين فتطرق الاحتمال واذا تطرق الاحتمال رجعنا الى الاصول واذا رجعنا الى الاصول رأينا الايمان قوي السلطان لا يتمكن معه الخلود على التأبيد الى غير نهاية فتعين قطعا ان الشارع انما اخبر بذلك في حق الكفار لكونه لم يخص في الحديث صنفا دون صنف بعينه والادلة الشرعية تؤخذ من جهات متعددة يضم بعضها الى بعض ليقوى بعضها بعضا فكما ان المؤمن كالبنيان

ابن قسي وما رأيت هذا النفس لغيره * وقال في الباب الخامس والتسعين وأربعمائة في قوله تعالى لكل جعلنا منكم أي أيها الانبياء شرعة ومنهاجا فالضمير في منكم للانبياء عليهم السلام لا للامم اذ لو كان المراد به الامم لم يبعث قط رسول في امة قد بعث فيها رسول الا ان يكون مؤيدا لما من قبله فقط لا يزيد ولا ينقص وما وقع الامر كذلك قال وقد تكلف في التاويل شططا من جعل الضمير في منكم للامم والرسل جميعا فكون الضمير راجعا الى الرسل أقرب الى الفهم واوصل الى العلم وأطال في ذلك * وقال في الباب السابع والتسعين وأربعمائة في قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أي يشركون نفوسهم في الايمان فيرون انهم آمنوا بنظرهم واستدلالهم ولم يروا ان الله تعالى هو الذي من عليهم بالايمان هذا هو المراد بالشرك هنا فانهم فان المراد بالايمان هنا هو الايمان بالوجود لا التوحيد اذ لو كان المراد به التوحيد لم يصح قوله الا وهم مشركون مع ثبوت الايمان (قلت) وقال بعضهم المراد بالشرك هنا هو الاعتماد على الاسباب انتهى فتأمل وحرر * وقال في الباب الموفي خمسمائة في قوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم اعلم ان من جعل نفسه الها فقد ادعى جعل نفسه في غاية القرب فلذلك اخبر ان جزاء هذا القائل ان

يشد بعضه بعضا فكذلك الايمان بكذا يشد الايمان بكذا فيقوى بعضه بعضا واطال في ذلك ثم قال والمراد بقوله فيمن قتل نفسه حرمت عليه الجنة اى حرمت عليه الجنة قبل دخول بنى لاسيما من كان الحامل له على قتل نفسه الشوق الى لقاء الله من العشاق ممن كتم عشقه وعف فمات وهذا هو الاليق ان يحمل عليه لفظ الخبر الا ان يأتى لنا نص صريح بخلاف هذا التأويل واطال فى ذلك ثم قال وان ظهر للناظر بعد فيما قررناه فانما هو لبعد الناظر فى نظره من الاصول المقررة التى تناقض هذا التأويل بالشقاء المؤبد فاذا استحضرها ووزن الامر بميزان الشريعة عرف ما قلناه وفى الصحيح اخرجوا من النار من كان فى قلبه أدنى من مثقال حبة خردل من ايمان فلم يبق الا ما أولناه انتهى (قلت) وفى هذا الكلام وما بعده رد عن الشيخ وتكذيب لمن افترى عليه انه يقول بخروج اهل النار من الكفار والله اعلم * وقال فى باب الجنائز ايضا بعد كلام طويل اعلم ان الله تعالى انما أوجب علينا الصلاة على الميت لانه يريد ان يقبل شفاعتنا فيه واعلامالنا أن سؤالنا فيه مقبول وانه تعالى يرضى منا ذلك فان الامر بالشئ يقتضى رضا الشارع به فمن قال من المعتزلة ان قاتل نفسه مخلد فى النار فهو محمول على كافر مات على كفره او على الميت الذى لم يصل عليه فلهذا قلنا بوجوب الصلاة على من قتل نفسه وان صلاتنا عليه تنفعه وتمنعه من تأبيد الخلود فى النار على زعمهم واما على قول اهل السنة والجماعة فلا يخلد فى النار مؤمن ولا موحد وفى الحديث ايضا صلوا على من قال لا اله الا الله فدخل فيه اهل الكبائر وجميع اهل الاهواء والبدع الذين لا يكفرون باهوائهم وبدعهم لانه صلى الله عليه وسلم ما فصل ولا خصص بل عمم بقوله من وهى نكرة ثم وما امرنا الشارع بالصلاة على من قال لا اله الا الله الا وهو يريد ان يرحمه اما بعدم دخوله النار اصلا واما باخراجه منها بعد ان اخذت العقوبة حدها * وقال فى الباب الخامس والخمسين وثلثمائة فى قوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون اعلم ان فى هذه الآية ردا على من يقول بانفاذ الوعيد فيمن مات على غير توبة من الموحدين وفيها بيان لشمول الرحمة لكل موحد وذلك لان المؤمن اذا عصى فقد تعرض للانتقام والبلاء فهو جار فى شأن الانتقام بما وقع منه والحق تعالى يسابقه فى هذه الحلبة من حيث ما هو غفار وعفو ومتجاوز ورؤف ورحيم فالعبد يسابق ربه بفعل السيئات الى الانتقام والرب سبحانه وتعالى أسبق منه الى الرحمة والمغفرة بالاسم الرحيم او الغفار مثلا فاذا جاء الاسم المنتقم وجد الاسم الغفار واخواته قد حالوا بينه وبين ذلك العبد العاصى * قال ومعنى الآية أم حسب الذين يعملون السيآت ان يسبقوا بسيآتهم مغفرتى وشمول رحمتى ساء ما يحكمون بل السبق لى بالرحمة لهم ولكل موحد وهذا غاية الكرم * قال وهذا لا يكون الا فيمن مات على غير توبة من عصاة الموحدين فان العاصى منهم اذا مات تلقته رحمة الله فى الموطن الذى يشاء الله ان يلقاه فيه واما حديث ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فذلك فى حق الكافر واما فى حق عصاة الموحدين ممن لم يحق عليه كلمة العذاب فينبغى تأويله على من كره لقاء الله من كثرة مخالفته فما كره لقاء الله من حيث اللقاء مطلقا وانما هو لما عمله من المخالفات فخاف ان يؤاخذه انتهى فليتأمل * وقال فى الباب السابع والاربعين وثلثمائة لولا أن رحمة الحق تعالى بالمؤمن ممزوجة بغضبه لم يبق للعاصى أثر على وجه الارض فالمؤمن حالة مؤاخذات الحق له كالمعذب المرحوم لكونه لا يقع فى معصية الا وهو مؤمن بأنها معصية خائف من عاقبتها فلا يخلد فى النار الا كافر والسلام

(المبحث السادس والخمسون فى بيان وجوب التوبة على كل عاص وبيان انها تصح ولو بعد نقضها وانها تصح من ذنب دون ذنب)

يكون فى غاية الشقاوة التى هى غاية البعد عن طريق السعادة الذى هو رد الى أصله فلذلك كان جزاؤه جهنم فيتنزل فى قعرها لكونه طغى الى مقام الالوهية التى لها الاستواء على العرش يقال بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر قال واعلم انه لم يبلغنا ان أحدا وقع فى هذا القول سوى فرعون حين استخف عقل قومه فقال يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى ثم انه جعل ذلك ظنا بعد شك فى قوله لعلى أبلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا واطال فى ذلك * وقال فى الباب السادس وخمسمائة فى قوله تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون اعلم ان كل من شعر بالمكر فليس بممكور به الا فى حال واحد وهو ان يشعر بمكر الله فى أمر اقامه فيه ثم انه ان داوم عليه بعد علمه بانه مكر من الله فهذه المداومة مكر من الله فهو كقوله تعالى واضله الله على علم واطال فى ذلك بكلام نفيس * وقال فى الباب السابع والعشرين وخمسمائة فى قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه الآية اعلم ان كل خطاب خاطب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم مؤدبا له قلنا فيه اشتراك لابد من ذلك فهو صلى الله عليه وسلم المقصود لله تعالى بالادب اصالة ونحن

اي تصح من ذنب ولو كان صغيرا مع الاصرار على ذنب آخر ولو كان كبيرا كما قاله الجلال المحلي قال واذا تاب ثم عاود الذنب لم تبطل توبته السابقة بل ذلك ذنب يوجب توبة أخرى هذا ما عليه جمهور العلماء ونقل عن القاضي ابي بكر الباقلاني انها لا تصح بعد نقضها وهو عوده الى المتوب منه وقيل انها لا تصح عن ذنب صغير لتكفيره باجتناب الكبير وقيل لا تصح من ذنب مع الاصرار على ذنب كبير قالوا ومن المساعد للعبد على حصول التوبة ان يستحضر ما فيها من المحاسن والوصلة بأهل الله تعالى من الانبياء والاولياء وصالحي المؤمنين وانه اذا لم يتب اتصل باعداء الله تعالى من الفسقة والشياطين ثم من الواجب الاتيان بشرائط التوبة كلها ولا يكفي الاستغفار باللسان فقط كما هو شأن اكثر الناس ومعظم شروطها الندم على المعصية اي من حيث انها معصية ليخرج ما لو ندم على شرب الخمر مثلا من حيث اضراره بالبدن فان ذلك ليس بتوبة وعرف بعضهم الندم بأنه تحزن وتوجع لما فعل وتمني لكونه لم يفعل قال الكمال في حاشيته على شرح جمع الجوامع ولا يجب عندنا استدامة الندم في جميع الازمنة بل يكفي استصحاب الندم حكما بان لا يصدر منه ما ينافيه لأن الشارع أقام الامر الثابت حكما مقام ما هو حاصل بالفعل كما في الايمان فان النائم مؤمن بالاتفاق وايضا قلنا في التكليف بتذكر الندم في جميع الازمنة من الحرج المنفي في الدين قال الجمهور وتحقق التوبة بالاقلاع عن المعصية وعزم أن لا يعود اليها وتدارك ممكن التدارك من الحقوق الناشئة عنها كحد القذف مثلا فيتدارك بتمكين مستحقه من المقذوف او وارثه ليستوفيه او يبرئ منه فان لم يمكن تدارك الحق كان لم يكن مستحقه موجودا سقط هذا الشرط كما يسقط أيضا في توبة العبد عن معصية لا ينشأ عنها حق لآدمي قال العلماء وكذلك يسقط شرط الاقلاع في توبة العبد عن معصية بعد الفراغ منها كشرب الخمر مثلا قال الجلال المحلي فالمراد بتحقق التوبة بهذه الامور انها لا تخرج عما يتحقق به منها الا انه لا بد منها في كل توبة انتهى قال الكمال في حاشيته وقولهم وتدارك ممكن التدارك الى آخره هو المشهور وعند أصحابنا والذي جرى عليه الآمدي وصاحب المواقف والمقاصد أن التدارك واجب برأسه فمن قتل وظلم او ضرب فعليه امران التوبة والخروج من المظلمة وهو تسليم نفسه مع الامكان ليقتص منه ومن اتى بأحد الواجبين لم تكن صحة ما اتى به متوقفة على الاتيان بالواجب الآخر وقال في المقاصد انه التحقيق الا انه قد لا يصح الندم بدونه كرد المغصوب انتهى قال ابن السبكي وغيره واذا احس الانسان من نفسه عدم الصدق في الاستغفار أتى به وان احتاج الى استغفار آخر لان اللسان اذا الف ذكرا اوشك أن يألفه القلب فيوافقه فيه وكان الامام السهروردي يقول اعمل وان خفت العجب مستغفرا قال العلماء ويجب على كل مؤمن مجاهدة نفسه الامارة بالسوء اذا لم تطاوعه على فعل المأمورات واجتناب المنهيات قالوا وهي أوجب عليك من مجاهدة عدوك الظاهر لان النفس تريد هلاكك الابدي باستدراجك من معصية الى معصية أخرى وفي الحديث المعاصي بريد الكفر اي مقدمته فان غلبتك نفسك الامارة بالسوء على فعل مذموم فتب وجوبا على الفور ليرتفع عنك اثر فعله بالتوبة ان شاء الله تعالى فان لم تقلع نفسك عن فعل ذلك المذموم لكسل يعوقك عن الخروج منه أو لاستلذاذ به فتذكر هادم اللذات وهو الموت وفجأته فربما اخذك على غير توبة كما هو مشاهد في كثير من الناس فتحشر مع الخاسرين وان كان عدم اقلاعك لقنوط من رحمة الله تعالى وعفوه عنك لشدة الذنب الذي سبق منك او لاستحضار عظمة من عصيت فخفف عقاب ربك على هذا فانه لا يقنط من رحمة الله الا القوم الخاسرون واستحضر سعة رحمة الله تعالى التي لا يحيط بها الا هو ولترجع عن قنوطك فان جانب رحمته تعالى لعصاة الموحدين أرجح من جانب عقوبته لهم هذا آخر كلام ابن

المقصودون بالتأسي به قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقد كان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية اذا لقي احدا من اهل الصفة او قعد في مجلس يكونون فيه لا يزال يحبس نفسه معهم ما داموا جلوسا حتى يكونوا هم الذين ينصرفون وحينئذ ينصرف صلى الله عليه وسلم ولما عرفوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يخففون الجلوس والحديث معه صلى الله عليه وسلم قال وانما قيد تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي لانه زمان تحصيل الرزق في المرزوقين وهو الصبوح والغبوق عند العرب واطال في ذلك (قلت) انما امر صلى الله عليه وسلم بالصبر مع من ذكر لان الكامل تصير عباداته روحانية لا جثمانية فرجوعه الى الكثائف من اصعب الامور عليه الا ان يؤمر بذلك هكذا شأن المقربين والى ذلك الاشارة بقوله لي وقت لا يسعني فيه غير ربي اي لا يسعني فيه الالتفات لغيره من ذكر او غيره والله اعلم

* وقال في الباب التاسع والعشرين وخمسمائة لا بد من الفترة لكل داخل طريق اهل الله عز وجل ثم اذا حصلت فاما ان يعقبها رجوع الى الحال الاول من العبادة والاجتهاد وهم اهل العناية الالهية واما ان لا يعقبه رجوع فلا يفلح بعد ذلك ابدا فيصير من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل

السبكي رحمه الله في مبحث التوبة واعلم يا أخي ان التوبة من أعظم ما من الله تعالى به على عباده فان لم يقع لنا توبة فالواجب علينا التوبة من ترك التوبة فان لم يصح لنا التوبة من ترك التوبة وجب علينا التوبة من الاصرار على ترك التوبة من الاصرار وهكذا ابدا ما عشنا وما ثم لنا داء بلا دواء ابدا فان لم يصح لنا شئ من ذلك كله فالله رحمة خاصة يمن بها على من مات مصرا من اهل الاسلام واعلم ان حقيقة التوبة هي الرجوع الى شهود ان الله تعالى هو المقدر على العبد ذلك الذنب قبل ان يخلق ومعنى حديث اذا اذنب العبد فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به يقول الله عز وجل له في الثانية او الثالثة اعمل ما شئت فقد غفرت لك اى افعل ما شئت من المعاصى واندم واستغفرنى اغفر لك فلا يكفيه العلم بان له ربا يغفر الذنب من غير ندم فافهم * قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والسبعين من الفتوحات ومن اعظم دليل على وجوب التوبة فورا قوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون فأمر الله تعالى عباده بالتوبة ثم لقنهم الحجة اذا اخطأوا باعلامهم بمضمون قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا ليقولوا اذا سئلوا عن ذلك يوم القيامة لو تبت علينا يا ربنا لتبنا مثل قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ليقول غرني كرمك يا رب فهذا من باب تعليم الكريم الخصم الحجة ليحاجه بها اذا كان محبوبا وليس هذا التعليم الا للسعداء خاصة فافهم قال واعلم ان توبة الله على العبد مقطوع بها وتوبة العبد في محل الامكان لما فيها من العلل وعدم العلم باستيفاء حدودها وشروطها او الجهل بعلم الله تعالى فيها فكل عارف يسأل ربه ان يتوب عليه وحظه هو من التوبة الاعتراف والسؤال لا غير فمعنى قوله وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون اى ارجعوا الى الاعتراف والدعاء كما فعل ابوكم آدم عليه السلام تعليما لكم بالفعل والصورة لا بالمعنى لانه لم يكن قربه من الشجرة عن ميل ولا انتهاك حرمه وانما كان محض نفوذ اقدار لا غير قال واما الرجوع الى الله تعالى بطريق المعاهدة وهو لا يعلم ما في علم الله تعالى ففيه خطر عظيم فانه ان كان بقي عليه شئ من المخالفات فلا بد من نقضه ذلك العهد فينتظم في سلك من قال الله تعالى فيهم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ولم يكن احد اكمل معرفة بمقام التوبة من آدم عليه السلام حتى اعترف بذنبه ودعا ربه وما نقل انه عاهد الله تعالى على انه لا يعود كما شرطه بعضهم في صحة التوبة فالناصح لنفسه من سلك طريق ابيه آدم عليه السلام فان في العزم المصمم عند اهل الكشف ما لا يخفى من ادعاء القوة ومقاومة الاقدار الالهية الا ان يقصد بذلك انه لا يعود ان وكل الامر اليه استقلالا ودون ذلك محال انتهى فليتأمل ويحرر وقد وقع لبعض الاكابر من عباد بنى اسرائيل انه قال يا رب لو فرغتنى لعبادتك ووكلتنى الى نفسى لا يتسلك من العبادة ما لم يفعله احد من العبيد ففتح التوراة ذلك اليوم وامران لا يدخل عليه احد يشغله عن ربه فجاءه نصف العصر حتى وقع في الخطيئة وما قص الله تعالى علينا وقائع الاكابر الا لنتأدب بما ادبهم الله به فعلم ان العبد لم يكلف الا بوزن اعماله البارزة على يديه على وفق الكتاب والسنة ويعطى كل فعل حقه فما كان من طاعة فليشكر الله وما كان من معصية فليستغفر الله وما كان من مباح فهو فيه بحسب مقامه فان كان عارفا قلب المباح بالنية الى شئ محمود وفي بعض الهواتف الربانية ليس للعبد ان يشغل قلبه بالاختيار لفعل شئ او تركه في المستقبل وانما عليه ان يعطى ما ابرزناه على يديه حقه فان كان طاعة حمدنا على قسمتها له واستغفرنا من تقصيره فيها وان كان معصية حمدنا على تقديرنا عليه واستغفرنا من ارتكابه مخالفة مرنا وان كان غفلة وسهوا افعل ما هو اللائق بمقامه انتهى وقوله ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شئ او تركه في المستقبل لا ينافى مجاهدة النفس ودخواطرها الان ذلك في الحالة الراهنة لا في مستقبل الزمان لانها وجدت وكذلك لا ينافى الاستخارة لفعل شئ في المستقبل لان الاستخارة مأمور بها وقس على ذلك

له وقال للدنيا ابناء وللآخرة ابناء والمجموع ابناء فالكامل من جمع بينهما فكان ابنا الدنيا والآخرة انتهى ولا يخفى ان من طلب الدنيا للآخرة فهو ابن لهما وعهما وهو اكمل ممن يريد الآخرة فقط كاهل الصفة والله اعلم * وقال في الباب السابع والثلاثين وخمسمائة في قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه اعلم ان الرجل الكامل واقف مع ما يسلك عليه المروءة العرفية حتى يأتيه امر الله الحتم فيمتثله قال وكان وقوع ماذكر للنبي صلى الله عليه وسلم مكان قوله لو كنت مرضع يوسف لاجبت الداعي يعني داعي الملك الداعي الى الخروج من السجن فلم يخرج يوسف حتى قال ارجع الى ربك يعني العزيز الذي حبسه فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن ليثبت عنده براءته فلا تدخله منة عليه في اخراجه من السجن وللرسول يطلب ثبوت عدالته عند امته ومن هنا كانت خشية رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس حتى لا يرد الناس دعوته لما وقع في نكاح زوجة من تبناه اذ كان ذلك مما يقدح في المروءة عند العرب فلذلك ابان الله عن لعنة في ذلك بقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم الآية فرفع الحرج عن المؤمنين في هذا الفعل فكان من الله تعالى في حق رسوله ما كان من يوسف حين لم يجب

ذلك كل مأمور والله اعلم * وقال الشيخ محيي الدين فى الفتوحات بعد كلام طويل وبالجملة فلا يخلو العبد الذى يعاهد ربه على ترك شئ او فعله فى المستقبل اما ان يكون ممن أطلعه الله تعالى على انه لا يقع منه زلة فى المستقبل ام لا فان كان ممن اعلمه الحق تعالى بذلك على لسان ملك الالهام الصحيح فلا فائدة للمعاهدة على عزم ان لا يعود بعد علمه انه لا يعود وان كان لم يطلعه الله تعالى على ذلك وعاهد الله على انه لا يعود فقد يكون ممن قضى الله تعالى عليه ان يعود فيصير ناقضا عهد الله وميثاقه وان كان اطلعه الله على انه يعود فعزمه على ان لا يعود مكابرة ومعارضة للاقدار فعلى كل حال لا فائدة للمعاهدة على ترك الفعل فى المستقبل لا الذى علم ولا الذى جهل وليست التوبة التى طلبها الحق تعالى من عباده الا ان يفعلوا ما فعل ابوهم آدم عليه السلام وما بقى على العاصى امر بعد الوقوع يكلف به الا عدم الاصرار على الذنب والتوبة منه لا شعاره بالتهاون بأوامر الله عز وجل وحد بعضهم الاصرار على الذنب بان يدخل عليه وقت صلاة اخرى وهو لم يتب وقال بعضهم من لم يتب عقب الذنب فورا فهو مصر ماعدا ما هو اقل من مدة انتظار الملائكة الكرام الكاتبين فانه ورد انهم ينتظرون العاصى ساعة وما عرفنا مقدار هذه الساعة هل هى الفلكية او غيرها ومما يؤيد عدم وجوب المعاهدة على العزم ان لا يعود ما ورد فى حديث اذا اذنب العبد فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به الى آخره فانه لم يذكر فيه العزم على ان لا يعود ولعل من شرطه رأى انه من لازم صحة التوبة المشروعة فافرده بالشرطية كما فردوا الاقلاع عن الذنب بالشرطية مع انه من لازم وقوع الندم وكذلك افرادهم رد المظالم الى اهلها والله اعلم (فان قلت) فهل التوبة من المقامات المستصحبة الى الموت (فالجواب) نعم هى باقية مادام العبد مخاطبا بها حتى تطلع الشمس من مغربها فحينئذ يسد باب التوبة ويغلق فلا ينفع نفسا ايمانها ولا ما تكتسبه من خير بذلك الايمان * قال الشيخ محيي الدين ولا يخفى ان المؤمن لا يغلق له باب يمنعه من التوبة وانما يغلق عليه الباب حتى لا يخرج ايمانه من قلبه وكيف يغلق دونه وقد جاوزه وتركه وراء ظهره باستقرار الايمان فى قلبه فكان من سعادته غلق هذا الباب على ايمانه حتى لا يخرج منه بعد ما دخل فلا يرتد بعد ذلك مؤمن ابدا اذ ليس هناك للايمان باب يخرج منه فعلم ان غلق باب التوبة رحمة بالمؤمن ونقمة بالكافر ذكره الشيخ فى الجواب السادس والثلاثين ومائة من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات المكية * وقال فى الباب السبعين فى الزكاة فى حديث مسلم تصدقوا فيوشك الرجل يمشى بصدقته فلا يجد من يقبلها الحديث فيه الامر بالمسارعة بالصدقة مبادرة للتوبة فان التوبة من الفرائض الواجبة حال التكليف فان اخرها الى الاحتضار لم تقبل ولهذا لم يقبل ايمان فرعون انتهى (قلت) فكذب والله وافترى من قال ان الشيخ محيي الدين يقول بقبول ايمان فرعون وهذا نصه يكذب الناقل والله اعلم (فان قلت) فمتى يصح من العبد التوبة النصوح التى ما بعدها ذنب (فالجواب) اذا استوفى جميع ما قدره الله تعالى عليه من المعاصى فهنالك يتوب العبد لا محالة توبة نصوحا حتى لو اراد ان يعصى ربه لم يجد ما به يعصى ومادام الحق تعالى يخلق المعصية للعبد فهو واقع لا محالة ولكن ما تركه الحق تعالى سدى بل امره بالتوبة * وقد قال الشيخ فى الباب الخامس والخمسين وثلثمائة لا يصح لعبد قط عصيان الارادة الالهية وانما يصح له عصيان الامر لقوة سلطان الارادة عليه فمن اطاع الامر اطاع الارادة ولا ولا يلزم من طاعة الارادة طاعة الامر والسعادة منوطة بفعل الاوامر لا بموافقة الارادة واياك والتفريط فى التوبة وتقول هذا مقدر على لا استطيع رده وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب التاسع والستين وثلثمائة فراجعه * وكان الشيخ محيي الدين رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات اعلم ان من علامة من قبل الله توبته وبدل الله سيآته حسنات ان لا يصير يتذكر

الداعى سواء أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده اى فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكان يوسف ما اجاب الداعى ولقال مثل ما قال يوسف فعلم انه ليس مراده صلى الله عليه وسلم بقوله لو كنت مكان يوسف لاجبت الداعى الا تعظيم يوسف كما قال نحن اولى بالشك من ابراهيم وقد تقدم بسطه فى الكتاب فليتأمل ويحرر (قلت) ويحتمل ان يكون المراد من قوله عليه السلام لاجبت الداعى ولم اراع الناس على حد ما راعاهم يوسف عليه السلام وان ندبت الى مراعاتهم من وجه آخر كما يعرفه اهل الله تعالى لاسيما وقد ورد امرنى ربى بمداراة الناس كما امرنى بأداء الفرائض ويكون قوله عليه السلام نحن اولى بالشك من ابراهيم حيث يمشى على ما يتبادر الى الاذهان ومعاتبة الله تعالى له عليه السلام فى الآية المذكورة قبل ان يوقفه الله من مقامه الشريف على ما هو الارفع والله اعلم * وقال فى الباب الرابع والاربعين وخمسمائة فى قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ليس المراد بهؤلاء الملائكة هم الحفظة وانما المراد بهم ملائكة التسخير وهم ملائكة يكونون مع العبد بحسب ما يكون العبد عليه يحفظونه عن ان يعرض عليه امر خلاف ما هو مسخر له فهم تبع له واطال فى ذلك * وقال فى الباب الخامس والخمسين وخمسمائة

شيأمن ذنوبه لكونها محيت وكل ذنب تذكره العبد فليعلم انه لم يبدل انتهى ويؤيده حديث الطبرانى اذا تاب الله على عبد أنسى حفظته ذنبه وانسى جوارحه ومعالمه من الارض أن تشهد عليه وهى قاصمة للظهر فليتأمل ويحرر والله أعلم (فان قلت) ان من رجال الله من يقع فى المعاصى ولا يهتدى لكونها معصية كالمجاذيب وارباب الاحوال فما حكم هؤلاء فى التوبة (فالجواب) حكمهم حكم من تصرف فى مباح لزوال التكليف وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك فى الباب العشرين ومائتين ثم قال وحاصل الامران أهل الله عزوجل فى وقوعهم فى المعاصى على قسمين رجال لا تخطر المعاصى لهم ببال لعدم تقديرها عليهم فهؤلاء معصومون أو محفوظون ورجال اطلعهم الله تعالى على ماقدره عليهم من المعاصى لكن من حيث انها افعال لا من حيث كونها معاصى فبادروا الى فعل ماراوه مقدرا عليهم مع فنائهم من شهود ما يقرب ويبعد من حضرة الله تعالى من الطاعات والمعاصى فهؤلاء لسان الشريعة المطهرة يقضى عليهم بعصيانهم ووجوب التوبة عليهم وربما يكون حكم هؤلاء عند الله فى الآخرة حكم من فعل أمرا لا يدرى اطاعة هو أم معصية * قال الشيخ وهذا فن غريب أطلعنى الله تعالى عليه بمدينة فاس ولم الق من رجاله احدا مع علمى بان من رجال الله من ذاقه انتهى (فان قلت) فاذا اطلع الولى على ماقدره الله تعالى عليه فى اللوح المحفوظ وان ذلك لا تغيير فيه فهل له المبادرة الى فعله ليستريح من شهوده فان صور المعاصى قبيحة بين العبد وبين ربه (فالجواب) لا يجوز له ذلك بل يصبر حتى يأتى وقتها ويقع بحكم القضاء والقدر كما انه لا يجوز لمن أطلعه الله على انه يمرض فى يوم من رمضان انه يصبح مفطرا انما يجب عليه الامساك حتى يوجد المرض المبيح للفطر (فان قلت) فما مراد بعضهم بقوله شرط التوبة التوبة من التوبة (فالجواب) مراده أن يدمن مراقبة الله تعالى حتى يكون محفوظا من الوقوع فيما يسخط الله عليه باطنا وظاهرا فلا يكون له سريرة يفتضح بها قط ولا يتوب منها او قد يريدون بقولهم التوبة من التوبة ان لا يرى توبته هل تقبل لعدم خلوصها اتهاما لنفسه فلا يقال ان مراد هذا القائل ان التوبة يجب تركها فان ذلك ظن فاحش بالقوم وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات *(خاتمة)* ذكر الشيخ فى الباب السبعين فى الزكاة مانصه وهنا مسئلة دقيقة قل من عثر عليها من أصحابنا وهى ان العارف بالله تعالى قد لا يوصف بتوبة فى بعض الاحوال وذلك اذا كشف الله تعالى له انه هو الفاعل وحده فلا يجد العارف لنفسه حركة لا ظاهرة ولا باطنة ولا عملا ولا نية ولا شيأ من الامر ويجد الامر كله لله تعالى فهل يتصور من مثل هذا توبة أم لا فانه يرى نفسه مسلوب الاحوال ثم انه اذا تاب فهل تقبل توبته مع هذا الكشف او يكون بمنزلة من تاب بعد طلوع الشمس من مغربها فان شمس الحقيقة قد طلعت له من مغرب قلبه فسلب جميع افعاله وهو اصعب الاحوال فان قبول التوبة ونحوها من العمل الصالح انما يكون ممن هو خلف حجاب اضافة الفعل للعبد وهنا لم يخرج شئ عن الحق فى هذا الكشف عند التعبد حتى يوصف بان الله تعالى يتقبله منه بل هو فى يد الحق تعالى وتصريفه وحده لم يخرج وموضوع القبول انما هو ممن يأتى بشئ ليس فى مشهده انه فى ملك الحق قال الشيخ والذى اقول به تصور التوبة مع هذا الكشف ويكون الله تعالى هنا هو التواب على العبد لا العبد انتهى (قلت) والذى ظهر لى ان الجزء البشرى المنوط به التكليف يدق ولا ينقطع فلا بد من شهود العبد نسبة الفعل اليه من ذلك الوجه وبه صحت مؤاخذته فان الله لا يؤاخذ العبد الا بحسب دعواه من جزء بشريته والله اعلم

(المبحث السابع والخمسون فى بيان ميزان الخواطر الواردة على القلب)

* قال فى جمع الجوامع لابن السبكى رحمه الله واذا القى فى قلبك يا اخى امر فزنه بميزان الشرع ولا يخلو

هذا أطلعنى الله على جميع الأولياء المتقدمين والمتأخرين الى يوم القيامة وما يمنعنى ان اعين الناس الاقطاب والابدال وغيرهم من اهل زماننا الا خوف الانكار عليهم وعدم التصديق لهم فاكون بذلك سببا فى مقتهم على ان الله لم يكلفنا باظهار مثل هذا حتى نكون عصاة لو تركناه وبسط الرحمة على كافة المسلمين أولى من اختصاصها اه قال وقد فعل مثل هذا القشيرى رحمه الله فى رسالته فانه ذكر الاوائل من الرجال فى اول الرسالة وما ذكر فيهم الحلاج للخلاف الذى وقع فيه حتى لا تتطرق التهمة لمن ذكره من رجال الرسالة ثم انه لما ذكر عقائد الرجال على الكتاب والسنة ذكر عقيدة الحلاج اولا وصدر بها الكلام ليزيل بذلك ما فى نفوس بعض الناس منه من سوء الطوية رضى الله عنه * وقال فى الباب السادس والخمسين وخمسمائة كان شيخنا ابو مدين احد الامامين ثم قطب بعد ذلك الى ان مات سنة تسع وثمانين وخمسمائة ويدل على امامته انه كان يقول سورتى من القرآن تبارك الذى بيده الملك وهى مختصة بالامام الواحد من الامامين والله اعلم * وقال فى الباب التاسع والخمسين وخمسمائة وهو باب جمع فيه اسرار الفتوحات كلها من أولها الى آخرها اعلم ان التنزيه يرجع الى التحديد المنزه والتشبيه يرجع الى تثنية

ذلك

ذلك من ثلاثة احوال اما ان يكون مأمورا به او منهيا عنه او مشكوكا فيه قال ويعبر عن هذا الذى القى فى القلب بالخاطر فى اصطلاح العلماء فالحال الاول وهو ان يكون مأمورا به فلا ينبغى التأخير فيه بل يبادر العبد الى فعله لانه من الرحمن تبارك وتعالى رحم العبد به ان اراد به الخير حيث اخطره بباله ليفعله فان خشى العبد وقوعه منه على صفة منهية كعجب ورياء فلا بأس عليه فى وقوع ذلك العمل على تلك الصفة لان افتتاح هذا العمل اولا على الاخلاص لكن لا تكون تلك الصفة المذمومة مقصودة له فان اوقعها قاصد الرياء مثلا كان عليه اثم ذلك فليستغفر منه وجوبا والحال الثانى وهو ان يكون الخاطر منهيا عنه فلا ينبغى المبادرة الى فعله بل يجب على العبد ان يرده المرة بعد المرة فانه من الشيطان فان مال العبد الى فعله ولكن لم يقع فليستغفر الله من هذا الميل والحال الثالث ان يكون ما التقى فى القلب مشكوكا فيه بان لم يظهر للعبد أهو مأمور به او منهى عنه فمن الادب الامساك عن العمل به حذرا من الوقوع فى المنهى ومن ثم قال الشيخ ابو محمد الجوينى رحمه الله اذا شك المتوضئ ايغسل ثالثة فيكون مأمورا بها ام رابعة فيكون منهيا عنها فلا يغسل خوف الوقوع فى المنهى عنه قال الكمال فى حاشيته والمعتمد انه يغسل لان التثليث مأمور به ولم يتحقق قبل هذه الغسلة فيأتى به انتهى كلام شرح جمع الجوامع وحاشيته * واما كلام الشيخ محيي الدين فى الخواطر فقال فى الباب الرابع والستين ومائتين اعلم ان لله تعالى سفراء الى قلب عبده يسمون الخواطر لا اقامة لهم فى قلب العبد الا زمان مرورهم عليه فيؤدون ما ارسلوا به الى ذلك العبد من غير اقامة بذواتهم وهم سبعون الف خاطر فى اليوم والليلة على عدد من يدخل البيت المعمور كل يوم لا يزيدون ولا ينقصون فلا تغفل يا اخى عن هؤلاء السفراء فانهم يمرون بساحتك ضيوفا ولا يثبتون فان وجدوك متصفا باليقظة فهو المقصود وان وجدوك متصفا بالغفلة نفروا فى مرورهم على بابك لتتيقظ فان تيقظت فانهم لا يفوتونك وان لم تتيقظ لنفرهم تركوك ورجعوا الى ربهم واطال فى ذلك ثم قال وعدة الخواطر خمسة جعلها الحق تعالى لك لتمشى عليها على القلب وتمشى على الطريق الواحد وجوبا والثانى ندبا والثالث حظرا والرابع كراهة والخامس اباحة وجعل الله تعالى فى كل طريق من هذه الطرق ملكا يقابل الشيطان يأمر العبد بضد ما يأمره به الشيطان ما عدا طريق الاباحة انتهى (فان قلت) فهل عفو الله تعالى عن هذه الخواطر فى حق كل الناس ام العفو خاص ببعضهم (فالجواب) هو خاص ببعضهم عند من يقول ان قوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله غير منسوخة او منسوخة فى حق العامة دون الخاصة اما عند من يقول انها منسوخة فهى عامة فى حق كل الامة ولكن كتب القوم مشحونة بالمؤاخذة لهم بالخواطر فى هذه الدار وذكر الشيخ فى الباب الثانى والعشرين واربعمائة ما نصه اعلم ان الله تعالى قد عفا عن الخواطر التى لا تستقر عندنا الا بمكة شرفها الله تعالى لان الشرع ورد ان الحق تعالى يؤاخذ من اراد الظلم فيها قال وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطائف احتياطا لنفسه رضى الله عنه فان الانسان ليس فى قدرته ان يمنع قلبه عن الخواطر التى تناقض مقامه الا ان يكون معصوما او محفوظا وانما نكر فى الآية قوله بظلم ليجتنب الساكن بالحرم كل ظلم انتهى * وقال فى علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة اعلم ان حديث النفس انما كان مغفورا اذا لم يعمل او يتكلم والكلام عمل فيؤاخذ به العبد من حيث ما هو متلفظ به كالغيبة والنميمة فان العبد يؤاخذ بذلك ويسئل عنه من حيث لسانه ولا يدخل الهم بالشئ فى حديث النفس لان الهم بالشئ له حكم آخر فى الشرع خلاف حديث النفس ولذلك موطن كمن يريد فى الحرم المكى الحادا بظلم فان الله اخبر انه يذيقه من عذاب اليم سواء اوقع منه ذلك الظلم الذى اراده ام لم يقع واما فى غير المسجد الحرام المكى فانه غير مؤاخذ بالهم فان لم يفعل ما هم به كتبت له حسنة اذا ترك ذلك

الله وحبله وما لا يسع جهله * وقال ما نشأ الخلاف الا من عدم الانصاف * وقال كل علم انتجه الفكر فلا يعول عليه لان الفكر يسارع اليه * وقال لا ضلال الا بعد هداية كما انه لا عزل الا بعد ولاية * وقال لا يشترط فى المجاورة الجنس لانه علم فى لبس فالله جار عبده بالمعية وان انتفت المثلية * وقال لولا الشبه ما كان الشبه * وقال من اعجب ما ورد انه لم يلد وعنه ظهر العدد فله تعالى احدية العدد وما بالدار من احد * وقال من تعبدته الاضافات فهو صاحب آفات * وقال لو كانت العلة مساوية للمعلول لاقتضى وجود العالم لذاته ولم يتأخر عنه شئ من محدثاته * الكثرة معقولة وما ثم علة الا وهى معلولة * وقال من الامر الكبار خوف النار بالنار لان الشيطان المرجوم محروق بذات النجوم * وقال علوم النظر اوهام عند علوم الالهام * وقال الزمان ظرف المظروف كالمعانى مع الحروف وليس المكان بظرف فلا يشبه الحرف * وقال فى التنزيه عين التشبيه فاين الراحة التى اعطتها المعرفة واين الوجود من هذه الصفة * وقال اذا استقصيت الحقوق حوسب الانسان على ما اختزنه فى الصندوق * وقال فى قوله

لله خاصة فان لم يتر كها من اجل الله لم يكتب له ولا عليه فهذا هو الفرق بين حديث النفس والارادة التى هى الهم انتهى (فان قلت) فما حكم من كثرت عليه وسوسة الشيطان فى الصلاة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب صلاة شدة الخوف من الفتوحات ان حكمه حكم المصلى صلاة شدة الخوف فهو اى الشيطان مع المصلى فى حرب عظيم فيصلى من هذه حالته ولو قطع الصلاة كما فى محاربة الشيطان فيؤدى الاركان الظاهرة كما شرعت بالقدر الذى له من الحضور انه فى الصلاة فى باطنه كما يؤدى المجاهد الصلاة حال المسابقة بباطنه كما شرعت بالقدر الذى له من الصلاة فى ظاهره من الايماء بعينيه والتكبير بلسانه فى جهاد عدوه الظاهر فان وسوس له الشيطان فى ذلك لم يضره وسوسته فى صلاته فان كان قد جعل المصلى فى نفسه انه يصلى رياء وسمعة وكان قد اخلص فى اول شروعه فى الصلاة فلا يبالى فان الاصل صحيح فى اول نشأة صورة الصلاة فلا يبطل عمله وغرض الشيطان بذلك الخاطر انما هو ان يترك العبد العمل الذى شرع فيه العبد على صحة ليخالف قوله تعالى ولا تبطلوا اعمالكم بسبب تلك الشبهة التى يلقيها الى قلب العبد انتهى (فان قلت) فما محل مخالفة النفس من الاحكام (فالجواب) محل مخالفتها فى ثلاثة امور فى المباح والمكروه والمحظور لا غير كما ذكره الشيخ فى الباب الثانى عشر ومائة قال وأما اذا وقعت لها لذة عظيمة فى طاعة مخصوصة وعمل مقرب فهنالك علة خفية فتخالفها بطاعة اخرى وعمل مقرب فان استوى عندها جميع التصرفات فى فنون من العبادات سلمنا لها تلك اللذة فى تلك الطاعة الخاصة وان وجدت المشقة فى العمل المقرب الآخر الذى هو خلاف هذا العمل فالعدول الى الشاق واجب لانها ان اعتادت المساعدة فى مثل هذا انتقلت الى المساعدة فى المحظور والمكروه والمباح قال واذا فكر خبيث السريرة انه يفعل سوأ اذا فرغ من الصلاة مع كونه مؤمنا فالصلاة صحيحة وهو ممن حدث نفسه بسوء وقد عفا الله عنه ما لم يعمله انتهى (فان قلت) فكم ينقسم الخاطر الشيطانى الى قسم (فالجواب) ينقسم الى قسمين حسى ومعنوى ثم الحسى ينقسم الى قسمين لان الشياطين قسمان شيطان انسى وشيطان جنى قال تعالى شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون فجعلهم اهل افتراء على الله وحدث بين هذين الشيطانين فى الانسان شيطان آخر معنوى وذلك ان شيطان الانس والجن اذا القى فى قلب الانسان امرا عاما يبعد بذلك عن الله فقد يلقى امرا خاصا أو خصوص مسئلة بعينها وقد يلقى امرا عاما ويتركه فان كان امرا عاما فتح له فى ذلك طريقا الى امور لا يتفطن لها الجنى ولا الانسى يتفقه فيه ويستنبط من تلك الشبه امورا اذا تكلم بها يعلم ابليس الغواية منها فتلك الوجوه التى تنفتح له فى ذلك الاسلوب العام الذى القاه اليه اولا شيطان الانس أو شيطان الجن تسمى الشياطين المعنوية اذ كل واحد من شياطين الانس والجن يجهل ذلك ولم يقصدوه على التعيين وانما ارادوا بالقصد الاول فتح هذا الباب على الانسان لانهم علموا ان فى قوته وفطنته أن يدقق النظر فيه فينقدح له من المعانى المهلكة ما لا يقدر على ردها بعد ذلك وسببه الاصل الاول فانه اتخذه اصلا صحيحا وعول عليه فلم يزل التفقه فيه يسوقه حتى خرج به عن ذلك الاصل قال وعلى هذا جرى اهل البدع والاهواء فان الشياطين ألقت اليهم اولا اصلا صحيحا لا يشكون فيه ثم طرأت عليهم التلبيسات من عدم الفهم حتى ضلوا فنسبت ذلك الى الشياطين بحكم الاصل وما علموا ان الشيطان فى تلك المسئلة تلميذ لهم يتعلم منهم قال وا كثر ما ظهر ذلك فى الشيعة ولا سيما فى الامامية منهم فادخلت عليهم الشياطين اولا حب اهل البيت واستفراغ الحب فيهم ورأوا ان ذلك من اسنى القربات الى الله تعالى والى رسوله وكذلك هو لو وقفوا ولم يزيدوا عليه بغض الصحابة وسبهم واطال فى ذلك ثم قال وبالجملة فكل شخص لا يفرق

تعالى كل من عليها فان اعلم ان ما كل كل فى كل موضع ترد فيه تكون للحصر لانها قد تأتى ويراد بها القهر مثل قوله فى الريح العقيم تدمر كل شئ بامر ربها وفى آية اخرى ما تذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم وقد مرت على الارض وما جعلتها كالرميم * وقال الشهيد يشبه الميت فيما اتصف به من الفوت ولذلك يورث ماله وتنكح عياله فطلاقه يشبه تطليق الحاكم على الغائب وان كان حيا قد ابعد فى المذاهب وقد ثبت عن سيد البشر لا ضرار ولا ضرر وقد علم ان الشهيد بدار الخلود لا سبيل الى رجعته ولا الى انزاله من رفعته مع كونه حيا يرزق وماهو عند اهله ولا طلق وهذه حالة الاموات وان كانوا احياء عند ربهم فعطاؤهم عندنا وفات ومالنا الا ما نراه ولا نحكم الا بما شهدناه فاسمع تنتفع * وقال الاشتراك بالاجسام من الاوهام لان الكامل مع الله على كل حال فى اهل ومال * وقال المال مالك وصاحبه هالك ان امسكه اهلكه البخل وان منعه اضر به البذل وقد جبل بخلقه من نطفة أمشاج على الفاقة والاحتياج * لا يمتحن الاصحاب دعوى فمن ادعى فقد تعرض للبلاء * وقال ليس الوقوف خلف الباب بحجاب اذا كان يستحيل على من خلفه الوصول فاذن الباب عين المطلوب * وقال من اتقى الله فى موطن التكليف على كل حال

بين الخواطر لا يفلح فى طريق اهل الله ابدا فانه ليس غرض الشيطان من الصالحين الا ان يجهلوه فى الخواطر المذمومة فيأخذوا عنه ما يلقيه اليهم من الضلالات والشبه انتهى وتقدم فى المبحث الثالث والعشرين فى اثبات الجن زيادة على ذلك وكذلك فى مبحث الولاية فراجعه والله اعلم

(المبحث الثامن والخمسون فى بيان عدم تكفير احد من اهل القبلة بذنبه او ببدعته وبيان ان ما ورد فى تكفيرهم منسوخ او مؤول او تغليظ وتشديد كقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون)

قال ابن عباس وغيره هو كفر لا ينقل عن الاسلام ومن امثلة ما ورد التكفير به من الذنوب شرب الخمر واتيان الساحر والكاهن ومن امثلة ما قيل التكفير به من البدع انكار صفات الله تعالى او خلقه افعال عباده او عدم جواز رؤيته يوم القيامة فان من العلماء من كفر هؤلاء * اما من خرج ببدعته من اهل القبلة كمنكرى حدوث العالم ومنكرى البعث للنشر والحشر للاجسام والعلم بالجزئيات على ما مر فى مبحث اسمه تعالى العالم فلا نزاع فى كفرهم لانكارهم بعض ما علم مجىء الرسول به ضرورة * قال الكمال فى حاشيته على شرح جمع الجوامع وقد عزى القول بكفر اهل البدع والذنوب من اهل القبلة الى الاشعرى * وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيره قد رجع الشيخ ابو الحسن الاشعرى قبل موته عن تكفير احد من اهل القبلة قال لان الجهل بالصفات ليس جهلا بالموصوف *وقال قد اختلفنا فى عبارات كثيرة والمشار اليه واحد قال الشيخ كمال الدين بن ابى شريف ومن قال منا بأن لازم المذهب مذهب كفر المبتدعة الذين يلزم مذهبهم ما هو كفر فان المجسمة مثلا عبدوا جسما وهو غير الله تعالى بيقين ومن عبد غير الله كفر قال واما المعتزلة فانهم وان اعترفوا باحكام الصفات فقد انكروا الصفات ويلزم من انكار الصفات انكار احكامها فهم كفار بذلك * قال الكمال والصحيح ان لازم المذهب ليس بمذهب وانه لا كفر بمجرد اللزوم لان اللزوم غير الالتزام وقد وقع فى المواقف ما يقتضى تقييده بما اذا لم يعلم ذو المذهب اللزوم وبان اللازم كفر فانه قال من يلزمه الكفر ولا يعلم به ليس بكافر انتهى ومفهومه ان علمه كفر لالتزامه اياه والله اعلم انتهى وقد ذكر الشيخ ابو طاهر القزوينى فى كتابه سراج العقول انه روى فى بعض طرق حديث ستفترق امتى على نيف وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة ما نصه كلها فى الجنة الا واحدة رواها ابن النجار * قال العلماء والمراد بهذه الواحدة التى هى فى النار هم الزنادقة قال القزوينى وعلى هذه الرواية فيكون معنى الرواية المشهورة كلها فى النار الا واحدة اى فى النار ورودهم وذلك فى مرورهم على الصراط ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا والظالمون هم الكافرون فلا ينبغى لمتدين ان يكفر احدا من الفرق الخارجة عن طريق الاستقامة ماداموا مسلمين يتدينون باحكام اهل الاسلام * قال وامهات هذه الفرق الواردة فى الحديث المتقدم ستة مشبهة معطلة جبرية قدرية رافضة خوارج وكل طائفة من هذه الستة قد تشعبت اثنتى عشرة فرقة فاضرب ستة فى اثنى عشر فما خرج فهو العدد الذى اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ثم لا يخفى ان الكفر هو ضد الايمان قال تعالى فمنهم من آمن ومنهم من كفر والايمان هو التصديق بالرسول وبما جاء به والكفر هو التكذيب لانه مخالفة نص مقطوع به او مخالفة الاجماع وفيهما جميعا تكذيب الرسول ثم ان التكذيب ينقسم الى اربعة اقسام * الاول تكذيب اليهود والنصارى وذلك كفر لاشك فيه * الثانى تكذيب المنكرين لاصل النبوة وتكفيرهم يكون على الطريق الاولى لانهم كذبوا جميع الانبياء ومن اهل هذا القسم الدهرية لانهم كذبوا بالله وبالرسل جميعا ومنهم ايضا الملاحدة لانهم لبسوا التكذيب فى صورة التصديق فعلقوا معرفة الله بمعرفة الرسول وقد علم قطعا ان معرفة الرسول معلقة بمعرفة المرسل

فاز درجة الكمال عند الارتحال * وقال انما يجب التخليل الاقل لانه رآه يطلب السافل وهمته كانت فى العلو لصاحب العلو * وقال اذا حققت الاصول فلا زهد الا فى الفضول واما ما تدعو الحاجة اليه فذلك المعول عليه * وقال لو تعطلت الاجور لالتبست الامور * وقال المباح اتم شرع شرع للانسان وعليه جميع الحيوان * الا ترى ان لهم الكشف التام فى اليقظة والمنام * ولهم الكتم فيما يرونه من عذاب القبر المحتم * وقال كل جزء فى العالم فقير الى العظيم والحقير فالكل عبيد النعم ومن النعم الامان من حلول النقم والامراض فى ونسى والافاين حال قوله صلى الله عليه وسلم نور انى اراه وقوله انكم سترون ربكم فاثبتها لنا ونفاها عنه لما علم منه * وقال ليس من شرط البيان حركة اللسان فان لسان الاحوال افصح وميزانها فى الابانة عن نفس صاحبها ارجح ومن سكت ربما رمى بالخرس وقام له مقام الجرس فظهر سره وان جهل امره وكثرت فيه المقالات وتطرقت اليه الاحتمالات ففتح بصمته ابواب الالسنة وهو ملازمة بيته جميع الامكنة ما شرف موسى عليه السلام الا بما نسب اليه من الكلام وبالكلام وجد العالم وظهر على اتم نظام وكل قول برز فهو بحسب حقيقة القائل فمنه التام ومنه الزائل ومنه ما يكون الا بحرف وهو لمعنى

القول كظرف ومنه ما لاحرف فيه فيزول فقد ابثث الشيء عن الاصول * وقال ان اردت ان تكون من الخدام فالتزم الادب التزام الالف واللام

فتكون المسئلة دورية لا يمكن اثبات واحد منهما وفي ضمن دعواهم هذا نفي الرسول والمرسل جميعا وتبعهم اقوام على هذا الاعتقاد فانكروا الشرائع واباحوا نكاح الامهات والبنات وقالوا ما ثم الا فروج تدفع وارض تبلع فالحقوا بالمجوس والدهرية * القسم الثالث قوم صدقوا الرسول ولكن اعتقدوا ان جميع ما اخبر به الرسل من الشرائع ومنكر ونكير والحشر والنشر ونحو ذلك انما هو على طريق المصالح للخلق وهم الفلاسفة وكفرهم من حيث تجويزهم الكذب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي ذلك سد باب النبوة اصلا اذ يبطل الثقة بقولهم فيجب تكفيرهم بالطريق الاولى ويقرب من اهل هذا القسم الحلولية الذين يزعمون ان روح الاله حلت فيهم وان الله تعالى اعضاء على صورة حروف الهجاء وكذلك يقرب منهم الخطابية التي ادعت الالوهية لجعفر بن محمد الصادق وكذلك الصابئة ادعوها لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه فامر علي بن ابي طالب باحراقهم بالنار فصاروا يصرخون في النار الآن تحققنا انك اله فلما اطلع ائمة الشريعة على هذه الفضائح الشنيعة الحقوا القدرية بالمجوس والحلولية باهل الردة والمجسمة بعبدة الاوثان فيستتابون وينبهون على ان ذلك كفر فان اصروا ولم يرجعوا عقد السلطان لهم مجلسا وفعل بهم ما اتفق رأي العلماء عليه من قتل او عقوبة وليس ذلك لآحاد الرعية باجماع الامة * القسم الرابع قوم صدقوا الرسول في قوله ولكنهم اخطؤا في التاويل مع كونهم من اهل القبلة كالمعتزلة والجبرية والروافض والخوارج والمشبهة ونحوهم وقد اختلف الائمة هل الخطأ في التاويل يبلغ حد التكفير فيباخوا التكفير ام لا فصاروا في ذلك فرقتين * الفرقة الاولى زعمت ان من خالف الرسول في شيء اخبر به فقد كذبه سواء كان بمجرد الانكار او الخطأ في التاويل واجروا عليهم بذلك احكام الكفرة ولم يميزوا بين الغلاة منهم وبين المقتصدين وهؤلاء مع ما ضيقوا من رحمة الله التي وسعت كل شيء لم يتابعهم الجمهور من العلماء والخلفاء ولم يرو ادماء القوم بقولهم ولا استباحوا اموالهم ولا حريمهم بفتواهم بل اجروا عليهم احكام المسلمين الى عصرنا هذا لدخولهم في صدق اسم المسلمين عليهم وهم من امة الاجابة بلا شك فمن سماهم كفرة فقد ظلم وتعدى وانما يقال فيهم فسقة ضالة مبتدعة مخطئة ونحو ذلك ومن سماهم كفرة فانما ذلك على سبيل التشديد والتغليظ لما هم عليه من الخطأ الفاحش والبدع الشنيعة فشبه ذلك بالكفر لمقاربته له كما ورد في الحديث المراء في القرآن كفر وكما ورد بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة ومن ترك الصلاة متعمدا فقد كفر واذا قال المسلم للمسلم يا كافر فقد كفر لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ونحو ذلك فانه كله ورد على وجه التغليظ والزجر فان الشيء قد يطلق على الشيء الآخر بنوع شبه ولا يقتضي حقيقة الحكم عند التفصيل كما يقول الشخص لاجنبي انت اخي او ولدي على طريق التقريب والاكرام ثم لا يرثه اذا مات ولا يحرم عليه بناته واخواته وكما يقول الرجل لآخر انا عبدك على معنى التواضع والطاعة ولا يجوز له بذلك القول بيعه ولا امتلاكه انتهى (قلت) لكن في فتاوى الامام الكردي في آخر الفاظ التكفير بعد ما قاله ائمة الحنفية من المكفرات ما نصه ويحكى عن بعض من لا سلف له انه كان يقول ما ذكر في الفتاوى ان فلانا يكفر بكذا انما هو للتخويف والتهويل لا لحقيقة الكفر قال وهذا كلام باطل وحاشا ان يلعب امناء الله اعني علماء الاحكام بالحلال والحرام والكفر والاسلام بل لا يقولون الا الحق الثابت عن سيد الانام محمد صلى الله عليه وسلم او ما ادى اجتهاد الامام اخذا من نص القرآن انزله الملك العلام وشرعه سيد الرسل العظام او قاله الصحب الكرام قال هذا الذي حررته هو كلام المشايخ السابقين العظام بواهم الله بفضله دار السلام * انتهى كلامه وما عليه الجمهور اولى فان منازع الفرق دقيقة على غالب الناس وكيف يقتل رجل يقول ربي الله ومحمد نبيي ويؤمن بالحشر والحساب والله تعالى اعلم

(وقال) صاحب علم سر القدر لا يقول قط انا الله وحاشاه من هذا القول حاشاه بل يقول انا العبد الذليل في المسير والمقيل وقال الايمان برزخ بين الاسلام والاحسان فله من الاسلام ما يطلبه عالم الاجسام وله من الاحسان ما يشهد به الحسان فمن آمن فقد اسلم واحسن ومن جمع الطرفين فقد فاز بالحسنيين الاسلام صراط قويم والايمان خلق كريم والاحسان شهود التقديم اذا صح الانقياد كان علامته خرق المعتاد المسلم لا يحتاج الى تاويل فهو معرس في احسن مقيل * وقال من مال الى الآمال اخترمته الآجال ليس بالمواتي من اشتغل بالماضي والآتي والحليم الاواه من كان مشتغلا بالله ومن كان عبدا لغير الله فاعبد الاهواء لان العدو اخذه عن طريق هداه * وقال في قوله تعالى حتى نعلم من علم الشيء قبل كونه فما علمه من حيث كونه العلم يتغير بتغير المعلوم ولا يتغير المعلوم الا بالعلم فقولوا لنا كيف الحكم هذه مسئلة حارت فيها العقول وما ورد فيها منقول * وقال لا تقل نحن اياه لقوله فاجره حتى يسمع كلام الله فانت

اعلم * الفرقة الثانية من الائمة قد امسكت عن القول بتكفير المؤولين ولم يجعلوا احدا منهم كافرا ولا مكذبا للرسل وقالوا لو كان المؤولون مكذبين للرسل كالكفرة لم يعتنوا بتاويل كلامه صلى الله عليه وسلم ولم يشتغلوا به بل كانوا يضربون عنه صفحا فاشعر عدولهم الى تاويله بانهم قبلوه وصدقوا به غير انهم لم يوفقوا للصواب في تاويله فاخطؤا فيه فكان حكمهم حكم من فر من الكفر فوقع في البدعة بخطئه قال ابو سليمان الخطابي رحمه الله واول ما وقع مفارقة اهل السنة في زمن الامام على رضي الله عنه وكان هؤلاء المخالفون هم الذين اخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية قال وقد سئل الامام على رضي الله عنه عنهم اكفار هم فقال لا انهم من الكفر فروا فقيل امنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا فقيل اى شئ هم فقال قوم اصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا قال الخطابي وانما لم يجعلهم كفارا لانهم تعلقوا بضرب من التاويل والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين اى الطاعة كما قال تعالى ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اى طاعته قال وحجة من قال بعدم تكفير المتاولين انه قد ثبت عصمة دمائهم واموالهم بقولهم لا اله الا الله محمد رسول الله ولم يثبت لنا ان الخطأ في التاويل كفر والا فلا بد من دليل على ذلك من نص او اجماع او قياس صحيح على اصل صحيح من نص او اجماع ولم نجد من ذلك شيئا فبقي القوم على الاسلام فان اتفق في زمان وجود مجتهد تكاملت فيه شروط الاجتهاد كالائمة الاربعة وبان له دليل قاطع ان الخطأ في التاويل موجب للكفر كفرناهم بقوله وهيهات ان يوجد مثل ذلك في مثل هذه الازمان انتهى وقد سئل الامام المزني رحمه الله عن مسئلة في علم العقائد فقال حتى انظر واتثبت فانه دين الله وكان ينكر على من يبادر الى تكفير اهل الاهواء والبدع ويقول ان المسائل التي يقعون فيها الطاف تدق عن النظر العقلي وكان امام الحرمين رحمه الله يقول لو قيل لنا فصلوا ما يقتضي التكفير من العبارات عما لا يقتضيه لقلنا هذا الجمع طمع في غير مطمع فان هذا بعيد المدرك وعر المسالك يستمد من تيار بحار التوحيد ومن لم يحط علما بنهايات الحقائق لم يتحصل من دلائل التكفير على وثائق وكان ابو المحاسن الروياني وغيره من علماء بغداد قاطبة يقولون لا يكفر احد من اهل المذاهب الاسلامية لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا انتهى (قلت) وقد رايت سؤالا بخط الشيخ شهاب الدين الاذرعي صاحب القوت قدمه الى شيخ الاسلام الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله وصورته ما يقول سيدنا ومولانا شيخ الاسلام في تكفير اهل الاهواء والبدع * فكتب اليه اعلم يا اخي وفقني الله واياك ان الاقدام على تكفير المؤمنين عسر جدا وكل من في قلبه ايمان يستعظم القول بتكفير اهل الاهواء والبدع مع قولهم لا اله الا الله محمد رسول الله فان التكفير امر هائل عظيم الخطر ومن كفر انسانا فكانه اخبر عن ذلك الانسان بان عاقبته في الآخرة العقوبة الدائمة ابد الآبدين وانه في الدنيا مباح الدم والمال لا يمكن من نكاح مسلمة ولا تجرى عليه احكام اهل الاسلام في حياته ولا بعد مماته والخطأ في قتل مسلم ارجح في الاثم من ترك قتل الف كافر ثم ان تلك المسائل التي يحكم فيها بالتكفير لهؤلاء المبتدعة في غاية الدقة والغموض لكثرة شعبها ودقة مداركها واختلاف قرائنها وتفاوت دواعي اهلها ويحتاج من يحيط بالحق فيها الى الاستقصاء في معرفة الخطاب بسائر صنوف وجوهه والى الاطلاع على حقائق التاويل وشرائطه في الاماكن ومعرفة الالفاظ المحتملة للتاويل وغير المحتملة وذلك يستدعي معرفة جميع طرق اهل اللسان من سائر قبائل العرب في حقائقها ومجازاتها واستعاراتها ومعرفة دقائق الامور في علم التوحيد الى غير ذلك مما هو متعذر جدا على غالب العلماء فضلا عن غيرهم واطال في ذلك ثم قال فعلم ان القول بتكفير اهل الاهواء

الترجمان والمتكلم الرحمن فقيده كلام الله بالامكنة بكونه في المصاحف والالسنة يقول القارئ قال الله ثم انه يتلو * الحروف ظروف والصفة غير الموصوف عند اهل الكشف والشهود وهو عين المقصود فاذا انطقنا فاشهد عين نطق التنزيه تجديد فلا تقل بالتجريد * وقال في حديث شتمني ابن آدم من اشتكى الى غير مشتكى فقد حاد عن الطريق وعرج عن مناهج التحقيق ولولا اقتدار العبد على دفع الاذى ما شكى الحق اليه ذا فالخلق مشتكى الحق والحق مشتكى الخلق ومن شكى الى جنسه فما شكى الا الى نفسه * وقال من ذل لله فقد اشبه الفروع ومن تكبر فقد اشبه الاصول فالرجوع الى الفروع اولى من الوصول الى الاصول * وقال اذا اراد الحق تعالى بعبده ان يقطع امله اشهده اجله واذا بدل الله سيآت عبده حسنات يود انه لو كان اتى بقراب الارض خطايا او حمل ذنوب جميع البرايا لما يعاينه من حسن التحويل وجميل صور التبديل ففاز هذا في الدنيا باتباع الهوى وفي الآخرة بجنة المأوى وعلى هذا جزاء بعض المذنبين اعظم من جزاء بعض المحسنين فيود المذنبين من الخير ما لم يكونوا يحتسبون واكثر الناس في الدنيا بهذا لا يشعرون فحسنوا يا اخواني ظنكم بربكم تفوزوا بقربكم * وقال الاخذ بالعزائم نعت الرجل الحازم او لو

والبدع يحتاج الى امرين عزيزين احدهما تحرير المعتقد وهو صعب من جهة عدم الاطلاع على ما فى القلب وتخليصه عما يشوبه مع تعذر ان الشخص ينطق عندها كما يعرف انه يكون قتله هذا امر اعز من الكبريت الاحمر وكذلك البينة على ما فى قلب الشخص بتعذر اقامتها * الثانى ان الحكم بان ذلك كفر صعب من جهة صعوبة علم الكلام ومواطن الاستنباط وتمييز الحق فيه من غيره وانما يحصل ذلك لرجل جمع صحة الذهن ورياضة النفس حتى خرج عن الهوى والتعصب بالكلية مع امتلائه من علوم الشريعة والاطلاع على اسرارها ومنازع الائمة المجتهدين فيها وهذا قل ان يوجد الآن عند شخص واذا كان الانسان يعجز عن تحرير اعتقاد نفسه فى عبارة فكيف يقدر على تحرير اعتقاد غيره فى عبارة فالادب من كل مؤمن ان لا يكفر احدا من اهل الاهواء والبدع لا سيما وغالب اهل الاهواء انما هم عوام مقلدون لبعضهم بعضا لا يعرفون دليلا يناقض اعتقادهم اللهم الا ان يخالفوا النصوص الصريحة التى لا تحتمل التأويل عنادا وجدا فللعلماء فى ذلك النظر انتهى كلام الشيخ تقى الدين السبكى ومن خطه نقلت رحمه الله وهو كلام فى غاية الجودة والنفاسة * وكان الامام احمد بن زاهر السرخسى اخص اصحاب الشيخ ابى الحسن الاشعرى يقول لما حضرت الوفاة ابا الحسن الاشعرى فى دارى ببغداد امر بجمع اصحابه ثم قال اشهدوا على اننى لا اكفر احدا من اهل القبلة بذنب لانى رأيتهم كلهم يشيرون الى معبود واحد والاسلام يشملهم ويعمهم انتهى فانظر كيف سماهم مسلمين والله تعالى اعلم * (خاتمة) * اخبرنى شيخنا الامام العالم المحدث الشيخ امين الدين امام جامع الغمرى بمصر المحروسة ان شخصا وقع فى عبارة فى التوحيد ظاهرها يخالف الشريعة فعقدوا له مجلسا بحضرة السلطان بمصر وافتى العلماء بكفره وكان الشيخ جلال الدين المحلى غائبا عن المجلس فلما حضر قال من افتى بقتل هذا فقال شيخ الاسلام صالح البلقينى وجماعة نحن افتينا بذلك فقال لهم ما دليلكم فى ذلك فقال الشيخ صالح افتى بذلك والدى شيخ الاسلام سراج الدين البلقينى فى نظير هذه الواقعة فقال تقتلون رجلا مسلما موحدا يقول ربى الله ومحمد رسول الله نبينا بفتوى والدك ثم اخذ بيد الرجل ونزل به من القلعة فما تجرأ احد يتبعه رضى الله عنه * وقال شيخ الاسلام بالشام سراج الدين المخزومى افتيت مرة بقتل من ردى انتقص رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاتبنى على ذلك شيخ الاسلام جلال الدين البلقينى وقال هلا كتبت بعثت به الى المالكية ليتقلدوا امره وارحت نفسك من تبعته قال المخزومى رحمه الله وقد افتى شيخنا شيخ الاسلام شهاب الدين الزهرى رحمه الله بقتل رجل سب امنا عائشة وكان قد نهاه فلم يقتله فلما اخرجوا به يجرونه للقتل قال باعلى صوته يا زهرى ما حجتك عند الله اتقتلون رجلا يقول ربى الله ومحمد رسول الله نبيى فكان الزهرى بعد ذلك لا يزال يذكر قوله ويبكى ويقول انى اخاف من قتل ذلك الرجل ان يؤاخذنى الله به يوم القيامة انتهى هذا الخوف فى حق من سب من صرح القرآن ببراءتها فكيف بمن يتجرأ على الافتاء بقتل احد من اولياء الله تعالى بعبارة لم يفهمها على وجهها لغلظ حجابه * وكان الامام الغزالى رحمه الله يقول من اكبر الآثام تخطئة العلماء من غير اطلاع على مرادهم وحمل كلامهم على حال قد لا يرتضونها * وقال فى كتابه المنقذ من الضلال انما يجب على العلماء بيان ما تبين لهم انه الحق لا من لا يتبين لهم * وقال شيخ الاسلام المخزومى قد نص الامام الشافعى على عدم تكفير اهل الاهواء فى رسالته فقال لا اكفر اهل الاهواء بذنب وفى رواية عنه ولا اكفر احدا من اهل القبلة بذنب وفى رواية اخرى عنه ولا اكفر اهل التأويل المخالف للظاهر بذنب قال المخزومى رحمه الله اراد الامام الشافعى رحمه الله باهل الاهواء اصحاب التأويل المحتمل كالمعتزلة والمرجئة واراد باهل القبلة اهل التوحيد انتهى فقد علمت يا اخى مما قررناه لك فى هذا المبحث ان جميع العلماء المتدينين امسكوا

ماتو عمر فيسر له فى آخرته ما تعسر فما اثقل ظهرك سوى وزرك فهنا قحط الاتقال اثقل الاعمال والاقوال فاحذر من الابتداع فى حال الاتباع * وقال التخلق بالاسماء الالهية على الاطلاق من اصعب الاخلاق لما فيها من الخلاف والوفاق فاياك ان يظهر مثل هذا عنك قبل ان تشهد مشهد من قال اعوذ بك منك فمن استعاذ والى من لاذ * انظر وفى موافقة الامثال من شأن الرجال ومن الزم نفسه محال فهو شديد الجهل فان الرباط ملازمة والملازمة فى الالهيات مقاومة وقال جنة النعيم لاصحاب العلوم وجنة الفردوس لاصحاب الفهوم وجنة المأوى لاهل التقوى وجنة عدن للقائمين بالوزن وجنة الخلد للمقيمين على الود وجنة المقامة لاهل الكرامة * وقال الاعتدال وبال لا يكون مع الاعتدال الا دوام الحال انظر فى وجود الخلق تجده عن ارادة الحق والارادة انحراف بلا خلاف فاين الاعتدال والاصل ميال فما ثم الا ميل عن ميل لصاحب النيل لو كان ثم اعتدال ما دوى انسان ولا مال التنزيه ميل والتشبيه ميل ولا اعتدال هو بين هذين وهذا الابدع فى العين لو كان ثم اعتدال الكان ما الوقفة ولم يكن يميل من الميزان كفة من قال بالاستواء

والزم العقل بالانحراف والاعتدال وله ماسكن فى الليل والنهار وماثم شاكن فى الاغيار لا فى البصائر ولا فى الابصار

عن القول بالتكفير لاحد من اهل القبلة بذنب فبهداهم اقتده والله تعالى اعلم

(المبحث التاسع والخمسون فى بيان ان جميع ملاذ الكفار فى الدنيا من اكل وشرب وجماع وغير ذلك كله استدراج من الله تعالى)

حيث يلذه مع علمه باصراره على الكفر الى الموت فهى نقمة عليه يعذب بها عذابا زائدا على عذاب الكفر وقالت المعتزلة انها نعمة يترتب عليها الشكر *وقال بعض المحققين جميع مايرزقه الله الكافر ليس لكرامة ولا اهانة وانما ذلك لسبق العلم بانه رزقه مابه قوام بدنه حتى يفعل جميع ما كتب له او عليه انتهى قالوا وجميع مايفعله الكافر من الخيرات يجازيه الله عليه فى دار الدنيا من صحة فى البدن وتوسعة فى الرزق وغير ذلك وليس له فى الآخرة من نصيب فانه تعالى اخبر انه لايضيع أجر من احسن عملا لوسع كرمه ثم ان ختم الله لذلك الكافر بالاسلام أثيب على كل عمل لايشترط فيه النية كحفر الآبار للعطش واطعام الجائع وقرى الضيف وصلة الرحم والعتق زيادة على ثواب الاعمال الاسلامية كما قال صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام حين أسلم أسلمت على ماسلف لك من خير وكان قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الامور وانه تبرر بها فى الجاهلية وهذا ماعليه الجمهور * وقال الآمدى فى الابكار لانعلم خلافا بين أصحابنا انه تعالى ليس له على من علم اصراره على الكفر نعمة دينية أبدا وأما النعمة الدنيوية فللاشعرى فيها قولان وميل القاضى أبى بكر الى الاثبات ثم أشار الى ان الخلاف لفظى فمن نفى النعم لاينكر الملاذ فى الدنيا وتحقيق اسباب الهداية غير انه لا يسميها نعما لما يعقبها من الهلاك ومن أثبت كونها نعما لاينازع فى تعقيب الهلاك لها غير انه سماها نعما للصورة وكان أبو العباس السارى رضى الله عنه يقول عطاء الحق للمؤمن على نوعين كرامة واستدراج فما ابقاه عليك فهو كرامة وما ازاله عنك تبين انه استدراج قالوا والألم يقابل اللذة واختلفوا فيه هل هو وجودى أو عدمى ولكل منهما وجه قالوا وأعلى اللذات اللذة العقلية وهى الحاصلة بسبب معرفة الاشياء والوقوف على حقائقها وهى اللذة على الحقيقة وعلى هذا فاللذة محصورة فى المعارف * وقال ابوزكريا الطبيب ان اللذة أمر عدمى وهو الخلاص من الالم وضعف هذا القول بان الانسان قد يلتذ بالشئ من غير سبق ألم كما اذا وقع بصره على صورة حسنة فانه يلتذ بابصارها مع انه لم يكن له شعور بها حتى تحصل تلك اللذة مخلصة من ألم الشوق اليها وكذلك من وقف على مسئلة علم او كنز مال فجأة من غير خطور ذلك بالبال وألم الشوق اليهما * وقال السمرقندى فى الصحائف الحق ان الادراك ليس هو نفس اللذة بل ملزومها وفى المحصول ان الصواب انها لاتحد لانها من الامور الوجدانية وعليه مشى فى الطوالع وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام هذا مخصص بدار المحنة وأما دار الكرامة التى هى الجنة فان اللذة تحصل فيها من غير ألم يتقدمها او يقترن بها لان العادات خرقت فيها فيجد أهل الجنة لذة الشرب من غير عطش ولذة الطعام من غير جوع وكذلك القول فى العقوبات فان أقل عقوبات الآخرة لايبقى معها فى هذه الدار حياة وأما الدار الآخرة فيأتى احدهم أسباب الموت من كل مكان وما هو بميت والله تعالى أعلم

(المبحث الستون فى بيان وجوب نصب الامام الاعظم ونوابه ووجوب طاعته وانه لايجوز الخروج عليه وان وجوب نصبه علينا لاعلى الله عز وجل وانه لايشترط كون الامام افضل أهل الزمان بل يجب علينا نصبه ولو مفضولا وذلك ليقوم بمصالح المسلمين)

الا تراه جعله عبرة لاولى الابصار فانظر واعتبر *وقال الحق فى الاعتدال فمن جار أو عدل فقد مال لكن ان مال لك فقد أفضل وان مال عليك فقد أبخس * وقال انما اشترك الزوجان فى الالتحام لانه نظام التوالد فان لم والا فالاولى التباعد اذ التباعد فيه التنزيه والانتظام فيه التشبيه وانما جحدناه فيمن تولد عنه به وقربناه من قال انه وحد فقد أجد اذ الاحدية لله لاتكون بتوحيد أحد ولم يكن له كفوا أحد عجبا فى تنزيهه عن الصاحبة والولد حتى لايكون معه احد وعنه وجد ماوجد من العالم من ذى روح وجسم وجسد ثم ان ولادة البراهين الصحاح عن نكاح عقول وشرائع مافيه جناح واما ماتولد عن نكاح لشبه فى العقول والاشباح فهو سفاح وهذا الباب مقفل وقد رميت اليك بالمفتاح *وقال لما دعا الله تعالى الارواح من هيا كلها بشا كلها حنت الى ذلك الدعاء وهان عليها مفارقة الوطاء فكان اما الانفساح بالسراح من هذه الاشباح ثم اذا وقعت الاعادة عادت الى ما كانت عليه روحا وجسما هذا معنى الرجوع * وقال اسوداد الوجوه من الحق المكروه كالغيبة والنميمة وافشاء السر فهو مذموم وان كان صدقا فلذا

كسد الثغور وتجهيز الجيوش وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق وقطع المنازعات الواقعة بين الخصوم وحفظ جميع مصالح الناس الدينية والدنيوية فلولا الامام الاعظم مازجر الناس عما يضرهم ولا نفذت أحكامهم ولا اقيمت حدودهم ولا قسمت غنائمهم وقد اجمع الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصبه حتى جعلوه اهم الواجبات وقدموه على دفنه صلى الله عليه وسلم ولم تزل الناس فى كل عصر على ذلك ويؤيد ذلك أيضا عدة احاديث منها حديث مسلم من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية * وقال الكمال فى حاشيته نصب الامام واجب سمعا اى شرعا لا عقلا وقال اصحاب الجاحظ والبلخى والبصرى من المعتزلة بوجوب نصب الامام على الحق تعالى عقلا لانهم يقولون الضرر مع عدم الامام متوقع من الظلمة على الضعفاء ودفع الضرر المظنون واجب عقلا وذلك انما يندفع بنصب امام يقوم باحكام الشرع وهم موافقون لاهل السنة فى تعيين الائمة واما اهل السنة فذهبوا الى ان الامام يعرف بامور اما بنصب من يجب ان يقبل قوله كنبي او امام او باجماع المسلمين وكان الامام بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالاجماع ابابكر الصديق ثم عمر الفاروق بنص ابى بكر عليه ثم عثمان بنص عمر على جماعة جعل امر الخلافة شورى بينهم فانه لم يستخلف احدا فاجتمع الناس على امامة عثمان ثم عليا المرتضى واجمع المعتبرون من الصحابة على ذلك وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون ثم وقعت المخالفة بين الحسن ومعاوية وصالحه الحسن واستقرت الخلافة عليه ثم على من بعده من بنى امية وبنى مروان حتى انتقلت الخلافة الى بنى العباس واجمع اكثر اهل الحل والعقد عليهم وانساقت الخلافة منهم الى ان جرى ما جرى * واما قول بعض الروافض ان ابابكر غصب الخلافة وتقدم على على رضى الله عنه ظلما فهو باطل يلزم منه اجتماع الصحابة على الظلم حيث مكنوا ابابكر من الخلافة وحاشاهم من ذلك فانهم حماة الدين * وقالت الخوارج والاصم من المعتزلة لا يجب على الناس نصب امام ومنهم من قال بوجوب نصبه عند ظهور الفتن دون زمن الامن وبعضهم عكس الامر * وقالت الشيعة المسمون بالامامية بوجوب نصب الامام على الله تعالى والحق انه لا يجب على الله تعالى شئ ولو اوجبه على نفسه او حرمه كما فى قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وكما فى قوله تعالى فى الحديث القدسى انى حرمت الظلم على نفسى وذلك لان حضرته سبحانه وتعالى لا تقبل التحجير بذلك بل من خلقه اذ التحجير لا يكون الا من اعلى على ادنى فافهم * وقالت المعتزلة يجب على الله تعالى اشياء يترتب الذم بتركها منها الجزاء اى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ومنها اللطف بان يفعل بعباده ما يقويهم على الطاعة ويقربهم منها ويبعدهم عن المعصية بحيث لا ينتهون الى حد الالجاء ومنها فعل الاصلح لهم فى الدنيا من حيث الحكمة وقولنا فى ترجمة المبحث لا يجوز الخروج على السلطان قد خالفنا فيه المعتزلة فجوزوا الخروج على السلطان الجائر بناء على انعزاله بالجور عندهم وقولنا يجب نصب الامام ولو مفضولا قد خالفنا قوم فى ذلك فقالوا لا يكفى نصب الامام المفضول مع وجود الفاضل بل يتعين نصب الفاضل ونقل ذلك عن الاسماعيلية وهم قوم منسوبون الى اسمعيل ابن الامام جعفر الصادق المدفون بالقرب من البقيع ويسمون بالباطنية وبالملاحدة اما الباطنية فلكونهم يقولون لكل ظاهر باطن واما تلقيبهم بالملاحدة فلعدولهم عن ظواهر الشريعة الى بواطنها فى بعض الاحوال * واعلم ان بعضهم جعل كلام بعض الصوفية فى دقائق العلوم كمذهب الباطنية سواء والحق ان بينهما فرقا فان الصوفية لا يعتمدون قط على باطن الا ان وافق ظاهر الشريعة والاروايه وكتبهم مشحونة بذلك بخلاف الباطنية يعتمدون ما انتحله اكابرهم سواء وافق الشريعة او خالفها فافهم وقد تقدم فى مبحث الكلام على القطب والافراد انه قد يكون من الافراد من هو اكمل من

قال الله تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم اى هل أذن لهم فى افشائه أم لا فما كل صدق حق واعلم انه لو كان سبقتنا اليه حقا ما قدم احد خلقا ولو ذمه الكفر ولو كان ما استتر فهو تعالى المعروف بانه غير معروف والحق الذى يقال ما قبح وذم فهنا وما حسن وحمد فما خرج عنا * وقال العارف مسود الوجه فى الدنيا والآخرة لكن اسوداد السيادة لما كان عليه من العبادة فان وجه الشئ كونه وذاته وعينه * وقال فى قوله وقل ربى زدنى علما الانسان مجبول على الطمع فلا يقال فيه يوما انه قنع فان قنع فقد جهل واساء الادب ومن هنا كان العارف لا يزهد قط فى الطلب وما أراد منك بذلك الا دوام الافتقار فى الليل والنهار فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب ولا يتقبل الحق من العباد الا ما به عليهم جاد فمنه بدا الجود واليه يعود فيا من يطلب القديم انت عديم فقل لربك انما نحن بك ولك خلقتنا لتعبدك وفى عبادتنا نشهدك ثم على قدر ما سألناك من الشهادة تنقصنا من العبادة * وقال لا يؤثر الحرص فى القدر الا اذا كان من القدر وكم من حريص لم يحصل على طائل لعدم الامر من القائل من قصرت همته عن طلب [illegible] بذ فليس من كمل الصدق [illegible] ماوهبك الحق فانه لو وهبك كل ما دخل فى الوجود لكان قليلا بالنظر الى

العطب

القطب لان القطب لم ينل هذا المقام بفضله على الكافة من الاولياء وانما هو لسبق العلم بانه لابد فى العالم من واحد يرجع اليه امر الناس فتعين للقطبية لا باولوية فكذلك القول فى مبحث الامامة هنا لا يشترط ان يكون الامام افضل الرعية والله اعلم * واعلم انه لا يشترط فى الامام العصمة ولا كونه هاشميا ولا علويا خلافا للرافضة وذهب الجمهور الى ان الامام الاعظم لا ينعزل بالفسق وفى كتب اصحاب امامنا الشافعى رضى الله عنه يشترط ان يكون الامام بالغا عاقلا مسلما عدلا حرا ذكرا مجتهدا شجاعا ذا رأى وكفاية قرشيا سميعا بصيرا ناطقا سليم الاعضاء من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض فان لم يوجد قرشى اجتمعت فيه الشروط فكنانى فان لم يوجد فغيره والجاهل العادل اولى من الجاهل الفاسق كما هو مقرر فى كتب الفقه هذا ما رأيته فى كتب المتكلمين * واما عبارة الشيخ محيى الدين رحمه الله فقال فى الباب الثانى والعشرين وثلثمائة من الفتوحات (فان قلت) ان الشارع لم ينص على الامر باتخاذ الامام فن اين يكون واجبا (فالجواب) ان الله تعالى امرنا باقامة الدين ولا سبيل الى اقامته الا بوجود الامان على انفس الناس واهليهم واموالهم ومنع تعدى بعضهم على بعض وذلك لا يصح لهم الا مع وجود امام يخافون سطوته ويرجون رحمته ويرجعون اليه ويجتمعون عليه فاذا امنوا على انفسهم لا يتفرغون لاقامة الدين الذى اوجب الحق تعالى عليهم اقامته وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب فاتخاذ الامام واجب علينا لا على الله تعالى قال ويجب ان يكون واحدا لئلا يختلفا فيؤدى الى الفساد فى الكون كما ان اله العالم واحد وكما ان القطب الغوث فى العالم واحد فنصب الامام واحدا واجب شرعا انتهى (فان قلت) اذا صحت امامة شخص فبماذا ينعزل منها (فالجواب) ينعزل بعجزه عن القيام بحقها من منع بغى الرعية على بعض ونحو ذلك مما تقدم فى شروط الامامة كما هو مقرر فى كتب الفقه * وقد قال الشيخ محيى الدين فى الباب الستين من الفتوحات كل امام لا ينظر فى احوال رعيته ولا يمشى فيهم بالعدل والاحسان فقد عزل نفسه من الامامة فى نفس الامر دون الظاهر قال وعندى ان الحاكم اذا جار او فسق انعزل فيما فسق فيه خاصة لانه لم يحكم بما امره الله ان يحكم به وقد ابقى رسول الله صلى الله عليه وسلم للولاة اسم الامامة ولو جاروا فقال فان عدلوا فلكم ولهم وان جاروا فلكم وعليهم وامرنا ان لا نخرج يدا من طاعة ولا خص بذلك والبادون آخر ومن هنا قلنا انه انعزل فى نفس الامر دون الظاهر انتهى * فعلم انه ليس للامام مخالفة الشريعة ابدا لكن رأيت فى الباب التاسع والستين وثلثمائة فى الكلام على علم السياسة ان للملوك ان يعفوا على كل شئ الا عن ثلاثة اشياء وهى التعرض للحرم وافشاء السر والقدح فى ملكهم انتهى * ورأيت فى تاريخ الخلفاء للجلال السيوطى ان ذلك من كلام ابى جعفر المنصور وكذلك رأيت فى الاحكام السلطانية ان للوالى ان ضرب المجرم حتى يقر وليس ذلك للقاضى فليتأمل ذلك * وقال فى علوم الباب الرابع والستين وثلثمائة من الفتوحات من طعن فى الولاة فقد نسب من نصبهم الى السفه وقصور النظر وهو باب خطر جدا قال ولهذا نهى الحق تعالى عن الطعن فى الملوك والخلفاء واخبر ان قلوبهم بيد الله تعالى ان شاء قبضها عنا وان شاء عطف بها علينا وامرنا ان ندعو لهم لان وقوع المصلحة بهم فى العامة اعظم من جورهم مع انهم باب الله تعالى فى قضاء الحوائج فى اهل الارض سواء كانوا فاسقين او صالحين عادلين او جائرين ولا يخرجهم ذلك عن اطلاق اسم النيابة عليهم انتهى * وقال فى الكلام على الامامة من صلاة الجماعة فى ابواب الصلاة من الفتوحات فى قوله صلى الله عليه وسلم صلوا خلف كل بر وفاجر المراد بالفاجر هنا هو العاصى المسلم لا الكافر فما دام الامام فيه ربقة لاسلام فالصلاة خلفه وان كان ذلك مكروها لكن لا يخفى ان الكراهة خاصة بما اذا كان فسق الامام بامر متيقن لا مظنون لانه يبعد من المؤمن الكامل

علم الاكابر ان الامور كلها فى يديه اعتمدوا وامنه عليه فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ولو ارتفعت الحجابات وزالت الفاقات لبطلت الحكمة وتراكمت الظلمة ولاحت الاسرار * وقال كل شئ عنده بمقدار فذهب الاعتبار وهذا لا يرتفع فلابد من الاعتماد فى العباد لان العبودية تطلب بذاتها الربوبية حقيقة وخليقة * وقال ما حجب الرجال الا وجود الامثال ولهذا نفى الحق المثلية عن نفسه تنزيها لقدسه وكل ما تصورته او مثلته او خيلته فهو هالك والله تعالى بخلاف ذلك هذا عقد الجماعة الى قيام الساعة * وقال كيف يصح المزيد بالتصعيد والتعبيد والله تعالى قد اعطى كل شئ خلقه ووفاه حقه فعين الشكر هو عين النعم والناس فى غفلة معرضون واكثرهم لا يشكرون * وقال الدنيا متاع قليل وكل من فيها ابناء سبيل فما من جيل ولا قبيل الا وهو مملوك للقطمير والنقير والفتيل فاكثر الناس تائه ولهذا قنعوا بالتافه ليس فى الكثرة زيادة الا فى عالم الشهادة واما فى عالم الغيب فهى فى التساوى

ربّ من رضى بالقليل عاش فى ظل ظليل وكل ما فى الوجود قليل

اعتقاد الفسق في احد بالظن انتهى * وقال في الكلام على الطواف من باب الحج من الفتوحات انما جوز امامة الفاسق مع الكراهة ولم تبطل الصلاة خلفه لانه لا يدخل الصلاة الا حتى يتوضأ الوضوء المشروع ثم انه محرم بالصلاة لا يزال في خير وعبادة ما دام بين قراءة وذكر وخضوع حتى يسلم من الصلاة ولا يوصف اذ ذاك بفسق بل هو في طاعة الله عز وجل وقد صلى عبد الله بن عمر خلف الحجاج وكفى به فاسقا وايضا فانه ما من معصية تقع من المسلم الا والايمان بانها معصية يصحبه فالحجاج ونحوه في حال صلاته وان كان فاسقا خارجها مؤمن مطيع لله تعالى بايمانه والايمان لا يقاومه شيء فضعف جانب المعصية فلذلك قلنا ان امامته مكروهة لا باطلة انتهى كلامه وفيه نظر فان الكراهة ليست من حيث عدم وصفه بالمعصية في الصلاة وانما هي من حيث استصحابه الظلم والجور ولو خارج الصلاة فلذلك كانت امامته مكروهة (فان قلت) فما شبهة الامامية في قولهم يشترط ان يكون الامام معصوما (فالجواب) شبهتهم قولهم ان الامام اذا صلى لا يناجي الا صفته الاحدية خاصة فيجب عصمته في الصلاة حتى يسلم منها وهم قائلون بعدم عصمته خارج الصلاة قالوا واصل هذا المقام انما هو خاص بالانبياء ولكن من قدم للامامة من غيرهم يجب علينا القول بعصمته حتى يفرغ من الصلاة انتهى والحق الواضح بل الواقع عدم وجوب عصمة الائمة فانه ما من امام الا ويقع له السهو في صلاته وان لم يسه عن صلاته فان بين المقامين فرقا فانه يلزم من السهو عن الصلاة عدم فعلها بالكلية بخلاف الساهي فيها واطال في ذلك في الباب السابع والاربعين وثلثمائة ومما يؤيد عدم القول بعصمة الائمة ايضا ما قاله الشيخ في الباب السادس والثلاثين وثلثمائة من قوله اعلم ان الحق تعالى لا ينظر الى القطب الذي هو السلطان الباطن الا بعين الاهلية ولو انه تعالى نظر الى السلطان الظاهر بهذه العين ما جار امام قط كما يراه الامامية فان العصمة ليست من شرط الامام الظاهر ولو كانت الامامة غير مطلوبة له ثم امره الله تعالى ان يقوم بها لعصمه الله بلا شك كما وقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام والى ذلك الاشارة بحديث من اعطيها يعني الامارة بغير مسئلة وكل الله تعالى به ملكا يسدده قال وهذا هو معنى العصمة لكن الادب ان يقال انه محفوظ لا معصوم واما قوله تعالى في حق داود عليه الصلاة والسلام ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فالمراد بهذا الهوى عدم اتباع اشارة من اشار عليك بما يخالف ما اوحينا به اليك من فعل الاولى لا المكروه ولا الحرام لان مقام الانبياء يجل عن ذلك كما بسطه الشيخ في الباب السادس والاربعين وثلثمائة وانشد في ذلك يقول

عجبت لمعصوم يقال له اتبع * ولا تبتدع واحكم بما انزل الله
وكيف نرى المعصوم يحكم بالهوى * مع الوحي والتحقيق ما ثم الا هو

الى آخر ما قال وكذلك بسط الشيخ الكلام في ذلك ايضا في الباب الخامس عشر وخمسمائة فراجعه (فان قلت) فهل بين الخلافة والملك فرق فان في الحديث الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ومن اقرب الى صفات الحق تعالى الخليفة او الملك (فالجواب) بين الخلافة والملك فرق ظاهر كما صرح به الحديث وكما تقدم في مبحث النبوة والرسالة وقد قال الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائة الفرق بين الخليفة والملك ان الخليفة يعلم الاسماء ومصارفها بخلاف الملك لا يلزم منه انه يعرف علم الاسماء ولا مصارفها فليس هو بخليفة في العالم * وقال في الباب الستين ومائتين لا يكون القرب الصوري من الله تعالى الا للخلفاء خاصة سواء كانوا رسلا ام غير رسل قال ثم ان قربهم على نوعين الاول الخلافة عن التعريف الالهي بمنشور والثاني خلافة لا عن تعريف الهي مع نفوذ الاحكام منه ومثل هذا لا يسمى بلسان الادباء خليفة وفي الحقيقة هو خليفة (فان قلت) فايهما تم (فالجواب) الخلافة بغير

ومن لم يأته فرضه مال في الدنيا قرضه * وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه فالرضا منا ومنه * وقال لا يرضى بالقليل الا من لا يعرف دبيرا من قبيل اعتناء الحق بالنقير يدل على انه كبير لا يخفى عن ذي عينين ان لله عناية بكل ما في الكونين واخراج الشيء من العدم الى الوجود برهان على انه في منازل السعود من طلب من الحق الوفاء فقد ناط به تعالى الجفاء وليس برب جاف بلا خلاف واذا كان الكل منه فما معنى رضي الله عنهم ورضوا عنه كل ما في العالم لديه وحاضر بين يديه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول وما كل فريضة تقتضي العول كما لا ينكح الامة الا من لم يجد الطول * وقال ما حال بينك وبين حقك الا محلك بمنطقك فان الرزق مقسوم لا ينقص ولا يزيد بسؤال احد من العبيد مع ان طلب المزيد مركوز في الجبلة في كل نحلة وملة وما جعل القضاء بناء الا القضاء المقدر لو كانت العلة في الازل لكان المعلول لم يزل فلا معلول ولا علة وقد تظهر الشبه في صورة الادلة البراهين لا تخطي فانها قوية السلطان وانما الخطأ راجع الى المبرهن واذ كان الدليل لا يعرف الا بالدليل فالى ماله من سبيل من علمت به معلوما وجهلته فما علمته لانك ما علمته به وتنبيه (وقال) الموت للمؤمن تحفة والنعش له محفة لانه ينقله من الدنيا الى محل لا فتنة

تعريف الهى اتم فى القرب المعنوى فان الخليفة بالتعريف والامر الظاهر يبعد من المستخلف فى الصورة فان حكمه فى العالم لم يكن عن امر من غيره بل هو حاكم لنفسه فهو اقرب الى الصفة الالهية ممن عقدت له الخلافة بتعريف ومنشور ولكن هذا اقرب الى السعادة المطلوبة ممن لم يقترن بخلافته امر الهى اذ القرب من السعادة هو المطلوب عند العلماء بالله تعالى *وقال فى الباب السابع والسبعين ومائة (فان قلت) فهل الاولى للخليفة التحكم فى العالم او التسليم (فالجواب) هو مخير فى ذلك فان شاء تحكم وظهر كالشيخ عبد القادر الجيلى وان شاء سلم وترك التصريف لربه فى عباده مع التمكن منه كابى السعود بن الشبل تلميذ الشيخ عبد القادر الا ان يقترن بذلك امر الهى كداود عليه السلام فلا سبيل الى رد امر الله فانه من الهوى الذى نهى الخليفة من اتباعه وكعثمان بن عفان رضى الله عنه نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلع ثوب الخلافة فلم يخلعه من عنقه حتى قتل لعلمه بما الحق تعالى فى ذلك واما من لم يقترن بتحكمه امر الهى فهو مخير ان شاء ظهر به بحق وان شاء لم يظهر به فاستتر بحق مع ان ترك الظهور اولى عند كل عاقل فعلم ان الاولياء قد يلحقون بالانبياء فى الخلافة واما الرسالة والنبوة فلا لان ذلك باب مسدود بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالرسول الحكم ثم ان استخلف فله التحكم ايضا فان كان رسولا فتحكمه بما شرع وان لم يكن رسولا فتحكمه عن امر الله بحكم وقته الذى هو شرع زمانه وبذلك الحكم ينسب الى العدل والجور (فان قلت) فهل رتبة التحكم للانسان ابتلاء او تشريف (فالجواب) هو ابتلاء اذ لو كانت تشريفا لبقيت معه فى الآخرة فى دار السعداء ولما كان يقال للخليفة ولا تتبع الهوى فان التحجير مؤذن بالابتلاء بلا شك بخلاف التشريع فانه اطلاق لا تحجير فيه وايضا فلو كانت تشريفا لما نسب فى التحكم الى عدل ولا الى جور ولا كان يتولى الخلافة فى العالم الى اهل الله خاصة وقد ولى الله تعالى بعض الفسقة وامرنا بالسمع والطاعة لهم وان جاروا وهذه حالة ابتلاء لا حالة تشريف (فان قلت) فايهما اكمل خلافة هل هو آدم عليه السلام ام داود عليه السلام (فالجواب) كل منهما فاضل من وجه مفضول من وجه آخر كما قاله الشيخ فى الباب السادس والاربعين وثلثمائة فقال اعلم ان الحق تعالى لما شرح صدر آدم عليه الصلاة والسلام لان يهب ابنه داود من عمره ستين سنة ثم نسى آدم ذلك عند الوفاة وجحد ما اعطاه من عمره حصل لداود انكسار قلب عند ذلك فجبره الله بذكر لم يعطه آدم عليه السلام وذلك انه تعالى قال فى آدم انى جاعل فى الارض خليفة وما عينه باسمه ولا جمع له بين اداة المخاطب وبين ما شرفه به فلم يقل له وعلمتك الاسماء كلها وقال فى داود انا جعلناك خليفة فى الارض فسماه فلما علم الله تعالى فى سابق علمه ان مثل هذا المقام والاعتناء قد يورثه النفاسة على ابيه من وجه بشريته بحسب النشأة قال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فحذره فاشتغل بذلك الحذر عن الفرح بما حصل له من تعيين الله تعالى له باسمه وامره بمراقبة السبيل ثم ان الحق تعالى سلك مع داود مسلك الادب حيث قال له ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ولم يقل له انك ان ضللت عن سبيل الله لك عذاب شديد واطال الشيخ فى ذلك *(خاتمة)* ذكر الشيخ فى الباب الستين من الفتوحات ان الله تعالى جعل فى السموات نقباء من الملائكة وجعل لكل ملك نجما هو مركبه الذى يسبح فيه وجعل الافلاك تدور بهم كل يوم دورة فلا يفوتهم شئ من مملكة السموات والارض فكل سلطان لا ينظر فى احوال رعيته فقد عزل نفسه فى نفس الامر قال وقد جعل الله تعالى بين ولاة السموات وولاة الارض مناسبات ورقائق تمتد الى اهل الارض من الولاة بالعدل مطهرة من الشوائب مطهرة من العيوب فتقبل ارواح هؤلاء الولاة الارضيين من ارواحهم بحسب استعدادهم حسنا او قبحا فلا يلوم من الوالى الا نفسه قال وقد بسطنا الكلام على ذلك فى التنزلات الموصلية والله تعالى اعلم

فيه ولا بلوى فليس بخاسر ولا مغبون من كان امله المنون فان فيه اللقاء الالهى والبقاء الكونى *وقال الحصاد فى القبر والبيدر فى الحشر والاختزان فى الدار الحيوان ذبح الموت وان كان حسرة ففيه بشرى بانقطاع الكرة اين الرد فى الحافرة من قوله وننشئكم فيما لا تعلمون ذبح الموت علامة الخلود فى النفوس والعود فى ذبحه ثبوت عزله وانتقاض غزله *وقال ان لله تعالى رجالا يساقون الى الجنة بالسلاسل اعتنائية سبقت وكلمة حقت وصدقت فدخلوا الجنة بلا تعب ولا نصب ولا جدال ولا شغب *وقال من اعجب ما فى البلاء من الفتن قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وهو العالم بما يكون منهم فافهم واذا فهمت فاكتم وان سئلت فقل الله اعلم العالم فى اوقات يتجاهل وعن الجاهل يتغافل والله ليس بغافل وهو معكم فى جميع المحافل فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين *وقال اذا ربط تعالى مشيئته بلو فهو لو شاء الله كذا وما يشاء ولو شاء صح المشاء ولو حرف امتناع لامتناع فكيف يستطاع ما لا يستطاع اذا تنوع الواحد فليس بواحد ولا بد من امر زائد وليس العجب عند العليم الا تنوع ارادة القديم *وقال دليل العقول قد يخالف ما صح عندها من المعقول اياك واتباع المتشابه بما لو اله فى ابتغاء الا الزائغ وما يترك تاويله الا العاقل البالغ فان

(المبحث الحادى والستون فى بيان انه لا يموت احد الا بعد انتهاء اجله وهو الوقت الذى كتب الله فى الازل انتهاء حياته فيه بقتل او غيره وبيان معنى قوله ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده وانه يتجلى لكل ميت عند موته اثنتا عشرة صورة)

اعلم ان كثيرا من المعتزلة زعموا ان المقتول لم يمت باجله وانما القاتل قطع بقتله اجل المقتول وانه لولم يقتله لعاش اكثر من ذلك ويحتاج القائل بهذا القول ان يعرف مقدار عمر ذلك المقتول فى علم الله تعالى حتى يحكم بنقصه بالقتل ولا سبيل له الى ذلك ثم بتقدير اطلاعه على ذلك لا يجد اجله ينقضى الا بقتله بالسيف فان الحق تعالى ان يأخذ روح العبد بآلة وبلا آلة وكلاهما هو الاجل المضروب له فى علم الله تعالى فان الحق تعالى اذا كتب قتل عبد بسيف عند انتهاء اجله فلا بد من السيف ولو ان السيف فقد لعاش لا محالة لى وجود السيف قال بعضهم والاولى حمل كلام المعتزلة على هذا لانهم اهل اسلام بلا شك ولا ينبغى حمله على اعتقاد ان الله تعالى اراد حياة هذا المقتول بالسيف والقاتل لم يردها فغلب بقتله الارادة الالهية فان ذلك بعيد عن ان يريده مثل الزمخشرى واضرابه بخلاف عامة المعتزلة من المقلدين فانهم ربما فهموا ان القاتل قطع عمر المقتول فهما من نحو حديث بادرنى عبدى فيمن قتل نفسه وهو فهم خطأ لا يصلح ان يكون دليلا لان قاتل نفسه لم يبادر بقتل نفسه مستقلا بغير قضاء الله وانما هو بارادة الله ومشيئته فما بقى اللوم على قاتل نفسه الا من حيث انه قتل نفسه بغير امر من الله تعالى فكانه هدم ملك الغير بغير اذنه وذلك حرام والاحكام الشرعية دائرة مع الاحتجاج بالامر دون الاحتجاج بالارادة ومن هنا قالوا نؤمن بالقدر ولا نحتج به * قال الشيخ كمال الدين بن ابى شريف فى حاشيته ومن مشهور ادلة اهل السنة قوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقوله تعالى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ومن متمسكات المعتزلة احاديث فى الصحيحين وغيرهما صرحت بان بعض الطاعات تزيد فى العمر كحديث من أحب ان يبسط له فى رزقه وينسأ فى اثره فليصل رحمه * قال وعن ذلك اجوبة أصحها ان هذه الزيادة مؤولة بالبركة فى أوقات العمر بأن يصرف عمره فى الطاعات اذ لا يحسب له من عمره الا ما كان فى طاعة وهذا جمع بين الادلة قال واما نحو حديث الطبرانى ان المقتول يتعلق بقاتله يوم القيامة ويقول يارب انه ظلمنى وقتلنى وقطع أجلى فقد تكلم الحفاظ فى اسناده وبتقدير صحته فهو محمول على مقتول سبق فى علم الله انه لو لم يقتل لكان يعطى اجلا زائدا الا ان معنى قولنا المقتول ميت بأجله ان قتله لم يتولد من فعل القاتل وانما ذلك من فعل الله تعالى وانه لو لم يقتل لم يقطع بموته ولا بحياته على ما ذكره فى شرح المقاصد انتهى * (قلت) وهذا هو الاعتقاد الصحيح المعتمد واما نقص العمر فى نحو قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب فليس المراد به النقص من ذلك العمر لان المراد وما ينقص من عمر معمر آخر والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه والموت قائم بالميت مخلوق لله تعالى لا صنع فيه للعبد لا كسبا ولا خلقا ومبنى هذا على ان الموت وجودى بدليل قوله تعالى خلق الموت والحياة وفى الحديث ايضا يؤتى بالموت فى صورة كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فينظر اليه اهل الجنة واهل النار فيعرفونه فيضجعه الروح الامين ويأتى يحيى عليه السلام ومعه الشفرة فيذبحه والاكثرون على انه عدمى ومعنى خلق الموت قدره والنفس باقية بعد موت الجسد منعمة أو معذبة هذا هو مذهب المسلمين بل وغيرهم وخالف فى ذلك الفلاسفة بناء على انكارهم المعاد الجسمانى والكتاب والسنة مشحونان بالدلالة على بقاء النفس قال تعالى كل نفس ذائقة الموت والذائق لا بد ان يبقى بعد المذوق * وقال تعالى كلا اذا بلغت التراقى وهى نص فى بقاء الارواح وسوقها الى الله تعالى يومئذ وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وفى

الصحيحين

نجاء من ربه فى ذلك الشقاء فهو المعبر عنه بالمصلق * وقال لو راقب الناس مولاهم فى دنياهم لأمنوه فى أخراهم ومن ارتفع فى هذه الدار سقط وهما وهم الغلط * وقال ذبح النفوس اعظم فى الالم من الذبح المحسوس ومخالفة الآراء اعظم فى الشدة من مقابلة الاعداء ومجانبة الاعراض غاية الامراض ومن فارقت الفة نفسه سكن حضرة قدسه * وقال السيد خادم فهو فى طاعة عبده قائم السيد احق باسم الخادم من الغير لان بيده جميع الخير يحكم فى عبده لعبده فهو يحكم عبده لو حكم لنفسه لبقى فى قدسه لا تكن من الملوك لان الملك مملوك من صحت سيادته صح تعبه وكبر ولله نصبه هم لازم وغم دائم فانه لو ترك خدمة عبده انعزل وكان عن هذى المرتبة فزل كلكم راع ومسؤل عن رعيته * وقال اذا مزحت فقل ولا تعدل ومازح العجوز وذا الصغير ولا تقل الا الخير كما قال الشارع يا ابا عمير ما فعل النغير وقال العجوز لا تدخل الجنة لرده تعالى عليها شابها وان لم يكن المزح هكذا فهو اذى والاذاية من الكريم محال وله لا صلابة لدين كان من المازحين لانه يذهب بالهيبة والوقار عند المطموسين الابصار الا نظر الى رب العباد فى قصة هنا دجن انجبه واستدرجه الى ان قال له أنت ربى وأنت رب العالمين

الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يزور الموتى ويقول ما انتم باسمع منهم فتامل واما من اماتهم
الله تعالى عقوبة لهم او اعتبارا كقوم موسى حين قالوا أرنا الله جهرة وكالذين خرجوا من ديارهم وهم
الوف حذر الموت وكالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها فليس موت هؤلاء بانتهاء آجالهم ولذلك
بعثهم الله تعالى ليكملوا بقية آجالهم المقدرة فى علم الله تعالى فقد بان لك انه لا يموت احد الا باجله وان
معنى حديث بادرنى عبدى اى لكونه قتل نفسه بغير امرى فهو عاص للامر مطيع للارادة كسائر
المعاصى الواقعة فى هذا الوجود والله أعلم * واما معنى قوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم
انتم تمترون فالمراد بقوله ثم قضى اجلا هو الاجل المقضى لكل حى يقبل الموت واما قوله تعالى بعد ذلك
واجل مسمى عنده فالمراد به اجل الروحانية الذى هو ميقات حياة كل من كان قبل الموت فى حياته
الاولى المعبر عنه بالبعث ولذلك عقبه بقوله تعالى ثم انتم تمترون يعنى فى البعث فان الموت لا يمترون فيه
لانه مشهود لهم فى كل حيوان فما وقعت المرية الا فى البعث الذى هو الاجل المسمى عنده تعالى واطال
الشيخ محيى الدين فى ذلك فى الباب الرابع والسبعين وماتين ثم قال وانما لم يجعل اجل الموت مسمى
عنده لانه اذا نفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله يبقى طائفة لا يصعقون
فاما ان يكونوا على حقائق لا تقبل الموت فيكون الاستثناء منقطعا ويكون معنى قوله لمن الملك اليوم فلا
يجيبه احد ممن صعق واما ان يكونوا على مزاج يقبل الموت لكن لم يصل اليهم النفخ فلم يصعقوا فيكون
الاستثناء متصلا انتهى (فان قلت) فمن آخر الناس يقبض روحه من بنى آدم (فالجواب) آخر من
يقبض روحه الانسان الموحد الذى يقوم ذكره مقام ذكر جميع العالم المشار اليه بحديث لا تقوم الساعة
حتى لا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله (فان قلت) فما مذهب الشيخ محيى الدين فى الموت هل
هو عدمى او وجودى (فالجواب) هو عنده عدمى وعبارته فى الباب السابع عشر وثلثمائة اعلم ان الموت
حقيقة انما هو السلب واما الحياة فهى دائمة للاعيان من حيث كونها مسبحة بحمد الله تعالى ولا يسبح
الا حى ولكن لما اعرض الروح عن الجسد بالكلية وزال بزواله جميع القوى عبر عنه بالموت فهو كالليل
بمغيب الشمس واما النوم فليس اعراض الروح عن الجسم فيه اعراضا بالكلية وانما هى حجب ابخرة
تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة فى النائم كالشمس اذا حال السحاب دونها ودون
موضع خاص من الارض يكون الضوء موجدا كالحياة وان لم يقع ادراك الشمس لذلك الذى حال بينه
وبين السماء ذلك السحاب المتراكم انتهى (فان قلت) فما معنى قوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد (فالجواب) المراد به ان البصر يحتد عند الموت فيعاين العبد جميع ما ينتهى امره
اليه وهو اليقين المشار اليه بقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين * قال الشيخ فى الباب السادس
والسبعين ومائة واعلم ان كل محتضر يرد عليه اثنتا عشرة صورة يشهدها كلها او بعضها لا بد له من ذلك
وهى صورة علمه وصورة عمله وصورة اعتقاده وصورة مقامه وصورة حاله وصورة رسوله
وصورة الملك وصورة اسم من اسماء الافعال وصورة اسم من أسماء الصفات وصورة اسم من
أسماء النعوت وصورة اسم من أسماء التنزيه وصورة اسم من أسماء الذات * فاما الذى يتجلى
له علمه عند الموت فقد قال الشيخ محيى الدين المراد به علمه بالله تعالى والعلماء بالله تعالى رجلان رجل
اخذ علمه بالله تعالى عن نظر واستدلال ورجل اخذ علمه به عن كشف ومعلوم ان صورة علم الكشف اتم
واكمل واجمل فى التجلى من صورة النظر والاستدلال لما يطرقهما من الشبه وكلا الصورتين لا بد ان
يفرح بهما العبد فان صحبه فى علمه دعوى نفسية كان صورة علمه دون صورة علم من لم يصحبه دعوى
فتفاوت الناس فى جمال صورة التجلى يكون على قدر نياتهم * واما الذى يتجلى له عمله عند الموت فيكون

فاضحكه وهذا القول كان المقصود من الله به ولهذا ما اهلكه بل اعطاه وخوله ومَلَّكه فنسرت هذه الحقيقة فى كل
طريقة ولو لم يصح بها
النعيم ما اتصف بها النبى
الكريم * وقال لا تفرط
فى الرخاوة تكن غشاوة
وهى مذمومة كالقساوة
مع ان الرخاوة فى الدين من
الدين ولهذا امتن الله تعالى
على نبيه بعدله من اهل
اللين فى قوله فبما رحمة
من الله لنت لهم ولهذا فضلهم
ولو كان فظا فى فعله وقوله
لانفضوا من حوله واذا كانوا
مع العفو واللين لا يقبلون
فكيف مع الشدة
والفظاظة لا ينفرون الافعى
يتقى ضيرها مع انه يرجى
خيرها اذ هى من جملة عقاقير
الترياق الذى يرد النفس
اذا بلغت التراق ومع ذلك
فما قام خيرها بشرها
فاعتبروا يا أولى الابصار
* وقال من استحيا امات
واحيا من لا يكون الاما
يريد لا يستحيى من العبيد
وان استحيا فى حال ما فلطلب
الاسم المسمى لولا التكاليف
ما ظهر فضل العفيف واذا
كانت القوة مخصوصة
باللطيف فكيف يحجبه
الكثيف * وقال الرفيق
دقيق وصحبة الرفيق
الاعلى اولى وقد اختار
هذا الرفيق من ابان
الطريق فانه خير فاختار
ورحل عنا وسار وذلك
ليلحق بالمتقدم السابق
ويلحق به المتأخر اللاحق
ولعلمه انه لا بد من الاجتماع اختار الخروج من الضيق الى الاتساع الا ترى يونس لما نادى ربه نجاه من الغم وكان فى بطن الحوت

في صورة حسنة او قبيحة لابد له من ذلك والحسن والقبح على قدر ما انشأه العامل من الكمال والنقص فان كان اتم عمله كما امر ولم ينقص شيأ من اركانه وشروطه وآدابه رآه في احسن صورة وكان براقا روحه يسري به عليه الى اعلى عليين وان كان انتقص شيأ من أركانه وشروطه وآدابه رآه في اقبح صورة وهوى به الى سجين وعباد الله على طبقات في العمل فمنهم من عمله حسن ومنهم من عمله احسن ومنهم من عمله جميل ومنهم من عمله اجمل * واما الذي يتجلى له صورة اعتقاده فهو بحسب ما كان عليه في دار الدنيا فينظره من خارج كما يرى جبريل في صورة دحية وتزيد صورة اعتقاده حسنا وجمالا بحسب علو المشاهد * واما الذي يتجلى له صورة مقامه فهو الذي تحقق بدرجة الارواح النورية فيظهر له مقامه فيعرفه معرفة لا يدخلها شك ولا ريب فهو اما حزين واما فرح مسرور والغالب على كل من مات مسلما الفرح والسرور * واما من يتجلى له حاله فهو اما منقبض واما منبسط فاذا مات على حاله كان بحسب ميزان الشرع فان كان البسط في محل كان اللائق به فيه القبض قضاه في البرزخ فلا يزال مقبوضا بقدر ما فرط * واما من يتجلى له رسوله فهو خاص بورثة الرسل فان العلماء ورثة الانبياء فتارة يرى هذا عيسى عند احتضاره وتارة يرى موسى او ابراهيم او محمدا او اي نبي كان على جميعهم افضل الصلاة والسلام فمن الناس من ينطق باسم ذلك النبي الذي ورثه عندما يأتيه فرحا به لكون الرسل كلهم سعداء ويستبشر عند رؤية ذلك النبي بالسعادة فيقول عند الاحتضار عيسى او المسيح وهو الاغلب فيسمع الحاضرون ذلك فيسيؤن به الظن ويعتقدون انه تنصر عند الموت وسلب دين الاسلام وكذلك يظنون من نطق باسم موسى انه تهود وليس كذلك انما ذلك الناطق من أكبر السعداء عند الله تعالى وهذا امر لا يعرفه الا اهل الكشف واما من يتجلى له الملك فهذا الملك هو الملك الذي شاركه في المقام فان فيهم الصافين والمسبحين والتالين الى غير ذلك من المقامات فينزل الى ذلك الشخص صاحب هذا المقام مؤنسا وجليسا فربما يسميه عند الموت باسمه ويتهلل وجهه لكن هذا لا يكون للعامة وانما ذلك لاهل الاختصاص الخارجين عن دائرة التلبيس واما العامة فتتمعر وجوههم عند رؤية ذلك الملك وتسود وذلك لغلبة الاحوال النفسانية عليهم في اعمالهم واحوالهم وعلومهم واما من يتجلى له اسم فهو الاسم الذي كان غالبا عليه من اسماء الافعال كالخالق بمعنى الموجد والبارئ والمصور والرازق والمحيي وكل اسم يطلب فعلا دائما كان يبذل جهده في اعمال حضرة ذلك الاسم تجلى له في احسن صورة وكان من لازمه السرور والفرح وان كان دخله في تلك الاعمال كسل أو غفلة أو فتور كان في صورة مفتونة وكل صورة تخاطب العبد بحسب حاله فان كان عمله كاملا خاطبته تلك الصورة وهي في غاية الحسن وتقول له انا ذكرك فيسر وان كان عمله ناقصا خاطبته صورته وهي في أقبح صورة فتقول له انا ذكرك فيحزن ويقاس على ذلك بقية الاسماء انتهى (فان قلت) فما معنى قول الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فهل المراد بالغطاء الذي ينكشف غطاؤه رضي الله عنه أو غطاء غيره فانه رضي الله عنه كان كامل الايمان بلا شك وكامل الايمان الغائب عنده كالحاضر على حد سواء (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين وثلثمائة ان المراد بذلك الغطاء الذي ينكشف هو غطاؤه هو اذ لا بد من مزيد كشف غطاء لكل طائفة عند الموت لانه رضي الله عنه اثبت ان ثم غطاء ينكشف وقوله ما ازددت يقينا يعني في علم اليقين ان كان ذا علم أو في عينه ان كان ذا علم عين أو في حقه ان كان ذا علم حق لانه لا يزيد بكشف الغطاء امرا لم يكن عنده اذ لو كان كذلك لكان كشف الغطاء في حق من هذه صفته يشامعري عن الفائدة فلم يكن الغطاء وراءه امر عدمي وانما هو وجودي وبالجملة فجميع الاغطية تنكشف عند الموت ويتبين الحق لكل احد ولكن ذلك الانكشاف لا يعطي صاحبه سعادة

فقذفه على ساحل اليم وأنبت عليه اليقطين لنعومته ونفرة الذباب عن حومته فهذا الغزل الدقيق من اشفاق الرفيق * وقال الحادث لا يخلو عن الحوادث ولو حل بالحادث الذكر القديم لصح قول أهل التجسيم القديم لا يحل ولا يكون محلا ذكر القرآن أمان وبه يجب الايمان أنه كلام الرحمن مع تقطع حروفه في اللسان ونظمها فيمارقه بابداع البيان فحدثت الالواح والاقلام وما حدث الكلام وحكمت على العقول الاوهام بما عجزت عن ادراكه الاحلام * وقال الذكر القديم هو ذكر الحق وان نطق به الخلق كما ان الذكر الحادث ما نطق به لسان الحق وان كان هو كلام الحق اذا كان الحق تعالى لسان العبد فالذكر قديم وتراجمه بالعبد من تسنيم ان الله تعالى قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فافهم * وقال لولا المحسوس ما ثبت القياس ولا شك أن الامور كلها معلولة والكيفية من الله مجهولة انفرد بعلم الحال فاصله الابد من الازل حلت المثلات باهل التفكر في المحدثات لانه لا بد من وجه جامع بين الدليل والمدلول في قضايا العقول والحق لا يدرك بالدليل فليس الى معرفته سبيل وقد دعانا الى معرفته وردنا الا صفة فلا بد من صفة تتلاقى بها المعرفة وما ثم في العقل الا صفة تنزيه والنقل ثم

فهو

فهو كايمان أهل البأس لا ينفع صاحبه ولكن هذا في حق العامة أما الخاصة من اهل الكشف والشهود فينتقلون من عين اليقين الى حق اليقين كما ان أهل العلم ينتقلون من علم اليقين الى عين اليقين وماسوى هذين الرجلين فينتقلون من العمى الى الابصار فيشاهدون الامر عند كشف غطاء العمى عنهم لا عن علم تقدم انتهى وتصريح الشيخ بان ايمان اهل البأس لا ينفع صاحبه فيه ايماء الى انه لا يقول بقول ايمان فرعون لانه انما آمن عند البأس والله أعلم * (خاتمة) * (ان قلت) ما المراد بقولهم العارفون لا يموتون وانما ينتقلون من دار الى دار (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والخمسين وثلثمائة ان المراد به ان من مات الموت المعنوي بمخالفة نفسه حتى لم يبق له مع الله تعالى اختيار ولا ارادة لا يعظم ألمه عند طلوع روحه لانه عجل بموت نفسه حين قتلها بسيف المجاهدة وأما من وافق نفسه في هواها وشهواتها فيشتد عليه الالم عند الموت لاجتماع آلاف الآلام التي فاتته حين لم يجاهد * وايضاح ذلك ان أهل الله تعالى لما علموا ان لقاء الله لا يكون الا بالموت وعلموا معنى الموت استعجلوه في الحياة الدنيا فماتوا في حين حياتهم عن جميع حركاتهم وإراداتهم فلما ظهر عليهم الموت في حياتهم التي لا زوال لهم عنها حين ورد عليهم حيث كانوا لقوا الله تعالى فلقيهم وكان لهم حكم من يلقاه محبا للقائه فاذا جاءهم الموت المعروف في العامة وانكشف عنهم غطاء هذا الجسم لم يتغير عليهم حال ولا ازدادوا يقينا مما كانوا عليه فما ذاقوا الا الموتة الاولى وهي التي ماتوا في حياتهم فوقاهم ربهم عذاب الجحيم فضلا من ربهم والى هذا الموت المعنوي الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من أراد ان ينظر الى ميت يمشي على وجه الارض فلينظر الى أبي بكر رضي الله عنه أي لانه رضي الله عنه كان ميتا في حياته عن حركاته وسكناته النفسانية كلها مذ تحقق التسليم لله تعالى بجميع ما عنده مما فيه رائحة اعتراض ما نفساني فكان مع الله تعالى في حال حياته كحاله معه في حال عدمه انتهى وقال في الباب الثاني والثمانين ومائتين اعلم ان من صار حكمه حكم الميت في عدم التصرف فقد وفى مقام الكمال حقه فان الميت لا يتصور منه منع ولا اباية ولا جحد ولا ذم ولا اعتراض بل هو مسلم لله تعالى فهو حي في الافعال الظاهرة ليقوم بالامر والنهي ميت بالتسليم لموارد القضاء راض بالقضاء لا بالمقضى والله تعالى أعلم

(المبحث الثاني والستون في بيان ان النفس باقية بعد موت جسدها منعمة كانت او معذبة وفي فنائها عند القيامة تردد العلماء وبيان ان أجساد الانبياء والشهداء لا تبلى)

اعلم ان العلماء اختلفوا في فناء النفس عند القيامة واتفقوا على بقائها بعد موت جسدها وكان الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله يقول الاظهر ان الروح لا تفنى ابدا لان الاصل في بقائها بعد الموت استمراره أي البقاء فيكون من المستثنى بقوله الا من شاء الله كما قالوا ذلك في الحور العين * وقال بعضهم انها تفنى عند النفخة الاولى كغيرها توفية لقوله تعالى كل من عليها فان ورجحه الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور لكنه قال المراد بفنائها عند الصعق الاخروي خمودها فقط قال وذلك هو حظها من الموت والفناء اللازم لصفة الحدوث فمن رآها في كشفه الصوري حال خمودها قال انها ماتت ومن أعطاه الله علم حقيقتها قال انها نائمة * قال والذي كشف لي أيضا ان الطائفة الذين لا يصعقون عند النفخة يموتون أيضا بعد ذلك بأمر الله تعالى تحقيقا لوعده وتمييز الصفة القدم من الحدوث وعليه يحمل قوله تعالى لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد لانه ما ثم حي ينطق فيقول الله تعالى رادا بنفسه لنفسه لله الواحد القهار قال وذهب قوم الى ان الطائفة الذين لم يصعقوا عند النفخة الاولى لا يموتون أيضا لان الله تعالى أنشأهم على حقائق

معها صفة التشبيه فهل ما هو المعول الآخر أو الأول * وقال الفتى لا يقول قط متى بل يبادر الوقت تخوف المقت لا الفتى الاعلى لانه الوصي والولي الفتى من كان على قدم حذيفة في علم السر * وقال ما الفتى من زعم انه فتى الفتى هو الكليم ولكن اين رتبة كلام الحق له من اتباعه الخضر طلبا للتعليم الفتى من لا يزال طالبا ومن الجهل هاربا * وقال الغيور سريع النفور فيخطئ أكثر مما يصيب والحق اغير منه فكيف لا تأخذ عنه فرق تعالى بين النكاح والسفاح حتى تميز الارواح والزنا لا بد في الوجود منه وقد قال لصاحبه استر منه وصنه هذا مع انه يعلم به ويراد وقدره وأمضاه ثم مع ذلك نهاه فهو وان استتر عن ابناء جنسه فما استتر عمن هو أقرب اليه من نفسه * وقال الامر بين قرنين وما جعل الله لرجل في جوفه من قلبين لكن جعل لكل قلب وجهين لانه تعالى خلق من كل زوجين اثنين فبنى الجمع على الشفع وما ثم الا وترية الحق وهذه أسرار ما عليها غبار وان عميت عنها الابصار واليها الاشارة بنعم عقبى الدار وانت الدار وعليك المدار * وقال القرآن أحق بالتعظيم من السلطان لان القرآن لا يجور والسلطان قد يجور ولا يحجبك عما قلناه ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن فان ذلك انما هو من حيث ان السلطان ناطق

لا تقبل الموت كالمخلوقات التي خلقها الله تعالى للبقاء وعلى هذا التخصيص عدم لاجابة المذكورة من صعق اى فلا يجيبه أحد ممن صعق أو ممن خمد انتهى (فان قلت) فما الصحيح في عجب الذنب (فالجواب) المشهور من القولين انه لا يبلى لحديث الشيخين ليس من الانسان شئ لا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة وفي رواية لمسلم كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة وفي رواية للامام أحمد وابن حبان قيل وما هو يا رسول الله قال مثل حبة خردل منه ينشؤن قال العلماء وهو في اسفل الصلب عند رأس العصعص يشبه في المحل محل أصل الذنب من ذوات الاربع * وقال المزني رحمه الله الصحيح انه يبلى كغيره قال تعالى كل شئ هالك الا وجهه وتأول الحديث بأنه لا يبلى بأكل التراب له وانما يبلى بلا تراب كما يميت الله ملك الموت بلا ملك موت انتهى ووافق المزني على ذلك ابن قتيبة وقال انه آخر ما يبلى من الميت ولم يتعرضا لوقت فنائه هل هو عند فناء العالم او قبل ذلك وهو محتمل وروى الطبراني وغيره مرفوعا المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه فان مات لم يدود اى لم يأكله الدود قال في النهاية وكان الشيخ محيي الدين رحمه الله يقول في قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه المراد بالوجه هنا حقيقة الشئ الثابتة في علم الله عز وجل وهذه لا يصح فناؤها في العلم الالهي لانها معلوم علم الله عز وجل وكان سيدي علي بن وفا رحمه الله يقول في قوله تعالى ويبقى وجه ربك المراد به العمل الصالح كما اذا عمل العبد عملا صالحا وخلط معه نوعا من الرياء فوجه الحق تعالى هو الشق الخالص ووجه غير الرب هو ما اريد به غير الله فما كان لله فهو باق وما كان لغيره فهو فان انتهى

(خاتمة) * يستثنى من بلاء الاجساد اجساد الانبياء والشهداء في قتال الكفار بشرطه ويلحق بهم من خالطت محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم حشاشته حتى سرت في جسمه سريان الماء في العود وكذلك من يأكل الحلال الصرف الذي لا يخالطه شبهة كما شاهدنا ذلك في الشيخ نور الدين الشوني شيخ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفي جدي الشيخ علي رحمه الله اما الشيخ نور الدين الشوني فنزلت بعد سنة وتسعة أشهر فوجدته طريا كما وضعناه وكنت رأيت له رؤيا قبل ان يموت وذلك اني سمعت قائلا يقول من اراد ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم فليزره في المدرسة السيوفية عند الشيخ نور الدين الشوني فمضيت اليه فوجدت على بابها الاول أبا هريرة وعلى الباب الثاني المقداد بن الاسود وعلى الباب الثالث الامام علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم فقلت للامام علي رضي الله عنه أين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ها هو جالس على التخت داخل تلك الخلوة فوقفت على بابها فوجدت الشيخ نور الدين هو الجالس فقلت له اين رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبسم وصرت أتطلب النبي صلى الله عليه وسلم فظهر لي وجهه في وجه الشيخ نور الدين فما زال النور ينشر من جبهة الشيخ نور الدين الى اصابع رجليه فخفي الشوني وظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقصصت هذه الرؤيا على الشيخ فقال يا ولدي ما سررت في عمري كله بشئ مثل هذه الرؤيا وان صح منامك يا ولدي لا يبلى لي جسد فكان الامر كما ذكرناه واما جدي رضي الله عنه فكان يبالغ في الورع ويقول من اكل الحلال الصرف لم يبل له جسد وكان لا يأكل قط طعام احد من مشايخ البلاد ولا طعام قاض ولا طعام مباشر ولا طعام احد لا يتورع وكان لا يأكل فراخ حمام الابراج لانها كلها من زرع الناس وترك آخر عمره أكل العسل النحل لما أخبره اهل برشوم الصغرى ان نحل بلاده يعدي البحر ويأكل زهر فول كيمهم فلما مات دفنوا ولدي بجانبه بعد احدى وعشرين سنة فوجدوه طريا كما يضعوه هكذا اخبرني الذي دفنه ودفن الوالد والله تعالى أعلم

كذلك يشهد عليه بالبهتان والدليل على ذلك خبر الهدهد فيما اخبر به سليمان قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين فان شهد له العيان أو الضرورة من الجنان وقع الايمان والا لحق بالبهتان لو كان مطلق الايمان يعطي السعادة لكان المؤمن بالباطل في أكبر عبادة ومن آمن بالباطل أنه باطل فماله غير عاطل * وقال قسم الشارع سبيله الى ثلاثة أقسام اسلام وايمان واحسان فبدأ بالاسلام وقرن به عمل الاجسام من تلفظ شهادتين وصلاة وزكاة وحج وصيام وثنى بالايمان وهو ما شهد به الجنان من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره حلوه ومره والبعث الآخر الى الدار الحيوان وثلث بالاحسان وهو تنزل المعنى منزلة المحسوس في العيان وليس الا عالم الخيال * وقال الترك وان كانت عدما فهي نعوت فالزم السكوت الامر بالشئ نهي عن ضده فهو ترك وهذا شرك لا يترك لاغيار الا الاغيار ولو ترك الحق تعالى الخلق من كان يحفظه ويقوم به ويلحظه فمن كمال التخلق بأسماء الحق الاشتغال بالله و بالخلق لو تركت الاغيار لتركت التكاليف التي

المبعث

(المبحث الثالث والستون في بيان ان الارواح مخلوقة وانها من امر الله تعالى كما ورد وكل من خاض في معرفة كنهها بعقله فليس هو على يقين من ذلك وانما هو حدس بالظن)

ولم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم تكلم على حقيقتها مع انه سئل عنها فتمسك عنها ادبا ولا يعبر عنها باكثر من موجود كما قاله ابو القاسم الجنيد وغيره وعبارة الجنيد رحمه الله الروح شئ استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه فلا يجوز لاحد البحث عنه باكثر من انه موجود واليه ذهب اكثر المفسرين كالثعلبي وابن عطية * وقال جمهور المتكلمين انه جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر وقال كثير منهم انها عرض وهي الحياة التي صار البدن بوجودها حيا واليه مال القاضي أبو بكر الباقلاني ويدل للاول وصفها في الاخبار بالهبوط والعروج والتردد في البرزخ قاله السهروردي وهذا شأن الاجساد لا الاعراض اذ العرض لا يوصف بهذه الاوصاف وقال كثير من الصوفية انها ليست بجسم ولا عرض بل هو جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز وله تعلق خاص بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل في البدن ولا خارج عنه وهذا رأى الفلاسفة وهو كلام ساقط والذى ظهر لي ان العبد بتقدير انه يطلع على كنه الروح لا يستطيع ان يعبر عنها بعبارة تؤدى السامع الى معرفة كنهها لان الحق تعالى جعلها رتبة تعجيز لنا ليقول احدنا لنفسه اذا كنا نعجز عن معرفة حقيقة ذاتنا فنحن بذاته تعالى اعجز واعجز حتى لا نخوض بالفكر في الذات فاننا اذا كنا نعجز عن معرفة روحنا مع كونها مخلوقة ومن اقرب الاشياء الينا فكيف نعرف خالقنا فافهم وفى كلام الامام على رضى الله تعالى عنه من عرف نفسه عرف ربه قال بعضهم اى لانه لا يمكن لاحد معرفة نفسه قط لان الحق تعالى جعل النفس رتبة تعجيز لنا بيننا وبين معرفة ذاته كأنه تعالى يقول اذا عجز الانسان عن معرفة نفسه مع كونها مخلوقة ومن اقرب الاشياء اليه فكيف بمعرفة من لا شبيه له ولا نظير ولا يجتمع مع عباده في حد ولا حقيقة انتهى قال الكمال بن أبي شريف في حاشيته فان قيل كيف خاض الناس في معنى معرفة الروح وهو باب أمسك عنه الشارع فالجواب من وجهين الاول انه انما ترك الجواب تفصيلا لاجل قول اليهود فيما بينهم ان لم يجب عنها فهو صادق لان ذلك عندهم من علامات نبوته فكان تركه صلى الله عليه وسلم الجواب عن الروح تصديقا لما تقدم في كتبهم من وصفه بذلك * الثانى ان السؤال كان سؤال تعجيز وتغليط وتعنت واذا كان السؤال على هذا الوجه فلا يجب الجواب عنه فان الروح امر مشترك بين روح الانسان وبين جبريل وملك آخر يقال له الروح ويقال ايضا لصنف من الملائكة وللقرآن ولعيسى بن مريم فلو انه صلى الله عليه وسلم كان اجاب بواحد منها لقالت اليهود لم نرد هذا تعنتا منهم واذى له صلى الله عليه وسلم فلذلك جاء الجواب مجملا على وجه يصدق على كل من معانى الروح انتهى كلام الاصوليين * وقال الشيخ محيى الدين في لواقح الانوار انما كانت الروح من امر الله لانها وجدت عن خطاب الحق تعالى بغير واسطة قال لها كونى فكانت كما قال في عيسى عليه السلام انه روح الله لانه وجد من نفخ الحق تعالى كما يليق بجلاله من غير واسطة قال تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه قال وقد ذهب الغزالى الى ان معنى قوله تعالى قل الروح من امر ربى اى من غيبه فان عالم الامر هو عالم الغيب وعالم الخلق هو عالم الشهادة قال والامر عندنا بخلاف ما قاله الغزالى رحمه الله وذلك انا نقول كل ما اوجده الحق تعالى بلا واسطة فهو من عالم الامر اى قال له الحق كن فكان وله وجه واحد الى الحق وكل ما اوجده بواسطة فهو من عالم الخلق وله وجهان وجه الى الحق ووجه الى سببه الذى وجد عنه فتارة يدعوه الحق من الوجه الخاص وتارة يدعوه من وجه سببه لتفاصيل وحكم بالغة انتهى * وقال

نطقت بها الأخبار ولو انك تركت التكاليف لكنت معاندا عاصيا أو جاحدا * وقال نصرة القوى فعال فكيف المحال في قوله ان تنصروا الله ينصركم وان لم تنصروه يخذلكم واذا أخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده فنصرته من جملة ما أخذ عليكم في عهده فيا أهل العهود أوفوا بالعقود ما أمركم الله بنصره الا وأعطاكم الاشتراك في أمره فمن قال لا قدرة لى ويعنى الاقتدار فقد ورد الاخبار وكان ممن نكث والحق تكليف الحق بالعبث * وقال أصدق الاخبار ما كان بالحال من أثنى على نفسه بالكرم توقف السامع فيه حتى يتكرم فاذا كان العطاء ارتفع الغطاء * وقال ان الله عند لسان كل قائل وما تكلم الا اللسان والقائل في الشاهد هو الانسان وفى الايمان الرحمن لقوله كنت سمعه الذى يسمع به ولسانه الذى يتكلم به الحديث فمن كذب العيان كان قوى الايمان ومن تردد في الايمان تردد في العيان فلا ايمان عنده ولا عيان ومن صدق العيان وسلم الايمان كان في أمان اللسان ترجمان الجنان وما وسع الرب الا القلب وأنت ترجمان الحق الى الخلق فأين الكذب عند هذا المشاهد وما ثم ناطق الا الحق الصمد الواحد *وقال الروح واسطة وهو يعني

في الباب الرابع والستين ومائتين من الفتوحات اعلم ان اليهود لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم لم يسألوه عن ماهية الروح وانما سألوه عن الروح من اين ظهر وفهم بعض المفسرين ان ذلك سؤال عن الماهية وليس كذلك فان اليهود لم يقولوا له صلى الله عليه وسلم ما الروح فان كان السؤال بهذه الصيغة محتملا لكن قد قوي الوجه الذي ذهبنا اليه ما جاء في الجواب من قوله من امر ربي ولم يقل هو كذا وقد سمى الله تعالى الوحي روحا في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا انتهى (فان قلت) فما المراد بحديث ان الله خلق الارواح قبل الاجسام بألفي عام (فالجواب) مراده بالخلق هنا التقدير والتعيين اي قدر الارواح وعين لكل جسم وصورة روحها المدبر لها الموجود بالقوة في الروح الكل المضاف اليه فيظهر ذلك بالتفصيل عند النفخ ومثال ذلك صاحب الكشف يرى في المداد الذي في الدواة جميع ما فيه من الحروف على صورة ما يصوره الكاتب او الرسام فيقول في هذا المداد من الصور كذا وكذا صورة واذا جاء وقت الكتابة او الرسم وكتب من ذلك المداد لم يزد حرفا عما قاله المكاشف ولم ينقص ذكره الشيخ في الباب الثالث والسبعين وثلثمائة * وقال في الباب الثاني والسبعين من الفتوحات انما كان الروح من امر الرب جل وعلا لانه لم يوجد عن خلق وانما اوجده الله تعالى بلا واسطة ولا يطلع على كنه ذلك الا من شاء الله من الاصفياء انتهى * وقال في الباب السابع والستين ومائتين انما تفاضلت النفوس من حيث القوابل والا فهي من حيث النفخ الالهي غير متفاضلة فلها وجه الى الطبيعة ووجه الى الروحية المحضة فلذلك قلنا مرارا انها من عالم البرزخ كالافعال المعلولة سواء فانها من حيث نسبتها الى العبد مذمومة ومن حيث كون الحق تعالى خالقها لا يقال مذمومة فان افعاله كلها محمودة انتهى * وقال في الباب الثامن والستين ومائتين انما قال تعالى في آدم ونفخت فيه من روحي بياء الاضافة الى نفسه لينبه على مقام التشريف لآدم وفيه من الاعتبار كأن الحق تعالى يقول لآدم ملك شريف الاصل فاياك ان تفعل ما يخالف اصلك من افعال الاراذل انتهى * وقال في الباب الثامن والسبعين ومائتين اعلم انه لا رياسة عند الارواح ولا تذوق لها طعما وانما هي خاصة بالاديم الى الدوام انتهى . وقال في الباب التاسع والتسعين ومائتين ليس للروح كمية فيقبل الزيادة في جوهر ذاته وانما هو فرد ولولا ما هو عاقل بذاته ما اقر بربوبية خالقه عند اخذ الميثاق منه اذ لا يخاطب الحق تعالى الا من يعقل عنه خطابه وهذا هو حقيقة الانسان في نفسه واطال في ذلك ثم قال فعلم ان الله تعالى خلق الروح كاملا بالغا عاقلا عارفا بتوحيد الله مقرا بربوبيته وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما اشار اليه خبر كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه فذكر الابوين وهو وجود الابوين والذي يربيه هو له بمنزلة ابويه وقال الشيخ في الباب السادس والعشرين وثلثمائة اعلم ان كل مقيد بصورة من جميع العالم روحا لها ملازما له وبه كان مسبحا لله عز وجل فمن الارواح ما يكون مدبرا لتلك الصورة لكونها تقبل تدبير الارواح لها وهي كل صورة تتصف بالحياة الظاهرة والموت فان لم تتصف بالحياة الظاهرة والموت فروحها روح تسبيح لا روح تدبير واطال في ذلك ثم قال وما ثم اعرف بالله تعالى من ارواح الصور التي لا حظ لها في التدبير وهي ارواح الجماد ودونها في الرتبة ارواح النبات ودونها في الرتبة ارواح الحيوان ودونهم ارواح المتمردين من الانس اما الصالحون فما ثم اعلى من معرفة ارواحهم على اختلاف طبقاتهم من انبياء واولياء ومؤمنين اختصاصا الهيا انتهى * وقال في الباب الثامن والخمسين وثلثمائة اعلم انه لا حظ للروح السعيدة في الشقاء في الدنيا والآخرة واطال في ذلك وقال في الباب السادس والاربعين وثلثمائة مما غلط فيه جماعة قولهم ان الروح احدى العين في شخص نوع الانسان وان روح زيد هي روح عمرو وهؤلاء لم يحققوا النظر على ما هو الامر عليه وشبهتهم

الرسول البشرى والحق رابطة يوحى به اليه اذا نزل بالوحى عليه وقد امرنا الادب معه حتى يفتتحه لانه اهل به حتى كشفه وما نطق به حتى عرفه فقيل له اكتم السر حتى لا يعلمه الا اتباعك وقال اذا كان الرسول حسن الصورة فذلك اشارة الى جمال المرسل اليه وقد حصل ادراك البغية بنزول جبريل في صورة دحية اين صورة سلك من صورة رضوان اين النار من الجنان * وقال انما الروح من وحي القدوس وهو عين الالهام لكن ما هو مثل وحي الكلام ولا وحي الاشارة والعبارة ثم لا الهام وهو الخاطر الخاطر من السحاب الماطر ويسمى الخاطر الاول لان المفث لا يكون له مكث فخلوله انتقاله ووروده زواله • وقال من احتج عليك بما سبق فقد حاجك بالحق ومع هذا فهي حجة لا تنفع صاحبها ولا تعصم جانبها ومع كونها ما نفعت سمعت وقبلها وان عدل الشرع من مذهبهم فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولكن اكثر الناس لا يشعرون ومثل هذه المسئلة لا يكون جهارا ولا يتكلم بها الا اشعارا مع انه لو جهر بها كانت علما ونعتت فهما واورثت في القلوب كما دونه عجز التمم لم يؤدي اليه من دروس الضرب لا لامم الذي عليه جميع الامم وان كان كل دابة تمامه بذا بناصيتها وقال انما ذهب بعض اهل الكلام الى انعدام

في

في ذلك كونهم رأوا ان الحق تعالى لما سوى جسم العالم وهو الجسم الكلي الصوري في جوهر الهباء المعقول قبل قبض الروح الالهي الذي كان منتشرا غير معين اذ لم يكن ثم من يعينه وثم جسم العالم به ضمن جسمه أجسام شخصياته فقاس على ذلك انه تعالى ضمن روحه أرواح شخصياته وربما استند الى قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وغاب عن هؤلاء انه كما لم يكن صورة جسم آدم صورة جسم كل شخص من ذريته وانما كانوا منتشرين عنه فكذلك لم يكن كل روح في العالم هي عين الروح الاخرى وأطال في ذلك ثم قال ولا يخفى ان من قال بتناسخ الارواح فهو كافر عندنا والله أعلم *(خاتمة)* في معنى قوله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف اعلم انه لا يعرف معنى هذا الحديث حقيقة الا من شهده من طريق كشفه أخذ الذرية من ظهر آدم وذلك مشهد قدسي قل من يشهده لانه خاص بالافراد كسهل بن عبد الله التستري وأبي يزيد البسطامي واضرابهما فكانوا يقولون لم نزل نشهد تلامذتنا وهم نطف في الظهور من اخذ الله الميثاق على الذرية وهم في صلب آدم قالوا ولم نزل نراعي تلامذتنا حتى وصلوا الينا ونعرف ذلك اليوم من كان عن يميننا ومن كان عن شمالنا قالوا ولما جمع الله تعالى الذرية في تلك الحضرة على وجه التمثيل فما كان وجها لوجه هنالك تعارفوا هنا وائتلفوا وما كان ظهرا لظهر تناكروا وتعادوا واختلفوا وما كان وجها لظهر فصاحب الوجه يحب وصاحب الظهر لا يحب وكذا الحكم فيما كان جنبا لجنب او جنبا لوجه أو جنبا لظهر يكونون في هذه الدار بحكم ما كانوا هنالك والله تعالى أعلم

(المبحث الرابع والستون في بيان ان سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه وجميع ما ورد فيه حق خلافا لبعض المعتزلة والروافض)

فاما سؤال منكر ونكير فقال اهل السنة انه يكون لكل ميت سواء كان في قبره أو في بطون الوحوش أو الطيور أو مهاب الريح بعد ان احرق وذرى في الريح قال الجلال المحلي رحمه الله ويكون عذاب الله تعالى للكافرين ولمن شاء الله تعذيبه من الفاسقين فقط فترد روح المعذب الى جسده كله او ما بقي منه فانه لا يمتنع احياء بعض الجسد وان كان ذلك خلاف العادة لان خرق العادة غير ممتنع في مقدور الله عز وجل قال الكمال في حاشيته وقول اهل الاصول ان سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه حق جرى على الغالب والا فالحق ان ذلك لا يختص بالقبر المعروف فيعم من يعذب من آكله السمك والسباع وغير ذلك فقولهم لكل مقبور لا مفهوم له وانما وقعهم في التعبير بالقبر قوله صلى الله عليه وسلم اذا وضع الميت في قبره اتاه ملكان الحديث قالوا ويجوز اعادة الحياة في جزء واحد ووقوع السؤال على وجه لا يشاهد لان احوال البرزخ لا تقاس باحوال الدنيا كما ان روح النائم تشاهد اشياء لا يشاهدها اليقظان الذي هو في جانبه قالوا ويستثنى من فتنة القبر الشهيد لحديث مسلم في ذلك ولفظه كفى ببارقة السيوف على رأسه شاهدا قال الجلال المحلي رحمه الله ولعل سكوت بعضهم عن استثنائه كون المسئلة قطعية ودليل استثنائه ظني لانه خبر آحاد انتهى وقول الجلال المحلي السابق فترد روح المعذب الى جسده كله وما بقي منه اشارة للخلاف في ذلك فان الحليمي يقول ترد الروح الى جسده كله وابن جرير الطبري وامام الحرمين يقولون ترد الروح الى ما بقي منه وقولنا اول المبحث خلافا لبعض المعتزلة والروافض والمراد بالروافض الجهمية وحجتهم في انكار عذاب القبر عدم مشاهدتهم لتألم الميت وقالوا لو وضع على بطن الميت شيء زمانا لم يقع فلو انه تحرك للعذاب او غيره لتحرك ذلك الشيء عن مكانه فكيف يقال ان الملكين يجلسانه ويسألانه ومن هنا انكروا تسابيح الجمادات ايضا (والجواب) ان العقل عاجز عن ادراك هذه الاشياء بمجرده

أهل الحسبان فقالوا بتجدد جميع الاعيان في كل زمان وما خصوا عينا من عين ولا كونا من كون وأما من يعلم ان التحيز هو كل ما قام من الاعراض فهو جامع بين المذاهب والاغراض * وقال الطلب من الادب لانه تعالى ما أوجدك الا لتسأل فان لك الفقر الاول فاسأل من كريم ولا تبخل فانه ذو فضل عميم ومن اتبع هواه لم يبلغ مناه * وقال معنى قول العارفين من وحد فقد الحد اي مال الى الحق لان الملحد هو المائل في لغة كل قائل * وقال الاتحاد لا بد منه ولا محيص لمخلوق عنه الا ترى اصحاب الاعراف لما تساوت كفتا ميزانهم كيف وقفوا بين الجنة والنار فلا هم مع الاشرار ولا مع المصطفين الاخيار فلولا ما فضل الحق عليهم من السجود اليه ما رجحوا عليه فلما سجدوا انفكوا من أسر السود والتحقوا بدار السرور * وقال الحال المرتحل من يكرر تلاوة ما انزل فانتهاؤه عين ابتدائه ولكن من تكرر عنده المعنى في تلاوته فتلاه حق تلاوته وكان ذلك دليلا على جهالته ومن زادته تلاوته في كل مرة علما وافادته

حكما فهو التالي لمن هو في وجوده له تالي * وقال من استدان من غير حاجة مهمة فهو ناقص الهمة وانما كان من عرف نفسه عرف

وقد ورد تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الخالق يعني لضعف العقول عن ذلك واذا قصرت عقولكم ايها المعتزلة والجهمية عن ادراك هذه الاشياء فلا تنكروه وصدقوا الاخبار الصادقة الواردة في ذلك ومن الدليل على عذاب القبر قوله تعالى سنعذبهم مرتين اى مرة في القبر ومرة في القيامة وقوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وهو العذاب في الحياة والعذاب في القبر وقوله في الآية لعلهم يرجعون محمول على عذاب الحياة لانهم بعد الموت لا يمكن رجوعهم وكذلك من الدليل قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اى في البرزخ بدليل قوله ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب ومن الدليل على عذاب القبر من السنة حديث نزل قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في عذاب القبر وما ثبت من استعاذته صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر وفي حديث القبرين ان هذين يعذبان وما يعذبان في كبير وقد صح مرفوعا تنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه وقال بعض المعتزلة التعذيب للروح دون البدن وعذابها تألمها على هلاك البدن كما يتألم السلطان على عسكره اذا افناه عدوه لان الروح ملكية انتهى وقال بعضهم يعذب بلا اعادة روح فاذا عادت اليه الروح يوم القيامة ظهر عليه الالم وهذا ليس بشيء لما صح في ابي داود وغيره مرفوعا ان الروح تعود الى الجسد واما انكار الجهمية وبعض المعتزلة تسبيح الجماد فمردود بقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وان تأتي نافية ومنه قوله تعالى ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وان منكم الا واردها ان اردنا الا الحسنى ان يدعون من دونه الا اناثا ان يقولون الا كذبا فالتسبيح من الجمادات ثابت لان الاستثناء من النفي اثبات وهذا منه وقد ثبت تسبيح الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم وقد اتفق من يعتد باتفاقه على تسبيح العالم كله بلسان الحال واختلفوا في تسبيحه بلسان المقال فقال الشيخ عبد الوهاب بن السبكي في شرحه لعقيدة الامام الماتريدي ابي منصور رحمه الله المختار ان كل شيء يسبح به نطقا وانه ليس في العقل ما يمنعه وقد دل على ذلك قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وفي صحيح البخاري انهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل عند النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم مرفوعا اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث وخبر حنين الجذع ثابت مشهور فاذا ثبت ان هذه الاشياء تتكلم ثبت جواز التسبيح بما قال كما دلت عليه الآية فلتحمل على ظاهرها وذهب الفخر الرازي واكثر المعتزلة الى ان الجمادات وغير المكلف من الاحياء لا يسبح الا بلسان الحال وهو مذهب مردود * وقال بعضهم ان كل حي نام يسبح الله دون الميت واليابس واستدلوا لذلك بما ثبت في حديث القبرين من قوله صلى الله عليه وسلم في الجريدتين اللتين شقهما ووضعهما على القبر لعله يخفف عنهما ما دامتا رطبتين اشارة الى انهما يسبحان ما دامتا رطبتين دون ما اذا يبستا ونقل هذا المذهب عن الحسن وعكرمة وسبق في مبحث الايمان مزيد كلام في حياة الجماد فراجعه والله اعلم انتهى كلام المتكلمين وكان الشيخ تقي الدين بن ابي المنصور يقول اذا جاء الانسان منكر ونكير لا يجيئان الا متشكلين لكل انسان بشاكلة عمله وعلمه واعتقاده فهما ابوابان للبرزخ لا يدخل احد البرزخ الا ويمر عليهما او يمران عليه فيسألان العبد بعد رد روحه اليه كله او ما بقي منه عن ربه وعن دينه وعن نبيه فيجيبهما بما يوافق ما مات عليه من ايمان او كفر او شك نسأل الله العافية * قال الشيخ محيي الدين ابن العربي رحمه الله وانما كان الملكان يقولان للميت ما تقول في هذا الرجل من غير لفظ تعظيم وتفخيم لان مراد الملكين الفتنة ليتميز الصادق في الايمان من المرتاب اذ لو قال بقول لو كان لهذا الرجل القدر الذي كان يدعيه في رسالته عند الله لم يكن هذا الملك يكني عنه بمثل هذه الكناية وعند ذلك يقول المرتاب لا ادري فيشقى شقاء الابد قال وهل يكون كلام الملكين للميت وكلامه لهما بصوت

لانه لان علم قلبه موسع ربه لا تعلم الذات الا مقيدة وان أطلقت هكذا عرفت الاشياء وحققت فالاطلاق تقييد في حق الذوات والعبيد فان الخالق مع الافلاس في خلع واياس ولا يشعر بذلك الا القليل من الناس الذات مجهولة فما هي علة ولا معلولة ولا الدليل مدلولة فان وجه الدليل ربط الدليل بالمدلول والذات لا ترتبط ولا تختلط * وقال الاحباب ارباب والمحبون خلف الباب وانما كان المحب صاحب بلوى لانه رب دعوى ولذلك اختص بخلاف المحبوب * وقال في قوله اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم اين هذا من قوله انا سيد ولد آدم فداخل الخليل كان لآدم المسجود ولمحمد المقام المحمود فياليت شعري هل تقوم الخلة مقام كون رسالة محمد تعم كل ملة محمد صاحب الوسيلة في جنته ما نالها الا بدعاء امته اين امته منه في الفضيلة ومع هذا بدعائهم كانت له الوسيلة المدعو له أرفع بيقين من الداعي فلذلك لقولنا كما صليت على ابراهيم الحظ الوهمي * وقال الشوق يزول باللقاء والاشتياق يزيد بالالتقاء لا يعرف الاشتياق الا العشاق من مكن بالاتحاد فقلته فما هو عاشق عند ارباب الحقائق * وقال من قام بالخدمة عند طرح الحرمة والحشمة فتنة خاب وما نجح وخسر وما ربح الخادم في مقام الاذلال فحاله والدلال وماله والسؤول ان لم يكن

وحرف ام لا الذى اعطاه الكشف ان الكلام بعد الموت يكون بحسب الصورة التى يرى الميت نفسه فيها فان اقتضت الحروف والصوت كان الكلام بحرف وصوت وان اقتضت الاشارة او النطق او ما كان فهو ذاك وان اقتضت الذات ان تكون هى عين الكلام كان ذاك فان حضرة البرزخ تقتضى ذلك كله * قال واذا رأى الميت نفسه فى صورة انسان حاز جميع المراتب فى الكلام فانه المقام الجامع لاحكام الصور كلها اه قال وقد جعل الله تعالى لنا النوم فى هذه الدار انا ألف حالنا فى البرزخ بعد الموت فان حال الميت كحال النائم فى الصورة الظاهرة الا ان علاقة تدبير الهيكل باقية فى النوم بخلاف الموت فانه لا علاقة له فى التدبير مع احساس الجسم بالنعيم والعذاب كما يرى النائم فى نومه انه فى عذاب وشرور او فى نعيم وسرور (فان قلت) فلم حجب الثقلان عن سماع كلام الميت وشهود عذابه او نعيمه دون البهائم (فالجواب) انما حجب الثقلان دون غيرهما لانهما من عالم التمييز بخلاف غيرهما فان الناس لو ابصروا شيأ من أحوال الموتى لاخبر وابعضهم بعضا كما اشار اليه خبر لولا تمزع فى قلوبكم وتزيدكم فى الحديث لدعوت الله تعالى ان يسمعكم عذاب القبر وفى رواية أخرى لولا ان تدافنوا الدعوت الله ان يسمعكم عذاب القبر فعلم كما قال الشيخ فى الباب الثامن والسبعين وثلثمائة ان كل من رزقه الله تعالى الامانة من الاولياء سمع عذاب القبر وسمع كلام الشياطين حين يوحون الى أوليائهم ليجادلون وان الله تعالى ما أخذ باسماع الجن والانس وأبصارهم الاطلاع الا ستر فان المكاشف لو افشى ذلك لابطل حكمة الوضع الالهى من وجوب الايمان بالغيب فانه كان يصير شهادة (فان قلت) كيف استعاذة الانبياء من فتنة الممات مع عصمتهم (فالجواب) انما استعاذوا من ذلك لعلمهم بسعة الاطلاق وان الله تعالى يفعل ما يريد فقاموا بواجب عبوديتهم واظهار عجزهم وفاقتهم وسألوه من باب الافتقار ان لا يفتنهم اذا سألهم الملكان عمن ارسل اليهم وهو جبريل عليه السلام فانهم يسئلون عنه تكريما كما نسئل نحن عمن ارسل الينا امتحانا والا فالانبياء معصومون لا يحزنهم الفزع الاكبر فضلا عن الاصغر فحضرتهم الاعتراف بالانكسار بين يدى ربهم على الدوام (فان قلت) فما حقيقة البرزخ الذى ينتقل اليه بعد الموت (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والستين من الفتوحات ان حقيقة البرزخ هو صور اسرافيل الذى ينفخ فيه وهو يسمى بالناقور ويسمى بالقرن فلا شئ أوسع من هذا القرن وجميع ما يقع للميت فى قبره من العذاب والنعيم يدركه صاحبه ادراكا حقيقيا بالحس لا فى الحس كما ان جميع ما يدركه الانسان بعد الموت فى البرزخ من نعيم وعذاب انما يدركه بعين الصورة التى هو فيها فى القرن فان الله تعالى اذا قبض الارواح من الاجسام الطبيعية أودعها صورا جسدية فى حضرة البرزخ الذى هو صور اسرافيل ثم ان من الصور ما يكون هناك مقيدا ومنها ما يكون مطلقا كارواح الانبياء كلهم وارواح الشهداء وبعض الاولياء لان كل من حبس نفسه ايام تكليفه فى قفص الشريعة وحجر عليها ما حجره الشرع جازاه الله تعالى بالاطلاق فى البرزخ وفى الجنة يتبوأ منها حيث يشاء قال ومن الارواح ما يكون له نظر الى عالم الدنيا ومنها ما يتجلى للنائم فى حضرة الخيال قال واما قوم فرعون فيعرضون على النار فى تلك الصورة غدوا وعشيا ولا يدخلونها لانهم محبوسون فى ذلك القرن وفى تلك الصورة ويوم القيامة يدخلون اشد العذاب وهو العذاب المحسوس لا المتخيل الذى كان لهم حال موتهم بالعرض عليه ومنهم من يحرق بالنار المحسوسة أيضا انتهى * وقال الشيخ محيي الدين فى كتابه لواقح الانوار ان من أهل البرزخ من يخلق الله تعالى من همته من يعمل فى قبره بعمله الذى كان يعمله فى دار الدنيا كما صح ذلك عن ثابت البنانى التابعى الجليل انهم فتحوا قبره فوجدوه قائما يصلى وشهده خلائق قال ويكتب الله لعبده ثواب ذلك العمل الى ان يخرج من البرزخ ويؤيد ذلك رجحان ميزان اهل الاعراف بالسجدة التى

الخادم كالميت بين يدى الغاسل لم يحظ من مخدومه بطائل اذا دخل الخادم على مخدومه واعترض ففى قلبه مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وهم لا يشعرون فبالحرمة تنال الرغائب فى جميع المذاهب * وقال اذا كانت حركة المتواجد نفسية فليست بقدسية وعلامتها الاشارة بالاكمام والمشى الى خلف والى قدام والتمايل من جانب الى جانب والتفريق بين راجع وذاهب وقد أجمع الشيوخ على ان مثل هذا محروم مطرود السماع لا يتقيد بالنغمات المعهودة فى العرف اذ فى ذلك الجهل الصرف فان الكون كله سماع عند صاحب الاستماع والايقاع اوزان والله تعالى وضع الميزان فالوجود كله موزون فلا تكن المحروم المغبون ما أشبه الليلة بالبارحة عند صاحب السماع بالقلب والجارحة * وقال كل كرامة لا تتصل بالقيامة فليس هى كرامة فاحذر من الاستدراج فى المزاج القرآن كله قال الله وما فيه قط تكلم الله فلو جاء فيه تكلم الله ما كفر به أحد ولا انكر فضله ولا جحد الا ترى قوله وكلم الله موسى تكليما كيف صدقت به نجا قوما فاثر فيه كلامه وظهرت عليه احكامه فاذا أثر القول فما هو لذاته فافهم وفرق بين القول والكلام تكن من أهل الجلال والاكرام كما تفرق بين الوحى والالهام

يسعدون بها يوم القيامة ويدخلون بها الجنة فلولا ان البرزخ له وجه الى احكام الدنيا ما نفعتهم تلك السعة ولا رجحت بها موازينهم في آخر ما بقي من اعمال اهل التكاليف قالوا واما جميع من يرى في المنام واليقظة من الاموات فكلها مثالات متخيلة وليس منه شيء محقق الا ارواح الانبياء فقط فانها مشرفة على جميع وجود الدنيا والآخرة والبرزخ بخلاف ارواح من سواهم الا من شاء الله فانه ليس له خروج من البرزخ فان رأى احدهم فهو امام ملك خلقه الله تعالى من همة ذلك الولي واما مثال اقامه الله تعالى على صورته لتنفيذ ما يشاء من حكمه واطال في ذلك نحو ورقة ثم قال فعلم ان المكاشفين الكمل يرون حياة الجسم بعد مفارقة الروح وذلك ان الجسد عندهم حقائق وهو لم تقبل بها الادراك من غير واسطة الروح واذا انتقلت الروح الى محلها بعد المفارقة وبقي الجسم كان له الادراك بتلك الحقائق التي تخصه ولولا ذلك ما كان مسبحا بحمد ربه اذ التسبيح فرع عن المعرفة قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده تقديره وان من شيء يعرفه لانه لا يمكن ان ينزه البارئ جل وعلا بما لا يجوز عليه الا من عرفه قال وبتلك الحقائق نطقوا وشهدوا قال تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء انتهى وتقدم في مبحث الايمان ماله تعلق بحياة الجماد فراجعه وقد بان لك بالذي ما قررناه انه لا يقدح في صحة نعيم القبر وعذابه كون ابصار اهل الدنيا لا تدركه قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار ٭ قال الشيخ في الباب السادس والعشرين ومائة من الفتوحات المكية والمراد بهذه الجنة وهذه النار جنة البرزخ وناره لا الجنة والنار الكبيرتان اللتان يدخلهما الناس بعد الحساب والمرور على الصراط قال وهذا مما غلط فيه بعض اهل الله في كشفهم فانهم اذا اطلعوا على شيء من احوال الآخرة يظنون ان ذلك صحيح وانهم شاهدوا الآخرة على الحقيقة وليس كذلك وانما هي الدنيا اظهرها الله تعالى لهم في عالم البرزخ بعين الكشف او النوم في صورة ما جهلوه من احكام الدنيا في اليقظة فيقولون رأينا الجنة والنار والقيامة وبين الدار من الدار [illegible] من الاتساع ومعلوم ان القيامة ما هي الآن موجودة واذا رؤيت في الحياة الدنيا فما هي الا قيامة الدنيا ونار الدنيا وفي الحديث الصحيح رأيت الجنة والنار في مقامي هذا وما قال رأيت جنة الآخرة ولا نار الآخرة بل قال في عرض هذا الحائط من الدار الدنيا وذكر انه رأى في النار صاحبة الهرة التي حبستها وعمرو بن لحي الذي سيب السوائب وكان ذلك كله في صلاة الكسوف في اليقظة وفي حديث آخر مثلت لي الجنة في عرض هذا الحائط وتمثال الشيء ما هو عين الشيء بل هو شبهه فقط ولا معنى لقول من قال ان اهل النار اليوم في النار الكبرى فاذا كان يوم القيامة رجعوا الى القبر ثم بعثوا وحشروا وحوسبوا ثم يدخلون النار ثانيا (قلت) ويكفي احدنا الايمان بعذاب القبر ولا يحتاج الى بيان كيفية تحقيقه فان العقول تعجز عن مثل ذلك وسيأتي في مبحث خلق الجنة والنار مزيد كلام فراجعه والله تعالى اعلم

٭(المبحث الخامس والستون في بيان ان جميع اشراط الساعة التي
اخبرنا بها الشارع حق لا بد ان تقع كلها
قبل قيام الساعة)٭

وذلك كخروج المهدي ثم الدجال ثم نزول عيسى وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها ورفع القرآن وفتح سد يأجوج ومأجوج حتى لو لم يبق من الدنيا الا مقدار يوم واحد لوقع ذلك كله قال الشيخ تقي الدين بن ابي المنصور في عقيدته وكل هذه الآيات تقع في المائة الاخيرة من اليوم الذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم امته بقوله ان صلحت امتي فلها يوم وان فسدت فلها نصف يوم يعني من ايام الرب المشار اليها بقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال بعض العارفين

في اليقظة والمنام ٭وقال لو تكرر شيء في الوجود لضاق النطاق ولم يصح الاسم الواحد بالاتفاق وبطل كون الممكنات لا تتناهى ولم يحدث ما كان به يذيلها من قال بالرجعة بعد ما طلق [illegible] الطلاق وكان صاحب شبهه وما تحقق الطلاق الرجعي رجعه بالجاهل الغبي لو قلنا في الرجال برجعة الطلاق لما وقع عليه الاتفاق فانه نكاح جديد فذهب اهل الاسرار ان لا تكرار مع ثبوت العادة والايمان بالاعادة ٭وقال ما من آية في القرآن الا هي اكبر من اختها وان تولدت عنها وقامت لها مقام بنتها فقد يكون الولد اعظم في القدر من الوالد لكن في الشاهد لا في الغائب لانه موضع واحد وهو ما تولد عندك من العلم بربك عن معرفتك بنفسك وان كان ليس من جنسك فذلك العلم لهذا العلم كالولد وهذا الولد اعظم من هذا الوالد عند كل احد وما سوى هذا في الغائب فليس بصائب فلا تقس الغائب على الشاهد فانه مذهب فاسد فرحم الله اباحنيفة ووقاه كل خيفة حيث لم يحكم على الغائب ٭ وقال حكم [illegible] المحفوظ حكم اليقظان بالدليل والبرهان وهو بمنزلة [illegible] في الاستماع عنده اهل الاتباع لكن لا ينبغي له ان يخدم الشيخ ثم يطيعه وان كان

واول الالف محسوب من وفاة علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه آخر الخلفاء فان تلك المدة كانت من جملة ايام نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته مهدالله تعالى بالخلفاء الاربعة البلاد ومراده صلى الله عليه وسلم ان بالالف قوة سلطان شريعته الى انتهاء الالف ثم تاخذ في ابتداء الاضمحلال الى ان يصير الدين غريبا كما بدا وذلك الاضمحلال يكون بدايته من مضي ثلاثين سنة في القرن الحادي عشر فهنالك يترقب خروج المهدي عليه السلام وهو من اولاد الامام حسن العسكري ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وهو باق الى ان يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام فيكون عمره الى وقتنا هذا وهو سنة ثمان وخمسين وتسعمائة سبعمائة سنة وست سنين هكذا اخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطلي بمصر المحروسة على الامام المهدي حين اجتمع به ووافقه على ذلك شيخنا سيدي على الخواص رحمهما الله تعالى * وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب السادس والستين وثلثمائة من الفتوحات واعلموا انه لابد من خروج المهدي عليه السلام لكن لا يخرج حتى تمتلئ الارض جورا وظلما فيملأها قسطا وعدلا ولو لم يكن من الدنيا الا يوم واحد طول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة رضي الله عنها جده الحسين بن علي بن ابي طالب ووالده حسن العسكري ابن الامام علي النقي بالنون ابن محمد التقي بالتاء ابن الامام علي الرضا ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام زين العابدين علي ابن الامام الحسين ابن الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه يواطئ اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعه المسلمون بين الركن والمقام يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخلق بفتح الخاء وينزل عنه في الخلق بضمها اذ لا يكون احد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخلاقه والله تعالى يقول وانك لعلى خلق عظيم هو اجلى الجبهة اقنى الانف اسعد الناس به اهل الكوفة يقسم المال بالسوية ويعدل في الرعية يأتيه الرجل فيقول يا مهدي اعطني وبين يديه المال فيحثي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله يخرج على فترة من الدين يزع الله به ما لا يزع بالقرآن يمسي الرجل جاهلا وجبانا وبخيلا فيصبح عالما شجاعا كريما يمشي النصر بين يديه يعيش خمسا او سبعا او تسعا يقفو اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئ له ملك يسدده من حيث لا يراه يحمل الكل ويعين الضعيف ويساعد على نوائب الحق يفعل ما يقول ويقول ما يفعل ويعلم ما يشهد يصلحه الله في ليلة يفتح المدينة الرومية بالتكبير مع سبعين الفا من المسلمين من ولد اسحق يشهد الملحمة العظمى مأدبة الله بمرج عكا يبيد الظلم واهله يقيم الدين وينفخ الروح في الاسلام يعز الله به الاسلام بعد ذله ويحييه بعد موته يضع الجزية ويدعو الى الله بالسيف فمن ابى قتل ومن نازعه خذل يظهر من الدين ما هو عليه الدين في نفسه حتى لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا لحكم به فلا يبقى في زمانه الا الدين الخالص عن الرأي يخالف في غالب احكامه مذاهب العلماء فينقبضون منه لذلك لظنهم ان الله تعالى ما بقي يحدث بعد أئمتهم مجتهدا واطال في ذكر وقائعه معهم ثم قال واعلم ان المهدي اذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم وله رجال الهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء له يحملون اثقال المملكة ويعينونه على ما قلده الله تعالى له ينزل عليه عيسى بن مريم عليه السلام بالمنارة البيضاء شرقي دمشق متكئا على ملكين ملك عن يمينه وملك عن يساره والناس في صلاة العصر فيتنحى له الامام عن مكانه فيتقدم فيصلي بالناس يأمر الناس بسنة محمد صلى الله عليه وسلم يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقبض الله المهدي اليه طاهرا مطهرا وفي زمانه يقتل السيفاني عند شجرة بغوطة دمشق ويخسف

يخمده وهذه الآية شرحها مشوقدة من شجرة مباركة من شأنه الا الاسماء ويكفيك هذا الايماء * وقال السفر قطعة من العذاب لما يتضمنه من فراق الاحباب * وقال انما كان المسافر فرد شيطانا لبعده عن الجماعة والاثنان شيطانان لعدم الناصر وتوقع ما تقوم به الشفاعة والثلاثة ركب محفوظ وهو بعين الله ملحوظ فهم اهل الامان غالبا في السفر لما عليهم من الخفر انتثليث من اجل الحدث والمحدث والحديث ما كفر القائل بالثلاثة وانما كفر بقوله ثالث ثلاثة فلو قال ثالث اثنين لاصاب الحق وزال المين ما ظنك باثنين الله ثالثهما يريد ان الله تعالى حافظهما يعني في الغار في زمان هجرة الدار *وقال البقاء لا يصح على شأن احد لما في المحدثات من طلب لزائد اذ الامر شؤن فلا يزال يقول للاشياء كن فتكون الوجود كله نصب وتعب ولهذا قال فاذا فرغت فانصب فما فرغ الا اشتغل ولا قضى منه عمل الا استعمل وقد كان في العمل صاحب راحة لانه استراحة اذا كان الرحمن كل يوم في شأن فما ظنك بالاكوان فما قال بان العدم شر الامن جهل الامر فليس الشر الا العدم الذي ما فيه عين ولا يجوز على المتصف به كون وليس هذا الا المحال الذي هو شر محض على كل حال

بجيشه فى البيداء فمن كان مجبورا من ذلك الجيش مكرها يحشر على نيته وقد جاءكم زمانه واظلكم اوانه وقد ظهر فى القرن الرابع اللاحق بالقرون الثلاثة الماضية قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قرن الصحابة ثم الذى يليه ثم الذى يلى الثانى ثم جاء بينهما فترات وحدثت امور وانتشرت اهواء وسفكت دماء فاختفى الى ان يجىء الوقت الموعود فشهداؤه خير الشهداء وامناؤه افضل الامناء قال الشيخ محيى الدين وقد استوزر الله تعالى له طائفة خبأهم الله فى مكنون غيبه اطلعهم كشفا وشهودا على الحقائق وما هو امر الله عليه فى عباده وهم على اقدام رجال من الصحابة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم من الاعاجم ليس فيهم عربى لكن لا يتكلمون الا بالعربية لهم حافظ من غير جنسهم ما عصى الله قط هو اخص الوزراء واعلم ان المهدى لا يفعل شيأ قط برأيه وانما يشاور هؤلاء الوزراء فانهم هم العارفون بما هنالك واما هو عليه السلام فى نفسه فهو صاحب سيف حق وسياسة ومن شأن هؤلاء الوزراء ان احدهم لا ينهزم قط من قتال وانما يثبت حتى ينصر او ينصرف من غير هزيمة لا تراهم يفتحون مدينة الروم بالتكبير فيكبرون التكبيرة الاولى فيسقط ثلثها ويكبرون الثانية فيسقط الثلث الثانى من السور ويكبرون الثالثة فيسقط الثالث فيفتحونها من غير سيف وهذا هو عين الصدق الذى هو والنصر اخوان * قال الشيخ وهؤلاء الوزراء دون العشرة وفوق الخمسة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شك فى مدة اقامته خليفة من خمس الى تسع للشك الذى وقع فى وزرائه لكل وزير معه اقامة سنة فان كانوا خمسة عاش خمسة وان كانوا سبعة عاش سبعة وان كانوا تسعة عاش تسعة اعوام ولكل عام منها احوال مخصوصة وعلم يختص به ذلك الوزير فما هم اقل من خمسة ولا اكثر من تسعة * قال الشيخ ويقتلون كلهم الا واحدا منهم فى مرج عكا فى المادبة الالهية التى جعلها الله تعالى مائدة للسباع والطيور والهوام * قال الشيخ وذلك الواحد الذى يبقى لا ادرى هل هو ممن استثنى الله فى قوله ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله او هو يموت فى تلك النفخة * قال الشيخ محيى الدين وانما شككت فى مدة اقامة المهدى اماما فى الدنيا ولم اقطع فى ذلك بشئ لانى ما طلبت من الله تحقيق ذلك ادبا معه تعالى ان اسأله فى شئ من ذات نفسى قال ولما سلكت معه هذا الادب قيض الله تعالى واحدا من اهل الله عز وجل فدخل على وذكر لى عدد هؤلاء الوزراء ابتداء وقال لى هم تسعة فقلت له ان كانوا تسعة فان بقاء المهدى لا بد ان يكون تسع سنين فانى عليم بما يحتاج اليه وزيره فان كان واحدا اجتمع فى ذلك الواحد جميع ما يحتاج اليه وزراؤهم وان كانوا اكثر من واحد فما يكون اكثر من تسعة فانه اليها انتهى الشك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله خمسا او سبعا او تسعا يعنى فى اقامة المهدى تشجيعا لخواص اصحابه ليطلبوا العلم ولا يقنعوا بالتقليد فانه قال ما يعلمهم الا قليل فافهم قال وجميع ما يحتاج اليه وزراء المهدى فى قيامهم تسعة امور لا عاشر لها ولا تنقص عن ذلك وهى نفوذ البصر ومعرفة الخطاب الالهى عند الالقاء وعلم الترجمة عن الله وتعيين المراتب لولاة الامر والرحمة فى الغضب وما يحتاج اليه الملك من الارزاق المحسوسة وغيرها وعلم تداخل الامور بعضها على بعض والمبالغة والاستقصاء فى قضاء حوائج الناس والوقوف على علم الغيب الذى يحتاج اليه فى الكون فى مدته خاصة * فهذه تسعة امور لا بد ان تكون فى وزراء المهدى من واحد فاكثر واطال الشيخ فى شرح هذه الامور نحو عشرة اوراق ثم قال واعلم ان ظهور المهدى عليه السلام من اشراط قرب الساعة كذلك خروج الدجال فيخرج من خراسان من ارض الشرق موضع الفتن يتبعه الاتراك واليهود ويخرج اليه من اصبهان وحدها سبعون الفا مطيلسين وهو رجل كهل اعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية مكتوب بين عينيه كاف فا را * قال الشيخ محيى الدين

بخلاف العدم الذى يتضمن الاعيان * وقال الشطح فخ فمن شطح تحقق فما شطح وهذا من اعظم الملم الا انه يلتبس على السامع فلا يعرف الجامع من غير الجامع واهنا الالتباس جعله نقصا بعض الناس من باب سد الذريعة لما فيه من نطق الخلق بالالفاظ شنيعة لا تجيزها الشريعة فمن تقوى فى نحو لفتح لم يظهر عليه شئ من الشطح الا ترى ما قال صاحب القوة والتمايز فى انفاذ الامر انا سيد ولد آدم ولا فخر فانظر الى ادبه فى تحليه كيف تأدب مع ابيه وما ذكر غير اخوته * وقال ما اصعق الكليم الا الذى دك الجبل العظيم وما افاق الكليم من صعقته الا الباقى عليه من اداء نبوته ولا يلزم من كون خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ان يكون اقوى من الناس فلم تسلم واعرف الامر واكتم * وقال من كان جميع امرك بيده فانت لديه ما برحت منه حتى تسأل عنه لم يرد خبر بالصفات لما فيها من الآفات بخلاف الاسماء الا ترى من جعله موصوفا كيف يقول ان لم يكن كذلك كان مؤفا ولفظ المؤف شنيع عند اهل التشريع وما علم من جعله موصوفا ان الذات اذا توقف كمالها على الوصف حكم عليها الا بحس الصرف ومن لم يكن كماله لذاته افتقر كماله الى صفاته والحق باجماع كل واحد ليس بامر زائد

فلا

فلا ادرى هل المراد بهذا الهجاء كفر من الافعال الماضية او اراد به كفر من الاسماء الان الالف حذفت
كما حذفها العرب فى خط المصحف فى مواضع مثل الف الرحمن بين الميم والنون (فان قلت) فما صورة
ما يحكم به المهدى اذا خرج هل يحكم بالنصوص او بالاجتهاد او بهما (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى
الدين انه يحكم بما ألقى اليه ملك الالهام من الشريعة وذلك انه يلهمه الشرع المحمدى فيحكم به كما اشار
اليه حديث المهدى انه يقفو اثرى لا يخطئ فعرفنا صلى الله عليه وسلم انه متبع لا مبتدع وانه معصوم
فى حكمه اذ لا معنى للمعصوم فى الحكم الا انه لا يخطئ وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئ فانه
لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وقد أخبر عن المهدى انه لا يخطئ وجعله ملحقا بالانبياء فى ذلك
الحكم * قال الشيخ فعلم انه يحرم على المهدى القياس مع وجود النصوص التى منحه الله اياها على
لسان ملك الالهام بل حرم بعض المحققين على جميع اهل الله القياس لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
مشهودا لهم فاذا شكوا فى صحة حديث او حكم رجعوا اليه فى ذلك فاخبرهم بالامر الحق يقظة
ومشافهة وصاحب هذا المشهد لا يحتاج الى تقليد احد من الائمة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال تعالى قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وأطال فى ذلك ثم قال وللامام المهدى
ايضا الاطلاع من جانب الحق على ما يريد الحق تعالى ان يحدثه من الشؤن قبل وقوعها فى الوجود
ليستعد لذلك قبل وقوعها فان كان ذلك مما فيه منفعة لرعية شكر الله عز وجل وسكت عنه وان
كان مما فيه عقوبة بنزول بلاء عام او على اشخاص معينين سأل الله تعالى فيهم وشفع وتضرع اليه
فصرف الله عنهم ذلك البلاء بفضله ورحمته وأجاب دعاءه وسؤاله (فان قلت) فاذا عمى الله تعالى عليه
حكما فى نازلة ماذا يفعل (فالجواب) اذا عمى الله تعالى عليه حكما فى نازلة ولم يقع له بها تعريف ولا
كشف الحقها فى الحكم بالمباحات فيعلم بعد التعريف ان ذلك حكم الشرع فيها فانه معصوم من
الرأى والقياس فى الدين اذ القياس ممن ليس بنبى حكم على الله فى دينه بما لم يعلم فانه طرد علة وما
يدرى العبد لعل الله لا يريد طرد تلك العلة ولو انه كان اراده الابانها على لسان محمد صلى الله عليه
وسلم وابان بطردها وأطال فى ذلك ثم قال واعلم انه لم يبلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم نص على احد من
الائمة بعده ان يقفو اثره لا يخطئ الا المهدى خاصة فقد شهد له بعصمته فى خلافته واحكامه كما شهد
الدليل العقلى بعصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه من الحكم المشروع له فى
عباده (فان قلت) فاذا نزل عيسى عليه السلام فمتى يموت وكيف يموت (فالجواب) كما قاله الشيخ
فى الباب التاسع والستين وثلثمائة انه يموت اذا قتل الدجال وذلك انه يموت هو واصحابه فى نفس واحد
فيأتيهم ريح طيبة تأخذهم من تحت آباطهم يجدون لها لذة كلذة الوسنان الذى قد جهده السهر
وأتاه فى السحر العسيلة سميت بذلك لحلاوتها فيجدون للموت لذة لا يقدر قدرها ثم يبقى بعدهم رعاع
كغثاء السيل أشباه البهائم فعليهم تقوم الساعة انتهى * واما طلوع الشمس من مغربها فقد ورد
فى الصحيح مرفوعا لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا
اجمعون حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل وطلوع الشمس من مغربها جائز فى العقل
لا استحالة فيه فان الله قادر على ذلك والجهات بالنسبة الى قدرته متساوية وفى ذلك رد على نمروذ لما قال
له ابراهيم عليه السلام فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الآية * قال الشيخ
ابو طاهر القزوينى واصحاب الهيئة والمنجمون يحيلون طلوعها من المغرب فيقال لهم أليس الله تعالى
قد اجرى العادة بان كل دوارة من رحى ودولاب اذا انتهى دورها ترجع منعكسة ثم تقف فبم
تنكرون ان الله تعالى يعكس دوران الشمس عند انتهاء ادوارها قال تعالى والشمس تجرى

*وقال لولا الاغيار ما كانت الاسرار والسر ما كان بينك وبينه وانحق من السر ما ستر عنك عينه *وقال ما اعجب
ما يعتقده أهل التوحيد
وصفه بالقريب البعيد
قريب ممن بعيد عمن هو
أقرب من حبل الوريد
الى جميع العبيد *وقال
الاتصال ليس من مقامات
الرجال كيف يتصل به
اجنبى لا يقول بهذا الاغبى
فى الكتاب المنزل المتلية
وانما الاعمال بالنية
* وقال ما كان بالحلول
فهو معلول وهو مرض
لا دواء لدائه ولا طبيب
يسعى فى شفائه من فصل
بينك وبينه فقد اثبتا
عينك وعينه الا ترى
قوله كنت سمعه الذى
يسمع به فاثبتك باعادة
الضمير اليك ليدل عليك
وما قال بالاتحاد الا أهل
الالحاد وأما القائلون
بالحلول فهم أهل الجهل
والفضول فانهم اثبتوا
حالا ومحلا وعينوا حراما
وحلالا فمن فصل فنعم ما فعل
ومن وصل فقد شهد على
نفسه بانه فصل والشئ
الواحد لا تصل نفسه الا اذا
تجزأ والواحد لا يصح فيه
انقسام الا بامر زائد على
ذاته وما ثم الا مصنوعاته
(قلت) فكذب والله من
افترى على الشيخ رحمه الله
بانه يقول بالحلول والاتحاد
فتأمل والله أعلم *وقال
لو انقطع الاصل لانقطع
النسل التواصل سبب التناسل سواء كان من نكاح أو من سفاح *وقال ان نظرت

بغير عينه فقد قرنت بعظيم بينه و بينه هو فصله ووصله على هذا وقع الاصطلاح منذ الشراح فهو من أسمائه

استقر لها والمستقر مصدر بمعنى الاستقرار واللام بمعنى الى كما قال تعالى بأن ربك اوحى لها اى اليها
قال وعند وقوف الشمس في وسط السماء تنشق السماء وتنكدر النجوم ويقولون في المثل السائر
الدولاب اذا تعطل تكسر وهذا لئلا يظهر الشمس والقمر في وسط السماء ٣ كالفرازتين وفي رواية
اخرى كالثورين الاسودين فاذا طلعا الى وسط السماء رجعا فارين الى المغرب لانهما يغربان في
المشرق كما توهمه بعضهم وفي الحديث انهما يطلعان من المغرب مكورتين كالفرازتين فلا ضوء
للشمس ولا نور للقمر وما بين طلوع الشمس من مغربها الى نفخ الصور اقل من ان يركب الرجل المهر
بعد النتاج (فان قيل) قد ورد في الحديث انهما يطلعان ذلك اليوم من المشرق الى نفخ الصور
(فالجواب) لا اعتبار بذلك الطلوع اذ هو طلوع اضطراب للوقوف والانتهاء لا طلوع دوب لهما
بحساب وكذلك يكون حال كل دوارة اذا انتهى دورها تنعكس مرة وترجع اخرى ثم تقف هكذا
سنة الله في الخلق ولن تجد لسنة الله تحويلا وتقدم في مبحث الايمان ان الشمس اذا طلعت من مغربها
اغلق باب التوبة فمن كان مؤمنا لا يدخل قلبه بعد ذلك كفر ومن كان كافرا لا يدخل قلبه بعد ذلك
ايمان فراجعه (فان قيل) فما الدليل على نزول عيسى عليه السلام من القرآن (فالجواب) الدليل
على نزوله قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اى حين ينزل ويجتمعون عليه
وانكرت المعتزلة والفلاسفة واليهود والنصارى عروجه بجسده الى السماء وقال تعالى في عيسى
عليه السلام وانه لعلم للساعة قرئ لعلم بفتح اللام والعين والضمير في انه راجع الى عيسى عليه السلام
لقوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا ومعناه ان نزوله علامة القيامة وفي حديث في صفة الدجال
فبينما هم في الصلاة اذ بعث الله المسيح بن مريم فنزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين يديه
مهرذبتان واضعا كفه على اجنحة ملكين والمهرذبتان بالذال المعجمة والمهملة معا حلتان
مصبوغتان بالورس فقد ثبت نزوله عليه السلام بالكتاب والسنة وزعمت النصارى ان ناسوته
صلب ولاهوته رفع والحق انه رفع بجسده الى السماء والايمان بذلك واجب قال تعالى بل رفعه
الله اليه قال ابو طاهر القزويني واعلم ان كيفية رفعه ونزوله وكيفية مكثه في السماء الى ان ينزل من
غير طعام ولا شراب مما يتقاصر عن دركه العقل ولا سبيل لنا الا ان نؤمن بذلك تسليما لسعة قدرة الله
تعالى واطال في ذكر شبه الفلاسفة وغيرهم في انكار الرفع (فان قيل) فما الجواب عن استغنائه عن
الطعام والشراب مدة رفعه فان الله تعالى قال وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام (فالجواب) ان
الطعام انما جعل قوتا لمن يعيش في الارض لانه مسلط عليه الهواء الحار والبارد فيتحلل بدنه فاذا انحلل
عوضه الله تعالى بالغذاء اجراء لعادته في هذه الخطة الغبراء واما من رفعه الله الى السماء فانه يلطفه
بقدرته ويغنيه عن الطعام والشراب كما اغنى الملائكة عنهما فيكون حينئذ طعامه التسبيح وشرابه
التهليل كما قال صلى الله عليه وسلم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني وفي الحديث مرفوعا ان بين
يدي الدجال ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها وفي السنة الثانية تمسك
السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها وفي السنة الثالثة تمسك السماء قطرها كله فقالت له اسماء
بنت يزيد يا رسول الله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين حينئذ فقال يجزيهم
ما يجزي اهل السماء من التسبيح والتقديس * قال الشيخ ابو طاهر وقد شاهدنا رجلا اسمه خليفة
الخراط كان مقيما بابهر من بلاد المشرق مكث لا يطعم طعاما منذ ثلاث وعشرين سنة وكان يعبد الله
ليلا ونهارا من غير ضعف فاذا علمت ذلك فلا يبعد ان يكون قوت عيسى عليه السلام التسبيح والتهليل
والله اعلم بجميع ذلك * واما خروج الدابة التي يقال لها الجساسة فقد ذكر الشيخ محيي الدين

الاضداد كالقرم في الطهر
والحيض المعتاد * وقال
ليس من الملة القول بالعلة
اذ الحق عند اهل الملة
لا يصح ان يكون لها علة
لانه تعالى قد كان ولا انا
فلماذا العنا من كان علة
لم يفارق معلوله كما لا يفارق
الدليل مدلوله لو فارقه
ما كان دليلا ولا كان
الآخر عليلا ما قال بالعلة
الا من جهل ما تعطيه
الادلة القول بالعلة معلول
بوانح الدليل وليس الى
مخالفته سبيل فان احكام
الحق في عباده لا تعلل
وهو المقصود المؤمل
* وقال ما ظهر الشتاء
والقيظ الا نفس جهنم
من الغيظ فغيظها علينا
في العاجل دليل على
الآجل اكل بعضها بعضا
فاقرضها الله فينا قرضا
فنرجو ان يكون ما يصيب
المؤمن هنا من حرها
وزمهريرها يحول في
القيامة بينه وبين سعيرها
وقد جازت من اقرضها في
الدنيا بالجود عنه في الاخرى
فتقول جز يا مؤمن فقد
اطفا نورك لهبي فالادباء
الاعلام يعتقدون القضا
ويحاسبون نفوسهم على
ما مضى * وقال لا لزم من
الايمان بالفوقية للحق
تعالى الجهة ولا لزام التشبيه
الجهة ما وردت والفوقية قد ثبتت فانظر ماذا ترى وكن مع اهل السنة من الورى * وقال

في الباب السابع والخمسين وثلثمائة في قوله تعالى اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ما نصه اعلم ان هذه الدابة تخرج من اجناد وهي دابة كثيرة الشعر لا يعرف قبلها من دبرها فتنفخ في وجوه الناس شرقا وغربا برا وبحرا جنوبا وشمالا فيرتقم بنفخها في جبين كل شخص ما هو عليه في علم الله تعالى من ايمان وكفر فيقول من سمته مؤمنا لمن سمته كافرا يا كافر اعطني كذا وكذا ويغضب من ذلك الاسم لعلمه بانه مكتوب في جبينه كتابة لا يمكنه ازالتها فيقول الكافر للمؤمن نعم اولا في قضاء ما طلب منه فليس كلامها المنسوب اليها في العموم سوى ما وسمت به الوجوه بنفخها وان كان لها كلام مع من يجالسها في سائر اصحاب اللسان فهي تكلمه بلسانه عربيا كان او عجميا على اختلاف اللغات * وقد ورد حديثها في صحيح مسلم في حديث الدجال حيث دلت تميما الداري عليه وقالت له انه الى حديثك بالاشواق * قال الشيخ وهي الآن في جزيرة من البحر الذي يلي جهة الشمال وهي الجزيرة التي فيها الدجال قال وانما سمى الله تعالى رقمها في وجوه الناس كلاما لانه افاد ما افاده الكلام الا ترى العاقل من اهل النظر اذا اراد ان يوصل اليك ما في نفسه لم يقتصر في ذلك التوصيل على العبارة بنظم حروف ولا بد فان غرضه منك انما هو اعلامك بالامر الذي في نفسه فوقتا بالعبارة اللفظية المسماة في العرف قولا وكلاما ووقتا بالاشارة بيد او رأس او بهما كان ووقتا بكتابة ورقوم ووقتا بما يريد الحق افهامك به فيوجد فيك اثرا تعرف منه ما في نفسه ويسمى هذا كلاما فصح ان رقم الدابة يطلق عليه كلام والله اعلم واطال في ذلك في الباب السابع والخمسين وثلثمائة بذكر فوائد عظيمة فراجعها * واما رفع القرآن فروى البيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال اقرؤا القرآن قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يغزى عليهم ليلا فيرفع من صدورهم فيصبحون فيقولون لكنا كنا نعلم شيئا ثم يقعون في الشعر * قال القرطبي وهذا انما يكون بعد موت عيسى عليه السلام وبعد هدم الحبشة الكعبة * واما خروج ياجوج وماجوج فهو ثابت بالنصوص القطعية وهو سد عظيم يصل اليه السواح * واخبرني الشيخ عبد القادر الدشطوطي رحمه الله ان اسيدي ابراهيم المتبولي كل سنة سماطا يمده فوق هذا السد فيحضره جميع الاولياء والصحابة الاحياء والاموات * قال قد حضرت معهم مرات فقلت له وهل يسع السد هؤلاء الناس كلهم فقال نعم طوله سبعون ميلا وعرضه خمسون ميلا انتهى واحوال مقدمات الساعة صنف الناس فيها كتبا كثيرة وانما بحثنا في العقائد الاشارة بذكر طرف منها لاجل الايمان بها لا غير والله اعلم

(خاتمة) ذكر الشيخ في الباب التاسع والخمسين من الفتوحات في معنى حديث الدجال يوم كجمعة ويوم كشهر ويوم كسنة وسائر ايامه كايامكم معنى يوم كجمعة ان الغيوم تكثر في ذلك الزمان فلا ترى الشمس الا بعد سبعة ايام فتطلع الشمس وتغرب ولا يعلم ذلك الا ارباب الكشف وكذلك القول في الشهر والسنة وليس المراد ان اليوم الواحد يمتد مقدار سنة مثلا لانه لو امتد لم يكن يلزمنا فيه الا خمس صلوات فقط في كل يوم وليلة فلما تواترت الغيوم وتوالت تساوي في رأي العين وجود الليل والنهار فظن الناس ان الشمس لم تغرب في نفس الامر وهو من الاشكال الغريبة التي تحدث في آخر الزمان واذا حال الغيم المتراكم بيننا وبين السماء كانت الحركات التي علمها اهل الهيئة باقية كما هي لم تختل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اقدروا لها اي للصلوات فلما قرر الشارع اوقات الصلاة بالتقدير عرفنا ان حركات الافلاك على حالها لم يختل نظامها قال ولو ان ذلك اليوم الذي كسنة يوم واحد ممتد لوجب علينا ان لا نصلي الظهر حتى تزول الشمس وما لم تزل الشمس لا نصلي الظهر ولو مكثنا اكثر من سنة فحصل من هذا ان المعنى اقدروا لها من يوم واحد مثلا اي في رأي العين لا في نفس الامر فانه

لان فيه الحركة فلا يصغى لقول من قال كل يوم تتلون غير هذا بك احسن *وقال جميع ما في الوجود افعاله مع انه حرم الفواحش فسلم ولا تناقش * وقال ان الله لا يمل حتى تملوا فان تحملوا او حملوا قيد نفسه تعالى في عقدكم فقال اوفوا بعهدي اوف بعهدكم تنبيها لكم على الادب وخروجا لكم عن الريب * وقال من نظر الى ظله علم ان حكمه في الحركة والسكون من اصله فتحرك بحركته لا بتحريكه فاياك والابتداع *وقال من قام بالحق صدق في كل ما نطق من قام بالسيف وان عدل صاحب حيف واذا كان الاصل معلول فصاحبه مخذول لانه اصل فاسد يحرم العبد الفوائد* وقال الطريق ساقة وقادة اما الى شقاوة او سعادة فاعرف الطريق وتخير الرفيق تنج من عذاب الحريق * وقال لا تكثر لورادك الا على باب الاجواد فان البخيل بابه مغلق والجواد جواده مطلق اذا فنى الكريم عن شهود جوده في حال جوده فهو الدليل على صحة وجده

ووجوده فانه ما اعطى الخلق الا ما كان لهم في خزائن الحق ومع هذا فله الاجر في استعماله في هذا الامر ومن تكرم وجاد

في نفس الامر مضي اليوم ولم يشهد به احد وان اليوم الذي كسنة تطلع فيه الشمس وتغرب ثلثمائة وستين يوما وكذلك القول في الشهر والجمعة تمكث الشمس فيه لاترى شهرا اوسبعة ايام * (قلت) وهذا الذي ذكره الشيخ محيي الدين خلاف ما يدل عليه ظاهر قوله في الحديث فاقدروا له فليتأمل فان غالب الافهام على ان اليوم الواحد يطول المدة التي ذكرها في الحديث من جمعة اوشهر اوسنة والله اعلم بحقيقة الحال

(المبحث السادس والستون في وجوب اعتقاد ان الله تعالى يعيدنا كما بدأنا اول مرة وبيان كيفية تهيئة الاجساد لقبول الارواح وبيان صورة الصور واحياء من في القبور وبيان شبه المنكرين للبعث)

ولنبدأ بعبارة شرح جمع الجوامع وحاشيته ثم نذكر نقول المحققين من الصوفية فنقول وبالله التوفيق اعلم ان عود الجسم بعد الاعدام بجميع اجزائه الاصلية وعوارضه حق كما كان قبل الموت قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وقال تعالى كما بدأكم تعودون وقال تعالى بعثر ما في القبور ونحو ما قد ورد في الكتاب والسنة من العبارات التي لا تقبل التأويل حتى ان ذلك صار معلوما من الدين بالضرورة وانعقد الاجماع على كفر من أنكر البعث جوازا اووقوعا وقد أنكرت الفلاسفة اعادة الاجسام وقالوا انما تعاد الارواح بمعنى انها بعد موت البدن تعاد الى ما كانت عليه من اللذة بالكمال او التألم بالنقصان قال الكمال في حاشيته ومرادهم بقولهم ان الجسم يعاد بجميع اجزائه الاصلية اى الباقية من اول العمر الى آخره لا ان الاجزاء مطلقا تعاد وذلك لينـدفع بذلك الشبهة المشهورة وهي ما اذا أكل انسان انسانا بحيث صار المأكول جزأ من الآكل فاذا اعاد الله تعالى ذينك الانسانين بعينهما فتلك الاجزاء التي كانت للمأكول ثم صارت للآكل اما ان تعاد في كل واحد منهما وهو محال لاستحالة ان يكون جزء واحد بعينه في آن واحد في شخصين متباينين او يعاد في احدهما وحده فلا يكون الآخر معادا بعينه والمقرر خلافه ووجه الاندفاع ان المعاد هو الاجزاء الاصلية الباقية من اول العمر الى آخره دون الاجزاء الفضلية والاجزاء الاصلية التي كانت للمأكول هي فضلة في الآكل فانا نعلم ان الانسان باق مدة عمره واجزاء الغذاء تتوارد عليه وتزول عنه واذا كانت فضلة لم يجب اعادتها في الآكل بل في المأكول انتهى والله اعلم وعبارة الشيخ محيي الدين اعلم ان من انكر البعث والاعادة في الاجسام كفر وصورة الاعادة ان الله تعالى ينزل من السماء مطرا يشبه مني الرجال تمخض منه الارض فينشئ الله تعالى منه الخلق النشأة الآخرة على عجب الذنب الذي بقي من نشأة الدنيا وهو اصلها الذي لا يقبل البلاء كما مر في مبحث الارواح ثم اذا انشأها الله تعالى النشأة الآخرة وسواها وعدلها استعدت لقبول الارواح كاستعداد شجر بالمادية التي فيها لقبول الاشتعال وكانت الصور البرزخية كالسرج المشتعلة بالارواح التي فيها فاذا نفخ اسرافيل في الصور الذي هو الحضرة البرزخية التي ينتقل اليها بعد الموت مرت تلك النفخة على جميع تلك الصور البرزخية التي احتوى عليها الصور فاطفأتها كما في قول الله عز وجل لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فاذا نفخ الثانية اشتعلت تلك الصور المستعدة للاشتعال بأرواحها فاذا هم قيام ينظرون فكل صورة تقوم حية ناطقة بما ينطقها الله عز وجل به فمنهم من ينطق بالحمد لله ومنهم من ينطق بقوله سبحان من احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور ومنهم من ينطق بقوله من بعثنا من مرقدنا وهكذا ينطق كل انسان بما كان عليه عند موته واعلم ان كل واحد ينسى حاله الذي كان عليه في البرزخ ويتخيل ان كل ما كان فيه منام كما يتخيله المستيقظ من منامه * وقال في باب الاسرار في قوله تعالى وهو الذي يبدأ

وقيل ان له فضلا على العباد فـاجاد اذا المنة آذاقا علم ذا * وقال لايتعدى قوقا حكيم فاوتبه العليم فـاحكم به الولى في الخلق يعضيه له الحق وان رده الحاكم الجائر فلا يلتفت الى رده فانه من صدق وعده وهو لا يخلف الميعاد فلا بد من رد اهل الالحاد * وقال قد كان الحق ولا شئ معه فهو السابق وهو الذي يصلي علينا فهو اللاحق تارة يتجلى في اسمه الاول وتارة في اسمه الآخر * وقال من كان سهل القياد خيف عليه الفساد ولكنه آمن من العناد ما يسعد المنقاد الا بحكم الاتفاق فليس مطلق الانقياد من مكارم الاخلاق فمن حكم العلم سلم وغنم : وقال من كانت همته عالية لم يظهر لهمته تاثير في هذه الدار الفانية فانها اذقى بفنائها وترحل عن فنائها * وقال الشكر قد يمكر به فان من اوصل حقا الى مستحقه فقد ادى اليه واجب حقه فعلام وقع الشكر ولا بدل ولا فضل وقد قرن الله الزيادة بالشكر لما علم فيها من المكر * وقال عطاء الله كله بذل وان كان منعا ومن آثر على نفسه من المؤمنين فهو الخاسر وان نجا فان المؤمن قد باع نفسه من الله والمبيع لمن اشتراه وحق الله احق لكن الدهر ابقيت العبد في البلوى اذا سفلت مقدما لها على ابناء جنسك * وقال

الخلق ثم يعيده المراد بالخلق هو الفعل الصادر منه تعالى لا المخلوق فان عين المخلوق ما زالت من الوجود وان اختلفت عليها الاطوار فى الدنيا والبرزخ والجنة والنار فان عين المخلوق واحدة من حيث جوهرها فلم تنعدم حتى يقال انها توجد وانما هو انتقال فى علم الله تعالى من وجود الى وجود ولذلك كان نعيم القبر وعذابه حقا وايضاح ذلك ان نشأة الآخرة ابتداء لا اعادة حقيقة اذ لو كانت اعادة حقيقية لعاد حكمها معها من التكاليف فكل جوهر لا ينعدم من حين خلقه الله تعالى وانما هى اطوار تتوارد عليه واطال فى ذلك ثم قال فعلم ان الحق تعالى لما دعا الارواح من هيا كلها حنت الى ذلك الدعاء وهان عليها مفارقة الوطن فكان لها الانفساح بالسراح من هذه الاشباح ثم انه اذا وقعت الاعادة عادت الى ما كانت عليه روحا وجسما هذا معنى الرجوع انتهى فليتأمل وقال فى الباب الثانى والسبعين وثلثمائة ان لم تكن الاعادة على صورة الابتداء فما هى اعادة انتهى * وقال فى الباب السبعين من الفتوحات فى قوله تعالى كما بدأكم تعودون اعلم ان الحق تعالى قد بدأنا على غير مثال سبق وكذلك يكون انشاؤه لنا فى الآخرة على غير مثال سبق فمن علم ذلك لم يستبعد وقوع المحالات من حيث العقل والا فليس ذلك بمحال من حيث القدرة الالهية انتهى فليحرر وسيأتى ايضا عن الغزالى فى جواب السؤال الثانى من شبه المنكرين للبعث فراجعه * وقال فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة فى قوله تعالى اذا بعثر ما فى القبور اعلم انه اذا بعثر ما فى القبور واخرجت الارض اثقالها لم يبق فى بطنها سوى عينها فاخرج ما كان فيها اخراجا لا نباتا وذلك ليفرق بين نشأة الدنيا الظاهرة وبين نشأة الآخرة فان الدنيا انبتنا فيها من الارض نباتا كما ينبت النبات شيأ بعد شئ على التدريج وقبول الزيادة فى الجرم طولا وعرضا واما نشأة الآخرة فهى اخراج من الارض على الصورة التى يشاء الحق تعالى ان يخرجنا عليها قال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون فاذا اخرجت الارض اثقالها وحدثت بانه لم يبق فيها مما اختزنته شئ جئ بالعالم الى الظلمة التى دون الحشر فالقى الخلائق فيها حتى لا ينظر بعضهم بعضا ولا يبصرون كيفية التبديل فى السماء والارض حين يقع فتمد الارض او لامد الاديم وتبسط فلا ترى فيها عوجا ولا امتا وهى الساهرة اذ لا نوم فيها لكونها بعد الدنيا ولا نوم لاحد بعدها انتهى * وقال فى الباب الثالث وثلثمائة اعلم ان الناس قد اختلفوا فى صفة الاعادة بناء على اختلافهم فى الموت هل هو طلاق رجعى او بائن وفرعوا على ذلك ما اذا ماتت امرأة هل يغسلها زوجها فقال بعضهم حكمها بعد موتها كالاجنبية قطعا فليس له ان يكشف عليها وقال قوم حرمة الزوجية باقية فله ان يغسلها وحاله معها كحاله حال حياتها فان كان رجعيا فان الارواح ترد الى اعيان هذه الاجسام من حيث جواهرها فى البعث وان كان بائنا فقد ترد اليها ويختلف التأليف وقد ينشأ لها اجسام اخر لاهل النعيم اصفى واحسن ولاهل العذاب بالعكس قال والحق انها ترد الى اعيان هذه الاجسام التى كانت مكلفة حتى تنعم او تعذب وحتى تشهد على صاحبها حين تستشهد انتهى * وقال فى الباب الستين ومائتين اعلم ان الجوارح اذا استشهدت يوم القيامة على النفس المدبرة هى والجلود لا تشهد بوقوع معصية ولا طاعة لانه لا خبر لها بما تنويه النفس فى الاعمال ولا تدرى هل ذلك العمل مشروع او غير مشروع وانما تشهد بما عملته والله تعالى يعلم حكمه فى ذلك العمل ولهذا قال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولم يشهدوا بكون ذلك العمل طاعة او معصية فان مرتبة الجوارح لا تقتضى ذلك انما تقتضى ان الفرج مثلا يقول انا دخلت فى فرج فلانة ويقول الفم انا شربت خمرا ولا علم لهما بكون ذلك حراما ام لا وسيأتى عبارة الشيخ ابى طاهر فى بيان شبهة المنكرين للبعث ان شاء الله تعالى * وقال الشيخ محيى الدين فى علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة اعلم ان العمل حق للجارحة والنية حق للروح ولا خبر

من رأى الكون عينا مستقلة فهو صاحب علة ما قال بالعلل الا القائل بان العالم لم يزل وانى للعالم بالقدم وماله فى الوجود لو جوفى قدم لو ثبت للعالم العدم لاستحال عليه العدم والعدم ممكن بل واقع عند العالم الجامع لكن اكثر العبيد فى لبس من خلق جديد فما عرف تجدد الاعيان الا اهل الحسبان واثبت ذلك الاشعرى فى العرض وتخيل الفيلسوف فيه انه صاحب مرض يجهله بسواد الزنجى وصفرة الذهب * وقال الوقت سيف ومنه المخوف كل المخوف زمانك حالك وفى اقامتك ارتحالك فسيرك يا هذا كسير سفينة بقوم جلوس والقلوع تطير وقال لو كتم العبد سر الماقيل له لقد جئت شيأ امرا ولا نكرا ولو ترك السر مخزونا ما كان الكليم مغلوبا ان هى الا فتنتك من شدة الشوق عن ذوق * وقال العذاب الحاضر تعلق الخاطر من يئس استراح وخرج من القيد وراح الانس لا يكون الا بالمشاكل والمشاكل مماثل والمثل ضد والضدية بعد الانس بالانس لا يكون الا المفتون والكتاب المكنون لا يمسه الا المطهرون * وقال انما حرمت الخمرة فى هذه الدار لانها تبدى الاسرار وترفع الاستار فحرمت فى الدنيا لقوة سلطانها وهى لذة الشاربين حيث كانت

الجارحة بما نوته النفس من ذلك فاذا شهدت الجلود من هذه النشأة والاسماع والابصار والايدي والارجل وجميع الجوارح لا تشهد الا بما جرى منها لا علم لها يكون صاحبها تعدى حدود الله ام لا * قال الشيخ وليس في العلوم اصعب تصورا من هذه المسئلة فان الارواح طاهرة بحكم الاصل والاجسام وقواها كذلك طاهرة بما فطرت عليه من تسبيح خالقها وتوحيده ثم باجتماع الجسم والروح حدث اسم الانسان وتعلق به التكليف وظهرت منه الطاعات والمخالفات فالارواح لا حظ لها في الشقاء لطهارتها والنفوس الحيوانية تجري بحكم طبعها في الاشياء ليس عليها بمجردها تكليف والجوارح كلها ناطقة مسبحة بحمده فمن المخالف والعاصي المتوجه عليه الذم والعقوبة فان كان قد حدث بالمجموع الجمعية اللائقة بالانسان امر آخر كما حدث له اسم الانسان فما هو وذلك الحادث الذي حدث وما هو حقيقته انتهى وقد اجاب بعضهم بان الله تعالى ما كلف الا البالغ العاقل ولا يكون مكلفا الا من جمع بين الروح والجسم ومتى فارقت الروح الجسم او عكسه انتفى التكليف فانتفى المدح والذم والعقوبة فليتأمل واما بيان تهيئة الاجساد لقبول الارواح فقال الامام ابو طاهر في كتابه سراج العقول اعلم ان المنكرين للمعاد ورد الارواح الى الاجساد زعموا ان تعلق الارواح اللطيفة بالتراب الجاسي الغائظ الجافي مستبعد مستحيل للتنافر بينهما طبعا وان قدر ذلك فلا يتصور الابعد ان ينقلب التراب نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم ينتهي الى التسوية وهيهات وقالوا انا انكم تدعون ان الرفات والتراب يحيا بالروح وذلك بعيد فنقول لهم اعتبروا بالنشأة الاولى فان القدرة الازلية لم تقصر عما كانت عليه في الخلق الاول من التراب اذ قال له كن فكان ثم ان هؤلاء انما يقيسون الاحياء في الآخرة على ما عهدوه في الدنيا من اجراء الله العادة في خلق الجنين ولو لم يشاهدوا ذلك في الابتداء واخبر به لكانوا اشد انكارا على انا نقول لعل الله تعالى ينقل تراب القبور في تغييرات نوزن الساعة واستحالاته طورا بعد طور حتى يبلغ حالة التسوية ثم يأمر بنفخ الروح فيه كما كان ذلك في تخمير طينة آدم عليه السلام حين سواه ونفخ فيه من روحه وذلك ان الاطوار المتعارفة في خلق الجنين هي كونه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما كما دلت عليه الآية وكانت تلك الاطوار في حق آدم عليه السلام هو قوله خلقكم من تراب خلقكم من طين من حمأ مسنون من صلصال كالفخار فاستوى مراتب خلق آدم وخلق الجنين ثم عدل اعضاء آدم هنالك واعضاء بنيه ههنا بالتصوير فخلق آدم على صورته الخاصة به كما شاء فتم ذلك في حق آدم في اربعين صباحا التي هي مدة التخمير وتم ذلك في خلق الجنين من اولاده في مائة وعشرين يوما من ثلاث اربعينات وفي هذا المقام تساوي الاب والولد في استتمام الخلقة غير ان صورة الاب طين وصورة الابن لحم ودم وعظم فسوى الله تعالى جسم آدم مع جسد الجنين بقوله كن فكان وكان الطين لحما ودما وعصبا وعظما وذلك قوله تعالى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فاخبر ان تكوينه بعد خلقه اذ تقدم قوله خلقه من تراب وهذا الطور هو التسوية في قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي قال في الجنين ثم انشأناه خلقا آخر وهذا يشهد له اشارات الآيات والاحاديث بتلويحات خفية وجلية منبئة بان هذه الاطوار ايضا تعاود على التراب عند النشأة الاخرى وايضاح ذلك ان الارض كفات اودعت ذرات الاموات بعد اختلاطها وتفرقها في جهات الارض بكرور الدهور ومرور الايام والشهور فاذا اقتربت الساعة وفنيت الجماعة واراد الله تعالى ان يبعثهم من القبور ويعيد اليهم الارواح بعدا نشورهم وغشاها من نوازل الساعة وزلازلها العظام والدواهي الهائلة والجوائح المتواترة ما يبلغها الى هيئة تلك التسوية القابلة للروح من النفخ في الصور الا ترى انه نبه في الخبر اولا بالزلزال ونسف الجبال فقال اذا زلزلت الارض زلزالها ان زلزلة الساعة شيء عظيم كلا اذا

لكنها في الدنيا محرمة وفي الآخرة مكرمة وهي الذ انهار الجنان وله امتقام الاحسان * وقال لا يقطع العبد على ربه بامر لانه يفعل ما يريد وما عصى الا بعلمه وما خوالف الا بحكمه وكذلك حكم من اطاعه الى قيام الساعة * وقال ليس لاهل الجنان عقل يعرف انما هو شهوة وهوى يتصرف العقل في اهل النار مقيله وبه يكثر حزن الساكن بها وعويله العقل من صفات الخلق ولهذا لم يتصف به الحق العقل آلة التكليف فاذا زال التكليف تأخر العقل * وقال الحق نزوله سري الى السماء التي تلي الورى فيأمرهم بالسؤال والنوال ويأمرونه بالاذكار والاستغفار ويقول ويقولون ويسمع ويسمعون هذا معنى النزول عند ارباب العقول الخلق ضعيف ولولا المصالح ما نزل التكليف فخذ منه ما استطعت ولا يلزمك العمل بكل ما جمعت فان الله ما كلف نفسا الا ما آتاها وجعل لها بعد العسر يسرا حين تولاها وشرع في احكامه المباح وجعله سببا للنفوس الى السراح ولا تروّح ما قال في الدين برفع الحرج الامن على منهج الشارع درج دين الله يسر فما يبالغ فيه ... ومن شدد على هذه الامة بعث يوم القيامة في ظلمة * وقال ما العجب الامن

دكيف

دكت الارض دكاد كا فقل ينسفها ربي نسفا اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا ثم يسيرها في مشارق الارض ومغاربها كما قال تعالى ويوم نسير الجبال وتكون الجبال كالعهن المنفوش هكذا يفعل بها حتى تساحق اجزاء الارض والجبال فتصير كاثر مال كما قال وكانت الجبال كثيبا مهيلا ثم لا يزال يدهق بعضها بالبعض من الجبال والارض تحت هذه القوارع والوقائع حتى يصير جميع اجزائها هباء كما قال تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا فلعله تعالى يصير ذرات الارض في هذه الدكادك والاهوال صفوا من الكدورات ويزيل عنها جميع الشوائب والخبث حتى تبدى جواهرها التي هي متهيئة لقبول الارواح وهي معنى قوله اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور فتبقى بعد ذلك في غاية الصفاء والرقة والنعومة والدقة كالهواء وما سواها من اجزاء الارض الغريبة يتلاشى وينعدم الا ترى الى قوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا ولا شك ان جرم الجبال اشد من جرم الارض فاذا صارت الجبال سرابا فما حال التراب والسراب هيئة كالخيال يتلاشى في الحال حتى اذا جاءه الشخص لم يجده شيا لغاية لطافته وهذا اشارة الى اعدام الله جميع اجزاء الارض سوى ذرات بني آدم واليه الاشارة بقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وما اشبه تلك الذرات بذرات الذهب في المعدن حين تمطر عليها الامطار وتغسلها من تراب المعدن حتى تصير تبرق وفي الحديث ينزل الله تعالى امطارا متوالية كمني الرجال فينبتون من الارض كما ينبت البقل وفي رواية كما تنبت الحبة في حميل السيل اما ترونها تخرج صفراء ملتوية وقد شبه الله تعالى في القرآن احياء الموتى باحياء الارض بعد موتها في مواضع كقوله تعالى ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى واطال الشيخ ابو طاهر في ذلك ثم قال فهذه التغييرات والتبديلات لذرات الاموات بمنزلة تغاير التراب في ايام تخمير طينة آدم وتغاير النطف في تخليق الاجنة في الارحام فاذا رجت على الارض لا يبقى للتراب جساوة ولا قساوة تنافي الارواح في اطافتها بل تصير من تقاربها منها في لطفها وصفائها حانة الى ارواحها حنين الابل الى مراحها بل كحنين الالف اذا فارقه الفه دليل على ان الله تعالى اذا اراد امرا لم يحتج الى آلات ووسائط واصول وروابط وانما يقول له كن فيكون وقد ارى الله تعالى موسى بن عمران في قصة البقرة واحيائها مثل هذه الجملة حتى رآها عيانا قال تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى فصار الحشر والنشر له معاينة بما اختص به من ذلك العلم عنده انتهى واما بيان صورة الصور واحياء من في القبور فاعلم رحمك الله انه قد ورد في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف انعم وصاحب الصور قد التقم الصور واصغى سمعه وحنى جبهته وشخص ببصره الى ذي العرش ينتظر متى يؤمر بنفخ فينفخ فيه قالوا يا رسول الله وما تأمرنا قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وفي الحديث مرفوعا ايضا الصور قرن ينفخ فيه وفي حديث آخر انه ذو ثقب بعدد كل انسان ثقبة فيها روحه وينفخ اسرافيل في الصور مرتين الاولى نفخة الصعق والثانية نفخة الاحياء تسمى احداهما الراجفة والاخرى الرادفة وبينهما اربعون عاما على الاصح وقيل اربعون يوما وقد يسمى الصور ايضا الناقور قال تعالى فاذا نقر في الناقور وفي الحديث انه يقول فيها ايتها الاعضاء المتهشمة والعظام البالية والاجسام المتفرقة والجلود المتمزقة والاوصال المتقطعة والشعور المتطايرة قوموا الى العرض على الله تعالى فتخرج حينئذ ارواحهم من ثقب الصور ولها دوي كدوي النحل ورب العزة يقول وعزتي وجلالي لاعيدنكم كما خلقتكم اول مرة * قال الشيخ ابو طاهر رحمه الله فهذه الاحاديث وما شاكلها دلت بمجموعها على ان الصور شيء على هيئة القرن وله تدوير اذ قد جاء في الخبر دائرة راس الصور كعرض السموات والارض واسرافيل تحت العرش والصور في فمه نافذ بجميع اطباق السموات الى تخوم الارضين وفيه ثقوب بعدد ارواح الخلق في كل

قوله اليه يرجع الامر كله كيف قيل يرجع اليه وهو ما برح لديه ولم تزل في يديه شئون مسدلة وابواب مقفلة وعبارات موهمة وهي شبهات من اكثر الجهات * وقال اذا لمح القلب شهود الحق فهو حينئذ ضيف نازل يتعين على المؤمن القيام بحقه والكرامة تكون على قدر القلب لا النازل عليه وفي العموم على النازل لا المنزل عليه فلا يعجبنك انزلوا الناس منازلهم لانا لو عاملنا الحق بهذه المعاملة لم يصح بيننا وبينه مواصلة * وقال حقيق على الخلق ان لا يعبدوا الا ما اعتقدوه من الحق اوفوا بعهدي اوف بعهدكم فالكل من عندكم دليلي الله اكبر الى قوله يوم القيامة في الصور * وقال لا تسكن الا السهل ان اردت ان تكون من الاهل لا تدخل بين الله وبين عباده ولا تسع عنده في خراب بلادهم على كل حال عباده وقلوبهم بلاده ما وسعه سواها وما حوته ولا حواها ولكنها نكت تسمع وعلوم مفرقة تجمع وقل كما قال العبد الصالح ان تعذبهم فانهم عبادك الآية * وقال ذهب بعض الاماثل ان العالم بجملته ابدا نازل يطلب بنزوله من اوجده والحق تعالى لا ينتهي اليه فكان ينبغي من اول حركة ان يعتمد عليه لانه جل وعز ان تقطع دونه المفازات الحال بحيل العلم به فاين تذهبون

تقب روح محتبسة فاذا نفخ فى الصور النفخة الاولى صعق كل من فى السموات ومن فى الارض من كل ذى روح لشدة الفزع الا من شاء الله قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور العين وقيل موسى عليه السلام لانه صعق فى الدنيا مرة فجوزى بها ثم بين النفختين يأمر الله تعالى عزرائيل ان يقبض روح جبريل وميكائيل واسرافيل ثم يقول الله له مت فيموت فحينئذ يعم الهمود والخمود اربعين سنة فلا يبقى فى الكون حى الا الحى الذى لا يموت ثم يحيى الله تعالى اسرافيل فينفخ النفخة الثانية كما قال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون فاشعرت هذه الآية والاحاديث بان الصور هيئة حبس الله تعالى فيها أرواح الموتى وهو البرزخ الاكبر راسه الى عليين وأسفله الى سجين وما ورد فى الاحاديث من مواضع الارواح مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان أرواح الانبياء فى جنات عدن تصعد مرة وتهبط أخرى وتسكون فى الصعد مؤنسة لاجسادهم ساجدة لله تعالى وأرواح السعداء فى الفردوس وأرواح الشهداء فى حواصل طير خضر فى قناديل معلقة تحت العرش وأرواح اطفال المسلمين فى حواصل عصافير الجنة عند جبال المسك وأرواح ولدان المشركين فى الجنات وليس لها مأوى يخدمون اهل الجنة وارواح المسلمين الذين لهم تبعات معلقة فى الهواء لا تصل الى الجنة ولا الى السماء حتى يرضى الخصماء وارواح الفساق المصرين تعذب فى القبر مع الجسد وارواح المنافقين فى بئر برهوت وارواح الكفار فى سجين تعرض على النار غدوا وعشيا قال العلماء وشعب الصور تلاقى هذه الارواح كلها فى اماكنها من العرش الى السموات الى الارض لعظمها فالارواح فى الصور فى هذه المواضع التى ورد الحديث بها وهى فى المعنى محبوسة فى الصور فانه يضبطها الى يوم القيامة وهذا من علوم الاولياء وهم يشاهدون ذلك عيانا فى عصرنا هذا ومثاله ان يقال فلان بالمشرق وفلان بالمغرب وفلان ببغداد وفلان بمكة وفلان بالمدينة وفلان باصبهان وفلان بمصر الى غير ذلك من البلدان وكلهم فى ضوء النهار يضمهم شعاع الشمس فعلى هذا المعنى لا تناقض فى الاحاديث فكل من تأمل ذلك علم ان للاموات برزخين برزخ فى القبور الى يوم يبعثون وبرزخ فى الصور فبرزخ القبور محتبس اجسادهم وبرزخ الصور محتبس ارواحهم وهو قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ولفظ البرزخ معرب لان اصله برزه وهو المكان المرتفع وسمى به القبر لارتفاعه عن الارض ولذلك سمى به الصور لارتفاعه الى العرش

* قال الشيخ ابو طاهر رحمه الله وانما سمى الصور صورا لصوره اى ميله وانحنائه والصور فى اللغة الميل وكذلك القرن يكون مائلا فكان الصور بانحنائه تطوق بالعالم كله وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة كالكور جمع كورة وهو معنى لطيف وذلك ان اسرافيل لما كان موكلا يحفظ كل روح بصورتها فكان صورة مكمن الصور للارواح على ما هى عليها فى الدنيا كما ذكروا ان لها صورة الانسان * قال الشيخ ومعنى النفخ هو ان الارواح لطائف كالرياح وانما تدخل فى تجاويف الاجسام بالنفخ كما دخلتها اولا قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى اى نفخ جبريل روحه فيه باذنى فان قالت الدهرية النفخ شئ واحد فكيف يميت مرة ويحيى أخرى قلنا لهم ان النفخة الاولى نفخة قهر فهى تطم الاجساد وتصم الآذان بقرعها وهى الطامة الكبرى والصاخة العظمى والقارعة لهذه الاجساد بهدتها وتفارقها الارواح بشدتها واما النفخة الثانية فنفخة رحمة وعطف واصلاح فالاولى بها يميت الخلق وبالاخرى يحييهم مثاله النفخة القوية فانها تطفئ النار العظيمة والنفخة اللطيفة تحييها قال الشاعر

منك صلاحى وفسادى معا * كالنفخ مطفى النار والمذكى

فاذا عرفت يا اخى صفة الصور والارواح المحتبسة فيه وعرفت أن ذرات الاجساد المصفاة من الاوساخ

البصيرة ويرفع الالتباس بتفاضل الناس * وقال ما من شخص الا ويخاطبه الحق من قلبه ويحدثه من ابيه وهو لا يعرفه انما يقول خطر لى كذا وكذا ولا يدرى ذلك من اين لجهله بالعين فما فاز اهل الله الا بشهوده لا بوجوده مع ان شهود الحق لا ينضبط وهو مع العالم مرتبط ارتباط عبد بسيد ومملوك بمالك وعبودية بمربوبية * وقال الجنين فى كبد الى أن يولد هو فى ظلمة غمه ما دام فى بطن امه ولما علم انه فى امر مريج اراد الخروج والعروج فاخرجه على الفطرة التى كان عليها اول مرة فالشقى هو الشقى فى بطن امه لما هو عليه من غمه والسعيد سعيد فى بطن امه لما خصه به من علمه فلقد رايت من شمت امه وهو فى بطنها حين عطست وحمدت فهذا واحد خصه الله بعلمه وهو فى بطن امه فلا يعجبنك قوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيأ فان ذلك مثل من رد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ فلا يلزم من العالم حضوره دائما

مع علمه وهكذا حال الجنين اذا خرج من بطن امه * وقال العجب كل العجب من والكدورات

والكدورات الارضية انما كان تصفيتها بما الطفها الله به من قوارع الارض وحوادثها كما قيل
* ان الحوادث صقيل الاحرار * وانها صارت اذ ذاك ارض فضة وحبرة بقيت متهيئة لقبول ارواحها
كالارض الطيبة المهيأة لقبول الزرع فيها وكانت كل ذرة منها ناظرة الى روحها الخاصة بها وكذلك
روحها ناظرة اليها سعيدة كانت أم شقية وعرفانها ذلك فطرة والهام من الله تبارك وتعالى كما قال
في مثل ذلك قد علم كل أناس مشربهم فاذا تمت الاربعون من النفخة الاولى ولم يبق في الدار ديار القى
الله الروح الى اسرافيل اولا فيحييه كما مر وذلك قوله تعالى يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده
لينذر يوم التلاق يومهم بارزون ثم يامره ان ينفخ نفخة ثانية وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى
فاذا هم قيام ينظرون واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقوله
تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون اى
يخرجون من الارض متخلصين مما ليس من ذراتهم من غرائب اجزاء الارض قال اهل اللغة والنسل
العسل اذا ذاب وفارق الشمع قال الشيخ ابو طاهر فيحتمل ان يكون انجذاب كل ذرة الى روحها
وتمايزها من سائر اجزاء الارض كانجذاب كل ذرة من برادة الحديد ممتازة من ذرات سائر الاجساد
الى حجر المغناطيس الاترى انها كيف تلتصق به خاصة من غيرها وكيف وهي في علم الله تعالى كل روح
مع جسده حاضران مجتمعان وان كانا في الصورة عندنا متفرقين قال الله تعالى قد علمنا ما تنقص
الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ وقال بلى قادرين على ان نسوي بنانه وقال قل يحييها الذي انشأها
اول مرة قال الشيخ ابو طاهر وانما بسطنا الكلام في هذه لكثرة ما يعتري النفوس التى غفلت عن
ذكر ربها حتى طال عليها الامد فقست قلوبها وجهلت امور معادها حتى كأنها حوسبت وفرغت
نسأل الله ان يحسن ظننا به عند الممات انه كريم جواد آمين انتهت عبارة الشيخ ابي طاهر القزويني
في كتابه سراج العقول * واما عبارة الشيخ محيي الدين في الفتوحات فهي قريبة من عبارة الشيخ
ابي طاهر فانه ذكر في الباب الثالث والستين ما نصه اعلم ان الصور والناقور اللذين ذكرهما الله تعالى
في القرآن هما واحد وهو الحضرة البرزخية التى تنتقل اليها بعد الموت ونشهد نفوسنا فيها قال والصور
جمع صورة بالصاد فينفخ في الصور وينقر في الناقور وهو بعينه وقد سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الصور ما هو وقال قرن من نور التقمه اسرافيل فأخبره ان شكله شكل القرن فوصفه بالسعة
والضيق فان القرن واسع ضيق فهو في غاية الوسع لاشئ في الاكوان اوسع منه وذلك انه يحكم بحقيقته
على كل شئ وعلى ما ليس بشئ ويصور العدم المحض والمحال والواجب والممكن ويجعل الوجود عدما
والعدم وجودا وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم اعبد الله كأنك تراه وقوله ان الله في قبلة احدكم
فلا يبصق تجاه وجهه فأمر العبد ان يتخيل ربه في قبلته مواجها له ليراقبه ويستحي منه ويلزم الادب معه
في صلاته مع انه تعالى لا يقبل من حيث ذاته الجهة ابدا ومن لم يتخيل هذا التخيل في صلاته فقد اساء
الادب فلولا علم الشارع صلى الله عليه وسلم ان عند العبد حقيقة تسمى الخيال لها هذا الحكم ما قال
له اعبد الله كأنك تراه اى تبصره قال الشيخ ومعلوم ان الدليل العقلي يمنع من كأن فانه يحيل
بدليله التشبيه واما البصر فما ادرك شيأ سوى الجدار فعلمنا ان الشارع ما اراد انحصار الحق تعالى في
جهة القبلة وانما العبد هو الذى يحصره لكونه ذا جهة ومعلوم ان الحق تعالى لا تحويه الجهات فقد صور
الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتصوير ولهذا كان الخيال اوسع الحضرات قال الشيخ
ولا يخفى ان سعة القرن انما هى في الطرف الاعلى لا الاسفل خلاف ما يتخيله اهل النظر فانهم جعلوا
اضيق ما فيه المركز واعلاه الفلك الاعلى الذى لا فلك فوقه وان الصور يحوى صور العالم كلها فجعلوا

ثوية الحق في القدم أعيانا الها حالها العدم ثم اذا ابرزهم الى وجودهم تميزوا في الاعيان لحدودهم انظر وحقق
ما انبهك عليه واستر او جد
الله في عالم الدنيا الكشف
والرؤيا فيرى الامور التى
لا وجود لها في عينها قبل
كونها ويرى الساعة في
مجلاها والحق يحكم فيها
بين عباده حين جلاها
وما ثم ساعة وجدت ولا حالة
مما رآها شهدت فتوجد
بعد ذلك في مرآها كما رآها
فان تفطنت فقد رميت بك
على الطريق وهذا منهج
التحقيق . وقال في قوله
يا ايها النبي اتق الله اعلم
ان من علم الخبير تاديب
الصغير بالكبير أدب
الامة بتاديب رسولها
لتبلغ باستعمال ذلك
الادب الى تحصيل مامولها
فخاطب الرسول والمراد
من ارسل اليه فابحث
عليه * وقال قال تعالى
ظهر الفساد في البر والبحر
بما كسبت أيدي الناس
ليذيقهم بعض الذى عملوا
فاخبر تعالى أن ذلك جزاء
ما هو ابتداء فما ابتليت
البرية وهى بريئة هذه
مسئلة صعبة المرتقى
لا تنال الا بالالقا اختلفت
فيها طائفتان كبيرتان
فنعت واحدة ما اجازت
الاخرى والرسل بما
اختلفوا فيه تترى وما
تحقق احد منهم ما جاءت
به الرسل ولا سلك فيه
سواء السبيل بل كان واحد ينصر ما قام في غرضه وهو عين

لواسع هو الاعلى كما هو فى الحيوان وليس الامر كما زعموا بل لما كان الخيال كما ذكرنا يصور الحق فما دونه من العالم حتى العدم كان اعلاه الضيق واسفله الواسع هكذا خلقه الله وشهدناه من طريق كشفنا فاول ماخلق الله منه الضيق وآخر ماخلق الله منه ما اتسع وهو الذى يلى رأس الحيوان ولاشك ان حضرة التكوين والافعال اوسع الحضرات قال ولهذا لا يكون للعارف اتساع فى العلم الا بقدر مايعلمه من العالم ثم انه اذا اراد ان ينتقل الى العلم باحدية الله تعالى لا يزال يرقى من السعة الى الضيق قليلا قليلا وعلومه تنقص فاذا تم حاله ولم يبق له معلوم الا الحق تعالى وحده كان ذلك اضيق مافى القرن فضيقه هو الاعلى على الحقيقة وفيه الشرف التام وهو الاول الذى يظهر منه فى رأس الحيوان اذا انبته الله تعالى فلا يزال يصعد على صورته من الضيق واسفله يتسع وهو لا يتغير عن حاله فهو المخلوق الاول الا ترى الحق تعالى اول ماخلق القلم المعبر عنه بالعقل فما خلق الله الا واحدا ثم انشأ الخلق من ذلك الواحد فاتسع العالم وكذلك العدد منشؤه من الواحد قال ولا يخفى ايضا ان الله تعالى اذا قبض الارواح من هذه الاجساد اودعها صورا جسدية فى مجموع هذا القرن النورى فجميع مايدركه الانسان بعد الموت فى البرزخ من الامور انما يدركه بعين الصورة التى هو فيها فى القرن وبنورها يدرك فهو ادراك حقيقى قال ومن الصور هنالك ماهى مقيدة ومنها ماهى مطلقة كارواح الانبياء كلهم وارواح الشهداء ومنها مايكون له نظر الى عالم الدنيا من هذه الدار ومنها مايتجلى للنائم فى حضرة الخيال قال واما نحو قوم فرعون فهم يعرضون على النار فى تلك الصورة غدوا وعشيا ولا يدخلونها فانهم محبوسون فى ذلك القرن وفى تلك الصورة ويوم القيامة يدخلون اشد العذاب وهو العذاب المحسوس لا المتخيل الذى كان لهم فى البرزخ بالعرض على النار فانه عذاب محسوس فى الخيال لا بالحس فافهم فانه محل غلط فيه من لا كشف عنده فان الحس لا يغلط ابدا وانما يغلط الحاكم عليه كصاحب المرة الصفراء يدرك العسل مرا فاعلم ان كل من فى البرزخ محبوس فى صور اعماله مرهون بكسبه الى يوم يبعث من تلك الصورة فى النشأة الاخرى انتهى

* واما بيان شبه المنكر من البعث فقال الشيخ ابو طاهر رحمه الله فاعلم رحمك الله ان الفلاسفة انكروا البعث للاجساد وتعلقوا بشبه ضلوا فيها واضلوا كثيرا من الناس ومعظم شبههم سؤالان الاول قولهم ان الانسان ليس انسانا بمادته بل بصورته وانما تكون الافعال الانسانية صادرة عنه لوجود صورته فاذا بطلت صورته عن مادته وعادت المادة الى اصولها من العناصر فقد بطل الانسان بعينه ثم اذا خلقت فى تلك المادة بعينها صورة انسان جديد يحدث منها انسان آخر لا ذلك الانسان الاول فان الموجود فى الثانى من ذلك الاول هو مادته لا صورته فلا يكون هو محمودا ولا مذموما ولا مستحقا الثواب او عقاب بمادته بل بصورته وبانه انسان من تراب فيكون الانسان المثاب والمعاقب ليس هو الانسان المحسن المسىء بل انسان آخر مشارك فى مادته وربما استشهد الفلاسفة على ذلك بقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وقوله تعالى قادر على ان يخلق مثلهم وقالوا ومثل الشىء لا يكون عين ذلك الشىء هذا ما اورده ابن سينا فى كتابه فى المعاد وقد اجاب عن ذلك الشيخ ابو طاهر رحمه الله بقوله اما قولهم ليس الانسان انسانا بمادته بل بصورته يريدون بالمادة جوهريته المركبة من الاخلاط ويسمونه الهيولى ويريدون بالصورة معانيه المودعة فيه وهذه منهم دعوى لا برهان عليها بل الانسان عند اهل البصائر هذا المجموع من الجسد والروح بما فيه من المعانى فاذا بطلت صورة جسده بالموت وزالت عنه المعانى بقبض روحه لا يسمى انسانا فاذا جمعت هذه الاشياء اليه بالاعادة ثانيا كان هو ذلك الانسان بعينه الا ترى ان الجسد الفارغ من الروح والمعانى يسمى شبحا وجثة ولا يسمى انسانا وكذلك الروح المجرد لا يسمى انسانا وكذلك المعانى المختصة به من العلم والقدرة والارادة والسمع والبصر لا يسمى انسانا

الطبيب اذا ألم المريض ماقصدت الا نفعه بما امرته به من الادوية المؤلمة وكذلك يقول الحق تعالى للطبيب اذا مرض ولم يدر من اى باب دخل عليه المرض الملك هذا انما هو جزاء لما آلمت به المرضى فخذ جزاء مافعلته * وقال اصدق القول ماجاء فى الكتب المنزلة والصحف المطهرة ومع تنزيهها الذى لا يبلغه تنزيه نزلت الى التشبيه الذى لا يماثله تشبيه فنزلت آياته بلسان رسوله وبلغ رسوله بلسان قومه وما ذكر صورة ماجاء به الملك هل هو امر ثالث ليس مثلهما او مشترك وعلى كل حال فالمسئلة فيها اشكال لان العبارات محدثة والقرآن كلام الله لا كلامنا فما التنزل والمعنى لا تنزل ان كانت العبارات فما هو القول الالهى وان كان القول فما هو اللفظ الكيانى وهو اللفظ بلا ريب فاين الشهادة والغيب ان كان ذا ــلا فكيف هو اقوم قيلا وماثم قيل الا من هذا القبيل وهو معلوم عند علماء الرسوم فتحقق ولا تنطق * وقال لما اقام الله رفع العصمة مقام الرسل لمحمد صلى الله عليه وسلم الى العسر وطالما كان يقول من يحرسنا الليلة مع علمه بان المقدر كائن

والمحارس ليس بمانع ما قدر ولا صائن لما لكن المعبود طلب بذل المجهود وهو يفعل ما يشاء وهذا انما يشاء وما يشاء الا ما علم وما علم الا ما هو ثم فلله الحجة البالغة فافهم * وقال كيف الخلق ان يردوا داءه والحق لولا ان صنعته ردت عليه وبضاعته ردت اليه ما اشبه ذلك بالصدى اذا ظهر بدا يتخيل المصوت انه غيره وما ثم الا امره الحق واحد والاعتقادات تنوعه وتفرقه وتجمعه وهو فى نفسه لا يتبدل وهو فى عينه لا يتحول كانه يحصره الاين ويحده الانقلاب من عين الى عين فلا يحار فيه الا النبيه ولا يتفطن الى هذا التنبيه الا من آمن بما ورد من التنزيه والتشبيه واما من نزه فقط او شبه فقط فهو صاحب غلط لان التشبيه تنزل المعقول وتمهيد للقبول * وقال السيد يستخدم العبد بمقاله والعبد يستخدم سيده بحاله ولسان الحال افصح من لسان المقال اذ الاحكام التى تتضمنها الاقوال انما تعرف بقرائن الاحوال والاصطلاح قد لا يكون له فى كل باب مفتاح * وقال مقاومة الاقدار للحق والمصابرة فيها فيها راحة انزاع للاقدار فالسعيد من العبيد من كان مع الله كما يريد فان اراد منه انتزع نازع لكن هو نزاع يحكم الشرع لا يحكم الطبع لولا الفرج الالهى ما تاب التائب ولولا التبشير الربانى ما اتصف آتى المسجد بالذاهب * وقال

بمجموعها ولا بتغاير بقيها على الانفراد لا عقلا ولا عرفا فعلى هذا قولهم الانسان انسان بصورته فقط كلام باطل بل الانسان بجسده وروحه ومعانيه المختصة به انسان الا ترى انه يضاف بعضه الى بعض فى الخطاب فيقال له نفسك وروحك جسدك قلبك علمك قدرتك وكذلك يضاف اليه جميع اعضائه فيقال رأسك يدك رجلك الى آخرها فلولا ان الانسان مجموعها والا فمن كان المخاطب بكاف الخطاب من جميعها وقد اضيف الجميع اليه فعلى هذا الاصل يكون تبديل الصفات بالموت والاعادة اليه غير مخرج له عن ان يكون ذلك الانسان الاول بل هو هو بعينه ان كان محمودا فمحمود وان كان مذموما فمذموم واستحق الثواب والعقاب لانه هو الاول واما قولهم ان مثل الشئ لا يكون حقيقة ذلك الشئ تمسكا بقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم فمعناه على ان نبدلكم والمثل قد يزاد فى الكلام تأكيدا كقوله ليس كمثله شئ والعرب تقول مثل الامير لا يقول هذا يعنون الامير لا يقول هذا وقد صرح بذلك ابو الطيب فى شعره

مثلك يثنى الحزن عن صوبه * ويسترد الدمع عن غربه
ولم اقل مثلك اعنى به * سواك يا فردا بلا مشبه

وهذا المعنى شائع فى العربية لا يخفى على من شم رائحتها والله أعلم * (السؤال الثانى) وهو العضيلم ٣ الذى ضل فيه كثير من الناس وهو الذى نقلناه اوائل المبحث عن الجلال المحلى وعن الكمال فى حاشيته على سبيل الاختصار وبسط ذلك هو انهم قالوا المعاد من الانسان ما هو وان قلتم اجزاؤه الحاضرة عند الموت فيجب ان يبعث المجذوع والمقطوع على صورتهما تلك وهذا لم يرد به شرع وان اعيد اليه جميع اجزائه التى كانت له مدة عمره ثم زالت وتبدلت وجب ان يكون جزء واحد بعينه يدا ورأسا وقلبا وكبدا لان الاجزاء العضوية المركبة من الدم وسائر الاخلاط سيالة تنتقل من عضو الى عضو عند الاغتذاء وكذلك اذا اكل الانسان انسانا فصار بالاغتذاء واحدا فكيف يتعلق روحان بانسان واحد وكذلك اذا قطعت يد كافر فاسلم فكيف تكون يده فى النار وهو فى الجنة اقطع وعلى عكسه لو قطعت يد مسلم فكفر وأيضا فان الغالب على ظاهر الارض اجزاء جثث الموتى القديمة وقد زرع فيها زروع كثيرة وغرس فيها اشجار وكروم واغتذى منها الناس وانعقد فى أبدانهم ذلك لحما ودما فكيف يكون مادة واحدة واصلا واحدا حاصلة لصور اناسى كثيرة هذه شبهتهم الهائلة المتضمنة لهذا السؤال المنسوب الى ابن سينا وقد حكى الغزالى هذا السؤال وكانه قد سلم المسئلة وصرح فى فتاويه وغيرها بانه لا يجب ان يكون المعاد بعينه هو الجسد الاول بل اى جسد كان جائز واهمل هذا السؤال جماعات كثيرة (والجواب) كما قاله الشيخ ابو طاهر رحمه الله وقال انه معتقد السلف والخلف ان المعاد هو هذا الجسم بعينه وبيانه ان تعلم يا أخى ان الذرة التى قبضها عزرائيل عليه السلام من الارض اولا فى كل انسان باقية لا تتبدل البتة وهى الجزء القائم منه الذى اخذ عليه الميثاق ويتوجه عليه فى القبر سؤال الملكين ويتولى جوابهما برد الروح اليه والحياة له وسائر اجزائه سبب صمت وهو الذى يتعلق به الروح عند النفخ فى الصور على ما دلت عليه الاخبار ثم ينضم اليه سائر الاجزاء حيث كانت بقدرة الله تعالى حتى يقوم الشخص تاما كما كان فى الدنيا هذا شئ لا يخالفه عقل ولا شرع واما قولهم المعاد من الانسان ما هو هل هو اجزاؤه عند الموت ام الاجزاء التى فارقته (فالجواب) المعاد انما يكون اكمل اجزاء جميع حالاته فى ايام حياته كما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله يحشر الناس عراة غرلا يعنى قلفا والاغرل الاقلف الذى لم يختتن ثم انه يجوز ان يزاد فى أجساد اهل النعيم لتتوفر عليهم اللذات ويزاد فى أجساد اهل الجحيم تغليظا للعقوبات وفى الحديث أهل الجنة مرد جرد مكحولون ابناء ثلاث وثلاثين على

خلق آدم عليه السلام طولهم سبعون ذراعا في عرض سبعة أذرع وقد جاء في صفة اهل النار ان سن احدهم مثل جبل احد وهذا كله جائز في العقل وورد به الشرع * اما قولهم ان كانت اجزاؤه الحاضرة عند الموت هي المعادة يجب ان يبعث المجزوع والمقطوع يده على صورتهما وهذا لم يرد به شرع (فالجواب) انا قد ذكرنا في الجواب قبله ان المعاد ا كمل حالة كان عليها في عمره اجزاؤه لقوله تعالى قل يحييها الذي أنشأها اول مرة فكل جزء انشأه الله أول مرة فيه أيام عمره يعيده اليه بخلاف المبدلات بعد الهزال والانحلال فانها بالاضافة الى ما تحللت به وفنيت كانت منشأة ثاني مرة فلو اعيدت هي أيضا في الآخرة لقال تعالى قل يحييها الذي انشأها اول مرة وثاني مرة وعلى هذا صح ان المعادات في الآخرة هي المنشأة في الدنيا اول مرة وهي أكمل الاجزاء المبدعة التي خص بها كل شخص هذا الذي دل عليه مضمون الآية وأما قولهم ان اعيد اليه جميع أجزائه التي كانت له مدة عمره ثم زالت وتبدلت وجب ان يكون جزء ذلك بعينه يدا ورأسا وكبدا وذلك لان الاجزاء العضوية المركبة من الاخلاط سيالة تنتقل من عضو الى عضو عند الاغتذاء (فالجواب) قد ذكرنا فيما تقدم ما هو المعاد وما ذكروه من سيلان الاخلاط من عضو الى عضو عند الاغتذاء لا يلزم ان يصير القلب كبدا ولا الرأس يدا لان الذرة التي هي الاصل وأخذ الميثاق عليها كانت هيئة الانسان مقدرة فيها بجميع أشكال اعضائه في علم الله تعالى وانما سميناها ذرة تشبيها بالذرة التي هي النملة الصغيرة وهي مع صغرها لها اعضاء مخصوصة محسوسة فلا يستحيل ان يكون لتلك الذرة اعضاء مقدرة ثم اذا خلقها الله تعالى انسانا تنبسط تلك الاعضاء على قدر الجثة وتنضم اليه الاجزاء السيالة من الاخلاط فتتشكل على هيئة الشكل المقدر في الذرة الاولى فعلى هذا المنتقل من عضو الى عضو هو تلك الاجزاء السيالة الغذائية دون اجزاء الذرة الاولى التي شكل الانسان فيها مقدر في علم الله بجميع اعضائه وهي بعينها باقية منبسطة في جميع البدن اذ هو حافظ اشكالها وصورها ولا تبلى قط لقوله تعالى وتقلبك في الساجدين والاجزاء الغذائية تارة تنضم اليها وتارة تفارقها فعلى هذا المعنى لرأس رأس واليد يد والقلب قلب والكبد كبد باعتبار اجزائها الاصلية التي هي على غاية اللطافة والاجزاء الغذائية التي هي الدم وغيره تجري من عضو الى عضو وتستحيل وتلك الاصلية باقية على حالها ومما يقرب من مثالها المحسوس هو راية الثعبان المخيط من الحرير يدخل الريح من حرفها و ينتقل من عضو الى عضو فتنتفخ الراية على هيئة الثعبان ثم يخرج منها وهي تبقى على ما كانت وقريب منه ايضا الاسفنجة وهي شيء كالغيم هش متخلخل لطيف خفيف اذا طرح في الماء يشرب الماء بتجاويفه فيربو ويعظم ويتثاقل ثم اذا جفف عاد الى الاصل فعلم من هذين المثالين ان اجزاء الذرة في كل شخص باقية على هيئتها بالنص الوارد في قوله وتقلبك في الساجدين والاجزاء الملتحقة بها تستحيل وتزيد وتنقص واصل تلك الاجزاء الاصلية في الخلقة هو العجب وهو اصل الذنب وسمي به للتعجب من بقائه عند بلى سائر الجسد كما ورد وعليه يتركب الجسد عند الاحياء في الحشر (واما قولهم) اذا اكل الانسان انسانا فصارا بالاغتذاء واحدا فكيف تتعلق روحان بجسد واحد (فالجواب) ان الذرة الاصلية للآكل والمأكول باقيتان كما كانتا والدليل عليه اجراء الله العادة كما اخبر في قوله وتقلبك في الساجدين فعلى هذا الروحان يتعلقان بذرتي الآكل والمأكول ثم سائر الاجزاء تلتحق بهما اينما كانت فانها وان استحالت في رأي العين وتفرقت فهي في علم الله تعالى موجودة حاضرة سواء امتزجت بالارض أم بالهواء كما قال تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم الآية والقدر الذي نقص منه يرده اليه كما رده في الدنيا عند الهزال وعند الحياة فيها فيصير الشخصان متكاملين كما كانا في الدنيا (واما قولهم) اذ قطعت يد كافر واسلم كيف تكون يده في النار

لما اراد الحق تعالى المناجاة فهو صاحب السمع الواعي وما الاحدية في النداء اثر ولا في شعيرتها اثر فالله أكبر مفاضلة ولا اله الا الله مفاصلة والشهادة بالرسالة مفاصلة عن مواصلة والحيعلتان مقابلة والنداء مؤذن بالبعد والاذان لنا دليل على عدم عموم الرشد فان رعاة الاوقات عارفون بالميقات والاذان لا يكون الا لمن هو مشغول بالاكوان وما ثم الا مشتغل لانه بالاصالة منفعل وان كان الفاعل منفعلا للفعل فهو فضل منه ومنه ادعوني أستجب لكم * وقال على قدر دعوى الايمان يكون الامتحان فالمؤمن ليس في أمان الا في أكدار الحيوان * وقال الايثار ليس هو من صفة علماء الاسرار لان ما هو لك لا تقدر على دفعه وما هو لغيرك فلا تقدر على منعه فاين الايثار فالامر امانة فادها والا سلب عنك اسمها * وقال ليس العجب عمن سار دليلا انما العجب ممن اتخذ مستخلفه وكيلا ولولا ورد بذلك الامر الالهي لرده الادب الكياني ما اجهل اكثر الناس بمواطن الادب وهو الذي اداهم الى العطب وقد يكون ترك الادب ادبا كما يكون ترك السبب سببا ومن قام برفع الاسباب فلابد له من الابتلاء فاعتبروا يا اولي

وهو في الجنة اقطع وكذلك القول في عكسه (فالجواب) اما اليد المقطوعة فحكمها تابع الجملة في الايمان والكفر اعتبارا بالذريات فانهن كابعاض الآباء كما قال تعالى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وقال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني فعلى هذا يد الكافر مادامت متصلة به حكمها الكفر فان قطعت وآمن الكافر صار حكمها حيث كانت حكم الايمان اتباعا للجملة وكذا الثواب والعقاب عليها يقعان تبعا الايمان الجملة وكفرها وهذا ظاهر لا اشكال فيه (واما قولهم) غذاء الانسان متحصل من تراب اجساد الموتى القديمة اذا صارت اجسادهم الرميمة ترابا والتراب زرعا والزرع غذاء (فالجواب) ان ذلك غير مسلم وان سلم فلا نسلم استحالة الذرة الاصلية التي هي عليها امدار البدن كله كما بيناه من قبل فان سائر الاجزاء تابع لتلك الذرة وهي في علم الله تعالى مجتمعة وان تفرقت في رأي العين وتاتيه وان استحالت والدليل على ان المعاد من الانسان هي الاجزاء التي كانت في الدنيا بعينها قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فلو كانت غيرها كما ذكروا كانت شهادتهم زورا (فان قيل) يد الكافر اذا قطعت وآمن هو ولو ردت لكانت تشهد عليه بالكفر وهو مؤمن (فالجواب) ان شهادة الاعضاء في القيامة بالمعاصي والطاعات لا بالكفر والايمان لقوله تعالى في الآية بما كانوا يكسبون اذ الايمان يتعلق بالقلب لا بالاعضاء الظاهرة فلم يقل بما كانوا يعتقدون وهذا جواب الشيخ ابي طاهر القزويني رحمه الله وتقدم كلام الشيخ محيي الدين فيه اوائل المبحث * قال الشيخ ابو طاهر والعجب كل العجب من انكار الفلاسفة الحشر والنشر وهل الحشر الا اعادة اجزائه في الآخرة على مثال ما كان الله تعالى يعيدها في الدنيا حالا بعد حال اليس الشيخ الكبير في الدنيا هو الذي كان كهلا وقبل الكهولة كان شابا وقبل الشبيبة كان صبيا وطفلا وقبله جنينا وهو في هذه الاطوار انسان واحد بعينه بلا شك ولا اعتبار بتلك الاجزاء المتبدلة هناك كما لا اعتبار بها ههنا بل تكون الاجزاء قليلة كانت او كثيرة تابعة للذرة التي خلق منها اولا وايضا فلا يبعد عن قدرة الله تعالى ان ترد جميع الاجزاء التي تعاورت على تلك الذرة ايام عمره ولكنه سيلطفها ويلزها ولا يكون الشخص متجاوزا عن الحد والقدرة متسعة والامكان كائن ولكن الظاهر ما بيناه هذا غاية الكلام في هذه المسئلة (فان قيل) فما الحكمة في ان الله تعالى يقبض ارواح العباد ثم يردها اليهم يوم المعاد وقد خلقهم لابد الآباد فهلا استدام حياتهم ابدا من غير موت (فالجواب) لو انه فعل ذلك كان خارجا عن الحكمة وهو تعالى احكم الحاكمين ولكنه اماتهم في دار الفناء ليبقيهم بقاء الابد في دار البقاء من وجوه منها ان رقعة هذه الخطة الغبراء التي هي الربع المسكون من الارض بالنسبة الى اجساد بني آدم جميعا صغيرة لا سيما القدر المعمور منها فكانت لا تسعهم ولا تفي زروعها واثمارها باقواتهم التي هي سبب معاشهم وفي الحديث ان الله تعالى لما استخرج الذر من صلب آدم امتلأ وجه الارض منهم فقالت الملائكة الهنا قد امتلأت الارض منهم وهم ذرات فكيف تسعهم اذا تمت خلقهم فقال تعالى اني كما آتي بقوم اميت آخرين ومنها ان القبور برزخ الاجساد والصور برزخ الارواح كما ان لله تعالى في البرزخين انشاءات خفية لاجسادهم وارواحهم بصيرها بها قابلة للبقاء الابدي ولا يعلم كيفية ذلك الا الله تعالى كما قال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون ومنها انه تعالى فرق بين الارواح والاجساد ليعرف الخلق بالقطيعة قدر الوصال فان الوصل اذا استدام خفي وعند الفراق يكون التحنن والاشتياق وبهما يعرف قدر الوصال * قال الشيخ ابو طاهر وسمعت بعض الصالحين بهمذان يقول نظرت من ربوة الى بعض المقابر فرأيتها مد البصر فخطر ببالي ما هذه الاطلال والاحجار فهتف بي هاتف يقول

قشور بيض طار عنها افراخها * وهل ترجع الاطيار يوما الى البيض

الالباب * وقال لا تباغ الاعاجم مع اعتلائها في تشتتها مباغ الاعراب ذليلنا الخيل العراب الاعجام ابهام والاعراب ابانة الكلام اختص الاعجاز بالقرآن وان كانت جميع الكتب كلام الرحمن * وقال المنزلة الرفيعة في التزام الشريعة فلا تشرع من عند نفسك قط حكما وقل رب زدني علما * وقال المشاورة وان نبهت على ضعف الرأي فهي من الرأي لا يطلع على مراتب العقول الا اصحاب المشاورة فانها اجمع للهم والفكر * وقال لا تقل وصلت فما ثم نهاية ولا تقل لم اصل فان ذلك جهالة ليس وراء الله مرمى وهنالك يستوي البصير والاعمى * وقال باب التشريع قد ضاع مفتاحه وقد دمر اصحابه فصباحه لا ينبلج وبابه لا ينفرج وان خوطب به الكامل فهو امر يخص بما ثبت واعلام بما عنه سكت عليك بالصفوف الاول فمنها تشاهد الازل واياك ان تتأخر فتؤخر وانت ذو وراء ما ترى * وقال اذا خاطبك الحق بلسان لا تعرفه فقف وقل رب زدني علما ولا تمش فيه بالفكر وعليك بالعمل بالقرآن تطلع على الفرقان والقرآن المطلق يعطي ما لا يعطي القرآن المقيد وقيد الله قرآنه بالعظمة والمجد والكرم * وقال لا تعجب من وصف الجواد بالعطاء ولكن اعجب ممن وصفه بالامساك واعجب منه ممن وصف الحق بما لا يليق به مع انه ما اطلق الالسنة عليه

فسمعت على اثره قائلا يقول

بل يجعل الله القشو رهوادجا * من الذر بيضا الا كرامة القبض
فترجع عنها الطائرات اوامنا * من الصيد لا يبرحن من ادج الروض

قال وبالجملة فحصول علم البدء والاعادة ان يعلم ان الارض التى خلق منها آدم قد قدر الله تعالى لكل ذرة منها من ذرات ذريته روحا مختصة بها وهو قوله تعالى خلقه فقدره ثم السبيل يسره قيل معناه فقدر له روحا ثم لما أخرجها من صلب آدم قرن كل ذرة بروحها واخذ الميثاق عليها ثم ردهم الى ظهره ورد ارواحهم الى خزانة الغيب ثم اخرج تلك الذرات كلها من ظهر آدم ممتزجة بأمشاج النطفة الى رحم حواء ثم من أصلاب بنيه قرنا بعد قرن الى الارحام ثم انه ينشئها بالاغذية كما يشاء وينقلها فى أطوارها كما شرحناه فيما مر ثم يخرجها من الارحام الى فضاء الدنيا ثم بعد انقضاء آجالهم يقبض ارواحهم ويردهم الى بطون الارض ثم انه يرد اليهم فى القبور ارواحهم عند سؤال الملكين فكانت تلك الذرة الفاهمة من الجملة تفهم الخطاب وترد الجواب وسائر الاجزاء أموات ومن هنا غلطت المعتزلة فانكروا السؤال وربما يتحرك جميع الجسد ويتكلم تبعا لتلك الذرة الاصلية لقرتها وذلك يكون للانبياء وللاولياء كما جاء فى الاخبار ثم ان الانسان ما دام فى البرزخ فبين هذه الارواح وتلك الذرات المقبورة تواصل معنوى وتزاور الهامى وان صارت هى فى الصورة رفاتا فالاخبار وردت بان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار هكذا يكون الامر الى حين دنا ميعاد المعاد فى النشأة الاخرى بعد الطامة الكبرى فينبتها بالزلازل والرجفات والرياح المؤتفكات ويحيها بالامطار الشبيهة بمنى الرجال كما جاء فى الاخبار فتتهيأت حينئذ لقبول أرواحها وكانت ارواحها حانة اليها حنين الغريب الى وطنه فاذا نفخ فى الصور النفخة الاخرى طارت الارواح من مكامنها الى اجسادها التى فارقتها بالنفخ اسرع من طيران الحمامة الى الفرخ وهو قوله تعالى كما بدأ كم تعودون قال وتسميتهم فى هذه المنازل ذرية آدم يدل على انهم كانوا جاءوا من تلك الذرات والصحيح ان الذرية فعلية من الذر كالسرية من السر وهو النكاح وهذا القدر كاف فى مبحث البعث والنشور والله تعالى أعلم

(المبحث السابع والستون فى بيان ان الحشر بعد البعث حق وكذلك تبديل الارض غير الارض والسموات)

فاما الحشر فهو جمع الخلق للعرض على الله والحساب بين يديه وهو عام فى سائر الخلق من ناس وعام فيحشر جميع المتقين من رسل وأنبياء وأولياء ومؤمنين الى حضرة الاسم الرحمن قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا واما المجرمون فيحشرون على اختلاف طبقاتهم الى حضرة الاسم الجبار والمنتقم قال الشيخ محيي الدين والحكمة فى ذلك ان المتقى كان جليسه فى دار الدنيا اسماء الجلال والهيبة والخوف ولذلك اتقى الله تعالى وخاف عقابه فيحشر يوم القيامة الى الاسم الذى يعطى الرحمة والانس واللطف والامان مما كان يخاف منه ويتقى ولا يجمع الله على عبد خوفين وقد سمع ابو يزيد البسطامى قارئا يقرأ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا فصاح صيحة طار الدم من أنفه وقال يا عجبا كيف يحشر اليه من هو جليسه قال الشيخ محيي الدين فى الباب الخمسين وثلثمائة وانما صاح ابو يزيد لانه كان جليسه لاسماء من حيث ما هى دالة على الذات ولم يكن مع الاسم من حيث ما يطلبه حقيقة من غير دلالة على الذات فلذلك انكر ما لم يعطه مشهده فهو شبيه الانكار وليس بانكار كما قال الخليل فى طلبه علم الكيفية فى احياء الموتى فان الخليل لم يكن ينكر احياء الموتى وانما كان يعلم ان للاحياء طرقا كثيرة وهو مجبول على طلب العلم فطلب ان يعرف بأى طريق يحيى الله الموتى فافهم فلو ان ابا يزيد كان يعلم

بذلك الا هو وقال اياك وخضراء الدمن وهى الجارية الحسناء فى منبت السوء فان الله تعالى يقول يوم نحشر بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وهو ما يزينه الشيطان من الاعمال فان كان لها وجه الى الحق فالمعدن خبيث جاء ابليس الى عيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فهذه كلمة طيبة من معدن خبيث فقال أقولها لا لقولك فقال لا اله الا الله التى امر بها ابليس فهذه جارية حسناء فى منبت سوء * وقال ما عصى آدم الا بالاخذ بالتأويل ولا عصى ابليس الا بالاخذ بالظاهر فما كل قياس يصيب ولا كل ظاهر يخطئ فان قست تعديت الحدود وان وقفت مع الظاهر فاتك علم كثير فقس مع الظاهر فى التكاليف وقس ما عداه تحصل على فوائد عظمى وتخفف عن هذه الامة فان ذلك مقصود نبيها صلى الله عليه وسلم * وقال لو اخذوا بالظاهر فى كتابهم ما نبذوه وراء ظهورهم فما أضرهم الا التأويل فاحذروا من غائلته فان المكلف مخاطب بالسنة فصاح والكن العيب والسقم من الفهم وقال اذا نبه الله لك فى يا ايها الذين آمنوا فكن انت ذلك المؤيه به فان اخبرك

ذاقهم واعتبروان عرك اونهى لك فامتثل وما ثم فهم

وا... ا... خضراء امرا ... ل ... قوله تعالى فى ... به ايالك منزلة الامر ... الشفقة ... ان لم ...

ان المتقي لم يكن جليسا للاسم الرحمن في ايام التكليف وانما كان جليس الاسم الجبار ماتعجب من ذلك فيحشر المتقي الى الرحمن ليزول عنه الخوف الذي كان عليه في دار التكليف من مجالسته الاسم الجبار والمنتقم فان الرحمن لا يخاف منه ولا يتقي انما هو محل الطمع والدلال والانس لكن الاولياء رضي الله عنهم صادقون لا يتعدون ذوقهم في كل حال بخلاف العامة من اهل الله فانهم ربما يتكلمون باحوال غيرهم انتهى (فان قلت) فهل يحشر الناس مرة من ابتداء امرهم الى انتهائه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والثمانين ومائتين ان صور الحشر لا تنحصر ولكن نذكر منها طرفا * فاول حشر كان لهم في الدنيا فهو حشرهم في الصورة التي اخذ عليهم الميثاق فيها * الثاني حشرهم من تلك الصورة الى هذه الصورة الجسمية الدنيوية * الثالث حشرهم في الصورة التي تنتقل الروح اليها بعد الموت * الرابع حشرهم في الصورة التي يسألون فيها في قبورهم وهي الصورة التي انتقلوا اليها بعد الموت الى الجسد الموصوف بالموت ولكنه يؤخذ بابصار الخلائق واسماعهم الا من شاء الله عن حياة الميت وما هو فيه عينا وسماعا * الخامس حشرهم من الصورة التي سئلوا فيها الى الصورة التي يمكثون فيها في البرزخ فيكون احدهم فيها كالنائم الى نفخة البعث فيبعث من تلك الصورة ويحشر الى الصورة التي كان فارقها في دار الدنيا ان كان بقي عليه سؤال لاجل جسده الموصوف بالتكليف فان لم يكن عليه سؤال حشر في الصورة التي يدخل بها الجنة او النار ثم ان الناس اذا دخلوا الجنة او النار حشروا في صور لا نهاية لها فاما اهل النار كلهم مسؤلون بخلاف اهل الجنة فان منهم من لا يسئل اذا دخل اهل الجنة الجنة الكبرى واستقروا بها ثم دعوا الى الرؤية حشروا في صور لا تصلح الا للرؤية فاذا عادوا حشروا في صور تصلح للجنة واعلم ان في كل صورة ينسي الانسان الصورة التي كان عليها ويرجع امره الى حكم الصورة التي انتقل اليها وحشر فيها ثم انه اذا دخل سوق الجنة ورأى ما فيه من الصور فاي صورة اعجبته دخل فيها وذهب بها داره والصورة في السوق ما برحت ولا تزال اهل الجنة ينتقلون من صورة الى صورة احسن مما قبلها واهل النار بالعكس ابد الآبدين ودهر الداهرين نسأل الله الموت على الايمان آمين (فان قيل) فما حكمة حشر الدواب والوحوش (فالجواب) الحكمة في ذلك كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين والثلثمائة ان الله تعالى انما يحشر الوحوش انعاما منه تعالى عليها وكذلك سائر الدواب ثم انها تكون ترابا ما عدا الغزلان وما استعمل من الحيوان في سبيل الله فانهم يدخلون الجنة على صور يقتضيها ذلك الموطن وكل حيوان تغذى به اهل الجنة خاصة في الدنيا انتهى (فان قيل) فكم اجتمع الناس في موطن (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة انهم يجتمعون في ثلاثة مواطن في اخذ الميثاق وفي البرزخ بين الدنيا والآخرة وفي البعث بعد الموت وما ثم بعد هذه الثلاثة مواطن جمع يعم ابدا انما يجتمع بعض دون بعض وبعد يوم القيامة تشتغل كل دار باهلها فلا يجتمع عالم الجن والانس بعد ذلك ابدا ومن هنا قال تعالى مالك يوم الدين اي لان الاولين والآخرين تجتمع في ذلك اليوم لا يتخلف احد منهم في الارض ولا في الاصلاب فيكون ملكه تعالى في ذلك اليوم اعظم واظهر من غيره من الايام التي حضر فيها بعض دون بعض هذا سبب تخصيص يوم الدين والا فهو سبحانه وتعالى لم يزل مالك الملك فافهم والله تعالى اعلم واما بيان ان الله تعالى يبدل الارض غير الارض والسموات فقد جاءت به النصوص الالهية القاطعة قال الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة واذا وقع التبديل في السموات والارض يوم القيامة فهو في الصور لا في الاعيان وان كانت الاعيان ايضا صورا فافهم ويكون النشر والحشر والحساب والعرش الذي يقع التجلي عليه للفصل والقضاء في جوف الفلك المكوكب ثم يستحيل جميع ما في جوفه الى الآخرة لكن في صور

الترقي الى اعلى من لمك فانه اشفق عليك منها بيقين وتاقى منه بالقبول ما يورده عليك فانه ما خاطبك الا ليسمعك هو قال لا تجعل زمامك الا بيد ربك اختيارا الا اضطرارا فان ناصيتك بيده شئت ام ابيت وذلك لان ثمرة الاختيار ارجح من ثمرة الاضطرار * وقال عليك بنسب التقوى فمن اتقى الله فقد صح نسبه واياك والنسب الطيب فانه غير معتبر كما اشار اليه علي بن ابي طالب القيرواني بقوله

الناس من جهة التمثيل اكفاء
ابوهم آدم والام حواء
ما الفضل الا لاهل العلم انهم
على الهدى لمن استهدى ادلاء

الى آخر ما قال * وقال خشية الناس وهيبتهم منك على قدر خشيتك لله بظهر الغيب سواء فاياك ان تطلب من الناس ان يهابوك مع وقوعك في الرذائل بينك وبينه وانت اعرف بنفسك * وقال لا تجعل لبيتك الذي هو قلبك سقفا فيحول بينك وبين السماء فتحرم الرؤية ولا يصل اليك من غيث السماء شيء والغيث رحمة من الله رحم بها عباده ولا تسكن من البيوت الا اضعفها جدارا وذلك لان الخراب يسرع اليها فتبقى في حفظ الله لا في حفظ البيت * وقال مجالسة الرسل بالاتباع ومجالسة الحق بالاصغاء الى ما يقول فكن سامعا لا متكلما (قلت) وقد من الله علي في هذا المقام بلذة لا يقدر قدرها

غير هذه الصور قال وقد خلق الله تعالى الفلك المكوكب في جوف الفلك الاطلس وكذلك الجنات بما فيها مخلوقة بينهما فالفلك المكوكب ارضها والاطلس سماؤها وبينهما اى الفلكين فضاء واسع لا يعلمه الا الله فهما فيه كحلقة في فلاة فيحاء قال ومقعر هذا الفلك هو الدار الدنيا فانه من هناك الى ماتحته يكون استحالة لجميع ما يراه الى الارض فينتقل من ينتقل من الدنيا الى الجنة من انسان وغير انسان ويبقى ما يبقى فيهما من انسان وغير انسان وكل من يبقى بعد ذلك فهو من اهل النار الذين هم اهلها * قال الشيخ واعلم ان مادام الانسان الكامل موجودا في الارض فالسماء على حالها فاذا زال الانسان الكامل الى البرزخ هوت السماء لانه هو عمدها الذي يمسكها الله تعالى به حتى لا تقع على الارض وهو قوله تعالى وانشقت السماء فهي يومئذ واهية اى ساقطة الى الارض والسماء جسم شفاف صلب فاذا هوت السماء حلل جسمها حر النار فصارت دخانا احمر كالدهان السائل مثل شعلة نار كما كانت اول مرة وزال ضوء الشمس فطمست النجوم فلم يبق لها نور الا ان سباحتها الا تزول في النار بل تنتثر فتكون على غير النظام التى كانت عليه في الدنيا حال سترها واطال في ذلك (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى واذا الارض مدت ما صورة مدها (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين وثلثمائة ان المراد بمدها اغماءها وامتداد الجبال وتصييرها ارضا فانه في يوم القيامة تصير الجبال كلها دكا من تجلى الحق تعالى اذا كانت كالعهن المنفوش فما كان عاليا منها في الجو واذا انبسط زاد في وسع الارض ولهذا جاء في الخبر ان الله تعالى يمد الارض يوم القيامة مد الاديم فشبه مدها بمد الاديم لان الانسان اذا مد الاديم طال من غير ان يزاد فيه شئ لم يكن في عينه وانما كان فيه تقبض ونتوء فلما مد انبسط عن قبضه وفرش ذلك النتوء الذى كان فيه فزاد في سعة الارض ورفع المنخفض منها حتى بسطه فزاد منها ما كان من طول من مسطحها الى القاع منها كما يكون في الجلد نتوء فلذلك لا ترى في الارض عوجا ولا امتا فيأخذ البصر من المبصر جميع ما في الموقف بلا حجاب لعدم الارتفاع والانخفاض فيرى كل من الخلق بعضهم بعضا فيشهدون حكم الله تعالى بالفصل والقضاء بين عباده واطال في ذلك (فان قلت) فكم مدة يوم القيامة (فالجواب) مدته من خروج الناس من قبورهم الى ان نزلوا منازلهم من الجنة او النار ذكره الشيخ في الباب العشرين وثلثمائة * وقال في الباب الثامن والاربعين وثلثمائة اعلم ان يوم هذه الامة متصل بيوم الآخرة ليس بين اليومين الا ليل البرزخ خاصة وفي فجر هذه الليلة يكون نفخة البعث وفي طلوع شمس يومه يكون اتيان الحق جل وعلا كما يليق بجلاله للفصل والقضاء وفي قدر ركعتى الاشراق ينقضى الحكم فتعمر الداران باهلها وذلك يكون في يوم السبت فيكون نهاره ابديا لاهل الجنة ويكون ليله ابديا لاهل النار واطال في ذلك * ثم قال واعلم ان النيل والفرات يخرجان من اصل سدرة المنتهى فيمشيان الى الجنة ثم يخرجان الى دار الجلال فيظهر النيل من جبل القمر والفرات من ارض الروم وهما في غاية الحلاوة وانما اثر فيهما مزاج الارض فتغير طعمهما عما كانا عليه في الجنة فاذا كانت القيامة عادا الى الجنة وكذلك يعود سيحون وجيحون والله تعالى اعلم

(المبحث الثامن والستون في بيان ان الحوض والصراط والميزان حق)

قال الشيخ كمال الدين بن ابي شريف وانما ذكر اهل الكلام ان الحوض والصراط والميزان حق بيانا لاعتقاد اهل الزيغ وهو مشهور عن اكثر المعتزلة فانهم قالوا ان العبور على الصراط مع كونه ادق من الشعرة واحد من السيف ممتنع عادة وقال لهم اهل السنة لا امتناع فان الذى اقدر الطير على السير في الهواء قادر على ان يمشى الانسان على الصراط قال وقد اجرى اهل السنة الحديث على ظاهره

حين اكون سامعا واما اذا كنت انا التالى فلا اجد تلك اللذة وما ثم عندى الآن نعيم قط في دار الدنيا الا عندى من سماع القرآن فالحمد لله على كل حال * وقال كل ما سوى الله معلول والمعلول مراض بضرورة فلا زمته الطبيب فرض لازم * وقال كل عمل عملته من اعمال اهل النار فاختمه بالتوحيد يأخذ بيدك يوم القيامة لان التوحيد يرجح على كل عمل ولو بعد وقوع العقوبات * وقال احذر ان تقول كما قال العاشق انا من اهوى ومن اهوى انا فانك انت انت وهو هو وانظر هل قدر من قال ذلك ان يجعل العين واحدة لا والله ما قدر لانه جهل والجهل لا يستطاع ولا بد لكل عارف من غطاء ينكشف فلا تغالط نفسك * وقال اذا سمعت القرآن فاسمعه بسمع نفسك لا بسمع الحق في مقام المحبة لان الحق لا يأمر نفسه ولا ينهاها وهذا من زلات الاقدام لمن صار الحق سمعه من المحبوبين * وقال لا سجود الا عن قيام ولا قيام للكون فان القيومية لله وحده قال وما عرفنا نقصان مقام سهل بن عبد الله الا من قوله يسجد قلبه وما اخبر انه رآه ساجدا كما هو الامر عليه وانما اخبر انه يسجد ولا سجود الا عن شهود قيام قبل ذلك كما مر * وقال انما كان كل حزب بما لديهم فرحون لجهلهم بما لهم ولو علموا ما لهم لحزن من ينبغي له ان يحزن

واوله بعضهم بان كونه ادق من الشعرة انما هو ضرب مثل للامر الخفي الغامض والمعنى ان يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والتعرض لها والمعاصي وكثرة الوقوع فيها وقلته ودقة كل واحد من القسمين لا يعلم حده الا الله قال واول بعضهم ايضا كونه احد من السيف بسرعة انفاذ الملائكة امر الله باجازة الناس عليه قال وانما اتاه هذا التأويل ليوافق الحديث الآخر في قيام الناس والملائكة على جنبي الصراط كون الكلاليب والحسك فيه واعطاء المار عليه قدر موضع قدميه ونحو ذلك انتهى * ولنبسط الكلام على ذلك بعض البسط فنقول اعلم ان الحوض والصراط ثابتان بالنصوص قالوا ويتشاكلان بشاكلة الاعمال والعلوم اذ الشريعة علم وعمل فالحوض علومها والصراط اعمالها فعلى مقدار الشرب من علم الشريعة يكون الشرب من الحوض وعلى مقدار اتباع الشريعة في الافعال والاقوال والعقائد يكون المشي على الصراط هنالك فمن زاغ عن الشريعة هنا زلت به قدمه هنالك ونقص شربه من الحوض فالمشي حقيقة على الصراط انما هو هنا لا هنالك فان الصراط المنصوب المشروع هنا هو الذي ينصب هنالك حسا وما ثم طريق الى الجنة الا عليه قال تعالى وان منكم الا واردها قال الشيخ محيي الدين والحوض في عطفة من الصراط وضرب له مثلا على الهامش وهذه صورته ↙ قال واعلم ان نور كل انسان على الصراط لا يتعدى نفسه الى غيره فلا يمشي احد في نور احد ويتسع الصراط ويدق بحسب انتشار النور وضيقه فعرض صراط كل انسان بقدر انتشار نوره ومن هنا كان دقيقا في حق قوم وعريضا في حق آخرين وهو واحد في نفسه نال وانما قال تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم دون شمائلهم لان المؤمن السعيد كلتا يديه يمين فلا شمال له انتهى * وقال في الباب الثامن وثلثمائة اعلم ان الصراط الذي تسلك عليه ويثبت الله تعالى اقدامك عليه حتى يوصلك الى الجنة صراط الهدى الذي انشأته لنفسك في دار الدنيا من الاعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فهو في هذه الدار بحكم المعنى لا يشاهد له صورة حسية فيمد لك يوم القيامة جسرا محسوسا على ظهر جهنم اوله في الموقف وآخره في المرج الذي على باب الجنة فتعرف اول ما تشاهده انه صنعتك وبناؤك بجرارحك وتعلم انه قد كان في الدنيا ممدودا على متن جهنم طبيعتك في طولك وعرضك وجهنمك ذو ثلاث شعب اذ كان ظل حقيقتك وهو ظل غير ظليل لا يغنيها من اللهب بل هو الذي يقودها الى لهب الجهالة ويضرم فيها نارها انتهى * وقال في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة اعلم انه اذا وضع الصراط يكون من الارض علوا على استقامة الى سطح الفلك المكوكب فيكون منتهاه الى المرج الذي هو خارج سور الجنة التي يدخلها الناس اولا وتسمى جنة النعيم والمأدبة تكون في المرج وهي درمكة بيضاء نقية كل منها جميع اهل المأدبة ويقوم بعضهم في قطف من الثمار المدلاة من فروع واغصان الجنة على السور انتهى وقال في الباب الرابع والستين اذا مر الخلائق الى الصراط ينتهون اليه وقد ضربت عليه جسور على متن جهنم ادق من الشعرة واحد من السيف وقد غابت الجسور في جهنم مقدار اربعين الف عام ولهب جهنم يحاذيها باللهب وعليها حسك وكلاليب وخطاطيف وهي سبعة جسور يحشر العباد كلهم عليها وعلى كل جسر منها عقبة مسيرة ثلاثة آلاف عام الف عام صعودا والف عام استواء والف عام هبوطا وذلك قول الله عز وجل ان ربك لبالمرصاد يعني على تلك الجسور وغيره قال والملائكة يرصدون الخلق على هذه الجسور فيسئل العبد عن الايمان الكامل بالله تعالى فان جاء به مؤمنا مخلصا موقنا لا شك فيه ولا زيغ جاز الى الجسر الثاني فيسئل عن كمال الصلاة فان جاء بها تامة جاز الى الجسر الثالث فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الجسر الرابع فيسئل عن الصيام فان جاء به تاما جاز الى الجسر الخامس فيسئل

ارض الموقف
صراط درجات الجنة
جهنم
ماء الحوض
الحوض
مرج الجنة
درجات الجنة منه الصراط

عن الحج فان جاءبه تاما جاز الى الجسر السادس فيسئل عن الطهر من الحدث فان جاءبه تاما جاز الى الجسر السابع فيسئل عن المظالم فان كان لم يظلم احدا جاز الى الجنة وان كان قصر فى واحدة من هذه الخصال حبس على كل جسر منها الف سنة حتى يقضى الله فيه بما يشاء * وقال ايضا فى الباب الرابع والستين ما نصه اعلم ان الكلاليب والخطاطيف والحسك التى على جنبى الصراط انما هى صور اعمال بنى آدم فتمسكهم اعمالهم تلك على الصراط فلا ينهضون الى الجنة ولا يقعون فى النار حتى تدركهم الشفاعة والعناية الربانية وانما هى اعمالكم ترد عليكم انتهى وكان الشيخ ابو طاهر القزوينى رحمه الله يقول الصراط صراطان احدهما فى الدنيا وهو الاسلام فهو على ولكن ينقلب فى الآخرة جسرا حسيا وهو المعنى بقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وهو فى الحقيقة جسر ممدود على متن الكفر والشرك والبدع والاهواء قال تعالى وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه الآية وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ يوما والصافات صفا فلما بلغ قوله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون بكى حتى تحادرت الدموع على لحيته فقال بعض الوفد انك تبكى خوفا من بعثك قال اى وربى انه يعثنى على طريق كحد السيف ان زغت هلكت وهذا الصراط كالخط الطويل الممتد بين العبد وبين الله فى عين الاستقامة فى الرتبة الوسطى بين التشبيه والتعطيل والجبر والقدر وبين السخاء والبخل وبين الشجاعة والجبن كالتواضع بين الكبر والخساسة كالعفة بين الشهوة والخمود ولهذه الخصال وامثالها طرفان مذمومان والمحمود الوسط فالمواظبة على هذا الوسط هى المعبر عنها بالدقة والحدو اليها الاشارة بقوله تعالى فاستقم كما امرت واما الصراط الثانى فهو الاخروى الحسى وهو فى الحقيقة صورة الصراط الاول وهو طريق المسلمين الى الجنة ثم لا يخفى ان كل من اعتاد المرور فى الدنيا على صراط الاسلام هان عليه المرور على صراط الآخرة ومن لم يتعود ذلك فى الدنيا اصعب عليه وزلت قدمه وطال ندمه وعلى هذا الصراط الامثال محسوس لذلك الصراط المعنوى وبالجملة فسرعة مرور الناس على صراط الآخرة وبطؤهم يكون على حسب سرعة مبادرتهم الى مرضاة الله تعالى وبطئهم عنها قال وما جاء من الكلاليب والخطاطيف فهو عبارة عن علائق الدنيا المتعلقات بالقلب فكما تجذب صاحبها الى الدنيا كذلك تجذبه الى الهاوية كما ان شوك السعدان والحسك يكون بعدد ذنوب كل انسان وخطاياه فكما كانت تؤذيه فى دينه بالعكوف عليها فكذلك تؤذيه يوم القيامة بالمرور عليها واما ما جاء فى الخبر ويزحف على الصراط انما هو اشارة الى تثاقل ظهور الناس بالمظالم والتبعات واما الزلون والزالات فهم الناكبون فى الدنيا عن الصراط المستقيم والدين القويم نسأل الله اللطف بنا اجمعين * واما الميزان فاثبته جمهور اهل السنة وانكرته المعتزلة قال الغزالى والقرطبى ولا يكون الميزان فى حق كل احد لحديث السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان وان كان المعنى من غير ان يكون دخولهم فى حسابهم قالوا والمراد بالميزان هو الميزان الكل الجامع لتفاصيل موازين جميع الخلائق فترتفع رفعة واحدة فترفع موازين جميع الخلائق كلها رفعة واحدة وكل احد يشهد ميزانه قد رفع واعماله مودعة فى كفته الى ان ينقضى حكم المحاسبات والموازنات * قال الشيخ محيى الدين ويكون ميزان كل شخص بشا كلة ما كان الشخص عليه فى دار الدنيا فان الله تعالى قد خلق جسد الانسان على صورة الميزان وجعل كفتيه يمينه وشماله وجعل لسانه قائمة ذاته فهو لاى جانب مال قال تعالى واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان يعنى بالميل الى المعاصى والوقوع فيها قال وقد قرن الله السعادة بالكفة اليمين والشقاء بالكفة اليسار والاعتدال سبب البقاء والانحراف سبب الهلاك ثم لا يخفى ان موازين الآخرة كلها تدرك بحاسة البصر كموازين اهل الدنيا ولكنها عقلية لا محسوسة عكس الدنيا فهى كتمثل الاعمال

* وقال كلام الحادث حادث وكلام الله له الحدوث والقدم انه قوم الصفة لان له الاحاطة وحدوثه ودوكه علينا كما يقال حدث عندنا اليوم ضيف ولو كان عمره الف سنة * وقال لا يضاف الحدوث الى كلام الله لا اذا كتبه الحادث او تلاه ولا يضاف القدم الى كلام الحادث الا اذا تكلم به الله عند من اسمعه كلامه كموسى عليه السلام ومن شاء الله من عباده فى الدنيا والآخرة * وقال فى حديث اين كان ربنا قبل ان يخلق الخلق الى آخره ان كان العماء كالعرش فالسؤال باق من السائل واذا قصد بالخلق كل ما سوى الله فما هو العماء قال وهى مسئلة فى غاية الخفاء * وقال باستوائه تعالى على العرش صح نزوله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا ومع هذا فهو مع عباده ايما كانوا * وقال لآدم على النساء درجة ولمريم على عيسى درجة لا على الرجال فالدرجة لم تزل باقية فما ثم مساواة * وقال الدنيا والآخرة اختان وقد نهى الله تعالى عن الجمع بين الاختين وجوز الجمع بين الضرتين وما هما ضرتان حقيقة ولكن لما كان فى الاحسان الى احد الاختين بالنكاح اضرار بالاخرى لذلك قيل فيهما ضرتان فافهم * وقال من علامة العلم المكتسب دخوله فى ميزان العقول وعلامة العلم الموهوب ان

سواء فانها فى الدنيا اعراض وفى الآخرة تكون اشخاصا كما قال صلى الله عليه وسلم فى الموت انه يؤتى به فى صورة كبش فاما قال يؤتى به كبشا لان الحقائق لا تتبدل ثم انه اذا وضعت الموازين لوزن الاعمال جعلت فيها كتب الخلائق الحاوية لجميع اعمالهم الظاهرة لا الباطنة اذ لا عمال الباطنة لا تدخل الميزان المحسوس ابدا لكن يقام فيها العدل وهو الميزان الحكمي المعنوي فمحسوس لمحسوس ومعنى لمعنى كل شئ بمثله انتهى وعبارة الشيخ صفي الدين بن ابي المنصور فى عقيدته اعلم انه اذا وقعت الشفاعة العظمى لمحمد صلى الله عليه وسلم وضع الرب سبحانه وتعالى كتابه المتضمن علم جميع مخلوقاته الجامع لتفاصيل كتب جميع الخلائق فاذا وضع جملة كلية وضعت سائر الكتب التفصيلية وضعة واحدة فيجد كل انسان كتابه فى وجود ترتبه قد وضع دفعة واحدة وكل احد لا يرى وضع الكتاب والحساب الا له وكذلك الميزان الكلي الجامع لتفاصيل موازين جميع الخلائق يرفع رفعة واحدة فترفع سائر موازين الخلائق كلها دفعة واحدة كل واحد يشهد ميزانه قد رفع واعماله مودعة فى كفته الى ان ينقضي حكم الموازنات والمحاسبات فان نظرت الى الميزان الكلي قلت انه واحد وان نظرت الى تفاصيل ذلك قلت انه كثير قالوا وكل ميزان له لسان وكفتان يعرف بها مقادير الاعمال بان توزن صحفها * قال الشيخ محيي الدين واعلم انه ثم فى الميزان قول العبد الحمد لله ولذلك ورد والحمد لله تملأ الميزان (فان قلت) لم لم تكن لا اله الا الله تملأ الميزان كالحمد لله (فالجواب) انما لم تكن لا اله الا الله تملأ الميزان كالحمد لله لان كل عمل من اعمال الخير لا بد له من عمل آخر من ضده يقابله ليجعل هذا الخير فى موازنته ولا يقابل لا اله الا الله الا الشرك اذ هو ضده ولا يجتمع توحيد وشرك فى ميزان ابدا بخلاف التوحيد مع معاصي اهل الاسلام وايضاح ذلك ان العبد ان كان يقول لا اله الا الله معتقدا فما اشرك وان اشرك فما اعتقد لا اله الا الله فلما لم يصح الجمع بينهما لم تدخل لا اله الا الله الميزان لعدم ما يقابلها او يعادلها فى الكفة الاخرى * قال الشيخ محيي الدين واما صاحب السجلات التسعة والتسعين فانما دخلت لا اله الا الله ميزانه لانه كان يقول لا اله الا الله معتقدا لها لكنه لم يعمل معها خيرا قط وانما عمل معها سيآت فوضع لا اله الا الله فى مقابلة التسعة والتسعين سجلا من السيآت فترجح كفة لا اله الا الله الجميع وتطيش السجلات فلا يثقل مع اسم الله تعالى شئ انتهى * قال الشيخ فى الباب الثانى والعشرين واربعمائة من الفتوحات فى معنى قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم فى جهنم خالدون اعلم ان ميزان يوم القيامة تظهر بصورة نشأة الخلق من الثقل لانهم انما يحشرون وينشرون فى الاجسام الطبيعية فمن ثقلت موازينه فهو السعيد وذلك لان الحسنة بعشر امثالها الى مائة الف فما فوق ذلك وقد فعل هذا السعيد حسنا فى ظاهره واراد حسنا فى باطنه واما الذى خفت موازينه فهو الشقي وذلك لانه فعل سيأ والسيئة بواحدة فخفت موازينه بالنسبة الى ثقل ميزان السعيد ولم يعتبر الحق تعالى فى الوزن الا كفة الخير دون كفة الشر فهي الثقيلة فى حق السعيد الخفيفة فى حق الشقي مع كون السيئة غير مضاعفة ومع هذا فقد خفت كفة خيره فعلم ان الكفة الثقيلة للسعيد هي بعينها الخفيفة للشقي لقلة ما فيها من الخير او عدمه بالكلية مثل صاحب السجلات والذى يخرجه الله تعالى من النار وما عمل خيرا قط سوى التوحيد من اهل الفترات فان هذا ليس فى كفة اليمين شئ له وانما عنده التوحيد لله فقط الحاصل من العلم الضروري الذى ليس له فيه تعمل * قال الشيخ ولو ان الله تعالى اعتبر فى الثقل والخفة الكفتين معا كفة الخير وكفة الشر لكان يزيد بيانا فى ذلك فان احدى الكفتين اذا ثقلت خفت الاخرى بلا شك خيرا كان او شرا هذا حكم وزن الاعمال واما اذا وقع الوزن بالعبد نفسه بان يكون هو فى احدى الكفتين وعمله فى الكفة

الخزائن السنتهم فاذا نطقوا اغنوا السامعين ان كانت اعين افهامهم غير مطموسة * وقال فى الكلام عند الموت هل هو بحرف او صوت اعلم ان الكلام بعد الموت يكون بحسب الصورة التى ترى نفسك فيها فان اقتضت الحرف والصوت كان الكلام كذلك وان اقتضت الصوت بلا حرف كان وان اقتضت الاشارة او النظرة او ما كان فهو ذلك وان اقتضت الذات ان تكون عين الكلام كان فان جميع ذلك تقتضيه حضرة البرزخ قال وان رايت نفسك فى صورة انسان حزت جميع المراتب فى الكلام فانه المقام الجامع لاحكام الصور * وقال انما جعل الله لنا النوم فى هذه الدار لنا نعرف حالنا فى البرزخ بعد الموت فان حال الميت كحال النائم لان علاقة تدبيره الهيكل باقية فى النوم والموت لا علاقة له فى التدبير * وقال اذا رايت من تبرأ من نفسه فلا طمع فى صحبته فانه منك اشد تبرأ * وقال اذا كنت تجهل ما نسب اليك فى علم الله ولا نفسه معتاب فيها اوما من صحبه * وقل بالله والتأويل فيها